سُبُل الهُدى والرَّشاد
في سِيرة خير العباد

للإمام محمّد بن يوسف الصّالحي الشّامي
المتوفى سنة ٩٤٢ هـ

تحقيق وتعليق
الشيخ عادل أحمد عبد الموجود — الشيخ علي محمّد معوض

الجزء الأوّل

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـة المـؤلـف

قَالَ سَيِّدُنَا وَمولاَنَا وَشَيْخُنا شَيْخُ الإِسْلامِ خَاتِمَةُ المُحَدِّثينَ والأَعْلاَمِ، أَبوُ عَبْدِ الله مُحَمَّدُ ابْنُ يُوسُفَ الشَّاميُّ، رَحِمَهُ الله تَعَالَى وَرَحِمَنَا بِهِ، وَجزاهُ خَيْراً عَنْ تَعَبِهِ وَنَصَبِهِ. آمينَ.

الْحَمْدُ لله الَّذي خَصَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّداً صَلَّى الله عليه وسلَّم بأَسْنَى المناقِب، ورفَعَه في الشَّرف إِلى أَعلى المراتِب، وأَيَّده بالمُعْجزَات الباهِرات العَجَائب، الَّتي فاقَتْ ضَوْءِ النيِّريْن وزادَت علَى عَدَد النُّجوُم الثَّواقِب، وجعَل سِيرتَه الزكِيَّة أَمْناً لِمَنْ تمسَّكَ بها ونَجاةً من المَعَاطِب أَحْمده سبحانه وتعالى حمداً أَنَالُ به رِضَاه وبُلُوغَ المآرب، وأَشْهد أَن لا إِلَه إِلاَّ الله وَحْدَه لا شَرِيكَ له ربّ المشَارِق والمَغَارِب، وأَشهد أَن سيدنا ونبينا محمداً عبْدُه ورسُولُه المبعوث بالدِّين الوَاصِب، صلى الله عليه وسَلَّم وعلى آله وأَصْحَابه الَّذينَ نَالُوا أَشْرف المنَاصِب.

أَمّا بعد:

فهذا كِتَابٌ آقتضَبْتُه من أَكثر من ثلاثمائة كتَاب، وتَحَرَّيتُ فيه الصَّوَاب، ذكَرْتُ فيه قَطَراتٍ من بحَار فضَائِلِ سيِّدنا رسُول الله صلَّى الله علَيْه وسلَّم مِنْ مبْدأ خلْقِه قبْل خَلْقِ سيِّدنا آدمَ صلى الله عليه وسلم وأَعْلاَمَ نُبوّته وشمائِلِه وسِيرَته وأَفْعَاله وأَحْواله وتَقَلُّباتِه، إِلى أَنْ نقَله الله تَعالى إِلى أَعْلَى جَنَّاته، ومَا أَعَدَّه لَهُ فِيهَا مِنَ الإِنْعَام والتعظيم، عَلَيْه من الله أَفضَلُ الصَّلاة وأَزكى التَّسْليم.

ولم أَذكُرْ فيه شيئاً من الأَحادِيث المَوْضُوعَات، وخَتَمْتُ كلَّ بَاب بإِيضَاح ما أُشْكل فيه وَبعْض مااشْتَمَلَ علَيْه من النَّفائِس المُسْتَجَادَات، معَ بَيَان غَريب الأَلْفَاظ وضَبْط المُشكلاَت، والجَمْع بيْنَ الأَحَاديث التي قد يُظَنُّ أَنَّها مِنَ المُتَناقِضات.

وإِذَا ذكَرْتُ حديثاً منْ عند أَحَد من الأَئمَّة فإِنِّي أَجْمَع بيْنَ أَلْفَاظ رُواته إِذَا اتفقوا، [وإِذَا عَزَوْتُه لِمُخَرِّجَيْنِ فأَكثر فإِني أَجْمَعُ بيْنَ أَلفَاظِهم إِذا اتفقوا] فلاَ يعترض عَلَيّ إِذا عَزَوْتُ الحديثَ للبُخاريِّ ومُسلم وذَكَرْتُ معَهُما غيْرَهما، فإِن ذلك لأَجْل الزِّيادة التي عندهما غالباً.

وإِذا كان الراوي عن النبي صلى الله عليه وسلم صحابيّاً قلْتُ: رضِيَ الله تَعَالَى عَنْه.

وَإِنْ كَان تَابِعِياً أَو مِنْ أَتْبَاعِ التَّابعين قلت: رَحِمَهُ الله تعالى.

وإذا أَطلقت الشيخين: فالبُخاري ومُسْلم، أَو قلْت: متفق عليه: فما رَوَياه، أَو الأَرْبَعَة: فأَبوُ دَاوُد والتِّرمذي وابن مَاجَه والنَّسائِي، أَو السِّتّة: فالشَّيخَان والأَرْبَعَة؛ أَو الخَمْسَة فالسِّتَّة إلا مَاجَه أَو الثَّلاثَة: فالأَربَعَة إلاَّ هو؛ أَو الأَئمَّة: فالإِمامُ مَالِك والإِمَامُ الشَّافِعِيّ والإِمَام أَحمَدَ والسِّتَّة والدَّارَقُطْنيّ.

ولـم أَقِفْ على شَيْءٍ مِنَ الأَسانيد المخرَّجة للإِمام الأَعظم أَبي حنيفة النُّعمان رِضْوَانُ اللهِ تعالى علَيْه فلذلك لَمْ أَذْكُرْه.

[أَو: الجَمَاعة]: فالإِمام أَحْمد والسِّتَّة. أَو: أَبو عمر: فالحافظُ يُوسُف بن عبْد البَرّ أَو القَاضي: فأَبو الفَضْل عِيَاض، أَو الأَمير: فالإِمام الحافظ أَبو نَصْر عليّ بن هبَة الله، الوَزيري البَغْدادي المَعْرُوف بابن ماكُولاَ. أَو السُّهيليّ: فالإِمامُ أَبو القَاسِم عبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عبْد الله الخَثْعَمِيّ. أَو الرَّوْض. فالرَّوْضُ الأُنُفُ لَهُ. أَو: أَبو الفَرَج: فالحَافِظُ عبْدُ الرحْمَنِ بْنُ الجَوْزِي. أَو أَبو الخَطَّاب: فالحَافظُ عُمَر بْنُ الحسنِ بْنُ دِحيَةَ. أَو: أَبُو ذَرٍّ: فالحافِظُ أَبُو ذَرٍّ: مُصْعَبُ بْنُ مُحَمَّد بْن مسْعود الخُشَنِيُّ، أَو الإِمْلاَء: فما أَملاه على سيرة ابْن هِشَام. أَو زاد المعاد: فزَاد المَعَادِ في هَدْي خَيرِ العِبَادِ، للإِمام العَلاَّمة أَبي عبْد الله مُحَمَّد بْن أَبي بَكْر بْن القَيمِّ. أَو أَبو الرَّبيعِ: فالثِّقة الثَّبت سُلَيْمانُ بْن سَالِمِ الكُلاعِيّ؛ أَو آلاكْتِفَاء: فكتاب «آلاِكْتِفَاءِ» لَهُ. أَو: أَبو الفَتْح: فالحافظ محمَّدٌ ابْنُ مُحَمَّد بن سَيدِّ النَّاس؛ أَو العُيون: فعيُونُ الأَثرَ له. أَو القُطْب: فالحافظ: قُطْب الدِّينِ الحَلبيّ؛ أَو المَوْرِد: فالمَوْرِد العَذْبُ له. أَو الزَّهْر: فالزَّهْر البَاسِم. أَو الإِشارَةَ: فالإِشارة إِلِى سِيرَة سَيِّدنا محمَّد رسول الله صَلى الله عليه وسلَّم، كِلاَهُما للحَافِظ عَلاَءِ الدِّين مُغَلْطَاي أَو الإِمتاع: فكتاب: إِمْتَاع الأَسْمَاعَ للإِمَام العَلاَّمة مُؤرخِ الدِّيارَ المصْرية الشَّيخ تَقيّ الدِّين المَقْريزيّ. أَو المِصْبَاح: فالمِصْبَاحُ المُنيرُ للإِمَام العلاَّمَة أَبي العَبَّاس أَحمْدَ ابْن مُحَمَّد بْن عليّ الفَيُّوميّ، أَو التَّقْرِيب: فالتَّقْريبُ في عِلْم الغَريبِ لولدهِ مَحْمُود الشَّهير بآبن خَطيبِ الدَّهْشة. أَو الحافظ: فشَيخ الإِسلام أَبو الفَضْل أَحمد بن علي بْن حَجَرِ أَو الفَتْح: فَفَتْح البَاري لَهُ. أَو شَرْح الدُّرَرِ: فشَرْحُه عَلَى أَلْفِيَّةِ السِّيرَةِ لشَيْخِهِ العِراقيّ. أَو النُّور: فنُور النِّبْرَاس للحَافِظِ بُرْهانِ الدِّين الحَلَبيّ. أَو الغرر: فالغُرَر المُضِيَّة للعَلاَّمَة مُحِبّ الدِّين بْن الإمام العلاَّمَة شِهَاب الدِّين بْن الهائِم أَو السيِّد: فشيخ الشَّافعيّة بطَيْبَة نُور الدِّين السَّمْهُودِيّ أَو: الشَّيْخ، أَو: شَيْخُنا: فحَافِظُ الإِسْلاَمَ بَقِيَّةُ المُجْتَهِدِينَ مِنَ الأَعْلاَمَ جَلاَل الدِّين أَبو الفَضْل عبْدُ الرَّحْمَن بْنُ أَبي بَكْرِ السُّيُوطِيّ. رَحِمَهُمُ اللهُ تَعَالىَ.

وَحَيْثُ أَطْلَقْتُ المُوَحَّدَةَ: فَهيَ ثَاني الحُرُوف. أَو المُثَلَّثَةَ: فهيَ الرَّابِعَةُ. أَو التَّحْتية: فَهِيَ آخِرُ الحُرُوفِ.

وسَمَّيتُ هذا الكِتَابَ: «سُبُلَ الهُدَى وَالرَّشَادِ، في سِيرةِ خَيْرِ العبَادِ، وذِكْرِ فَضَائلِهِ وأَعلاَمِ نُبُوّتهِ وَأَفْعَالِه وأَحْوالِه في المَبْدأ والمَعَاد».

وَإِذَا تأَمَّلتَ هَذا الكِتابَ عَلِمْتَ أَنَّهُ نَتِيجَةُ عُمْري وذَخِيرَة دَهْري، والله سُبْحَانه وتعالى أَسْأَل أَنْ يجْعَلَهَ خَالِصاً لوجْهه الكَريم، وأَنْ يَمُنَّ عَلَيَّ بالنَّظرَ إِلَيْه في دار النَّعِيم، وهُوَ حَسْبِي ونِعْم الوَكِيل، ما شَاءَ الله كان ومَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يكُنْ ولاَ حَوْلَ ولاَ قُوَّة إِلا باللهِ العَلِيِّ العظيم.

وقبل الشُّروُع في مَقَاصِد الكِتَاب أُثبِتُ ما فيِه منَ الأَبْوَاب، وهي نَحوْ أَلْفِ بَابٍ. والله الهادي للصَّوابِ.

جماع أبواب بعض الفضائل والآيات الواقعة قبل مولده صلى الله عليه وسلم

جماع أبواب فضائل بلده المنيف ومسقط رأسه الشريف صلى الله عليه وسلم

باب: تجديد حفر زمزم على يد عبد المطلب بن هاشم.

باب: بعض أسماء البلد والحرم المنيف.

باب: ذكر حرم مكة وسبب تحريمه.

باب: تعظيم مكة وحرمها وتعظيم الذنب فيها.

باب: حج الملائكة وآدم والأنبياء وتعظيمهم للحرم.

باب: قصة إهلاك أصحاب الفيل.

جماع أبواب نسبه الشريف صلى الله عليه وسلم

باب: بعض فضائل العرب وحبهم.

باب: طهارة أصله وشرف محتده غير ما تقدم.

باب: سرد أسماء آبائه إلى آدم ﷺ.

باب: شرح أسماء آبائه وبعض أحوالهم على وجه الاختصار.

باب: معنى قوله ـ ﷺ: **«أنا ابن العواتك والفواطم»**.

جماع أبواب مولده الشريف صلى الله عليه وسلم

باب: سبب تزويج عبد المطلب ابنه عبد الله امرأة من بني زهرة.

باب: حمل آمنة برسول الله ﷺ وما وقع في ذلك من الآيات.

باب: وفاة عبد الله بن عبد المطلب.

باب: تاريخ مولده ﷺ ومكانه.

باب: ما جاء في إخبار الأحبار وغيرهم بليلة ولادته ﷺ.

باب: في وضعه والنور الذي خرج معه وتدلي النجوم ونزوله ﷺ ساجداً معتمداً على الأرض بيديه وما رأته قابلته الشفاء أم عبد الرحمن بن عوف وما وقع في ذلك من الآيات.

باب: انفلاق البرمة عنه حين وضع تحتها ﷺ.

باب: ولادته مختوناً مقطوع السرة ﷺ.

باب: مناغاته للقمر في مهده، وكلامه فيه ﷺ.

باب: حزن إبليس وحجبه من السموات وما سمع من الهواتف لما ولد رسول الله عليه السلام.

باب: في انبثاق دجلة وارتجاس الإيوان وسقوط الشرفات وخمود النيران وغير ذلك مما يذكر ليلة ولادته ﷺ.

باب: فرح جده عبد المطلب وتسميته له محمداً ﷺ.

جماع أبواب الأمور الكائنة بعد مولده وقبل بعثه صلى الله عليه وسلم

جماع أبواب مبعثه صلى الله عليه وسلم

باب: أَمر الله تعالى رسوله محمداً ﷺ بإظهار الدعوة إلى الإِسلام.

باب: مشي قريش إلى أَبي طالب ليكفّ عنهم رسولَ الله ﷺ.

باب: إِسلام حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنهما.

باب: في إرسال قريش عُتْبة بن ربيعة لرسول الله ﷺ ليعرض عليه أشياء ليكف عنهم.

باب: في أَسئلة المشركين رسولَ الله ﷺ أَنواعاً من الآيات وخَرْق العادات على وجه العناد لا على وجه الهدى والرشاد، فلهذا لم يجابوا إلى كثير مما سألوا.

باب: امتحانهم إياه بأَشياء لا يعرفها إلا نبيّ.

باب: سبب نزول قوله: تعالى: ﴿**ولا تجهر بصلاتك**﴾ الآية.

باب: اعتراف أَبي جهل وغيره بصدْق رسول الله ﷺ.

باب: تحيرّ الوليد بن المغيرة فيما يصف به القرآن والآيات التي نزلت فيه.

باب: عدوان المشركين على المستضعفين ممن أَسْلم بالأَذى والفتنة.

باب: الهجرة الأُولى إلى الحبشة وسبب رجوع من هاجر إليها من المسلمين في شهر رجب سنة خمس من المبعث.

باب: إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

باب: دخول بني هاشم وبني المطلب ابنَيْ عبد مناف الشِّعْبَ وكتابة قريش الصحيفةَ الظالمة.

باب: في رجوع القادمين من الحبشة إليها والهجرة الثانية إلى أَرض الحبشة وفيه مكتوب النبي ﷺ إلى النجاشي وأَسماء الذين هاجروا الهجرة الثانية.

باب: إِرادة أَبي بكر رضي الله عنه الهجرة إلى الحبشة أَو إِلى المدينة.

باب: نقض الصحيفة الظالمة.

باب: إِسلام الطُّفيل بن عمرو الدَّوْسي رضي الله عنه.

باب: قصتي الأَرَاشِيّ والزَّبيديّ اللذين ابتاع أَبو جهل إِبلهما.

باب: وفد النصارى الذين أَسلموا.

باب: سبب نزول أَول سورة ﴿**عَبس**﴾.

باب: سبب نزول ﴿**قل يا أيها الكافرون**﴾.

باب: سبب نزول أَول سورة ﴿**الروم**﴾.

باب: وفاة أَبي طالب ومَشْي قريش إِليه ليكف عنهم رسولَ الله ﷺ.

باب: وفاة أُم المؤمنين خديجة الكبرى رضي الله عنها.

باب: في بعض ما لا قاه رسول الله ﷺ من قريش بعد موت أبي طالب.

باب: سفر النبي ﷺ إلى الطائف.

باب: في إيمان الجن به ﷺ.

باب: عَرْض النبي نفسَه الكريمة على القبائل ليُؤْووه وينصروه ودعائه الناسَ إلى التوحيد.

باب: خبر بعض المستهزئين برسول الله ﷺ وكيف كان هلاكهم.

جماع أبواب معراجه صلى الله عليه وسلم

باب: تفسير قوله تعالى: ﴿**سبحان الذي أسرى بعبده**﴾ الآية.

باب: تفسير أول سورة ﴿**والنجم**﴾.

باب: اختلاف العلماء في رؤية النبي لربه تبارك وتعالى ليلة المعراج.

باب: في أَي زمان ومكان وقع الإِسراء.

باب: كيفية الإِسراء برسول الله ﷺ وهل تكرَّر أَم لا.

باب: دفع شُبَه أَهل الزَّيْغ في استحالة المعراج.

باب: أَسماء الصحابة الذين رووا القصة عن النبي ﷺ.

باب: سياق القصة.

باب: تنبيهات على بعض فوائد تتعلق بقصة المعراج.

باب: صلاة جبريل عليه السلام بالنبي الجليل ﷺ يوم ليلة الإِسراء وكيفية فرض الصلاة.

جماع أبواب بدء إسلام الأنصار رضي الله عنهم أجمعين

باب: نسبهم رضي الله تعالى عنهم.

باب: فضلهم وحبهم والوصية بهم والتجاوز عن مُسيئهم والنهي عن بغضهم.

باب: بدء إِسلامهم رضي الله تعالى عنهم.

باب: ذكر يوم بُعَاث.

باب: بَيْعة العقَبة الأُولى وكانت في رجب.

باب: بَيْعة العقبة الثانية.

باب: إِسلام سعد بن مُعاذ وأُسَيْد بن حُضَيْر رضي الله تعالى عنهما.

باب: بيعة العقبة الثانية.

باب: إِسلام عمرو بن الجَمُوح ـ بفتح الجيم وبالحاء المهملة ـ رضي الله عنه.

جماع أبواب الهجرة إلى المدينة الشريفة

باب: إذن النبي ﷺ في الهجرة إلى المدينة للمسلمين.

باب: سبب هجرته بنفسه الكريمة وكفاية الله ورسوله مَكْر المشركين حين أَرادوا به ما أَرادوا.

باب: قَدْر إِقامة رسول الله ﷺ بنفسه الكريمة وما وقع في ذلك من الآيات.

باب: تلقّي أَهل المدينة رسول الله ﷺ ونزوله بُقُبَاء وتأَسيسه لمسجد قباء.

باب: قدومه ﷺ باطن المدينة وسُكْناه بدار أَبي أَيوب.

جماع أبواب بعض فضائل المدينة الشريفة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام

جماع أَبواب بعض فضائل المدينة الشريفة على صاحبها أَفضل الصلاة والسلام.

باب: بدء نشأَتها.

باب: سرْد أَسمائها مرتبة على حروف المعجم.

باب: النهي عن تسميتها يثرب.

باب: في محبته ﷺ ودعائه لها ولأَهلها ورفع الوباء عنها بدعائه.

باب: عصمتها من الدجال والطاعون ببركته ﷺ.

باب: الحث على الإِقامة بها والموت بها والصبر على لأْوائها ونفيها الخبث والذنوب واتخاذ الأُصول بها والنهي عن هدم بنيانها.

باب: وعيد من أَحدث بها حدثاً أَو آوى بها مُحْدثاً أَو أَرادها وأَهلَها بسوء أَو أَخافهم والوصية بهم.

باب: تفضيلها على البلاد بحلوله ﷺ بها.

باب: تحريمها على لسانه ﷺ.

باب: ذكر بعض خصائصها شرفها الله تعالى.

جماع أبواب بعض حوادث من السنة الأولى والثانية من الهجرة

باب: صلاته الجمعة ببني سالم بن عوف .ﷺ.

باب: بناء مسجده الأَعظم ﷺ.

باب: بنائه حُجر نسائه ﷺ.

باب: بدء الأَذان.

باب: مؤاخاته ﷺ بين الصحابة.

باب: قصة تحويل القبلة.

جماع أبواب أمور دارت بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين اليهود والمنافقين. ونزول صدر سورة البقرة وغيرها من القرآن في ذلك

جماع أبواب المغازي التي غزا فيها صلى الله عليه وسلم بنفسه الكريم صلى الله عليه وسلم

باب: غزوة العشيرة.

باب: غزوة بَدْر الكبرى.

باب: غزوة بني سُلَيْم ويقال لها قرقرة الكُدر.

باب: غزوة السَّويق.

باب: غزوة غَطَفان، وهي ذو أَمَر.

باب: غزوة الفُرُع.

باب: غزوة بني قَيْنقاع.

باب: غزوة أُحد.

باب: غزوة حمراء الأَسد.

باب: غزوة بني النَّضِير.

باب: غزوة بَدْر الموْعِد.

باب: غزوة دَوْمة الجَنْدَل.

باب: غزوة الخندق، وهي الأَحزاب.

باب: غزوة بني المصْطلق وهي المُرَيْسيع.

باب: غزوة بني قُرَيْظَة.

باب: غزوة بني لَحْيان.

باب: غزوة الحديبية

باب: غزوة ذي قرَد وهي الغابة.

باب: غزوة خيبر ووادي القُرَى.

باب: غزوة ذات الرِّقَاع.

باب: غزوة عمرة القَضِيّة.

باب: غزوة الفتح الأَعظم فتح مكة شرفها الله تعالى.

باب: غزوة حُنَين وهي هَوازن.

باب: غزوة الطائف.

باب: غزوة تبوك.

جماع أبواب بعض سراياه وبعوثه وبعض فتوحاته صلى الله عليه وسلم

باب: عدد سراياه وبعوثه ومعنى السَّرية.

باب: أَي وقت كان يبعث سراياه ووداعه إِياهم ومَشْيه مع بعضهم وهو راكب إِلى خارج المدينة ﷺ، ووصيته لأَمير السرايا.

باب: عذره عن تخلّفه عن صحبة السرايا.

باب: سرية عُبيدة بن الحارث بن المطلب رضي الله عنه إِلى بطن رابغ.

باب: سرية حمزة بن عبد المطلب إِلى سيف البحر.

باب: سرية سعد بن أَبي وقاص إِلى الخرار.

باب: سرية سعد بن أَبي وقاص أيضاً إِلى بني كنانة.

باب: سرية أَمير المؤمنين المجدَّع في الله، عبد الله بن جحش إِلى نخلة.

باب: بعث عمير بن عَدِي الخطمي رضي الله عنه إِلى عصماء بنت مروان.

باب: بعث سالم بن عمير رضي الله عنه إِلى أَبي عَفك اليهودي.

باب: سرية محمد بن مَسْلمة رضي الله عنه إِلى كعب بن الأَشرف.

باب: سرية زيد بن حارثة إِلى القَرْدَة.

باب: سرية أَبي سلمة عبد الله بن عبد الأَسد رضي الله عنه إِلى ذي قطَن.

باب: بعثه عبدَ الله بن أُنَيْس رضي الله عنه إِلى سفيان بن خالد الهُذَلي.

باب: سرية مَرْثد بن أَبي مرثد الغَنوي رضي الله عنه إِلى الرَّجِيع.

باب: سرية المنذر بن عمرو رضي الله عنه إِلى بئر مَعُونة، وهي سرية القُرَّاء.

باب: سرية محمد بن مَسْلمة رضي الله عنه إِلى القُرَطاء.

باب: سرية عُكَّاشة بن مِحْصَن رضي الله عنه إِلى غَمْر مرزوق.

باب: سرية محمد بن مسلمة إِلى بني معاوية وبني عَوَال بذي القَصَّة.

باب: سرية أَبي عبيدة بن الجراح إِلى ذي القَصَّة أَيضاً.

باب: سرية زيد بن حارثة رضي الله عنه إِلى بني سليم بالجَمُوم.

باب: سرية زيد أَيضاً إِلى العِيص.

باب: سرية زيد أَيضاً إِلى الطَّراف.

باب: سرية زيد أَيضاً إِلى حُسْمَى.

باب: سرية زيد أَيضاً إِلى وادي القُرى.

باب: سرية عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه إِلى دَوْمة الجَنْدل.

باب: سرية زيد بن حارثة إِلى مَدْين.

باب: سرية أَمير المؤمنين علي بن أَبي طالب إِلى بني سعد بن بكر بفَدَك.

باب: سرية أَبي بكر الصديق رضي الله عنه إِلى بني فَزَارة بناحية وادي القرى.

باب: سرية زيد بن حارثة رضي الله عنه إِلى بني فَزارة.

باب: سرية عبد الله بن عَتِيك رضي الله عنه إِلى أَبي رافع بن الحُقَيْق.

باب: سرية قُطْبة بن عامر رضي الله عنه إلى خَثْعَم.

باب: سريةالضحَّاك بن سُفيان الكلاَبي رضي الله عنه إلى بني كِلاَب.

باب: سرية عَلْقمة بن مجَزّر المدْلجي رضي الله عنه إلى الحبشة.

باب: سرية أَمير المؤمنين علي بن أَبي طالب لهدم الفُلس.

باب: بعث عُكَّاشة بن مِحْصن رضي الله عنه إلى الجباب.

باب: سرية خالد بن الوليد رضي الله عنه إلى أُكَيْدر بن عبد الملك.

باب: بعثه ﷺ أَبا سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة لهدم الطاغية.

باب: بعثه ﷺ أَبا موسى الأَشعري ومعاذ بن جبل قَبْل حِجّة الوداع إلى اليمن المرة الثانية.

باب: بعثه ﷺ خالد بن الوليد إلى بني عبد المَدَان بنجران.

باب: سرية المقداد بن الأَسود رضي الله عنه إلى ناس من العرب.

باب: بعثه ﷺ خالد بن الوليد إلى همدان ثم بَعثه علياً إليهم.

باب: سرية أَمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه إلى اليمن المرة الثانية.

باب: سرية بني عبس إلى قريش.

باب: بعثه ﷺ سرية إلى رِعْية السُّحَيْمي الجهني.

باب: بعثه ﷺ أَبا أُمامة صَدِيّ بن عَجْلان إلى باهلة.

باب: سرية جرير بن عبد الله البجَلي رضي الله عنه إلى ذي الخلصة.

باب: بعثه ﷺ علي بن أبي طالب وخالد بن سعيد بن العاص إلى اليمن.

باب: بعثه ﷺ خالد بن الوليد إلى خَثْعم.

باب: بعثه ﷺ عمرو بن مرة الجهني إلى أَبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب قبل إسلامه.

باب: سرية أُسامة بن زيد رضي الله عنهما إلى أَهل مُؤته بناحية البلقاء.

باب: ذكر بعض ما فتحه ﷺ من البلاد.

جماع أبواب بعض الوفود إليه صلى الله عليه وسلم

باب: الكلام على بعض فوائد سورة النصر.

باب: تجمّله ﷺ للوفود وإجازتهم، ومعنى الوفد.

باب: وفود أَحمس إليه.

باب: وفود أَزْد شنوءة إليه ﷺ.

باب: وفود أَزدعمان إِليه ﷺ.
باب: وفود بني أَسد إِليه ﷺ.
باب: وفود أَشجع إِليه ﷺ.
باب: وفود الأَشعريين إِليه ﷺ.
باب: وفود أَعشى بن مازن عليه.
باب: وفود أَعشى بن قيس عليه.
باب: وفود بارِق إِلى النبي ﷺ.
باب: وفود باهِلة إِليه.
باب: وفود بني البكّاء إِليه ﷺ.
باب: وفود بني بكر بن وائل إِليه.
باب: وفود بَلِيّ إِليه ﷺ.
باب: وفود بَهْراء إِليه ﷺ.
باب: وفود تجيب إِليه ﷺ.
باب: وفود بني ثعلبة إِليه ﷺ.
باب: وفود بني تميم إِليه ﷺ.
باب: وفود بني ثَقِيف إِليه ﷺ.
باب: وفود ثُمالة والحُدّان إِليه ﷺ.
باب: وفود الجارود بن المعلّى إِليه.
باب: وفود جُذَام إِليه ﷺ.
باب: وفود جِرْم إِليه ﷺ.
باب: وفود جرير بن عبد الله إِليه ﷺ.
باب: وفود جَعْدة إِليه ﷺ.
باب: وفود جعْفِيّ إِليه ﷺ.
باب: وفود جُهَيْنة إِليه ﷺ.
باب: وفود جَيْشان إِليه ﷺ.
باب: وفود الحارث بن حسان إِليه ﷺ.
باب: وفود بني الحارث بن كعب إِليه ﷺ.
باب: قدوم الحجّاج بن عِلاَط وما وقع في ذلك من الآيات.
باب: وفود حضرموت إِليه ﷺ.

باب: وفود الحكم بن حَزْم إليه ﷺ.
باب: وفود حِمْير إليه ﷺ.
باب: وفود بني حَنِيفة إليه ﷺ.
باب: وفود خُفاف بن نَضلة إليه ﷺ.
باب: وفود خَثْعم إليه ﷺ.
باب: وفود خَوْلان إليه ﷺ.
باب: وفود خُشيْن إليه ﷺ.
باب: وفود الداريين إليه ﷺ.
باب: وفود دَوْس إليه ﷺ.
باب: وفود ذباب بنِ الحارث عليه ﷺ.
باب: وفود الرهاوِيّين إليه ﷺ.
باب: وفود بني رؤاس بن كلاب إليه ﷺ.
باب: وفود زَبيد إليه ﷺ.
باب: وفود بني سحيم إليه ﷺ.
باب: وفود بني سعد إليه ﷺ.
باب: وفود سَدُوس إليه ﷺ.
باب: وفود بني سَلامان إليه ﷺ.
باب: وفود سليم إليه ﷺ.
باب: وفود بني شيبان إليه ﷺ.
باب: وفود صدَاء إليه ﷺ.
باب: وفود الصّدف إليه ﷺ.
باب: وفود أَبي صُفرة إليه ﷺ.
باب: وفود ضِمَاد بن ثَعلبة إليه ﷺ.
باب: وفود طارق إليه ﷺ.
باب: وفود طيّئ إليه ﷺ.
باب: وفود بني عامر بن صَعْصَعة إليه ﷺ.
باب: وفود عبد الرحمن بن أَبي عقيل إليه ﷺ.
باب: وفود بني عبد بن عديّ إليه ﷺ.
باب: وفود عبَد القيس إليه ﷺ.

باب: وفود عدي بن حاتم إليه ﷺ.
باب: وفود بني عَبْس إليه ﷺ.
باب: وفود بني عُذْرة إليه ﷺ.
باب: وفود بني عقيل إليه ﷺ.
باب: وفود عمرو بن مَعْدي كرب إليه ﷺ.
باب: وفود عنزة إليه ﷺ.
باب: وفود عنس، بالنون، إليه ﷺ.
باب: وفود غافِق إليه ﷺ.
باب: وفود غامِد إليه ﷺ.
باب: وفود غسّان إليه ﷺ.
باب: وفود قاصد فَروة بن عمرو إليه ﷺ.
باب: وفود فَرْوة بن مسيك إليه ﷺ.
باب: وفود فَزارة إليه ﷺ.
باب: وفود بني قُرّة بن عَبْس إليه ﷺ.
باب: وفود قُدَد بن عمّار إليه ﷺ.
باب: وفود بني قُشَير إليه ﷺ.
باب: وفود قيس بن عاصم إليه ﷺ.
باب: وفود بني كِلاَب إليه ﷺ.
باب: وفود بني كلب إليه ﷺ.
باب: وفود بني كِنَانة إليه ﷺ.
باب: وفود بني كِنْدة إليه ﷺ.
باب: وفود لَقيط بن عامر إليه ﷺ.
باب: وفود محارب إليه ﷺ.
باب: وفود بني مرة إليه ﷺ.
باب: وفود مُزَيْنة إليه ﷺ.
باب: وفود معاوية بن حَيْدَة إليه ﷺ.
باب: وفود مهرة إليه ﷺ.
باب: وفود نافع بن زيد الحِميَري إليه ﷺ.
باب: وفود النَّخَع إليه ﷺ.

جماع أبواب صفاته المعنوية عليه الصلاة والسلام

باب: ما جاء أنه ﷺ كان لا يدَّخر شيئاً لغد. وما جاء أنَه كان يدخر قوت سنةٍ لعياله ﷺ.

باب: نفقته ﷺ.

باب: صفة عيشه في الدنيا.

باب: هيبته ووقاره.

باب: مزاحه ومداعبته.

باب: ضحكه وتبسمه.

باب: معرفة رضاه وسخطه.

جماع أبواب سيرته في كلامه وتحريك يده حين يتكلم أو يتعجب ونكته في الأرض بعود، وتشبيكه أصابعه وتسبيحه وتحريكه رأسه، وعضه لشفته، وضربه يده على فخذه عند التعجب صلى الله عليه وسلم

باب: صفة كلامه وفيه أنواع.

باب: تكلمه بغير لغة العرب عليه السلام.

باب: تحريك يده حين يتكلم أَو يتعجب، وتسبيحه، وتحريك رأْسه وعض شفته وضربه يده على فخذه عند التعجب، ونكته الأَرض بعود ومَسْحه الأَرض بيده وإِشارته بإِصبعه السبابة والوسطى وتشبيكه أَصابعه ﷺ.

باب: ما ضربه من الأمثال ﷺ.

باب: قوله ﷺ لبعض أَصحابه: وَيْحك وويلك وتَرِبَتْ يدَاك ولله دَرّ أَبيك وغير ذلك مما يُذكر عنه ﷺ.

جماع أبواب سيرته صلى الله عليه وسلم في السلام والاستئذان والمصافحة والمعانقة والتقبيل

باب: آدابه ﷺ في الاستئذان والمصافحة.

باب: آدابه ﷺ في السلام.

باب: آدابه ﷺ في مصافحتة ومعانقته وتقبيله.

جماع أبواب سيرته صلى الله عليه وسلم في جلوسه واتكائه وقيامه ومشيه

باب: في آدابه في جلوسه واتكائه.

باب: آدابه عليه السلام في قيامه.

باب: آدابه في مِشيه ﷺ.

جماع أبواب سيرته في أكله وذكر ماكولاته عليه الصلاة والسلام

باب: آداب جامعة وفيه أَنواع.

باب: صفة خبزه وأمره بإكرام الخبز ونهيه عن إلقائه.
باب: ما أكله ﷺ من لحوم الحيوانات وفيه أنواع.
باب: ما أكله ﷺ من أطعمة مختلفة وفيه أنواع.
باب: ما أكله ﷺ من الفواكه والقِلْويات وفيه أنواع.
باب: ما أكله ﷺ من الخضراوات وفيه أنواع.
باب: فيما كان أحبه ﷺ وفيه أنواع.
باب: ما كان يعافه ﷺ من الأطعمة وفيه أنواع.

جماع أبواب سيرته صلى الله عليه وسلم في مشربه وذكر مشروباته

باب: ما جاء أنه كان يُستعذب له الماء، وذكر الآبار التي شرب منها وبصَق فيها ودعا فيها بالبركة وفيه أيضاً أنواع.
باب: الآنية التي شرب منها. وفيه أنواع.
باب: شُربه قاعداً أو قائماً. وفيه أنواع.
باب: آدابه ﷺ في شُربه.
باب: ذكر مشروباته ﷺ وفيه أنواع.

جماع أبواب سيرته صلى الله عليه وسلم في نومه وانتباهه

باب: سِيرته قبل نومه وفيه أنواع.
باب: ما كان رسول الله يقوله ويفعله إذا أراد النوم.
باب: ما كان ﷺ يقوله إذا أصبح وإذا أمسى.
باب: ما كان يقوله ويفعله إذا استيقظ.

جماع أبواب سيرته صلى الله عليه وسلم في الرُّؤيا وَذِكْرِ بَعْضِ مَنَامَاتِهِ

باب: تفسيره عليه السلام الرؤيا وأن الرؤيا الصالحة جزء من أجزاء من النبوة وأنها من المبشِّرات وما يتعلق بذلك من الآداب وفيه أنواع.
باب: ما عبَّر رسول الله ﷺ من الرؤيا أو عبِّر بين يديه وأقرّه.
باب: ذكر بعض مناماته.

جماع أبواب سيرته في لباسه وذكر ملبوساته صلى الله عليه وسلم

باب: آدابه ﷺ في لباسه وفيه أنواع.
باب: سيرته ﷺ في العمامة والعَذبة والتلحّي وفيه أنواع.
باب: قلنسوته عليه السلام.
باب: تقنُّعه وقِناعه ﷺ.
باب: قميصه وإزاره وجيبه.

باب: لبسه الجبة وفيه نوعان.

باب: لبسه الحُلَّة وفيه نوعان.

باب: لبسه العَباء وفيه نوعان.

باب: إِزاره وكسائه وردائه وبُرْدته وخَمِيصته وشَمْلته ﷺ.

باب: سراويله ﷺ.

باب: أَنواع من ملابسه غير ما تقدم وفيه أَنواع.

باب: أَلوان الثياب التي لبسها ﷺ وفيه أَنواع.

باب: ما كرهه ﷺ من الأَلوان والملابس.

باب: خُفَّيه ونَعْليه ﷺ وفيه نوعان.

جماع أبواب سيرته صلى الله عليه وسلم في خاتمه الذي في يده

باب: في أَمر الله تعالى له باتخاذ الخاتم إِن صح الخبر بسبب اتخاذه الخاتم.

باب: في لبسه ﷺ خاتم الذهب ثم تركه له وتحريم لبسه.

باب: في أَيِّ يد كان يتختم ﷺ.

باب: فيما روى في أَي جهة من يده ﷺ كان يجعل فص خاتمه.

باب: فيما قيل إِنه ﷺ إِنما لبس الخاتم يوماً واحداً ثم تركه.

باب: في آداب تتعلق بالخاتم.

جماع أبواب سيرته في زينته وخصال الفطرة

باب: خاتمه ﷺ وفيه أَنواع غير ما تقدم.

باب: استعماله ﷺ الطِّيب ومحبته له وفيه أَنواع.

باب: خِضَابه ﷺ وفيه نوعان.

باب: استعماله ﷺ المشط وادّهانه ونظره في المرآة واكتحاله.

باب: قَصّه ظُفْره وشاربه وكذا أَخذه من لحيته الشريفة إِن صح الخبر وسيرته في شعر رأَسه.

باب: تفلية أُم حرام رضي الله عنها رأْسَه ﷺ.

جماع أبواب آلات بيته صلى الله عليه وسلم وزاده تشريفًا وفضلًا

باب: سريره وكرسيّه ﷺ.

باب: حَصِيره وفراشه ولحافه وقطيفته ووسادته ﷺ.

باب: كراهيته ﷺ ستر الجدار أَو الباب بشيءٍ فيه صورة حيوان.

باب: آنيته وأَثاثه ﷺ.

جماع أبواب حروبه صلى الله عليه وسلم

باب: قِسيّه ﷺ وفيه نوعان.

باب: سيوفه ﷺ وفيه نوعان.

باب: رماحه ﷺ وحرابه وعَنزته ومِحْجنه وقضيبه ومِخْصرته وعصاه وفيه أَنواع.

باب: دِرْعه ومغفره وَبْيضته ومِنْطَقته ﷺ.

باب: أتراسه وجعْبته وسهامه ﷺ.

باب: أَلويته وراياته وفسطاطه وقُبّته ﷺ.

باب: سَرْجه وإكافه ومِيثَرته وغَرْزه ﷺ.

جُماعُ أَبوابِ سِيرَتِهِ صلى الله عليه وسلم فـي رُكوبِهِ

باب: آدابه ﷺ في ركوبه وفيه أَنواع.

باب: حَمْله معه على الدابة واحداً خَلفه وآخر أَمامه.

باب: معرفة من أَرْدفه ﷺ وراءه.

جُماعُ أَبوَابِ دَوابةِ صلى الله عليه وسلم

باب: محبته ﷺ الخيل وإكرامه لها ومدحه لها ووصيته بها ونهيه عن جَزّ نواصِيها وأَذنابها وما حَمِده أَو ذمه من صفاتها وفيه أَنواع.

باب: رهانه عليها ومُسابقته بها ﷺ.

باب: عَدد خيله ﷺ وفيه نوعان.

باب: بغاله وحميره ﷺ وفيه نوعان.

باب: لِقَاحه وركائبه وجِمَاله ﷺ وفيه أَنواع.

باب: شِيَاهه ومَنائحه وفيه نوعان.

باب: ديكه ﷺ وفيه أَنواع.

جُماعَ أبوابِ سِيرتِهِ صلى الله عليه وسلم فـي السَفرِ والرُجوعِ مْنه

باب: اليوم الذي كان يختاره للسفر ﷺ وما كان يقوله إذا أَراد السفر. وإذا ركب دابته.

باب: صفة سَيْره وشفقته على الضعيف ﷺ.

باب: ما كان يقوله إذا أَدركه الليل في السفر وما كان يقوله ويفعله إذا نزل منزلاً وصفة قومه في السفر وما كان يقوله في السحر وفيه أَنواع.

باب: ما كان يقوله ويفعله إذا رجع من سفره، وما كان يفعله إذا قدم، وما كان يقوله إذا دخل على أَهله ﷺ.

باب: آداب متفرقة تتعلق بالسفر، وفيه أَنواع.

جماع أبواب سيرته صلى الله عليه وسلم في الطَّهارة للصَّلاة

باب: المياه التي توضأ أَو اغتسل منها ﷺ وفيه أَنواع.

باب: آدابه ﷺ عند قضاء الحاجة وفيه أَنواع.

باب: إزالته النجاسة وفيه أَنواع.

باب: سواكه صلى الله عليه وسلم وفيه أنواع.

باب: آدابه ﷺ في وضوئه وفيه أَنواع.

باب: مسحه على الخفين والجبائر وفيه أَنواع.

باب: تيممه ﷺ وفيه أَنواع.

باب: غسله ﷺ وفيه أَنواع.

باب: استمتاعه بما بين السُّرة والركبة من امرأته الحائض واستخدامه ومجالسته لها.

جماع أبواب سيرته صلى الله عليه وسلم في صلاة الفرائض

باب: اختلاف العلماء فيما كان يتعبد به قبل البعثة: هل كان بِشرع من تقدَّم أَم لا؟.

باب: مواقيت صلواته الفرائض ﷺ وفيه أَنواع.

باب: امتناعه ﷺ من الصلاة في الأَوقات المكروهة.

باب: ما جاء أَنه ﷺ كان يصلي بعد العصر ركعتين.

باب: سيرته في الأَذان والإقامة.

باب: ما ورد أنه صلى الله عليه وسلم أَذَّن مرَّة وذكر مؤذنيه وما كان يقوله إذا سمع الأَذان والإقامة وآدابه في ذلك وفيه أنواع.

باب: آدابه ﷺ المتعلقة بالمساجد وفيه أَنواع.

باب: صلاته ﷺ في الكعبة ومرابض الغنم ومحبته الصلاة في الحيطان.

باب: آدابه ﷺ قبل الدخول في الصلاة وفيه أَنواع.

باب: ما كان يصلِّي عليه وإليه ﷺ وفيه أَنواع.

باب: سيرته ﷺ في استقبال القبلة وهو يصلي وفيه أَنواع.

باب: صفة صلاته ﷺ وفيه فروع.

باب: أَحاديث جامعة لأَوصاف من أَعمال صلاته غير ما تقدم وفيه أَنواع.

باب: آدابه بعد السلام وفيه أَنواع.

باب: صلاته ﷺ في الفرض قاعداً لعذر وإِيمائه في النَّفْل إِن صح الخبر.

باب: أَذكاره ودعواته بعد صلواته من غير تعيين صلاة.

باب: ما كان يقوله ويفعله بعد الصبح والعصر والمغرب.

باب: آداب صدرت منه ﷺ تتعلق بالصلاة غير ما مرّ.

باب: سيرته ﷺ في صلاة الجماعة وفيه أَنواع.

جماع أبواب سيرته صلى الله عليه وسلم في السجدات التي ليست بركن

باب: سجوده للسهو وفيه أَنواع.

باب: بيان سجداته للتلاوة على سبيل الإِجمال.

باب: بيان عدد سجداته على سبيل التفصيل.

باب: سجوده ﷺ لقراءة غيره إِذا سجد القارىء، وتركه السجود إِذا لم يسجد القارىء، وسجوده للتلاوة في الصلاة المكتوبة وما كان يقوله في سجود التلاوة.

باب: سجوده ﷺ سجدة الشكر وصلاته ركعتين لذلك.

جماع أبواب سيرته صلى الله عليه وسلم في يوم الجمعة وليلته

باب: آدابه ﷺ قبل الصلاة وفيه أَنواع.

باب: وقت صلاته الجمعة والنداء لها.

باب: موضع خطبته وفيه أَنواع.

باب: سيرته ﷺ في خطبته وما وقفتُ عليه من خُطَبه ﷺ وفيه أَنواع.

باب: سيرته ﷺ في صلاة الجمعة وفيه نوعان.

باب: سيرته بعد الخروج من الصلاة ﷺ.

جماع أبواب سيرته في صلاة الفرض في السفر صلى الله عليه وسلم

باب: إِباحته ﷺ القَصْر وأَنه رخصة.

باب: تقديره مسافة القصر وابتدائه والقصر مع الإِقامة ببلَد الحاجة.

باب: جَمْعه ﷺ بين الصلاتين وفيه أَنواع.

باب: صلاته ﷺ النوافل في السفر وفيه نوعان.

جماع أبواب سيرته صلى الله عليه وسلم في صلاة الخوف

باب: بيان عدد المرات والكيفيات التي صدرت منه ﷺ لصلاة الخوف على سبيل الإِجمال.

باب: صلاته ﷺ النوافل في السفر وفيه نوعان.

باب: كيفيات صلاته ﷺ لصلاة الخوف على سبيل التفصيل.

باب: فوائد وتنبيهات تتعلق بصلاته ﷺ صلاة الخوف.

جماع أبواب سيرته صلى الله عليه وسلم في صلاة النوافل التي لم تشرع لها الجماعة

باب: صلاته ﷺ السنن المقرونة بالفرائض وفيه نوعان.

باب: صلاته ﷺ الصبح ومحافظته عليها.

باب: صلاته قبل الظهر والعصر وبعدهما.

باب: صلاته بعد المغرب والعشاء وفيه أنواع.

باب: صلاته صلاة الاستخارة.

باب: أَحاديث جامعة لرواتب مشتركة.

باب: صلاته ﷺ الوتر وفيه أَنواع.

جماع أبواب سيرته صلى الله عليه وسلم في صلاة الليل

باب: شدة اجتهاده في العبادة.

باب: إِيقاظه أَهله لصلاة الليل.

باب: وقت قيامه لصلاة الليل وقَدْره وقدر نومه وصفة قراءته.

باب: افتتاحه صلاة الليل ودعائه قبل تهجّده.

باب: صفة صلاته بالليل.

باب: بيان عدد ركعات صلاته بالليل.

باب: دعائه ﷺ بعد تهجده.

باب: قيامه الليل بآية يرددها، وقضائه له إذا تركه.

باب: قيامه ﷺ في شهر رمضان.

جماع أبواب سيرته في صَلَاةِ الضُحى وصلاة الزوال

باب: استنباط صلاة الضحى من القرآن وبعض ما ورد في فضلها والأَمر.

باب: صلاته صلاة الضحى وفيه نوعان.

باب: الجواب عما ورد أَنه لم يصلها.

باب: فوائد تتعلق بصلاة الضحى.

باب: صلاته ﷺ قبيل الزوال وبعده.

جماع أبواب صلاته صلى الله عليه وسلم في صلاة العيدين

باب: آدابه قبل الصلاة وفيه أَنواع.

باب: آدابه ﷺ في صلاة العيدين وفيه أَنواع.

باب: آدابه ﷺ في خطبة العيدين وفيه أنواع.

باب: آدابه في رجوعه وفيه أَنواع.

باب: آداب متفرقة تتعلق بالعيدين وفيه أَنواع.

جماع أبواب سيرته صلى الله عليه وسلم في صلاة الكسوف

باب: آداب متفرقة.

باب: بيان كيفيات صلاته ﷺ صلاة الكسوف.

باب: صفة قراءته في كسوف الشمس وفيه نوعان.

باب: صلاته ﷺ في خسوف القمر.

جماع أبواب سيرته في الاستسقاء والمطر والريح والسحاب والرعد والصواعق

باب: آدابه ﷺ قبل الصلاة وفيه أَنواع.

باب: استسقائه ﷺ بخطبتين على المنبر وصلاة ركعتين بلا أَذان وبلا إِقامة وفيه أَنواع.

باب: استسقائه ﷺ في خطبة الجمعة وبالدعاء بغير صلاة.

باب: استسقائه لأَهل إِقليم آخر بالدعاء من غير صلاة.

باب: سيرته ﷺ في المطر والسحاب والريح والرعد والصواعق.

جماع أبواب سيرته في المرضى والمحتضرين والموتى

باب: سيرته في عِيَادة المرضى.

باب: سيرته في المحتضرين.

باب: حزنه وبكائه إِذا مات أَحد من أَصحابه.

باب: سيرته في غسل الميت وتكفينه وفيه نوعان.

باب: سيرته ﷺ في الجنازة وفيه أَنواع.

باب: سيرته في الصلاة على الميت وفيه أَنواع.

باب: من كان يصلي عليه وفيه أَنواع.

باب: مَنْ تَرك الصلاة عليه وفيه أَنواع.

باب: سيرته في دفن الميت وما يلتحق بذلك وفيه أَنواع.

باب: سيرته في زيارة القبور وفيه أَنواع.

باب: سيرته في الشهداء والموتى.

جماع أبواب سيرته صلى الله عليه وسلم في الصَّدَقَةِ

باب: بعثه العمال لأَخذها من الأَغنياء وردها على الفقراء ووصيته عماله بالعدل.

باب: وصيته لأَرباب الأَموال ودعائه لمن أَحسن وعلى من أَساء في الصدقة.

باب: في الحول.

باب: أَفرضة الزكاة المالية وأَنواعها على التعيين وفيه أَنواع.

باب: أَخذه الزكاة مّمن عجلها.

باب: سيرته ﷺ في زكاة الفطر.

باب: سيرته في المُدّ والصاع والوسق.

باب: من حُرم الصدقة ومن أُحلت له وفيه أَنواع.

باب: حثه على صدقة التطوع إِذا نظر المحتاجَ.

باب: تصدّقه بقليل وكثير.

باب: أَوقافه وصدقاته ﷺ.

باب: سيرته في السائلين وفيه أَنواع.

جماع أبواب سيرته في الصوم والاعتكاف

باب: ابتداء فرضه ودعائه ببلوغ رمضان وبشارة أَصحابه بقدومه.

باب: فرحه ﷺ برؤية الهلال وما كان يقول إذا رآه وصومه بشهادة عَدْلٍ واحد.

باب: وقت إِفطاره وما كان يُفطر عليه وما كان يقول عند إِفطاره وما كان يقول إِذا أَفطر عند أَحد وسحوره وإِتمامه للصوم إِذا رأَى الهلال يوم الثلاثين نهاراً.

باب: ما كان يفعله ﷺ وهو صائم وفيه أَنواع.

باب: إِفطاره ﷺ في السفَر وصومه فيه.

باب: صومه ﷺ التطوع وفيه أَنواع.

باب: سيرته ﷺ في الاعتكاف.

جماع أبواب حجه وعمره صلى الله عليه وسلم

باب: بيان أَي وقت فُرض الحج، وسبب تأَخيره ﷺ الحج إِلى السنة العاشرة.

باب: بيان عدد حجاته قبل الهجرة وعُمَره وفيه نوعان.

باب: بيان حجة الوداع.

باب: تنبيهات وفوائد تتعلق بحجة الوداع.

جماع أبواب سيرته صلى الله عليه وسلم في قِرَاءةِ القرآن

باب: قراءة كان كثيراً ما يقرأ بها.

باب: آدابه ﷺ في تلاوة القرآن وفيه أَنواع.

باب: محبته ﷺ لسماع القرآن من غيره.

باب: قراءته على أُبَيّ بن كعب سورة ﴿**لـم يكن الذين كفروا**﴾ بأَمر الله تعالى.

باب: عَرْضه القرآن على جبريل في شهر رمضان في كل سنة مرة وفي آخر رمضان صامه عرضه مرتين.

جماع أبواب أذكاره ودعواته صلى الله عليه وسلم

باب: آدابه في الدعاء.

باب: ما كان يقوله إِذا طلع الفجر وإِذا طلعت الشمس.

باب: ما كان يقوله ويفعله إِذا أَوى إِلى فراشه.

باب: استعاذته المطلقة ﷺ.

باب: أَذكاره ودَعواته المقترنة بالأَسباب غير ما سبق في الأَبواب المتقدمة.

باب: أَذكاره ودعواته المطلقة ﷺ.

جماع سيرته في المعاملات وما يلتحق بها

باب: الكلام على النقود التي كانت تُستعمل في أَيامه ﷺ.

باب: شرائه وبيعه وفيه أَنواع.

باب: إِيجاره واستئجاره وفيه نوعان.

باب: استعارته وإِعارته وفيه نوعان.

باب: مشاركته - ﷺ -.

باب: وكالته وتوكيله ﷺ -.

باب: شرائه بالثمن الحالّ والمؤجّل.

باب: استدانته برهنٍ وبغيره وحسن وفائه.

باب: ضمانه وفيه أَنواع.

جماع أبواب سيرته في الهدايا والعطايا والاقطاعات

باب: سيرته في الهدية وفيه أَنواع.

باب: سيرته في العطايا وفيه أَنواع.

باب: سيرته ﷺ في الإِقطاع وفيه أَنواع.

جماع أبواب سيرته في النكاح والطلاق والإبلاء

باب: آداب متفرقة وفيه أَنواع.

باب: سيرته في الصَّدَاق وفيه أَنواع.

باب: سيرته في الولائم وفيه أَنواع.

باب: طلاقه وإِيلائه....

باب: محبته ﷺ للنساء.

باب: عَدْله ﷺ بين نسائه.

باب: حُسْن خُلقه معهن ومداراته لهن وحثّه على برّهن والصبر عليهن.

باب: محادثته لهن وسَمَره معهن.

باب: آدابه عند الجِماع وقوته على كثرة الوطء وفيه أَنواع.

جماع أبواب سيرته في الصيد والذبائح

باب: آدابه في الذبائح وما أَرشد إِليه منها.

باب: صيد البَرّ والبحر والسهم والحيوان.

باب: إِباحته اقتناء كلب الصيد والحراسة.

باب: ماأَباح قتله من الحيوان وما نهى عن قتله.

باب: سيرته في الهَدْي وفيه أَنواع.

باب: سيرته في الأُضحية وفيه أَنواع.

باب: سيرته في العَقِيقة وفيه أَنواع.

جماع أبواب سيرته في الأيمان والنذور

باب: أَلفاظ حلَّف رسول الله ﷺ غيره بها وتحذيره الحالف من اليمين الفاجرة وأَلفاظ حلَف هو بها، وما نَهى عن الحَلف به.

باب: استثنائه في يمينه ونقضه يمينه ورجوعه عنها وكفارته وفيه أَنواع.

باب: آداب جامعة تتعلق بالأَيمان وفيه أَنواع.

باب: سيرته في النذور وفيه أَنواع.

جماع أبواب سيرته في الجهاد وما يلحق به

باب: آداب متفرقة وفيه أَنواع.

باب: مصالحته المحاربين وهُدْنته وأَمانته ووفائه بالعهد والذمة لهم.

باب: قسمة الغنائم بين الغانمين وتنفيله بعضهم على بعض وفيه أَنواع.

باب: صرفه الخمس والفَيْء.

باب: نهيه عن الغُلول وتركه أَخذ المغلول من الغالّ إِذا جاء به بعد القسمة، وتركه الصلاَة على الغالّ وإِحراقه متاعَ الغالّ وإِكفائه قدور لحم نُهبت من الغنيمة وفيه أَنواع.

باب: أَخذه الجِزْية ممن أَبَى الإِسلام.

جماع أبواب سيرته في العلم وذكر بعض مروياته وفتاويه

باب: آدابه في العلم وفيه أَنواع.

باب: بعض ما فسَّره من القرآن.

باب: بعض مروياته عن ربه تبارك وتعالى، وتسمَّى الأَحاديث القدسية.

باب: روايته عن أَبيه ابراهيم الخليل عليه السلام.

باب: روايته عن بعض أَصحابه قصة مشاهدة الدجال والدابّة.

جماع أبواب سيرته في أحكامه وأقضيته وفتاويه

باب: أَحكامه وأَقضيته في المعاملات وما يتعلق بها وفيه أَنواع.

باب: أَحكامه وأَقضيته في الفرائض والوصايا.

باب: أَحكامه وأَقضيته في النكاح والطلاق والخُلْع والرَّجْعة والإِيلاء والظِّهار واللِّعان وإِلحاق الولد، وغير ذلك مما يُذكر وفيه أَنواع.

باب: أَحكامه وأَقضيته في الحدود وفيه أَنواع.

باب: أَحكامه في الجنايات والقِصَاص والدِّيات والجراحات وفيه أَنواع.

باب: سيرته في الدعاوي والبينات وفصل الخصومات.

باب: أَحكامه وأَقضيته في قضايا شتى غير ما سبق.

باب: فتاويه ﷺ وفيه أَنواع.

جماع أبواب سيرته في الشعرِ عليه الصلاة والسلام

باب: مَدْحه لحسَنه وذمِّه لقبيحه وتنفيره من الإكثار منه.

باب: استماعه شِعر بعض أَصحابه في المسجد وخارجه.

باب: أَمره بعض أَصحابه بهجاء المشركين.

باب: ما تمثَّل به من الشعر.

باب: ما طلب إِنشاده من غيره ﷺ.

جماع أبواب هديه وسمته ودله غير ما سبق

باب: استحبابه ﷺ التَّيامُن.

باب: محبته للفَأْل الحسن وتركه الطِّيَرة.

باب: سيرته في الأَسماء والكُنَى وتسميته بعضَ أَولاد أَصحابه وتغييره الاسمَ القبيح. وفيه أَنواع.

باب: آدابه عند العُطَاس والبزاق والتثاؤب.

باب: سيرته في الأَطفال ومحبته لهم ومداعبته إِياهم وسيرته في النساء غير نسائه ﷺ وفيه أَنواع.

باب: سيرته عند الغضب وفيه أَنواع.

باب: شفاعته والشفاعة إِليه وفيه أَنواع.

باب: زيارته أَصحابه وإِصلاحه بينهم.

باب: سؤاله الدعاء من بعض أَصحابه وتأْمينه على دعاء بعضهم.

باب: تهنئته وفيه أَنواع.
باب: سيرته في الاعتذار والعُذر وفيه أَنواع.
باب: سيرته في دخوله بيته وخروجه منه ومخالطته للناس وفيه أَنواع.
باب: وفائه بالعهد والوعد ﷺ.
باب: إكرامه من يستحق إكرامه وتألُّفه أَهلَ الشَّرف.
باب: ربطه الخيط في إصبعه أَو خاتمه إذا أَراد أن يتذكر حاجة إن صح الخبر.
باب: احتياطه في نفيّ التهمة عنه.
باب: خروجه لبساتين بعض أَصحابه ومحبته لرؤية الخضرة وإعجابه النظر للأَتْرج والحمام الأَحمر. إن صح الخبر.
باب: عومه عليه السلام.
باب: مسابقته على الأَقدام بنفسه.
باب: جلوسه على شَفِير البئر وتدليته رجليه وكشفه عن فخذيه.
باب: آداب متفرقة صدرت منه غير ما تقدم وفيه أَنواع.

جماع أبواب معجزاته السماوية صلى الله عليه وسلم

باب: الكلام على المعجزة والكرامة والسِّحْر.
باب: إعجاز القرآن، واعتراف المشركين بإعجازه وأَنه لا يشبه شيئاً من كلام البشر، ومن أَسلم لذلك وفيه أَنواع.
باب: سؤال قريش رسول الله أَن يريهم آية فأَراهم انشقاق القمر.
باب: حبس الشمس له ﷺ.
باب: ردّ الشمس بعد غروبها بدعائه ﷺ.
باب: استسقائه ربه عزّ وجلّ لأُمته حين تأَخّر عنهم المطر وكذلك استصحاؤه.

جماع أبواب معجزاته في المياه وعذوبة ما كان منها مالحًا

باب: نَبْع الماء الطَّهور من بين أَصابعه ﷺ.
باب: تكثيره ماءَ المِيضَأة والقدَح.
باب: تكثيره ماء عين تبوك.
باب: تكثيره ماء بئر بقباء.
باب: تكثيره ماء بئر باليمن.
باب: تكثيره ماء قطيعة بُرهَاط اليمن.
باب: تكثيره ماء بئر الحديبية.

باب: تكثيره ماء بئر أَنس بن مالك رضي الله عنه.

باب: تكثيره ماء بئر غريس.

باب: تكثيرة ماء المزادتين.

باب: عذوبة ماء بئر باليمن ببركته.

باب: نَبْع الماء له من الأَرض ﷺ.

جماع معجزاته صلى الله عليه وسلم في الأطعمة

باب: تكثيره ﷺ اللبن في القدح.

باب: تكثيره ﷺ لبن الشاة.

باب: معجزاته في عُكَّة أُم سليم وأُم أَوس البَهْزية وأُم شَرِيك الدوسية ونِحْي حمزة الأَسلمي وأُم مالك البَهْزية.

باب: تكثيره ﷺ الشعير.

باب: تكثيره ﷺ التمر.

باب: تكثيره ﷺ البيض.

باب: تكثيره ﷺ اللحم.

باب: تكثيره ﷺ طعامَ أَبي طلحة رضي الله عنه.

باب: تكثيره ﷺ طعامَ جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

باب: تكثيره ﷺ حَيْس أُم سُلَيْم رضي الله عنها.

باب: تكثيره ﷺ طعامَ أَبي أَيوب رضي الله عنه.

باب: تكثيره ﷺ طعام ابنته فاطمة رضي الله عنها.

باب: تكثيره ﷺ فضْلة أَزواد أَصحابه رضي الله عنهم.

باب: تكثيره ﷺ أَطعمةً مختلفة غير ما تقدم.

باب: قصة الذراع.

باب: تكثيره ﷺ سواد البَطْن.

باب: الطعام الذي أَتاه ﷺ من السماء.

باب: تسبيح الطعام والشراب بين يديه ﷺ.

جماع أبواب معجزاته صلى الله عليه وسلم في الأشجارِ

باب: حنين الجذْع شوقاً إِليه ﷺ.

باب: انقياد الشجر له ﷺ.

باب: نزول العذْق من الشجرة له ومشي شجرة أُخرى إِليه وشهادتهما له بالرسالة.

باب: إِعْلام الشجرة بمجيء الجنّ إليه وسلاَم شجرة أُخرى عليه زاده الله فضلاً وشرفاً لديه.

باب: الآية في النخل الذي غرسه ﷺ لسلمان رضي الله تعالى عنه لما كاتَب سيده عليه.

جماع أبواب معجزاته صلى الله عليه وسلم في الجمادات

باب: تسبيح الحصا في كفه ﷺ.

باب: تكثيره الذهب الذي دفعه لسَلْمان.

باب: تأمين أَسْكُفَّة الباب وحوائط البيت على دعائه عليه الصلاة والسلام.

باب: تحرك الجبل فرحاً به ﷺ.

باب: تنكيس الأَصنام حين أَشار إِليها ﷺ.

باب: تحرك المِنْبَر حين أَمْعَن في وعظه الناس عليه.

باب: في إِلانة الصخرة التي عجز الناس عنها له ﷺ.

باب: سلام الأَحجار عليه زاده الله تعالى فضلاً وشرفاً لديه.

جماع أبواب معجزاته صلى الله عليه وسلم في الحيوانات

باب: انقياد الإِبل له.

باب: سجود الإِبل له وشكواها إِليه.

باب: بركته في جمل جابر وناقة الحكَم بن أَيوب وناقة رجل آخر.

باب: بركته في ظهر المسلمين في غزوة تبوك.

باب: سجود الغنم له ﷺ.

باب: شهادة الذئب له ﷺ بالرسالة.

باب: خشية الوحش الداجن إِياه.

باب: خِدْمة الأَسد لسَفينة مولاه ﷺ.

باب: استجارة الغزالة به وشهادتها له بالرسالة ﷺ.

باب: شهادة الضب له بالرسالة ﷺ.

باب: شكوى الحُمّرة إِليه ﷺ.

باب: قصة مجيء الشاة في البرّية إِليه ﷺ.

باب: قصة الكلب الأَسود معه ﷺ.

باب: بركته في فرس جُعَيْل وفرس أَبي طلحة رضي الله عنهما.

باب: بركته في حمارَيْ عصمة بن مالك وأَبي طلحة رضي الله عنهما.

باب: قصة الطائر الذي حلّق بإحدى خفيه ﷺ.

باب: ازدلاف البُدْنات إليه لما أراد نَحْرهن.

جماع أبواب معجزاته في رؤيته المعاني في صورة المحسوسات

باب: رؤيته الرحمةَ والسّكِينة وإجابة الدعاء.

باب: رؤيته الحمَّى وسماع كلامها.

باب: رؤيته الفِتَن.

باب: رؤيته الدنيا وسماع كلامها.

باب: رؤية الجمعة والساعة.

جماع أبواب معجزاته صلى الله عليه وسلم في انقلاب الأعيان له

باب: انقلاب الماء لبناً وزُبداً ببركته ﷺ.

باب: انقلاب العصا سيفاً ببركته ﷺ.

باب: انقلاب العُرْجون سيفاً ببركته ﷺ.

جماع أبواب معجزاته في تجلي ملكوت السموات والأرض واطلاعه على أحوال البرزخ والجنة والنساء وأحوال يوم القيامةِ

باب: تجلّي ملكوت السموات والأرض له ﷺ.

باب: ما اطلع عليه من أَحوال البرزخ في الجنة والنار.

جماع أبواب معجزاته في إحياء الموتى وإبراء المرضى

باب: معجزاته في إحياء الموتى وسماع كلامهم.

باب: معجزاته في إبراء الأَعمى والأَرمد ومن فقئت عينه.

باب: معجزاته في إبراء الأَبكم والرُّتّة واللُّقْوَة.

باب: معجزاته في إبراء القرحة والسلعة والحرارة والدميلة.

باب: معجزاته في إبراء الحرق.

باب: معجزاته في إبراء وجع الضرس والرأس.

باب: معجزاته في إبراء الجراحة والكسر.

باب: معجزاته في إذهاب التعب وحصول القوة في الرمي.

باب: معجزاته في ذهاب النسيان وحصول العلم والفهم وإذهاب البذاء وحصول الحياء.

باب: معجزاته في إبراء الجنون.

باب: معجزاته في إبراء أمراض شتى.

جماع أبواب معجزاته في أثر يده الشريفة وريقه الطيب غير ما تقدم

باب: بركة يده ﷺ في شياه أبي قرصافة.

باب: بركة يده الشريفة في نبات الشعر والشعر الذي لم ينبت.

باب: بركة يده الشريفة في مسحه وجه بعض أصحابه.

باب: تبرك أصحابه رضي الله عنهم بكل شيء منه أو اتصل به ومحافظتهم على ذلك كله واغتباطهم به وتعظيمهم له ﷺ.

باب: بركة ريقه الطيب ﷺ.

باب: بركة يده ﷺ.

جماع أبواب معجزاته في إضاءة العرجون والعصا والأصابع والبرقة

باب: معجزاته ﷺ في إضاءة العرجون.

باب: معجزاته في إضاءة العصا.

باب: معجزاته في إضاءة الأصابع.

باب: معجزاته ﷺ في البرقة التي برقت للحسن والحسين.

جماع أبواب معجزاته في رؤية بعض أصحابه الجن والملائكة وسماع كلامهما

باب: معجزاته في رؤية بعض أصحابه الملائكة وسماع كلامهم إكرامهم له ﷺ.

باب: معجزاته في رؤية بعض أصحابه الجن وسماع كلامهم إكراماً له.

جماع أبواب معجزاته في إخباره رجالًا بما حدثوا به أنفسهم وغير ذلك

باب: إخباره من حدَّث نفسه بالفتك به ﷺ.

باب: إخباره من حدَّث نفسه بأنه ليس في القوم أحدٌ خيراً منه وما وقع في ذلك من الآيات.

باب: إخباره وابصة بن مَعْبد بأنه جاء يسأل عن البرّ والإثم.

باب: إخباره الثقفي والأنصاري بما جاءا يسألان عنه.

باب: أمره ﷺ أبا سعيد الخدري بالاستعفاف لمّا أراد أن يسأله شيئاً من الدنيا وما وقع في ذلك من الآيات.

باب: إخباره من قال في نفسه شعراً به.

باب: إخباره بالشاة التي أُخذت بغير إذن أهلها.

باب: إخباره بنزول جماعة بالجابية وأخذ الطاعون إياهم فكان كما أخبر.

باب: إِخباره شَدَّاد بن أَوس بأَنه يعافَى من مرضه وأَنه يسكن الشام. فكان كذلك ﷺ.
باب: إِخباره من أَرسله إِلى ابنته بما حبَسه.
باب: إِخباره ﷺ عمن قاتَل الكفار قتالاً شديداً أَنه من أَهل النار، فقتل نفسه.
باب: إِخباره بسبب اللحم الذي صار حجراً.
باب: إِخباره بما سُحر به ﷺ.
باب: إِخباره معاذاً بأَن ناقته تَبْرك بالجند.
باب: إِخباره من سأَل أَهلَ رجل عن حاله بما سأَل عنه.
باب: إِخباره بأَن الأَرضة أَكلت الصحيفة الظالمة التي كتبتْها قريش.
باب: إِخباره قريشاً ليلة الإِسراء بصفة بيت المقدس، ولم يكن رآه قبل ليلة الإِسراء.
باب: إِخباره نوفل بن الحارث بماله الذي خبأَه بجدة.
باب: إِخباره بقتل مجذّر بنَ زياد.
باب: إِخباره بقتل أَصحابه يوم الرَّجيع.
باب: إِخباره بقتل أَصحابه يوم بئر معُونة.
باب: إِخباره بأَن خيبر تُفتح على يد علي بن أَبي طالب كرم الله وجهه.
باب: إِخباره عن رجل قاتل الكفار قتالاً شديداً أَنه من أَهل النار فمات فوجدوه قد غَلَّ من الغنيمة وما في ذلك من الآيات.
باب: إِخباره بقتل من قُتل في غزوة مُؤته يومَ أُصيبوا.
باب: إِخباره بكتاب حاطب إِلى أَهل مكة.
باب: إِخباره الأَنصار بما قالوه يوم غزوة الفتح.
باب: إِخباره عثمان بن طلحة بأَنه سيصير مفتاح البيت إِليه يضعه حيث شاء.
باب: إِخباره شيبة بن عثمان بأَنه لم يسلم بعدُ.
باب: إِخباره بقتل كسرى يوم قُتل.
باب: إِخباره ﷺ بأَن جُعل بأْسُ هذه الأُمة بَيْنها.
باب: إِخباره ﷺ عبدَ الله بن بُسرْ أَنه يعيش قرناً.
باب: إِخباره ﷺ أَبا ركانة بما.....
باب: إِخباره بأَناس يُسمّون الخَمْر بغير اسمها.
باب: إِخباره أَن الأَذان في آخر الزمان يليه سَفَلة الناس ويَرْغب عنه سادتهم.

جماع أبواب معجزاته فيما أخبر به من الكوائن بعد، فكان كما أخبرت، غير ما تقدم

باب: إخباره بالشهادة لثابت بن قيس بن شمَّاس.
باب: إخباره بأَن جزيرة العرب لا تُعبد فيها الأَصنام أَبداً.
باب: إخباره ﷺ بالردّة بعده.
باب: إخباره بأَن سُهَيْل بن عمرو يقوم مقاماً حسَناً.
باب: إخباره بأَن البَراء بن مالك لو أَقسم على الله لأَبرَّه.
باب: إخباره الأَقرع بن شفي بأَنه يُدفن بالرَّبْوة من أَرض فلسطين.
باب: إخباره بأَن عمر بن الخطاب رضي الله عنه من المحدَّثين.
باب: إخباره بأَول أَزواجه لحوقاً به عليه السلام.
باب: إخباره بكتابة المصاحف.
باب: إخباره بأُويس القَرنيّ رضي الله عنه.
باب: إخباره بحال أَبي ذَرّ رضي الله عنه.
باب: إخباره بقتل الأَعرابي قبل أَن يتخرّق سِقاؤه.
باب: إخباره برجل من أُمته يدخل الجنة في الدنيا.
باب: إخباره بمحمد بن الحنفية رحمه الله تعالى.
باب: إخباره بصلة بن أُشيم رحمه الله ووهب والقُرَظي وغَيْلان والوليد.
باب: إخباره بالطاعون الذي وقع بالشام وبأَن فناء أَمته بالطعن والطاعون.
باب: إخباره أُم ورقة بالشهادة.
باب: إخباره بأَن عبد الله بن بُسْر يعيش قرناً.
باب: إخباره بعالم المدينة المنورة.
باب: إخباره ﷺ بعالِم قريش.
باب: إخباره بحال زيد بن صوحان وجندب بن كعب.
باب: إخباره بعمى زيد بن أَرقم رضي الله عنه.
باب: إخباره بعُمْر جماعة وانخرام القرن.
باب: إخباره بالشهادة للنعمان بن بشير.
باب: إخباره بتغيير الناس في القرن الرابع.
باب: إخباره بأَن الدنيا لا تذهب حتى تصير للكع بن لكع.
باب: إشارته إِلى حال الوليد بن عقبة.
باب: إخباره بحال ابن عباس رضي الله عنهما.
باب: إخباره بحال أَبي هريرة رضي الله عنه.

باب: إخباره بأَشياء تتعلق بعمرو بن الحمق رضي الله عنه فكان كما أخبر.

باب: إخباره ميمونة رضي الله عنها بأَنها لا تموت بمكة.

باب: إخباره أَبا ريحانة بما غيَّبته.

باب: إخباره ﷺ بكلام الميت بعده.

باب: إخباره بمن يردّ سُنته ولا يحتج بها وبمن يجادل ويحتج بمتشابه القرآن.

باب: إخباره الأَنصار بأَنهم سَيلْقون بعده أَثرة.

باب: إشارته إلى دولة عمر بن عبد العزيز رحمه الله.

باب: إشارته إلى وجود الإمام أَبي حنيفة والإمام مالك والإمام الشافعي.

باب: إخباره بقوم يأتون بعده يحبونه حباً شديداً.

باب: إخباره بالنار التي تخرج من أَرض الحجاز تضيء لها أَعناق الإبل ببصرى.

باب: إخباره بحال قيس بن مطاطية.

باب: إخباره بأَنه سيكون قوم في هذه الأُمة يَعْتدون في الطهور والدعاء.

باب: إخباره بحال قيس بن خرشة رضي الله تعالى عنه.

باب: إخباره باتخاذ أُمته الخصيان.

باب: إخباره بأَن طائفة من أُمته لا تزال على الحق حتى تقوم الساعة لا يردها عنه شيء.

باب: إخباره بمن يجدد لهذه الأُمة أَمر دينها كل مائة سنة.

باب: إخباره بأَنه لا يأتي زمان إلا والذي يليه شرّ منه.

باب: إخباره بأَن الخطباء يَغْفلون عن ذكر الدجال على المنابر.

باب: إخباره بالكذابين بعده وبالحجاج.

باب: إخباره بكذابين في الحديث وشياطين يحدّثون الناس.

باب: إخباره بأَول الأَرض خراباً وأَول الناس هلاكاً.

باب: إخباره بظهور المعْدِن بأَرض بني سليم.

باب: إخباره بصفة رجال ونساء يكونون في آخر الزمان.

باب: إخباره بأَقوام يأَكلون بأَلسنتهم كما تأكل البقر.

باب: إخباره بذهاب العلم والخشوع وعلم الفرائض ورفع الأَمانة.

باب: إخباره بأَن محمد بن مسلمة لا تضره الفتنة.

باب: إخباره بموت أَبي الدرداء قبْل الفتنة.

باب: إخباره بفتح القسطنطينية وأَنها تُفتح قبل رومية.

باب: إخباره بحال القرّاء في آخر الزمان فكان كما أَخبر.

باب: إخباره بأَن المساجد والبيوت ستزخرف والمباهاة بها.

باب: إخباره ﷺ عن مكان سيصير سوقاً.

باب: إخباره بإتيان قوم يقرأون القرآن يسألون به الناس.

باب: إخباره بزخرفة البيوت.

باب: إخباره بأَنه سيكون في أُمته رجال نساؤهم على رؤوسهن كأَسنمة البُخْت كاسيات عاريات.

باب: إخباره بأَن السلطان والقرآن سيفترقان.

باب: إخباره بحال الولاة بعده.

باب: ما أَخبر به ﷺ على سبيل الإِجمال.

جماع أبواب معجزاته في إخباره بالفتن والملاحم الواقعة بعده

باب: إخباره بالفتن وإقبالها ونزولها كمواقع القطر والظُّلَل ومن أَين تجيء، وفيه أَنواع.

باب: إخباره عن بدء دوران رحى الإِسلام.

باب: إخباره بأَن الرجل يمرّ بقبر أَخيه فيقول: «ياليتني مكانَك» من كثرة الفتن.

باب: إخباره بأَنه ستكون فتنٌ النائم فيها خيرٌ من اليقظان والقاعد فيها خير من القائم وفي ذلك أَنواع.

باب: إخباره بمن يبيع دينه في الفتنة بعَرَض يسير.

باب: إخباره ﷺ بكثرة الهرج.

باب: إخباره بأَن مبدأ الفتنة قتل عمر رضي الله عنه.

باب: إخباره بقتل عمر رضي الله عنه.

باب: إخباره بقتل عثمان رضي الله عنه.

باب: إخباره بوقعة الجمل وصِفِّين والنهروان وقتال عائشة والزبير علياً رضي الله تعالى عنهم وبعث الحكمين.

باب: إخباره بقتل عمار بن ياسر رضي الله عنه.

باب: إخباره بقتل علي رضي الله عنه.

باب: إخباره بأَن الحسن بن علي سيد يصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين.

باب: إخباره بقتل الحسين بن علي رضي الله عنهما.

باب: إِخباره بأُغَيْلمة من قريش وبرأس الستين وبأَن هذا الحي من مضر لا يدع مصليًا إِلا فتنه.

باب: إِخباره بقتل أَهل الحرة.

باب: إِخباره بالمقتولين ظُلماً بعذراء من أَرض دمشق.

باب: إِخباره بقتل عمرو بن الحمق رضي الله عنه.

باب: إِخباره بأَئمة يصلُّون الصلاة في غير وقتها فكان كما قال وذلك في زمن بني أُمية.

باب: إِخباره بالخوارج فكان كما أَخبر.

باب: إِخباره بالرافضة والقدَرية والمرجئة والزنادقة.

باب: إِخباره بافتراق أُمته على ثلاث وسبعين فرقة.

باب: إِخباره بأَن الناس يُغرْبلون ويتغير حالهم.

باب: إِخباره بأَن الله تعالى جعل بأس هذه الأُمة بينها.

باب: إِخباره بظهور كنز الفرات.

باب: إِخباره بنقض عُرَى الإِسلام وأَنه سيعود غريباً كما بدأ وأَنه يَدْرس كما يدرس وشْي الثوب.

باب: إِخباره بإِحراق البيت العتيق.

باب: إِخباره بأَن الإِيمان بالشام حين تقع الفتن.

باب: إِخباره بملاحم الروم وتواترها وأَن الساعة لا تقوم حتى تكون الروم ذات قرون وتداعي الأُمم على أَهل الإِسلام.

باب: إِخباره بتكليم السباع الإِنس وغير ذلك مما يذكر.

باب: إِخباره بأَنه ستكون هجرة بعد هجرة إِلى مُهَاجَرَ إِبراهيم عليه السلام.

باب: إِخباره بأَنه لا تقوم الساعة حتى لا يُحج البيت ويرتفع الركن والمقام.

باب: إِخباره بأَن أُمته تفتح عليهم مشارق الأَرض ومغاربها.

باب: إِخباره بأَن مجيء الفتن من قِبَل المشرق.

باب: في بعض ما أَخبر به من الشدائد والفتن.

جماع أبواب معجزاته في بعض ما أخبر به من علامات الساعة وأشراطها غير ما تقدم

باب: أَحاديث جامعة لأَشراط الساعة أَخبر بها ﷺ وجد غالبها وفيه أَنواع.

باب: إِخباره بخروج المهديّ عليه السلام.

باب: إخباره بخروج الدجال وفيه أنواع.

باب: إخباره بنزول عيسى ابن مريم عليه السلام.

باب: إخباره بخروج يأجوج ومأجوج وفيه أنواع.

باب: إخباره ﷺ بأن الحبشة تهدم الكعبة.

باب: إخباره ﷺ بخروج الدابة وفيه أنواع.

باب: إخباره بطلوع الشمس والقمر من المغرب.

باب: إخباره بأنه سيقع في هذه الأمة مسخ وخسف وقذف وإرسال صواعق وشياطين وغير ذلك مما يذكر وفيه أنواع.

باب: إخباره بما يصير إليه أمر المدينة الشريفة.

باب: إخباره بالريح التي تقبض أرواح المؤمنين في آخر الزمان ورفع القرآن.

باب: إخباره بمن تقوم عليه الساعة وأنها تقوم نهاراً وأنها لا تقوم على أحد يقول في الأرض الله وأنها لا تقوم حتى تعبد الأوثان وأنه لا يُعرف معروف ولا ينكر منكر وفيه أنواع.

جماع أبواب معجزاته في اجابة دعواته لأقوام بأصياء فحصلت لهم

باب: إجابة دعائه لآله رضي الله عنهم.

باب: إجابة دعائه لابنته فاطمة رضي الله عنها.

باب: إجابة دعائه لعلي رضي الله عنه.

باب: إجابة دعائه لعمر بن الخطاب رضي الله عنه.

باب: إجابة دعائه لسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

باب: إجابة دعائه لغلام من تَجيب رضي الله عنه.

باب: إجابة دعائه للنابغة رضي الله عنه.

باب: إجابة دعائه لعبد الله بن عتبة رضي الله عنه.

باب: إجابة دعائه لثابت بن يزيد رضي الله عنه.

باب: إجابة دعائه للمقداد بن الأسود رضي الله عنه.

باب: إجابة دعائه لعمرو بن الحَمِق رضي الله عنه.

باب: إجابة دعائه لأولاد أبي سبرة رضي الله عنه.

باب: إجابة دعائه لضمرة بن ثعلبه رضي الله عنهما.

باب: إجابة دعائه لأُبيّ بن كعب رضي الله عنه.

باب: إجابة دعائه لابن عباس رضي الله عنهما.

باب: إجابة دعائه لأَنس بن مالك رضي الله تعالى عنه.
باب: إجابة دعائه لبهيه بنت عبد الله البكرية رضي الله عنهما.
باب: إجابة دعائه لأم أَبي هريرة وأُخته رضي الله تعالى عنهما.
باب: إجابة دعائه للسائب بن يزيد رضي الله عنه.
باب: إجابة دعائه لعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما.
باب: إجابة دعائه لعروة البارقي رضي الله عنه.
باب: إجابة دعائه لمعاوية بن أبي سفيان.
باب: إجابة دعائه لأُم قيس رضي الله عنها.
باب: إجابة دعائه لرجل من اليهود.
باب: إجابة دعائه لأَبي زيد عمرو بن أَخطب الأَنصاري رضي الله عنه.
باب: إجابة دعائه ﷺ لحَمْل أُم سليم رضي الله عنها.
باب: إجابة دعائه لعبد الله بن هشام رضي الله عنه.
باب: إجابة دعائه لحكيم بن حزام رضي الله عنه.
باب: إجابة دعائه لجرير بن عبد الله رضي الله عنه.
باب: إجابة دعائه للسوداء التي كانت تُصْرع رضي الله عنهما.
باب: إجابة دعائه لأُمته في بكورها.
باب: إجابة دعائه بالمحبة بين رجل وامرأته كانا متباغضين.
باب: إجابة دعائه بإقبال أَهل اليمن وأَهل الشام على الإِسلام.
باب: إجابة دعائه لأَبي أُمامة رضي الله عنه وأَهل بيته.
باب: إجابة دعائه بن شُدَاخ الليثي رضي الله عنه.
باب: إجابة دعائه لثعلبة بن حاطب.
باب: إجابة دعائه للزبير بن العوام رضي الله عنه.
باب: إجابة دعائه لمن بلَّغ سُنَّته من أُمته.
باب: إجابة دعائه لَلقِيط بن أَرْطاة رضي الله عنه.
باب: إجابة دعائه للوليد بن قيس رضي الله عنه.
باب: إجابة دعائه لرجل من الأَنصار رضي الله عنهم.
باب: إجابة دعائه في إذهاب الحر والبرد.
باب: إجابة دعائه في إذهاب الغيرة.
باب: إجابة دعائه لحنظلة بن حُذَيْم رضي الله عنه.

جماع أبواب معجزاته في إجابة دعواته على أقوام بأصياء فحصلت لهم

باب: إجابة دعائه على مَنْ رآه يأكل بشماله.

باب: إجابة دعائه على قيس بن [......].

باب: إجابة دعائه ﷺ بأَن لا يشبع بطن معاوية رضي الله عنه.

باب: إجابة دعائه على من كفَّ شعره عن التراب في الصلاة.

باب: إجابة دعائه على رجل أَن تُضرب عنقه.

باب: إجابة دعائه على عُتبة بن أَبي لهب.

باب: إجابة دعائه على رجلٍ خالفه في الصلاة.

باب: إجابة دعائه على من احتكَرَ طعاماً.

باب: إجابة دعائه على شَعْر رجل عبَث به في الصلاة.

باب: إجابة دعائه ﷺ على أَبي ثَرْوان.

باب: إجابة دعائه بالحمَّى على بني عصيّة.

باب: إجابة دعائه على ليلى بنت الخَطيم رضي الله عنها.

باب: إجابة دعائه على امرأة كانت تفشي السر بين أَزواجه.

باب: إجابة دعائه ﷺ على قريش بالسَّنة.

باب: إجابة دعائه على رجل ممن شهد هَوازن بأَن يَخِيس سَهْمه.

باب: إجابة دعائه على بني حارثة بن عمرو.

باب: إجابة دعائه على سُرَاقة بن مالك بن جُعْشم.

باب: إجابة دعائه على أبي القين.

باب: إجابة دعائه على لهب بن أَبي لهب.

باب: إجابة دعائه على الحكَم بن أَبي العاص.

باب: إجابة دعائه على معاوية بن حَيْدة قبل إسلامه.

باب: إجابة دعائه على من مَرَّ بين يديه أَن يُقطع أَثَره.

باب: إجابة دعائه على كسرى حين مزَّق كتابَه.

باب: إجابة دعائه على محلِّم بن جثَامة.

جماع أبواب ما علمه لأصحابه من الدعوات والرقى فظهرت آثاره

باب: ما علَّمه ﷺ لعائشة لما وعكتْ.

باب: ما علَّمه ﷺ لعائشة في قضاء الدين.

باب: ما علمه ﷺ لخالد بن الوليد رضي الله عنه لما كادَه بعض الجنّ.

باب: ما علمه ﷺ لبعض أَصحابه ليأمن من لدغة العقرب.

باب: ما علمه ﷺ لخالد بن الوليد رضي الله عنه لما حصل له الأَرَق.

باب: ما علمه ﷺ لرجل أَدْبرت عنه الدنيا.

باب: ما علمه لأُمته للأَمان من السرقة.

باب: ما علمه لفاطمة الزَّهراء رضي الله عنها.

باب: ما علمه لأَبي بكر الصديق.

باب: ما علمه لأَبي مالك الأَشعري رضي الله عنه.

باب: ما علمه لأُبيّ بن كعب رضي الله تعالى عنه.

باب: ما علمه لبعض بناته رضي الله عنهن.

جماع أبواب آيات في منامات رؤيت في عهده صلى الله عليه وسلم

باب: ما رآه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

باب: ما رآه عبد الله بن سلاَم رضي الله عنه.

باب: ما رآه ابن زُمَيْل الجُهَني رضي الله عنه.

باب: ما رآه طلحة بن عُبَيْد الله رضي الله عنه.

باب: ما رآه أَبو سعيد الخُدْري رضي الله عنه.

باب: ما رآه زيد بن ثابت رضي الله عنه.

باب: ما رآه الطُّفيل بن عمرو رضي الله عنه.

باب: ما رآه سعد بن أَبي وقاص رضي الله عنه.

باب: ما رآه رجالٌ من الصحابة رضي الله عنهم في شأن ليلة القدر.

جماع أبواب بعض آيات وقعت لأصحابه واتباعهم فهي من معجزاته صلى الله عليه وسلم

.باب: وجوب اعتقاد إِثبات كرامات الأَولياء رحمهم الله.

باب: فوائد تتعلق بكرامات الأولياء رحمهم الله.

باب: بعض آيات وقعت لأَمير المؤمنين أَبي بكر الصديق رضي الله عنه وفيه أَنواع.

باب: بعض آيات وقعت لأَمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

باب: بعض آيات وقعت لأَمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه.

باب: بعض آيات وقعت لأَمير المؤمنين علي بن أَبي طالب رضي الله عنه.

باب: بعض آيات وقعت لسيدنا الحسين بن علي بن أَبي طالب رضي الله عنهما.

باب: بعض آيات وقعت لسعد بن أَبي وقاص رضي الله عنه.

باب: بعض آيات وقعت لعبد الله بن جحش رضي الله عنه.

باب: بعض آيات وقعت لسيدنا العباس رضي الله عنه.

باب: بعض آيات وقعت لخبيب بن عَدِيّ رضي الله عنه.

باب: بعض آيات وقعت لأُبيّ بن كعب رضي الله عنه.

باب: بعض آيات وقعت لأَبي الدرداء رضي الله عنه.

باب: بعض آيات وقعت لسَلْمان الفارسي رضي الله عنه.

باب: بعض آيات وقعت لأُهْبان بن صَيْفي رضي الله عنه.

باب: بعض آيات وقعت للعَلاء بن الحضرمي رضي الله عنه.

باب: بعض آيات وقعت لعامر بن فهيرة رضي الله عنه.

باب: بعض آيات وقعت لعاصم بن ثابت رضي الله عنه.

باب: بعض آيات وقعت لزيد بن حارثة رضي الله عنه.

باب: بعض آيات وقعت للبَراء بن مالك رضي الله عنه.

باب: بعض آيات وقعت لأَنس بن مالك رضي الله عنه.

باب: بعض آيات وقعت لتميم الدارِيّ رضي الله عنه.

باب: بعض آيات وقعت لأَبي أُمامة رضي الله عنه.

باب: بعض آيات وقعت لجُنَادة بن أَبي أُمية رضي الله تعالى عنه.

باب: بعض آيات وقعت لأَبي ريحانة رضي الله عنه.

باب: بعض آيات وقعت لحُجْر بن عدِيّ أَو قيس بن مكشوح رضي الله عنهما.

باب: بعض آيات وقعت لحمزة بن عمر رضي الله عنه.

باب: بعض آيات وقعت لعمران بن حُصَيْن رضي الله عنه.

باب: بعض آيات وقعت لخالد بن الوليد رضي الله عنه.

باب: بعض آيات وقعت لسَفينة رضي الله عنه.

باب: بعض آيات وقعت لعمّار بن ياسر رضي الله عنه.

باب: بعض آيات وقعت لأَبي قرصافة رضي الله عنه.

باب: بعض آيات وقعت لعُقبة بن نافع رضي الله عنه.

باب: بعض آيات وقعت لرجل من أَهل اليمن.

باب: بعض آيات وقعت لأَبي مُسْلم الخولانيّ وعثمان.

باب: بعض آيات وقعت لحبيب بن مسْلمة رضي الله عنه.

باب: بعض آيات وقعت لأُم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

باب: بعض آيات وقعت لأُم مالك رضي الله عنها.

باب: بعض آيات لأُم أَيمن رضي الله عنها.

باب: بعض آيات وقعت لامرأَة مهاجرة رضي الله عنها.

باب: بعض آيات وقعت لامرأَة من الأَنصار رضي الله عنها.

باب: بعض آيات وقعت للربيع بنت معوّذ رضي الله عنها.

باب: بعض آيات وقعت لعَمْرة بنت عبد الرحمن رحمهما الله.

باب: بعض آيات وقعت لخبيب رضي الله عنه.

باب: بعض آيات وقعت لأُويس القَرَني وطلب عمر منه الدعاء.

باب: بعض آيات وقعت لعامر بن ربيعة رضي الله عنه.

باب: بعض آيات وقعت للطُّفيل رضي الله عنه.

باب: بعض آيات وقعت لأَحمد بن أَبي الحَواريّ رحمه الله تعالى.

باب: بعض آيات وقعت لبعض الصحابة رضي الله عنهم أَجمعين.

باب: بعض آيات وقعت لذيب بن كلب.

جماع أبواب معجزاته عليه الصلاة والسلام في عصمته من الناس

باب: كفاية الله تعالى رسوله أَمر المستهزئين والكلام على قوله:﴿**والله يَعْصِمك مِن الناسِ**﴾.

باب: عصمته ﷺ من أَبي جهل.

باب: عصمته ﷺ من العوراء بنت حرب.

باب: عصمته ﷺ من المخزوميين.

باب: عصمته ﷺ من دعثور بن الحارث الغطفاني.

باب: عصمته ﷺ من النضر بن الحارث.

باب: عصمته ﷺ من غَوْرث بن الحارث.

باب: عصمته ﷺ من سُراقة بن مالك قبل إِسلامه.

باب: عصمته ﷺ من اليهود حين أَرادوا الفتك به.

باب: عصمته ﷺ من أَربد وعامر بن الطفيل.

باب: عصمته ﷺ ممن أَراد الفتك به.

باب: عصمته ﷺ من شيبة بن عثمان قبل أَن يُسْلم.

باب: عصمته ﷺمن المنافقين حين أَرادوا الفتك به.

باب: عصمته ﷺ ممن قصد أَذاه من الشياطين.

باب: دفع أَذى الهوام عنه ﷺ.

جماع أبواب موازاة الأنبياء في فضائلهم بفضائل نبينا صلى الله عَلَيْهِ وعَلَيْهِمْ وَسَلَّمْ

باب: فوائد جليلة تتعلق بالكلام على ذلك.

باب: موازاته ما أُتيه آدم عليه السلام.

باب: موازاته ما أُوتيه إِدريس عليه السلام.

باب: موازاته ما أُوتيه نوح غليهما الصلاة والسلام.

باب: موازاته ما أُوتيه هود عليه السلام.

باب: موازاته ما أُوتيه صالح عليه السلام.

باب: موازاته ما أُوتيه إِبراهيم عليه السلام.

باب: موازاته ما أُوتيه إِسماعيل عليه السلام.

باب: موازاته ما أُوتيه يعقوب عليه السلام.

باب: موازاته ما أُوتيه يوسف عليه السلام.

باب: موازاته ما أُوتيه موسى عليه السلام.

باب: موازاته ما أُوتيه هارون عليه السلام.

باب: موازاته ما أُوتيه يُوشَع عليه السلام.

باب: موازاته ما أُوتيه داود عليه السلام.

باب: موازاته ما أُوتيه سليمان عليه السلام.

باب: موازاته ما أُوتيه يحيى بن زكريا عليه السلام.

باب: موازاته ما أُوتيه عيسى بن مريم عليه السلام.

جماع أبواب خصائصه عليه أفضل الصلاة والسلام

باب: فوائد تتعلق بالكلام على الخصائص الشريفة.

باب: ما اختص به عن الأَنبياء في ذاته في الدنيا وما يتصل بذلك وفيه مسائل.

باب: ما اختص به الأَنبياء في شَرْعه وأُمته.

باب: ما اختص به عن الأَنبياء ﷺ وعليهم في ذاته في الآخرة.

باب: ما اختص به في أُمته في الآخرة وفيه مسائل.

باب: ما اختص به عن أُمته من الواجبات وفيه نوعان.

باب: ما اختص به عن أُمته من المحرمات وفيه نوعان.

باب: ما اختص به عن أُمته من المباحات والتخفيفات وفيه نوعان.

باب: ما اختص به عن أُمته من الفضائل والكرامات وفيه نوعان.

جماع أبواب فضائل آل رسول الله والوصيّة بهم ومحبتهم والتحذير من بغضهم وذكر أولاده صلى الله عليه وسلم وأولادهم رضي الله عنهم

باب: بعض فضائل قرابة رسول الله ﷺ ونفعها والحث على محبتهم.

باب: بعض فضائل أَهل بيت رسول الله وفيه أَنواع.

باب: عدد أَولاده ومواليدهم وما اتفق عليه منهم وما اختلف فيه، وفيه أَنواع.

باب: ذكر سيدنا القاسم ابن سيدنا رسول الله ﷺ.

باب: بعض مناقب سيدنا إِبراهيم ابن سيدنا رسول الله عليه السلام وفيه أَنواع.

باب: بعض مناقب السيدة زينب بنت رسول الله وفيه أَنواع.

باب: بعض مناقب السيدة رقية بنت سيدنا رسول الله وفيه أَنواع.

باب: بعض مناقب السيدة أُم كلثوم بنت سيدنا رسول الله وفيه أَنواع.

باب: بعض مناقب السيدة فاطمة بنت سيدنا رسول الله وفيه أَنواع.

باب: في بعض مناقب سيدي شباب أَهل الجنة أَبي محمد الحسن وأَبي عبد الله الحسين سبطي رسول الله ﷺ على سبيل الاشتراك وفيه أَنواع.

باب: بعض ما ورد مختصاً بالحسنين رضي الله عنه وفيه أَنواع.

باب: بعض ما ورد مختصاً بالحسن رضي الله عنه وفيه أَنواع.

جماع أبواب بيان أعمامه وعماته وأولادهم وأحواله

باب: ذكر أَعمامه وعماته ﷺ على سبيل الإِجمال.

باب: بعض مناقب حمزة رضي الله عنه وفيه أَنواع.

باب: بعض مناقب العباس رضي الله عنه وفيه أَنواع.

باب: بعض مناقب جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه وفيه أنواع.

باب: بعض مناقب عبد الله بن جعفر رضي الله عنه.

باب: بعض مناقب عقيل بن أَبي طالب رضي الله عنه وفيه أَنواع.

باب: بعض مناقب الإِناث من أَولاد أَبي طالب عم رسول الله ﷺ.

باب: بعض مناقب الفضل بن العباس رضي الله عنهما وفيه أَنواع.

باب: بعض مناقب عُبيد الله بن العباس رضي الله عنه.

باب: بعض مناقب قثم بن العباس.

باب: بعض مناقب ترجمان القرآن عبد الله بن عباس وفيه أَنواع.
باب: بعض مناقب بَنِي العباس غير من تقدم وفيه أَنواع.
باب: بعض مناقب أَبي سُفيان بن الحارث بن عبد المطلب وفيه أَنواع.
باب: بعض مناقب نوفل بن الحارث بن عبد المطلب وفيه أنواع.
باب: بعض مناقب بقية أَولاد الحارث بن عبد المطلب.
باب: معرفة أَولاد الزبير بن عبد المطلب وحمزة وأَبي لهب على سبيل التفصيل.
باب: أَخواله ﷺ.

جماع أبواب ذكر أزواجه صلى الله عليه وسلم

باب: الكلام على أَزواجه اللاتي دخل بهن ﷺ على سبيل الإِجمال وترتيب زواجهن وفيه أَنواع.
باب: بعض فضائل أُم المؤمنين خديجة بنت خُوَيلد وفيه أَنواع.
باب: بعض فضائل أُم المؤمنين عائشة بنت أَبي بكر الصديق وفيه أَنواع.
باب: بعض فضائل أُم المؤمنين حفصة بنت عمر بن الخطاب وفيه أَنواع.
باب: بعض فضائل أُم المؤمنين أُم سلمة وفيه أَنواع.
باب: بعض فضائل أُم المؤمنين حبيبة بنت أَبي سفيان وفيه أَنواع.
باب: بعض فضائل أُم المؤمنين سَوْدة بنت زَمْعة وفيه أَنواع.
باب: بعض فضائل أُم المؤمنين زينب بنت جحش وفيه أَنواع.
باب: بعض فضائل أُم المؤمنين زينت بنت خُزَيمة الهِلاَلية وفيه أَنواع.
باب: بعض فضائل أُم المؤمنين ميمونة بنت الحارث وفيه أَنواع.
باب: بعض فضائل أُم المؤمنين جُوَيْرية بنت الحارث الخزاعية ثم المصطلقية وفيه أَنواع.
باب: بعض فضائل أُم المؤمنين صفية بنت حُيَي وفيه أَنواع.
باب: ذكر سَرَاريه ﷺ.
باب: ذكر من خطَبها ولم يَعْقد عليها ﷺ.
باب: ذكر من عقَد عليها ولم يَدْخل بها ﷺ.

جماع ذكر أبواب العشرة الذين شهد لهم رسول الله بالجنة وبعض فضائلهم

باب: بعض فضائلهم على سبيل الاشتراك وفيه أَنواع.
باب: بعض فضائلهم على سبيل التفصيل وفيه أَنواع.
باب: بعض فضائل الخلفاء الأَربعة على نسبيل الاشتراك وفيه أَنواع.

باب: بعض فضائل أَبي بكر وعمر رضي الله عنهما على سبيل الاشتراك.
باب: بعض فضائل أَمير المؤمنين أَبي بكر الصديق على سبيل الانفراد وفيه أَنواع.
باب: بعض فضائل أَمير المؤمنين عمر بن الخطاب وفيه أَنواع.
باب: بعض فضائل أَمير المؤمنين عثمان بن عفان وفيه أَنواع.
باب: بعض فضائل أَمير المؤمنين أَبي الحسن علي بن أَبي طالب وفيه أَنواع.
باب: بعض فضائل طلحة بن عبيد الله وفيه أَنواع.
باب: بعض فضائل الزبير بن العوام وفيه أَنواع.
باب: بعض فضائل عبد الرحمن بن عوف وفيه أَنواع.
باب: بعض فضائل سعد بن مالك وفيه أَنواع.
باب: بعض فضائل سعيد بن زيد وفيه أَنواع.
باب: بعض فضائل أَبي عبيدة بن الجراح وفيه أَنواع.

جماع أبواب ذكر القضاة والفقهاء والمفتين وحفاظ القرآن في أيامه عليه الصلاة والسلام وذكر وزرائه وأمرائه على البلاد وخلفائه على المدينة المنورة إذا سافر صلى الله عليه وسلم

باب: ذكر قُضَاته ﷺ.
باب: ذكر المفْتين في زمانه عليه السلام.
باب: ذكر حفاظ القرآن في حياته من أَصحابه ﷺ.
باب: ذكر وزرائه ﷺ.
باب: ذكر سيرته ﷺ في الإِمارة.
باب: ذكر تأَميره أَبا بكر الصديق على الحج.
باب: ذكر تأَميره ﷺ عليَّ بن أبي طالب الأَخماس باليمين والقضاء بها.
باب: ذكر تأَميره ﷺ باذان بن ساسان على اليمن كله.
باب: ذكر تأَميره ﷺ شهر بن باذان على صنعاء اليمن وأَعمالها.
باب: ذكر تأَميره خالد بن العاص على صنعاء بعد قتل شهر.
باب: ذكر تأَميره المهاجر بن أَبي أَمية المخزومي على كِنْدة والصدف.
باب: تأميره زياد بن لبيد على حضرموت.
باب: تأميره أَبا موسى الأَشعري على زبيد وزمع والساحل.
باب: تأميره معاذ بن جبل على الجند.
باب: تأميره أَبا سفيان بن الحارث على نجران.

باب: تأميره زيد بن أَبي سفيان على تيماء.

باب: تأميره عَتَّاب بن أُسيد على مكة وإقامة المواسم والحج بالمسلمين.

باب: تأميره عمرو بن العاص على عمان.

باب: ذكر خلفائه على المدينة إذا سافر ﷺ.

باب: ذكر بعض تراجم أُمرائه على السرايا.

جماع أبواب ذكر رسله إلى الملوك ونحوهم وذكر بعض مكاتباته وما وقع في ذلك من الآيات

باب: أَي وقت فعل ذلك رسول الله ﷺ.

باب: إرساله الأَقرع بن حابس بن عبد الله الحِمْيري إلى ذي مَرّان.

باب: إرساله أُبيّ بن كعب إلى سعد هُذَيْم.

باب: إرساله ﷺ جرير بن عبد الله رضي الله عنه إلى ذي الكَلاَع وذي رُعَيْن.

باب: إرساله حاطب بن أَبي بَلْتعة إلى المقوقس.

باب: إرساله حسان بن سلمة إلى قيصر مع دحية.

باب: إرساله الحارث بن عمير إلى ملك الروم وقيل إلى صاحب بُصرى.

باب: إرساله حُرَيْث بن زيد الخيل إلى يحنة بن رُؤبة الأَيلي.

باب: إرساله حرملة بن حريث رضي الله عنه إلى يحنة.

باب: إرساله خالد بن الوليد إلى نَجران.

باب: إرساله دِحْية بن خليفة الكلبي إلى قيصر.

باب: إرساله رفاعة بن زيد الجُذَامي إلى قومه.

باب: إرساله زياد بن حنظلة إلى قيس بن عاصم والزِّبْرِقان بن بدر.

باب: إرساله سليط بن عمرو إلى هوذة وثمامة بن أُثَال.

باب: إرساله السائب بن العوام إلى مُسَيْلمة.

باب: إرساله شُجَاع بن وهب الأَسدي إلى الحارث بن أَبي شمر.

باب: إرساله أَبا أُمامة صَدِيّ بن عَجلان إلى جَبَلة بن الأَيْهم.

باب: إرساله الصلصل بن شرحبيل إلى صفوان بن أُمية.

باب: إرساله ضرار بن الأَزور إلى الأَسود وطليحة.

باب: إرساله ظبيان بن مَرْثَد إلى بني بكر بن وائل.

باب: إرساله عبد الله بن حُذَافة إلى كسرى.

باب: إرساله عبد الله بن بُدَيْل إلى اليمن.

باب: إرساله عبد الله بن عبد الخالق رضي الله عنه إلى الروم.

باب: إرساله عبد الله بن عَوْسَجة رضي الله عنه إلى سمعان.

باب: إرساله العلاَء بن الحضرمي رضي الله عنه إلى المنذر بن ساوى.

باب: إرساله عمرو بن العاص رضي الله عنه إلى ملكي عمان.

باب: إرساله عمرو بن أُمية الضَّمْري رضي الله عنه إلى النّجَاشي.

باب: إرساله عمرو بن حزم رضي الله عنه إلى اليمن.

باب: إرساله أَبا هريرة رضي الله عنه مع العلاء بن الحضرمي إلى هجَر.

باب: إرساله عبد الله بن ورقاء رضي الله عنه مع أَخيه إلى اليمن.

باب: إرساله عُقبة بن عمرو رضي الله عنه إلى صنعاء.

باب: إرساله عيَّاش بن أَبي ربيعة رضي الله عنه إلى اليمن.

باب: إرساله فرات بن حيان رضي الله عنه إلى ثمالة بن أثال.

باب: إرساله قدامة بن مظعون إلى المنذر بن ساوَى.

باب: إرساله قيس بن نمط إلى أَبي زيد قيس بن عمرو.

باب: إرساله معاذ بن جبل رضي الله عنه إلى اليمن.

باب: إرساله مالك بن مرارة مع معاذ بن جبل رضي الله عنهما إلى اليمن.

باب: إرساله مالك بن عبد الله إلى اليمن.

باب: إرساله مالك بن عقبة أَو عقبة بن مالك مع معاذ إلى اليمن.

باب: إرساله المهاجر بن أَبي أمية رضي الله عنه إلى الحارث بن عبد كلال.

باب: إرساله نمير بن خرشة رضي الله عنه إلى ثقيف.

باب: إرساله نُعَيْم بن مسعود الأَشجعي إلى ذي الكَلْحَبة.

باب: إرساله واثلة بن الأَسقع مع خالد بن الوليد إلى أُكَيْدر.

باب: إرساله وبرة وقيل وبر بن بحيس إلى ذاذَويْه.

باب: إرساله الوليد بن بحر الجرهمي إلى أَقيال اليمن.

باب: إرساله أَبا أُمامة صدى بن عجلان إلى قومه باهلة.

جماع أبواب ذكر كُتّابه وأن منهم الخلفاء الأربعة وطلحة بن عبيد الله والزبير ابن العوام وتقدمت تراجمهم في تراجم العشرة وأبو سفيان بن حرب وعمرو بن العاص ويزيد بن أبي سفيان وخالد بن الوليد وتقدمت تراجمهم في الأمراء رضي الله عنهم أجمعين

باب: استكتابه ﷺ أَبان بن سعيد بن العاص رضي الله عنه.

باب: استكتابه أُبيّ بن كعب رضي الله عنه.

باب: استكتابه الأرقم بن أَبي الأَرقم رضي الله عنه.

باب: استكتابه بُرَيْدة بن الحصين رضي الله عنه.

باب: استكتابه ﷺ ثابت بن قيس.

باب: استكتابه جُهَيْم بن أَبي الصَّلْت رضي الله عنه.

باب: استكتابه جهم بن سعد رضي الله عنه.

باب: استكتابه حنظلة بن الربيع رضي الله عنه.

باب: استكتابه حُوَيْطب بن عبد العُزَّى رضي الله عنه.

باب: استكتابه الحُصَيْن بن عمير رضي الله عنه.

باب: استكتابه حاطب بن عمرو رضي الله عنه.

باب: استكتابه حُذَيْفة بن اليمَان رضي الله عنه.

باب: استكتابه خالد بن زيد أبا أَيوب رضي الله عنه.

باب: استكتابه خالد بن سعيد رضي الله عنه.

باب: استكتابه خالد بن الوليد رضي الله عنه.

باب: استكتابه زيد بن ثابت رضي الله عنه.

باب: استكتابه سعيد بن سعيد بن العاص رضي الله عنه.

باب: استكتابه السِّجِلّ رضي الله عنه.

باب: استكتابه شُرَحْبيل بن حَسنة رضي الله عنه.

باب: استكتابه عامر بن فُهَيْرة رضي الله عنه.

باب: استكتابه عبد الله بن الأَرقم رضي الله عنه.

باب: استكتابه عبد الله بن عبد الله بن أُبَيّ بن سَلُول رضي الله تعالى عنه.

باب: استكتابه عبد الله بن رَواحة رضي الله عنه.

باب: استكتابه عبد الله بن زيد رضي الله عنه.

باب: استكتابه عبد الله بن سعد بن أَبي سَرْح رضي الله عنه.

باب: استكتابه عبد الله بن أَسد رضي الله عنه.

باب: استكتابه العلاء بن الحَضْرمي رضي الله عنه.

باب: استكتابه العلاء بن عُقبة رضي الله عنه.

باب: استكتابه عبد العُزَّى بن حنظل قبل ارتداده.

باب: استكتابه محمد بن مَسْلمة رضي الله عنه.

باب: استكتابه معاوية بن أَبي سفيان رضي الله عنه.

باب: استكتابه مُعَيْقيب بن أبي فاطمة رضي الله عنه.

باب: استكتابه المغيرة بن شُعبة رضي الله عنه.

باب: استكتابه رجلاً من بني النجار ارتدّ فهلك فأَلقته الأَرض ولم تقبله.

جماع أبواب ذكر خطبائه وشعرائه وحداته وحراسه وسيافه ومن كان يضرب الأعناق بين يديه ومن كان يلي نفقاته وخاتمه وسواكه ونعله وترجله، ومن كان يقود به في الأسفار، ورعاة إبله وصياهه وثقله والآذن عليه

باب: ذكر خطيبه ﷺ ثابت بن قيس رضي الله عنه.

باب: ذكر شعرائه ﷺ.

باب: ذكر حُدَاته ﷺ.

باب: ذكر حُرّاسه ﷺ.

باب: ذكر سيّافه ومن كان يضرب الأَعناق بين يديه ﷺ.

باب: ذكر من كان يَلي نفقته وخاتمه وسواكه ونعله والآذن عليه ﷺ.

باب: ذكر رعاة إِبله وشياهه ﷺ.

باب: ذكر من كان على ثقَله ورَحْله ومن كان يقود به في الأَسفار ﷺ.

جماع أبواب ذكر عبيده وإمائه وخدمه من غير مواليه صلى الله عليه وسلم

باب: ذكر عبيده ﷺ.

باب: ذكر إِمائه ﷺ.

باب: ذكر خدمه ﷺ من غير مواليه.

جماع أبواب ذكر دوابه ونعمه وغير ذلك مما يذكر

باب: عَدد خَيْله ﷺ.

باب: عدد بِغَاله وحَميره ﷺ.

باب: نعاجه وركابه وجماله ﷺ.

باب: شياهه ﷺ.

باب: ذكر دِيكه ﷺ.

جماع أبواب ذكر ما يجب على الأنام من حقوقه عليه الصلاة والسلام

باب: وجوب الإِيمان به ﷺ.

باب: وجوب طاعته ﷺ.

باب: وجوب اتباعه ﷺ وامتثال سُنَّته والأَخذ بهديه ﷺ.

باب: التحذير من مخالفة أَمره وتبديل سُنته.

باب: حكم أَقواله الدنيوية من إِخباره عن أَحواله وأَحوال غيره وما يفعله أَو فعله ﷺ.

باب: حكم أَفعاله الدنيوية ﷺ.

باب: الحكمة في إِجراء الأَمراض وشدتها عليه وكذا سائر الأَنبياء عليهم الصلاة والسلام.

جماع أبواب حكم من سبه أو انتقصه وكذا سائر الأنبياء عليهم السلام

باب: ذكر فوائد كالمقدمة للأَبواب الآتية.

باب: بيان ما هو في حقه سَبٌّ من المسْلم.

باب: بيان ما هو في حقه ﷺ سَبٌّ من الكافر.

باب: بيان قتل السابّ إِذا كان ممن يدّعي الإِسلام ولم يتب.

باب: الكلام على توبة المسلم واستتابته.

باب: انتقاض عهد الذمي إِذا ذَمَّ المقامَ الشريف ووجوب قتله والنص على ذلك.

باب: عدم قبول توبته إِذا سب مع بقائه على كفره.

باب: الخلاف في توبته هل هي بالإِسلام صحيحة مسقطة للقتل أَم لا؟ وهل يستتاب بالإِسلام ويدّعي الندم.

باب: الخلاف في أَن الحاكم بسقوط القتل عن السابّ مع بقائه على الكفر صحيح أَم لا؟.

جماع أبواب بعض الحوادث الكائنة بالمدينة في سني الهجرة غير ما تقدم

باب: مبدأ التاريخ الإِسلامي.

وأَسقطت ذكر بقية الأَبواب لكثرتها.

جماع أبواب سيرته صلى الله عليه وسلم في الرقى والتمائم

باب: إِذنه ﷺ في الرُّقَى المفهومة المعنى.

باب: نَهْيُه ﷺ عن التمائم.

باب: سيرته ﷺ في لدغة العقرب بالرقية.

باب: سيرته ﷺ في رقْية النملة.

باب: سيرته ﷺ في رقية الحية.

باب: سيرته ﷺ في رقية القرحة والجرح.

باب: سيرته ﷺ في رُقى عامة.

باب: سيرته ﷺ في علاج داء الحريق وإِطفائه.

باب: سيرته ﷺ في علاج الفزع والأَرق المانع من النوم.

باب: سيرته في علاج حَرّ المصيبة.

باب: سيرته في علاج الكرب والهم والحزن.

باب: سيرته في علاج الصَّرع.

باب: سيرته في علاج الغَيْراء.

جماع أبواب سيرته صلى الله عليه وسلم في الطب

باب: فوائد كالمقدمة للأَبواب الآتية وفيه أَنواع.

باب: أَمره بالتداوي وإِخباره بأَن الله جعل لكل داءٍ دواءً إِلا الهرم والموت.

باب: نهيه عن التداوي بالخمر وغيرها مما يذكر.

باب: سيرته ﷺ في التطبّب.

باب: سيرته ﷺ في حفظ الصحة بالصوم والسفر ونفي الهموم وتعديل الغذاء والطيب.

باب: سيرته ﷺ في الحِمْية.

باب: سيرته ﷺ في تدبير المأكول والمشروب وفيه أَنواع.

باب: سيرته ﷺ في تدبير الحركة والسكون البدنيين.

باب: سيرته ﷺ في تدبير الحركة والسكون النفسانيين.

باب: سيرته ﷺ في تدبير النوم واليقظة.

باب: سيرته ﷺ في تدبير النكاح.

باب: سيرته ﷺ في تدبير فصول السنة.

باب: سيرته في تدبير أَمر المسكن.

باب: أَمره ﷺ باختيار البلْدان الصحيحة التربة وتوقِّي الوبيئة.

باب: سيرته ﷺ في الجلوس في الشمس.

باب: إِرشاده لدفع مضار الأَغذية بالحركة والأَشربة.

باب: إِرشاده إِلى استعمال المعَاجين والجوارش.

باب: إِرشاده إِلى تعهد العادات.

باب: سيرته في الصداع والشقيقة.

باب: سيرته في السعوط واللدود.

باب: سيرته في الحجامة والفصد والقُسْط البحري.

باب: سيرته في الإِسهال والقيء.

باب: سيرته ﷺ في الكَيّ وفيه أَنواع.

باب: سيرته ﷺ في الحمَّى.

باب: سيرته ﷺ في المَعْيُون وفيه أَنواع.

باب: سيرته ﷺ في المجذومين.

باب: علاج البدن المقمل وكذا الرأْس.

باب: علاجه ﷺ البَخَر.

باب: علاجه في الرمد وضعف البصر.

باب: علاجه من عرق الكُلبة.

باب: علاجه ﷺ عِرق النساء.

باب: علاجه المفؤود ﷺ.

باب: علاجه البثْرة ﷺ.

باب: علاجه ﷺ الباسور.

باب: علاجه الورم.

باب: علاجه الخنازير.

باب: علاجه الدوخة.

باب: علاجه العُذْرة.

باب: علاجه العشق.

باب: علاجه وجع الصدر.

باب: علاجه ذات الجنب.

باب: علاجه الاستسقاء والمعدة وييس الطبيعة.

باب: علاجه الإِسهال.

باب: علاجه القولنج.

باب: علاجه الدود في الجوف.

باب: علاجه الباه.

باب: علاجه السل.

باب: علاجه الجراح.

باب: علاجه الخراج والكحة ونحوهما.

باب: علاجه الكسر والخلْع والوَثْي.

باب: علاجه الخدران الكُلي.

باب: إرشاده إلى دفع مضرات السموم بأضدادها.
باب: سيرته في السُّمّ.
باب: سيرته في لدغ الهوام.
باب: سيرته في الزكام.
باب: علاجه الشوكة.
باب: علاجه بعض أمراض الفم.
باب: سيرته في الأسنان.
باب: علاجه الدبيلة.
باب: سيرته في غمز الظهر في السقطة والقدمين من الإعياء.
باب: سيرته في الإعياء من شدة المشي.
باب: علاجه الحائض والمستحاضة والنفساء.
باب: إطعامه المزورات للناقِة.
باب: تغذيته المريض بألطف ما اعتاده من الأغذية.
باب: بعض فوائد تتعلق بالأبواب السابقة.
باب: الكلام على بعض المفرادت التي جاءت على لسانه ﷺ.

جماع أبواب مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم ووفاته

باب: كثرة أمراضه ﷺ.
باب: نَعَى الله تعالى إلى رسوله ﷺ نفسَه.
باب: عَرْضه ﷺ القرآن على جبريل في العام الذي مات فيه مرتين ونعيه نفسه لأصحابه.
باب: ما جاء أنه خيِّر بين أن يبقى حتى يرى ما يُفتح على أُمته وبين التعجيل واستغفاره ﷺ لأهل البقيع.
باب: ابتداء مرضه وسؤال أبي بكر أن يمرّضه في بيته.
باب: ما جاء أنه كان يدور على بيوت أزواجه في مرضه ﷺ.
باب: اشتداد الوجع عليه ﷺ.
باب: أمره أن يُصبّ عليه الماء لتَقْوى نفسه فيَعْهَد إلى الناس.
باب: ما روى أنه طلب من أصحابه القَودَ من نفسه.
باب: مدة مرضه واستخلافه أبا بكر في الصلاة بالناس.
باب: إرادته أن يكتب لأبي بكر كتاباً فلم يكتب.

باب: إِرادته أَن يكتب لأَصحابه كتاباً ثم اختلفوا فلم يكتب.

باب: إخراجه شيئاً من المال كان عِنده وعِتْق عبيده.

باب: إِعلامه ابنته فاطمة رضي الله عنها بموته ﷺ.

باب: وصيته بالأَنصار رضي الله عنهم عند موته.

باب: جمعه أَصحابه في بيت عائشة ووصيته لهم رضي الله عنهم.

باب: وصيته بالصلاة وغيرها من أُمور الدين وأَنه لم يُوصِ بشيء من أُمور الدنيا.

باب: تحذيره أَن يُتخذ قبره مسجداً.

باب: بعض ما يُؤثَر عنه ﷺ من أَلفاظه في مرض موته وآخر ما تكلم به.

باب: آخر صلاة صلاها بالناس ﷺ.

باب: استعماله السِّواك قبل موته ﷺ.

باب: معاتبته ﷺ نفسه على كراهة الموت.

باب: ما جاء أَنه قبض ثم أُري مقعده من الجنة ثم رُدَّت إِليه روحه ثم خُيِّر.

باب: تردد جبريل إِلى الله واستئذان ملك الموت عليه وزيارة إِسماعيل صاحب سماء الدنيا له ﷺ وعليهم وقبض روحه الشريفة وصفة خروجها وصفة الثياب التي قبض فيها.

باب: إِخبار أَهل الكتاب بموته ﷺ يوم مات وهم باليمن.

باب: بيان معنى قوله ﷺ: **«حياتي خيرٌ لكم وموتي خير لكم»**.

باب: عِظَم المصيبة وما نزل بالمسلمين بموته والظُّلْمة التي غشيت المدينة، وتغيير قلوب الناس وأَحوالهم، وبعض ما رُثي به من الشِّعر.

باب: بلوغ هذا الخَطْب الجسيم إِلى الصِّديق الكريم وثباته في هذا الأَمر.

باب: اختيار الله تعالى له بأَن يجمع له مع النبوة الشهادة ﷺ.

باب: تاريخ وفاته ﷺ.

باب: مَبْلغ سِنّه ﷺ.

باب: عدم استخلافه أَحداً بعينه وأَنه لم يوص لأَحد بعينه.

باب: ذكر خبر السَّقيفة وبيعة أَبي بكر رضي الله عنه بالخلافة بعد موته ﷺ.

جماع أبواب غسله وتكفينه ووضع الصلاة عليه ودفنه وموضع قبره والاستسقاء به وفضل ما بين القبر وما بين المنبر وفضل مسجده، وحياته في قبره وعرض أعمال أمته عليه، وحكم تركته وما خلف صلى الله عليه وسلم

باب: غُسله ومن غَسَّله وما وقع في ذلك من الآيات.

باب: صفة كفنه عليه الصلاة والسلام.

باب: الصلاة عليه.

باب: دَفْنه ومَن دفَنه.

باب: ذكر من كان آخر الناس عهداً به ﷺ في قبره.

باب: ذكر ما سُمع من التعزية به ﷺ.

باب: موضع قبره الشريف وصفته وصفة حُجرته وبعض أَخبارها.

باب: الاستسقاء بقبره الشريف ﷺ.

باب: فضل ما بين قبره ومنبره عليه السلام.

باب: فضل مسجده ﷺ غير ما تقدم.

باب: حياته في قبره وكذا سائر الأَنبياء عليهم السلام.

باب: صلاته في قبره وكذلك سائر الأَنبياء عليهم الصلاة والسلام.

باب: عرض أَعمال أُمته عليه زاده الله فضلاً وشرفاً لديه.

باب: حكم تَرِكته وما خلَّف ﷺ.

جماع أبواب زيارته صلى الله عليه وسلم بعد موته

باب: فضل زيارته ﷺ.

باب: الردّ على من زعم أَن شَدَّ الرَّحْل لزيارته ﷺ معصية.

باب: آداب زيارته ﷺ.

جماع أبواب التوسل به بعد موته صلى الله عليه وسلم

باب: مشروعية التوسل به إِلى الله تعالى.

باب: ذكر من توسَّل به قبلَ خَلْقه من الأَنبياء ﷺ.

باب: ذكر من توسل به في حياته من الإِنس.

باب: ذكر من توسل به في حياته من الحيوانات.

باب: ذكر من توسل به بعد موته ﷺ.

جماع أبواب الصلاة والسلام عليه زاده فضلًا وشرفًا لديه

باب: فوائد تتعلق بالآية الكريمة في ذلك.

باب: الأَمر بالصلاة والسلام عليه.

باب: التحذير من ترك الصلاة والسلام عليه.

باب: فضل الصلاة والسلام عليه.

باب: كيفية الصلاة والسلام عليه.

باب: المواطن التي يستحب فيها الصلاة والسلام عليه وفيه أَنواع.

جماع أبواب بعثه وحشره وأحواله يوم القيامة صلى الله عليه وسلم

باب: ما جاء أَنه أَول من يفيق من الصَّعْقة وأَول من يقوم من قبره واختصاصه بركوب البراق يومئذ وكيفية حشره ﷺ.

باب: كسوته ﷺ في الموقف ومكانه وأُمته وكون لواء الحَمْد ولواء الكرَم بيده ﷺ.

باب: كونه أَول من يُدْعى يوم القيامة ﷺ.

باب: اختصاصه ﷺ بالسجود يومئذ.

باب: طمأَنينته إِذا جيء بجهنم وفزَع غيره ﷺ.

باب: شفاعته العظمى لفَصل القضاء والإِراحة من طول الوقوف.

باب: الكلام على المقام المحمود والكلام على بقية شفاعاته ﷺ.

باب: دخوله ﷺ جهنم لإِخراج أُناس من أُمته.

باب: الكلام على حوضه ﷺ.

باب: ما جاء أَنه أَول من يَجُوز على الصراط وأَن مفاتيح الجنة بيده ﷺ.

باب: ما جاء أَنه أَول من يستفتح بابَ الجنة وأَنه أَول من يدخلها وقيام خازن الجنة له ﷺ.

باب: ما جاء أَن جنة عَدْن مَسْكنه، وعلوّ منزلته في الجنة، وتزويج الله له مريم بنت عمران وكلثوم أُخت موسى وآسية امرأَة فرعون، وكثرة خدَمه ﷺ وغير ذلك. مما يذكر إِن شاء الله تعالى وبالله تعالى التوفيق.

هذا جميع ما تضمنه الكتاب من الأَبواب

والله المسؤول في التوفيق في ذلك كله للصواب

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين

جماع أبواب بعض الفضائل والآيات الواقعة قبل مولده صلى الله عليه وسلم

البـــاب الأول

في تشريف الله تعالى له صلى الله عليه وسلم بكونه أول الأنبياء خَلْقًا

روى أَبو إِسحاق الجُوزَجَاني[(١)] - بجيمين الأُولى مضمومة وبينهما زاي مفتوحة، وقبلَ ياء النسب نون - في تاريخه، وابن أَبي حاتم[(٢)]، في تفسيره عن أَبي هريرة[(٣)] رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كنتُ أَوّلَ الأَنبياء خَلْقاً وآخِرَهم بَعْثاً»[(٤)].

وروى ابن إِسحاق[(٥)] عن قَتَادة[(٦)] مُرْسَلاً قال: قال رسول الله ﷺ: «كنت أَوَّلَ الناسِ في الخَلْق وآخِرَهم في البعث»[(٧)].

وروى أَبو سعد النَّيْسَابوري في «الشَّرَف»، وابنُ الجَوْزِيّ[(٨)] في «الوفا» عن كَعْبِ الأَحْبار[(٩)]، قال: لمّا أَراد الله سبحانه وتعالى أَنْ يَخْلق محمداً ﷺ أَمَر جبريلَ أَنْ يأْتيه بالطِّينة التي هي قَلْب الأَرض وبهاؤها ونورها؛ فهبط جبريلُ في ملائكة الفردوس وملائكة الرفيق

---

(١) أبو إسحاق الجُوزَجَاني هو إبراهيم بن يعقوب بن إسحاق الجُوزَجَاني قال الدارقطني: كان من الحفاظ المصنفين توفى سنة تسع وخمسين ومائتين. [انظر الخلاصة ٦٠/١/٦١].

(٢) هو عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس بن المنذر بن داود بن مهران أبو محمد التميميّ الحنظلي، من تصانيفه «التفسير المسند» و «الجرح والتعديل» وغيرهما، مات في المحرم سنة سبع وعشرين وثلاثمائة وهو في عشر التسعين، انظر شذرات الذهب ٣٠٨/٢، وطبقات الشافعية للسبكي ٣٢٤/٣، طبقات المفسرين للسيوطي ترجمة ٥٢.

(٣) هو عبد الرحمن بن صخر الدّوسي الحافظ، له خمسة آلاف وثلثمائة وأربعة وسبعون حديثاً قال ابن سعد: كان يسبّح كل يوم اثنتي عشرة ألف تسبيحة، مات سنة تسع وخمسين عن ثمان وسبعين سنة، انظر الخلاصة ٢٥٢/٣ (٥٢٩).

(٤) أخرجه بن عدي في الكامل ١٢٠٩/٣ وأبو نعيم في الدلائل ٦/١ وابن كثير في البدية والنهاية ٣٠٧/٤ والثعالبي في التفسير ١/٩٣/٣ وذكره السيوطي في الدر ١٨٤/٥ والمتقي الهندي في الكنز (٣٢١٢٦).

(٥) هو محمد بن إسحاق بن يَسَار المطَّلبي مَوْلى قيس بن مَخْرَمَة أبو عبد الله المدني، قال أحمد: حسن الحديث وقال البخاري: رأيت علي بن عبد الله يحتج به وقال يعقوب بن شبّة: لم أر لابن إسحاق إلا حديثين منكرين، مات سنة إحدى وخمسين ومائة، انظر الخلاصة [٣٧٩/٢ (٦٠٤٩)].

(٦) هو قَتَادة بن دعَامة بن قَتَادة السّدوسي، أبو الخطّاب البَصري، ثقة ثبت، يقال: ولد أكمه، وهو رأس الطبقة الرابعة مات سنة بضع عشرة، انظر التقريب [١٢٣/٢ (٨١)].

(٧) أخرجه ابن عدي في الكامل ٩١٩/٣، وابن سعد في الطبقات ١- ٩٦/١، وذكره المتقي الهندي في الكنز (٣١٩١٦).

(٨) هو عبد الرحمن بن عليّ بن محمد بن عليّ بن عبيد الله بن عبد الله البكري من ولد الإمام أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه الإمام أبو الفرج ابن الجوزيّ قال الذهبيّ: كان مبرزاً في التفسير وفي الوعظ والتاريخ ولد تقريباً سنة ثمان - أو عشر - وخمسمائة، انظر طبقات المفسرين للسيوطي ٥٠ (٥٠).

(٩) هو كعب بن مانِع الحِمْيَري أبو إسحاق الحَبْر من مُسْلمة أهل الكتاب، عنه أبو هريرة وابن عباس ومعاوية وجماعة من التابعين. قال ابن سعد: توفي سنة اثنتين وثلاثين، انظر الخلاصة ٣٦٦/٢ (٥٩٦٤).

الأَعلى، فقبض قبضةَ رسول الله ﷺ من موضع قبره الشريف، وهي بيضاء نيّرة، فعُجِنت بماء التَّسْنيم في مَعِين أَنهار الجنة، حتى صارت كالدُّرة البيضاء لها شُعاع عظيم، ثم طافت بها الملائكة حول العرش والكرسي والسموات والأَرض، فعرفت الملائكةُ محمداً ﷺ قبل أَنْ تَعْرف آدمَ أَبا البَشَر، ثم كان نور محمد ﷺ ـ يُرَى في غُرّة جَبْهَة آدم، وقيل له: يا آدم هذا سيّد ولدك من المرسَلين. فلما حملت حوّاء بشيث انتقل النور عن آدم إِلى حوّاء، وكانت تلد في كل بطن ولدين إلا شيثا فإنها ولدته وحده كرامةً لمحمد ﷺ، ثم لم يزل النورُ ينتقل من طاهر إلى طاهر إلى أَن ولد ﷺ.

وفي كتاب الأَحكام للحافظ الناقد أَبي الحسن بن القَطَّان[١]: روى علي بن الحسين[٢]، عن أَبيه عن جده مرفوعاً: «كنتُ نوراً بين يَدَيْ ربِّي عز وجل قبل أَن يُخْلَقَ آدم بأَربعة عشر أَلف عام[٣]».

وروى الحافظ محمد بن عمر العدَني[٤] شيخ مسلم[٥] في مسنده عن ابن عباس[٦] رضي الله عنهما أَن قريشاً ـ أَي المُسْعَدة بالإِسلام ـ كانت نوراً بين يدَي الله تعالى قبل أَن يخلق آدم بأَلفي عام يسبِّح ذلك النور وتسبّح الملائكة بتسبيحه.

قال ابن القَطَّان: فيجتمع من هذا مع ما في حديث عليٍّ: أَن النور النبوي جُسِّم بعد

---

(١) هو علي بن محمد بن عبد الملك الكتامي الحميري الفاسي، أبو الحسن بن القطان، من حفاظ الحديث ونقدته، قال ابن القاضي: رأس طلبة العلم بمراكش من مصنفاته «بيان الوهم والإيهام الواقعين في كتاب الأحكام» وغيره توفي سنة ٦٢٨هـ، انظر الأعلام ٤/٣٣١.

(٢) علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي أبو الحسين زين العابدين المدني، عن جده مرسلاً، وعن أبيه وعائشة وصفية بنت حُيَيّ وأبي هريرة وابن عباس وطائفة. وعنه بنوه محمد وعمر وعبد الله وزيد والزهري والحكم بن عتيبة. قال الزهري: ما رأيت قرشياً أفضل منه، وما رأيت أفقه منه قال أبو نعيم: مات سنة اثنتين وتسعين، وقيل غير ذلك، انظر الخلاصة ٢/ ٢٤٥ـ ٢٤٦.

(٣) ذكره العجلوني في كشف الخفا ٣١٢/١ وعزاه لابن القطان في الأحكام ثم قال نقلاً عن الشبراملسي: ليس المراد بقوله من نوره ظاهره من أن الله تعالى له نور قائم بذاته لاستحالته عليه تعالى، لأن النور لا يقوم إلا بالأجسام بل المراد خلق من نور مخلوق له قبل نور محمد وأضافه اليه تعالى لكونه تولَّى خلقه، ثم قال ويحتمل أن الإضافة بيانية، أي خلقه نور نبيه منها، بل بمعنى أنه تعالى تعلقت إرادته بإيجاد نور بلا توسط شيء في وجوده، قال هذا أول الأجوبة نظير ما ذكره البيضاوي في قوله تعالى ﴿ثم سواه ونفخ فيه من روحه﴾ حيث قال إضافة إلى نفسه تشريفاً وإشعاراً بأنه خلق عجيب وأن له مناسبة إلى حضرة الربوبية انتهى ملخصاً.

(٤) محمد بن يحيى بن أبي عُمَر العَدَني أبو عبد الله الحافظ نزيل مكة. وثقه ابن حبان وقال أبو حاتم: صدوق حدّث بحديث موضوع. عن ابن عيينة. قال البخاري: مات سنة ثلاث وأربعين ومائتين، انظر الخلاصة ٤٦٨/٢.

(٥) مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، ثقة حافظ إمام مصنف، عالم الفقه مات سنة إحدى وستين، وله سبع وخمسون سنة، انظر التقريب ٢٤٥/٢.

(٦) عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، ابن عم رسول الله ﷺ ولد قبل الهجرة بثلاث سنين، ودعا له رسول الله ﷺ بالفهم في القرآن، فكان يسمى البحر، والحَبر، لسعة علمه، مات سنة ثمان وستين بالطائف، انظر التقريب ٤٢٥/١.

خلْقه باثني عشر أَلف عام وزيد فيه سائر قريش وأُنْطق بالتسبيح. انتهى.

وقد أَشار عمُّه العباس[١] رضي الله تعالى عنه إلى ذلك فيما رواه الطَّبَراني[٢] أَن سيدنا العباس رضي الله عنه قال: يا رسولَ الله إني أُريد أَن أَمتدحك. فقال له رسول الله ﷺ: قل: لا يَفْضُض الله فاك. فقال رضي الله تعالى عنه:

مِنْ قَبْلِهَا طِبْتَ فِي الظِّلاَلِ وَفِي ... مُسْتَوْدَعٍ حَيْثُ يُخْصَفُ الوَرَقُ

ثُمَّ هَبَطْتَ البِلاَدَ لاَ بَشَرٌ ... أَنْتَ وَلاَ مُضْغَةٌ وَلاَ عَلَقُ

بَلْ نُطْفَةٌ تَرْكَبُ السَّفِينَ وَقَدْ ... أَلْجَمَ نَسْراً وَأَهْلَهُ الغَرَقُ

وَرَدْتَ نَارَ الخَلِيلِ مُكْتَتِمَا ... تَجُولُ فِيهَا وَلَيْسَ تَحْتَرِقُ

تُنْقَلُ مِنْ صَالِبٍ إِلَى رَحِمٍ ... إِذَا مَضَى عَالَمٌ بَدَا طَبَقُ

حتَّى احْتَوَى بَيْتَكَ المُهَيْمِنُ مِنْ ... خِنْدِفِ عَلْيَاءَ تَحْتَهَا نُطُقُ

وَأَنْتَ لَمَّا وُلِدْتَ أَشْرَقَتِ الأَرْ ... ضُ وَضَاءَتْ بِنُورِكَ الأُفُقُ

وَنَحْنُ فِي ذَلِكَ الضِّيَاءِ وَفِي النُّو ... رِ وَسُبلِ الرَّشَادِ نَخْتَرِقُ

وروى سعيد بن منصور[٣] وابن المُنْذِر[٤] وابن أَبي حاتم والبَيْهَقيّ[٥] وابنُ عساكِر[٦]،

---

(١) عباس بن عبد المطلب، بن هاشم، عم النبي ﷺ مشهور، مات سنة اثنتين وثلاثين، أو بعدها، وهو ابن ثمان وثمانين، انظر التقريب ١/ ٣٩٧-٣٩٨.

(٢) هو سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي أبو القاسم: من كبار المحدثين. أصله من طبرية الشام وإليها نسبته. له ثلاثة «معاجم» في الحديث، منها «المعجم الصغير»، وله كتب في «التفسير» و «الأوائل» و «دلائل النبوة». وغير ذلك، توفي سنة ٣٦٠ هـ، انظر الأعلام ١٢١/٣.

(٣) سعيد بن منصور بن شعبة النسائي أبو عثمان ولد بجوزَجان ونشأ ببلخ، وكان حافظاً جوّالاً صنف السنن جمع فيها ما لم يجمعه غيره، قال أبو حاتم: متقن ثَبت مُصنِّف، قال حرب الكرماني: أملى علينا عشرة آلاف حديث من حفظه، قال ابن سعد: مات سنة سبع وعشرين ومائتين. انظر الخلاصة ٣٩١/١.

(٤) محمد بن إبراهيم بن المنذر، أبو بكر النيسابوري الفقيه، نزيل مكة. أحد الأئمة الأعلام، وممن يقتدى بنقله في الحلال والحرام، صنف كتباً معتبرة عند أئمة الإسلام، منها الإشراف في معرفة الخلاف، والأوسط هو أصل الإشراف، والإجماع والإقناع والتفسير وغير ذلك وكان مجتهداً لا يقلد أحداً. قال الشيخ أبو إسحاق: توفي سنة تسع - أو: عشر - وثلاثمائة، وحدث ابن القطان نقل وفاته سنة ثمان عشرة، انظر طبقات ابن قاضي شهبة ٩٨/١ شذرات الذهب ٢/ ٢٨٠.

(٥) هو أحمد بن الحسين بن علي، أبو بكر: من أئمة الحديث. رحل إلى بغداد ثم إلى الكوفة ومكة وغيرهما، وطلب إلى نيسابور، فلم يزل فيها إلى أن مات قال إمام الحرمين: ما من شافعي إلا وللشافعي فضل عليه غير البيهقي، صنف زهاء ألف جزء، منها «السنن الكبرى» و «السنن الصغرى» «ودلائل النبوة» «والترغيب والترهيب» توفى سنة ٤٥٨، انظر الأعلام ١١٦/١، شذرات الذهب ٣٠٤/٣.

(٦) علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله أبو القاسم بن عساكر فخر الشافعية وإمام أهل الحديث في زمانه صاحب تاريخ دمشق وغيره من المصنفات النافعة توفي في رجب سنة إحدى وسبعين وخمسمائة، انظر طبقات ابن قاضي شهبة ١٤/٢، وفيات الأعيان ٤٧١/٢.

عن أَبي هريرةَ رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لما خَلق الله تعالى آدم خبَّره ببنيه، فجعل يرى فضائل بعضهم على بعض، فرأى نوراً ساطعاً في أَسفلهم، فقال: يا ربّ مَنْ هذا؟ قال: هذا نبيك أَحمد وهو أَوَّلٌ وهو آخر»[١].

ولفظ سعيد والبيهقيّ: «هو أَوّل مَنْ يدخل الجنةَ. فقال: الحمد لله الذي جعل من ذريتي مَنْ يسبقني إِلى الجنة ولا أَحسده».

ويرحم الله تعالى صالح بن الحسين الشافعيّ رحمه الله تعالى حيث قال في قصيدته:

وَكَانَ لَدَى الفِرْدَوْسِ في زَمَنِ الرِّضَا ... وَأَثْوَابُ شَمْلِ الأُنْسِ مُحْكَمَةُ السُّدَى

يُشَاهَدُ فـي عَدْنٍ ضِيَاءً مُشَعْشَعا ... يَزِيدُ عَلَى الأَنْوَارِ في النُّورِ وَالهُدَى

فَقَالَ: إِلٰهِي مَا الضِّيَاءُ الَّذي أَرَى ... جُنُودَ السَّمَاءِ تَغْشُو إِلَيْهِ تَرَدُّدَا

فَقَالَ نَبِيٌّ خَيْرُ مَنْ وَطِىءَ الثَّرَى ... وَأَفْضَلُ مَنْ فِي الخَيْرِ رَاحَ أَوْ اغْتَدَى

تَخَيَّرْتُهُ مِنْ قَبْلِ خَلْقِكَ سَيِّداً ... وَأَلْبَسْتُهُ قَبْلَ النَّبِيِّينَ سُؤْدَدَا

تنبيهان

الأَول: قال الغزالي[٢] في كتاب النفخ والتسوية: في قوله ﷺ: «كنتُ أَولَ النبيين خَلْقاً»: أَن المراد بالخَلْق هنا التقدير دون الإِيجاد فإِنه قبل أَن ولدتْه أُمه لم يكن موجوداً، ولكنّ الغايات والكمالات سابقةٌ في التقدير لاحقة في الوجود. وبسَط الكلام على ذلك. وردَّ عليه السبكي[٣] بكلام شافٍ يأْتي في الباب الثالث، ولم يقِفْ على أَثر كعبٍ السابق وهو أَقوى من الأَدلَّة التي استدل بها.

الثاني: في بيان غريب ما سبق:

«التَّسْنيم»[٤]: قال العَزيزيّ رحمه الله تعالى: يقال هو أَرفع شراب أَهل الجنة. ويقال:

---

(١) ذكره المتقي الهندي في كنز العمال (٣٢٠٥٦).

(٢) وهو محمد بن محمد، الإمام حجة الإسلام، زين الدين، أبو حامد الطوسي الغزالي. ولد بطوس سنة خمسين وأربعمائة، جلس للإقراء وصنف، ومن تصانيفه «الإحياء» و «البسيط» و «الوجيز» و «الخلاصة» وغير ذلك توفي في جمادي الآخرة سنة خمس وخمسمائة، انظر ابن قاضي شهبة ٢٩٣/١، وفيات الأعيان ٣٥٣/٣.

(٣) هو تقي الدين أبو الحسن، علي بن عبد الكافي بن علي السبكي أخذ العلم عن كبار مشايخ أهل الفن واشتغل بالطلب والتصنيف والإفتاء وتخرج به فضلاء عصره مات يوم الاثنين رابع جمادي الآخرة سنة ست وخمسين وأربعمائة، انظر طبقات الأسنوي ٣٥٠/١، طبقات الشافعية ١٤٦/٦.

(٤) سنم: قال: (ومزاجه من تسنيم) قيل: هو عين في الجنة رفيعة القدر وفسّر بقوله: عيناً يشرب بها المقربون، انظر المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص ٢٤٥.

ففي اللسان قالوا: هو ماء في الجنة سمي بذلك لأنه يجري فوق الغرف والقصور، انظر اللسان مادة (س ن م) ٢١٢٠، المعجم الوسيط ٤٥٥/١.

تَسْنيم: عين تجري من فوقهم تَسنَّمُهم في مَنازلهم أَي تنزل عليهم من عالٍ. ويقال تسنمَّ الفحلُ الناقةَ إِذا علاها.

وضياءٌ مُشَعْشَع[1]: أَي منتشر.

وقول سيدنا العباس: «من قَبْلِها» الضمير فيه إمّا للدنيا، أَو للنبوة، أَو للولادة

«الظلاَل»: جمع ظِلّ. والمراد به هنا: ظل الجنة.

«مستودع»[2]: بفتح الدال المهملة.

«حيث يُخْصَف الورَق»[3]: أَشار إِلى قوله تعالى: «وطَفِقا يَخْصِفانِ عَلَيْهما مِنْ ورَقِ الجَنَّةِ».

وأَشار إِلى كونه في صُلْب آدم كما كان نُطْفَة في صُلب سام بن نوح، وهو في السفينة حين أَغرق الله تعالى نَسْراً.

المضغة: قطعة لحم قَدْرَ ما يُمْضَغ في الفم. والعلَق: جمع علَقة، وهي قطعة من دم غليظ. وإِنما جمَع العلَق هنا لأَجل القافية أَو للتعظيم.

والسَّفِين[4]: جمع سفينة كما في الصِّحاح. ونَسْر: هو المذكور في سورة نوح. ونسر ويَغُوث ويَعُوق ووَدّ وسُوَاع: أَسماء لجماعة عُبَّاد كانوا بنين لآدم، فماتوا فحزن عليهم أَهلُ عصرهم فصوَّر لهم إِبليسُ اللعين أَمثالَهم من طُفْر ونحاس ليستأْنسوا بهم، فجعلوها في مؤخر المسجد، فلما هلك أَهلُ ذلك العصر قال اللعين لأَولادهم؛ هذه آلهةُ آبائكم فعبدوهم. ثم إِنَّ الطوفان دفَنها فأَخرجها اللعينُ للعرب فكانت وَدّ لكلب بِدُوْمة الجَنْدَل، وسُوَاع لهُذَيْل بساحل البحر، ويَغُوث لغُطَيْف من مُراد، ويَعُوق لهَمْدَان، ونَسْر لذي الكَلاع من حِمْير.

«وتُنْقل» بضم المثناة الفوقية أَوله. «ومن صالب»: أَي من صُلْب يقال صُلْب وصُلُب وصالب ثلاث لغات. «وإِذا مضى عالَم» بفتح اللام. «بدَا» بترك الهمزة. أي ظهر. و «الطَّبَق» بفتح الطاء والباء الموحدة. والمعنى: إِذَا مضَى قَرْن بدَا قرن. وقيل للقرن طَبَق لأَنه طَبَّق

---

(١) في اللسان «وظل شَعشَعٌ» أي ليس بكثيف، ومُعشمشَعٌ أيضاً كذلك، ويقال: الشَّعشَعُ الظل الذي لم يظللك كله ففيه مزجٌ والشَّعشَاع أيضاً المتفرق، انظر اللسان (ش ع ع) (٢٢٧٩) والوسيط ٤٨٥/١، شعشع الضوءُ: انتشر خفيفاً.

(٢) انظر اللسان ودع (٤٧٩٩)، انظر اللسان (ودع) ٤٧٩٩، والوسيط ١٠٢١/٢.

(٣) قال تعالى: ﴿وطفقا يخصفان عليهما﴾ أي يجعلان عليها خصفة وهي أوراق ومنه قيل لجلة التمر خَصَفة وللثياب الغليظة جمعُهُ خصف، انظر المفردات للراغب ص ١٤٩، المصباح المنير ١٧١، اللسان ١١٧٤/٢.

(٤) في المصباح المنير السفينة معروفة والجمع سفين، وسفائن ويجمع السفين على سفن وجمع السفينة على سفين شاذ لأن الجمع الذي بينه وبين واحده الهاء بابه المخلوقات مثل ثمرة وثمر وأما في المصنوعات مثل سفينة وسفين فمسموع من ألفاظ قليلة ومنهم من يقول: السفين لغة في الواحدة، المصباح المنير ٢٧٩.

الأَرضَ. ويطلق الطَّبَق أَيضاً على الجماعة من الناس.

و«خِنْدِف» بكسر الخاء وسكون النون وكسر الدال المهملة بعدها فاء: من الخَنْدفة وهي في الأَصل مِشْية كالهَرْولة ثم سُميت بها ليلى امرأَة الياس بن مُضَر[١].

و«النُّطُق»[٢] بضم النون والطاء المهملة جمع نِطَاق: حِبَال يُشدّ بعضها فوق بعض يشدّ بها أَوسط الناس، يعني أَنه ﷺ مرتفع ومتوسّط في عشيرته ﷺ حتى جعلهم تحته بمنزلة أَوساط الحبال.

والمراد ببيته ﷺ شَرَفُه، أَي حتى احتوى شَرَفكَ الشاهد بفضلك على مكان من بيت خندف.

والأُفْقُ بضم الهمزة والفاء وسكون الفاء أَيضاً وهو الناحية.

وسُبُل الرشاد: طُرُقه وهو مجرور عطفاً على ما قبله.

---

(١) إلياس بن مضر بن نزار، أبو عمر: جاهلي من سلسلة النسب النبوي. قيل: هو أول من أهدى البُدن إلى البيت الحرام، انظر الأعلام ١٠/٢.

(٢) النطاق جمعه نُطُق مثل كتاب وكتب وهو مثل إزار فيه تِكّةٌ تلبسه المرأة، وقيل هو حبل تشد به وسطها للهمضة وعليه بيت الحماسة:

كرها وحبل نطاقها لم يُحلل

اللسان ٤٤٦٣/٥، المصباح المنير ٦١١، والوسيط ٩٣١/٢، انظر البداية والنهاية ٢٥٨/٢.

البـاب الثانـي
في خَلْق آدم وجميع المخلوقات لأجله صلى الله عليه وسلم

عن ابن عبّاس رضي الله تعالى عنهما قال: أَوحى الله تعالى إِلى عيسى: «آمِنْ بمحمد ﷺ وأْمُر أُمّتك أَن يُؤْمنوا به، فلولا محمدٌ ما خلَقْتُ آدم ولا الجنة ولا النار، ولقد خلقتُ العرشَ على الماء فاضطرب فكتبتُ عليه لا إِله إِلا الله محمد رسول الله فسَكَن».

رواه أَبو الشَّيخ[١] في طبقات الأَصبهانيين، والحاكم[٢] وصحَّحه، وأَقرّه السُّبْكي في شفاء السَّقام، والبُلْقيني[٣] في فتاويه. وقال الذَّهَبي[٤]: في سَنده عمرو بن أَوْس[٥] لا يُدْرَى مَنْ هو انتهى.

ولبعضه شاهد من حديث عمر بن الخطاب[٦] رواه الحاكم وسيأتي.

قال الإمام جمال الدين محمود بن جُمْلة[٧]: ليس مثل هذا للملائكة ولا لمن سواه من الأنبياء.

---

(١) هو عبد الله بن محمد بن جعفر بن حبان الأصبهاني أبو محمد من حفاظ الحديث، يقال له: أبو الشيخ من تصانيفه «طبقات المحدثين بأصبهان» وأخلاق النبي وآدابه، وغير ذلك توفي سنة ٣٦٩هـ انظر الأعلام ١٢٠/٤.

(٢) هو محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الحافظ أبو عبد الله الحاكم النيسابوري المعروف بابن البيع صاحب المستدرك وغيره من الكتب المشهورة توفي في صفر سنة خمس وأربعمائة، انظر وفيات الأعيان ٤٠٨/٣، طبقات ابن قاضي شهبة ١٩٣/١.

(٣) هو عمر بن رسلان بن نصير بن صالح بن شهاب بن عبد الخالق بن عبد الحق شيخ الإسلام سراج الدين أبو حفص البلقيني تخرج على مشايخ عصره واجتمعت الطلبة للاشتغال عليه بكرة وعشياً توفي في ذي القعدة سنة خمس وثمانمائة من تصانيفه كتاب محاسن الاصطلاح وتضمين كتاب ابن الصلاح في علوم الحديث، كتاب تصحيح المنهاج وغير ذلك، انظر طبقات ابن قاضي شهبة ٣٦/٤، شذرات الذهب ٥١/٧.

(٤) هو محمد بن أحمد بن عثمان الحافظ مؤرخ الإسلام أبو عبد الله المعروف بالذهبي سمع ببلاد كثيرة من خلائق يزيدون على ألف ومائتين قال السبكي: محدث العصر، وخاتم الحفاظ القائم بأعباء هذه الصناعة، وحامل راية أهل السنة والجماعة إمام عصره حفظاً واتقاناً، توفي في ذي القعدة سنة ثمان وأربعين وسبعمائة، انظر طبقات ابن هداية ٩٠، طبقات ابن قاضي شهبة ٥٦/٣.

(٥) عمرو بن أوس. يُجْهَل حاله. أتى بخبر منكر. أخرجه الحاكم في مستدركه، وأظنه موضوعاً من طريق جندل بن والق، ميزان الاعتدال ٢٤٦/٣.

(٦) عمر بن الخطاب بن نُفَيل، بنون وفاء، مصغراً، ابن عبد العُزّى بن رياح، بتحتانية، ابن عبد الله بن قرط، بضم القاف، ابن رزاح، براء ثم زاي خفيفة، ابن عديّ بن كعب القرشي، العدوي، أمير المؤمنين، مشهور، جمّ المناقب، استشهد في ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين، وولي الخلافة عشر سنين ونصفاً. التقريب ٥٤/٢ وسيأتي في المناقب.

(٧) محمود بن محمد بن إبراهيم بن جملة بن مسلم بن تمام بن حسين بن يوسف، الخطيب، العالم، العابد، جمال الدين أبو الثناء المحجي الدمشقي. قيل: إن مولده سنة سبع وسبعمائة، وسمع من جماعة وحفظ التعجيز لابن يونس، وتفقه على عمه القاضي جمال الدين، وتصدر بالجامع الأموي، وشغل بالعلم، وأفتى، ودرس بالظاهرية. ذكره الذهبي في المعجم المختص وقال: وشارك في الفضائل، وعني بالرجال، ودرس، واشتغل، وتقدم مع الدين والتصون. وقال ابن رافع. كان ديناً، خيراً، شغل بالعلم، وجمع. وقال السبكي في الطبقات الكبرى كان متعففاً، متصوفاً، ديناً، مجموعاً على طلب العلم، وذكر أن له تعاليق في الفقه والحديث، قلّ أن رأيت نظيره. توفي في شهر رمضان سنة أربع وستين وسبعمائة، ودفن بسفح قاسيون. ابن قاضي شهبة ١٣٧/٣، وطبقات الشافعية للسبكي ٢٤٨/٦.

وَمَا عَجَبٌ إِكْرامُ أَلْفٍ لِوَاحِدٍ   لِعَيْنٍ تُفَدَّى أَلْفُ عَيْنٍ وَتُكْرَمُ

وروى الدَّيْلمي[١] في مسنده عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أَن رسول الله ﷺ قال: «**أَتاني جبريلُ فقال: يا محمد إِن الله يقول لولاكَ ما خلقت الجَنَّة، ولولاك ما خلقت النار**».

ويروى عن سَلْمان[٢] رضي الله تعالى عنه قال: «هبط جبريل على النبي ﷺ فقال: إن ربك يقول لك: «**إِن كنتُ اتَّخذْتُ إِبراهيم خليلاً فقد اتخذتُك حبيباً، وما خلقتُ خلقاً أَكرمَ عليّ منك، ولقد خلقتُ الدنيا وأَهلَها لأُعرّفهم كرامتَك ومنزلتك، ولولاك ما خلقتُ الدنيا**».

رواه ابن عساكر وسنده واهٍ جِدّاً.

وفي فتاوى شيخ الإِسلام البُلقِينيّ أَن في مَوْلد العَزَفِيّ[٣] ـ بعين مهملة وزاي مفتوحتين وقبل ياء النسب فاء ـ و «شِفَاء الصدور» لابن سبع، عن علي[٤] رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ عن الله عز وجل أَنه قال: «**يا محمد وعزتي وجلالي لولاك ما خلقتُ أَرْضِي ولا سمائي، ولا رفعتُ هذه الخضراء، ولا بسطتُ هذه الغَبْراء**».

قال: وذكر المصنفان المذكوران في رواية أُخرى، عن علي رضي الله تعالى عنه أَن الله تعالى قال لنبيه ﷺ: «**من أَجلك أُبطِح البطْحاء وأموّج الماء وأَرفَع السَّماءَ وأَجْعل الثَّواب والعِقَاب والجنَّة والنَّار**».

ولله دَرّ العارف بالله سيدي علي بن أَبي الوفا[٥] نفعنا الله تعالى بهم حيث قال:

---

(١) هو أَبو شجاع شيرويه بن شهردار بن شيرويه بن فناخسرو الديلمي الهمداني (٤٤٥ـ ٥٠٩هـ) كان محدثاً حافظاً مؤرخاً، من آثاره تاريخ همذان، وفردوس الأخيار بمأثور الخطاب المخرج على كتاب الشهاب في الحديث، ورياض الأنس لعقلاء الإنس في معرفة أحوال النبي ﷺ وتاريخ الخلفاء بعده، انظر طبقات الشافعية للسبكي ٢٢٩/٤، وشذرات الذهب ٢٣/٤، وتذكرة الحفاظ ١٢٥٩/٤، ومرآة الجنان ١٩٨/٣، راجع معجم المؤلفين ٣١٣/٤.

(٢) سلمان الفارسي أبو عبد الله بن الإِسلام. له ستون حديثاً، أسلم مقدم النبي ﷺ المدينة، وشهد الخندق. روى عنه أبو عثمان النَّهْدي وشُرَحْبِيلُ بن السِّمْط وغيرهما. قال الحسن: كان سلمان أميراً على ثلاثين ألفاً يخطب بهم في عباءة يفترش نصفها، ويلبس نصفها، وكان يأكل من سعف يده. توفي في خلافة عثمان وقال أبو عبيدة: سنة ست وثلاثين. عن ثلثمائة وخمسين سنة، الخلاصة ٤٠١/١.

(٣) عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد بن أحمد، أبو القاسم بن أبي طالب العزفي اللخمي: فاضل، من المشتغلين بالحديث، من أهل المغرب. أصله من سبتة، ووفاته بفاس. له كتاب «الإشادة، بذكر المشتهرين من المتأخرين بالإفادة» تراجم. انظر الأعلام ٣١٣/٣.

(٤) علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم الهاشمي، ابن عمّ رسول الله ﷺ، وزوج ابنته، من السابقين الأولين، المرجّح أنه أول من أسلم، وهو أحد العشرة، مات في رمضان سنة أربعين، وهو يومئذ أفضل الأحياء من بني آدم بالأرض، بإجماع أهل السنة، وله ثلاث وستون سنة على الأرجح. التقريب ٣٩/٢ وسيأتي في المناقب.

(٥) علي بن أبي الوفا كان من الصالحين العباد المشهود لهم بالتقوى ومعرفة أسرار أهل الطريقة الصوفية وانظر ترجمته في الطبقات الكبرى للشعراني ٢٠/٢، ٢١.

سَكَنَ الفُؤَادُ فَعِشْ هَنِيئاً يَا جَسَدْ ... هَذَا النَّعِيمُ هُوَ المُقِيمُ إِلَى الأَبَدْ
رُوحُ الوُجُودِ حَيَاةُ مَن هُوَ وَاجِدُ ... لَوْلاَهُ مَا تَمَّ الوُجُودُ لِمَنْ وُجِدْ
عِيسَى وَآدَمُ وَالصُّدُورُ جَمِيعُهُمْ ... هُمْ أَعْيُنٌ هُوَ نُورُهَا لَمَّا وَرَدْ
لو أَبْصرَ الشَّيطَانُ طَلْعَةَ نُورِهِ ... فِي وَجْهِ آدَمَ كَانَ أَوَّل مَنْ سَجَدْ
أَو لَوْ رَأَى النُّمْرُوذُ نُورَ جَمَالِهِ ... عَبَدَ الجَلِيلَ مَعَ الخَلِيل وَمَا عَنَدْ
لَكِنْ جَمَالَ الله جَلَّ فَلاَ يُرَى ... إِلاَّ بِتَوْفِيقٍ مِنَ الله الصَّمَد

الباب الثالث

في تقدم نبوته صلى الله عليه وسلم على نفخ الروح في آدم صلى الله عليهما وسلم

عن عبد الله بن عَمْرو[١] رضي الله تعالى عنهما، عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن الله عز وجل كتب مقاديرَ الخَلْق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة**»[٢] ﴿**وكان عرشه على الماء**﴾.

رواه مسلم. زاد صاحب اللطائف: ومن جملة ما كتب في الذِّكر وهو أُمّ الكتاب: أَنَّ محمداً ﷺ خاتم النبيين.

وعن العِرْباض ـ بكسر العين المهملة ـ ابن سارِيَة[٣] رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال: «**إني عند الله في أُمّ الكتاب لخَاتم النبيّين، وإنَّ آدم لَمُنْجَدِلٌ في طِينته**»[٤].

رواه الإمام أَحمد[٥] والحاكم وصححه.

قال الطيبي[٦] في «شرح المِشكاة»: «انجدل» مطاوع جدله إذا أَلقاه على الأرض، وأَصله الإلقاء على الجَدَالة ـ بفتح الجيم والدال المهملة ـ وهي الأَرض الصُّلْبة وهذا على سبيل إنابة فعل منابَ فعل، يعني لا يجوز إجزاء منجدل على أَن تكون مطاوعاً لجدل لما يلزم منه أَن يكون آدم منفصلاً من الأَرض الصلبة، بل هو ملقًى عليها. والطينة: الخِلْقة من قولهم: طانَه الله على طِينتِك. والجارُّ الذي هو «في» ليس بمتعلق بمنجدل، لما يلزم منه أَن يكون آدم مظروفاً في طينته، إنما هو خبر ثان لأَنَّ، والواو وما بعدها في محل نصب على الحال من المكتوب،

---

(١) عبد الله بن عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سعد بن سهم السهمي، أبو محمد، وقيل: أبو عبد الرحمن أحد السابقين المكثرين، من الصحابة وأحد العبادلة الفقهاء، مات في ذي الحجة ليال الحرة على الأصح، بالطائف على الراجح. تقريب التهذيب ٤٣٦/١.

(٢) أخرجه مسلم ٢٠٤٤/٤ في كتاب القدر باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام (١٦- ٢٦٥٣).

(٣) عِرباض، بكسر أوله وسكون الراء بعدها موحدة وآخره معجمة، ابن سارية السلمي، أبو نَجيح، صحابي، كان من أهل الصفة، ونزل حمص، ومات بعد سبعين. تقريب التهذيب ١٧/٢.

(٤) أخرجه أحمد في المسند ٦٦/٤، ١٢٨ وأبو نعيم في الدلائل ٩/١ وابن كثير في البداية والنهاية ٣٢١/٢ وذكره الهيثمي في المجمع ٢٢٦/٨ وزاد نسبته للطبراني والبزار.

(٥) أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني المروزي، نزيل بغداد، أبو عبد الله، أحد الأئمة، ثقة حافظ، فقيه حجة، وهو رأس الطبقة العاشرة، مات سنة إحدى وأربعين، وله سبع وسبعون سنة. التقريب ٢٤/١.

(٦) الحسين بن محمد بن عبد الله الطيبي الإمام المشهور صاحب شرح المشكاة وحاشية الكشاف وغيرهما. كان في مبادئ عمره صاحب ثروة كبيرة فلم يزل ينفق ذلك في وجوه الخيرات إلى أن كان في آخر عمره فقيراً وكان كريماً متواضعاً حسن المعتقد شديد الرد على الفلاسفة والمبتدعة مظهراً فضائحهم مع استيلائهم على بلاد المسلمين في عصره شديد المحبة لله ولرسوله كثير الحياء ملازماً للجمعة والجماعة ملازماً لتدريس الطلبة في العلوم الإسلامية. انظر البدر الطالع ٢٢٩/١.

والمعنى: كُتِبْتُ خاتم الأَنبياء في الحال الذي آدم مطروح على الأرض حاصل في أَثناء تخلُّقه لمّا يُفْرغ من تصويره وإِجراء الروح.

وقال الحافظ أَبو الفرج ابن رجب[1] رحمه الله تعالى في اللطائف: المقصود من هذا الحديث أَن نبوة النبي ﷺ كانت مذكورة معروفة من قبل أَن يخلقه الله تعالى ويخرجه إِلى دار الدنيا حيّاً، وأَن ذلك كان مكتوباً في أم الكتاب من قبل نفخ الروح في آدم ﷺ، وفُسِّرَ أُمّ الكتابِ باللَّوْحِ المحفوظِ وبالذِّكْر في قوله تعالى: ﴿**يَمْحُو اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ**﴾.

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أَنه سأَل عن أُمِّ الكتاب فقال: عَلِمَ اللهُ مَا هُوَ خَالِقٌ وَمَا خَلْقُهُ عَامِلُونَ، فَقَالَ لِعِلْمِهِ كُنْ كِتَاباً. فَكَانَ كِتَاباً.

ولا ريب أَن عِلْم الله تعالى قديم أَزلي لم يزل عالماً بما يُحْدثه من خلقه، ثم إِن الله تعالى كتب ذلك عنده في كتاب عنده قبل أَن يخلق السماوات والأَرض كما قال تعالى: ﴿**مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي أَنْفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ**﴾.

وفي صحيح البخاري[2] عن عِمْران بن حُصينْ[3] رضي الله تعالى عنه عن النبيّ ﷺ قال: «**كان الله ولا شَيْء قَبْلَه، وكان عرشُه على الماء، وكتب في الذكر كُلَّ شيء، ثم خَلق السماوات والأَرض**»[4].

وقوله في هذا الحديث: «**إِنِّي عندَ الله في أُمِّ الكِتَاب**» ليس المراد به ـ والله أَعلم ـ أَنه حينئذ كتب في أُمِّ الكتاب خَتْمه للنبيين وإِنما المراد الإِخبار عن كون ذلك مكتوباً في أُمّ الكتاب في ذلك الحال قبل نفخ الروح في آدم وهو أَول ما خلق الله تعالى من النوع الإِنساني.

وجاء في أَحاديث أُخر أَنه في تلك الحالة وجبت له ﷺ النبوة. وهذه مرتبة ثالثة وهو

---

(١) عبد الرحمن بن أحمد بن رجب السّلامي البغدادي ثم الدمشقي، أبو الفرج، زين الدين: حافظ للحديث، من العلماء. ولد في بغداد ونشأ وتوفي في دمشق. من كتبه «شرح جامع الترمذي» و «جامع العلوم والحكم» و «فضائل الشام ـ خ» و «الاستخراج لأحكام الخراج» و «القواعد الفقهية» و «لطائف المعارف» و «فتح الباري، شرح صحيح البخاري» لم يتمه، و «ذيل طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى» و «الاقتباس من مشكاة وصية النبيّ ﷺ لابن عباس» و «أهوال القبور» و «كشف الكربة في وصف حال أهل الغربة ـ ط» وغير ذلك توفي سنة ٧٩٥هـ. الأعلام ٣/٢٩٥.

(٢) محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي، أبو عبد الله البخاري، جبل الحفظ، وإمام الدنيا، ثقة الحديث، من الحادية عشرة، مات سنة ست وخمسين، في شوال، وله اثنتان وستون سنة التقريب ٢/١٤٤.

(٣) عمران بن حصين بن عبيد بن خلف الخزاعي، أبو نجيد، أسلم عام خيبر، وصحب، وكان فاضلاً، مات سنة اثنتين وخمسين بالبصرة. التقريب ٢/٨٢.

(٤) أخرجه البخاري ٤/٢٢٢، كتاب بدء الخلق باب في قول الله تعالى ﴿وهو الذي﴾ (٣١٩١).

انتقاله ﷺ من رتبة العلم والكتابة إلى رتبة الوجود العَيْني الخارجي. فإنه ﷺ استخرج من ظهر آدم ونبيء فصارت نبوّته موجودة في الخارج بعد كونها كانت مكتوبة مقدرة في أم الكتاب.

فعن مَيْسَرة - بفتح الميم وسكون المثناة التحتية - الفَجْر[١] - بفتح الفاء وسكون الجيم - رضي الله تعالى عنه قال: «يا رسول الله، متى كنت نبياً؟ قال: «**وآدم بين الرُّوح والجَسَد**».

رواه الإمام أَحمد والبخاري في تاريخه والحاكم وصححه.

قال الإمام أَحمد في رواية منها: وبعضهم يرويه متى كُتبتَ من الكتابة؟ قال: «**كُتبتُ نبيّاً وآدم بين الروح والجسد**». رواه ابن عساكر فتُحْمل هذه الرواية مع حديث العِرْباض السابق على وجوب نبوته ﷺ وثبوتها وظهورها في الخارج، فإن الكتابة إنما تستعمل فيما هو واجب شرعاً كقوله تعالى: ﴿**كُتِبَ عليكم الصيام**﴾ أو قدراً كقوله تعالى: ﴿**كَتَبَ اللَّهُ لأَغْلِبَنَّ أَنا ورُسُلي**﴾.

وعن أَبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قالوا يا رسول الله متى وَجَبَتْ لك النبوّة؟ قال: «**وآدم بين الروح والجسد**»[٢].

رواه الترمذي[٣] وحسَّنه.

وعن الصُّنَابِحِيّ[٤] مرسَلاً - وهو بضم الصاد المهملة وفتح النون وكسر الموحدة ومُهملة - عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه أَنَّه قال: يَا رَسُولَ الله مَتَى جُعِلْتَ نَبيّاً؟ قال: «**وآدَمُ بَيْنَ الرُّوحَ والجَسَدِ**»[٥].

رواه أَبو نُعَيْم[٦].

---

(١) ميسرة الفجر وهو أبو بُدَيل بن ميسرة العقيلي الذي روى عن عبد الله بن شقيق، الطبقات الكبرى لابن سعد ٤٢/٧.

(٢) أخرجه الترمذي من حديث أبي هريرة ٥٨٥/٥ كتاب المناقب باب في فضل النبي ﷺ (٣٦٠٩) قال: هذا حديث حسن صحيح غريب من حديث أبي هريرة لا نعرفه إلا من هذا الوجه وفي الباب عن ميسرة الفجر والحاكم في المستدرك ٦٠٩/٢ كتاب التاريخ باب ذكر مراكبه ﷺ، والبيهقي في دلائل النبوة ١٣٠/٢.

(٣) محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحّاك السّلمي التِّرمذي أبو عيسى، صاحب الجامع، أحد الأئمة، ثقة حافظ من الثانية عشرة، مات سنة تسع وسبعين، التقريب ١٩٨/٢.

(٤) عبد الرحمن بن عُسَيْلَة، بمهملة، مصغراً، المرادي، أبو عبد الله الصُّنَابِحي، ثقة، من كبار التابعين، قدم المدينة بعد موت النبي ﷺ بخمسة أيام، مات في خلافة عبد الملك، التقريب ٤٩١/١.

(٥) أخرجه أبو نعيم في الدلائل ١٧.

(٦) أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران، الحافظ الكبير، أبو نعيم، الأصفهاني. الجامع بين الفقه والتصوف والنهاية في الحديث وله التصانيف المشهورة، منها كتاب «الحلية» وهو كتاب جليل حفيل، وكتاب «معرفة الصحابة»، وكتاب «دلائل النبوة»، وكتاب «تاريخ أصفهان». قال الخطيب البغدادي: لم ألق في شيوخي أحفظ منه ومن أبي حازم الأعرج. ولد في رجب سنة ست وثلاثين وثلاثمائة، وتوفي في المحرم سنة ثلاثين وأربعمائة.=

وروى الآجُرِّيُّ[١] في كتاب الشريعة، عن سعيدِ بن أَبي راشد[٢] قال: سأَلت عطاء[٣] رحمه الله تعالى: هل كان النبي ﷺ نبيّاً قبل أَن يُخلق الخلقُ؟ قال: إِي واللهِ وقبل أَن تُخْلَق الدنيا بأَلْفَيْ عام.

قال الحافظ ابن رجب: عطاء هذا الظاهر أَنه الخُراساني، وهذا إِشارة إِلى ما ذكرناه من كتابة نبوته ﷺ في أُمّ الكتاب عند تقدير المقادير. ويرحم الله القائل حيث قال:

سَبَقَتْ نُبُوَّتُهُ وَآدَمُ طِينَةٌ فَلَهُ الفَخَارُ عَلَى جَمِيعِ النَّاسِ
سُبْحَانَ مَنْ خَصَّ النَّبِيَّ مُحَمَّداً بِفَضَائِلٍ تُتْلَى بِغَيْرِ قِيَاسِ!

تنبيهان

الأول: ما اشتهر على الأَلسنة بلفظ: «**كنت نبياً وآدم بين الماء والطين**» قال ابن تيمية[٤] والزَّرْكشي[٥] والشيخ وغيرهم من الحُفَّاظ: لا أَصل له. وكذا: «**كنت ولا آدم ولا ماء ولا طين**».

= الطبقات لابن قاضي شهبة ١/ ٢٠٢- ٢٠٣، والأعلام ١٥٠/١، وميزان الاعتدال ٥٢/١.

(١) محمد بن الحسين بن عبد الله، أبو بكر الآجري: فقيه شافعي محدث. نسبته إلى آجر (من قرى بغداد) ولد فيها، وحدث ببغداد، قبل سنة ٣٣٠ ثم انتقل إلى مكة، فتنسك، وتوفي فيها. له تصانيف كثيرة، منها «أخبار عمر بن عبد العزيز» و «أخلاق حملة القرآن» و «أخلاق العلماء» و «التفرد والعزلة» و «حسن الخلق» و «الشبهات» و «تغير الأزمنة» و «النصيحة» و «كتاب الأربعين حديثاً» و «كتاب الشريعة» وغير ذلك. الأعلام ٩٧/٦، ووفيات الأعيان ٤٨٨/١.

(٢) سعيد بن أُبيّ عن يعلى بن مرة وعنه عبد الله بن عثمان بن خثيم له عندهما حديثان، الخلاصة ٣٧٨/١.

(٣) عطاء بن أبي رَبَاح القُرَشِي، مولاهم أبو محمد الْجَنَدِي اليماني، نزيل مكة وأحد الفقهاء والأئمة. عن عثمان، وعَتَّاب بن أَسِيد مرسلاً، وعن أُسَامة بن زيد، وعائشة، وأبي هُرَيْرة وأم سَلَمَة وعُرْوَة بن الزُّبَيْر وطائفة. وعنه أَيُّوب وحَبِيب بن أبي ثَابِت، وجَعْفَر بن محمد، وجَرِير بن حَازِم، وابن جُرَيْج وخلق. قال ابن سعد: كان ثقة عالماً كثير الحديث، انتهت إليه الفَتْوَى بمكة وقال أبو حنيفة: ما لقيت أفضل من عطاء. وقال ابن عباس - وقد سئل عن شيء - يا أهل مكة تجتمعون عليّ وعندكم عطاء. وقيل: إنه حج أكثر من سبعين حجة. قال حَمَّاد بن سَلَمة: حججت سنة مات عطاء سنة أربع عشرة ومائة، انظر الخلاصة ٢٣٠/٢.

(٤) أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم الخضر النميري الحراني الدمشقي الحنبلي، أبو العباس، تقيّ الدين ابن تيمية: الإمام، شيخ الإسلام. ولد في حران وتحول به أبوه إلى دمشق فنبغ واشتهر. وطلب إلى مصر من أجل فتوى أفتى بها، فقصدها، فتعصب عليه جماعة من أهلها فسجن مدة، ونقل إلى الإسكندرية. ثم أطلق فسافر إلى دمشق سنة ٧١٢هـ، واعتقل بها سنة ٧٢٠ وأطلق، ثم أعيد، ومات معتقلاً بقلعة دمشق، فخرجت دمشق كلها في جنازته. كان كثير البحث في فنون الحكمة، داعية إصلاح في الدين. آية في التفسير والأصول، فصيح اللسان، قلمه ولسانه متقاربان. وفي الدرر الكامنة أنه ناظر العلماء واستدل وبرع في العلم والتفسير وأفتى ودرَّس وهو دون العشرين. أما تصانيفه ففي الدرر أنها ربما تزيد على أربعة آلاف كراسة، وفي فوات الوفيات أنها تبلغ ثلاثمائة مجلد، منها «الجوامع» في السياسة الإلهية والآيات النبوية، ويسمى «السياسة الشرعية» و «الفتاوى» خمسة مجلدات، و «الإيمان»، و «الجمع بين النقل والعقل» «منهاج السنة» و «الفرقان بين أولياء الله وأولياء الشيطان» وغير ذلك توفي سنة ٧٢٨هـ، الأعلام ١٤٤/١.

(٥) محمد بن بهادر بن عبد الله، العالم العلامة، المصنف المحرر، بدر الدين أبو عبد الله المصري، الزركشي. مولده سنة خمس وأربعين أخذ عن الشيخين جمال الدين الإسنوي وسراج الدين البلقيني، ورحل إلى حلب إلى شهاب الدين=

الثانـي: قال الإمام العَلاَّمة الحافِظُ شيْخُ الإِسْلاَمَ تَقِيُّ الدِّين السُّبْكِيُّ قدَّس الله تعالى روحه: لم يُصِبْ من فسرَّ قوله ﷺ: «**كنت نبيّاً وآدمُ بين الروح والجسد**» [بأنه] سيصير نبيّاً، لأَن عِلْم الله تعالى محيط بجميع الأَشياء، ووصف النبي ﷺ بالنبوة في ذلك الوقت ينبغي أَن يُفهم منه أَنه أَمرٌ ثابت له في ذلك الوقت، ولو كان المراد بذلك مجرد العلم بما سيصير إِليه في المستقبل لم تكن له خصوصية بأَنه نبيّ وآدمُ بين الروح والجسد، لأَن جميع الأَنبياء يعلم الله نبوتَهم في ذلك الوقت وَقبْله، فلا بد من خصوصية للنبيّ ﷺ لأَجلها أَخبر أُمته الخبر إِعلاماً لأُمته، ليعرفوا قدْره عند الله تعالى ثم قال: فإِن قلت: النبوة وصف لازم أَن يكون الموصوف به موجوداً، وإِنما يكون بعد بلوغ أَربعين سنة، فكيف يوصف به قبل وجوده وقبل إِرساله وإِن صح ذلك فغيره كذلك؟.

قلت: قد جاء أَن الله خلَق الأَرواح قبلَ الأَجساد، فقد تكون الإِشارة بقوله: «**كنت نبيّاً**» إِلى روحه الشريفة أَو إِلى حقيقة من الحقائق، والحَقَائق تَقْصُرُ عقولنا عن معرفتها وإِنما يعلمها خالقُها ومن أَمَدَّه اللهُ تعالى بنُورٍ إِلهي، ثم إِن تلك الحقائِقَ يؤتي الله تعالى كل حقيقة منها ما يشاء في الوقت الذي يشاء، فَحقيقَةُ النبي ﷺ قد تكون من قبل خَلْق آدَمَ آتاهَا الله ذلك الوصْف بأَن يكون خلقها، مهيَّأَة لذلك فأَفاضَه عليه من ذلك الوَقْت فصار نبيّاً وكتب اسمه على العرش وأَخبر عنه بالرسالة ليُعْلِم ملائكته وغيرهم كرامته عنده، فحقيقته موجودة في ذلك الوقت وإِنْ تأَخَّر جسده الشريف المتَّصف بها.

واتصاف حقيقته بالأَوصاف الشريفة المضافة عليه من الحضرة الإِلهية إِنما يتأَخر البعث والتبليغ وكل ما له من جهة الله تعالى ومن جهة تأَهل ذاته الشريفة ﷺ وحقيقته معجَّل لا تأَخُّر فيه، وكذا استِنْباؤه وإِيتاؤه الحكم والنبوة، وإِنما المتأَخِّر تكوّنه وتنقُّلُه إِلى أن ظهر ﷺ. انتهى ملخصاً.

وأَثَر كعب السابق أَولَ الباب الأَول يؤيد ما قاله.

وقال بعض العارفين: لمّا خلق الله الأَرواح المدبّرة للأَجسام عند وجود حركة الفلك أَولَ ما خلق الله الزمان بحركة، كان أَول ما خلق روح محمد ﷺ، ثم صدرت الأَرواح عن الحركات الفلكية[1] فكان لها وجود في عالم الغيب دون عالم الشهادة، وأَعلَمه بالنبوة وآدم

= الأذرعي وتخرج بمغلطاي في الحديث، وسمع الحديث بدمشق وغيرها. قال بعض المؤرخين: كان فقيهاً أصولياً، أديباً، وولي مشيخة خانقاه كريم الدين بالقرافة الصغرى، توفي في رجب سنة أربع وتسعين وسبعمائة. انظر ابن قاضي شهبة ١٦٧/٣، ١٦٨.

(١) هذا الكلام لا دليل عليه وهذه مجرد دعوى جاء العلم ببطلانها.

لم يكن، كما قال: «**بَيْنَ الروح والجسد**» فاقتضى قوله: «**كنت نبيّاً وآدم بين الروح والجسد**» أَن يكون حقيقة، فإِنه لا يكون العدَم بين أَمرين موجودين لانحصاره، والمعدوم لا يوصف بالحصر في شيء، ثم انتهى الزمانُ إِلى وجود جسمه ﷺ وارتباط الروح به، فظهر سيدنا محمد ﷺ بكليته جسماً وروحاً، فكان له الحكم أَولاً باطناً في جميع ما ظهر من الشرائع على يدي الأَنبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم، ثم صار له الحكم ظاهراً فنسخ كل شرع وإِن كان الشرع واحداً وهو صاحب الشرع، فإِنه قال: «**كنت نبيّاً**» ما قال: كنت إِنساناً ولا كنت موجوداً، وليست النبوة إِلا بالشرع المقرر من عند الله تعالى، فأَخبر ﷺ أَنه صاحب النبوة قبل وجود الأَنبياء في الدنيا.

الباب الرابع

في تقدم أخذ الميثاق عليه، زاده الله تعالى شرفًا وفضلًا لديه

روى ابن سعد[(١)] عن الشَّعْبي[(٢)] مرسلاً قال: قال رجل: يا رسول الله متى آسْتُنْبِئْتَ؟ قال: «وآدَمُ بَيْنَ الرُّوحِ والجَسَد حينَ أُخِذَ منّي الميثاقُ»[(٣)].

وروى أَبو سَهْلٍ القَطَّان[(٤)] في أَماليه، عن سهل بن صَالِحٍ الهَمْذَانِيّ، قال: سأَلت أَبا جعفر محمد بن علي: كيف صار محمد ﷺ يتقدم الأَنبياء وهو آخر من بُعث؟ قال: إِن الله لماأَخذ من بني آدم من ظهورهم ذُرِّيَّاتهم وأَشْهَدَهُمْ على أَنفسهم: أَلستُ بربكم؛ كان محمد ﷺ أَول من قال بَلَى. ولذلك صار يتقدم الأَنبياء وهو آخر من بُعِث.

قال الحافظ ابن رجب في اللَّطائِفِ: وخبر الشعبي يدل على أَنه من حين صوّر آدم طيناً استخرج وأُخذ منه ﷺ ونبىء وأُخِذَ منه الميثاق، ثم أُعيدَ إِلى ظهر آدم حتى يَخْرُجَ وقْتُ خروجه الذي قد رأَيت خروجه فيه، فهو أَولهم خَلْقاً، وآخرهم بعثاً، وهو آخر النبيّين باعتبار أَن زمانه تأَخَّر عنهم.

لا يقال: خُلق آدم قبله، لأَن آدم كان حينئذ هواءً لا روح فيه، ومحمد ﷺ كان حيّاً حِينَ اسْتخرج ونبِّىء وأُخذ منه الميثاق، ولا يقال إِن استخراج ذرية آدم منه كان بعد نفخ الروح فيه، كما دلّ عليه أَكثَرُ الأَحادِيثِ والذي تقرر أَنه استخرج ونُبِّىء قبل نفخ الروح في آدم، لأَنه ﷺ خُصّ باستخراجه من ظهر آدم قبل نفخ الروح فيه فإِن محمداً ﷺ هو المقصود من خَلق النوع الإِنسانِيِّ، وهو عَيْنه وخُلاَصته. ويستدل بخبر الشَّعْبي وغيره مما تقدم في الباب السابقِ على أَنه ﷺ وُلِدَ نَبِيّاً، فإِنَّ نُبُوَّتَهُ وجبتْ له حين أُخِذَ الميثاقُ حيث آستخرج من صُلب آدم فكان نبيّاً حينئذ، لكن كانت مدة خروجه إِلى الدنيا متأَخرة عن ذلك، وذلك لايمنع كونه

---

(١) محمد بن سعد بن مَنِيع الهاشمي مولاهم أبو عبد الله البصري، كاتب الواقدي، ونزيل بغداد، وصاحب الطبقات، وأحد الحفاظ الكبار الثقات المُتَحَرّين. عن الوليد بن مسلم وَهُشيم وَمَعن بن عيسى وابن عُلَيَّة وخلق. وعنه (د) وابن أبي الدنيا وأحمد بن يحيى البَلاَذُري. قال الخطيب: كان من أهل العلم والفهم والعدالة، وحديثه يدل على صدقه فإنه يتحرى في كثير من روايته. قال ابن فَهْم: توفي ببغداد سنة ثلاثين ومائتين. الخلاصة ٤٠٦/٢.

(٢) عامر بن شراحيل الشعبي، أبو عمرو، ثقة مشهور فقيه فاضل، قال مكحول: ما رأيت أفقه منه، مات بعد المائة وله نحو من ثمانين. التقريب ٣٨٧/١.

(٣) أخرجه ابن سعد ١١٨/١.

(٤) أبو سهل القطان، الإمام المحدث الثقة، مسند العراق، أبو سهل، أحمد بن محمد بن عبد الله بن زياد بن عباد، القطان البغدادي. قال الخطيب: كان صدوقاً أديباً شاعراً، توفي في شعبان سنة خمسين وثلاثمائة وكان مولده في سنة تسعٍ وخمسين ومائتين. انظر سير أعلام النبلاء ١٥/ ٥٢١- ٥٢٢.

نبيّاً كمن تولى ولايةِ ويؤمر بالتصرف فيها في زمن مستقبل، فحُكْم الولاية ثابت له من حين ولايته، وإِن كان تَصَرُّفه يتأَخَّر إِلى حين مجيء الوقت. والأَحاديث السابقة في باب تقدم نبوته ﷺ صريحة في ذلك. والله سبحانه وتعالى أَعلم.

الباب الخامس

في كتابة اسمه الشريف مع اسم الله تعالى على العرش وسائر ما في الملكوت وما وجد على الحجارة القديمة من نقش اسمه صلى الله عليه وسلم

قال الإمام العَلاَّمَةُ خَالِدُ بنُ محمودِ بن جِمْلَةَ رحمه الله تعالى: لم يثْبُتْ أَنَّ غيره ﷺ أُثبت اسمه على العرش.

روى الحاكم والطَّبرانيُّ عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لمَّا اقْتَرَفَ آدمُ الخطيئةَ قال: يا ربِّ أسألك بحقِّ محمدٍ لَمَا غفرْتَ لي. قال وكيف عرفْتَ محمداً؟ قال: لأنَّكَ لَمَّا خَلَقْتَنِي بيدك ونفختَ فيّ من روحك رفعتُ رأسي فرأيتُ على قوائم العرش مكتوباً: لا إله إلاَّ الله محمد رسول الله. فقلت: إنك لم تُضف إلى اسمك إلاَّ أَحبَّ الخلْق إليك. قال: صدَقْتَ يا آدَمُ، ولولا محمدٌ ما خَلقْتُكَ**»[1].

قال الإمام الزاهد الشيخ إبراهيم الرُّقِّيّ رحمه الله تعالى: لو لم يتب عليه لَبقي هو وذريته في دار السخط أَبَد الأَبد.

فما ظَنُّك برجل واحد شمل العالمين كلهم بركتُه، حتى صُولح به المتمردون ورزق به المحرمون وجُبر به المُنْكَسِرُونَ وأُنْقِذَ به المُعَذَّبونَ، ومن العَجَبِ أَن ننتظر شفاعته في القيامة وقد سبقت شفاعتُه فينا وفي أَبينا من أَول دُنْيَانَا، فهو مُطَهِّر الباطن والظاهر مُبَارك الأَول والآخر.

وروى ابن أَبي عاصم[2] في المُسْنَدِ وأَبو نُعَيْمٍ عن أَنَس[3] رضي الله تعالى عنه أَن الله سبحانه تعالى قال لموسى: «**يا موسى إنَّ من لقيني وهو جاحد بمحمد ﷺ أدخلتُه النار. فقال: من محمد؟ قال يا موسى وعزتي وجلالي ما خلقتُ خَلْقاً أَكرمَ عليَّ منه، كتبتُ اسمه مع اسمي في العرش قبل أَن أَخلق السماوات والأَرض والشمس والقمر بأَلفي عام**».

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ٦١٥/٢، والبيهقي في دلائل النبوة ٤٨٩/٥، والبداية والنهاية لابن كثير ٨١/١، ٢/ ٣٢٢.

(٢) أحمد بن عمرو بن أبي عاصم الضحاك بن مخلد الشيباني، أبو بكر بن أبي عاصم، ويقال له ابن النَّبِيل: عالم بالحديث، زاهد رحالة، من أهل البصرة. ولي قضاء أصبهان سنة ٢٦٩. ٢٨٢هـ. له نحو ٣٠٠ مصنف، منها «المسند الكبير» نحو ٥٠ ألف حديث، و «الآحاد والمثاني» نحو ٢٠ ألف حديث، و «كتاب السنَّة» و «الديات» و «الأوائل» قيل: ذهبت كتبه بالبصرة في فتنة الزنج فأعاد من حفظه خمسين ألف حديث! وقال الذهبي: وقع لنا جملة من كتبه، توفي سنة ٢٨٧هـ. الأعلام ١٨٩/١.

(٣) أنس بن مالك بن النضر الأنصاري الخزرجي، خادم رسول الله ﷺ، خدمه عشر سنين، صحابي مشهور، مات سنة اثنتين، وقيل ثلاث وتسعين، وقد جاوز المائة. التقريب ٨٤/١.

وروى ابنُ المنْذِر، عن محمد بن علي بن الحسين بن أَبي طالب رضي الله تعالى عنه، أَن آدم لـمّا أَكل من الشجرة عَظُم كَربُه واشتد ندَمه علَّمه جبريل أَن يقول دعاءً ومنه: اللّهمّ إِني أَسأَلك بجاه محمد عندك وكرامته عليك أَن تغفر لي خطيئتي. ففعل آدم، فقال الله: يا آدم مَنْ علَّمك هذا؟ قال: يا رب إِنك لـمّا نَفَخْتَ فيّ الروحَ. فذكر نحو الحديث الأَول.

وروي ابن أَبي الدنيا[١] عن سعيد بن جُبَير[٢] رحمه الله تعالى قال: اختصم ولدُ آدم: أَيّ الخَلْق أَكرمُ على الله؟ فقال بعضهم: آدم خلَقه الله بيده وأَسجد له ملائكته. وقال آخر: بل الملائكة الذين لم يَعْصُوا الله. فذكروا الكلام لآدم فقال: لـمّا نفخ فيّ الروح لم تبلغ قدمي. فاستويتُ جالساً فبرَق العرشُ فنظرتُ فيه: محمد رسول الله. فذاك أَكرم الخَلْق على الله عز وجل.

وروى ابن الجَوْزي بسند جيد لا بأس به، عن ميسرة رضي الله تعالى عنه قال: قلت يا رسول الله، متى كنتَ نبياً؟ قال: **«لـمّا خلق الله الأَرض واستوى إِلى السماء فسوَّاهن سبعَ سماوات وخلق العرش كتب على ساق العَرْش: محمد رسول الله خاتم الأَنبياء. وخلقَ الله تعالى الجنة التي أَسكنهاآدم وحواء، فكتب اسمي على الأوراق والأَبواب والقِبَاب والخيام، وآدمُ بين الروح والجسد، فلما أَحياه الله تعالى نظر إِلى العَرْش فرأَى اسمي، فأَخبره الله تعالى أنه سيّد ولدك. فلما غرَّهما الشيطان تابا واستشفعا باسمي إِليه»**.

وقال ابن أَبي الدُّنيا: حدثنا محمد بن يونس القرشي، حدثنا قريش بن أَنس[٣] حدثنا كُلَيْب أَبو وائل[٤] قال: غزونا في صَدْر هذا الزمان الهندَ، فوقعت في غَيْضةٍ فإِذا فيها شجر عليه ورد أَحمر مكتوب فيه بالبياض: لا إِله إِلاَّ الله محمد رسول الله.

وروى ابن عساكر عن كَعْب الأَحبار قال: إِنَّ الله أَنزل على آدم عِصيّاً بعدَد الأَنبياء

---

(١) عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان، ابن أبي الدنيا القرشي الأموي، مولاهم، البغدادي، أبو بكر: حافظ للحديث، مكثر من التصنيف. أدّب الخليفة المعتضد العباسي، في حداثته، ثم أدب ابنه المكتفي. له مصنفات اطلع الذهبي على ٢٠ كتاباً منها، ثم ذكر أسماءها كلها، فبلغت ١٦٤ كتاباً، منها «الفرج بعد الشدة» و «مكارم الأخلاق» و «ذم الملاهي» و «اليقين» و «الشكر» و «قرى الضيف» و «العقل وفضله» و «قصر الأمل» و «الإشراف في منازل الأشراف» و «العظمة» في عجائب الخلق، و «من عاش بعد الموت» و «ذم الدنيا» وكتاب «الجوع» و «ذم المسكر» و «الرقة والبكاء» و «الصمت» وغير ذلك. مولده ووفاته ببغداد الأعلام ١١٨/٤، تذكرة ١٨/٢ وتاريخ بغداد ٨٩/١٠.

(٢) سعيد بن جبير الأسدي مولاهم، الكوفي، ثقة ثبت فقيه، من الثالثة، وروايته عن عائشة وأبي موسى ونحوهما مرسلة، قتل بين يدي الحجاج، سنة خمس وتسعين، ولم يكمل الخمسين، التقريب ٢٩٢/١.

(٣) قريش بن أنس الأنصاري، ويقال الأموي، أبو أنس البصري، صدوق تغير بآخره: قَدْرَ سِتّ سنين، من التاسعة، مات سنة ثمان ومائتين. التقريب ١٢٥/٢.

(٤) كليب بن وَائِل البَكْرِي. عن عمه قَيس. وعنه الثَّوْرِي، وحفْص بن غِيَاث. وثقه ابن معين وضعفه أبو زرعة. له في (خ) فرد حديث. الخلاصة ٣٦٨/٢.

والرسل، ثمَّ أَقبل على ابنه شيث فقال: يا بُنَيَّ أَنت خليفَتي من بعدي، فخذها بِعِمَارة التقوى والعروة الوثقى، وكلما ذكرت الله فاذكر إلى جَنْبه اسم محمد ﷺ، فإني رأيت اسمه مكتوباً على ساق العرش وأنا بين الرُّوح والطين، ثم طفْتُ في السماوات فلم أَرَ في السماوات موضعاً إلا رأَيتُ اسمَ محمدٍ مكتوباً عليه، وإنَّ ربِّي أَسكنني الجنةَ فلم أَرَ في الجنة قصراً ولا غُرْفة إلا واسم محمد مكتوب عليه، ولقد رأيت اسمَ محمد على نُحور الحورِ العِينِ وعلى ورق قصَب آجَامِ الجنَّةِ، وعلى ورق شجرة طُوبَى وعلى ورق سِدْرة المنتهَى، وعلى أَطراف الحُجُب وبين أَعْيُنِ الملائِكَة، فَأَكْثِرْ ذِكره فإن الملائكة تذكره في كل ساعاتها.

وروى ابن عساكر في تاريخ دِمَشْقَ وآبْنُ العَديم(١) في تاريخ حلَبِ، عن أَبي الحُسَيْنِ على بن عبد الله الهاشمي الرُّقِّيّ، رحمه الله تعالى قال: دخلْتُ بِلاَدَ الهِنْدِ فرأَيْتُ في بعض قُراها شجر وردٍ أَسود فيفتح عن وردة كبيرة طيبة الرائحة سوداء مكتوب عليها بخط أَبيض: لا إله إلاَّ الله محمد رسول الله. أَبو بكر الصديق. عمر الفاروق. فشككْت في ذلك وقلت إنّه مَعْمُول، فعَمَدْت إلى حَبَّةٍ لم تفتح فرأَيت فيها كما رأَيت في سائِرِ الوَرْد، وفي البلد منه شيءٌ كثير وأَهل تلك القرية يعبدون الحجارة.

وفي مسالك الأَبصار ذكر ابن سَعِيدٍ المَغْرِبِيُّ(٢) أَنه أَخبره من دخل الهند رأَى في غَيْضة بنواحي بالكين، وهي قصَبَةُ الهِنْدِ، شَجَرَةٌ عظيمةٌ لها وَرْدٌ أَحْمَرُ فيه مكتوب ببياض: لا إله إلا الله محمد رسول الله.

ونقل القاضي عن السَّمْطَاوِيِّ رحمه الله تعالى أَنه شاهَد في بعض بلاد خُرَاسَانَ مولوداً ولِد على أَحد جنبيه مكتوب: لا إله إلا الله، وعلى الآخر: محمدٌ رسول الله.

وقال الشيخ عبد الله اليافِعيّ في كتاب «رَوْض الرياحين» قال بعض الشيوخ: دخلتُ

---

(١) عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة العقيلي، كمال الدين بن العديم: مؤرخ، محدث، من الكتّاب. ولد بحلب، ورحل إلى دمشق وفلسطين والحجاز والعراق، وتوفي بالقاهرة. من كتبه «بغية الطلب في تاريخ حلب» كبير جداً، اختصره في كتاب آخر سماه «زبدة الحلب في تاريخ حلب» المجلد الأول منه، و «سوق الفاضل» وغير ذلك. توفي سنة ٦٦٠هـ. الأعلام ٥/٤٠.

(٢) عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان بن فلاح، الشيخ الإمام القدوة، العارف، الفقيه، العالم، شيخ الحجاز، عفيف الدين أبو محمد اليافعي، اليمني، ثم المكي. ولد قبل السبعمائة بقليل، وكان من صغره ملازماً لبيته، تاركاً لما يشتغل به الأطفال من اللعب، فلما رأى والده آثار الفلاح عليه ظاهرة، بعث به إلى عدن فاشتغل بالعلم. أخذ عن العلامة أبي عبد الله البصال وشرف الدين الحرازي قاضي عدن ومفتيها، وعاد إلى بلاده وحبب إليه الخلوة والانقطاع والسياحة في الجبال. وصحب شيخه الشيخ علي المعروف بالطواشي، وهو الذي سلكه الطريق. ثم لازم العلم وحفظ الحاوي الصغير، والجمل للزجاجي، ثم جاور بمكة وتزوج بها، وقرأ الحاوي على قاضيها القاضي نجم الدين الطبري، وسمع الحديث. توفي بمكة في جمادي الآخرة سنة ثمان وستين وسبعمائة، ودفن بمقبرة باب المعلى جوار الفضيل بن عياض. واليافعي نسبة إلى قبيلة من قبائل اليمن من حمير. الطبقات لابن قاضي شهبة ٣/ ٩٥-٩٦، والأعلام ٤/١٩٨.

بلادَ الهند فرأيتُ فيها شجرةً تحمل ثمراً يشبه اللَّوز له قِشْران، فإذا كُسر خرج منه ورقة خضراء مكتوب عليها بالحُمْرة: لا إله إلاَّ الله. كتابةً جَلِية، وهم يتبرّكون بها ويستَقون بها إذا مُنعوا من الغيث. فحدثت بها أبا يعقوب الصيّاد فقال لي: ما أَستعظم هذا، كنت أَصطاد على نهر الأُبُلّة فاصطدتُ سمكةً مكتوب على جنبها الأَيمن: لا إله إلا الله. وعلى جنبها الأَيسر: محمد رسول الله. فلما رأَيتها قذفتها في الماء احتراماً لها.

الأُبلَّة بضم الهمزة والباء الموحدة وتشديد اللام: بلد معروف قرب البصرة.

وروى الخَطِيب[1] في تَارِيخِهِ، عن عبد الرحمن بن هَارُون المَغْرِبي رحمه الله تعالى قال: ركبتُ بحرَ المغرب فوصلنا إلى موضع يقال له السوطون، وكان معنا غلام صِقِليّ ومعه سنارة فدلاَّها في البحر فصاد سمكة قَدْر شِبر، فنظرنا فإذا مكتوب على أُذنها الواحدة: لا إله إلا الله. وفي قفاها وخلف أذنها الأُخرى: محمد رسول الله. وكان أَبْيَن من نقشٍ على حجر، وكانت السَّمَكَةُ بيضاءَ والكتابةُ سَوْدَاءَ كأَنها كتابةٌ بِحِبْر. فقذفناها في البحر.

وروى أَبو الشيخ في العظمة عن جَعْفَرِ بن عَرَفَةَ رحمه الله تعالى قال: كنت في البحر في مركب فظهرتْ لنا سمكةٌ بيْضَاء وإِذا على قفاها مكْتُوب بسَوَادٍ أَشَدَّ سواداً من الحِبْرِ: لا إله إلا الله محمد رسول الله.

وروى ابن عساكر من طريق الحسن[2] عن سَلْمَانَ قال: قال عمر بن الخطاب رضي

---

(١) أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الحافظ أبو بكر الخطيب البغدادي. أحد حفاظ الحديث وضابطيه المتقنين. ولد في جمادي الآخرة سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة، تفقه على القاضي أبي الطيب الطبري وأبي الحسن المحاملي، واستفاد من الشيخ أبي إسحاق الشيرازي وأبي نصر بن الصباغ. وشهرته في الحديث تغني عن الإطناب في ذكر مشايخه فيه وتعداد البلدان التي رحل إليها وسمع فيها، وذكر مصنفاته في ذلك فإنها تزيد على ستين مصنفاً، منها تأريخ بغداد. وقال ابن ماكولا: كان أحد الأعيان ممن شاهدناه معرفة، وحفظاً، وإتقاناً، وضبطاً لحديث رسول الله ﷺ، وتفنناً في علله وعلماً بصحيحه، وغريبه، وفرده، ومنكره. قال: ولم يكن للبغداديين بعد الدارقطني مثله. وقال الشيخ أبو إسحاق الشيرازي: كان أبو بكر الخطيب يشبه بالدارقطني ونظرائه في معرفة الحديث وحفظه. وقال ابن السمعاني: كان مهيباً، وقوراً، ثقة، متحرياً، حجة، حسن الخط، كثير الضبط، فصيحاً، ختم به الحفاظ. وقال غيره: كان يتلو في كل يوم وليلة ختمة. وكان حسن القراءة، جهوري الصوت. توفي في ذي الحجة سنة ثلاث وستين وأربعمائة. ودفن إلى جانب بشر الحافي. وقال ابن خلكان: سمعت أن الشيخ أبا إسحاق ممن حمل جنازته لأنه انتفع به كثيراً، وكان يراجعه في الأحاديث التي يودعها كتبه. الطبقات لابن قاضي شهبة ١/ ٢٤٠- ٢٤١، والأعلام ١٦٦/١، ووفيات الأعيان ٧٦/١، وتذكرة الحفاظ ١١٣٥/٣.

(٢) الحسن بن أبي الحسن البَصْري مولى أم سلمة والرُّبَيِّع بنت النَّضْر أو زيد بن ثابت أبو سعيد الإمام أحد أئمة الهدى والسنة، رُمي بالقَدَر، ولا يصح. عن جُنْدَبُ بن عبد الله وأنس وعبد الرحمن بن سَمُرة ومَعْقِل بن يَسَار وأبي بَكْرَة وسَمُرَة. قال سعيد: لم يسمع منه وأرسل عن خلق من الصحابة. وروى عنه أيوب وحُمَيْد ويونس وقَتَادَة ومَطَر الوَرَّاق وخلائقُ. قال ابن سعد: كان عالماً جامعاً رفيعاً ثقة مأموناً عابداً ناسكاً كثير العلم فصيحاً جميلاً وسيماً، ما أرسله فليس بحجة. وكان الحسن شجاعاً من أشجع أهل زمانه، وكان عرض زنده شبراً. قال ابن عُلَيَّة: مات سنة عشر ومائة. قيل: ولد سنة إحدى وعشرين لسنتين بقيتا من خلافة عمر. الخلاصة ٢١١/١ .

الله عنه لكَعْبِ الأَحبار: أَخبِرنا عن فضائل رسول الله ﷺ قبل مولده. قال: نعم يا أَمير المؤمنين قرأْتُ أَن إبراهيم الخَليلَ وَجَدَ حَجَراً مكتوباً عليه أَرْبَعَةَ أَسْطُر:

الأَول: أَنَا اللهُ لاَ إِلَهَ إلاَّ أَنَا فَاعْبُدْني. **وَالثَّاني:** أَنَا اللهُ لاَ إِلَهَ إلاَّ أَنَا مُحَمدٌ رَسُولِي طُوبَى لِمَنْ آمَنَ بِهِ واتَّبَعَهُ. **والثالث:** إِنِّي أَنَا اللهُ لا إِلهَ إلاَّ أَنَا مَنْ اعْتَصَمَ بي نَجَا. **والرَّابعُ:** إِني أَنَا اللهُ لاَ إِله إلا أَنا الحَرَم لي وَالكَعْبَةُ بَيْتي، من دَخَلَ بيتي أَمِنَ مِن عَذَابي.

وروى أَبو نُعَيمْ عن طلحة رضي الله تعالى عنه قال: وجد في البيت حجر منقور في الهدْمة الأُولى، فدُعِي رجل فقرأَه فإذا فيه: عَبْدِي المُنْتَخَبُ المُتَوَكِّلُ المنيبُ المُخْتَارُ، مَوْلِده بمكة ومُهَاجَره طَيْبة، لا يذهب حتى يقيم السُّنَّة العوجاء ويشهد أَن لا إله إلا الله، أُمته الحمَّادون يحمدون الله بكل أَكَمة يأتزرون على أَوساطهم ويُطَهِّرون أَطرافهم.

وروى البيهقي عن عمر رضي الله تعالى عنه قال: بلغني في قول الله تعالى: ﴿**وكان تحته كَنزٌ لهما**﴾ أَن الكنز كان لَوْحاً من ذهب مكتوب فيه: عجباً لمن أَيقَن بالموت كيف يفرح، عجبّاً لمن أَيقن بالحساب كيف يضحك، عجباً لمن أَيقن بالقدر كيف يحزن، عجباً لمن يرى الدنيا وزوالَها وتقلُّبها بأَهلها كيف يطمئن لها، لا إله إلا الله محمد رسول الله.

وروى البَزَّار[١] عن أَبي ذَرٍّ[٢] نحوه، ولهذا تتمة في باب شرْحِ أَسمائِهِ ﷺ.

---

(١) أحمد بن عمرو بن عبد الخالق أبو بكر البزار: حافظ من العلماء بالحديث. من أهل البصرة. حدّث في آخر عمره بأصبهان وبغداد والشام، وتوفي في الرملة. له مسندان أحدهما كبير سماه «البحر الزاخر» والثاني صغير. الأعلام ١/ ١٨٩، ميزان الاعتدال ١/٥٩.

(٢) أبو ذرّ الغِفَارِي، أحد النُّجَبَاء. في اسمه أقوال أشهرها جُنْدَبُ بن جُنَادَة له مائتا حديث وأحد وثمانون حديثاً، اتفقا على اثني عشر، وانفرد (خ) بحديثين، و (م) بتسعة عشر. وعنه ابن عباس وأنس والأحنف وأبو عثمان النَّهْدِي وخلق. وقال أبو داود: كان يوازي ابن مسعود في العلم. ومناقبه كثيرة. قال ابن المدائني: مات بالرَّبَذَة سنة اثنتين وثلاثين. الخلاصة ٣/٢١٥.

الباب السادس

في أخذ الميثاق على النبيين، آدم فمن دونه من الأنبياء أن يؤمنوا به صلى الله عليه وسلم وينصروه إذا بعث فيهم

قال الله تعالى:.

و ﴿إذْ﴾ نُصب بمصدر محذوف ﴿أَخَذَ الله ميثاق النبيين﴾ عَهْدهم ﴿لَمَا﴾ بفتح اللام للابتداء أو دخلت لتوكيد معنى القسم، لأَن أَخذ الميثاق قسَم في المعنى. وبكسرها متعلِّقة بأَخَذ، وما موصولة على الوجهين أي الذي ﴿آتيتُكم﴾ وفي قراءة: آتيْناكم ﴿مِنْ كِتَابٍ وحِكْمة ثمْ جاءكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُم﴾أي من الكتاب والحكمة، وهو محمد ﷺ ﴿لتؤمِنُنَّ به ولَتَنْصُرنَّه﴾ جواب القسَم، أَي إِن أَدركتموه، وأُممهم تَبَع لهم في ذلك.

قال الله تعالى لهم: ﴿أَأَقْرَرْتُم﴾ بذلك ﴿وأَخَذْتُم﴾ قَبِلْتم ووافقتم ﴿على ذلكم إِصْرِي﴾ عَهْدي ﴿قالوا أَقْرَرْنا. قالَ فاشْهَدُوا﴾أَي فليشهد بعضكم على بعض بالإِقرار. واشهدوا: خطاب للملائكة ﴿وأَنا مَعَكُمْ مِنَ الشاهِدِين﴾ عليكم وعليهم ﴿فَمَن تَوَلَّى﴾ أَعرَض ﴿بَعْدَ ذلك﴾ الثبات ﴿فأُولئك هُمُ الفاسِقُون﴾ أَي الخارجون عن الطاعة.

روى ابن أَبي حاتم عن السُّدّي[(١)] في الآية قال: لم يَبْعث الله نبياً قط من لَدُن نوح إِلاَّ أَخذَ ميثاقه ليؤمننّ بمحمد ﷺ وينصره إِن أَدركه وخرج وهم أَحياء.

وروى ابن جرير[(٢)]، عن علي بن أَبي طالب رضي الله تعالى عنه في الآية قال: لم يبعث الله نبيّاً، آدم فمن بعده، إِلا أَخذ عليه العهدَ في محمد ﷺ: لئن بُعث وهو حَيّ ليؤمنُنَّ به ولينصُرَنَّه، وأَمره بأَخذ العهد على قومه.

وروى ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: ما بعث الله نبيّاً قط إِلا أَخذ عليه العهدَ: لئن بُعث محمد ﷺ وهو حَيٌّ ليُؤمننّ به ولَيَنْصُرَنَّه، وأَمَره بأَخذ الميثاق على أُمّته إِن بُعث محمد ﷺ وهم أَحياء لَيُؤْمِنُنَّ به ولَيَنْصُرَنَّه.

---

(١) إسماعيل بن عبد الرحمن السدي: تابعي، حجازي الأصل، سكن الكوفة. قال فيه ابن تغري بردي: «صاحب التفسير والمغازي والسير، وكان إماماً عارفاً بالوقائع وأيام الناس». توفي سنة ١٢٨هـ. الأعلام ١/٣١٧.

(٢) محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب، أبو جعفر الطبري الآملي البغدادي. الإمام العلم صاحب التصانيف العظيمة والتفسير المشهور، مولده سنة أربع وعشرين ومائتين. أخذ الفقه عن الزعفراني والربيع المرادي. قال الخطيب: سمعت علي بن عبد الله اللغوي يقول: مكث ابن جرير أربعين سنة يكتب كل يوم أربعين ورقة. توفي في شوال سنة عشر وثلاثمائة عن ست وثمانين. الطبقات لابن قاضي شهبة ١/ ١٠٠-١٠١.

رواه البخاري في صحيحه. كما نقله الزركشي في شرح البُرْدة، والحافظ ابن كثير[١] في تاريخه وأَول كتابه جامع المسانيد، والحافظ في الفتح في باب حديث الخضر مع موسى، ولم أَظفر به فيه، ورواه ابن عساكر بنحوه.

قال الإمام العلامة الحافظ شيخ الإسلام تقي الدين السُّبْكي قدس الله سره في هذه الآية من التَّنْويه بالنبي ﷺ وعظيم قَدْره ما لا يَخْفى أَنه على تقدير مجيئه في زمانهم يكون مُرْسلاً إليهم. فتكون نبوّته ورسالته عامةً لجميع الخلق من زمن آدم إلى يوم القيامة وتكون الأَنبياء وأُممهم كلهم من أُمته، ويكون قوله ﷺ: «**بُعثت إلى الناس كافة**»[٢] لا يختصّ به الناسُ في زمانه إلى يوم القيامة بل يتناول مَن قبلهم أَيضاً.

وإنما أَخذ المواثيق على الأَنبياء ليعلموا أَنه المقدَّم عليهم وأَنه نبيهم ورسولهم. وفي ﴿**أَخذ**﴾ وهي في معنى الاستخلاف، ولذلك دخلت لامُ القَسَم في ﴿**لَتؤمنُنّ به ولتَنْصُرنَّه**﴾ لطيفةٌ أُخرى، وهي كأَنها البَيْعة التي تؤخذ للخُلفاء ولعل أَيْمان الخلفاء أُخذت من هذا، فانظر إلى هذا التعظيم للنبي ﷺ من ربه.

فإذا عرفتَ هذا فالنبي ﷺ نبيُّ الأَنبياء، ولهذا أَظهر ذلك في الآخرة جميعُ الأَنبياء تحت لوائه. وفي الدنيا كذلك ليلةَ الإسراء صلى بهم، ولو اتفق مجيئه في زمن آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى وجب عليهم وعلى أُممهم الإيمان به ﷺ ونُصْرته. وبذلك أَخذ الله الميثاقَ عليهم، فنبوته ﷺ ورسالته إليهم معنىً حاصل له. وإنما أَمْره يتوقف على اجتماعهم معه، فتأَخُّر الأَمر راجع إلى وجودهم لا إلى عدم اتصافه بما يقتضيه. وفَرْقٌ بين توقُّف الفعل

(١) إسماعيل بن كثير بن ضوء بن كثير بن ضوء بن ذرع، القرشي، البصروي، الدمشقي. مولده سنة إحدى وسبعمائة، وتفقه على الشيخين برهان الدين الفزاري وكمال الدين بن قاضي شهبة، ثم صاهر الحافظ أبا الحجاج المزي ولازمه، وأخذ عنه، وأقبل على علم الحديث، وأخذ الكثير عن ابن تيمية، وقرأ الأصول على الأصفهاني، وسمع الكثير، وأقبل على حفظ المتون، ومعرفة الأسانيد والعلل والرجال والتأريخ، حتى برع في ذلك وهو شاب. وصنف في صغره «كتاب الأحكام على أبواب التنبيه»، ووقف عليه شيخه برهان الدين وأعجبه، وصنف التأريخ المسمى بالبداية والنهاية والتفسير. وصنف كتاباً في جمع المسانيد العشرة، واختصر تهذيب الكمال وأضاف إليه ما تأخر في الميزان سماه التكميل، وطبقات الشافعية ورتبه على الطبقات، وله تصانيف مفيدة. وقال تلميذه الحافظ شهاب الدين بن حجي: كان أحفظ من أدركناه لمتون الأحاديث، وأعرفهم بجرحها، ورجالها، وصحيحها وسقيمها. وكان أقرانه وشيوخه يعترفون له بذلك. وكان يستحضر شيئاً كثيراً من التفسير والتأريخ، قليل النسيان. وكان فقيهاً جيد الفهم، صحيح الذهن، يستحضر شيئاً كثيراً، ويحفظ التنبيه إلى آخر وقت، ويشارك في العربية مشاركة جيدة، وينظم الشعر. وما أعرف أني اجتمعت به على كثرة ترددي إليه إلا وأفدت منه. توفي في شعبان سنة أربع وسبعين وسبعمائة، ودفن بمقبرة الصوفية عند شيخه ابن تيمية. الطبقات لابن قاضي شهبة ٣/ ٨٥ـ ٨٦، والدارس ١/٣٦، والبدر الطالع ١/ ١٥٣، وشذرات الذهب ٦/٢٣١.

(٢) أخرجه أحمد في المسند ٣/٣٠٤، والبيهقي ٢/٤٣٣، ومجمع الزوائد ٨/٢٥٩، ٢٦١، والطبراني في الكبير ١٢/ ٤١٣، وابن سعد في الطبقات ١/١/١٢٨.

على قَبُول المَحَلّ وتوقُّف أَهلِيّة الفاعل، فهنا لا توقُّف من جهة الفاعل ولا من جهة ذات النبيّ ﷺ الشريفة، وإنمّا هو من جهة وجود العصر المشتمل عليه، فلو وجد في عصرهم لَزِمهم اتّباعُه بلا شك، ولهذا يأْتي عيسى ﷺ في آخر الزمان على شريعته ﷺ، وهو نبيّ كريم، لا كما يظنّ بعض الناس أنه يأَتي واحداً من هذه الأُمة، نعم هو واحد من هذه الأُمة لما قلنا من اتباعه للنبي ﷺ، وإنّما يحكم بشَرِيعَة نَبِيِّنَا مُحَمَّد ﷺ بالقرآن والسنة، فكل ما فيهما من أَمر ونَهْي فهو متعلق به كما يتعلَّق بسائر هذه الأمة، وهو نبيّ كريم على حاله لم ينقص منه شيء ولذلك لو بُعث النبي ﷺ في زمانه أَو زَمَان موسى وإبْرَاهيم ونوح وآدم كانوا مستمرّين على نبوّتهم ورسالتهم إلى أُممهم، والنبي ﷺ نبي الله ورسوله إلى جميعهم، فنبوّته ورسالته أَعمّ وأَشمل وأَعْظم، ويتفق مع شرائعهم في الأُصول لأَنها لا تختلف، وتَقدمَ شريعته فيما عساه يقع الاختلاف فيه من الفروع، إما على سبيل التخصيص وإما على سبيل النَّسْخ أَوْ لا نسْخ ولا تخصيص بل تكون شريعة النبي في تلك الأَوقات بالنسبة إلى تلك الأُمم مما جاءت به أَنبياؤهم، وفي هذا الوقت بالنسبة إلى هذه الأُمة الشريفة، والأَحكامُ تختلف باختلاف الأَشخاص والأَوقات. انتهى كلامه رضي الله تعالى عنه وأَرضاه.

فإن قيل: قال الله سبحانه وتعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾.

فالجواب: بأَن هُدَاهم من الله وهو شرعه ﷺ، أَي الزم شَرْعك الذي ظهر به نُوَّابُك، من إقامة الدين وعدم التفرقة فيه ولـم يقل الله بهم اقتدِهْ وكذا قال تعالى: ﴿ثم أَوحينا إليك أَن اتَّبعْ ملَّةَ إبراهيمَ حنيفاً﴾ وهو الدين، فهو ﷺ مأَمور باتباع الدين، فإن أَصل الدين إنما هو من الله تعالى لا من غيره، وأَين هذا من قوله ﷺ: «لو كان موسى حَيّاً ما وَسِعه إلاَّ أَن يتَّبعني» فأَضاف الاتِّباعَ إليه، وأُمِر هو ﷺ باتباع الدين لا باتباع الأَنبياء، فإن السلطان الأَعظمَ إذا حَضر لا يبقى لنائب من نُوَّابه حكمٌ إلاَّ له، فإذا غاب حكَمَ النُّواب بمرَاسيمه، فهو الحاكم في الحقيقة غيْبةً وشهادةً.

فَإِنَّكَ شَمْسٌ وَالْمُلُوكُ كَوَاكِبٌ إِذَا ظَهَرْتَ لَمْ يَبْدُ مِنْهُنَّ كَوْكَبُ[1]

وقد أَشار إلى ذلك المعنى البُوصيريّ[2]، وتوفي قبل مولد السُّبْكي رحمهما الله تعالى:

---

(١) القصيدة مطلعها:

أتاني ـ أبيت اللعن ـ أنك لمتني وتلك التي أهتم منها وأنصبُ

انظر ديوان النابغة ص ٧٣، وأسرار البلاغة ١٢٧، والعقد الفريد ٢٢/٢.

(٢) محمد بن سعيد بن حماد بن عبد الله الصنهاجي البوصيري المصري، شرف الدين، أبو عبد الله: شاعر، حسن الديباجة، مليح المعاني، ووفاته بالإسكندرية. له «ديوان شعر» توفي سنة ٦٩٦هـ، الأعلام ١٣٩/٦، وفوات الوفيات ٢٠٥/٢.

وَكُـلُّ آيٍ أَتَـى الرُّسْـلُ الكِـرَامُ بِـهَـا   فَـإِنَّـمَـا اتَّـصَـلَـتْ مِـنْ نُـورِه بِـهِـم
فَإِنَّـهُ شَـمْـسُ فَـضْـلٍ هُـمْ كَـوَاكِـبُـهَـا   يُظْهِـرْنَ أَنْـوَارَهَـا لِلنَّـاسِ فـي الظُّلَـمِ

الباب السابع

في دعاء إبراهيم عليه الصلاة والسلام به صلى الله عليه وسلم وإعلام الله به إبراهيم وآله

قال الله سبحانه وتعالى حاكياً عن إبراهيم: ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً﴾ أي في جماعة الأُمة المسلمة من أولادهما، أو هم أهل مكة ﴿رَسُولاً منهم﴾ من أنفسهم يعني محمداً ﷺ ﴿يَتْلُو﴾ يقرأ ﴿عليهم آياتِك﴾ كتابك يعني القرآن ﴿ويعلّمهم الكتابَ﴾ أي القرآن ﴿والحكمة﴾ أي مواعظه وما فيه من الأحكام، أو هي العلم والعمل ﴿ويزكّيهم﴾ يطهرهم من الذنوب ويشهد لهم بالعدالة إذا شهدوا للأنبياء بالبلاغ ﴿إنك أنت العَزِيزُ﴾ الغالب ﴿الحكيمُ﴾ في صنعه.

روى ابن جرير عن أبي العالية[1] رحمه الله تعالى قال: لمّا قال إبراهيم: ﴿ربّنَا وابعَثْ فيهم رَسُولاً منهم﴾ قيل له قد: استُجيب لك، وهو كائن في آخر الزمان.

وروى الإمام أحمد والحاكم عن العِرْبَاض بن سارية رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أَنَا دَعْوَةُ [أَبي] إبْرَاهِيمَ وَبِشارَةُ عِيسَى»[2].

وروى ابن عساكر عن عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ[3] رضي الله تعالى عنه قال؛ قيلَ يَا رَسُولَ الله أَخْبِرْنَا عَنْ نَفْسِكَ. قال: «نَعَمْ أَنَا دَعْوَةُ أَبي إبْرَاهِيمَ، وَكَانَ آخِرَ مَنْ بَشَّرَ بي عيسَى ٱبْنَ مَرْيَم»[4].

وروى الإمام أحمد وابن سعد والطَّبَرانيُّ وابن مَرْدَوَيْهِ[5] عن أَبي أُمامة[6] رضي الله

---

(١) رُفَيْع بضم أوله مصغراً ابن مِهْرَان الرِّيَاحِي بكسر المهملة مولاهم أبو العَالِيَةَ البَصْرِي مُخَضْرَم إمام من الأئمة، صلى خلف عمر، ودخل على أبي بكر. عن أُبَيّ وعَلِيّ وحُذَيْفَة، وعُلَيَّة وخلق. وعنه قتادة وثابت وداود بن أبي هند بَصْرِيُّون وخلق. قال عاصم الأحول: كان إذا اجتمع عليه أكثر من أربعة قام وتركهم. قال مغيرة: أول من أذّن بما وراء النهر أبو العَالية. قال أبو خَلْدَة: مات سنة تسعين وهو الصحيح. الخلاصة ٣٣١/١.

(٢) أخرجه الطبري في التفسير ٤٣٥/١، والبيهقي في دلائل النبوة ٦٩/١، وابن سعد في الطبقات ٩٦/١/١، وابن كثير في البداية والنهاية ٢٧٥/٢، والبغوي في التفسير ١١١/١.

(٣) عبادة بن الصامت بن قيس الأنصاري الخزرجي، أبو الوليد المدني، أحد النقباء، بدري مشهور، مات بالرملة، سنة أربع وثلاثين وله اثنتان وسبعون، وقيل عاش إلى خلافة معاوية، التقريب ٣٩٥/١.

(٤) أخرجه ابن عساكر في التاريخ ٣٩/١، وذكره المتقي الهندي في كنز العمال (٣٥٤٧٩).

(٥) أحمد بن موسى بن مردوية الأصبهاني أبو بكر، ويقال له ابن مردوية الكبير: حافظ مؤرخ مفسر، من أهل أصبهان، له كتاب «التاريخ» وكتاب في «تفسير القرآن» و «مسند» و «مستخرج» في الحديث. توفي سنة ٤١٠هـ. الأعلام ١/ ٢٦١، وشذرات الذهب ١٩٠/٣.

(٦) صُدَيّ بن عَجْلاَن البَاهِلي أبو أُمامة، صحابي مشهور، له مائتا حديث وخمسون حديثاً. وعنه شَهْر بن حَوْشَب، وخالد بن مَعْدان، وسالم بن الجَعْد، ومحمد بن زِيَاد الأَلْهَاني، وقال: كان لا يمر بصغير ولا كبير إلا سلم عليه. قال أبو اليمان مات سنة إحدى وثمانين بحمص. الخلاصة ٤٧٣/١، ٤٧٤.

تعالى عنه قال: قلت: يا رسول الله ما كان بَدْء أمرك؟ قال: «**دعوة أَبـي إبراهيم، وبَشَّر بـي عيسى ابْنُ مَرْيَمَ**»[١].

وروى ابنُ سعد عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: لما أُمر إبراهيم بإخراج هاجَر حُمِلَ على البُرَاق، فكان لا يمرّ بأَرض عذبة سهلة إلا قال: أَنزل ها هنا يا جبريل؟ فيقول: لا. حتى أَتى مكة فقال جبريل: إنزل يا إبراهيم. قال: حيث لا ضَرْع ولا زَرْع؟! قال: نعم، ها هنا يخرج النبي الكريم الذي من ذرية ابنك إسماعيل الذي تَتمّ به الكلمة العُليا.

وروي أَيضاً عن محمد بن كعب القُرَظِيّ[٢] رحمه الله تعالى قال: لما خرجت هاجرُ بابنها إسماعيل تلقَّاها مُتلَقٌ فقال: يا هاجر إن ابنك أَبو شعوب كثيرة، ومن شَعبْه النبي الأُميّ ساكن الحَرم.

---

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات ١/١١٩.

(٢) محمد بن كَعْب القُرَظِي المدني ثم الكوفي أحد العلماء. عن أبي الدرداء مرسلاً وعن فَضَالة بن عُبَيد وعائشة وأبي هريرة. وعنه ابن المُنْكَدِر، ويزيد بن الهاد والحكم بن عُتَيْبَة. قال ابن عون: ما رأيت أحداً أعلم بتأويل القرآن من القُرَظي. وقال ابن سعد: كان ثقة ورعاً كثير الحديث قيل: مات سنة تسع عشرة ومائة. وقيل: سنة عشرين. الخلاصة ٢/٤٥٣.

الباب الثامن

في بعض ما ورد في الكتب القديمة من ذكر فضائله صلى الله عليه وسلم ومناقبه العظيمة

قال الله تعالى: ﴿**الَّذين يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَه مَكْتُوباً عِنْدهم في التَّوراةِ والإِنْجيل**﴾.

وعن عبد الله بن عُمَرَ رضي الله تعالى عنهما قال: إنه رأى النبي ﷺ الموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن: «**يَأَيُّها النَّبي إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شاهِداً ومبشراً ونَذِيراً وحِرْزاً للأُميين، أَنت عبدي ورسولي سمَّيتك المتوكل، ليس بفَظٍّ ولا غليظ ولا سَخَّاب في الأَسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح، ولن يقبضه الله حتَّى يقيم به المِلَّة العَوْجاء بأَن يقولوا: لا إِله إِلا الله. ويفتح به أَعيناً عُمْياً وقلوباً غُلْفاً وآذاناً صُمّاً**»[1].

رواه الإِمام أَحمد والبخاري. وروى نحْوه ابنُ عساكر وابن الجَوْزِيُّ عن عبد الله بن سَلاَم[2]، والدارمي[3] عن كعب.

«**شاهداً**» حال مقدرة من الكاف أَو من الفاعل، أَي مقدِّراً أَو مقدِّرين شهادتك على من بُعِثْتَ إِليهم، أَي مقبولاً قوْلُكَ عند الله فيهم وعليهم، كما يُقبلُ قولُ الشاهد العَدْل في الحكم.

«**حِرْزاً**» بالمهملة المكسورة فالراء الساكنة فالزاي - أَي حِفظاً «**للأُميين**» أَي للعرب لأَن الكتابة عندهم قليلة. والأُمّي من لا يُحسن الكتابة. وليس لليهود أَن يتمسكوا بقوله «**حِرْزاً للأُميين**» على ما زعموا أَنه ﷺ مبعوث إِلى العرب خاصةً، لأَن قوله: «**حَتَّى يُقِيمَ المِلَّةَ العَوْجَاءَ**» يشملهم لأَنهم بَدَّلُوا وحَرَّفُوا وَغيروا، فأُرسل ﷺ إِليهم ليقيم عِوَجهم، وهل أَحدٌ أَولى منهم بإِقامة عوجهم؟!.

«**ليس بفظ**» أَي سيئ الخُلق «**ولا غليظ**» أَي شديد القول «**ولا سَخَّاب**» بالسين

---

(١) أخرجه البخاري ٤/٤٠٢، كتاب البيوع باب كراهية السخب في الأسواق (٢١٢٥).

(٢) عبد الله بن سَلاَم مخفف ابن الحارث الإسرائيلي اليوسُفي أبو يوسف حليف القَوَاقل الخزرجي. أسلم مقدم النبي ﷺ وشهد فتح بيت المقدس مع عمر، وروى خمسة وعشرين حديثاً، شهد له النبي ﷺ بالجنة. ونزل فيه ﴿**وشهد شاهد من بني إسرائيل**﴾، وقوله تعالى: ﴿**ومن عنده علم الكتاب**﴾. وعنه ابنه يوسف وأبو هريرة وأنس. اتفقوا على أنه مات سنة ثلاث وأربعين بالمدينة. رضي الله عنه. الخلاصة ٢/٦٤.

(٣) عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام التميمي الدارمي السمرقندي، أبو محمد: من حفاظ الحديث. سمع بالحجاز والشام ومصر والعراق وخراسان من خلق كثير. واستُقضي على سمرقند، فقضى قضية واحدة، واستعفى فأعفي. وكان عاقلاً فاضلاً مفسراً فقيهاً أظهر علم الحديث والآثار بسمرقند. له «المسند» في الحديث، الأعلام ٩٥، وتذكرة الحفاظ ٢/١٠٥.

المهملة والخاء المعجمة المشددة من السَّخب وهو لغة ربيعة في الصَّخب، وهو رفع الصوت، أي لا كثيره بل ولا قليله، إذا المراد نَفْيه مطلقاً.

«**المِلَّة العَوْجاء**» يعني ملة إبراهيم، لأن العرب غيَّرتها عن استقامتها فصارت كالعوجاء.

«**غُلْفاً**» بضم الغين المعجمة وسكون اللام جمع أَغْلف وهو الشيء في غلاف وغِشَاء بحيث لا يوصَل إليه.

وعن رجل من الأَعراب رضي الله تعالى عنه قال: قدِمت المدينةَ حياةَ رسول الله ﷺ فقلت لأَلقَيَنَّ هذا الرجل فلأَسمعن منه. فتلقاني بين أَبي بكر وعمر يمشون، فتبعتهم حتى أَتوا على رجل من اليهود ناشر التوراةَ يقرؤها يعزِّي بها نفسه عن ابن له في الموت كان من أَحسن الفتيان وأَجملهم، فقال له رَسُولُ الله ﷺ: «**أَنشُدُكَ بالَّذي أَنْزَلَ التوراةَ هل تجدُ في كتابِك صفَتي ومَخْرَجِي**».؟ فقال برأسه هكذا. أَي لا. فقال ابنه: والذي أَنزل التوراة إنا لَنجِدُ في كتابِنَا صِفتك ومَخرَجَكَ، أَشْهَدُ أَن لا إله إلاَّ الله وأَنَّكَ رسولُ الله. فقال: أَقيمُوا اليَهُودَ عن أَخيكم. ثم وَلِيَ كَفَنَهُ وَالصَّلاَةَ عليه.

رواه الإمام أَحْمَدُ[1].

وعن عبد الله بن مسعود[2] رضي الله تعالى عنه أَن رسول الله ﷺ دخل كنيسةً فإذا هُوَ بِيَهُودِيٍّ يقْرأُ عَلَيْهِمُ التوراةَ، فلما أَتَوا على صفة النبي ﷺ أَمسكوا وفي ناحيتها مريض، فقال النبي ﷺ: «**ما لكم أَمسكتم**»؟ فقال المريض: إنهم أَتوا على صفة نبي فأَمسكوا. ثم جاء المَرِيض حتى أَخذ التوراةَ فَقَرَأَ حتى أَتى على صفة النبي ﷺ فقال: هذه صفتك وصفة أُمَّتك، أَشهد أَن لا إله إلاَّ الله وأَنك رسول الله. ثم مات، فقال النبي ﷺ: «**لُوا أَخاكم**»[3].

رواه الإمام أَحمد.

وقال يعقوب بن سفيان[4]: حدثنا فيض البَجَلي، حدثنا سلاَّم بن مِسْكِين[5]، عن مقاتل

---

(١) ذكره الهيثمي في المجمع ٢٣٧/٨ وعزاه لأحمد وقال أبو صخر لم أعرفه وبقية رجاله رجال الصحيح.

(٢) عبد الله بن مسعود بن غافل: بمعجمة وفاء، ابن حبيب الهُذَلي، أبو عبد الرحمن، من السابقين الأولين، ومن كبار العلماء، من الصحابة، مناقبه جمّة، وأمّره عمر على الكوفة، ومات سنة اثنتين وثلاثين، أو في التي بعدها بالمدينة، التقريب ٤٥٠/١.

(٣) أخرجه أحمد في المسند ٤١٦/١، والبيهقي في دلائل النبوة ٢٧٣/٧، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٣٤/٨، وزاد نسبته للطبراني وقال: وفيه عطاء بن السائب وقد اختلط.

(٤) هو يعقوب بن سفيان بن حسوان الفارسي الفسوي أبو يوسف: من كبار حفاظ الحديث من أهل فسا بإيران عاش بعيداً عن وطنه في طلب الحديث نحو ثلاث سنين وروى عن أكثر من ألف شيخ وتوفي بالبصرة له التاريخ الكبير توفي سنة ٢٧٧هـ، الأعلام ١٩٨/٨.

(٥) سَلاَّم بن مِسْكِين بن رَبِيعة الأَزْدِي أبو رَوْح البَصرِي محدِّث إمام عن الحسن وقتادة وثابت. وعنه يحى القطَّان وابن مَهْدِي، وأبو الوَلِيد الطَّيَالِسِي وأبو سَلَمة التَّبوذَكي وثقة أحمد، وابن معين. مات سنة سبع وستين ومائة. الخلاصة ٤٣٤/١.

ابن حَيَّان(١)، رحمه الله تعالى قال: أَوحَى الله تعالى إِلى عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام: جِدّ في بني إِسرائيل ولا تَهْزل واسمع وأَطِعْ يا بن الطاهرة البكْر البَتُول، إِنيّ خَلقْتك من غير فَحْل فجعلتك آيةً للعالمين، فإِيّاي فاعبُدْ وعليّ فتوكَّل، فسر إِلى أَهل سورانّية، بَلِّغ(٢) مَن بين يديك أَني أَنا الله الحي القائم الذي لا يزُول، صدِّقوا النبيّ الأُميّ العربي صاحبَ الجَمَلِ والمِدْرَعةِ والعِمَامَةَ، وهِيَ التَّاجُ، والنَّعْلَيْن والهِرَاوَة وَهِي القَضِيب، الجَعْد الرَّأْس، الصَّلْتَ الجبين، المقرون الحاجبيْن، الأَكحل العينين، الأَقْنَى الأَنف، الواضح الخدّين، الكَثّ اللحية، عَرَقُه في وجهه كاللؤلؤ، ريح المسك ينْفح منه، كأَن عنقه إِبريق فِضَّة، وكأَن الذهب يَجْري في تَرَاقيه، له شعراتٌ من لَبَّته إِلى سُرّته تجري كالقضيب ليس على صَدْره ولا على بطنه شعر غيره، شَثْن الكَفَّين والقدمين إِذا جامَع الناسَ غَمرهم، وإِذا مشى كأَنما يتقلّع من الصَّخر ويتحدَّر في صَبَب ذو النَّسْل القليل.

«غمرهم» أَي علاَهم شرفاً. وقوله: **«ذُو النَّسْلِ القَلِيلِ»** أَراد الذُّكور من صُلْبِهِ ﷺ.

وروى البَيْهَقيُّ عن ابن عَبَّاسٍ رضي الله تعالى عنهما قال: قَدِمَ الجَارُودُ بن عبد الله فأَسلم وقال: والذي بعثك بالحَقِّ لقد وَجدتُ وَصْفَك في الإِنْجِيل، ولقد بَشَّر بك ابنُ البَتُول.

وسمِّيت مريم بذلك من قولهم: امرأَةٌ بَتُولٌ أَي مُنْقطعة عن الرجال لا شهوة لها فيهم.

وعن أَبي موسى الأَشعري(٣) رضي الله تعالى عنه قال: سَمِعْت النَّجَاشِيَّ يقول: أَشهد أَن محمداً رسول الله وأَنه الذي بشرَّ به عيسى، ولولا ما أَنا فيه من أَمر المُلْك وما تحملتُ من أَمر الناس لأَتيتُه حتى أَحْمل نَعْليه(٤).

رواه أَبو داود(٥).

وروى الترمذيّ في الشمائل عن كعب رحمه الله تعالى قال: نَجِدُ نَعْتَ رسول الله ﷺ في التوراة: محمد بن عبد الله يُولد بمكّة ويُهاجر إِلى طابة، ويكون ملكه بالشام، وليس بفحَّاشٍ ولا سخّاب في الأَسواق ولا يكافىء بالسيئةِ، ولكن يعفو ويَغْفِر، أَمته الحمَّادون

---

(١) مقاتل بن حيَّان بتحتانية البكري، مولاهم النَّبَطِي أبو بِسْطام البَلْخِي الخزّاز أوله معجمة ثم مهملة. عن مجاهد وَعُرْوَة وسالم. وعنه إبراهيم بن أدهم وابن المبارك. وثقه ابن معين. الخلاصة ٥٣/٣.

(٢) في أ: فبلغ.

(٣) عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار، أبو موسى الأشعري صحابي مشهور، أمره عمر ثم عثمان، وهو أحد الحكمين بصفين، مات سنة خمسين. وقيل بعدها. التقريب ٤٤١/١.

(٤) أخرجه أبو داود ٢٣٠/٢، كتاب الجنائز (٣٢٠٥).

(٥) سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بَشير بن شدّاد الأزدي، السِّجِستاني، أبو داود، ثقة حافظ، مصنف السنن وغيرها، من كبار العلماء، من الحادية عشرة، مات سنة خمس وسبعين. التقريب ٣٢١/١.

يحمدون الله في كل أَمر ويكبرون الله على كل نَجْد، ويوضئون أَطرافهم ويَأْتزرون في أَوساطهم، يَصُفُّون في صلاتهم كما يصفون في قتالهم، دوِيّهم في مساجدهم كدويّ النحل يُسْمع مُنَاديهم في جوّ السماء.

النَّجْدُ: ما ارتفع من الأَرض.

وروى أَبُو نُعَيْم عن أَبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال قال: رسول الله ﷺ: «**إنَّ مُوسَى لَمَا نزلَتْ عليه التوراةُ وَقَرأَها فوجد فيها ذِكْرَ هَذِه الأُمَّةِ قال: يا ربِّ إني أَجِدُ في الأَلواح أمةً هم المستجيبون المستجاب لهم فاجعلهم أُمتي. قال: تلك أُمةُ أَحمد. قال يا ربّ إِني أَجِدُ في الأَلواح أمةً أَناجيلهم في صدورهم يقرأُونه ظاهراً، فاجعلها أُمتي. قال: تلك أمة أَحمد، قال: يا رب إني أجد أُمةً يأكلون الفيء فاجعلها أمتي قال: تلك أمة أحمد قال: يا رب إِني أجد في الأَلواح أُمة يجعلون الصدقةَ في بطونهم يُؤجرون عليها فاجعلها أُمتي. قال: تلك أُمة أَحمد قال: يا رب إِني أَجد في الأَلواح أُمةً إِذا هَمَّ أَحدهم بحسنة فلم يَعملها كُتبت له حسنة واحدة، وإِنْ عَمِلَها كُتِبَتْ له عشْرُ حسنات، فاجعلها أُمتي. قال: تلك أُمة أَحمد. قال: يا رب إِنّي أَجد في الأَلواح أُمةً إِذا هَمَّ أَحدهم بسيئة فلم يعلمها لم تكتب، وإِن عَمَلَهَا كُتِبَتْ عليه بسيئةٍ واحدةٍ، فاجعلها أُمتي قال: تلك أُمةُ أَحْمَدَ. قال: يا رَبِّ إِني أَجِدُ في الأَلواح أُمةً يُؤْتَوْن العِلْمَ الأَول والعلم الآخَرَ، فيقتلون قرن الضلال المَسِيح الدَّجَّال فاجعلها أُمتي قال: تلك أُمةُ أَحْمَدَ. قال: يا رب فاجعلني من أُمة أَحمد، فأُعطي عند ذلك خَصْلتين. قال: ﴿إني اصطفيْتُك على الناس برسالاتي وبِكَلامي فخُذ ما آتيْتك وكُن مِن الشاكرين﴾ قال له قد رضيتُ**»[1].

وروى ابن سَعْدٍ عن محمد بن كعب القُرَظيّ قال أَوْحىَ الله تَعالى إِلى يعْقُوب عليه الصَّلاة والسلام: أَني أَبْعَثُ من ذُرِّيَّتِكَ ملوكاً وأَنْبِيَاءَ حَتَّى أَبْعَثَ النَّبِّي الحَرَمِيّ الذي تَبْني أُمته هيكلَ بَيْتِ المَقْدِسِ وهو خَاتَمُ الأَنْبِيَاءِ وَآسْمُهُ أَحْمَدُ.

وروى أَيضاً عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: أَوحى الله تعالى إِلى بعض أَنبياء بني إِسرائيل: آشْتَدَّ غَضَبِي عليكُم من أَجل مَا ضَيَّعْتُم مِنْ أَمْرِي، فَإِنِّي حَلَفْتُ لا يأْتِيَكُمْ رُوح القُدُسِ حتى أَبعثَ النبيَّ الأُميَّ من أَرض العرب الذي يأْتيه روح القُدسُ.

وروى أَبو نُعَيْم عن كعب رحمه الله تعالى قال: كان أَبي من أَعْلم الناس بما أَنزل الله على موسى، وكان لم يدخر عَنِّي شيئاً مما كان يعلم، فلما حَضَرَه المَوْتُ دعاني فقال لي: يا بنيّ إِنك قد علمت أَني لم أَدَّخر عنك شيئاً أَعلمه إِلا أَني قد حبست عنك ورقَتَيْن فيهما

---

(١) أخرجه أبو نعيم في الدلائل ١٤/١، وذكره السيوطي في الدر المنثور ١٢٤/١ وعزاه له.

نبيٌّ يُبْعث قد أَطلَّ زمانه، فكرهت أَن أُخبرك بذلك، فلا آمن عليك أَن يَخْرج بعضُ هؤلاء الكذابين فتطيعه، وقد جعلتهما في هذه الكُوّة التي ترى وطيّنت عليهما فلا تتعرض لهما ولا تنظر فيهما حينك هذا، فإن الله إن يُرِدْ بك خيراً ويخرج ذلك النبي تَبِعْته.

ثم إنَّه مات فَدَفنَّاه، فَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ أَحَبَّ إليّ مِنْ أَنْ أَنْظُرَ في الوَرَقتين، فَفَتَحْتُ الكُوّة ثُمَّ اسْتخرجْتُ الورقَتَيْنِ فإذا فيهما: مُحَمَّدٌ رَسُولُ الله خاتَمُ الأَنبياء، لا نبيَّ بعده، مَوْلده بمكة وُمهَاجَره بطَيْبة، لا فَظ ولا غليظ ولا سخَّاب في الأَسواق، ويجزي بالسيئة الحسنة، ويعفو ويصفح أُمَّته الحمَّادون الذين يحمدون الله على كل حال، تُذَلَّل أَلسنتهم بالتكبير، ويُنصَر نَبِيُّهم على كل من ناوأه، يغسلون فروجَهم ويأْتزرون على أَوساطهم، أَناجيلهم في صدورهم، وتراحمهم بينهم كتراحم بني الأُمّ، وهم أَوَّلُ من يدخل الجنة يوم القيامة من الأُمم.

فمَكثْتُ ما شاء الله ثم بلغني أَن النَّبيّ ﷺ قد خَرَجَ بِمَكَّةَ، فأَخَذْتُ أَسْتَثْبتُ ثم بلغني أَنه تُوُفي وأَن خليفته قد قام مقامه، وجاءتْنا جنودهُ، فقلت: لا أَدخل في هذا الدّين حتى أَنظر سيرتهم وأَعمالهم، فلم أَزل أُدافع ذلك وأُؤخره لأَستثبت حتى قدِم علينا عُمَّالُ عُمَرَ بن الخطاب، فلما رأَيتهم رأَيت وفاءهم بالعهد وما صنع الله لهم على الأَعداء، فعلمت أَنهم هم الذين كنت أَنتظر.

فو الله إني ذات ليلة فوق سَطْحِي فإذا رجل من المسلمين يتلو قولَ الله تعالى: ﴿**يَأَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقاً لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهاً**﴾ الآية.

فلما سمعت هذه الآية خَشِيت أَن لا أُصبح حتى يُحَوَّل وجهي في قفاي، فما كان شيء أَحبَّ إلي من الصباح، فغدوت في المسلمين.

نَاوَأَهُ: أَيْ نَاهَضَه وَعَادَاهُ.

وروَىَ ابنُ سَعْدٍ عن سِهْلٍ مَوْلَى عَثْمَةَ أَنه كان نَصْرانياً وكان يتيماً في حجر أُمه وعمّه، وأَنَّه كان يقرأ الإنجيل قال: فأَخذت مُصْحفاً لعمي فقرأْته حتى مرَّ بي ورقةٌ فأَنكرت كثافتها حين مرَّت بي، ومسَسْتُها بيدي ونظرت فإذا فضولُ الورقة مُلْصَقة بغرا قال ففتشْتُها فوجدت فيها نَعْتَ محمد ﷺ: أَنه لا قصيرٌ ولا طَوِيلٌ أَبيضُ ذُو ضَفيرَتَيْنِ بين كتفيه خاتم النبوة، يُكْثِر الاحْتِباء[١]، ولا يقبل الصَّدَقَةَ، ويركب الحِمَار والبَعِير ويحلب الشَّاة، ويلْبَس قميصاً مَرْقوعاً، ومن فعل ذلك برِىءَ من الكِبْر، وهو من ذرية إسْمَاعيلَ، اسْمُهُ أَحْمَد.

قال سهل: فلما انتهيت إلى هذا من ذكر محمد ﷺ جاء عمي فلما رأَى الورقة

(١) يقال: احتبى بالثوب: أداره على ساقيه وظهره وهو جالس، انظر المعجم الوسيط ١/١٥٤.

ضربني وقال لي: مالك وفَتْحَ هذه الورقة وقراءتها؟! فقلت: فيها نَعْتُ النبي أَحمد ﷺ فقال: إنه لم يأت بعدُ.

وروي أَيضاً عن عبد الحميد بن جعفر[1]، عن أَبيه، قال: كان الزَّبير بن باطَا، وكان أَعلم يهود يقول: إِني وجدت سِفْراً وكان أَبي يَخْتمه عليَّ فيه ذكر أَحمد حتى يخرج بأَرض القَرْظ، صفته كذا وكذا، فتحدث به الزبير بعد أَبيه والنبي ﷺ لم يُبعث، فما هو إِلا أَن سَمِع بالنبي ﷺ قد خرج بمكة عمد إِلى ذلك السِّفْر فمحاه وكتَم شأنَ النبي ﷺ، وقال: ليس به.

الزَّبير، بفتح الزاي كما هو ظاهر كلام القَامُوسِ.

وروي أَيضاً عن وهب بن مُنَبِّه[2] رحمه الله تعالى قال: أَوحى الله إِلى شَعْيا: إِني باعثٌ نبياً أُمياً أَفتح به آذاناً صُمّاً وقلوباً غُلْفاً وأَعيناً عُمْياً، مولده بمكة، ومُهَاجره بطَيْبة، ومُلْكه بالشام، عَبْدي المتوكل المصطفَى المرفوع، الحبيب المنتخَب المختار، لا يجزى بالسيئةِ السيئةَ ولكن يعفو ويصفح ويغفر، رحيماً بالمؤمنين، يبكي للبهيمة المُثقَلة، ويبكي لليتيم في حجر الأَرملة، ليس بفظ ولا غليظ ولا سخَّاب في الأَسواق ولا متزيّن بالفحش ولا قَوَّال بالخَنَا لو يمُرُّ إِلى جنب السِّرَاج لم يطفئه من سَكِينته، ولو يمشي على القصب الرَّعرَاع، يعني اليابس، لم يُسمع من تحت قدميه، أَبعثه مبشِّراً ونذيراً، أُسدِّده لكل جميل وأَهَبُ له كلَّ خُلق كريم، أَجعل السَّكِينة لباسه والبرَّ شِعاره، والتقوى ضميره والحكمةَ مَعْقولَه، والصدق والوفاء طبيعته، والعفو والمغفرة والمعروف خُلُقَه، والعدلَ سيرته والحقَّ شريعته، والهُدَى إِمامه، والإِسلام ملته وأَحمد اسمه، أَهْدي به بعدَ الضلالة وأُعلِّم به بعد الجَهالة، وأَرفع به بعد الخَمالة، وأُسَمِّي به بعد النُّكْرة، وأُكثِّر به بعد القِلَّة، وأُغنِي به بعدَ العَيْلة وأَجمع بهبعد الفُرقْة، واؤلف به بين قلوب وأَهواء متشتتة وأُمَم مختلفة، وأَجعل أُمته خير أُمةٍ أُخرجت للناس، أَمراً بالمعروف ونَهْياً عن المنكر، وتوحيداً لي وإِيماناً بي وإِخلاصاً لي، وتصديقاً بما جاءت به رُسُلي، وهم رُعَاة الشمسِ، طوبَى لتلك القلوب والوجوه والأَرواح التي أَخلصت لي، أُلْهمهم التسبيحَ والتكبير والتحميد والتوحيد في مساجدهم ومَجَالِسهم ومَضَاجِعهم ومُنْقَلبهم ومَثْواهم، يصفّون في

(١) عبد الحميد بن جعفر بن عبد الله بن الحكم بن رافع الأنصاري المديني، الإمام المحدث الثقة، أبو سعد حدث عن: أبيه ونافع ومحمد بن عدن بن عطاء وسعيد المقبري وعم أبيه عمر بن الحكم ويزيد بن أبي حبيب وجماعة وعنه: يحيى القطان، وابن وهب، وغيرهم، مات عبد الحميد في سنة ثلاث وخمسين ومائة احتج به الجماعة سوى البخاري وهو حسن الحديث. انظر سير أعلام النبلاء ٧/٢٠، ٢١، ٢٢.

(٢) وهب بن مُنَبِّه بن كامل الأَبْنَاوي الصَّنْعَاني أبو عبد الله الأخباري. عن ابن عباس وجابر وأبي سعيد وطائفة. وعنه سِمَاك بن الفضل وهَمَّام بن نافع وخلق. وثقه النسائي. قال مسلم بن خالد: لبث وهب أربعين سنة لم يرقد على فراشه. قتله يوسف بن عمر سنة عشر ومائة. له في (خ) حديث. الخلاصة ١٣٨/٣.

مساجدهم كما تصف الملائكة حولَ عرشي، هُمْ أوليائي وأَنصاري، أَنتقم بهم من أَعدائي عبدَة الأَوثان، يُصَلُّون لي قياماً وقعوداً وسجوداً، ويخرجون من ديارهم وأَموالهم ابتغاء مرضاتي أُلوفاً فيقاتلون في سبيلي صفوفاً وزحوفاً، أَخْتم بكتابهم الكتبَ وبشريعتهم الشرائعَ وبدينهم الأَديان، فمن أَدركهم فلم يؤمن بكتابهم ويدخل في دينهم وشريعتهم فليس منِّي وهو منِّي بريء، وأَجعلهم أَفضلَ الأمم وأَجعلهم أُمةً وسَطاً شهداء على الناس، إذا غضبوا هَلَّلوني، وإذا قبضوا كبَّروني، وإذا تنازعوا سبَّحوني، يطهِّرون الوجوه والأَطراف ويشدُّون الثيابَ إلى الأَنصاف، ويهلِّلون على التِّلاَل والأَشراف، قُرْبانهم دماؤهم، وأَناجيلُهم صُدورهم، رُهبانٌ بالليل لُيُوثاً بالنهار، ويناديهم مناديهم في جَوِّ السماء لهم دَوِيٌّ كدويِّ النحل.

طُوبَى لمن كان معهم وعلى دينهم ومَنَاهجهم وشريعتهم، ذلك فَضْلي أُوتيه من أَشاء وأَنا ذو الفضل العظيم.

«القصَب» بالقاف والصاد معروف. الزَّعْرَاع: الطويل.

قال ابن قتيبة[1]: إذا طال القصبُ فهبَّتْ عليه أَدْنَى ريح، أَو مَرَّ به أَلطَفُ شخص: تحركَ وصوَّت، فأَراد عز وجل أَن النبي ﷺ وقورٌ ساكن الطائر.

«الخَنَا»: بفتح المعجمة والقصر: الفُحْش. وأُعلِّم بهمزة مضمومة ولام مشددة مكسورة.

وروى البيهقي عن وهب بن منّبه رحمه الله تعالى قال: أَوحى الله في الزَّبور إلى داود: يا داود إنه سيأتي من بعدك نبيٌّ اسمه أَحمد ومحمد، صادقاً لا أَغضب عليه أَبداً ولا يعصيني أَبداً، وقد غفرتُ له ما تقدَّمَ من ذَنْبه وما تأَخر. الحديث.

الأَحاديث والآثار في ذلك كثيرة، أَفْردها بالتصنيف خلائق.

---

(١) عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، أبو محمد: من أئمة الأدب، ومن المصنفين المكثرين. ولد ببغداد وسكن الكوفة. ثم ولي قضاء الدينور مدة، فنسب إليها. وتوفي ببغداد. من كتبه «تأويل مختلف الحديث» و «أدب الكاتب» و «المعارف» وكتاب «المعاني» ثلاثة مجلدات، و «عيون الأخبار» و «الشعر والشعراء» و «الإمامة والسياسة» وللعلماء نظر في نسبته إليه، و «الأشربة» و «الرد على الشعوبية» و «فضل العرب على العجم» وغريب القرآن وغير ذلك توفي سنة ٢٧٦، انظر الأعلام ١٣٧/٤.

الباب التاسع

فيما أخبر به الأحبار والرهبان والكهان بأنه النبي المبعوث في آخر الزمان

عن سلمان رضي الله تعالى عنه قال:

كنت رجلاً من أَهل فارس، وفي رواية من أَهل جَيّ، وكان أَبي دِهْقَان رامُهْرمز، أَي رئيسها، وكان يحبّني حبّاً شديداً، حتى حبسني في البيت كما تحبس الجارية، واجتهدت في المجوسية حتى كنت قَطَنَ النار، أَي خازنَها وخادمها. وفي لفظ: وكان أَهل قريتي يعبدون الخيل البُلْق، فكنت كذلك لا أَعلم من أَمر الناس شيئاً إلا ما أَنا فيه، وأَعرف أَنهم ليسوا على شيء، وكان لي أَخ أَكبر مني. وفي لفظ: ابن صاحب رامهرمز، فكان إِذا قام من مجلسه خرج فتقنَّع بثوبه ثم صعد الجبل، وكان يفعل ذلك غيرَ مرةٍ متنكراً، فقلت: أَمَا إِنَّك تفعل كذا وكذا، فلم لا تذهب بي معك؟ قال: إِنك غلام وأَخاف أَن يظهر منك شيء. قلت: لا تخف. قال: فإِن في هذا الجبل قوماً في برطيل لهم عِبادة وصلاح، يذكرون الله تعالى ويذكرون الآخرة، ويزعمون أَنَّا عَبَدَةُ الأَوثانِ والأَصنام وعبدَة النيران وأَنَّا على غير دين. قلت: فاذهب بي معك. قال: حتى استأْمرهم وأَنا أَخاف أَن يظهر منك شيء فيعلم أَبي فيقتلهم فيجري هلاكُهم على يدي. قال: قلت لا يظهرُ منّي ذلك. فاستأْمَرهم. فقالوا جِيء به فذهبتُ معه فانتبهت إِليهم فإِذا هم ستة أَو سبعة، وكأَن الروحَ خرجت منهم من العبادة، يصومون النهار ويقومون الليل يأْكلون الشجر وما وجدوا، فقعدنا إِليهم فحمدوا الله وأَثنوا عليه وذكروا من مضى من الرسل والأَنبياء حتى خلصوا إِلى عيسى ابن مريم فقالوا: بَعثه اللهُ وولد بغير ذَكَر، بعثه رسولاً وسخر له ما كان يَفعل من إِحياء الموتى وخلق الطير وإِبراءِ الأَكْمَه والأَبرص، فكفر به قومٌ وتبعه قوم، وإِنما كان عبدَ الله ورسوله ابتلى به خَلْقه. ثم قالوا: يا غلام إِن لك ربّاً وإِن لك مَعاداً، وإِنَّ بين يديك جنةً وناراً إِليها تصير، وإِنَّ هؤلاء القوم الذين يعبدون النيران أَهلُ كفر وضلالة لا يرضى الله بما يصنعون، وليسوا على دين.

ثم انصرفنا ثم عدنا إِليهم فقالوا مثل ذلك وأَحسَن، فلزمتُهم فقالوا لي: يا سَلْمان إِنك غلام، وإِنك لا تستطيع أَن تصنع ما نصنع، فصَلِّ ونَمْ وكل واشرب.

قال: فاطَّلع الملكُ على صنيع ابنه فركب في الخيل حتى أَتاهم في برطيلهم فقال: يا هؤلاء قد جاورتموني فأَحسنت جواركم ولم تروا مني سوءاً فعمدتم[1] إِلى ابني فأَفسدتموه عليّ قد أَجَّلتكم ثلاثاً، فإِن قدرت عليكم بعد ثلاث أَحْرقتُ عليكم برطيلكم هذا،

(١) في أ: فعهدتم.

فالحقوا ببلادكم فإِني أَكره أَن يكون مني إِليكم سوء. قالوا: نعم ما تعَمَّدْنا مساءتك، وما أَردنا إِلا الخير.

فكفَّ ابنُه عن إِتيانهم فقلت له: اتق الله، إِنك تعرف أَن هذا الدين دِينُ الله، وأَن أَباك ونحنُ على غَيْر دين، إِنما هم عبدة النيران لا يعرفون الله، ولا تَبعْ آخرتك بدنيا غيرك. قال: يا سلمان هو كما تقول، وإِنما أَتخلَّفُ عن القوم بُقْيا عليهم، إِن تبعتُ القومَ طلبني أَبي في الخيل، وقد جزع من إِتياني إِيّاهم حتى طردهم، وقد أَعرف أَن الحق في أَيديهم. قلت: أَنت أَعلم.

ثم لقيت أَخي فعرضت عليه فقال: أَنا مشتغل بنفسي في طلب المعيشة. فأَتيتهم في اليوم الذي يريدون أَن يرتحلوا فيه فقالوا: يا سلمان قد كنا نحذر فكان ما رأَيت، فاتَّق الله واعلم أَن الدِّين ما أَوصيناك به، وأَن هؤلاء عبَدة الأَوثان لا يعرفون الله ولا يذكرونه ولا يَخْدعنك أَحدٌ عن ذلك.

وفي رواية: وكان لأَبي ضيعة عظيمة فشُغل في بنيان له يوماً فقال لي: يا بني إِني قد شُغلْت في بنياني هذا اليوم عن ضيعتي، ولا بُدَّ لي من اطِّلاعها، فانطلق إِليها فمرهم بكذا وكذا ولا تحتبس عني تشغلني عن كل شيء.

فخرجت أُريد ضيعته فمررت بكنيسة النصارى فسمعت أَصواتهم فيها، فقلت ما هذا؟ فقالوا: هؤلاء النصارى يصلُّون. فدخلت أَنظر فأَعجبني مارأَيت من حالهم، فوالله ما زلت جالساً عندهم حتى غربت الشمس وبعث أَبي في طلبي في كل وجه حتى جئته حين أَمسيت، ولم أَذهب إِلى ضيعته، فقال: أَين كنت؟ فقلت: يا أَبتاه مررت بناس يقال لهم النصارى فأَعجبني صلاتهم ودعاؤهم فجلست أَنظر كيف يفعلون: فقال: أَي بُنَيَّ دِينُك ودين آبائِك خيرٌ من دينهم. فقلت: لا والله ما هو بخير من دينهم، وهؤلاء قوم يعبدون الله ويَدْعونه ونحن إِنما نعبد ناراً نوقدها بأَيدينا إِذا تركناها ماتت.

فخافني فجعل في رجلي حديداً وحبسني عنده، فبعثت إِلى النصارى فقلت لهم: أَين أَصْلُ هذا الدين الذي أَراكم عليه؟ قالوا بالشام. فقلت: إِذا قدِم عليكم من هناك ناسٌ وقضَوا حوائجهم فآذِنُوني أَي أَعلموني: فلما قَدِم عليهم ناس وقَضَوْا حوائجهم بعثوا إِليّ بذلك فطرحت الحديدَ الذي كان في رجلي ولحقت بهم.

ثم إِن الملك اطَّلع على القوم الذين في الجبل فأَمرهم بالخروج من بلاده فقلت: ما أَنا بمفارقكم. فقالوا إِنك لا تَقْدر أَن تكون معنا نحن نصوم النهار ونقُوم الليل ونأْكل الشجر وما أَصبنا، وأَنت لا تستطيع ذلك. قلت: لا أُفارقكم. قالوا: أَنت أَعلم، قد أَعلمناك حالَنا فإِذا جئت

فاطلب أَحَداً يكون معك واحمل معك شيئاً تأْكله، فإنك لن تستطيع ما نستطيع نحن. ففعَلْتُ ولقيتُ أَخي فعرضت عليه فأَبَى، فأَتيتهم فتحمَّلوا، فكانوا يمشون وأَمشي معهم، فرزق الله السلامةَ حتى قدِمْنا الموصل، فأَتينا بَيْعةً بالموصِل، فلما دخلوا حَفُّوا بهم وقالوا: أَين كنتم؟ قالوا: كنا في بلاد لا يذكرون الله تعالى عبَدة النيران، فطردونا فقدِمنا عليكم.

فلمّا كان بعدُ قالوا: يا سلمان إن ها هنا قوماً في هذه الجبال هم أَهل دين وإنا نريد لقاءهم فكن أَنت ها هنا مع هؤلاء فإنهم أهل دين وسترى منهم ما تحب. قلت: ما أَنا بمفارقكم قال: وأَوْصَوْا بي أَهَل البيعة فقال أَهلُ البيعة: أَقم معنا يا غلام فإنه لا يعجزك شيء ببَيْعتنا. قال: قلت ما أَنا بمفارقكم. فخرجوا وأَنا معهم فأَصبحنا بين جبال، فإِذا صخرة وماء كثير في جِرَار وخبز كثير، فقعدنا عند الصخرة، فلما طلعت الشمس خرجوا من بين تلك الجبال: يُخْرِجُ رجلٌ رجلاً من مكانه، كأَنَّ الأَرواح انتزِعت منهم حتى كثروا فرحبوا بهم وحَفُّوا وقالوا: أَين كنتم؟ قالوا: كنا ببلاد لا يذكرون الله تعالى، فيها عبدة النار وما يعبدون الله فيها، فطردونا. فقالوا: ما هذا الغلام؟ فطَفِقوا يثنون عليّ وقالوا صَحِبنَا من تلك البلاد فلم نر منه إِلا خيراً. قال: فوالله إنهم لكذلك إذ طلع عليهم رجل من كهف طِوَال، فجاء حتى سلَّم عليهم وجلس فحفُّوا به وعظَّمه أَصحابي الذين كنت معهم وأَحْدَقوا به، فقال لهم: أَين كنتم؟ فأَخبروه. فقال: ما هذا الغلام معكم؟ فأَثنوا عليَّ خيراً وأَخبروه باتّباعي إياهم، ولم أَر مثلَ إعظامهم إياه، فحمد الله وأَثنى عليه، ثم ذكَر من أَرسله الله تعالى من رسله وأَنبيائه ومالَقُوا وما صُنع بهم حتى ذكر عيسى ابن مريم وأَنه ولِد بغير ذَكر، فبعثه الله رسولاً وأَجرى على يديه إِحياء الموتى وإِبراء الأَعمى والأَبرص، وأَنه يَخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طيراً بإِذن الله، وأَنزل عليه الإِنجيل وعلَّمه التوراة، وبعثه رسولاً إِلى بني إسرائيل فكفر به قوم وآمن به قوم. وذكر بعضَ ما لقي عيسى ابن مريم، وأَنه إِنما كان عبداً أَنعم الله عليه فشكره ذلك له ورضِيَ عنه. ثم وعظهم وقال: اتقوا الله والزموا ما جاء به عيسى ولا تُخالفوا فيخالَف بكم.

ثم أَراد أَن يقوم فقلت: ما أَنا بمفارقك فقال: يا غلام إِنك لا تستطيع أَن تكون معي، إِني لا أَخرج من كهفي هذا إِلا كل يوم أَحد. قلت: ما أَنا بمفارقك.

قال: فتبعته حتى دخل الكهف فمارأَيته نائماً ولا طاعماً، إِلا راكعاً وساجداً إِلى الأَحد الآخَر، فلما أَصبحنا خرجنا واجتمعوا إِليه، فتكلم نحو المرة الأُولى ثم رجع إِلى كهفه ورجعت معه.

فلبثت ما شاء الله، يخرج كلَّ يوم أَحد ويخرجون إِليه ويعظهم، ويوصيهم. فخرج في أَحد فقال مثل ما كان يقول ثم قال: يا هؤلاءِ إِني كَبِرت سنِّي ورقَّ عَظْمي واقترب أَجَلي وإِنه لا عهد لي بهذا البيت من منذ كذا كذا، ولا بد لي من إِتيانه. فقلت: ما أَنا بمفارقك.

وخرجت معه حتى انتهيت إلى بيت المَقْدس فدخل فجعل يصلي، وكان فيما يقول لي: يا سلمان إن الله سوف يبعث رسولاً اسمه أَحمد يخرج بتِهامة، وإنه يأْكل الهدية ولا يأْكل الصدقة، بَيْنَ كتفيه خاتم النبوة وهذا زمانه الذي يخرج فيه قد تقارَب، فأَمّا أَنا فإني شيخ كبير ولا أَحسبني أُدركه، فإذا أَدركتَه أَنت فصدِّقْه واتبعه. قلت وإن أَمَرني بترك دِينك وما أَنت عليه؟ قال: نعم.

ثم خرج من بيت المقدس، وعلى بابه مُقْعَد، فقال: ناولني يدك. فناوله، فقال: قم باسم الله. فقام كأَنما نَشِط من عُقَال فخلَّى عن يده، فانطلق ذاهباً وكان لا يلوي على أَحد. فقال المقعد: يا غلام احمل عليَّ ثيابي حتى أَنطلق. فحملت عليه ثيابه وانطلق الراهب. فكلما سأَلت عنه قالوا: أَمامك فسرت حتى قدِمْت الشامَ، فقلت: من أَفضل هذا الدين؟ فقيل الأَسقف صاحب الكنيسة، فجئته فقلت له: إني أَحببت أَن أَكون معك في كنيستك وأَعبد الله فيها معك وأَتعلم منك الخير. قال: فكن معي، فكنت معه، وكان رجل سوء، كان يأْمرهم بالصدقة ويرغبهم فيها حتى إذا جمعوها إليه لم يعطها للمساكين، فأَبغضته بُغْضاً شديداً لِمَا رأَيت من حاله، فلم يَنْشَب أَن مات، فلما جاؤوا ليدفنوه قلت لهم: إن هذا كان رجلَ سوء، كان يأْمركم بالصدقة ويرغبكم فيها حتى إذا جمعتموها إليه اكتنزَها ولم يعطها للمساكين، فقالوا: وما علامة ذلك؟ قلت: أَنا أُخرج لكم كَنْزَه. فقالوا: هاته. فأَخرجت لهم سَبْع قِلاَل مملوءة ذهباً ووَرِقاً، فلما رأَوا ذلك رجموه بالحجارة وقالوا: لا ندفنه أَبداً فصلبوه على خشبة ورموه بالحجارة. وجاؤوا برجل آخر فجعلوه مكانه، فلا والله ما رأَيت رجلاً قط يصلي الخمس أَرى أنه أَفضل منه وأَشد اجتهاداً ولا زَهادةً في الدنيا، ولا أَدْأَب ليلاً أو نهاراً منه وما أَعلمني أَحبَبْتُ شيئاً قط حبَّه، فلم أَزل معه حتى حضرته الوفاة فقلت له يا فلان قد حضرك ما ترى، وإني والله ما أَحببتُ شيئاً قط حبَّكَ فماذا تأْمرني وإلى من تُوصيني؟ فقال لي: أَيْ بنيَّ والله ما أَعلمه إلا رجلاً بالموصِل فَائْتِهِ فإنك ستجده على مثل حالي.

فلما مات لحقتُ بالمَوْصِل فأَتيت صاحبَه فوجدته على مثل حاله من الاجتهاد والزهادة في الدنيا، فقلت له: إن فلاناً أَوصى بي إليك أَن آتيك وأَكون معك. فقال: فأَقم عندي. فأَقمت عنده على مثل أَمْر صاحبه، حتى حضرته الوفاة فقلت: إنَّ فلاناً أَوصى بي إليك وقد حَضرك من أَمر الله ما ترى فإلى من توصيني؟ قال: والله ما أَعْلَمه أي بُنَيَّ إلا رجلاً بنَصِيبين، وهو على مثل ما نحن عليه فالحَقْ به. فلما دفنَّاه لحقتُ بالآخر فقلت له: يا فلان إن فلاناً أَوصى بي إلى فلان وفلاناً أَوصى بي إليك. قال: فأَقم عندي فأَقمت عنده على مثل حالهم حتى حضرته الوفاة فقلت له: يا فلان إنه قد حضَرك من أَمر الله ما ترى، وقد كان فلان أَوصَى بي إلى فلان وأَوصى بي فلان إلى فلان، وأَوصى بي فلانٌ إليك، فإلى من توصيني؟

فقال: أَيْ بني، والله ما أَعلم أَحداً على مثل ما كنا عليه إلا رجلاً بعَمُورِيّة من أَرض الروم ائته فإنك ستجده على مثل ما كنا عليه. فلما مات ووارَيْته خرجتُ حتى قَدِمْت على صاحب عَمُوريّة، فوجدتُه على مثل حالهم فأَقمت عنده واكتسبتُ حتى كانت لي غُنَيْمة وبقرات، ثم حضرتُه الوفاة، فقلت: يا فلان إن فلاناً أَوصى بي إلى فلان، وفلان أَوصى بي إلى فلان، وفلان إلى فلان، وفلان إليك وقد حَضرك ما ترى من أَمر الله تعالى، فإلى من توصيني؟ فقال: أَيْ بني والله ما أَعلم بقي أَحدٌ على مثل ما كنا عليه أَمرك أَن تأْتيه، ولكنه قد أَظَّلك زمانُ نبيٍّ يُبعث من الحرَم، مُهاجَره بين حَرَّتين إلى أَرض سَبِخَة ذات نخل، وإن فيه علامات لا تخفَى: بين كتفيه خاتم النبوة، يأْكل الهديةَ ولا يأَكل الصدقة، فإن استطعت أَن تَخْلُص إلى تلك البلاد فافعل، فإنه قد أَظلَّك زمانه.

فلما واريناه أَقمت حتى مرَّتْ رجالٌ من تجار العرب من كَلْب، فقلت لهم: احملوني معكم حتى تَقْدموا بي أَرضَ العرب فأَعطيكم غُنَيْمتي هذه وبقراتي؟ قالوا: نعم. فأَعطيتهم إياها فحملوني حتى إذا جاؤوا بي واديَ القُرَى ظلموني فباعوني عبداً من يهودي بوادي القُرَى.

فوالله لقد رأَيت النخلَ وطمعت أَن تكون البلدَ الذي نعتَ لي صاحبي، وما خَفِيَتْ عنّي، حتى قدِم رجلٌ من بني قُرَيْظة من يهود بوادي القرى فابتاعني من صاحبي الذي كنت عنده، فخرج بي حتى قدِم بي المدينة.

وفي لفظ: فاشترتني امرأَة من الأَنصار فجعلتني في حائط لها. وفي رواية: اسمها خُلَيْسة بنت فلان حليف بني النجّار.

فوالله ما هو إلا أَن رأَيتها عرفتها، فعرفتُ نَعْته فأَقمت في رِقّي مع صاحبي في نَخْله.

وفي رواية أَنه مكث كذلك ستةَ عشر شهراً.

قال: فوالله إني لفيها إذ جاء ابنُ عم له فقال: يا فلان، قاتل الله بني قَيْلة، فوالله إنهم الآن لفي قُبَاء يجتمعون على رجل جاءهم من مكة يزعمون أَنه نَبيّ.

فوالله ما هو إلا أَن سمعتها فأَخذتني العُرَوَاء يعني الرِّعدةَ حتى ظننت لأَسقطن على صاحبي ونزلت أَقول: ما هذا الخبر؟ ما هو؟ فرفع مولاي يده فلكمني لكمةً شديدة وقال: مالك ولهذا؟ أَقبل على عملك. فقلت: لا شيء إلا أَنني سمعت خبراً فأَحببت أَن أَعْلَمه.

فخرجت وسأَلت فلقيت امرأَة من أَهل بلادي فسأَلتها، فإذا أَهلُ بيتها قد أَسلموا، فدلَّتني على رسول الله ﷺ، فأَمسيتُ وكان عندي شيء من طعام فحملته وذهبت به إلى رسول الله ﷺ وهو بقُبَاء فقلت: بلَغني أَنك رجل صالح، وأَن معك أَصحاباً غُرَباء، وقد كان عندي شيء من الصدقة، فرأَيتكم أَحقَّ من هذه البلاد فها هو ذا فكُلْ. فأَمسك رسولُ الله ﷺ يَده وقال: لأَصحابه كلوا ولم يأْكل. فقلت في نفسي: هذه خَلَّة مما وصَف لي صاحبي.

وفي حديث بُرَيدة عند أَحمد أَن سَلْمان جاء بمائدة بَطْ وفي رواية: بلحم جزور مَثْرود وفي رواية: بخُلالَ. فوضَعها بين يديْ رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ: **«ما هذا يا سَلْمان؟»** قال: صدقةٌ عليك وعلى أَصحابك. قال: **«ارفعها فإِنا لا نأْكل الصدقة»**. وجاءه من الغد بمثله فوضعه بين يديه فقال: **«ما هذا يا سلمان قال: هدية لك»** فقال رسول الله ﷺ لأَصحابه: **«انشطوا»**.

وذكر ابن إِسحاق أَنه جاءه بتمرٍ وأَخبره بأَنه صدقة يأْكله.

قال: ثم رجعت وتحوَّل رسول الله ﷺ إِلى المدينة فجمعت شيئاً كان عندي ثم جئت به فقلت: إِني قد رأَيتك لا تأْكل الصدقة، وهذه هدية وليست بصدقة.

وفي رواية عند ابن إِسحاق قال سلمان: كنت عبداً لامرأَة فسأَلتُ سيدتي أَن تهبَ لي يوماً، فعملت في ذلك اليوم على صاع أَو صاعين من تمر، فجئت به النبيَّ ﷺ، فلما رأَيت أَنه لا يأْكل الصدقة سأَلت سيدتي أَن تهب لي يوماً آخر، فعملت فيه على ذلك ثم جئت به هديةً للنبي ﷺ فقَبله وأَكل منه.

وفي الشمائل للترمذي أَنه أَتى بمائدة عليها رطب.

فأَكل رسول الله ﷺ فقلت: هذه خَلَّتان.

ثم جئت رسول الله ﷺ وهو يتبع جنازة رجل من أَصحابه وعليه شَمْلتان وهو في أَصحابه فاستدرت لأَنظر الخاتم الذي في ظهره، فلما رآني رسولُ الله ﷺ استدبَرْتُه عرف أَني أَسْتَثْبِتُ شيئاً قد وُصِف لي، فرفع رداءه عن ظهره فنظرت إِلى الخاتَم بين كتفيه كما وصَف لي صاحبي، فأَكْبَبْتُ عليه أُقبِّله وأَبكي، فقال: تَحَوَّلْ يا سلمان هكذا فتحولت فجلست بين يديه فأَحبَّ أَن يسمع أَصحابُه حديثي. فحدثته بمنزل كلثوم بن الهَدْم رضي الله تعالى عنه فقال: حدِّثني. فحدثته.

ثم شغلَ سَلْمانَ الرِّقُّ حتى فاته مع رسول الله ﷺ بَدْر وأُحد.

قال النووي رحمه الله تعالى: وأَولُ مَشَاهده الخندق.

قال سلمان: ثم قال لي رسول الله ﷺ: كاتِبْ يا سَلْمان. فكاتبتُ على خَمْسمائة فَسِيلة[١].

وفي رواية على ثلاثمائة وَدِيّة[٢] أَغْرسها بالفَقير وأَقوم عليها حتى تُطْعِم، وأَربعين أَوقية وأَعانني أَصحابُ رسول الله ﷺ بالنخل ثلاثين وَدِيّة وعشرين وَدِيّة وعشراً كلٌّ رجل على قدر

(١) الفسيلة: النخلة الصغيرة تقطع من الأم أو تقلع من الأرض فتغرس، انظر المعجم الوسيط ٦٩٦/٢.

(٢) الودي: صغار الفسيل، انظر المعجم الوسيط ١٠٣٤/٢.

ما عنده. فقال لي رسول الله ﷺ: **«فَقِّر لها»** فإذا فرغتَ فآذِنِّي حتى أكون أنا الذي أَضعهابيدي ففقَّرت لها وأَعانني أَصحابي حتى فرغنا منها، فجاء رسول الله ﷺ فكنا نَحْمل إليه الوَدِيّ ويضعه بيديه ويسوِّي عليها التراب، فغرسها كلها إلا نخلة واحدة غرستُها بيدي. وفي رواية: غرسها عمر. فأَطعم النخلُ كلها من سَنته إلا تلك النخلة. فقال رسول الله ﷺ: **«من غرسها»**؟ قالوا: عمر فنزعهاوغرسها بيده فحملتْ من عامها. فوالذي بعثه بالحق ما ماتت منها وَدِيّة واحدة.

وبقيتْ عليَّ الدراهم، فأَتاه رجل من بعض المعادن بمثل بَيْضة الحمامة من ذهب، فقال لي رسول الله ﷺ: **«خذ هذه يا سلمان فأَدِّها عنك دينك»**. فقلت: يا رسول الله وأَين تقع هذه مما عليَّ؟ فقَلبها على لسانه ثم قذفها إِليَّ ثم قال: **«انطلق بها، فإن الله سيؤدِّي بها عنك. فوالذي نفسي بيده لَوزَنْتُ لهم منها أَربعين أُوقية من ذهب فأَديتها وبقي عندي مثل ما أَعطيتهم»**.

رواه الإِمام أَحمد وابن سعد والبزار والطبراني وأَبو نَعيم وغيرهم[١]، من طرق أُدخلت بعضها في بعض وسُقْتها كما تقدم.

تنبيهات

الأَول: في رواية: أَن سلمان من فارس. وفي رواية: من أَهل إِصبهان بكسر الهمزة وفتحها. وفي رواية: أَنه من أَهل جَيّ بجيم مفتوحة فمثناة تحتية مشددة. وفي رواية: أَنه من رامَهُرْمز.

والجمع بين هذه الروايات: أَن جَيّ مدينة أَصبهان، وأَنه وُلِد بِرَامَهُرْمَزَ، وأَصله من فارس كما صرح بذلك في رواية أَبي سلمة بن عبد الرحمن[٢] كما في تاريخ أَبي نُعَيْم ودلائله.

الثاني: في رواية: أَنه قدَّم للنبي ﷺ تمراً. وفي رواية: رُطَباً. وفي رواية: خَلالاً بفتح الخاء المعجمة، وهو البلح. وفي رواية: لحم جزُور. وفي رواية: لحم بَطٍّ. وليس بمنكَر أَن يكون سَلْمانُ قَدَّم ذَلِكَ إِمّا في مجلس واحد فحدَّث بهذا مرةً وبهذا مرة، وإِما في مَجالس، كل واحد مما ذكر في مجلس، احتياطاً واستظهاراً.

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ٤٤١/٥، وأبو نعيم في الدلائل ٢١٣، وابن سعد في الطبقات ٥٦/٤. وما بعدها.

(٢) أبو سَلَمَة بن عبد الرحمن بن عَوْف الزُّهْرِي المدني أحد الأعلام. قال عمرو بن علي: ليس له اسم. عن أبيه وأُسامة بن زَيْد وأبي أيوب وخلق. وعنه ابنه عُمر وعُرْوَة والأعرج والشعبي والزُّهْرِي وخلق. قال ابن سعد: كان ثقة فقيهاً كثير الحديث، ونقل الحاكم أبو عبد الله أنه أحد الفقهاء السبعة عن أكثر أهل الأخبار. مات سنة أربع وتسعين وقال الفَلاَّس: سنة أربع ومائة. الخلاصة ٢٢١/٣.

الثالث: في بيان غريب ما سبق:

الدِّهقان[١]: بكسر الدال المهملة وضمها: شيخ القرية العارف بالفِلاَحة وما يُصلح الأَرض من الشجر، يُلجأُ إليه في معرفة ذلك وهو معرَّب.

رَامَهُرْمَز: بفتح الميم الأُولى وضم الهاءِ وفتح الميم الثانية وسكون الراء بعدهما زاي: كورة بالأَهواز.

البِرْطيل[٢]: بكسر الباء الموحدة: حجر عظيم مستطيل.

الأُسقُفُّ: بالتشديد: عالِم النصارى الذي يقيم لهم أَمرَ دينهم، ويقال أُسْقُفٌ بالتخفيف أيضاً.

العَذْق[٣]: بفتح العين المهملة وسكون الذال المعجمة: النخلة. وبكسر العين الكِبَاسة بكسر الكاف، وهو عنقود النخلة.

بنو قَيْلة: بفتح القاف فمثناة تحتية ساكنة فلام مفتوحة، هي أُم الأَوس والخزرج العُرَوَّاء[٤]، بعين مهملة مضمومة فراء مفتوحة فواو فراء مشددة فأَلف: الرِّعدة من البرد والانتفاض. العُرَقاء: بعين مهملة مضمومة فراء مفتوحة فقاف وأَلف ممدودة.

لكمني: ضربني بُجمْعه واللكم: شبيه اللَّكْز.

الشَّمْلة: الكِسَاء الغليظ يشتمل به الإِنسان، أَي يلتحف به.

الرِّق: العبودية.

الفَقِير: بفاء مفتوحة فقاف مكسورة فياء: اسمٌ لحديقة بالعالِية بقرب بني قُرَيْظة.

وقد خَفِي ذلك على بعضهم فقال كما نقله أَبو الفتح:[٥]: قوله: «بالفَقِير» الوجه: إِنما بالتَّفْقير. قال السيد: والصواب بالفَقِير وهو اسم موضع.

الوَدِيّ: بكسر الدال المهملة وتشديد الياء: فراخ النخل. فَقَّرتُ: حفرت.

---

(١) الدِّهَقانُ الدُّهقانُ: التاجر فارسي معرب... وهم الدهاقنة والدهاقين قال:

إذا شئت غشني دهاقين قرية وصناجة تحد وعلى كل منسم

انظر السان ١٤٤٢/٢.

(٢) والبرطيل: حجر أو حديد طويل صُلب خلقة ليس مما يُطوِّله الناس ولا يحددونه تنقر به الرحا اللسان ٢٥٩/١، والوسيط ٥٠/١.

(٣) انظر اللسان ٢٨٦١/٤، المصباح المنير ٣٣٩، والوسيط ٥٩٠/٢.

(٤) انظر اللسان ٢٩١٨/٤، والوسيط ٥٩٧/٢.

(٥) عثمان بن جني الموصلي، أبو الفتح: من أئمة الأدب والنحو، وله شعر. ولد بالموصل وتوفي ببغداد، عن نحو ٦٥ عاماً. وكان أبوه مملوكاً رومياً لسليمان بن فهد الأزدي الموصلي. من تصانيفه رسالة في «من نسب إلى أمه من الشعراء» و «شرح ديوان المتنبي» و «المبهج» في اشتقاق أسماء رجال الحماسة، و «المحتسب» في شواذ القرآت، وغير ذلك وهو كثير. وكان المتنبي يقول: ابن جنّي أعرف بشعري مني. توفي سنة ٣٩٢هـ. الأعلام ٢٠٤/٤.

قال ابن إِسحاق رحمه الله تعالى: عن عمر بن عبد العزيز(١) قال: حُدِّثت عن سَلْمان أن صاحب عَمُّورية قال لسَلْمان حين حضرته الوفاة: ائتِ غَيْضتين من غيض الشام، فإن رجلاً يخرج من إحداهما إلى الأُخرى في كل سنة ليلة يعترضه ذوو الأَسقام فلا يدعو لأَحد به مرضٌ إلا شُفِي، فاسأَله عن هذا الذي تسأَلني عنه.

فخرجتُ حتى أَقمت بها سنةً حتى خرج تلك الليلة، فأَخذتُ بمنكِبه فقلت: رحمك الله [أَخبرني عن] الحنيفية دين إبراهيم قال: قد أَظلك زمان نبيٍّ يخرج عند هذا البيت بهذا الحرم يُبعث بذلك الدِّين.

فلما ذكر ذلك سلمانُ للنبي ﷺ قال: لئن كنت صدَقْتني يا سلمان لقد رأَيت عيسى بن مريم.

غَيْضتين: الغَيْضة: الشجر الملتفُّ.

قال السُّهيلي(٢) رحمه الله تعالى: وإِسناد هذا الحديث مقطوع، وفيه رجل مجهول ويقال هو الحسن بن عُمَارة(٣)، وهو ضعيف.

فإِن صح الحديث فلا نَكَارة في مَتْنه. فقد ذكر الطَّبراني أَن المسيح ﷺ نزلَ بعدما رُفع وأُمُّه وامرأَة أُخرى عند الجذع الذي فيه الصليب تبكيان عليه، فكلمهما وأَخبرهما أَنه لم يُقتل وأَن الله تعالى رفعه، وأَرسل إلى الحواريّين ووجَّههم إلى البلاد. وإذا جاز أَن ينزل مرةً جاز أَن ينزل مراراً، ولكن لا يُعْلم أَنه هو حتى ينزل النزولَ الظاهر يكسر الصليب وَيَقْتل الخنزير كما جاء في الصحيح.

قال الحافظ أَبو الخير السَّخَاوي في كتابه: «التحصيل والبيان في سِيَاق قصة السيد سَلْمان»: وما نقله ابنُ جَرير يحتاج إلى دليل. انتهى.

---

(١) عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص الأموي، أمير المؤمنين، أمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطّاب، ولي إمرة المدينة للوليد، وكان مع سليمان كالوزير، وولي الخلافة بعده، فعدّ مع الخلفاء الراشدين، من الرابعة، مات في رجب سنة إحدى ومائة، وله أربعون سنة، ومدة خلافه سنتان ونصف. التقريب ٢/ ٥٩- ٦٠.

(٢) عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد الخثعمي السهيلي: حافظ، عالم باللغة والسير، ضرير. ولد في مالقة، وعمي وعمره ١٧ سنة. ونبغ، فاتصل خبره بصاحب مراكش فطلبه إليها وأكرمه، فأقام يصنف كتبه إلى أن توفي بها. من كتبه «الروض الأنف - ط» في شرح السيرة النبوية لابن هشام، و «تفسير سورة يوسف» و «التعريف والإعلام في ما أبهم في القرآن من الأسماء والأعلام» و «الإيضاح والتبيين لما أبهم من تفسير الكتاب المبين» و «نتائج الفكر» بتحقيقنا توفي سنة ٥٨١هـ. الأعلام ٣/٣١٣.

(٣) الحسن بن عُمارة البَجَلي، ضعيف إلى حد اتهامه بالوضع، كما روي ذلك عن علي بن المديني، وتركه أحمد، وقال ابن معين: ليس بشيء، وقال الجوزجاني: ساقط، وتركه مسلم، وأبو حاتم، والدارقطني. الميزان ١/٥١٣، التهذيب ٢/٣٠٤ .

قلت: ما ذكره ابن جرير رواه في تفسيره عبدُ بن حُمَيْد[١] وابنُ المنذِر من طريق آخر عن وهب بن مُنبِّه.

وروى البخاريّ والبيهقي عن سَلْمان رضي الله تعالى عنه أنه تَداوله بضعة عشر ربّاً مِن ربٍّ إلى رب.

ونقل السهيلي عن مصنَّف حَمَّاد بن سلمة[٢] رحمه الله تعالى أن الذين صَحِب سلمانُ من النصارى كانوا على الحق، على دين عيسى ابن مريم، وكانوا ثلاثين يداولونه سيداً بعد سيد.

قال الذهبي رحمه الله تعالى: وجدت الأَقوالَ في سِنِّ سلمان كلها دالة على أنه جاوز المائة والخمسين، والاختلاف إنما هو في الزائد. قال: ثم رجعت عن ذلك وظهر لي أنه ما جاوز الثمانين.

قال الحافظ: لم يذكر مُستَنده في ذلك، وأَظنه أَخذه من شهود سلمان الفتوحَ بعد إعلامه النبي ﷺ وتزوّجه امرأَة من كِنْدة وغير ذلك، مما يدل على بقاء بعض النشاط.

لكن إن ثبت ما ذكره يكون ذلك من خوارق العادات في حقه، وما المانع من ذلك؟.

فقد روى أَبو الشيخ في طبقات الأَصبهانيين من حديث العباس بن يزيد قال: أَهل العلم يقولون: عاش سلمان ثلاثمائة وخمسين سنة فأَما مائتين وخمسين فلا يشكّون فيها. انتهى.

وروى ابن إسحاق عن عاصم بن عمر بن قَتَادة[٣] قال: حدثنا أَشياخٌ شتَّى قالوا: لم يكن أَحدٌ من العرب أَعلم بشأْن رسول الله ﷺ منا، كان معنا يهود، وكانوا أَهلَ كتاب وكنا أَهلَ وثن، وكنا إذا بلَغْنا منهم ما يكرهون قالوا: إن نبيّاً مبعوثاً الآن قد أَظلَّ زمانُه نتبعه فنقتلكم معه قتل عادٍ وإرم. فلما بَعثَ الله تعالى رسوله ﷺ اتبعناه وكفروا به، ففيهم أَنزل الله ﴿**وكانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتفْتِحُون على الذِين كَفرُوا، فَلـمَّا جاءهم ما عَرَفُوا كَفرُوا به فَلَعْنَةُ اللهِ على الـكافرين**﴾.

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: كانت يهود خيبر تقاتل يهود غَطفانَ، فلما

---

(١) عبد بن حميد بن نصر الكسي، أبو محمد: من حفاظ الحديث. قيل اسمه عبد الحميد، وخفف. من كتبه «تفسير» للقرآن الكريم، و «مسند». توفي سنة ٢٤٩هـ. الأعلام ٢٦٩/٣.

(٢) حمَّاد بن سَلَمة بن دِينَارِ الرَّبَعِي أو التَّيمِي أو القُرَشِي مولاهم أبو سَلَمة البَصْرِي أحد الأعلام. عن ثابت وسِمَاك وسَلَمَة بن كُهَيْل وابن أبي مُلَيْكة وقتادة وحُمَيْد وخلق. وعنه ابن جَرِيح وابن إسحاق شيخاه وشُعْبة ومالك وحَبَّان بن هلال والقَعْنَبِي وأمم. قال القطان: إذا رأيت الرجل يقع في حماد فاتهمه على الإسلام. وقال ابن المبارك: ما رأيت أشبه بمسالك الأول من حماد. وقال وُهَيْب بن خَالِد: كان حماد بن سلمة سيدنا وأعلمنا. قال حماد: من طلب العلم لغير الله مكر به. توفي سنة سبع وستين ومائة. الخلاصة ٢٥٢/١.

(٣) عاصم بن عمر بن قتادة بن النعمان الأوسي الأنصاري، أبو عمر المدني ثقة عالم بالمغازي، مات بعد العشرين ومائة، انظر التقريب ٣٨٥/١.

التقوا انهزمت يهود خيبر. فعاذت اليهود بهذا الدعاءِ فقالوا: اللّهم إنا نسألك بحق محمد النبي الأُمي الذي وعَدْتنا أَن تخرجه لنا في آخر الزمان إلا نصَرْتنا عليهم فكانوا إذا التقوا دعَوْا بهذا الدعاء فهزَموا غَطَفان، فلما بُعث رسول الله ﷺ كفروا به، فأنزل الله عز وجل: ﴿**وكانُوا مِنْ قبلُ يَسْتفتحون عَلَى الَّذين كفروا فَلَمَّا جاءهم ما عَرَفُوا كَفَروا به فلعنة الله على الكافرين**﴾.

رواه الحاكم والبيهقي.

وعن سلمة بن سلامة بن وَقْش[١] بفتح الواو والقاف وإسكانها وبالشين المعجمة رضي الله تعالى عنه قال: كان بيننا يهودي فخرج على نادِي قومه بني عبد الأَشهل ذاتَ غداةٍ فذكر البعْثَ والقيامة والجنة والنار والحساب والميزان، فقال ذلك لأَصحاب وثن لا يرون أَن بعثاً كائنٌ بعد الموت، وذلك قَبْل مَبْعث النبي ﷺ، فقالوا: ويحك يا فلان! وهذا كائن أَن الناس مبعوثون بعدَ موتهم إلى دار فيها جنة ونار ويُجْزون من أَعمالهم؟ قال: نعم والذي يُحلَف به لودِدتُ أَن يكون حظي من تلك النار أَن توقِدوا أَعظم تَنُّور في داركم فَتُحْمُوه ثم تقذفوني فيه ثم تطيِّنوا عليّ وأَن أَنْجُوَ من تلك النار غداً. قالوا: فما علامة ذلك؟ قال: نبيٌّ يُبعث من ناحية هذه البلاد. وأَشار بيده نحو مكة واليمن. قالوا: فما الذي تراه. فرمى بطَرفه إليّ وأَنا أَحْدَث القومِ فقال: إن يستنفدْ هذا الغلامُ عُمْره يُدْرِكْه.

فما ذهب الليلُ والنهار حتى بُعث رسول الله ﷺ، وإنه لحَيّ بين أَظْهُرنا، فآمنابه وصدَّقْناه وكفر به بَغْياً وعناداً، فقلنا له: يا فلان أَلست الذي قلت لنا فيه ما قلتَ وأَخبرتنا به؟ قال: ليس به.

رواه ابن إسحاق، والبخاري في التاريخ وصححه الحاكم.

قوله: إن يستنفدْ بكسر الفاء ودال مهملة أَي يستكمل.

وروى عن محمد بن عَدِي[٢] أَنه سأَل أَباه كيف سمَّاه في الجاهلية محمداً؟ فقال: خرجتُ مع جماعة من بني تميم، فلما ورَدْنا الشامَ نزلنا على غَدِير عليه شجر، فأَشرف علينا

---

(١) سلمة بن سلامة بن وقش بن زغبة بن زعوراء بن عبد الأشهل الأنصاري الأشهلي أبو عوف.. قال إبراهيم بن المنذر مات سنة أربع وثلاثين وقال غيره بل تأخر إلى سنة خمس وأربعين وبه جزم الطبري قال ومات وهو ابن أربع وسبعين سنة بالمدينة. الإصابة ١١٦/٣، ١١٧.

(٢) محمد بن عدي بن ربيعة بن سواءة بن جشم بن سعد المنقري.. ذكره ابن سعد والبغوي والبلوري وابن السكن وغيرهم في الصحابة وقال ابن سعد عداده في أهل الكوفة وقال ابن شاهين له صحبة وأورد من طريق العلاء بن الفضل بن أبي سوية المنقري حدثني أبي الفضل بن عبد الملك عن أبيه عبد الملك بن أبي سوية عن أبيه خليفة بن عبدة المنقري قال سألت محمد بن عدي بن ربيعة كيف سماك أبوك في الجاهلية محمداً قال: أما أني سألت أبي عما سألتني عنه فقال خرجت رابع أربعة من بني تميم أنا أحدهم وسفيان بن مجاشع ويزيد بن عمرو بن ربيعة بن =

دَيْرانِيٌّ[1] فقال: من أَنتم؟ قلنا: من مُضَر. فقال: أَمَا إِنه سوف يُبعث منكم وشيكاً نبيٌّ فسارعوا إِليه وخذوا بحظكم منه تَرْشُدوا، فإِنه خاتم النبيين. فقلنا: ما اسمه؟ فقال: محمد. فلما صرنا إِلى أَهلنا وُلِد لكل واحد منا غلام فسماه محمداً.

رواه الطبراني والبيهقي وأَبو نُعَيْم[2].

وشيكاً: أَي قريباً.

وروى ابنُ سعد عن سعيد بن المسيّب[3] رحمه الله تعالى قال: كانت العرب تسمع من أَهل الكتاب ومن الكُهَّان أَن نبيّاً يُبعث من العرب اسمه محمد، فسمَّى من بلَغه ذلك مَن ولد له محمداً، طمعاً في النبوة.

ورَوى الطبراني والبيهقي عن أَبي سفيان بن حرب[4] رضي الله تعالى عنه قال: خرجت أَنا وأُمية بن أَبي الصَّلْت[5] إِلى الشام، فمررنا بقرية فيها نصارى، فلما رأَوا أُميةَ عظَّموه وأَكرموه

= حرقوص بن مازن وأسامة بن مالك بن جندب بن العنبر ويزيد بن جفنة الغساني بالشام فلما وردنا الشام ونزلنا على غدير وعليه سمرات وقربه قائم الديراني فقلنا: لو اغتسلنا من هذا الماء وأدهنا ولبسنا ثيابنا ثم أتينا صاحبنا ففعلنا فأشرف علينا الديراني فقال: إن هذه للغة قوم ما هي بلغة أهل هذا البلد فقلنا: نحن قوم من مضر قال: من أي المضائر قال: قلنا: من خندف فقال: أما أنه سيبعث منكم وشيكاً نبي فسارعوا إليه وخذوا حظكم منه ترشدوا فإنه خاتم النبيين فقلنا: ما اسمه قال: محمد فلما انصرفنا من عند ابن جفنة ولد لكل واحد منا غلام فسماه محمداً لذلك وأخرجه أبو نعيم من طريق أبي بكر بن خزيمة حدثني صالح بن مسمار املاء حدثنا العلاء بن الفضل قال أبو نعيم وحدثناه عالياً الطبراني حدثنا العلاء. الإصابة ٦/ ٥٩- ٦٠.

(١) الديرني: الراهب الذي يسكن الدير.

(٢) أخرجه أبو نعيم في الدلائل ٥٥.

(٣) سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب بن عمرو بن عابد بن عمران بن مخزوم القرشي المخزومي، أحد العلماء الأثبات، الفقهاء الكبار، من كبار الثانية، اتفقوا على أن مرسلاته أصح المراسيل، وقال ابن المديني: لا أعلم في التابعين أوسع علماً منه، مات بعد التسعين، وقد ناهز الثمانين. التقريب ١/٣٠٦.

(٤) صَخْر بن حَرْب بن أُمَيَّة بن عبد شَمْس الأُمَوي أبو سفيان، من مُسلمة الفتح، وشهد حُنَيْناً وأُعطي من غنائمها مائة بعير وأربعين أُوقِيَّة، وشهد الطائف واليَرْمُوك، وأبلى فيه بلاء حسناً، وذهبت عينه في ذلك اليوم، له أحاديث، وعندهم حديث هِرَقْل، ومنهم من ذكر عن ابن عباس، وقيس بن أبي حازم. قال ابن سعد: مات سنة اثنتين وثلاثين. وقال المدائني: سنة أربع وثلاثين. الخلاصة ١/٤٦٦.

(٥) أمية بن عبد الله أبي الصلت بن أبي ربيعة بن عوف الثقفي: شاعر جاهلي حكيم، من أهل الطائف. قدم دمشق قبل الإسلام. وكان مطلعاً على الكتب القديمة، يلبس المسوح تعبداً. وهو ممن حرموا على أنفسهم الخمر ونبذوا عبادة الأوثان في الجاهلية. ورحل إلى البحرين فأقام ثماني سنين ظهر في أثنائها الإسلام، وعاد إلى الطائف، فسأل عن خبر محمد بن عبد الله ﷺ فقيل له: يزعم أنه نبي. فخرج حتى قدم عليه بمكة وسمع منه آيات من القرآن، وانصرف عنه، فتبعته قريش تسأله عن رأيه فيه، فقال: أشهد أنه على الحق، قالوا: فهل تتبعه؟ فقال: حتى أنظر في أمره. وخرج إلى الشام، وهاجر رسول الله إلى المدينة، وحدثت وقعة بدر، وعاد أمية من الشام، يريد الإسلام، فعلم بمقتل أهل بدر وفيهم ابنا خال له، فامتنع. وأقام في الطائف إلى أن مات. وهو أول من جعل في أول الكتب: باسمك اللهم. فكتبتها قريش. قال الأصمعي: ذهب أمية في شعره بعامة ذكر الآخرة، وذهب عنترة بعامة ذكر الحرب، وذهب عمر بن أبي ربيعة بعامة ذكر الشباب. توفي سنة ٥هـ. الأعلام ٢/٢٣.

وأرادوه على أَن ينطلق معهم، فقال لي أُمية: يا أَبا سفيان انطلقْ معي فإِنك تمضي إِلى رجل قد انتهى إِليه عِلْمُ النصرانية فقلت: لست أَنطلق معك. فذهب ورجع وقال: تكتم عليَّ ما أُحدثك به؟ قال: نعم. قال: حدَّثني هذا الرجل الذي انتهى إِليه عِلْمُ الكتاب: أَن نبيّاً مبعوث، فظننت أَنني هو، فقال: ليس منكم، هو من أَهل مكة. قلت: ما نسَبُه؟ قال: وسَط قومه. وقال لي: إِن آية ذلك أَن الشام قد رجَفت بعدَ عيسى ثمانين رجفة، وبقيت رجفة يدخل على أَهل الشام منها شرّ ومُصيبة: فلما صرنا قريباً من ثنيّة إِذا راكبٌ قلنا: من أَين؟ قال: من الشام. قلنا: هل كان مِن حَدث؟ قال: نعم، رجفت الشام رجفة دخل على الشام منها شر ومصيبة.

ورَوى ابنُ عساكر عن أَبي بكر الصديق - رضي الله تعالى عنه - قال: كنت جالساً بفناء الكعبة وزيد بن عمرو بن نُفَيل(١) قاعدٌ، فمرَّ به أُمَيّة بن أَبي الصَّلْت فقال: أَمَا إِن هذا النبي الذي - يُنتظر منا أَو منكم أَو من أَهل فلسطين. قال: ولم أَكن سمعت قبل ذلك بنبيّ ينتظر فلا يُبعث.

فخرجتُ أُريد ورقةَ بن نوفل(٢) فقصصت عليه الحديث فقال: نعم يا بن أَخي، أَخبرنا أَهلُ الكتاب والعلماء، أَن هذا النبي الذي يُنتظر من أَوسط العرب نسباً، ولي عِلمٌ بالنسب فقومك أَوْسَط العرب نسباً. قال: يا عم وما يقول النبي؟ قال يقول ما قيل له، إِلا أَنه لا يظلم ولا يُظالِم.

قال: فلما بعث رسول الله ﷺ آمنتُ وصَدقت.

فلسطين بكسر الفاء وفتح اللام: ناحية من الشام.

---

(١) زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزى، القرشي العدوي: نصير المرأة في الجاهلية، وأحد الحكماء. وهو ابن عم عمر بن الخطاب. لم يدرك الإسلام، وكان يكره عبادة الأوثان ولا يأكل مما ذبح عليها. ورحل إلى الشام باحثاً عن عبادات أهلها، فلم تستمله اليهودية ولا النصرانية، فعاد إلى مكة يعبد الله على دين إبراهيم. وجاهر بعداء الأوثان، فتألب عليه جمع من قريش، فأخرجوه من مكة، فانصرف إلى «حراء» فسلط عليه عمه الخطاب شباناً لا يدعونه يدخل مكة، فكان لا يدخلها إلا سراً. توفي قبل مبعث النبي ﷺ بخمس سنين. وله شعر قليل، منه البيت المشهور:

«أرباً واحداً أم ألف ربّ أدين إذا تقسمت الأمور؟»

توفي ١٧ق هـ، الأعلام ٦٠/٣.

(٢) ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العُزَّى، من قريش: حكيم جاهلي، اعتزل الأوثان قبل الإسلام، وامتنع من أكل ذبائحها، وتنصر، وقرأ كتب الأديان. وكان يكتب اللغة العربية بالحرف العبراني. أدرك أوائل عصر النبوة، ولم يدرك الدعوة. وهو ابن عم خديجة أم المؤمنين، وفي حديث ابتداء الوحي، بغار حراء، أن النبي ﷺ رجع إلى خديجة، وفؤاده يرتجف، فأخبرها، فانطلقت به خديجة حتى أتت ورقة بن نوفل «وكان شيخاً كبيراً قد عمي» فقالت له خديجة: يا بن عمّ اسمع من ابن أخيك، فقال له ورقة: يا بن أخي ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى، فقال له ورقة: هذا الناموس الذي نزّل الله على موسى، يا ليتني فيها جذع! ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك؛ فقال رسول الله: أو مخرجيّ هم؟ قال: نعم! لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً. توفي سنة ١٢ق .هـ . الأعلام ١١٤/٨، ١١٥.

وعن زيد بن حارثة[١] ـ رضي الله تعالى عنهما ـ أَن النبي ﷺ لقي زيدَ بن عمرو بن نُفَيل، فقال له النبي ﷺ: **«ما لي أرى قومك قد شَنِفوك؟»** قال: أَمَا والله إِنَّ ذلك لَبِغَيْر ثائرة كانت منِّي إِليهم، ولكن أَراهم على ضلالة فخرجت أَبتغي هذا الدِّين حتى أَتيت على شيخ بالجزيرة فأَخبرته بالذي خرجت له، قال: ممن أَنت؟ قلت: من أَهل بيت الله. قال: فإِنه قد خرج في بلدك نبي أَو خارج قد طلع نَجْمه، فارجع فصَدِّقه وآمن به. فرجعت فلم أُحس بشيء بعدُ.

قال: ومات زيد بن عمرو قبل أَن يُبعث رسولُ الله ﷺ.

رواه أَبو يعْلى[٢] والطبراني والحاكم وصحَّحه[٣].

شَنِفوك بفتح الشين المعجمة وكسر النون: أَي أَبغضوك. ولغير ثائرة: أَي لم أَصنع لهم شرّاً.

وعن عامر بن ربيعة[٤] ـ رضي الله تعالى عنه ـ أَن زيد بن عمرو بن نفيل قال: خالفتُ قومي واتبعتُ ملةَ إِبراهيم وما كان يعْبد، فأَنا أَنتظر نبيّاً من ولد إِسماعيل اسمه أَحمد، ولا أُراني أُدركه، فأَنا أُؤمن به وأُصدقه وأَشهد أَنه نبي، فإِن طالت بك مُدة فأَقْرِه مني السلام، وأُخبرك يا عامر ما نَعْته حتى لا يخفَى عليك: هو رجل ليس بالطويل ولا بالقصير، ولا بكثير الشعر ولا بقليله، وليس يفارق عينيه حُمرة، وخاتَم النبوّة بين كتفيه، واسمه أَحمد، وهذا البلد مَوْلده ومَبْعَثه، ثم يُخرجه قومه منها ويكرهون ما جاء به حتى يهاجر إِلى يَثْرب فيظهر أَمرُه فإِياك أَن تُخدع عنه فإِني بَلَغْتُ البلادَ كلها أَطلب دين إِبراهيم وكل من أَسأَله من اليهود والنصارى والمجوس يقول: هذا الدين وراءك. ويَنْعتونه مثلَ ما نعتُّه لك، ويقولون: لم يبق نبيّ غيره.

قال عامر: فلما تنبأَ رسولُ الله ﷺ وأَخبرتُه، فقال: قد رأَيته في الجنة يَسْحب ذيله.

رواه ابن سعد وأَبو نُعَيْم[٥].

---

(١) زيد بن حارثة بن شرَاحِيل الكَلْبِي اليَمَاني، حِبُّ رسول الله ﷺ ومولاه، كان ممن بادر فأسلم من أول يوم، وشهد بدراً، وقتل بمُؤْتَة أميراً سنة ثمان. قالت عائشة: لو كان حيًا لاستخلفه رسول الله ﷺ. روى محمد بن إسحاق بسنده إلى أُسامة بن زَيد. قال: قال رسول الله ﷺ لأبي: أنت مني وإليّ وأحب القوم إليّ. له أربعة أحاديث. وعنه أنس وابن عباس وغيرهما. الخلاصة ١/٣٥٠.

(٢) أحمد بن علي بن المثنى التميمي الموصلي، أبو يعلى: حافظ، من علماء الحديث. ثقة مشهور، نعته الذهبي بمحدث الموصل. عمر طويلاً حتى ناهز المئة. وتفرد ورحل الناس إليه وتوفي بالموصل. له كتب منها «المعجم» في الحديث، و «مسندان» كبير وصغير، توفي سنة ٣٠٧هـ. الأعلام ١/١٧١.

(٣) أخرجه الحاكم ٣/٢١٦، والطبراني في الكبير ٥/٨٧.

(٤) عامر بن رَبِيعة بن كعب بن مالك بن ربيعة العَنْزي بإسكان النون، أسلم قديماً، وهاجر إلى الحبشة، ثم إلى المدينة، وشهد بدراً والمشاهد. له اثنان وعشرون حديثاً، اتفقا على حديثين. وعنه ابنه عبد الله، وابن عمر، وابن الزبير. قال المدائني: مات سنة ثلاث وثلاثين. الخلاصة ٢/٢١.

(٥) أخرجه ابن سعد في الطبقات ١/١/١٠٦، وابن كثير في البداية والنهاية ٢/٢٤٠، بلفظ يحب ذيولاً.

وروى ابن عساكر عن ابن إسحاق ـ رحمه الله تعالى ـ قال: إن ربيعة بن نصر اللَّخْمي رأَى رؤيا هالته وَفظع بها، فلم يدعْ كاهناً ولا ساحراً ولا عائفاً ولا منجماً من أَهل مملكته إلا جمعه إليه، فقال لهم: إني قد رأيت رؤيا هالَتْني وفَظِعْتُ بها فأَخبروني بتأْويلها. قالوا: اقْصُصْها علينا نخبرك بتأْويلها. قال: إن أَخبرتكم بها لم أَطمئن إلى خبركم عن تأْويلها، إنه لا يعرف تأْويلها إلا من عرفَها قبل أَن أُخبره بها.

فقيل له: إن كنت تريد هذا فابعث إلى سَطِيح[1] وشِقّ[2]، فإنه ليس أَحد أَعْلم منهما، فهما يخبرانك بما تسأَل عنه.

فبَعث إليهما، فقَدِم عليه سَطِيح قبلَ شِقّ، فقال: إني رأَيتُ رؤيا هالَتْني وفظِعت بها، فأَخبرني بها فإنك إن أَصبتَها أصبتَ تأَويلها. فقال: رأَيتَ حُمَمة خرجت من ظُلَمة فوقعت بأَرض تَهمة، فأَكلَت كل ذات جُمْجمة. فقال الملك: ما أَخطأَت منها شيئاً يا سَطيح، فما عندك في تأْويلها؟ فقال: أَحلف بما بين الحرّتين من حنَش، لَيهبطن أَرضكم الحبش فليُهلكن ما بين أَبْيَن إلى جرش. فقال الملِك: وأَبيك يا سَطيح إنَّ هذا لنا لغائظ موجع، فمتى هو كائن؟ أَفي زماني أَم بعده؟ قال: بل بعده بحين أَكثر من ستين أَو سبعين من السنين. قال: أَفيدوم ذلك من مُلْكهم أَم ينقطع؟ قال: بل ينقطع لبضع وسبعين من السنين، ثم يُقتلون ويُخرجون منها هاربين قال: ومن يلي ذلك مِن قَتْلهم وإخراجهم؟ قال: يليه إرم ذي يَزن، يخرج عليهم من عدن، فلا يترك منهم أَحداً باليمن: قال أَفيدوم ذلك من سلطانه أَم ينقطع؟ قال بل ينقطع. قال: ومن يقطعه؟ قال: نبيّ زَكيّ يأْتيه الوَحِيّ من قِبَل العَليّ. قال: وممن هذا النبي؟ قال: رجل من بني غالب بن فِهْر بن مالك بن النضر، يكون الملك في قومه إلى آخر الدهر. قال: وهل للدهر من آخر؟ قال: نعم يومٌ يُجمع فيه الأَولون والآخرون، يسعد به المحسنون ويشقى به المسيئون. قال: أَحقٌّ ما تخبرني به؟ قال: نعم والشَّفَق والغَسق، والفَلق إذا اتّسق إن ما أَنبأْتُك به لَحقّ.

---

(١) ربيع بن ربيعة بن مسعود بن عديّ بن الذئب، من بني مازن، من الأزد: كاهن جاهليّ غساني. من المعمرين، يعرف بسطيح. كان العرب يحتكمون إليه ويرضون بقضائه، حتى أن عبدَ المطلب بن هاشم ـ على جلالة قدره في أيامه ـ رضي به حكماً بينه وبين جماعة من قيس عيلان، في خلاف على ماء بالطائف، كانوا يقولون إنه لهم. وكان يُضرب المثل بجودة رأيه، قال ابن الرومي:

«تبدي له سرَّ العيون كهانةٌ يوحي بها رأيٌ كرأي سطيح»

وقال الفيروزآبادي: سطيح، كاهن بني ذئب، ما كان فيه عَظْم سوى رأسه. وزاد الزبيدي: كان أبداً منبسطاً منسطحاً على الأرض لا يقدر على قيام ولا قعود، ويقال: كان يُطوى كما تطوى الحصيرة ويتكلم بكل أعجوبة. توفي سنة ٥٢ق .هـ. الأعلام ١٤/٣.

(٢) شق بن صعب بن يشكر بن رهم القسري البجلي الأنماري الأزدي: كاهن جاهلي، من عجائب المخلوقات. وعاش شق إلى ما بعد ولادة النبي ﷺ فيما يقال. وقد عمر طويلاً. ويذكرون أنه كان نصف إنسان: له يد واحدة، ورجل واحدة وعين واحدة. وقال ابن حزم إن له نسلاً، اشتهر منه في العصر المرواني «خالد» و «أسد» القسريان، وكان أولهما أمير العراقين لهشام بن عبد الملك، والثاني والي خراسان. توفي سنة ٥٥ق .هـ . الأعلام ١٧٠/٣.

ثم قدم عليه شِقّ فقال له كقوله لسطيح، وكتم ما قاله سَطيح، لينظر أيتفقان أَم يختلفان. قال: نعم رأَيت حُمَمة خرجت من ظُلمة فوقعت بين روضة وأَكمة فأَكلت منها كل ذات نسمة.

فلما قال ذلك عرف أَنهما قد اتفقا، فقال الملك: ما أَخطأَت منها شيئاً يا شِقّ، فما عندك في تأْويلها؟.

قال: أَحلف بما بين الحرَّتين من إِنسان، لينزلنّ أَرضكم السودان، فليَغلِبُن على كل طفلة[1] البَنان، وليَمْلكُنّ ما بين أَبْيَن إِلى نجْران.

فقال له: الملك: فمتى هو كائن؟ في زماني أَم بعده؟ قال: بل بعده بزمان، ثم يستنقذكم منهم عظيمٌ ذو شأْن، ويُذيقهم كأْسَ الهوان. قال: ومن هذا العظيم الشأْن؟ قال: غلام ليس بدَنِيّ ولا مُدَنّ، يخرج عليهم من بيت ذي يزن. قال: أَفيدوم سلطانه أَم ينقطع؟ قال: بل ينقطع برسولٍ مُرسَل يأْتي بالحق والعدل، بَيْنَ أَهلِ الدِّين والفضل يكون المُلك فيه إِلى يوم الفصل. قال: وما يوم الفصل؟ قال: يومٌ تجزى فيه الولاة، يُدْعى فيه من السماء بدعوات يستمع، منها الأَحياء والأَموات ويُجمع فيه الناسُ للميقات يكون فيه لمن اتَّقى الفوزُ والخيرات. فقال: أَحقٌّ ما تقول؟ قال إِي ورب السماء والأَرض وما بينهما من رَفع وخفض إِنَّ ما أَنبأْتُك به لحقّ ما فيه أَمْض.

قوله: فُظع بها. الرواية بضم الفاء وفتحها. وصوَّب أَبو ذر الخُشني الفتح بوزن عَلِم يقال: فظِع بالشيء إِذا رآه أَمراً عظيماً.

والعيافة[2]: زجْر الطير والتفاؤل بأَسمائها وأَصواتها وممرّها.

والحُمَمة[3]: بضم الحاء وفتح الميمين وجمعها حُمَم وإِنما أَراد فحْمة فيها نار، ولذلك قال: فأَكلت منها كلُّ ذات جُمْجمة أَي رأَس.

وظُلمة: أَصلها مسكَّن وإِنما حركت للسَّجْع قال السُّهيلي رحمه الله تعالى: وذلك أَن الحُمَمة قطعة من نار، وخروجها من ظُلمة يشبه خروج عسكر الجيش من أَرض السودان.

أَرض تهمة بفتح التاء وكسر الهاء يعني واسعة منخفضة، وأَكلت منها كل ذات جمجمةٍ أَي رأْس، ولم يقل ذي جمجمة لأَن القصد النفس والنَّسْمة، فهي أَعمّ، ولو جاء بالتذكير لكان مختصاً بالإِنسان.

---

(١) في أ: ذي طفل.

(٢) وعاف الشيء يعافه عيفاً وعيافة وعياقاً وعيفاناً كرهه وقيل العياف المصدر والبيافة الاسم، انظر اللسان ٣١٩٢/٤.

(٣) الحممة وزان رطبة ما أحرق من خشب ونحوه والجمع بحذف الهاء المصباح ١٥٢.

والحَرَّة: بفتح الحاء المهملة: أَرض غليظة تركبها حجارةٌ سُود وإِنما حلف بالحنش وهي من الحيات لما يحكى أَن الجن تتشكل وتتصور فيها.

أَبْيَن بفتح الهمزة فباء موحدة ساكنة فمثناة تحتية فنون: موضع باليمن. جُرَش بضم الجيم وفتح الراء وشين معجمة: أَرض باليمن أَيضاً. عدَن: اسم بلد بها.

الغسَق[١]: الظُّلمة. الفلق[٢] الصبح. اتسق: تتابع وتوالَى. الأَكمة: الكُدْية. ويروى: كلُّ ذات نسمة بالرفع هنا وفي الأُولى. قال الخُشنِيّ: والصواب النصب، لأَن الجمجمة هنا هي الآكلة وليست المأْكولة، ولذلك فسرها بالحبشة الذين غلبوا على اليمن.

طَفْلَةَ بفتح الطاء واللام وسكون الفاء بينهما. البَنان: أَطراف الأَصابع، وقد يعبَّر بها عن الأَصابع كلها. قال في الصِّحاح: الطَّفل بالفتح: الناعم. يقال: جارية طفلة أَي ناعمة. وبنان طفل وإِنما جاز أَن يوصَف البَنَانُ وهو جَمْع بالطَّفل وهو واحد: لأَن كل جمع ليس بينه وبين واحده إِلا الهاء فإِنه يوحَّد ويذكَّر.

نجْران[٣]، بنون مفتوحة وجيم ساكنة: قال أَبو عُبَيد البَكري[٤]: مدينة بالحجاز من شق اليمن معروفة، سمّيت بنجْران بن زيد بن يَشجُب بن يَعْرب، وهو أَول من نزلها وقال في النهاية: موضع معروف بين الحجاز والشام واليمن.

وبغلام ليس بدَنِيّ ولا مُدَنّ بضم الميم وفتح الدال المهملة - وهو بنون، وسَكَّنه هنا للسجع، قال الخُشني: هو المقصِّر في الأمور. وقال غيره: هو الذي جمع الضعف مع الدناءة.

وما فيه أَمْض[٥]: بفتح الهمزة وسكون الميم والضاد المعجمة أَي ما فيه شكٌ ولا ارتياب.

---

(١) غسق الليل: شدة ظلمته المفردات في غريب القرآن ٣٦٠.

(٢) الفلق: أي الصبح وقيل الأنهار المذكورة في قوله تعالى: ﴿أم من جعل الأرض قراراً وجعل خلالها أنهاراً﴾ وقيل: هو الكلمة التي علم الله تعالى موسى ففلق بها البحر، المفردات في غريب القرآن ٣٨٥.

(٣) نَجْران بالفتح، ثم السكون، وآخره نون، وهو في عدّة مواضع: منها نجران من مخاليف اليمن من ناحية مكة وبها كان خبر الأخدُود؛ وإليها تنسب كَعْبَة نجران، وكانت ربيعة بها أساقفة مقيمون، منهم السيد والعاقب اللَّذَيْن جاءا إلى النبيّ عليه السلام في أصحابهما، ودعاهم إلى المُبَاهَلَة، وبقوا بها حتى أجلاهم عُمَر رضي الله تعالى عنه. مراصد الاطلاع ١٣٥٩/٣.

(٤) عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي، أبو عبيد: مؤرخ جغرافي، ثقة. علامة بالأدب، له معرفة بالنبات. من تصانيفه «معجم ما استعجم» أربعة أجزاء، و «أعلام النبوّة» و «شرح أمالي القالي» و «التنبيه على أغلاط أبي علي القالي في أماليه» و «فصل المقال في شرح كتاب الأمثال، لابن سلاّم» وغير ذلك، توفي سنة ٤٨٧هـ. الأعلام ٩٨/٤.

(٥) انظر لسان العرب ١٣١/١.

قال السُّهيلي رحمه الله تعالى: كان سَطِيح جسداً مُلقىً لا جوارح له فيما يذكرون. قال وكذلك شِقّ إنما له يد واحدة ورِجْل واحدة وعين واحدة.

ويروى عن وهب بن منبه ـ رحمه الله تعالى ـ أنه قال: قيل لسَطِيح: أَنَّى لك هذا العلم؟ فقال لي صاحب من الجن استمع أَخبار السماء من طور سيناء حين كلَّم الله تعالى فيه موسى فهو يؤدِّي إليّ من ذلك ما يؤديه.

وولد شِقّ وسَطِيح في اليوم الذي ماتت فيه طَرِيفة الكاهنة[١]، ودعَت بسطيح قبل أَن تموت، فأُتيَتْ به فتفلت في فيه وأَخبرت أَنه سيَخلُفها في عِلْمها وكهانتها، وكان وجهه في صدره، ولم يكن له رأْس ولا عنق. ودعتْ بشِقّ ففعلت به مثلَ ما فعلت بسَطيح ثم ماتت وعمر سَطيح زماناً طويلاً حتى أَدرك مولدَ النبي ﷺ ورأَى كسرى أَنُو شرْوان.

قلت: روى أَبو نُعَيْم وابن عساكر عن ابن عباس ـ رضي الله تعالى عنهما ـ قال: خَلق الله سطيحاً لحماً على وَضَم، وكان يُحمل على وَضَمَة فيؤتى به حيث يشاء، ولم يكن فيه عَظْم ولا عصَب إلا الجمجمة والعنق والكفَّين. وكان يُطْوَى من رجليه إلى تَرْقُوته كما يُطوى الثوب، ولم يكن فيه شيء يتحرك إلا لسانه.

الوضَم بفتحتين: كل شيء يُحمل عليه اللحم من خشب أو بارِيّة.

وروى ابن عساكر: بلغني أَن سَطيحاً ولد في أَيام سَيْل العَرِم وتوفي في العام الذي ولد فيه سيدنا رسول الله ﷺ وأَنه عاش خمسمائة سنة. وقيل ثلاثمائة سنة.

وروى ابن سعد وأبو نُعَيْم وابن عساكر عن أبي نملة ـ رحمه الله تعالى ـ قال: كانت يهود بني قريظة يدرسون ذكر رسول الله ﷺ في كتبهم ويعلِّمونه الولدان بصفته واسمه ومُهَاجره إلى المدينة. فلما ظهر رسول الله ﷺ حَسدوه وبَغوا وأنكروا[٢].

ورَوى ابن سعد عن ابن عباس ـ رضي الله تعالى عنهما ـ عن أُبَيّ بن كعب ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: لـمّا قدم تُبّع المدينة ونزل بقناة بعث إلى أَحبار يهود فقال: إني مخرّب هذا البلد. فقال له سامول اليهودي وهو يومئذ أَعلمهم: أَيها المَلِك إن هذا البلد يكون إليه مُهاجرَ نبيّ من بني إسماعيل مولده بمكة اسمه أَحمد، وهذه دار هجرته، إن منزلك هذا الذي أَنت به يكون به من القتلى والجراح أَمر يَكْثر في أَصحابه وفي عدوّهم.

قال تُبّع: ومن يقاتله يومئذ؟ قال: يسير إليه قومُه فيَقْتتلون هَا هنا. قال: فأين قبره؟ قال: بهذا البلد. قال: فإذا قُوتل لمن تكون الدَّبْرة؟ قال: تكون مرةً له ومرةً عليه، وبهذا الذي أَنت به

---

(١) طريفة بنت الخير الحميرية: كاهنة يمانية، من الفصيحات البليغات. كانت زوجة للملك عمرو مزيقياء بن ماء السماء الأزدي الكهلاني. قيل إنها تنبأت له بانهيار «السد» فاستعد، هو وقومه، للهجرة. الأعلام ٢٢٦/٣.

(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات ١٠٤/١، وأبو نعيم في دلائل النبوة ٤٠.

تكون عليه ويُقتل أَصحابُه مَقْتلة لـم يُقتلوا في مَوْطن مثلَها، ثم تكون له العاقبة ثم يظهر فلا ينازِعه في هذا الأَمر أَحد.

قال: وما صفته؟ قال: رجل لا بالطويل ولا بالقصير، في عينيه حُمْرة، يركب البعير ويلبس الشَّمْلة سيفُه على عاتقه، لا يُبَالي من لاقَى أخاً أَو ابن عم أَو عمّاً حتى يظهر أَمره.

قَنَاة بقاف مفتوحة بعدها نون: قال البَكْري: وادٍ من أَودية المدينة.

وذكر ابن ظَفَر[1] عن سُفيان بن مُجَاشِع أَنه رأى قوماً من تميم اجتمعوا على كاهنة لهم فسمعها تقول: العزيزُ من والاه، والذليل من خالاَه، والموفور من مالاَه، والموتورُ من عادَاه. فقال سفيان: من تذكرين لله أَبوك؟ فقالت: صاحب حِلٍّ وحِرْم وهُدَى وعِلم، وبطش وحِلْم، وحرب وسِلْم، رأس رؤوس وأَبيض شُموس وماحِي بُوس وماهِد وعوس، وناعش مَتْعوس.

فقال سفيان: لله أَبوك من هو؟ قالت؛ نبيّ مؤيَّد، قد أَتَى حِينُ يوجَد. ودنا أَوان يولد، يُبعث إِلى الأَحمر والأَسود بكتاب لا يُفَنَّد، اسمه محمد. فقال سفيان: لله أَبوك أَعرابي هو أَم عجَمي؟ أَما والسماء ذات العِنَان والشجرات ذات الأَفْنان إِنه لـمن مَعَدّ بن عدنان. فَقَدْك يا سفيان. فأَمسك عنها ثم ولد له غلام فسماه محمداً رجاء أَن يكون الموصوف.

تفسير الغريب

خالاَه: بالخاء المعجمة: برئ منه وتركه. حِلّ وحَرِم: أَي حلال وحرام.

رأْس رؤوس: أَي سيد سادة. والرأْس: السيد.

ماحِي بُوس: أَي مُذْهِبه. والمحْو: القَشْر. وبه سميت المِمْحاة[2].

الوعوس[3]: جمع وَعْس وهو من صفة الرمْل الذي يَشُقّ السَّير فيه.

ناعِش: بالنون والشين المعجمة من نعَشه الله نَعْشاً: رفعه. المتعوس: العاثر، والمستعمل في هذا: تعِس وأَتعسه الله فجاء على مثال مسعود.

---

(١) محمد بن عبد الله أبي محمد بن محمد بن ظفر الصقلي المكي، أبو عبد الله، حجة الدين: أديب رحالة مفسر. ولد في صقلية، ونشأ بمكة. وتنقل في البلاد، فدخل المغرب وجال في إفريقية والأندلس، وعاد إلى الشام فاستوطن «حماة» وتوفي بها. له تصانيف، منها «ينبوع الحياة» في تفسير القرآن، اثنا عشر مجلداً، قال الصفدي: رأيت بعضهم يقول (ابن ظفر) بضم الظاء والفاء والفتح أشهر، توفي سنة ٥٦٥هـ. الأعلام ٦/٢٣٠.

(٢) الممحاةُ: خرقة يزال بها الوسخُ، الوسيط ٢/٨٥٦.

(٣) الوعساء والأوعس والوعس والوعسة كله: السهل اللين من الرمل وقيل: هي الرمل تغيب فيه الأرجل، اللسان ٥/٤٨٧٣.

لا يُفَنَّد: أَي لا يُخَطَّأ ولا يضعّف رأيه.

العَنان بفتح العين المهملة بعدها نون: السحاب، الواحدة عَنَانة.

الأَفنان: هي الأَغصان، الواحدة: فَنَن.

فقَدْك يا سفيان: أَي حَسبك وكفاك.

وروي عن عمرو بن عَبَسة[1] - بعين وبسين مهملتين بينهما باء موحدة مفتوحات - رضي الله تعالى عنه: قال رَغِبتُ عن آلهة قومي في الجاهلية، ورأَيت الباطلَ يعبدون الحجارة، فلقيت رجلاً من أَهل الكتاب فسأَلته عن أَفضل الدِّين فقال: يخرج رجل بمكة ويرغب عن آلهة قومه ويدعو إلى غيرها، وهو يأْتي بأَفضل الدين فإذا سمعت به فاتبعه. فلم يكن بي هَمٌّ إلا مكة آتِيها فأَسأَل: هل حدَث فيها أَمرٌ؟ فيقولون لا. فإني لقَاعِد على الطريق إذا مرَّ بي راكب فقلت: من أَين جئتَ؟ قال: من مكة. قلت: هل حدَث فيها خبر؟ قال: نعم، رجلٌ رَغِب عن آلهة قومه ودعا إلى غيرها. فقلت: صاحبي الذي أُريد. فأَتيته فوجدته مُسْتخفياً، فقلت: ما أَنت؟ قال: نبيٌّ. قلت: وما النبيّ؟ قال: رسول. قلت: مَن أَرسلك؟ قال: الله. قلت: بماذا أَرسلك؟ قال: أَن تُوصَل الأَرحام وتُحقن الدماء وتؤمَّن السُّبُل وتُكسر الأَوثان ويُعْبَد الله ولا يُشرك به شيئاً. قلت: نِعْم ما أَرسلك به، أُشهدك أَني قد آمنت بك وصدَّقتك أَفأَمكث معك ما ترى؟ قال: ترى كراهة الناس لما جئت به فامكث في أَهلك، فإذا سمعتَ أَني قد خرجت مَخْرَجاً فاتبعني. فلما سمعت به ﷺ خرج إلى المدينة سِرْتُ حتى قدِمت عليه.

رواه ابن سعد وأَبو نعيم وابن عساكر[2].

وروى أَبو نُعَيم وابن عساكر عن أَبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: بلغني أَن بني إسرائيل لـمّا أَصابهم ما أَصابهم من ظهور بُخْتَنَصَّرَ - وفُرْقتهم وذُلِّهم تفرّقوا، وكانوا يجدون محمداً رسول الله ﷺ مبعوثاً في كتبهم وأَنه سيظهر في بعض القُرَى العربية في أَرض ذات نخل، ولما خرجوا من أَرض الشام جعلوا يتقرَّوْن كلَّ قرية من تلك القرى العربية بين الشام واليمن يجدون نَعْتها نَعْت يَثْرب، فنزل بها طائفة منهم ويَرْجون أَن يَلْقوا محمداً ﷺ فيتبعونه، حتى نزل من بني هارون بيثرب منهم طائفة، فمات أُولئك الآباء وهم مؤمنون بمحمد ﷺ أَنه جاءٍ ويحثُّون أَبناءهم على اتِّباعه إذا جاء، فأَدركه من أَدركه من أَبنائهم فكفروا به وهم يعرفونه.

بُخْت بضم الموحدة وإسكان الخاء المعجمة ثم مثناة فوقية ونَصَّر بفتح النون والصاد

---

(١) عمرو بن عَبَسَة بفتح أوله والموحدة السُّلمي أبو نَجيح، صحابي مشهور. له ثمانية وأربعون حديثاً. وعنه أبو أُمامة وشُرَحْبيل بن السِّمْط. قال الواقدي: أسلم بمكة ثم رجع إلى بلاد قومه حتى مضت بدر وأُحد والخندق والحديبية وخيبر، ثم قدم المدينة. قال أبو سعيد: يقولون إنه رابع أو خامس في الإسلام. الخلاصة ٢/٢٩٠.

(٢) أخرجه أبو نعيم في الدلائل ٢١٠، وابن سعد في الطبقات ١/١٥٧.

المهملة المشددة. قال في القاموس: بُخْت معناه: ابن. ونَصّر كبقَّم كان عند الصنم ولم يوجد له أَب فنسب إِليه.

ورَوى أَبو نُعَيم عن حسّان بن ثابت[١] - رضي الله تعالى عنه - أَنه قال: والله إِني لَفِي منزلي وأَنا ابنَ سبع سنين وأَنا أَحفظ ما أَرى وأَعِي ما أُسمع وأَنا مع أَبي إِذ دخل علينا فتى منا يقال له ثابت بن الضحاك، فتحدث فقال: زعم يهودي في بني قريظة الساعة وهو يُلاَحيني: قد أَظلَّ زمانُ خروج نبيّ يأَتي بكتاب مثل كتابنا يقتلكم قتلَ عادٍ وإِرَم. قال حسان: فوالله إِنيّ لعلَى فارِع، يعني أُطُماً، في السَّحر إِذ سمعتُ صوتاً لم أَسمع قط صوتاً أَنْفَذ منه، فإِذا يهوديّ على ظهر أُطُم من آطام المدينة معه شعلة من نار، فاجتمع إِليه الناسُ فقالوا: مالك ويلك: قال: هذا كوكب أَحمد قد طلع، هذا كوكب لا يطلع إِلا للنبوة، ولم يبق من الأَنبياء إِلا أَحمد. قال: فجعل الناس يضحكون ويعجبون بما يأْتي به.

وكان حسان - رضي الله تعالى عنه - عاش مائةً وعشرين سنة، ستين في الجاهلية وستين في الإِسلام.

يُلاحِيني: أَي يخاصمني وينازعني. الفارع بالفاء والراء والعين المهملتين: المرتفع العالي. والأُطُم بالضم: بناء مرتفع.

وروى الواقديّ وأَبو نُعَيْم عن حُوَيِّصة بن مسعود[٢] - رضي الله تعالى عنه - وهو بضم الحاء المهملة وتشديد المثناة التحتية، وقيل يجوز تخفيفها، قال: كنا ويهود فينا كانوا يذكرون نبيّاً يُبعث بمكة اسمه أَحمد، ولم يبق من الأَنبياء غيره، وهو في كتبنا وما أُخذ علينا صفته كذا وكذا. حتى يأْتوا على نعْته. قال: وأَنا غلام وما أَرى أَحفظ وما أُسمع أَعِي إِذ سمعتُ صياحاً من ناحية بني عبد الأَشهل، فإِذا قوم فزِعوا وخافوا أَن يكون أَمرٌ حدث، ثم خفِيَ الصوتُ ثم عاد فصاح ففهمنا صياحَه: يا أَهل يَثرب هذا كوكبُ أَحمد الذي وُلِد به. قال:

---

(١) حسان بن ثابت بن المنذر الأنصاري النَّجّاري شاعر رسول الله ﷺ أبو عبد الرحمن أو أبو الوليد. وعنه ابنه عبد الرحمن وابن المسيب. قال النبي ﷺ: «**إن رُوحَ القُدُسِ مع حسان ما دام ينافح عن رسول الله ﷺ**». قال أبو عبيد: توفي سنة أربع وخمسين. قال ابن إسحاق: عاش مائة وعشرين سنة. له فرد حديث عندهم، وليس له عن النبي ﷺ سواه. الخلاصة ٢٠٦/١.

(٢) حويصة بن مسعود بن كعب بن عامر بن عدي بن مجدعة بن حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس الأنصاري... شهد أحداً والخندق وسائر المشاهد روى ابن إسحاق من حديث محيصة أن النبي ﷺ قال بعد قتل كعب بن الأشرف: من ظفرتم به من يهود فاقتلوه فوثب محيصة على تاجر يهودي فقتله فجعل حويصة يضربه وكان أسن منه وذلك قبل أن يسلم حويصة وثبت ذكره في الصحيحين في حديث سهل بن أبي خيثمة في قصة قتل عبد الله بن سهل وفيه ذكر القسامة وفيه فذهب عبد الرحمن بن سهل يتكلم فقال النبي ﷺ كبر كبر فتكلم حويصة الحديث. الإصابة ٤٨/٢.

فجعلنا نعْجب من ذلك، ثم أَقمنا دهراً طويلاً ونسينا ذلك، فهلك قومٌ وحدَث آخرون وصرتُ رجلاً كبيراً، فإِذا مثل ذلك الصياح بعينه: يا أَهل يثرب قد خرج محمد وتنبَّأَ وجاءه الناموسُ الأَكبر الذي كان يأْتي موسى عليه الصلاة والسلام. فلم أَنشب أَن سمعت أَن بمكة رجلاً خرج يدّعي النبوّة، وخرج من خرج من قومنا وتأَخر من تأَخر وأَسلم فتيان منا أَحداث ولم يُقض لي أن أُسلم، حتى قدم رسول الله ﷺ المدينة[1].

أَنشب: أَي لم أَلبث.

وروى أَبو نُعَيم عن أَبي سعيد مالك بن سِنَان الخُدْري[2] بالخَاء المعجمة والدال المهملة - رضي الله تعالى عنه - قال: سمعت أَبي يقول: جئت بني عبد الأَشهل يوماً لأَتحدث فيهم، فسمعت يوشَع اليهودي يقول: أَظلَّ خروج نبيٍّ يقال له أَحمد يخرج من الحرم. فقيل له: ما صفته؟ قال: رجل ليس بالقصير ولا بالطويل، في عينيه حُمرة يلبس الشَّملة ويركب الحمار، سيفه على عاتقه، وهذه البلد مُهاجَره. فرجعت إِلى قومي بني خُدْرة وأَنا أَتعجّب مما قال، فأَسمع رجلاً منا يقول: ويوشع يقول هذا وحده؟ كلُّ يهود يثرب تقول هذا. فخرجت حتى جئت بني قريظة فأَجد جَمْعاً فتذاكروا النبيَّ ﷺ فقال الزَّبير بن باطَا: قد طَلع الكوكبُ الأَحمر الذي لم يطلع إِلا لخروج نبي وظهوره، ولم يبق من الأَنبياء أَحدٌ إِلا أَحمد وهذه مُهاجَره.

أَظلَّ: قرب.

وروى ابن عساكر عن كعب - رحمه الله تعالى - قال: كان إِسلام أَبي بكر الصديق - رضي الله تعالى عنه - سببه وحي من السماء، وذلك أَنه كان تاجراً بالشام فرأَى رؤيا فقصَّها على بحيرى الراهب فقال له: من أَين أَنت؟ قال: من مكة. قال: من أَيّها؟ قال: من قريش. قال: فأَيّ شيء أَنت؟ قال: تاجر. قال: صدَّق الله تعالى رؤياك، فإِنه يُبعث نبي من قومك تكون وزيَره في حياته وخليفتَه بعد موته. فأَسرَّها أَبو بكر حتى بُعث النبي ﷺ فقال: يا محمد ما الدليل على ما تَدَّعي؟ قال: الرؤيا التي رأَيت بالشام. فعانقه وقبل بين عينيه وقال: أَشهد أَنك رسول الله.

---

(١) أخرجه أبو نعيم في الدلائل ٣٨.

(٢) سعد بن مالك بن سِنَانٍ بنونين ابن عَبْد بن ثَعْلَبَة بن عُبَيْد بن خُدْرَة بضم المعجمة الخدري أبو سعيد، بايع تحت الشجرة، وشهد ما بعد أُحُد، وكان من علماء الصحابة، له ألف ومائة حديث وسبعون حديثاً، اتفقا على ثلاثة وأربعين، وانفرد (خ) بستة وعشرين، و (م) باثنين وخمسين. وعنه طَارِق بن شِهَاب، وابن المُسَيَّب، والشَّعْبي، ونَافِع، وخلق. قال الوَاقِدي: مات سنة أربع وسبعين. الخلاصة ٣٧١/١.

ورَوى أبو نُعيم والبيهقي من طريق عُفَيْر بن زُرْعة بن سَيْف بن ذي يَزَن عن أبيه قال: لما ظهر سيفُ ذي يَزن على الحبشة، وذلك بعد مولد رسول الله ﷺ بسنتين، أتاه وفود العرب وأَشرافها وشعراؤها لتهنئه وتَذْكر ما كان من بلائه وطلبه بثأر قومه. وأَتاه وفد قريش منهم عبد المطلب بن هاشم[1] وأمية بن عبد شمس[2] وعبد الله بن جُدْعان[3] وأَسد بن عبد العُزَّى[4] ووهب بن عبد مناف[5] وقُصيّ بن عبد الدار[6]، فدخل عليه آذِنُه وهو في رأْس قصر يقال له غُمْدان، وهو الذي قال فيه أُمَيَّة بن أَبي الصَّلْت الثقفي:

اشْرَب هنيئاً عليك التاجُ مُرْتَفِقا   في رأْس غُمْدانَ دارٌ منْكَ مِهْلالا

---

(١) عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، أبو الحارث: زعيم قريش في الجاهلية، وأحد سادات العرب ومقدميهم. مولده في المدينة ومنشأه بمكة. كان عاقلاً، ذا أناة ونجدة، فصيح اللسان، حاضر القلب. وهو جدُّ رسول الله ﷺ. مات بمكة عن نحو ثمانين عاماً أو أكثر. توفي سنة ٤٥ق .هـ . الأعلام ١٥٤/٤.

(٢) أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي، من قريش: جد الأمويين بالشام والأندلس، جاهلي كان من سكان مكة وكانت له قيادة الحرب في قريش بعد أبيه وعاش إلى ما بعد مولد النبي ﷺ. الأعلام ٢٣/٢.

(٣) عبد الله بن جدعان التيمي القرشي: أحد الأجواد المشهورين في الجاهلية. أدرك النبيّ ﷺ قبل النبوة. وكانت له جفنة يأكل منها الطعام القائم والراكب، فوقع فيها صبي، فغرق! وهو الذي خاطبه أمية بن أبي الصلت بأبيات اشتهر منها قوله:

«أأذكر حاجتي أم قد كفاني   حياؤك؟ إن شيمتك الحياء»

الأعلام ٧٦/٤.

(٤) أسد بن عبد العزى بن قصيّ: من أجداد العرب في الجاهلية. بنوه حيّ كبير من قريش، منهم حكيم بن حزام الصحابي وخديجة (أم المؤمنين) وورقة بن نوفل. وكانت تلبية «بني أسد» في الجاهلية إذا حجوا: «لبيك اللهم لبيك، يا رب أقبلت بنو أسد، أهل الوفاء والجلد، إليك». ولابن السائب الكلبي النسابة كتاب «أخبار أسد بن عبد العزى» وقال ابن حزم: لا عقب لعبد العزى إلا من أسد هذا. الأعلام ٢٩٨/١.

(٥) وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة، من قريش: سيد بني زهرة، قبيل الإسلام. وهو أبو «آمنة» أم رسول الله. كانت كنيته أبا كبشة، فلما ظهر النبي ﷺ وناوأته قريش كانوا ينسبونه إليه، فيقولون: قال ابن أبي كبشة، وفعل ابن أبي كبشة. وفي «وهب» يقول أحد معاصريه:

«يا وهب، يا بن الماجدين زهره
سدت كلاباً - كلها - ابن مره
بحسب زاك، وأم حره»

الأعلام ٢٥/٨.

(٦) قصيّ بن كلاب بن مرّة بن كعب بن لؤيّ: سيد قريش في عصره، ورئيسهم. قيل: هو أول من كان له مُلك من بني كنانة. وهو الأب الخامس في سلسلة النسب النبوي. مات أبوه وهو طفل فتزوجت أمه برجل من بني عذرة فانتقل بها إلى أطراف الشام، فشب في حجره، وسمي «قصياً» لبعده عن دار قومه. وأكثر المؤرخين على أن اسمه «زيد» أو «يزيد» ولما كبر عاد إلى الحجاز. وكان موصوفاً بالدهاء. وولي البيت الحرام. فهدم الكعبة وجدّد بنيانها كما في تاريخ الكعبة وحاربته القبائل فجمع قومه من الشعاب والأودية وأسكنهم مكة، لتقوى بهم عصبيته، فلقبوه «مجمّعاً» وكانت له الحجابة والسقاية والرفادة والندوة واللواء. وكان قريش تتيمن برأيه، فلا تبرم أمراً إلا في داره. وهو الذي أحدث وقود النار في «المزدلفة» ليراها من دفع من «عرفة» قال ابن هشام: غلب على مكة وجميع أمر قريش، وساعدته قضاعة. وقال ابن حبيب: كان الشرف والرياسة من قريش في الجاهلية في بني «قصيّ» لا ينازعونه ولا يفخر عليهم فاخر إلى أن تفرقت الرياسة في بني عبد مناف. الأعلام ١٩٨/٥.

واشربْ هنيئاً فقد شالَتْ نعَامَتُهم وأسْبِلِ اليَوْمَ في بُرْدَيْك إسْبَالاَ
تلك المكارمُ لا قَعْبان من لَبَنٍ شِيباً بماءٍ فعادَا برديك بعدُ أبوالاَ[١]

قال: والملك مُتَضمِّخ بالعَبير يَلصفُ وَبِيصُ المِسْك في مَفْرق رأسه، وعليه بُرْدان أخضران مرتدياً بأحدهما مؤتزراً بالآخر، سيفُه بين يديه، وعن يمينه وعن شماله الملوكُ والمقَاول. وأُخبر بمكانهم فأَذِن لهم فدخلوا عليه، ودنا منه عبدُ المطلب فاستأْذنه في الكلام فقال: إن كنتَ ممن يتكلم بين يدَي الملوك فقد أَذِنَّا لك. فقال: إن الله عز وجل قد أَحلَّك أيها الملِك محلاً رفيعاً شامخاً باذخا مَنِيعاً، وأَنْبتك نباتاً طابت أَرُومته وعَظُمت جُرثومته، وثَبت أَصلُه وبَسق فرْعه، في أَطْيب موضع وأَكرمِ مَعْدِن، وأَنت أَبَيْتَ الَّلعن مَلِك العرب الذي إليه تَنْقاد وعُمُودها الذي عليه العِماد ومَعْقلها الذي تلجأُ إليه العِبَاد، سلفُك خير سلف، وأَنت لنا منهم خير خلف فلن يهلك ذِكْر من أَنت خَلَفه، ولن يَخْمُل ذكر من أَنت سَلفه، نحن أَهلُ حَرم الله وسَدَنةُ بيته، أَشْخصَنا إليك الذي أبهجنَا من كَشْفك الكربَ الذي فدَحنا، فنحن وفد التهنئة لا وفد المَرْزئة.

قال له الملك: من أَنت أَيها المتكلم؟ قال: أَنا عبد المطلب بن هاشم. قال: ابن أُختنا؟ قال: نعم. قال: أدنه. ثم أَقبل عليه وعلى القوم فقال: مَرْحباً وأَهلاً - فأَرسلَها مثلاً، وكان أَولَ من تكلم بها - وناقةً ورَحْلاً ومُسْتَناخاً سهلاً وملكاً رِبَحْلاَ يعطِي عطاءً جَزْلا، قد سمع الملك مقالتكم وعرف قرابتكم وقَبِل وسيلتكم، فإنكم أَهل الليل والنهار ولكم الكرامة ما أَقمتم والحِبَاء إذا ظَعَنْتم.

ثم أُنْهِضوا إلى دار الضيافة والوفود وأُجري عليهم الأَنزال، فأَقاموا بذلك شهراً لا يَصِلون إليه ولا يؤذن لهم بالانصراف.

ثم انتبه لهم انتباهةً فأَرسل إلى عبد المطلب فأَدناه ثم قال له: يا عبد المطلب إني مُفْض إليك من سِرّ علمي أَمراً لو غيرك يكون لم أَبُحْ له به، ولكن رأَيتك مَعْدنه فأَطلعتك طِلْعَه، فليكن عندك مُخَبّأً حتى يأْذن الله عز وجل فيه، إني أَجد في الكتاب المكتوب والعلم المخزون الذي ادّخرناه لأَنفسنا واحتجَنّاه دون غيرنا خبراً عظيماً وخطراً جَسِيماً فيه شرفُ الحياة وفضيلة الوفاة للناس عامةً ولرَهْطك كافةً ولك خاصّةً. فقال له عبد المطلب: مِثْلك أَيها الملك سَرَّ وبَرّ: فما هو؟ فداك أَهلُ الوبَر زُمَراً بعد زُمَر. قال: إذا وِلد بتهامة غلام بين كتفيه

---

(١) الأبيات من قصيدة مطلعها:

ليطلب الوتر أمثال ابن ذي يزن ريم في البحر للأعداء أحوالا

وهي تروى لأبي الصلت بن أبي ربيعة الثقفي أيضاً، ينظر السيرة النبوية والروض الأنف ٨٤/١، ٨٥.

شامة، كانت له الإمامة و لكم به الزعامة إلى يوم القيامة. فقال له عبد المطلب: أيها الملك أُبْتُ بخيرٍ ما آبَ بمثله وافدُ قوم، ولولا هيبةُ الملك وإجلاله وإعظامه لسأَلته من سارّه إياي كيما أَزداد به سروراً. فقال له المَلِك: هذا حينه الذي يولد فيه أَوقد ولد، اسمه محمد، يموت أَبوه وأُمه ويكفله جَدّه وعَمُّه، ولدناه مِراراً والله باعثه جِهاراً وجاعِلٌ له منا أَنصاراً، يُعز بهم أَولياءه ويذل بهم أَعداءه، ويضرب بهم الناس عن عُرْض ويستفتح بهم كرائم أَهلِ الأَرض، يعبد الرحمن ويدْحض أَو يَدْحر الشيطان ويُخْمد النيران ويكسر الأَوثان. قولُه فَصْل وحكْمه عَدْل، ويأْمر بالمعروف ويفعله وينهى عن المنكَر ويُبْطله.

قال له عبد المطلب: عَزَّ جدّك ودام مُلْكك وعلاَ كعبك، فهل المَلِك سارّي بإفصاح فقد وضح لي بعض الإِيضاح قال له سيف بن ذي يزَن: والبيت ذي الحجُب والعلامات على النُّقُب إنك لجَدّه يا عبد المطلب غير كَذِب.

قال: فخرَّ عبدُ المطلب ساجداً، فقال له سيف بن ذي يَزن: ارفع رأْسَك ثَلج صدرك وعلا كعبك، فهل أَحسَسْت بشيء مما ذكرتُه لك؟ قال: نعم أَيها الملك إنه كان لي ابن وكنت به مُعْجَباً وعليه رفيقاً وإني زوَّجْته كريمة من كرائم قومي آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زُهْرة[1]، فجاءت بغلام فسمَّيْته محمداً مات أَبوه وأُمه وكفلته أَنا وعمه.

فقال له سيف بن ذي يزن: إن الذي قلت كما قلت فاحتفظ من ابنك واحذر عليه اليهود فإنهم له أَعداء ولن يجعل الله لهم عليه سبيلا واطْوِ ما ذكرتُه لك عن هؤلاء الرهط الذين معك فإني لست آمَن أَن تتداخلهم النَّفاسة من أَن تكون لهم الرياسة، فينْصبون له الحبائلَ ويَبْغون له الغوائل، وهم فاعلون ذلك أَو أَبناؤهم غير شك، ولولا أَني أَعلم أَن الموت مُجْتاحي قبل مَبْعثه لسِرْت بخيلي ورَجِلي حتى أَصير بيثرب دار ملكه فإني أَجد في الكتاب الناطق والعلم السابق أَن بيثرب استحكامَ أَمره وأَهلَ نصرته وموضع قبره، ولولا أَني أَقِيه من الآفات وأَحذر عليه العاهات لأَعلنت على حداثة سِنّه أَمرَه ولأَوطأْت على أَسنان العرب كَعْبه، ولكني سأَصْرف ذلك إليك عن غير تقصير بمن معك.

ثم دعا بالقوم وأَمَر لكل واحد منهم بعشرة أَعْبد سود وعشرة إِماء سود وحلَّتين من حُلَل

---

(١) آمنة بنت وهب بن عبد مناف، من قريش: أم النبي ﷺ كانت أفضل امرأة في قريش نسباً ومكانة. امتازت بالذكاء وحسن البيان. رباها عمها وهيب بن عبد مناف. وتزوجها عبد الله بن عبد المطلب فحملت منه بمحمد ﷺ ورحل عبد الله بتجارة إلى غزة فلما كان في المدينة عائداً مرض فمات بها. وولدت آمنة بعد وفاته. فكانت تخرج كل عام من مكة إلى المدينة فتزور قبره وأخوال أبيه (بني عديّ بن النجار) وتعود. فمرضت في إحدى رحلاتها هذه فتوفيت بموضع يقال له «الأبواء» بين مكة والمدينة، ولابنها من العمر ست سنين وقيل أربع. توفيت سنة ٤٥ق م. الأعلام ١/٢٦.

البرود، وعَشرة أَرطال ذهب وعشرة أَرطال فضة ومائة من الإِبل، وكَرِش مملوءاً عنبراً، وأَمر لعبد المطلب بعشرة أَضعاف ذلك. ثم قال: إِذا حال الحولُ فأْتني بخبره وما يكون من أَمره.

قال: فمات سيف بن ذي يَزن قبل أَن يَحُول عليه الحول.

قال: وكان كثيراً ما يقول عبد المطلب: يا معشر قريش لا يَغْبطني رجل منكم بجزيل عطاء المِلك وإِن كَثُر فإِنه إِلى نفاد، ولكن لِيَغْبطني بما يَبْقى لي ولِعَقِبي ذِكْره وفَخْره. فإِذا قيل: وما هو؟ سيُعْلم ما أَقول ولو بعد حين.

قال البيهقي ـ رحمه الله تعالى ـ: وقد روي هذا الحديث أَيضاً عن الكلبي[١] عن أَبي صالح[٢] عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما.

تفسير الغريب

بلاؤه: أَي إِحسانه. مُرْتفقاً: أَي متكئاً أَو من الرِّفْق.

غُمْدان بضم الغين المعجمة: قصر باليمن. مِحْلالاً من الحلول ويروى مِهْلالاً أَي متهلِّلا. شالَتْ نَعامتهم: قال في النهاية: النعامة: الجماعة إِذا تفرقوا. وفي الصحاح: يقال للقوم إِذا ارتحلوا عن مياههم أَو تفرّقوا: قد شالَتْ نعامتهم.

متضمِّخ: متلطخ. العَبِير بعين مهملة فباء موحَّدة فمثناة تحتية: نوع من الطيب. يَلْصف بالصاد المهملة والفاء: مضارع لَصَف لَصْفاً ولَصيفاً إِذا بَرق. الوَبِيص: البَرْق أَيضاً. المقَاول: جمع قَيْل وهو المِلك من ملوك حِمْير: دون الملك الأَعظم. شامخاً: مرتفعاً باذِخاً بالذال والخاء المعجمتين: أَي عالياً. الأَرُومة وزن الأَكُولة: الأَصل. الجُرثومة بضم الجيم والثاء المثلثة الأَصل أَيضاً. بَسَق: طال. أَبَيْت اللعن: أَي أَبيت أَن تأتي من الأُمور ما تُلْعن عليه. فَدَحَنا بفاء فدال فحاء مهملتين فنون مفتوحات. أَثْقلنا. السَّدَنة: بسين فدال مهملتين فنون: الخَدَمة. رِبَحْلاً: براء مكسورة فموحدة فحاء مهملة مفتوحة: الكثير العطاء.

أَهلُ الليل والنهار: أَي لا يُحْجَبون ليلاً ولا نهاراً. الحِبَاء بكسر الحاء المهملة وبالمد: العطاء. احتجَبْناه بحاء مهملة فمثناة فوقية فجيم فتحتية فنون أَي اكتتَمْناه. أُبْتُ بكسر أَوله. رجعت. سارّه إِياي: أَي مُسَارَرَته لي. النُّقُب بضم النون جمع نَقْب وهو الطريق. الزعامة بفتح الزاي: أَي السيادة.

---

(١) محمد بن السَّائب بن بِشر بن عمرو الكلبي أبو النضر الكوفي. عن أَبي صالح بَاذَام والشَّعبي وغيرهما. وعنه ابن المبارك وابن فُضَيل ويزيد بن هارون وخلق. قال ابن عدي: رضوه في التفسير. وقال أبو حاتم: أجمعوا على ترك حديثه. واتهمه جماعة بالوضع. قال مُطَيَّن: مات سنة ست وأربعين ومائة. الخلاصة ٤٠٥/٢.

(٢) ميزان البصري، أبو صالح ما مقبول وهو مشهور بكنيته. التقريب ٢٩١/٢.

عن عُرْض: بضم العين المهملة أَي لا يُبَالون من لَقَوْا دونه ولا يخافون أَحداً بل يضربون كلَّ من عرَض لهم دونه بشرّ. وعُرْض الشيء ناحية منه. علاَ كعبُك: هو دعاء له بالشرف والعلوّ، والأَصل فيه كَعْب القناة وهو أُنبوبتها، وما بين كل عقدتين منها كعب، وكل شيء علا وارتفع فهو كعب.

مُجْتاحي بجيم فمثناة فوقية وحاء مهملة: أَي مُسْتأْصلي ومُهْلكي.

ورَوى أَبو نُعَيـْم عن طريق محمد بن عمر الأَسلَمي عن شيوخه. قالوا: بينما عبد المطلب يوماً في الحِجرْ وعنده أَسْقُفّ نجران، وكان صديقاً له وهو يحادثه ويقول: إِنا نجد صفةَ نبي بَقِي من ولد إِسماعيل، هذا البلد مَوْلِده، من صفته كذا وكذا. وأَتى رسولُ الله ﷺ فنظر إِليه الأَسْقفّ وإِلى عينه وإِلى ظهره وإِلى قدميه فقال: هو هذا، ما هو منك؟ قال: ابني. قال: لا، ما نجد أَباه حيّاً. قال: هو ابن ابني وقد مات أَبوه وأُمه حبلى به. فقال: صدقتَ. قال عبد المطلب لبَنِيه: تحفَّظوا بابن أَخيكم، أَلا تسمعون ما يقال فيه.

والأَحاديث والآثار في هذا الباب كثيرة وفيما ذكر كفاية.

الباب العاشر

في بعض منامات رئيت تدل على بعثته صلى عليه وسلم

رَوى أَبو نُعَيْمْ من طريق أَبي بكر بن عبد الله بن أبي الجَهْم عن أَبيه عن جده قال: سمعت أَبا طالب[١] يحدِّث عن عبد المطلب قال: بينما أَنا نائم في الحجْر رأَيت رؤيا هالتني ففزعت منها فزعاً شديداً فأَتيت كاهنة قريش وعليَّ مِطْرف خَزّ وجمَّتي تضرب منكبي فقلت لها إِني رأَيت الليلة كأَن شجرةً نبتَت قد نال رأْسُها السماء وضربت بأَغصانها المَشرِق والمغرب وما رأَيت نوراً أَزْهَر منها، أَعظم من نور الشمس بسبعين ضِعفاً، ورأَيتُ العربَ والعجمَ لها ساجدين وهي تَزْداد كلَّ ساعةٍ - عِظَماً ونوراً وارتفاعاً، ساعةً تَخْفَى وساعةً تظهر، ورأَيت رَهْطاً من قريش قد تعلقوا بأَغصانها ورأَيت قوماً من قريش يريدون قَطْعها فإذا دَنْوا منها أَخذهم شابٌّ لم أَر قط أَحسن منه وجهاً ولا أَطيبَ منه رِيحاً فيكسر أَظْهُرهم ويَقْلع أَعينهم، فرفعتُ يدي لأَتناول منها نصيباً فلم أَقْدر فقلت: لمن النصيبُ؟ قال: النصيب لهؤلاء الذين تعلَّقوا بها. وسبَقوك. فانتبهتُ مذعوراً. فرأَيت وجه الكاهنة قد تغيَّر ثم قالت: لئن صدَقتْ رؤياك لَيخرجنّ من صُلبك رجلٌ يَمْلك المشرقَ والمغرب ويَدين له الناس. فقال عبد المطلب لأَبي طالب: لعلك أَن تكون عم هذا المولود.

فكان أَبو طالب يحدِّث بهذا الحديث والنبيُّ ﷺ قد خرج ويقول: كانت الشجرة والله أَبا القاسم الأَمين. فيقال له: أَلا تؤمن به؟ فيقول السُّبّة والعار[٢].

وذكر ابن ظَفَر أَن مَرْثَد بن عبد كَلاَل رأَى رؤيا أَخافته وأَذعَرته وهالَتْه في حال منامه فلما انتبه نَسِيها حتى ما يذكر منها شيئاً، ثم إِنه أَحضر الكُهّان فجعل يخلو بكاهن كاهن ثم يقول: أَخبرني عمّا أُريد أَن أَسأَلك عنه. فيجيبه الكاهن بأَنه لا علم عنده عنها. فلم يكن عند واحد منهم جوابها، ثم إِنه خرج يتصيَّد بعد ذلك فأَوْغل في طلَب الصيد وانفرد عن أَصحابه، فرُفِعت له أَبياتٌ في ذَرَى جبل فقصد بيتاً منها، فبرزت له عجوز فقالت له: بالرَّحْب والسَّعَة والجَفْنة المدُعْدعَة والعُلْبة المُتْرَعة. فنزل فلما احتجب عن الشمس نام فلم يستيقظ حتى تصرَّم الهَجِير، فإِذا بين يديه فتاة لم ير مثلها جمالاً فقالت له: أَبيتَ اللعن أَيها الملك الهُمَام هل لك في الطعام؟ فخاف على نفسه لمّا رأَى أَنها عرفتْه فقالت: لا حَذر فداك البشَر. وقرَّبت إِليه

---

(١) عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم، من قريش، أبو طالب: والد علي رضي الله عليه وعم النبيّ ﷺ وكافله ومربيه ومناصره. كان من أبطال بني هاشم ورؤسائهم، ومن الخطباء العقلاء الأباة. وله تجارة كسائر قريش. نشأ النبيّ ﷺ في بيته، ولما أظهر الدعوة إلى الإسلام همّ أقرباؤه بنو قريش بقتله، فحماه أبو طالب وصدهم عنه، فدعاه النبي ﷺ إلى الإسلام، فامتنع خوفاً من أن تعيره العرب بتركه دين آبائه، ووعد بنصرته وحمايته. الأعلام ٤/١٦٦.

(٢) أخرجه أبو نعيم في الدلائل (٦٠).

ثَرِيداً وقامت تَذُبُّ عنه حتى انتهى أَكله، ثم سقَته لبناً صَريفاً وضَريباً، فشرب ما شاء وجعل يتأملها مُقْبلة ومُدْبرة فملأَت عينيه حُسناً وقلبَه هوىً فسألها عن اسمها فقالت: عفيراء. فقال: يا عفيراء من الذي دعَوْتِيه بالـمِلِك الهُمَام؟ فقالت: مَرْثَد العظيم الشأْن حاشر الكواهن والكُهّان، لمُعْضلة بَعِل بها الجان. قال يا عُفَيْراء أَتعلمين ما تلك المعضلة؟ فقالت: نعم أَيها المَلِك، إنها رؤيا منام ليس بأَضغاث أَحلام، رأَيت أَعَاصير زَوَابع بعضها لبعض تابع، فيها لهَب لامع، ولها دُخَان ساطع، يَقْفوها نهر مُتَدافِع رَوِي جارعٌ وغرق كارِع، وسمعت فيما أَنت سامع دعاء ذي جَرْس صادع هلموا إلى المَشَارِع. قال الملك: نعم هذه رؤياي فما تأْويلها؟ قالت: الزَّوابع: ملوك تَتَابع. والنهر: عِلْم واسع. والداعي: نبيٌّ شافع. والجارِع: وليٌّ له تابع. والكارِع: عدوّ له مُنازِع فقال الملك: أَسِلْم هذا النبيّ أَم حَرْب؟ فقالت: أُقسم برافع السماء ومن أَنزل الماء من العماء إنه لَمُبْطِل الدماء ومُنْطق العقائل نُطْق الإماء. قال الملك: إلى ماذا يدعو؟ قالتَ: إلى صيامٍ وصلاةٍ وصلة أَرحام، وكَسْر أَصنام، وتعطيل أَزْلام، واجتناب آثام. قال الملك: من قومُه؟ قالت: مُضَر بن نِزَار[1] ولهم نَقْع مُثَار يُجلَّى عن قَتْلٍ وإِسَار. قال: يا عُفيراء إذا ذَبح قومَه فمن أَعْضادُه؟ قالت: أَعضاده غَطَاريف يَمَانُون طائِرهم به مَيْمون يعزّيهم فيعزُّون ويدمِّث بهم الحُزون وإِلى نَصْر يَعْتَزُون.

فأَطرق الملك يُؤامر نفسه في خطبتها فقالت أَبيت اللعن إن تابِعي غَيُور، ولأَمري صَيّور وناكِحي مَقْبور، والكَلِف بي تَبُور.

فنهض الملك مبادراً فجال في صهوة جواده وانطلق فبعث إليها بمائة ناقة كَوْماءَ.

تفسير الغريب

أَوْغَل في طلب كذا: تابَع في ذلك. والوغول: الدخول في الشيء بالقوة.

الذَّرَى: بوزن الحصَى: كل ما يستتر به الشخص. والذِّرْوة بالكسر والضم من كل شيء أَعلاه.

والجَفْنة المُدَعْدَعة[2]: هي التي مُلئت ثم حُرّكت حتى تراصَّ ما فيها ثم ملئت بعد ذلك والعلبة المتْرعة: هي إناء من جلد والإتراع: الامتلاء.

الأَرْواح: الرياح. الصَّرِيف: اللبن المحْض يحلب أَوان الحلاَب يُصْرف عن الضرع إلى

---

(١) مضر بن نزار بن معد بن عدنان: جدٌّ جاهلي، من سلسلة النسب النبوي. من أهل الحجاز. قيل إنه أول من سن الحداء للإبل في العرب، وكان من أحسن الناس صوتاً. أما بنوه فهم أهل الكثرة والغلبة في الحجاز، من دون سائر بني عدنان، كانت الرياسة لهم بمكة والحرم. الأعلام ٧/٢٤٩.

(٢) انظر المعجم الوسيط ١/٢٨٥.

الشارب. الضَّريب من اللبن. الرائب يُحلب عليه فيَسْتضرب أي يَغْلظ.

بَعِل بها الجانّ: بفتح الباء وكسر العين المهملة بعدها لام، قال في النهاية: بَعِل بالأَمر إذا دَهِش.

أَعاصير زوابع: هي من الرياح ما يثير الترابَ فيُعْليه في الجو ويثيره. ساطع: مرتفع.

الجَرْس: الصوت. المشَارع: المَداخل إلى النهر.

رَوِيَ جارع: أَي من شرب منه جَرْعاً رَوِيَ. وغَرِق كارع: أَي من أمعَن غَرِق.

تَتَابع: جمع تُبَّع، وهو لقب كان لملوك اليمن وهو من الاتباع، لأَن بعضهم كان يتبع في الملْك والسِّيرة بعضاً. والتُّبع زعموا أَنه اسم للظل.

العَماء: الغيم والغمام. العقائل: الكرائِم من النساء يشبيهنّ فيَشْدُدْن النُّطُق على أَوساطهن للمِهْنة والخدمة. النَّقْع: الغبار يثيره المتحاربون والخيل وغيرها.

الأَعضاد: الأَنصار الغَطَاريف[١]: السادة والتغطرف: التكبّر.

يدمّث: يسهل، يَعْتزون: ينتسبون.

يُؤَامر نفسَه: هكذا يقال ويراد به يُعارض الرأْيين المتضادّين في النفس.

ولأَمري صَيّور: أَي عاقبة يَصير إِليها، يقولونه على جهة التعظم.

جال: وثب. الصَّهْوة: مقعد الفارس من ظهر الفرس. كَوْماء[٢]: عظيمة السَّنَام.

* * *

وروى ابن سعد وابن الجوزي عن أُم خالد بنت خالد بن سعيد بن العاص[٣] رضي الله تعالى عنها قالت، قبيل مَبْعث النبي ﷺ: كان خالد بن سعيد بن العاص[٤] ذات ليلة نائماً فقال: رأيت كأَنه قد غَشِيَت مكةَ ظُلْمة عظيمة حتى لا يُبْصر امرؤ كفَّه، فبينما هو كذلك إذ خرج نور من زمزم ثم علا في السماء فأَضاء في البيت، ثم أَضاءت مكة كلها ثم ضرب إلى نخل يَثْرب فأَضاءها حتى إني لأَنظر إلى البُسر في النخل. فاستيقظتُ فقَصصْتها على أَخي

(١) انظر اللسان ٥/٣٢٧٠.

(٢) من كوّم كومة بالضم إذا جمع قطعة من تراب ورفع رأسها ونظيره الصبرة من الطعام، انظر مختار الصحاح ٣٥٧.

(٣) أمة بنت خالد بن سعيد بن العاصي بن أمية، صحابية بنت صحابي، ولدت بأرض الحبشة، وتزوجها الزبير بن العوّام، وعُمّرت حتى لحقها موسى بن عقبة. التقريب ٢/٥٩٠.

(٤) خالد بن سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص الأموي. عن أبيه. وعنه ابن المبارك فرد حديث في (خ) وغيره. وثقه أبو بشر العَبْدي. الخلاصة ٢٧٨/١.

عمرو بن سعيد[١] وكان جَزْل الرأي فقال: يا أَخي إن هذا لأَمر يكون في بني عبد المطلب، أَلاَ ترى أنه خرج من حُفْرة أَبيهم.

قال خالد: فإنه لـمِمّا هداني الله للإسلام. قالت أُم خالد: فأَول من أَسلم ابني وذلك أَنه ذكر رؤياه لرسول الله ﷺ قال يا خالد: أَنا والله ذلك النور وأَنا رسول الله. فقصَّ عليه ما بعَثه الله به فأسلم خالد وأَسلم عمرو بعده.

ورَوى ابن سعد عن حرام بن عثمان الأَنصاري[٢] - رضي الله تعالى عنه - قال: قدِم أَسْعد بن زُرَارة[٣] من الشام تاجراً في أَربعين رجلاً من قومه، فرأَى رؤيا أن آتياً أَتاه فقال: إن نبيّاً يخرج بمكة يا أَبا أُمامة فاتبعه وآية ذلك أَنكم تنزلون منزلاً فيصاب أَصحابك فتنجو أَنت وفلان يُطعن في عينه. فنزلوا منزلاً فبيّتهم فيه الطاعون فأُصيبوا جيمعاً غير أَبي أُمامة وصاحب له طُعن في عينهُ.

وروى أَيضاً وابنُ الجوزي، عن عمرو بن مُرّة الجُهَنيّ[٤] رضي الله تعالى عنه قال: خرجتُ حاجّاً في جماعة من قومي في الجاهلية فرأَيت في المنام وأنا بمكة نوراً ساطعاً خرج من الكعبة حتى أَضاء لي من الكعبة إلى جبل يثرب وأَشْعر جُهَيْنة فسمعت صوتاً في النور وهو يقول: انقشعت الظُّلَم وسَطع الضياء وبُعث خاتم الأَنبياء. ثم أَضاء إضاءةً أُخرى حتى نظرت إلى قصور الحيرة وأَبيض المدائن فسمعت صوتاً في النور وهو يقول: ظهر الإسلام وكُسرت الأَصنام ووُصلت الأَرحام.

فانتبهتُ فَزِعاً فقلت لقومي: والله لَيحْدثنّ في هذا الحيّ من قريش حدَث. وأَخبرتهم بما رأَيت. فلما انتهينا إلى بلادنا جاءنا خبر أَن رجلاً يقال له أَحمد قد بُعث. فخرجت حتى أَتيته فأَخبرته بما رأَيت فقال: يا عمرو بن مرة أَنا النبي المرسل إلى العباد كافة أَدعوهم إلى الإسلام وآمرهم بحقن الدماء وصلة الأَرحام وعبادة الله ورفض الأَصنام وحج بيت الله وصيام

---

(١) عمرو بن سعيد بن العاص بن أُمية بن عَبْدِ شمسٍ الأُموي أبو أُمية الأشدق أحد الأشراف. قيل: له رؤية. عن أبيه وعمر وعثمان. وعنه بنوه أُمية وموسى وسعيد، تغلَّب على دِمَشْق سنة تسع وستين ثم لاطفه عبد الملك ثم قتله غدراً سنة تسع وستين أو سبعين، قيل: ذبحه بيده. انظر الخلاصة ٢/٢٨٥.

(٢) حَرَامُ بن عُثْمَان الأنصاريّ، أحد بني سلمة. مات بعد خروج محمد بن عبد الله بن حسن، وقيل سنة خمسين ومائة بالمدينة وكان كثير الحديث ضعيفاً. الطبقات لابن سعد ٥/٤٥٥.

(٣) أسعد بن زرارة بن عدي بن عبيد بن ثعلبة بن غنيم بن مالك بن النجار أبو أمامة الأنصاري الخزرجي النجاري.. قديم الإسلام يقال إنه أول من بايع ليلة القضية قال البغوي: بلغني أنه أول من مات من الصحابة بعد الهجرة وأنه أول ميت صلى عليه النبي ﷺ. الإصابة ١/٣٢.

(٤) عمرو بن مرة بن صعصعة، من سلوك، من عدنان: جد جاهلي من نسله «قردة بن نفاثة» من الصحابة، وعبد الله بن همام من الشعراء. الأعلام ٥/ ٨٥- ٨٦.

شهر رمضان شهر من اثني عشر شهراً، فمن أَجاب فله الجنة ومن عصى فله النار، فآمِنْ بالله يا عمرو بن مرة يؤمنك الله من هول جهنم. فقلت يا رسول الله، آمنتُ بما جئتَ به من حلال وحرام. ثم أَنشدته أَبياتاً قلتها حين سمعت به وهي:

شَـهِـدتُ بـأَنَّ الـلـهَ حَـقٌّ وأَنّـنـي لآلـهـةِ الأَصْـنَـامِ أَوَّلُ تَـارِكِ
لأَصْـحَـبَ خَـيْرَ النَّاسِ نَفْساً وَوَالِداً رَسُـولَ مَـلِيـكِ النَّـاسِ فَوقَ الحَبَائِـكِ

وروى أَبو نُعَيْم عن كعب ووهب بن مُنَبّه رحمهما الله تعالى قالا: رأَى بُخْتَنَصَّر في منامه رؤيا عظيمة أَفزعته فلما استيقظ أُنْسِيها، فدعا كهنته وسَحرته فأَخبرهم بما أَصابه من الكَرْب في رؤياه وسأَلهم أَن يَعْبُروها له، فقالوا: قُصَّها علينا. فقال: قد نسيتها. قالوا: فإنا لا نَقْدر على تأْويلها حتى تقصّها. فدعا دانيالَ فأَخبره بها فقال إِنك قد رأَيت صنماً عظيماً رِجلاه في الأَرض ورأْسه في السماء أَعْلاه من ذهب ووسطه من فضة وأَسفله من نحاس وساقاه من حديد ورجلاه من فَخّار، فبَيْنما أَنت تنظر إِليه قد أَعجبك حُسنه وإِحكام صنعته قذَفه الله بحجر من السماء فوقع على قُنَّة رأْسه، قذفه حتى طحَنه فاختلط ذهبه وفضته ونحاسه وحديده وفخّاره، حتى تخيّل إِليك أَنه لو اجتمع الإِنس والجن على أَن يميّزوا بعضه من بعض لم يقدروا على ذلك ولو هبّت ريحٌ لأَذْرته، ونظرتَ إِلى الحجر الذي قُذف به يَرْبو ويَعْظم وينتشر حتى ملأَ الأَرض كلَّها، فصرتَ لا ترى إِلا السماء.والحجر.

قال بُخْتَنصَّر: صدقت، هذه الرؤيا التي رأَيتُها فما تأْويلها؟ قال: أَمّا الصنم. فأُمم مختلفة في أَول الزمان وفي وسطه وفي آخره. وأَما الحجَر الذي قَذف الله به الصنَم فدين الله تعالى يقذف به هذه الأُمم في آخر الزمان ليُظْهره عليها، فيبعث الله تعالى نبيّاً أُميّاً من العرب فيدوّخ الله تعالى به الأُمم والأَديان كما رأَيت الحجرَ دوَّخ أَصناف الصنم، ويظهر على الأَديان كما رأَيت الحجر ظهر على وجه الأَرض.

قال في الصحاح: داخ البلاد يَدُوخها قهرها واستولى على أَهلها وكذلك دوَّخ البلاد.

الباب الحادي عشر

فيما وجد من صورة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم مقرونة بصور الأنبياء قبله صلى الله عليه وسلم

روى البيهقي وأَبو نُعَيْم عن هشَام بن العاص[(١)] رضي الله تعالى عنه قال: بُعثْت أَنا ورجلٌ من قُرَيْشٍ زمنَ أَبي بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه إِلى هِرَقْل صاحبِ الرومِ ندعوه إِلى الإِسْلاَم، فخرجنا حتى قدِمْنا الغُوطة، يعني دِمَشْق، فَنَزَلْنا عَلَى جَبَلَة بن الأَيْهَم الغَسَّاني[(٢)]، فدخلنا عليه وإِذا هو على سرير له، فأَرسل إِلينا برسول نكلمه، فقلنا: والله إِنا لا نكلم رسولاً إِنما بُعثنا إِلى الملك فإِن أَذن لنا كلَّمناه وإِلا لم نكلم الرسول. فرجع إِليه الرسول فأَخبره فأَذِن، فكلمه هشام ودعاه إِلى الإِسْلاَم وإِذا عليه ثيابٌ سُودٌ، فقال له هِشَام: ما هذه الثيابُ التي علَيْك؟ قال: لبسْتُها وَحَلَفْتُ أَن لا أَنْزِعَهَا حتى أُخْرِجَكُمْ من الشَّامِ. فقلنا: ومجلسَك هذا والله لنأْخذنَّه منك ولنأْخذن ذلك الملك الأَعظم إِن شاء الله تعالى، أَخبرنا بذلك نبينا ﷺ. [قال: فأَنتم إِذاً السمراء. قلنا: السمراء؟][(٣)] قال لستم بهم هم قوم يصومون بالنهار ويفطرون بالليل، فكيف صومكم؟ فأَخبرناه فملىء وجهه سواداً فقال: قوموا. وبعث معنا رسولاً إِلى الملك، فخرجنا حتى إِذا جاء بقُرْب المدينة قال الذين أَرسلهم معنا: إِن دوابكم هذه لا تدخل المدينة فإِن شئتم حَمَلْناكم على براذين أَو بغال. فقلنا: والله لا ندخل إِلا عليها. فأَرسلوا إِلى الملك بذلك بأَنهم يأْبَوْن. فدخلنا على رَوَاحلنا متقلِّدين سيوفنا حتى انتهينا إِلى غرفة له فأَنخنا في أَصلها وهو ينظر إِلينا، فقلنا: لا إِله إِلا اللهِ واللهُ أَكبر. فلقد تنفَّضت الغرفة حتى صارَت كأَنَّها عِذْقٌ تَعْصِفُه الرِّيَاحُ. ثم دخلنا عليه فقال: ما كان عليكم لو جئتموني بتحيتكم فيما بينَكُم؟ قلنا: إِن تَحِيَّتَنا فيما بيننا لا تَحِلُّ لك وتَحِيَّتُكَ التي أَنْتَ بها لا يَحِلُّ لنا أَن نُحَيِّيَكَ بها. قال: كَيْفَ تَحِيَّتُكُمْ؟ قلنا: السلام. قال: كيف تحيّون مَلِكَكُمْ. قُلْنَا: بِهَا. قَالَ: وكَيْف يَرُدُّ علَيْكُم؟ قُلْنَا: بها. قال: فما أَعظمُ كلامِكُم؟ قلنا: لا إِله إِلا اللَّهُ واللَّهُ أَكْبَر. فلما تكلمنا بها تنفَّضت الغرفة حتى رفع رأْسه إِليها. قال: فهذه الكلمة التي قلتموها حيث تنفَّضت الغرفة كلما

---

(١) هشام بن العاص بن وائل بن هاشم: صحابي، هو أخو عمرو بن العاص. أسلم بمكة قديماً، وهاجر إلى بلاد الحبشة في الهجرة الثانية. ثم عاد إلى مكة حين بلغته هجرة النبي ﷺ إلى المدينة، يريد اللحاق به، فحبسه أبوه وقومه، بمكة. فأقام إلى ما بعد وقعة «الخندق» ورحل إلى المدينة، فشهد الوقائع. وقتل في أجنادين، وقيل: في اليرموك. وكان صالحاً شجاعاً. توفي ١٣هـ. انظر الأعلام ٨٦/٨.

(٢) جبلة بن الأيهم بن جبلة الغساني من آل جفنة: آخر ملوك الغساسنة في بادية الشام. عاش زمناً في العصر الجاهلي وحضر وقعة اليرموك في جيش الروم، ثم أسلم وهاجر إلى المدينة فيها وخرج إلى بلاد الروم وتوفي بها سنة عشرين. الأعلام ١١١/٢، ١١٢.

(٣) سقط في أ.

قلتموها في بيوتكم تنفضت هكذا؟ قلنا: لا. وما رأيناها فعلت هذا قط إلا عندك. قال: وددْت أنكم كلما قلتم تنفَّض عليكم كلُّ شيء وأني خرجت من نصف مُلكي قلنا لم؟ قال: لأنه كان أيْسَر لشأْنها وأَجدر أَن لا يكون من أَمر النبوة وأَن يكون من حِيَل الناس.

ثم سأَلنا عمّا أَراده فأَخبَرْناه. قال: قوموا. فقمنا فأَمر لنا بمنزل حسَن ونُزُل كثير، فأَقمنا ثلاثاً ثم أَرسل إلينا ليلاً فدخلنا عليه فاستعاد قولنا فأَعدناه ثم دعا بشيء كهيئة الربعة العظيمة مُذَهَّبة فيها بيوت صِغَار عليها أَبواب، ثم فتح باباً فاستخرج حَرِيرة سوداء فنشرها فإذا فيها صورة حمراء وإذا فيها رجل ضخم العينين عظيم الأَليتين لم أَر مثل طول عنقه وإذا ليست له لحية وإذا له ضفيرتان أَحسن ما خلق الله تعالى. فقال: أَتعرفون هذا؟ فقلنا: لا. قال: هذا آدم عليه الصلاة والسلام وإذا هو أَكْثَر الناسِ شعراً، ثم فتح باباً آخر واستخرج منه حَرِيرَةً سَوْدَاء وإذا فيها صورةٌ بيضاءُ وإذا فيها رجلٌ ذو شَعْرٍ كشعرِ القِطَطِ أَحْمَر العينَين ضخمُ القامَة حَسَنُ اللِّحْيَةِ قال: هل تَعْرِفُون هذا؟ قلنا: لاَ. قَالَ: هذا نُوحٌ. ثم فتح باباً آخر واستخرج منه حريرةً سوداءَ وإذا فيها رجُلٌ شديدُ البَياضِ حسن العينين صَلْت الجبين طويل الخدين أَبيض اللحية كأَنه يتبسم، فقال: أَتعرفون هذا؟ قلنا: لا. قال: هذا إبراهيم. ثم فتح باباً آخر واستخرج منه حريرة سوداء وإذا فيها صورة بيضاء وإذا رسول الله ﷺ. قال: أَتعرفون هذا؟ قلنا: نعم، هذا محمد رسول الله ﷺ، ثم بكينا. فوالله لقد قام لها قائماً ثم جلس وقال: والله إنه لهو؟ قلنا: نعم إنه لهو. فأمسك ساعة ثم قال: أَما إنه آخر البيوت، ولكن عجَّلْته لأَنظر أَتعرفون ذلك أَم لا. ثم فتح باباً آخر فاستخرج منه حريرة سوداء فإذا فيها صورة أَدْماء شحماء وإذا رجل جَعْد قَطط غائر العينين حديد النظر عابس مُتراكب الأَسنان مُقَلَّص الشفة كأَنه غضبان. فقال: أَتعرفون هذا؟ قلنا: لا. قال: هذا موسى ابن عمران. وإلى جنبه صورة تشبهه إلا أَنه مُدْهانُّ الرأْس عريض الجبين في عينيه قَبَل، قال: هل تعرفون هذا؟ قلنا: لا. قال: هذا هارون. ثم فتح باباً آخر فاستخرج منه حريرة بيضاء فإذا فيها صورة رجل سبْط آدم ربْعة كأَنه غضبان. فقال: هل تعرفون هذا؟ قلنا: لا. قال: هذا لَوطٌ. ثم فتح باباً آخر فاستخرج منه حريرة فإذا فيها صورة رجل مشرب بحمرة أَقنى الأَنف خفيف العارضين حسن الوجه. قال: هل تعرفون هذا؟ قلنا: لا. قال: هذا إسحاق، ثم فتح باباً آخر فاستخرج منه حريرة بيضاء فإذا فيها صورة تشبه إسْحَاق إلا أَنه على شفتيه خال. فقال: هل تعرفون هذا؟ قلنا: لا. قال: هذا يعقوب ثم فتح باباً آخر فاسْتَخْرج منه حريرةً سوداء فإذا فيها صورةُ رجلٍ أَبْيَضَ حسنِ الوجْه أَقْنَى الأَنْفِ حسَن القَامَة يعلو وجهه نور يعرف في وجهه الخشوع يقرب إلى الحمرة. فقال: هل تعرفون هذا؟ قلنا: لا. قال: هذا إسماعيل جَدّ نبيكم، ثم فتح باباً آخر فاستخرج منه حريرة سوداء فإذا فيها صورة كأَنها صورة آدم كأَن وجهه الشمس فقال: هل تعرفون هذا؟ قلنا: لا. قال هذا يوسف عليه الصلاة والسلام.

ثم فتح باباً آخر فاسْتَخْرج منه حريرة بيضاء فيها صورة رجل أَحمر حَمِش الساقين أَخفش العينين ضخم البطن ربعة متقلد سيفاً قال: هل تعرفون هذا؟ قلنا: لا. قَال: هذا دَاوُد. ثم فتح باباً آخر فاستخرج منه حريرة بيضاء فإذا فيها صورة رجل مُتْخَم الإِلْيَتَيْنِ طويلِ الرجلَيْن راكبِ فرساً، فقال: هل تعرفُون هذا؟ قلنا: لا. قال: هذا سُلَيْمان عليه السلام ثم فتح باباً آخر فاستخرج منه حريرة سوداء فيها صورة بيضاء وإذا رجل شابٌ شديد سواد اللحية كثير الشعر حسَن الوجه فقال: هل تعرفون هذا؟ قلنا: لا. قال: عيسى ٱبْنُ مرْيَم. قلنا: من أَين لك هذه الصور لأَنَّا نعلم أَنها صورّت على ما صورت عليه الأَنبياء لأَنا رأَينا صورة نبيِّنا ﷺ مثله فقال: إن آدَمَ ﷺ سأَل ربَّه أَن يريه الأَنبياء من ولده فأَنزل عليه صُوَرَهُمْ وكانت في خِزَانَةِ آدَمَ عند مَغْرِبِ الشمْس فاستخرجها ذو القرنَيْن فدفعها إِلى دَانِيَال.

ثم قال: أَمَا والله وَدِدتُ أَن نفسي طابت بالخُروج من مُلْكِي وأَني كنتُ عَبْداً لأَشرّكم مِلْكةً حتى أَموت. ثم أَجازَنا فأَحسن جائزتنا وسرَّحنا.

فلما أَتينا أَبا بكر رضي الله تعالى عنه أَخبرناه بما رأَيناه وبما قال لنا فبكى أَبو بكر وقال: مسكين! لو أَراد الله تعالى به خيراً لفعل. ثم قال: أَخبرنا رسول الله ﷺ أَن اليهود يجدون نَعْت محمد ﷺ عندهم.

ورَوى ابن عساكر نحوه عن دِحْية[1] - رضي الله تعالى عنه - وذكر ابن ظَفَر في «خَيْر البِشَر» نحوه عن حَكيم بن حِزَام[2] رضي الله تعالى عنه.

ورَوى البخاري في التاريخ والبيهقي عن جُبَيْر بن مُطْعِم[3] - رضي الله تعالى عنه - قال:

---

(١) دحية بن خليفة بن فروة بن فضالة بن زيد بن امرئ القيس بن الخزرج بفتح المعجمة وسكون الزاي ثم جيم ابن عامر بن بكر بن عامر الأكبر بن عوف الكلبي.. صحابي مشهور أول مشاهده الخندق وقيل أحد ولم يشهد بدراً وكان يضرب به المثل في حسن الصورة وكان جبرائيل عليه السلام ينزل على صورته جاء ذلك من حديث أم سلمة ومن حديث عائشة وروى النسائي بإسناد صحيح عن يحيى بن معمر عن أبي عمر رضي الله عنهما: كان جبرائيل يأتي النبي ﷺ في صورة دحية الكلبي وروى الطبراني من حديث عفير بن معدان عن قتادة عن أنس أن النبي ﷺ قال: كان جبرائيل يأتيني على صورة دحية الكلبي وكان دحية رجلاً جميلاً وروى العجلي في تاريخه عن عوانة بن الحكم قال: أجمل الناس من كان جبرائيل ينزل على صورته. قال ابن قتيبة في غريب الحديث: فأما حديث ابن عباس كان دحية إذا قدم المدينة لم تبق معصر إلا خرجت تنظر إليه فالمعنى بالمعصر العاتق قال ابن البرقي: له حديثان عن النبي ﷺ وقد شهد دحية اليرموك وكان على كردوس وقد نزل دمشق وسكن المزة وعاش إلى خلافة معاوية. الإصابة ٢/ ١٦١- ١٦٢.

(٢) حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى الأسدي أبو خالد المكي، ابن أخي خديجة أم المؤمنين، أسلم يوم الفتح، وصحب، وله أربع وسبعون سنة، ثم عاش إلى سنة أربع وخمسين أو بعدها وكان عالماً بالنسب التقريب ١٩٤/١.

(٣) جبير بن مطعم بن عَدِي بن نَوْفَل بن عبد مَناف النوفلي، أبو محمد أو أبو عدي المدني، أسلم قبل حنين أو يوم الفتح، له ستون حديثاً اتفقا على ستة، وانفرد (خ) بحديث، و (م) بآخر. روى عنه ابناه محمد ونافع وسليمان بن صرد وابن =

لما بعَث الله تعالى نبيه ﷺ وظهر أمرُه بمكة. خرجتُ إلى الشام فلما كنت ببُصْرَى أتتني جماعةٌ من النصارى فقالوا: أَمِن الحرم أنت؟ قلت: نعم. قالوا: أَفتعرف هذا الذي تنبَّأ فيكم؟ قلت: نعم. قال: فأَخذوا بيدي وأَدخلوني دَيراً فيه تماثيل وصُوَر فقالوا: انظر هل ترى صورته؟ فنظرت فإذا أَنا بصورة النبي ﷺ وإذا أَنا بصفة أَبي بكر وصورته وهو آخذ بِعَقِب النبي ﷺ فقالوا: هل ترى صفته؟ قلت: نعم. قالوا: هو هذا، وأَشاروا إلى صفة رسول الله ﷺ قلت: الَّلهم نعم، أَشهد أَنه هو. قالوا: أَتعرف هذا الذي أَخذ بعَقِبه؟ قلت: نعم. قالوا: نشهد أَن هذا صاحبكم وأَن هذا الخليفة من بعده[1].

تفسير الغريب

تنفضت الغرفة بالفاء والضاد المعجمة: أَي تحرَّكت.

صَلْتُ الجَبِينِ[2]: أَي واسعه. وقيل: الصَّلت: الأَمْلس. وقيل: البارز. قاله في النهاية. وفي الصحاح: هو الواضح.

وَصُورَةٌ أَدْمَاء: أَي سَمْرَاء. شحماء: سوداء. وشعر جَعْد: ضد السبط، فإن وصف بالقطَطَ بفتحتين فهو شديد الجعودة كشعر السودان.

وفي عَيْنَيْهِ قَبَلٌ: بفتح القاف والباء وهو إقبال السواد على الأَنف. وشَعْرٌ رَجْل بفتح الراء وكسر الجيم وفتحها وسكونها. وسَبْط بفتح أَوله وسكون ثانيه وكسره وفتحه: هو المُسْتَرْسل. وَرَبْعَة: براء مفْتُوحَة ومُوَحَّدة سَاكِنَة: أَي مَرْبُوع الخلق لا قصير ولا طويل.

وحَمِشُ السَّاقَيْنِ[3]: بحاء مهملة وشين معجمة دقيقهما. وأَخفش العينين: صغيرهما. والله أَعلم.

= المسيب وطائفة، وكان حليماً وقوراً عارفاً بالنسب. وذكر ابن إسحاق أن النبي ﷺ أعطاه مائة من الإبل توفي سنة تسع أو ثمان وخمسين بالمدينة. الخلاصة ١/١٦١.

(١) أخرجه أبو نعيم في الدلائل (١٨).

(٢) يقال أصبح صلت الجبين يبرُقُ قال: فلا يكون الأسود صلتاً... وقال ابن شُميل: الصلت الواسع المستوى الجميل وفي حديث آخر: كان سهل الخدين صلتهما اللسان ٣/٢٤٧٨.

(٣) انظر الوسيط ١/١٩٧.

جماع أبواب بعض فضائل بلده المنيف ومسقط رأسه الشريفِ زاده الله تعالى فضلا وشرفا

لمّا كان ﷺ حاوياً للفضائل ومنه كَوْنُ بلد مولده ﷺ أَفضل من غيرها حَسُن ذكر بعض أَخباره وفضائله ـ وأَيضاً فإِن جماعة ممن أَلف في السِّير منهم أَبو الرَّبيع[1] رحمه الله تعالى تعرَّضوا لبعض ذلك فتبعتهم وبالله التوفيق.

البـــاب الأول
في بدء أمر الكعبة المشرفة

«قال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بيتٍ وُضِع للناسِ للَّذي بِبَكَّة﴾.

ورَوى ابنَ أَبي شَيْبة[2] والإِمام أَحمد وعَبْد بن حميد والشيخان وابن جرَير والبيهقي في الشُّعبَ عن أَبي ذَرٍّ ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: قلت يا رسول الله أَي مسجد وضِع أَوَّلُ؟ قال: المسجدُ الحرام. قلت: ثم أَيّ؟ قال: المسجد الأَقصى. قلت: كم بينهما؟ قال أَربعون سنة[3].

ورَوى ابن المنذر وابن أَبي حاتم بإِسناد صحيح عن علي ـ رضي الله تعالى عنه ـ في الآية قال: كانت البيوت قَبْله ولكنه أَول بيت وضع لعبادة الله تعالى.

ورَوى ابن جرير عن الحسن في الآية قال: إِن أَول بيت وضع للناس يعبد الله تعالى لَلَذي بِبَكَّة.

---

(١) سليمان بن موسى بن سالم بن حسان الكلاعي الحميري، أبو الربيع: محدّث الأندلس وبليغها في عصره. من أهل بلنسية، ولي قضاءها، وحمدت سيرته. قال النباهي: «وكان هو المتكلم عن الملوك في مجالسهم، والمبيِّن عنهم لما يريدونه، على المنبر في المحافل» له شعر رقيق أكثره في الوصف، وكان فرداً في الإنشاء. وصنف كتباً، منها «الاكتفا بسيرة المصطفى والثلاثة الخلفا» و «أخبار البخاري وترجمته» وكتاب حافل في «معرفة الصحابة والتابعين». وله «جهد النصيح وحظ المنيح من مساجلة المعري في خطبة الفصيح». توفي سنة ٦٣٤هـ. الأعلام ١٣٦/٣.

(٢) عبد الله بن محمد بن أبي شيبة العبسي، مولاهم، الكوفي، أبو بكر: حافظ للحديث. له فيه كتب، منها «المسند» و «المصنف في الأحاديث والآثار» خمسة أجزاء، و «الإيمان» وكتاب «الزكاة». توفي سنة ٢٣٥هـ. الأعلام ١٧/٤، ١٨.

(٣) أخرجه البخاري ٥٢٨/٦ كتاب أحاديث الأنبياء (٣٤٢٥)، ومسلم ٣٧٠/١ كتاب المساجد (١ـ ٥٢٠)، وأحمد في المسند (٥٠/٥) وابن ماجة (٧٥٣)، والنسائي ٣٢/٢، والبيهقي ٤٣٣/٢، وابن أبي شيبة ١١٦/١٤، وعبد الرزاق (١٥٧٨).

ورَوى ابن أَبي حاتم والأَزْرقي[1] عن كَعْب الأَحبار ـ رضي الله تعالى عنه قال ـ: كان البيت غُثَاءً على الماء قبل أَن يخلق الله تعالى الأَرضَ بأَربعين عاماً ومنه دُحِيت الأَرض.

الغُثَاء كغُراب: ما جاء به السَّيْل من نبات قد يَبِس.

ورَوى ابن جَرير وأَبو الشيخ في العظمة، عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: وُضع البيت على الماء على أَربعة أَركان قبل أَن تُخْلق الدنيا بأَلفي عام، ثم دُحِيت الأَرض من تحت البيت.

وروى عبد الرّزاق[2] والأَزْرقي والجنْديّ[3] في تاريخهما عن مجاهد[4] ـ رحمه الله تعالى ـ قال: خلق الله تعالى موضعَ البيت الحرام من قَبْل أَن يخلق شيئاً من الأرض بأَلفي سنة وأَركانه في الأَرض السابعة. زاد عَبْد بن حُمَيْد: ودحيت الأَرض من تحت الكعبة.

وروى ابن جرير وابن المنذر والطبراني والبيهقي في الشُّعَب عن ابن عمر ـ رضي الله تعالى عنهما ـ قال: خلق الله تعالى البيت قبل الأَرض بأَلفي سنة، وكان إِذ كان عرشه على الماء زبدة بيضاء، وكانت الأَرض تحته كأَنها خَشفة، فدحيت الأَرض من تحته.

الخَشَفة بمعجمتين: واحدة الخشَف وهي حجارة تنبت بالأَرض نباتاً ويروى: بحاء مهملة والعين بدل الفاء، وهي أَكَمة لاطئة بالأَرض والجمع خشف. وقيل: هو ما غلبت عليه السهولة، أَي ليس بحجر ولا طين. ويروى حشفة بالحاء المهملة والفاء، وهو اليابس الفاسد من التمر.

ورَوى ابن المنذر عن أَبي هريرة ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: إِن الكعبة خُلقت قبل

---

(١) محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن الوليد بن عقبة بن الأزرق. أبو الوليد الأزرقي: مؤرخ، يماني الأصل، من أهل مكة. له «أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار». توفي ٢٥٠هـ. الأعلام ١٢٢/٦.

(٢) عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري، مولاهم، أبو بكر الصنعاني: من حفاظ الحديث الثقات، من أهل صنعاء. كان يحفظ نحواً من سبعة عشر ألف حديث. له «الجامع الكبير» في الحديث، قال الذهبي: وهو خزانة علم، وكتاب في «تفسير القرآن» و «المصنف في الحديث». توفي ٢١١هـ. الأعلام ٣٥٥/٣.

(٣) محمد بن يوسف بن يعقوب، أبو عبد الله، بهاء الدين الجندي: من ثقات مؤرخي اليمن. من أهل الجَند (بينه وبين صنعاء ٥٨ فرسخاً) ولي «الحسبة» بعدن. واشتهر بكتابه «السلوك في طبقات العلماء والملوك» ويعرف بطبقات الجندي. توفي ٧٣٢هـ. الأعلام ١٥١/٧.

(٤) مُجاهد بن جَبْر بإسكان الموحدة مولى السّائب بن أبي السّائب أبو الحجّاج المكي المقرئ الإمام المفسّر. عن ابن عباس وقرأ عليه. قال مجاهد: عرضت عليه ثلاثين مرة، وأم سلمة وأبي هريرة وجابر وعن عائشة في (خ م). قال شعبة والقطّان وابن معين وأبو حاتم الرازي: لم يسمع منها. لكن قد صرح مُجاهد في بعض رواياته بسماعه منه. وعنه عِكْرمة وعطاء وقتادة والحَكَم بن عُتيبة وأيوب وخلق. وثقه ابن معين وأبو زُرعة قال ابن حبان: مات بمكة سنة اثنتين أو ثلاث ومائة وهو ساجد ومولده سنة إحدى وعشرين. الخلاصة ١٠/٣، ١١.

الأَرض بأَلفي سنة وهي من الأَرض إنما كانت خشفة على الماء عليها ملكان من الملائكة يسبِّحان، فلما أَراد الله تعالى أَن يخلق الأَرض دحَاها منها فجعلها وسط الأَرض.

ورَوى البيهقي في الشُّعَب عن ابن عباس ـ رضي الله تعالى عنهما ـ قال: رسول الله ﷺ: **«أَول بقعة وضعت في الأَرض موضع البيت ثم مُدت منهما الأَرض: وإِن أَول جبل وضعه الله ـ تعالى ـ على وجه الأَرض أَبو قُبَيْس ثم مُدَّت منه الجبال»**[1].

ورَوى ابن أَبي حاتم عن عطاء وعمرو بن دينار[2] ـ رحمهما الله تعالى ـ قالا: بعث الله تعالى ريحاً فسفقت الماءَ فأَبرزت موضع البيت على خشفة بيضاء فمدَّ الله تعالى الأَرض منها فلذلك هي أُمّ القرى.

وروى ابن مردويه عن بريدة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«أَمُّ القُرَى مكة»**.

قال السُّهيلي رحمه الله تعالى: وفي التفسير أَن الله ـ سبحانه وتعالى ـ لما قال للسماوات والأَرض **﴿ائتِيَا طَوْعاً أَو كَرْهاً قالتَا أَتَينا طائِعين﴾** لم يجبه بهذا إِلا أَرض الحرم .

وروى عَبْد بن حُمَيْد والأَزْرقيّ واللفظ له عن ابن عباس ـ رضي الله تعالى عنهما ـ قال: لمّا كان العَرش على الماء قبل أَن يخلق الله عز وجل السماوات والأَرض بعَث الله ـ تعالى ـ ريحاً صفَّاقة فصفقت الريحُ الماء فأَبرزت عن حشَفة في موضع البيت كأَنها قبّة، فدحا الله تعالى الأَرضَ من تحتها فمادَت ثم مادت فأَوْتَدها الله تعالى بالجبال، فكان أَول جبل وضع فيها أَبو قُبَيْس فلذلك سميت [مكة][3] أَم القرى.

سفَقت يقال بالسين والصاد المهملتين: أَي ضُرب بعضه ببعض.

وروى الأَزرقي من طريق ابن جُرَيْج عن مجاهد رحمه الله تعالى قال: بلَغني أَنه لـمَّا خلق الله تعالى السماوات والأَرض كان أَول شيء وضعه فيها البيت الحرام، وهو يومئذ ياقوتة حمراء جوْفاء لها بابان أَحدهما شرقيٌّ والآخرغربيٌّ، فجعله مُسْتَقْبِل البيتِ المعمور، فلما كان زمن الغرق رفع في ديباجتين فهو فيهما إِلى يوم القيامة واستودع الله تعالى الركنَ أَبا قُبَيْس.

---

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٤٣١/٣ باب في المناسك (٣٩٨٤).

(٢) عمرو بن دينار الْجُمَحِي مولاهم أبو محمد المكي الأثرم، أحد الأعلام. عن العبادلة وكُريب ومجاهد وخلق. وعنه قتادة وأيوب وشعبة والسفيانان والحمّادان وخلق. قال ابن المديني: له خمسمائة حديث. قال مِسعر: كان ثقة ثقة ثقة. قال الواقدي: مات سنة خمس عشرة ومائة. وقال ابن عيينة: في أول سنة ست عشرة. الخلاصة ٢٨٤/٢.

(٣) سقط في أ.

ورَوى عبد الرزَّاق في المصنَّف وعبد بن حميد وابن المنذر عن عطاء بن أَبي رباح - رحمه الله تعالى - قال: لما أَهبط الله تعالى آدم كان رجلاه في الأَرض ورأْسه في السماء يسمعُ دُعاءَ أَهل السماء فأَنِس بهم، فهابت الملائكة منه حتى شكت إِلى الله - تعالى - في دعائِها وفي صلاتها فأَخفضه الله إِلى الأَرض، فلما فقدَ ما كان يسمع منهم استوحش حتى شكا إِلى الله عز وجل - في دعائه وفي صلاته فتوجَّه إِلى مكة فكان موضع قدميه قرية وخطوه مفازة حتى انتهى إِلى مكة، وأَنزل الله - تعالى - عليه ياقوتة من ياقوت الجنة فكان على موضع البيت الآن فلم يزل يطاف به حتى أَنزل الله - تعالى - الطوفان فرفعت تلك الياقوتة.

وروى عبد الرزاق وابن جرير وابن المنذر من طريق معمر عن قتادة وابن المنذر والأَزرقي عن وهب بن منبه - رحمه الله تعالى - قال: وضع الله تعالى البيت مع آدم، أَهبط الله تعالى آدم إِلى الأَرض وكان مهبطه بأَرض الهند وكان رأْسه في السماء ورجلاه في الأَرض، وكانت الملائكة تَهابه فنُقص إِلى ستين ذراعاً، فحزن آدم إِذ فقد أَصوات الملائكة وتسبيحهم. فشكا ذلك إِلى الله تعالى فقال الله تعالى: يا آدم إِني قد أَهبطتُ بيتاً يطاف به كما يطاف حول عرشي ويُصلَّى عنده كما يصلَّى عند عرشي فاخرجْ إِليه. فخرج إِليه آدم ومُدَّ له في خطوه وقُبض له ما كان فيها من مَخاض أَو بحر، فجعله خطوة فلم يضع قدميه في شيء من الأَرض إِلا صار عُمراناً وبركة حتى انتهى إِلى مكة، وكان قبل ذلك قد اشتد بكاؤه وحزنه لِمَا كان من عظم المصيبة حتى إِن كانت الملائكة لَتبكي لبكائه وتحزن لحزنه، فعزَّاه الله - تعالى - بخيمة من خيام الجنة وضعها الله - تعالى - له بمكة في موضع الكعبة قبل أَن تكون الكعبة، وتلك الخيمة ياقوتة حمراء من ياقوت الجنة فيها ثلاث قناديل من ذهب فيها نور يلتهب من نور الجنة، ونزل معها يومئذ الركن وهو ياقوتة بيضاء من رَبَض الجنة وكان كرسياً لآدم ﷺ يجلس عليه، فلما كان آدم ﷺ بمكة حرسه الله - تعالى - له وحرس له تلك الخيمة بالملائكة. كانوا يحرسونها ويذودون عنها سكان الأَرض، وساكنوها يومئذ الجن والشياطين ولا ينبغي لهم أَن ينظروا إِلى شيء من الجنة، والأَرض يومئذٍ طاهرة طيبة نقية لم تنجس ولم يسفك فيها الدم ولم تُعْمَلُ فيها الخطايا فلذلك جعلها الله تعالى مَسْكن الملائكة وجعلهم فيها كما كانوا في السماء يسبِّحون الله - تعالى - بالليل والنهار لا يَفْترون، وكان وقوفهم على أَعلام الحرم صفّاً واحداً مُسْتديرين بالحرم كله، الحِلُّ من خلفهم والحرم كله من أَمامهم، ولا يجوزهم جن ولا شيطان من أَجل مقام الملائكة حُرِّم الحرم حتى اليوم. وكان آدم ﷺ إِذا أَراد

---

(١) معمر بن راشد الأزدي، مولى مولاهم عبد السلام بن عبد القدوس، أبو عُرْوَة البصري ثم اليماني أحد الأعلام. عن الزهري وهمام بن مُنبِّه وقتادة وخلق. وعنه أيوب من شيوخه والثوري من أقرانه وابن المبارك وخلق. قال العجلي: ثقة صالح. وقال النسائي: ثقة مأمون. وضعفه ابن معين في ثابت. توفي سنة ثلاث وخمسين ومائة. الخلاصة ٤٧/٣.

لقاء حوَّاء ليُلمّ بها لأَجل الولد خرج من الحرم حتى يَلْقاها، فلم تزل خَيْمة آدم مكانها حتى قُبض آدم، ورفعها الله تعالى إليه. وذكر الحديث.

تفسير الغريب

قال الحافظ: رحمه الله تعالى: أَولُ بضم اللام. قال أَبو البقاء[1]: وهي ضمة بناءٍ لقطعه عن الإِضافة مثل قبلُ وبعد، والتقدير: أَولُ كلِّ شيء ويجوز الفتح مصروفاً وغير مصروف ثم أَيِّ: بالتنوين وتركه. وهذا الحديث يفسر المراد بقوله تعالى: ﴿**إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ**﴾ ويدل على أَن المراد بالبيت بيت العبادة لا مُطْلَقَ البيوت وقد ورد ذلك صريحاً عن عليّ - رضي الله تعالى عنه - أَخرجه إِسحاق بن راهويه[2] وابن أَبي حاتم بإِسناد صحيح عنه قال: كانت البيوت قَبْله ولكنه أَول بيت وضع لعبادة الله تعالى.

وتقدم في أَول الباب وسيأْتي الكلام على الأقصى في الكلام على تفسير أَول سورة الإِسراء في أَبواب المعراج.

قوله: ﴿**أَربعون سنة**﴾ قال ابن الجوزي: فيه إِشكال، لأَن إِبراهيم بنى الكعبة وسليمان بنى بيت المقدس، وبينهما أَكثر من أَلف سنة. قال الحافظ رحمه الله تعالى: ومستنده في أَن سليمان هو الذي بنى المسجد الأَقصى ما رواه النَّسائي من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله تعالى عنهما - مرفوعاً بإِسناد صحيح أَن سليمان ﷺ لما بنى بيت المقدس سأَل الله تعالى خلالا ثلاثاً. الحديث.

وروى الطبراني من حديث رافع بن عُمَيْر أَن داود - عليه الصلاة والسلام - ابتدأَ بناء

---

(١) عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري البغدادي، أبو البقاء، محبّ الدين: عالم بالأدب واللغة والفرائض والحساب. أصله من عكبرا (بليدة على دجلة) ومولده ووفاته ببغداد. أصيب في صباه بالجدري، فعمي. وكانت طريقته في التأليف أن يطلب ما صنف من الكتب في الموضوع، فيقرأها عليه بعض تلاميذه، ثم يملي من آرائه وتمحيصه وما علق في ذهنه. من كتبه «شرح ديوان المتنبي» و «اللباب في علل البناء والإعراب» و «شرح اللمع لابن جني» و «التبيان في إعراب القرآن - ط» ويسمى «إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراآت في جميع القرآن» و «الترصيف في التصريف» و «ترتيب إصلاح المنطق» وغير ذلك. و «التلقين - خ» في النحو، و «شرح المقامات الحريرية - خ» و «الموجز في إيضاح الشعر الملغز - خ» و «الاستيعاب في علم الحساب» ٤/٨٠/ تُ ٦١٦.

(٢) إسحاق بن إبراهيم بن مَخْلَد بن إبراهيم بن مَطَر الحَنْظَلِي أبو محمد بن رَاهَوْيه الإمام الفقيه الحافظ العلم. ولد سنة إحدى وستين ومائة. عن معتمر بن سليمان والدَّرَاوَرْدِي وابن عُيَيْنة وبَقِيَّة وابن عُلَيَّة وخلق بالحجاز والشام والعراق وخراسان. وعن (خ م د ت س) وقال: ثقة مأمون أحد الأئمة. قال أحمد: لا أعلم لإسحاق نظيراً، إسحاق عندنا من أئمة المسلمين وإذا حدثك أبو يعقوب أمير المؤمنين فتمسك به. وقال الخفاف: أملى علينا إسحاق أحد عشر ألف حديث من حفظه ثم قرأها يعني في كتابه فما زاد ولا نقص. وقال إبراهيم بن أبي طالب: أملى إسحاق المسند كله من حفظه. قال البخاري: توفي سنة ثمان وثلاثين ومائتين. الخلاصة ٦٩/١.

بيت المقدس، ثم أوحى الله - تعالى - إليه: إني لأقضي بناءه على يد سليمان. وفي الحديث قصة.

قال ابن الجوزي - رحمه الله تعالى -: والجواب: أن الإشارة إلى أوّل البناء ووضع أساس المسجد وليس إبراهيم أول من بنى الكعبة ولا سليمان أول من بنى بيت المقدس، فقد روينا أن أول من بنَى الكعبة آدم ثم انتشر ولده في الأرض فجائز أن يكون بعضهم قد وضع بيت المقدس ثم بنى إبراهيم عليه السلام الكعبة بنصّ القرآن. وكذا قال القرطبي: إن الحديث لا يدل على أن إبراهيم وسليمان عليهما الصلاة والسلام لمّا بنيا المسجدين ابتدآ وضعهما لهما بل ذلك تجديد لما كان غيرهما أسّسه.

قال الحافظ: وقد مشى ابن حبان[١] في صحيحه على ظاهر هذا الحديث فقال: في هذا الخبر رَدٌّ على من زعم أن بين إسماعيل وداود - عليهما الصلاة والسلام - ألف سنة. ولو كان كما قال لكان بينهما أربعون سنة وهذا عَيْن المحال لطول الزمان بالاتفاق بين بناء إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - البيتَ وبين موسى - عليه الصلاة والسلام. ثم إن في نص القرآن أن قصة داود في قتل جالوت كانت بعد موسى بمدة.

وقد تعقَّبه الحافظ ضياء الدين المقْدِسي[٢] بنحو ما أجاب به ابن الجوزي.

قال الخطَّابي[٣]: يُشْبه أن يكون المسجد الأقصى أول ما وضع بناءه بعض أولياء الله تعالى قبل بناء داود وسليمان عليهما الصلاة والسلام، ثم داود وسليمان، فزادا فيه وسْعاً

---

(١) محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن معبد التميمي، أبو حاتم البستي، ويقال له ابن حِبّان: مؤرخ، علاّمة، جغرافي، محدث. ولد في بست (من بلاد سجستان) وتنقل في الأقطار، فرحل إلى خراسان والشام ومصر والعراق والجزيرة. وتولى قضاء سمرقند مدة، ثم عاد إلى نيسابور، ومنها إلى بلده، حيث توفي في عشر الثمانين من عمره. وهو أحد المكثرين من التصنيف. قال ياقوت: أخرج من علوم الحديث ما عجز عنه غيره، وكانت الرحلة في خراسان إلى مصنفاته. من كتبه «المسند الصحيح» في الحديث، يقال: إنه أصح من سنن ابن ماجة، و «روضة العقلاء - ط» في الأدب، و «الأنواع والتقاسيم». توفي ٣٥٤. الأعلام ٧٨/٦.

(٢) محمد بن عبد الواحد بن أحمد بن عبد الرحمن السعدي، المقدسي الأصل، الصالحي الحنبلي، أبو عبد الله، ضياء الدين: عالم بالحديث، مؤرخ. من أهل دمشق، مولداً ووفاة. بنى فيها مدرسة دار الحديث الضيائية المحمدية بسفح قاسيون، شرقي الجامع المظفري، ووقف بها كتبه. ورحل إلى بغداد ومصر وفارس، وروى عن أكثر من ٥٠٠ شيخ. من كتبه «الأحكام» في الحديث، لم يتمه. توفي ٦٤٣. الأعلام ٢٥٥/٦.

(٣) حمد - بفتح الحاء وسكون الميم، وقيل: اسمه أحمد - بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب، أبو سليمان البستي المعروف بالخطابي، قيل إنه من ولد زيد بن الخطاب بن نفيل العدوي. قال الذهبي: ولم يثبت. كان رأساً في علم العربية والفقه والأدب وغير ذلك. أخذ الفقه عن أبي علي بن أبي هريرة وأبي بكر القفال وغيرهما، وأخذ اللغة عن أبي عمر الزاهد. وصنف التصانيف النافعة المشهورة، منها «معالم السنن» تكلم فيها على سنن أبي داود، و «أعلام البخاري» و «غريب الحديث»، و «شرح أسماء الله الحسنى» و «كتاب الغنية عن الكلام وأهله»، و «كتاب العزلة»؛ وله شعر حسن. نقل عنه النووي في التهذيب شيئاً في اللغة ثم قال: ومحله من العلم مطلقاً خصوصاً الغاية العليا. توفي ببست في ربيع الآخر سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة. انظر الطبقات لابن قاضي شهبة ١٥٦/١، ١٥٧.

فأُضيف إليهما بناؤه. قال: وقد يُنسب هذا المسجد الأَقصى إلى إيلْيَاء، فيحتمل أَن يكون هو بانيه أَو غيره ولست أَحقِّق لِمَ أُضيف إليه.

قال الحافظ: الاحتمال الذي ذكره أَولاً موجّه. وقد رأَيت لغيره أَن أَول من أَسس المسجد الأَقصى آدم ﷺ. وقيل: الملائكة عليهم الصلاة والسلام وقيل: سام بن نوح ﷺ وقيل: يعقوب ﷺ فعلى الأَولين يكون ما وقع ممن بعدهما تجديداً كما وقع في الكعبة. وعلى الأخيرين يكون الواقع من إبراهيم ﷺ أو يعقوب ﷺ أَصلاً وتأَسيساً، ومن داود ﷺ تجديداً لذلك أَو ابتداء بناء، فلم يَكْمل على يديه حتى كمَّله سليمان. لكن الاحتمال الذي ذكره ابن الجوزي أَوْجَه. وقد وجدت ما يشهد له. ويؤيده قولُ من قال: إن آدم هو الذي أَسس كلاًّ من المسجدين.

وذكر ابن هشام[1] في كتاب التيجان أَن آدم لما بنى الكعبة أَمَره الله تعالى بالمسير إلى بيت المقدس وأَن يبنيه فبناه ونسَك فيه. وبناء آدم البيت مشهور.

وقيل إنه لما صلى إلى الكعبة أُمر بالتوجه إلى بيت المقدس فاتخذ فيه مسجداً وصلى فيه ليكون قبلة لبعض ذريته. وأَما ظَنّ الخطَّابي أَن إيلياء اسم رجل ففيه نظر، بل هو اسم البلد فأُضيف إليه المسجد كما يقال مسجد المدينة ومسجد مكة. وقال أَبو عُبَيْد البَكْري في معجم البلدان إن إيلياء مَدينة بيت المقدس فيها ثلاث لغات: مَدّ آخره. وقَصْره. وحذف الياء الأُولى.

وعلى ما قاله الخطَّابي يمكن الجمع بأَن يقال إنها سميت باسم بانيها كغيرها.

---

(١) عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين: مؤرخ، كان عالماً بالأنساب واللغة وأخبار العرب. ولد ونشأ في البصرة، وتوفي بمصر. أشهر كتبه «السيرة النبوية» المعروف بسيرة ابن هشام، رواه عن ابن إسحاق. وله «القصائد الحميرية» في أخبار اليمن وملوكها في الجاهلية، و «التيجان في ملوك حِمير» رواه عن أسد بن موسى، عن ابن سنان، عن وهب بن منبه؛ و «شرح ما وقع في أشعار السير من الغريب» وغير ذلك. توفي ٢١٢هـ. الأعلام ٤/١٦٦.

الباب الثاني
في عدد المرات التي بنيها البيت

الأولى: عمارة الملائكة

رَوى الأَزرقي عن علي بن الحسين ـ رضي الله تعالى عنهما ـ أَن رجلاً سأَله: ما بدء هذا الطواف بهذا البيت لم كان؟ وأَنى كان؟ وحيث كان: فقال: أَمّا بدء هذا الطواف بهذا البيت فإِن الله تعالى قال للملائكة: ﴿**إِني جاعل في الأَرض خليفةً**﴾فقال الملائكة: أَي ربّ خليفة مِن غيرنا ممن يفسد فيها ويسفك الدماء ويتحاسدون ويتباغضون ويتباعدون أَي رب اجعل ذلك الخليفة منَّا، فنحن لا نفسد فيها ولا نسفك الدماء ولا نتباغض ولا نتحاسد، ونحن نسبّح بحمدك ونقدس لك ونطيعك ولا نعصيك. قال الله سبحانه وتعالى: ﴿**إِنيَ أَعْلم ما لا تعلمون**﴾.

قال: فظنت الملائكة أَن ما قالوا ردٌّ على ربهم عز وجل، وأَنه قد غضب عليهم من قولهم، فلاذوا بالعرش ورفعوا رؤوسهم وأَشاروا بالأَصابع يتضرَّعون ويبكون إِشفاقاً لغضبه فطافوا بالعرش ثلاث ساعات، فنظر الله تعالى إِلهيم فنزلت الرحمةُ عليهم، فوضع الله سبحانه وتعالى تحت العرش بيتاً على أَربع أَساطين من زبرجد وغشَّاهن بياقوتة حمراء وسمَّى البيت الضّراح ثم قال للملائكة: طوفوا بهذاالبيت ودَعُوا العرش. فطافت الملائكة بالبيت وتركوا العرش فصار أَهْون عليهم، وهو البيت المعمور الذي ذكره الله تعالى، يدخله كل يوم وليلة سبعون أَلف ملك لا يعودون إِليه أَبداً.

ثم إِن الله سبحانه وتعالى بعث ملائكة فقال: ابنوا لي بيتاً في الأَرض بمثاله وقَدْره. فأَمر الله سبحانه وتعالى مَن في الأَرض من خَلْقه أَن يطوفوا بهذا البيت كما يطوف أَهل السماء بالبيت المعمور.

الضُّراح بضم الضاد المعجمة فراء فأَلف فحاء مهملة. ويأْتي لهذا مزيد بيان في باب حج الملائكة.

* * *

المرة الثانية: عمارة آدم صلى الله عليه وسلم

روى البيهقي في الدلائل عن ابن عمر ـ رضي الله تعالى عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**بعث الله تعالى جبريل إِلى آدم وحواء فقال لهما: ابنيا لي بيتاً. فخط لهما جبريل ـ فجعل آدم يحفر وحواء تنقل ـ حتى أَجابه الماء ونودي من تحته: حسبك يا آدم. فلما بناه أَوحى الله تعالى إِليه أَن يطوف به وقيل له: أَنت أَول الناس، وهذا أَول**

بيـت وضع ثم تناسخت القرون حتى حجّة نوح، ثم تناسخت القرون، حتى رفع إبراهيم القواعد من البيـت»[1].

ورواه ابن أَبي حاتم وابن جَرِير والطبراني موقوفا. وزادوا: زعم الناس أَن آدم بناه من خمسة أَجبل من حراء ولبنان وطور زيتا وطور سيناء والجُودِيّ.

وروى الأَزرقي وأَبو الشيخ في العظمة وابن عسَاكر عن ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما - قال: لما أَهبط الله تعالى آدم إِلى الأَرض من الجنة كان رأسه في السماء ورجلاه في الأَرض وهو مثل الفَلَك من رَعْدته فطأْطأَ الله عز وجل منه إِلى ستين ذراعاً فقال: يا رب مالي لا أَسمع أَصوات الملائكة ولا أُحِسُّهم؟ قال: خطيئتك يا آدم، ولكن اذهب فابن لي بيتاً فطف به واذكرني حَوْله كما رأيت الملائكة تصنع حولَ عَرْشي. فأَقبل آدمُ يتخطّى فطُويت له الأَرض وقبض الله تعالى له المفازة فصارت كل مفَازة يمرّ بها خطوة وقبض الله تعالى ما كان فيها من مخاض أَو بحر فجعله له خطوة ولم يقع قدمه في شيء من الأَرض إلا صار عُمراناً وبركة، حتى انتهى إِلى مكة فبنى البيت الحرام وإِن جبريل عليه السلام ضرب بجناحه الأَرض فأَبرز عن أُسٍّ ثابت على الأَرض السابعة فقذفت فيه الملائكة الصخر ما يطيق الصخرة منها ثلاثون رجلاً، وإِنه بناه من خمسة أَجبل: من لبنان، وطور زيتا، وطور سيناء، والجودي، وحراء، حتى استوى على وجه الأَرض، فكان أَول من أَسَّس البيت وصلى فيه وطاف به آدم ﷺ حتى بعث الله تعالى الطوفان وكان غضباً. ورِجْساً فحيثما انتهى الطوفان ذهب ريح آدم ﷺ ولم يقرب الطوفان أَرضي السند والهند، فدرس موضعُ البيت في الطوفان حتى بعث الله تعالى إِبراهيم وإِسماعيل فرفعا قواعده وأَعلامه.

الفَلَك: قيل موج البحر المضطرب وقيل أَراد فلْكة المِغْزل حال دورانها.

وروى الأَزرقي عن عبد الله بن أَبي زياد رحمه الله تعالى قال: لما أَهبط الله تعالى آدم من الجنة قال: يا آدم ابن لي بيتاً بحِذَاء بيتي الذي في السماء تتعبّد فيه أَنت وولدك كما تتعبد ملائكتي حول عرشي، فهبطت عليه الملائكة فحفر حتى بلغ الأَرض السابعة، فقذفت فيه الملائكة الصخر حتى أَشرف على وجه الأَرض، وهبط آدم بياقوتة حمراء مجوّفة لها أَربعة أَركان بيض. فوضعها على الأَساس، فلم تزل الياقوتة كذلك حتى كان زمن الغرق فرفعها الله تعالى.

***

(١) ذكره السيوطي في الدر المنثور ١٢٩/١ وعزاه للبيهقي في الدلائل وذكره ابن كثير في البداية والنهاية ٢٩٩/٢ والمتقي الهندي في كنز العمال ٣٤٧١٨.

المرة الثالثة: عمارة أولاد آدم صلى الله عليه وسلم

رَوى ابن المنذر والأَزرقي عن وهب بن منبه - رحمه الله تعالى - أَن آدم ﷺ لما توفيّ رفعه الله تعالى إِلى الجنة ورفع الله تعالى إِليه الخيمةَ التي تقدَّم ذِكرها. قال: وبنى بنو آدم من بعدها مكانها بيتاً بالطين والحجارة فلم يزل معموراً يَعْمرونه ومن بعدهم حتى كان زمن نوح فنسفه الغرق وخَفِي مكانه.

وذكر السُّهيلي - رحمه الله تعالى - أَن الذي بناه شيث بن آدم ﷺ.

المرة الرابعة: عمارة سيدنا إبراهيم وإسماعيل صلى الله عليهما وسلم

وجزم ابن كثير بأَن الخليل أَول من بنى البيت مطلقاً، وقال: إِنه لم يَثْبت خبرٌ عن معصوم أَن البيت كان مبنيّاً قبل الخليل. انتهى. وفيه نظر لِمَا ذُكر من الآثار السابقة واللاحقة.

ورَوى ابن سعد عن أَبي جَهْم بن حذيفة بن غانم رضي الله تعالى عنه والإِمام أَحمد وعبد بن حميد والبخاري وابن جرير وابن أَبي حاتم والجندي وابن شيبة وابن مردويه والبيهقي عن ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما - واللفظ له: أَن أَول ما اتخذ النساء المنَاطق من قِبَل أم إِسماعيل اتخذت مِنْطَقاً لتعفِّي أَثرها عن سارة. وفي لفظ: أَول ما اتخذت العرب جرّ الذيول عن أَم إِسماعيل. قال الحافظ: والسبب في ذلك أَن سارة كانت وهبت هاجر لإِبراهيم ﷺ فحملت منه بإِسماعيل.

قال أَبو جَهْم[1] وكان سن إِبراهيم حينئذ سبعون سنة وكان إِسماعيل بِكْر أَبيه. انتهى.

فلما ولدته غارت منها سارة فحلفت لتقطعن منها ثلاثة أَعضاء فاتخذت هاجر مِنْطقاً فشدَّت به وسطها وهربت وجرَّت ذيلها لتخفي أَثرها على سارة. ويقال: إِن إِبراهيم ﷺ شفع فيها، وقال لسارة: حَلِّلي عن يمينك بأَن تثقبي أُذنيها وتَخْفضيها وكانت أَول من فعل ذلك.

ويقال أَن سارة اشتدت بها الغيرة فخرج إِبراهيم بإِسماعيل وأُمه إِلى مكة. انتهى كلام الحافظ.

وفي حديث أَبي جَهْم أَن الله سبحانه وتعالى أَوحى إِلى إِبراهيم ﷺ يأْمره بالمسير إِلى بلده الحرام فركب إِبراهيم البُرَاق وجعل إِسماعيلَ أَمامه - وهو ابن سنتين - وهاجرَ خَلْفه ومعه جبريل يدلُّه على مَوْضع البيت وَمعالم الحرم، فكان لا يمرّ بقرية إِلا قال إِبراهيم: بهذه أُمرتُ يا جبريل؟ فيقول: لا حتى قدِم مكة، وهي إِذ ذاك عِضَاه وسَلَمَ وسَمُر، والعَمَاليق يومئذ حول

---

(١) أبو جَهْم بن حُذيفة بن غانم بن غانم بن عامر بن عبد الله بن عبيد بن عويج بن عديّ بن كعب، وأمّه بشيرة بنت عبد الله من بني عديّ بن كعب. أسلم يوم فتح مكة ومات بعد قتل عمر بن الخطّاب. انظر طبقات ابن سعد ٨/٦.

الحرم، وهم أَول من نَزَل مكة ويكونون بعرفة، وكانت المياة يومئذ قليلة وكان موضع البيت قد دَثَر وهو ربْوة حمراء مَدَرة، وهو يُشْرف على ما حَوْله، فقال جبريل ﷺ حين دخل من كَدَاء، وهو الجبل الذي يُطْلعك على الحَجُون والمقبرة: بهذا أُمرتَ. قال إبراهيم بهذا أُمرتُ؟ قال نعم.

فانتهى إبراهيم إلى موضع البيت فعمد إلى موضع الحِجر فآوى فيه هاجَرَ وإسماعيل وأَمرها أَن تتخذ فيه عَرِيشاً. انتهى.

وفي حديث ابن عباس أَن إبراهيم ﷺ جاء بهاجر وبابنها إسماعيل وهي ترضعه حتى وضعهما عند البيت عند دَوْحة فوق زمزم في أَعلى المسجد.

قلت: ولا مخالفة بين الكلامين كما زعمه في شفاء الغرام، لاحتمال أَن يكون إبراهيم ﷺ أَنزلهما أَولاً عند الدوحة، ثم نقلهما إلى موضع الحجر، أَو بالعكس والله - تعالى - أَعلم. وليس بمكة أَحد وليس بها ماء فوضعهما هنالك ووضع عندهما جراباً فيه تمر وسقاء فيه ماء. ثم قفل إبراهيم.

وفي حديث أَبي جهم: ثم انصرف إبراهيم راجعاً إلى أَهله بالشام. انتهى.

وترك إسماعيل وأُمَّه عند البيت. فتبعته أُمُّ إسماعيل فأَدركته بكَدَاء، فنادته ثلاثاً: يا إبراهيم، أَين تذهب وتتركنا في هذا الوادي الذي ليس فيه إنس ولا شيء؟ إلى من تَدَعنا؟ فقالت ذلك مراراً وجعل لا يلتفت إليها، فأَجابها في الثالثة: إلى الله تعالى. قالت: الله أَمَرك بهذا؟ قال: نعم. قالت: إذاً لا يضيعنا حَسْبي.

وفي لفظ: رضيتُ تركتنا إلى كاف. ثم رجعت.

وفي حديث: أَبي جَهْم: فجعلت عَرِيشاً في موضع الحِجْر من سَمُر وثُمَام، وانطلق إبراهيم ﷺ حتى وقف على كَدَاء ولا بناء ولا ظل ولا شيء يَحُول دونَ ابنه فنظر إليه فأَدركه ما يدرك الوالدَ من الرحمة.

وفي حديث ابن عباس: أَنه لما تَوارى عنهما استقبل بوجهه البيت، ثم دعا بهؤلاء الكلمات ورفع يديه، قال: **﴿رَبِّ إِنِّي أَسكَنْتُ من ذُرِّيتي بوادٍ غير ذِي زَرْع عِنْدَ بيتِك المحرَّم ربَّنا لِيُقيموا الصَّلاةَ فاجْعلْ أَفْئِدَةً مِنَ الناسِ تَهْوِي إليهم وأَرزُقْهُمْ من الثَّمرات لعلَّهم يَشْكُرون﴾**.

وجعلت أُم إسماعيل تُرْضعه وتشرب من ذلك الماء حتى إذا نَفِد ما في السِّقاء عطشتْ فانقطع لبنُها، وعطش إسماعيل، وجعلت تنظر إليه يتلوَّى. وفي لفظ: يتلبط. وفي لفظ يتلمَّط. وفي لفظ: فلما ظمىء جعل يضرب بعَقبيه كأَنه يَنْشَغَ لِلموت، فانطلقت كراهية أَن

تنظر إِليه، وقالت: يموت وأنا غائبة عنه أَهْون عليّ وعسى الله أَن يجعل في مَمْشاي خيراً، فوجدت الصَّفَا أَقربَ جبل في الأَرض إِليها، فقامت عليه والوادي يومئذ عميق، فقامت تستغيث ربها وتدعوه، ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى أَحداً فلم ترى أَحداً فهبطت من الصفا حتى جاوزت الوادي ثم أَتت المروة فقامت عليها. ونظرت هل تر أَحداً ففعلت ذلك سبع مرات.

قال ابن عباس: قال رسول الله ﷺ: فلذلك سعى الناس بينهما وكان ذلك أَول ما سعى بين الصفا والمروة.

وفي حديث أَبي جَهْم: وكانَ مَن قبلها يطوفون بالبيت ولا يسعون بين الصفا والمروة ولا يقفون بالمواقف انتهى.

وكانت في كل مرة تتفقَّد إِسماعيل وتنظر ما حدَث له بعدها فلما أَشرفت على المروة سمعت صوتاً فقالت: صه، تريد نفسها، ثم تسمَّعت فسمعت أَيضاً فقالت: قد أَسمعتَ إِن كان عندك غَوَاث، فإِذا هي بالملَك. وفي لفظ: جبريل. وفي حديث عليّ عند الطبراني بإِسناد حسن: فناداها جبريل: من أَنت؟ قالت: هاجر أُم ولد إِبراهيم. قال: فإِلى من وكَلكما؟ قالت: إِلى الله تعالى. قال: وكَلكما إِلى كافٍ.

وفي حديث أَبي جَهْم: فلما كان الشوط السابع ويئست سمَعتْ صوتاً فاستمعت فلم تسمع إِلا الأَول: فظنت أَنه شيء عَرض لسمْعها من الظمأ والجَهْد، فنظرت إِلى ابنها وهو يتحرك، فأَقامت على المروة مَلِيّاً، ثم سمعت الصوت الأَول فقالت: إِني سمعت صوتك فأَعجَبني، إِن كان عندك خير فأَغِثْني، فإِني قد هلكتُ وهلك ما عندي. فخرج الصوتُ يصوّت بين يديها وخرجت تَتْلوه قد قَوِيتْ له نفسُها حتى انتهى الصوتُ عند رأْس إِسماعيل ثم بدَا لها جبريلُ عليه السلام فانطلق بها حتى وقف على موضع زمزم. انتهى.

فبحث بِعَقِبه أَو قال: بجَناحه. وفي لفظ: فقال بعَقِبه هكذا: وغمز عقبه في الأَرض، وفي لفظ: فركَض جبريل برجله. وفي لفظ: ففحَص الأَرض بإِصبعه. فنبعتْ زَمْزَمُ حتى ظهر الماء، وفي لفظ: ففاض الماء، وفي لفظ: فانبثق الماءُ فوق الأَرض. فدهِشت أَمُّ إِسماعيل فجعلت تحفر وفي لفظ تُحوّضه. وفي لفظ: فجعلت تفحص الأَرض بيديها وتقول: هكذا وهكذا. وفي لفظ، تُحَظِّر الماء بالتراب خشية أَن يَفُوتها قبل أَن تأْتي بشَنَّتها وجعلت تَغْرف من الماء في سقائها وهو يَفُور بعد ما تغرف.

قال ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما - قال رسول الله ﷺ: **«يرحم الله أُمَّ إِسماعيل لو تركت زمزم أَو قال: لو لـم تَغْرف من الماء ـ كانت زمزم عيناً مَعِيناً»**. وفي لفظ: ظاهراً.

فشربت وأَرضعت ولدها فقال لها الملك: لا تخافي الضَّيْعة فإِن ها هنا بيت الله يبنيه

هذا الغلام وأَبوه. وأَشار لها إِلى موضع البيت.

وكان البيت مرتفعاً من الأَرض كالرابية تأْتيه السيولُ فتأْخذ عن يمينه وشماله وإِن الله لا يضيع أَهله.

وفي حديث أَبي جَهْم: فكان ثَدْياها يَقْطران لبناً وكان ذلك اللبن طعاماً وشراباً لإِسماعيل وكانت تجتزىء بماء زمزم وقال لها الملكُ: لا تخافي أَن يَنْفدَ هذا الماءُ وأَبشري فإِن ابنك سيشبّ ويأْتي أَبوه من أَرض الشام فيبنيان ها هنا بيتاً يأْتيه عبادُ الله تعالى من أَقطار الأَرض مُلَبِّين الله جلَّ ثناؤه شُعْثاغُبْرا فيطوفون به، ويكون هذا الماء شراباً لضِيفان الله تعالى الذين يزورون بيته. فقالت: بشَّرك الله تعالى بخير. وطابت نفسها وحمدت الله تعالى.

وأَقبل غلامان من العماليق يريدان بعيراً لهما أَخطأَهما وقد عطشا، وأَهلُهما بعرفة فنظرا إِلى طير تهوي قِبَل الكعبة فاستنكرا ذلك وقالا: أَنَّى يكون الطير على غير ماء؟! فقال أَحدهما لصاحبه: أَمْهِلْ حتى نُبْرد ثم نسلك في مَهْوى الطير. فأَبْرَدا ثم تروَّحا فإِذا الطير تردُ وتَصْدُر فاتَّبعا الواردة منها حتى وقفا على أَبي قُبَيْس فنظرا إِلى الماء وإِلى العَرِيش فنزلا وكلَّما هاجر وسأَلاها متى نزلت فأَخبرتهما. وقالا لمن هذا الماء؟ فقالت: لي ولولدي فقالا: من حفَره؟ فقالت: سُقْيَا من الله تعالى. فعرفا أَن أَحداً لا يَقْدر أَن يحفر هناك ماء وعَهْدُهما بماء هناك قريب وليس به ماء، فرجعا إِلى أَهلهما من ليلتهما فأَخبراهم فتحولوا حتى نزلوا معهما على الماء فأَنِست بهم ومعهم الذرية فنشأَ إِسماعيل بين ولدانهم.

وكان إِبراهيم ﷺ يزور هاجر في كل شهر على البُرَاق يغدو غدوةً فيأْتي مكة ثم يرجع فيَقِيل في منزله بالشام. فزارها بعدُ ونظر إِلى مَن هناك مِن العماليق وإِلى كثرتهم وغمارة الماء فسُرَّ بذلك.

ولما بَلغ إِسماعيل تزوج امرأَةً منهم من العماليق فجاء إِبراهيم زائراً لإِسماعيل وإِسماعيلُ في ماشيته يرعاها ويخرج متنكّباً قوسه فيرمي الصيد مع رعيته، فجاء إِبراهيم إِلى منزله فقال: السلام عليكم يا أَهل البيت. فسكتت امرأَة إِسماعيل فلم تردّ إِلا أَن تكون ردّت في نفسها. فقال: هل من منزل؟ فقالت: لاها الله إِذن. قال: فكيف طعامكم وشرابكم؟ فذكرت جَهْداً فقالت: أَمّا الطعام فلا طعام وأَما الشراب فإِنما نحلب الشاة المصْر أَي الشَّخْب وأَما الماء فعلى ما ترى من الغِلَظ. قال: فأَين ربُّ البيت؟ قالت: في حاجته. قال: فإِذا جاء فأَقرئيه السلام وقولي له: غيِّر عَتَبة بابك. ورجع إِبراهيم إِلى منزله.

وأَقبل إِسماعيل راجعاً إِلى منزله بعد ذلك بما شاء الله عز وجل، فلما انتهى إِلى منزله سأَل امرأَته: هل جاءك أَحدٌ: فأَخبرته بإِبراهيم وقوله وما قالت له ففارقها وأَقام ما شاء الله أَن يقيم.

وكانت العَماليق هم وُلاَة الحكْم بمكة، فضيَّعوا حرمة الحرم، واستحلُّوا فيه أُموراً عظيمة، ونالوا ما لم يكونوا ينالون. فقام فيهم رجل منهم يقال له عَمُّوق فقال: يا قوم أبقوا على أَنفسكم، فقد رأَيتم وسمعتم من أُهْلِك من هذه الأُمم، فلا تفعلوا وتواصَلوا ولا تَسْتخفُّوا بحَرَم الله تعالى وموضع بيته. فلم يَقْبلوا ذلك منه وتمادَوْا في هلكة أَنفسهم.

ثم إن جُرْهما وقَطُوراء وهما أَبناء عم خرجوا سَيَّارة من اليمن أَجدبَتْ عليهم بلادهم فساروا بذرَاريهم وأَموالهم، فلما قدِموا مكة رأَوا فيها ماء مَعيناً، وشجراً مُلْتفّاً، وبناء كثيراً، وسعَةً من المال ودفئاً في الشتاء. فقالوا: إن هذا الموضع يجمع لنا ما نريد فأَعجبهم ونزلوا به. وكان لا يخرج من اليمن قومٌ إلا وعليهم مِلِك يقيم أَمرهم، سُنَّة فيهم جَرَوْا عليها واعتادوها ولو كانوا نَفراً يسيراً. وكان مُضَاض بن عمرو[1] على قومه من جُرْهم، وكان على قَطُوراء السَّمَيْدع رجل منهم، فنزل مُضَاض بمن معه من جُرْهم على مكة بِقُعَيْقِعان فما [حاز[2]]، ونزل السَّمَيْدع بقطُوراء أَسفل مكة بأَجْيَاد فما حاز.

وذهب العَماليق إلى أَن ينازعوهم أَمرهم، فعلَتْ أَيديهم على العماليق. فأَخرجوهم من الحَرم كله فصاروا في أَطرافه ولا يدخلونه، وكلٌّ على قومه لا يدخل أَحدهما على صاحبه.

وكانوا قوماً عَرباً، وكان اللسان عربياً. وكان إبراهيم يزور إسماعيل. ونظر إسماعيل إلى رَعْلة بنت مُضَاض[3] فأَعجبته، فخطبها إلى أَبيها. انتهى.

هكذا في حديث أَبي جَهْم ذكر العَماليق وأَن إسماعيل تزوَّج منهم الأُولى، وأَن الثانية من جُرْهم، وليس ذلك في حديث ابن عباس، بل فيه: أَن الأُولى والثانيةُ من جُرْهمْ، ونصه ـ بعدأَن ذكر قصة زمزم: وكانت أُم إسماعيل كذلك حتى مرَّت بهم رُفْقة من جرْهم أَو أَهل بيتٍ من جرهم مُقْبلين من طريق كَدَاء، فنزلوا في أَسفل مكة فرأَوا طائراً عائِفاً فقالوا: إن هذا الطائر لَيدور على ماء، لَعَهْدُنا بهذا الوادي وما فيه ماء. وفي لفظ: كانت جُرْهم يومئذ بوادٍ قريب من مكة، فأَرسلوا جَرِياً أَو جريّيْن، فإذا هم بالماء، فرجعوا فأَخبروهم بالماء، فأَقبلوا وأم

---

(١) مضاض بن عمرو بن نفيلة الجرهمي: من ملوك العرب في الجاهلية. كان محباً للغزو، كثير المعارك، مقيماً في الحجاز، تابعاً لليمن. وكان قبل الميلاد بزمن بعيد. ويقال: إن إسماعيل النبيّ تزوج بنته وجميع ولد إسماعيل منها. انظر الأعلام ٧/٢٤٩.

(٢) في أ: فما جاوز.

(٣) رعلة بنت مضاض بن عمرو الجرهمي: امرأة إسماعيل بن إبراهيم، وأمّ «العرب المستعربة» وهم الطبقة الثالثة بعد العرب البائدة والعرب العاربة. وإن صحت رواية من جعل قحطان من نسل إسماعيل، فتكون رعلة أم القحطانيين والعدنانيين جميعاً. وفي أصحاب الأنساب من يسميها «السيدة بنت مضاض» قال أبو الفداء: تزوج إسماعيل امرأة من جرهم، ورزق منها اثني عشر ولداً. وقال القلقشندي: لما نزل إسماعيل مكة، تزوج من جرهم وتعلم لغتهم. الأعلام ٣/٢٨.

إسماعيل عند الماء فقالوا: تَأْذنين لنا أَن نَنْزل عندك؟ قالت: نعم، ولكن لا حقَّ لكم في الماء. قالوا: نعم.

قال ابن عباس: ـ رضي الله تعالى عنهما ـ قال: النبي ﷺ: فأَلفَى ذلك أُمَّ إسماعيل وهي تحب الأُنس، فنزلوا فأَرسلوا إِلى أَهلهم فنزلوا معهم، حتى إذا كان بها أَهلُ أبيات منهم وشبَّ الغلام ونشأَ بين ولدانهم، وتعلم العربيّةَ منهم وأَلِفهم وأَعجبهم حين شَبَّ، فلما أَدرك زوَّجوه امرأَةً منهم، وماتت أم إسماعيل.

فجاء إبراهيم بعد ما تزوج إسماعيلُ يطالِع تَرِكته فلم يجد إسماعيلَ، فسأَل زوجته عنه، فقالت: خرج يَبْتغي لنا. وفي لفظ: وكان عيش إسماعيل الصيد، يخرج يتصَّيد، فسأَلها عن عيشهم، فقالت: بشرٌّ نحن في ضِيق وشده. وشكَتْ إليه. قال: إذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلام وقولي له: يغيِّر عتبة بابه. فلما جاء إسماعيل كأَنه آنسَ بشيء فقال: هال جاءَكم أَحد؟ قالت: نعم جاءنا شيخ كذا وكذا، كالمستخفَّة بشأْنه، فسأَلنا عنك فأَخبرتُه وسأَلني كيف عَيْشنا فأَخبرته أَنَّا في جَهْد وشدة فقال لها: هل أَوصاك بشيء؟ قالت نعم، أَمرني أَن أَقرأ عليك السلام ويقول لك: غيِّر عتبة بابك. قال: ذاك أَبي وأَمرني أَن أَفارقك فالحقي بأَهلك. فطلقها وتزوج منهم امرأَة اخرى.

فلبث عنهم إبراهيم ما شاء الله تعالى، ثم أَتاهم بعد ذلك، فلم يجده، فسأَل امرأَته عنه، فقالت: خرج يبتغي لنا. قال: كيف أَنتم؟ وسأَلها عن عيشهم وهيئتهم فقالت: نحن بخير وسَعة، وأَثْنَتْ على الله تعالى. قال: ما طعامكم؟ قالت: اللحم واللبن. قال: فما شرابكم؟ قالت: الماء. الَّلهم بارك لهم في اللحم واللبن والماء. وفي لفظ: في طعامهم وشرابهم: قال النبي ﷺ: **«ولم يكن لهم يومئذ حَبٌّ، ولو كان لهم حبّ لدعَا لهم فيه»**. قال: فهما لا يَخلو عليهما أَحدٌ بغير مكة إلا لم يوافقاه.

وفي حديث أَبي جَهْم: فجاء إبراهيم زائراً لإسماعيل فجاء إلى بيته فقال: السلام عليكم يا أَهل البيت ورحمة الله. فقامت إِليه المرأَة فردَّت عليه ورحَّبَتْ به، فقال: كيف عيشكم؟ فقالت: خيرُ عيشٍ بحمد الله عز وجل، نحن في لبن كثير، ولحم كثير، وماؤنا طيِّب. قال: هل من حَبٍّ؟ قالت: يكون إن شاء الله تعالى، ونحن في نِعَم. قال: بارك الله لكم. قالت: فانزل رحمك الله فاطْعَمْ واشرب. قال: لا أَستطيع النزول. قالت فإني أَراك شَعِثاً أَفلا أَغسل رأْسك وأَدهنه؟ قال: بلى إن شئت. فجاءت بالمقام وهو يومئذ حَجر رَطْب أَبيض مثل المهَاة مُلْقى في بيت إسماعيل، فوضع عليه قدمه اليمنى وقدَّم إليها شِقَّ رأْسه وهو على دابته، فغسلت شِق رأْسه الأَيمن، فلما فرغ حوّلت له المقام حتى وضع قدمه اليسرى عليه وقدم إليها

رأْسه وهو على دابته فغسلت شِقَّ رأْسه الأَيسر، فالأَثَر الذي في المقام من ذلك. قال: أَبو الجَهْم: فلقد رأَيت موضع العِقَب والأَصابع.

ثم اتفقا فقالا: فلما فرغت المرأة تغسل رأْسه قال لها: إذا جاء إسماعيل فاقرئي عليه السلام. وقولي له: ثبِّت عتبة بابك، فإِنَّ بها صلاح المنزل. فلما جاء إسماعيلُ وجد ريح أَبيه فقال: هل أَتاكم من أَحد بَعدي؟ قالت: نعم، جاءنا شيخ حسن الهيئة. وأَثْنَت عليه. فسأَلني عنك فأَخبرتُه، وسأَلني كيف عَيْشُنا؟ فأَخبرته أَنَّا بخير. قال: ماأَوصاكِ بشيء؟ قالت: نعم هو يقرأ عليك السلام ويأْمرك أَن تثبِّت عتبة بابك. قال: ذاك أَبي وأَنت العَتبة أَمَرني أَن أُمْسكك.

وفي حديث أَبي جَهْم: ولقد كنتِ عليّ كريمةً ولقد ازددت كرامةً. فصاحت وبكت، فقال: مالك؟ فقالت: أَلاَّ أَكون علمتُ من هو فأُكرمه وأَصنع به غير الذي صنعتُ فقال لها: لا تبكي ولا تَجزعي، فقد أَحسنت ولم تكوني تقدرين أَن تفعلي فوق الذي فعلتِ، ولم يكن ليزيدك على الذي صنع بك.

فولدت لإسماعيل عشرة ذكورٍ أَحدهم نابت.

بناء إبراهيم للبيت

فلمّا بلَغ إسماعيلُ ثلاثين سنةً وإبراهيم يومئذ ابن مائة سنة أَوحى الله تعالى إلى إبراهيم أَن ابن لي بيتاً. فقال إبراهيم: أَيْ رب أَين أَبنيه؟ فأَوحى الله ـ تعالى ـ إليه: أَن اتبع السَّكينة، وهي ريح لها وجهٌ وجناحان، ومع إبراهيم الملَك والصُّرَد، فانتهوا إلى مكة.

وفي حديث ابن عباس: ثم لبث عنهم إبراهيمُ ما شاء الله تعالى ثم جاء بعد ذلك وإسماعيل يَبْري نَبْلاً له تحت دَوْحةٍ قريباً من زمزم، فلما رآه قام إليه فصنعا كما يصنع الولدُ بالوالد والوالد بالولد.

قال مَعمَر الراوي لحديث ابن عباس: وسمعتُ رجلاً يقول: إنهما بكيا حتى أَجابتهما الطير. انتهى.

ثم قال: يا إسماعيل إن الله تعالى أَمَرني بأَمر. فقال: اصنع ما أَمرك به. قال: وتُعينُني؟ قال: وأُعينك قال: فإن الله أَمرني أَن أَبني هاهنا بيتاً. وأَشار إلى أَكمة مرتفعة على ما حولها قال: فعند ذلك رفع القواعد من البيت.

وفي حديث أَبي جَهْم: فنزل إسماعيلُ إلى موضع البيت الذي بوَّأه الله تعالى لإبراهيم وموضعُ البيت رَبْوة حمراء مَدَرة مُشْرِفة على ما حولها، فحفر إبراهيمُ وإسماعيل ﷺ وليس معهما غيرهما أَساسَ البيت يريدان أَساسَ آدم الأَول، فحفرَا عن رَبَض البيت، يعني حوله، فوجدا صخرة لا يُطِيقها إلا ثلاثون رجلاً، وحفرا حتى بلَغا أَساسَ آدم ﷺ.

وفي حديث ابن عباس عند الإمام أَحمد بسند صحيح: أَن القواعد التي رفعها إِبراهيم كانت قواعد البيت قبل ذلك.

وفي لفظ آخر: أَن القواعد كانت في الأَرض السابعة. رواه ابن أَبي حاتم. انتهى.

قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: فجعل إِسماعيل يأْتي بالحجارة وإِبراهيم يبني، حتى إِذا ارتفع البناء، جاء بهذا الحجر، أَي المقام، فوضعه له فقام عليه إِبراهيم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام، وهو يبني وإِسماعيل يناوله الحجارة وهما يقولان: ﴿**ربَّنا تَقَبَّلْ منا إِنك أَنت السميعُ العليم**﴾.

وفي حديث: أَبي جَهْم: وحلَّقت السَّكينة كأَنها سحابة على موضع البيت فقالت: ابْنِ عليَّ. فلذلك لا يَطُوف بالبيت أَحدٌ أَبداً كافر ولا جَبَّار إِلا رأَيتَ عليه السَّكِينة.

فبنى إِبراهيمُ البيتَ فجعل طوله في السماء تسعة أَذْرع وعَرْضه ثلاثين ذراعاً وطوله في الأَرض اثنين وعشرين ذراعاً، وأَدخل الحِجْر وهو سبعة أَذرع في البيت، وكان قبل ذلك زَرْباً لغنم إِسماعيل، وإِنما بنَاه بحجارة بعضها على بعض ولم يجعل له سَقْفا، وجعل له بابين وحفر له بئراً عند بابه خِزَانَةً للبيت يلْقى فيها ما يُهْدى للبيت، وجعل الركن عَلَماً للناس.

فذهب إِسماعيل إِلى الوادي يطلب حَجراً، ونزل جبريل عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام بالحَجر الأَسود، وكان قد رُفع إِلى السماء حين غَرقت الأَرض لمّا رُفع البيت، فنزل به جبريل فوضعه إِبراهيم موضع الركن، وجاء إِسماعيل بحجر من الوادي فوجد إِبراهيم قد وضَع الركن، فقال: من أَين هذا الحجر؟ من جاءك به؟ قال إِبراهيم: من لم يَكِلْني إِليك ولا إِلى حَجرك.

ولما فرغ إِبراهيم من بناء البيت وأَدخل الحِجْر في البيت جعل المقام لاصقاً بالبيت عن يمين الداخل.

* * *

ورَوى البيهقي عن وهب بن منبه ـ رحمه الله تعالى ـ قال: لـمّا أَغرق الله الأَرض رُفع البيت فوضع تحت العرش، ومكثت الأَرض خراباً أَلفي سنة، فلم تزل على ذلك حتى كان إِبراهيم ﷺ فأَمره الله سبحانه وتعالى أَن يبني بيته، فجاءت السَّكينة كأَنها سَحابة فيها رأَس يتكلم، ولها وجه كوجه الإِنسان، فقالت: يا إِبراهيم، خذ قدْر ظلي فابنِ عليه ولا تزدْ شيئاً ولا تنقص. فأَخذ إِبراهيم قدْر ظلِّها ثم بنى هو وإِسماعيل البيت، ولم يجعل له سقفاً، وكان الناس يُلْقون فيه الحليّ والمتاع، حتى إِذا كاد أَن يمتليء اتَّعدَ له خمسة نفر لِيَسْرِقوا ما فيه، فقام كل واحد على زاوية واقتحم الخامس فسقط على رأْسه فهلك، وبعث الله سبحانه ـ عند ذلك حيّة

بيضاء سوداء الرأس والذنب، فحرَست البيتَ خمسمائة عام لا يَقْربه أَحد إِلا أَهلكَتْه، فلم تزل كذلك حتى بَنَتْه قريش.

ورَوى الأَزْرقي عن عثمان بن ساج[1] - رحمه الله تعالى - قال: بلغنا - والله تعالى أَعلم - أَن خليل الله - سبحانه وتعالى - عُرِج به إِلى السماء، فنظر إِلى الأَرض: مَشَارقها ومغاربها، فاختار موضعَ الكعبة، فقالت له الملائكة: يا خليل الله اخترتَ حَرَم الله في الأَرض فبناه من سبعة أَجْبُل، ويقولون خمسة، فكانت الملائكة تأْتي بالحجارة إِلى إبراهيم من تلك الجبال.

ورَوى الأَزْرقي عن علي - رضي الله تعالى عنه - وعن مجاهد، وعن بشر بن عاصم[2] متفرقين، أَن إِبراهيم - عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام - أَقبل من إِرمينية - وقال مجاهد: من الشام. ومعه السَّكينة والملك والصُّرَد دليلاً، يتبوَّأ البيت كما تتبوأ العنكبوت بيتها، فحفر فأَبرَز عن أُسِّها أَمثال خَلِفة الإِبل لا يحرك الصخرة إِلا ثلاثون رجلاً ثم قال الله تعالى: **«قم فابن لي بيتاً»** قال: يا رب وأين أَبني؟ فبعث الله - سبحانه وتعالى - سحابةً فيها رأْس تكلّم إبراهيم، فقالت: يا إِبراهيم، إِن ربك يأْمرك أَن تخطَّ قَدْر هذه السحابة، فجعل ينظر إِليها ويأْخذ قدرها، فقال له الرأْس: قد فعلتَ.

وفي لفظ: فقالت السكينة: يا إِبراهيم رَبَضْت على البيت؟ قال: نعم. فارتفعت السحابة، فأَبرز عن أُسّ ثابت في الأَرض، فبناه إبراهيم، فلذلك لا يطوف بالبيت ملكٌ من جبابرة الملوك ولا أَعرابي جِلْف إِلا وعليه السكينة والوقار.

وروى الأَزرقي عن قَتادة رحمه الله تعالى قال: ذُكِر لنا أَن إِبراهيم ﷺ بنى البيت من خمسة أَجْبُل: من طور سيناء، وطور زيتا، ولبنان، والجودِيّ، وحِرَاء.

قال السُهيْلي رحمه الله تعالى: انتبه لحكمة الله تعالى كيف بناها من خمسة أَجبل، فشاكل ذلك معناها، إِذ هي قِبْلة الصلوات الخمس عمود الإِسلام الذي بُني على خمس، وكيف دلَّت عليه السكينة إِذ هي قِبلة الصلوات الخَمْس والسكينة من شأْن الصلاة. قال النبي ﷺ: **«وائتوها وعليكم السَّكينة»**[3].

ورَوى الأَزرقي عن ابن إِسحاق أَن الخليل ﷺ لما بنى البيت جعل طوله في السماء

---

(١) عثمان بن عَمْرو بن ساج الأموي مولاهم. عن الزهري مرسلاً. وعن سهيل بن أبي صالح. وعنه سعيد بن سالم القَدَّاح. قال أبو حاتم: يكتب حديثه، ولا يحتج به. وقال ابن حِبَّان. ثقة. الخلاصة ٢/٢١٩.

(٢) بشر بن عاصم بن سُفْيَان بن عبد الله الثَّقَفِي. عن أبيه وابن المسيِّب. وعنه ابن جُرَيج ونافع بن عمر. وثقه ابن معين. توفي بعد الزُّهري.

(٣) أخرجه البخاري ٢/٣٩٠ كتاب الجمعة (٩٠٨)، ومسلم ١/ ٤٢٠- ٤٢١ كتاب المساجد ومواضع الصلاة (١٥١/ ٦٠٢).

تسعة أَذرع، وعرضه في الأَرض اثنين وثلاثين ذراعاً من الركن الأَسود إِلى الركن الشامي الذي عنده الحِجْر، وجعل عرض ما بين الركن الشامي إِلى الركن الغربي اثنين وعشرين ذراعاً، وجعل طول ظهرها من الركن الغربي إِلى الركن اليماني أَحداً وثلاثين ذراعاً، وجعل عرض سقفها اليماني من الركن الأَسود إِلى الركن اليماني عشرين ذراعاً، وجعل بابها بالأَرض غير مُبَوَّب، وجعل جُبّاً على يمين من دخله يكون خزانة للبيت.

وذكر ابن الحاجّ المالكي[١] ـ رحمه الله تعالى ـ في مَناسكه شيئاً من خبر بناء إِبراهيم البيت، ثم قال: وكان صفة بناء إِبراهيم البيت أَنه كان مُدوَّراً من ورائه، وكان له ركنان وهما اليَمانيان، فجعلت له قريش حين بنَوْه أَربعة أَركان. انتهى.

إبراهيم يؤذن بالحج

قال أَبو جَهْم: وأُمر إِبراهيم بعد فراغه من البناء أَن يؤذِّن في الناس بالحج، فقال: يارب، وما يَبْلغ صوتي؟ قال الله جل ثناؤه: «**أَذِّن وعليَّ البَلاغ**».

فارتفع على المقَام ـ وهو يومئذ مُلْصَق بالبيت ـ فارتفع به المقام حتى كان أَطولَ الجبال، فنادى وأَدخل إِصبعيه في أُذنيه، وأَقبل بوجهه شرْقاً وغرْباً يقول: أَيها الناس كُتب عليكم الحج إِلى البيت العَتِيق، فأَجيبوا ربَّكم عز وجل. فأَجابه من تحت البحور السبعة ومن بين المشرق والمغرب إِلى مُنْقَطع التراب من أَطراف البيت كلها: لبَيكَ اللَّهم لبيك. أَفلا تراهم يأَتون يُلبّون؟ فمن حج مِن يومئذ إِلى يوم القيامة فهو ممن استجاب لله عز وجل وذلك قوله تعالى: ﴿**فيه آياتٌ بَيِّناتٌ مَقَامُ إِبراهيم**﴾ يعني نداء إِبراهيم على المقَام بالحج، فهي الآية.

قال محمد بن عُمَر الأَسْلمي راويه رحمه الله تعالى: وقد روى أَن الآية هي أَثر ابراهيم على المقام.

وروى الفاكهي[٢] بإِسناد صحيح عن ابن عباس ـ رضي الله تعالى عنهما ـ قال: قام إِبراهيم على الحجر فقال: يأَيها الناس، كُتب عليكم الحج. فاسْتَمَع مَن في أَصلاب الرجال وأَرحام النساء، فأَجابه مَن كان سبق في علم الله أَنه يحج إِلى يوم القيامة: لبَّيك اللَّهم لبيك.

---

(١) محمد بن محمد بن محمد بن الحاج، أبو عبد الله العبدري المالكي الفاسي، نزيل مصر: فاضل. تفقه في بلاده، وقدم مصر، وحج. وكف بصره في آخر عمره وأقعد. وتوفي بالقاهرة، عن نحو ٨٠ عاماً. له «مدخل الشرع الشريف»، قال فيه ابن حجر: كثير الفوائد، كشف فيه عن معايب وبدع يفعلها الناس ويتساهلون فيها، وأكثرها مما يُنكر، وبعضها مما يحتمل. وله «شموس الأنوار وكنوز الأسرار» و «بلوغ القصد والمنى في خواص أسماء الله الحسنى. توفي سنة ٧٣٧هـ. الأعلام ٣٥/٧.

(٢) محمد بن إسحاق بن العباس الفاكهي: مؤرخ. من أهل مكة. كان معاصراً للأزرقي، متأخراً عنه في الوفاة له «تاريخ مكة». توفي ٢٧٢هـ. الأعلام ٢٨/٦.

ورُوي أَيضاً عنه قال: والله ما بناه بِقَصّة ولا مدَر، ولا كان لهما من السعة والأَعوان ما يُسقِّفانه.

وروي أَيضاً عن علي - رضي الله تعالى عنه - قال: كان إبراهيم يبني كل يوم ساقاً.

القَصَّة بالفتح: الجير. الساق: العِرْق من الحائط.

ورَوى ابن أَبي شَيْبة وابن منيع وابن جَرير وابن أَبي حاتم والحاكم - وصححه - والبيهقي عن ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما - قال: لمّا فرغ إبراهيم ﷺ من بناء البيت قال: يا رب، قد فرغتُ. قال: أَذِّن في الناس بالحج. قال: يا رب، وما يَبْلغ صوتي؟ قال: أَذِّن وعليَّ البلاغ. قال: يا رب كيف أَقولُ؟ قال: قل: يأَيها الناس كُتب عليكم الحج إلى البيت العتيق. فسمعه مَن في السماء ومَن في الأَرض، أَلاَ ترى أَنهم يأْتون من أَقصى الأَرض يُلَبُّون؟.

ورَوى ابن أَبي حاتم عن ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما - قال: لما أَمر الله - سبحانه وتعالى - إبراهيم أَن يؤذِّن بالحج صعد أَبا قُبَيْس فوضع إصبعيه في أُذنيه، ثم نادى: يأَيها الناس، إن الله كتب عليكم الحجَّ، فأَجيبوا ربكم. فأَجابوه بالتلبية في أَصلاب الرجال وأَرحام النساء، وأَولُ من أَجاب أَهلُ اليمن، فما من حاجٍّ يحج من يومئذ إلى أَن تقوم الساعة إلا من كان أَجاب يومئذ إبراهيم.

إبراهيم يتعلم مناسك الحج

قال أَبو جَهْم: فلما فرغ إبراهيمُ من الأَذان ذهب به جبريل فأَراه الصَّفا والمروة، وأَقامه على حدود الحرم، وأَمره أَن يَنْصب عليه الحجارة، ففعل ذلك إبراهيم وكان أَول من أَقام أَنصاب الحرم ويريه إياها جبريل.

فلما كان اليوم السابع من ذي الحجة خطب إبراهيم ﷺ بمكة حين زاغت الشمسُ قائماً وإسماعيل جالس، ثم خرجا من الغد يمشيان على أَقدامهما يلبيان محرمَين مع كل واحد منهما إداوة يحملها وعصاً يتوكأُ عليها، فسمى ذلك اليوم يوم التروِية.

وأَتيا منىً فصلَّيا بها الظهر والعصر والمغرب والعشاء والصبح، وكانا نزَلا من الجانب الأَيمن ثم أَقاما حتى طلعت الشمس على ثَبير، ثم خرج إبراهيم يمشي هو وإسماعيل حتى أَتيَا عرفة وجبريل معهما، يريهما الأَعلام حتى نزلا بنَمِرة، وجعل يريه أَعلام عرفات، وكان إبراهيم قد عرفها قبل ذلك، فقال إبراهيم: عرفتُ. فسمِّيت عرفات.

فلما زاغت الشمس خرج بهما جبريل حتى انتهى بهما إلى موضع المسجد اليوم، فقام إبراهيم فتكلم بكلمات وإسماعيل جالس، ثم جمع بين الظهر والعصر ثم ارتفع بهما جبريل إلى

الهضبات فقاما على أَرجلهما يدعوان إلى أَن غابت الشمس وذهب الشُّعَاع، ثم دَفَعا من عرفة على أَقدامهما حتى انتهيا إلى جَمْع، فنزَلا فصلَّيَا المغرب والعشاء في ذلك الموضع الذي يصلَّى فيه اليوم، ثم باتا فيه حتى إذا طلع الفجر وقفا على قُزَح، فلما أَسفرا قبل طلوع الشمس وقفا على أَرجلهما حتى انتهيا إلى مُحَسِّر، فأَسرعا حتى قطعاه ثم عادا إلى مَشْيهما الأول،ثم رميَا جَمْرة العَقَبَة بسبع حصَيات حملاَها من جمع، ثم نزلا من منىً فجراً في الجانب الأَيمن، ثم ذَبحا في المَنْحَر اليومَ وحلَقا رؤوسهما، ثم أَقاما أَيام منىً يرميان الجِمَار حين ترتفع الشمس ماشيَيْن وراجعين، وصَدَرا يوم الصَّدَر فصلَّيا الظهر بالأَبْطَح، وكل هذا يريه جبريل ﷺ.

فلما فرغ إبراهيمُ من الحج انطلق إلى منزله بالشام، وكان يحج البيت كلَّ عام، وحجَّته سارةُ، وحجه إسحاق ويعقوب والأَسباط والأَنبياء وهلم جرا، وحجَّه موسى بن عمران.

ثم توفىَّ الله ـ تعالى ـ خليلَه بعد أَن وجَّه إليه مَلك الموت فاستنظره إبراهيمُ، ثم أَعاده إليه لما أراد الله تعالى قبضه، فأَخبره بما أُمر به فسلَّم لأَمر ربه. فقال له ملك الموت: يا خليل الله على أَيّ حال تحب أَن أَقبضك؟ قال: تقبضني وأَنا ساجد. فقبضه وهو ساجد.

ودفن إبراهيم ﷺ بالشام.

وعاش إسماعيل بعد أَبيه ما عاش وتوفي بمكة فدفن بالحَجُون مما يلي بابَ الكعبة، وهناك قبر أُمه هاجَر دفن معها، وكانت توفيت قبله.

انتهى حديث أَبي جهْم.

تنبيه في بيان غريب ما سبق

المَناطق: جمع مِنْطق بكسر الميم وسكون النون وفتح الطاء هو ما يُشدّ به الوسط وفي لفظ: النُّطُق بضم النون والطاء وهو جمع نِطَاق، مثل كِتَاب وكُتُب. قال في النهاية: وهو أَن تلبس المرأة ثوبها ثم تشدّ وسطها بشيء وترفع ثوبها وترسله إلى الأَسفل عند معاناة الأَشغال لئلا تَعْثر في ذيلها.

تَخْفِضيها: أَي تَخْتنيها، يقال خَفَضْتُ الجاريةَ خِفاضاً: خَتَنتُها، فالجارية مخفوضة، ولا يطلق الخفض إلا على الجارية دون الغلام.

العِضَاه: بعين مهملة مكسورة فضاد معجمة: شجر الشوك كالطلح والعَوْسج والهاء أَصلية، الواحدةِ عِضَة بالهاء وبالتاء كعدة والأَصل عِضهةَ كَعِنَبَة.

السَّلَم بفتحتين: شجر من العِضَاة واحدته سَلَمة بفتحتين.

السَّمُر بفتح المهملة وضم الميم من شجر الطَّلْح والواحدة سَمُرة.

الرَّبوة مثلثة الراء: المكان المرتفع. مَدَرة بفتحات جمعها مَدَر مثل قَصَب، وقصبة، وهو

التراب المتلبّد. وقال الأَزهري[١]: المدَر: القطع من الطين.

الثُّمام بضم المثلثة نَبْت ضعيف قصير لا يَطُول.

الحَجُون بحاء مهملة مفتوحة فجيم مضمومة: موضع بأَعلى مكة.

السِّقاء بكسر السين المهلمة قربة صغيرة. وفي لفظ معها شَنَّة بفتح المعجمة وتشديد النون وهي القربة العَتِيقة.

الدَّوحة بفتح الدال المهملة وسكون الواو وفتح الحاء المهملة هي الشجرة الكبيرة.

في أَعلى المسجد: أَي مكان المسجد، لأَنه لم يكن يومئذ بناء.

قفَّ بقاف ففاء مشددة: أَي ذهب مولّياً وكأَنه من القفا أَي أَعطاه قفاه وظهره.

الثَّنِيّة بفتح المثلثة وكسر النون وتشديد التحتانية. كدَاء بفتح الكاف ممدود: مكان في أَعلى مكة. يتلَّوى: يتقلب. يتلبَّط بمثناة تحتية فمثناة فوقية فلام فموحدة فطاء مهملة: أَي يتمرّغ ويضرب نفسه بالأَرض. يتلمَّظ بوزن الذي قبله وبعد اللام ميم فظاء معجمة: أَي يدير لسانه في فيه ويحرِّكه يَنْشَغ بمثناة تحتية مفتوحة فنون ساكنة فشين معجمة فغين معجمة أَي يشهق ويعلو صوته وتنخفض كالذي ينازع.

المجْهُود: الذي أَصابه الجهْد وهو الأَمر الذي يشقّ. تُقرها نفسُها. بضم أَوله وكسر القاف ونفسُها برفع الفاعل أَي لم تتركها نفسها مستقرة فتشاهده في حال الموت.

صَهْ صَهْ، بفتح المهملة وسكون الهاء وبكسرها منونة: كأَنها خاطبت نفسها فقالت لها: اسكتي. غَوَاث: بفتح أَوله عند أَكثر رواة الصحيح وتخفيف الواو وآخره مثلثة، وحكى ابن الأَثير[٢] ضمَّ أَوله، والمراد به هنا: المسْتَغيث. وحكى ابن قُرْقول[٣] كسرها أَيضاً، وجزاء الشرط محذوف تقديره: فأَغثني.

---

(١) محمد بن أحمد بن الأزهر الهروي، أبو منصور: أحد الأئمة في اللغة والأدب. مولده ووفاته في هراة بخراسان. نسبته إلى جده «الأزهر». عني بالفقه فاشتهر به أولاً، ثم غلب عليه التبحر في العربية، فرحل في طلبها وقصد القبائل وتوسع في أخبارهم. له «تهذيب اللغة» و «غريب الألفاظ التي استعملها الفقهاء» و «تفسير القرآن» و «فوائد منقولة من تفسير للمزني». توفي ٣٧٠هـ. الأعلام ٣١١/٥.

(٢) المبارك بن محمد بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري، أبو السعادات، مجد الدين: المحدث اللغوي الأصولي. ولد ونشأ في جزيرة ابن عمر. وانتقل إلى الموصل، فاتصل بصاحبها، فكان من أخصائه. وأصيب بالنقرس فبطلت حركة يديه ورجليه ولازمه هذا المرض إلى أن توفي في إحدى قرى الموصل. قيل: إن تصانيفه كلها ألفها في زمن مرضه، إملاءً على طلبته، وهم يعينونه بالنسخ والمراجعة. من كتبه «النهاية» في غريب الحديث، و «جامع الأصول في أحاديث الرسول» و «الإنصاف في الجمع بين الكشف والكشاف» في التفسير، و «المرصع في الآباء والأمهات والبنات» توفي ٦٠٦هـ. الأعلام ٢٧٢/٥.

(٣) إبراهيم بن يوسف بن أدهم الوهراني الحمزي، أبو إسحاق بن قرقول: عالم بالحديث، من أدباء الأندلس. أصله من موضع يسمى «حمزة» بناحية المسيلة من عمل بجاية، رحل في طلب الحديث، واستقر بمالقة ثم انتقل إلى سبتة ومنها إلى سلا، وتوفي بفاس. قال ابن الأبار: «كان نظاراً أديباً حافظاً يبصر الحديث ورجاله، وقد صنف وألف مع براعة الخط وحسن الوراقة». من كتبه «مطالع الأنوار على صحاح الآثار». توفي ٥٦٩هـ. الأعلام ٨١/١، ٨٢.

غمزَ الأَرض بغين معجمة فميم فزاي أَي كبَسها. انبثق: بنون فباء موحدة فثاء مثلثة فقاف: أَي انفجر. تُحوِّضه، بحاء مهملة فضاد معجمة وتشديد الواو: أَي تجعله مثل الحوض. عَيْناً مَعِيناً: أَي ظاهراً جارياً على وجه الأَرض. وفي لفظ: لكان الماء ظاهراً. فعلى هذا فقوله: عَيْناً معيناً: صفة للماء. فلذلك نكَّره قال ابنُ الجَوْزِيّ: كان ظهورُ زمزم نعمةً من الله تعالى مَحْضة بغير عمل جليل، فلما خالطها تحويضُ هاجر داخِلَها كَسْبِ البشر فقُصِرت على ذلك.

العَمَاليق: ذرية عِمْلاق ويقال عِمْليق بن لاوذ ويقال الود بن إِرم بن سام بن نوح. مُضَاض بميم مكسورة، وحكى ضمها وضادين معجمتين.

الضَّيْعة، بفتح المعجمة وسكون التحتانية: أَي الهلاك. الرابية، بالموحدة ثم المثناة التحيتة: ما ارتفع من الأَرض. أَقطار الأَرض، جمع قُطْر بضم القاف: الجانب والناحية. تَرِد: الماء: تَبْلغه. تَصْدر: ترجع.

غَمارة الماء بغين معجمة مفتوحة: أي كثرته. متنكبًا قوسَه: ملقياً لها على مَنْكبه رُفْقة، بضم الراء، وسكون الفاء فقاف: وهم الجماعة المختلطون سواء كانوا في سَفر أَم لا.

جُرْهُم[1]، بضم الجيم وسكون الراء وضم الهاء: وهو ابن قحطان بن عابِر بن شالَخ بن أَرْفَخْشِذ بن سام بن نوح. وقال ابن إِسحاق: كان جرهم وقطوراء أَخوه أَولَ من تكلم بالعربية عند تبلبل الأَلسن.

وقوله: مُقْبِلين من كَدَاء بفتح الكاف في جميع نسخ الصحيح والمدّ. واستشكله بعضهم أَن كَدَاء بالفتح والمد في أَعلى مكة وأما الذي في أَسفلها فبالضم والقصر. يعني فيكون الصواب هنا بالضم والقصر. قال الحافظ: وفيه نظر؛ لأَنه لا مانع أَن يدخلوها من الجهة العليا وينزلوا من الجهة السفلى.

عائِفا، بالمهملة والفاء: وهو الذي يَحُوم على الماء فيتردّد ولا يمضي عنه. جَرِيّاً، بفتح الجيم وكسر الراء وتشديد التحتانية: أَي رسولا. وقد يطلق على الوكيل والأَجير قيل سمي بذلك لأنه يجري مَجْرى مرسله أَو موكله، أَو لأَنه يجري مسرعاً في حوائجه.

أَو جَرِيَّيْن: شكّ من الراوي: هل أَرسلوا واحداً أَو اثنين؟ وفي بعض الروايات فأَرسلوا

(١) جرهم بن قحطان: جدٌّ جاهلي يماني قديم. كان له ولبنيه ملك الحجاز. ولما بُني البيت الحرام بمكة كان لهم أمره، وأول من وليه منهم الحارث بن مضاض، إلى أن غلبتهم عليه خزاعة، فهاجروا عائدين إلى اليمن. ولهشام الكلبي النسابة كتاب «أخبار جرهم».

رسولا. ويحتمل الزيادة على الواحد، ويكون الإفراد باعتبار الجنس لقوله: فإذا هُمْ بالماء بصيغة الجمع، ويحتمل أن يكون الإفراد باعتبار المقصود بالإرسال، والجمع باعتبار من تبعه من خادم ونحوه.

أَلْفَى: بالفاء: أي وجَد. أُمَّ إسماعيل: بالنصب على المفعولية. الأُنْس، بضم الهمزة: ضد الوحشة. ويجوز الكسر أي تحب جِنْسها. وتعلَّم العربية منهم: فيه إشعار بأن لسان أُمه وأَبيه لم يكن عربيّاً، ولهذا مزيد يأتي في ترجمة إسماعيل في النسب النبوي.

أَنْفَسهم بفتح الفاء بلفظ أَفعل التفضيل من النَّفَاسة: أي رغبتهم في مصاهرته لنفاسته عندهم. وقال ابن الأَثير: أَنفسهم عطف على قوله تعلم العربية منهم.

وزوَّجوه امرأَة منهم: ذكروا في اسمها واسم أَبيها أَقوالاً لا طائل بذكرها. يطالع تَرِكته: قال في المصباح المنير: التَّرِكة بفتح التاء وكَسْر الراء وتخفف بكسر الأَول وسكون الراء مثل كَلِمة وكِلْمة، أي يتفقد حالَ ما تركه هناك.

الشَّخْب، بفتح الشين وسكون الخاء المعجمتين ثم موحدة: السَّيَلان.

عَتبة بابك: بفتح العين المهملة والمثناة الفوقية والباء الموحدة: كناية عن المرأَة، وسمَّاها بذلك لما فيها من الصفات الموافقة لها، وهي حفظ الباب وصون ما هو داخله، وكونها محلاً للوطء.

وتزوج امرأَة أُخرى: ذكروا في اسمها ثمانية أَقوال. وفي اسم أَبيها أَربعة، ولا حاجة لنا إلى ذلك. نابت، بالنون من النبات. فهما لا يخلو عليهما أَحد بغير مكة إلا لم يوافقاه: ولفظ الكُشْمَيْهَني[1] لا يخلوان بالتثنية. قال ابن القُوطيّة[2]: خلَوْت بالشيء واختلوت به: إذا لم أَخلط به غيره.

يَبْرِى، بفتح أَوله وسكون الموحدة. النَّبْل، بفتح النون وسكون الموحدة: السَّهْم قبل أَن يُركَّب فيه نَصْله وريشه، وهو السهم العربي.

الأَكَمة، بفتح الهمزة والكاف: وهي الرابية: إرمينية بكسر أَوله وإسكان ثانيه بعده ميم مكسورة فتحتية فنون: بلد معروف بالروم.

---

(١) الكشميهني: بالضم والسكون والكسر وتحتيّة وفتح الهاء ونون إلى كُشْمِيهَن قرية بمَرْو. لب اللباب ٢/٢٠٩.

(٢) محمد بن عمر بن عبد العزيز بن إبراهيم الأندلسي، أبو بكر، المعروف بابن القوطية: مؤرخ، من أعلم أهل زمانه باللغة والأدب. أصله من إشبيلية، ومولده ووفاته بقرطبة. له كتاب «الأفعال الثلاثية والرباعية» وهو الذي فتح هذا الباب، و «المقصور والممدود» و «تاريخ فتح الأندلس» و «شرح رسالة أدب الكتاب» وكان شاعراً صحيح الألفاظ واضح المعاني، إلا أنه ترك الشعر في كبره. توفي ٣٦٧هـ. الأعلام ٦/٣١١، ٣١٢.

الصُّرد، وزان عُمَر: قال في المصباح: نوع من الغربان، الأُنثى صُرَدة والجمع صِرْدَان. ويقال له الواق، وكانت العرب تتطيَّر من صوته وتقتله فنُهي عن قتله دفْعاً للطِّيَرة ومنه نوع أسْبَد[١] يُسميه أَهلُ العراق العقعق، وأَما الصرد الهمْهَام فهو البرّي الذي لا يُرَى في الأَرض ويقفز من شجرة إِلى شجرة، وإِذا اضْطُرَّ وأُضْجِر أُدرك وأُخِذ ويُصَرْصِر كالصقر، ويصيد العصافير.

قال أَبو حاتم: الصُّرَد: طائِر أَبْقَع أَبيض البطن أَخضر الظهر ضخم الرأس والمنقار، له ريش ويصطاد العصافير وصغار الطير. وزاد بعضهم على هذا فقال: ويسمَّى المجوَّف لبياض بطنه، والأَخطب لخضرة ظهره، والأَخْيَل لاختلاف لونه.

خلِفة بفتح الخاء المعجمة وكسر اللام: الحامل من النوق. ربَضْتَ: أَسَّست.

طور زَيْتا، بلفظ الزيت: علم لجبل بالبيت المقدس. لُبْنان، بضم أَوله وإِسكان ثانية: جبل الشام.

جَمْع: بفتح أَوله وإِسكان ثانيه: اسم لمُزْدلفة، سمي بذلك للجمع بين صلاتي المغرب والعشاء فيها. قاله البَكْري. وقال في النهاية: لأَن آدم وحواء لما أُهبطا اجتمعا بها. زاد صاحب التقريب: أَو لاجتماع الناس فيها.

قُزَح، بضم أَوله وفتح الزاي: جبل بمزدلفة غير منصرف للعلمية والعدل عن قازح، تقديراً.

محسِّر، بلفظ اسم الفاعل: موضع بين مِنىً ومزدلفة، سمِّي بذلك، لأَن فيل أَبرهة كَلَّ فيه وأَعْيَا، فحسَّر أَصحابه بفعله، وأَوقعهم في الحسرات.

المرة الخامسة والسادسة: عمارة العمالقة وجرهم

روى ابن أَبي شَيْبة وإِسحاق بن راهوَيْه في مسنده وابن جَرِير وابن أَبي حاتم والبيهقي في الدلائل عن علي ـ رضي الله تعالى عنه ـ أَن بناء إِبراهيم ﷺ لبث ماشاء الله ان يلبث ثم انهدم، فبنتْه العمالقة، ثم انهدم فبنته جُرْهُم.

قال السُّهيلي: وقد قيل إِنه بُني في أَيام جُرْهم مرة أَو مرتين؛ لأَن السيل قد صدع حائِطه، ولم يكن ذلك بُنْياناً وإِنما كان إِصلاحاً لِمَا وهَى وجداراً بُني بينه وبين السيل.

قلت: في حديث أَبي جَهْم عن حذيفة ـ رضي الله تعالى عنه ـ أَن البيت في زمن

---

(١) الأسبد: القليل الشعر. انظر المعجم الوسيط ٤١٤/١.

جُرْهم دخله السيل من أَعلى مكة فانهدم، فأَعادته جرهم على بناء إِبراهيم ﷺ وجعلت له مِصْراعين وقُفْلا. انتهى.

فهذا نقل صريح يشهد لما في حديث سيدنا علي - رضي الله تعالى عنه.

المرة السابعة: عمارة قصي بن كلاب

نقله الزبير بن بكَّار(١) في كتاب النَّسَب، وجزم به الإِمام أَبو إِسحاق الماوَرْدي في الأَحكام السُّلْطانية.

المرة الثامنة: عمارة قريش

وستأْتي.

المرة التاسعة: عمارة عبد الله بن الزبير(٢) ـ رضي الله عنهما

عن عائشة(٣) - رضي الله تعالى عنها - أَن النبي ﷺ قال لها: **«أَلم تَرَيْ أَن قومك حين بنَوا الكعبة اقتصروا عن قواعد إِبراهيم؟»** فقلت: يا رسول الله أَلا تردُّها على قواعد إِبراهيم؟ فقال رسول الله ﷺ: **«لولا حِدْثَان قومك بالكفر»**. فقال عبد الله بن عمر - رضي الله تعالى عنهما - لئن كانت عائشة سمعَتْ هذا من رسول الله ﷺ ما أَرى رسول الله ﷺ ترك استلام الركنين الشاميين اللذين يَلِيان الحجَر، إِلا لأَن البيت لم يتمَّ على قواعد إِبراهيم ﷺ.

وفي رواية قالت: قال لي رسول الله ﷺ: **«لولا حَداثة عهد قومك بالكفر لنقضتُ الكعبة وأَعدتها على بناء إِبراهيم، فإِن قريشاً اقتصرت بناءه، وجعلتُ له خَلْفاً»**. قال هشام: يعني باباً.

---

(١) الزبير بن بكار بن عبد الله القرشي الأسدي المكي، من أحفاد الزبير بن العوام، أبو عبد الله: عالم بالأنساب وأخبار العرب، راوية. ولد في المدينة، وولي قضاء مكة فتوفي فيها. له تصانيف، منها «أخبار العرَب، وأيامها» و «نسب قريش وأخبارها» باسم «جمهرة نسب قريش» و «الأوس والخزرج» و «وفود النعمان على كسرى» و «أخبار ابن ميادة» و «أخبار حسان» و «أخبار عمر بن أبي ربيعة» و «أخبار جميل» و «أخبار نصيب» و «أخبار كثير» و «أخبار ابن الدمينة» وله مجموع في الأخبار ونوادر التاريخ، سماه «الموفقيات». توفي ٢٥٦هـ. الأعلام ٤٢/٣.

(٢) عبد الله بن الزُّبَيْر بن العَوَّام الأَسَدِي أبو خُبَيب بمعجمة مضمومة، المكي ثم المدني، أول مولود في الإسلام وفارس قريش. له ثلاثة وثلاثون حديثاً، اتفقا على حديث، وانفرد (خ) بستة، وانفرد (م) بحديثين. وعنه بنوه عَبّاد وعَامِر، وأخوه عُرْوَة وعَطَاء وطَاوُس. شهد اليَرْمُوك وبويع بعد موت يزيد، وغلب على اليمن والحجاز والعراق وخُرَاسَان، وكان فصيحاً شريفاً شجاعاً لَسِناً أَطْلَس. قتل بمكة سنة ثلاث وسبعين، ومولده بعد الهجرة بعشرين شهراً. الخلاصة ٥٦/٢.

(٣) عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما التَّيمِيَّة، أُم عبد الله الفَقيهة أُم المؤمنين الرَّبَّانِيَّة، حبيبة النبي ﷺ لها ألفان ومائتان وعشرة أحاديث، اتفقا على مائة وأربعة وسبعين، وانفرد (خ) بأربعة وخمسين، و (م) بثمانية وستين. وعنها مَسْرُوق والأسود وابن المُسَيَّب وَعُرْوَة، والقاسم وخلق. قال عليه السلام «فضل عائشة على النساء كفضل الثَّرِيد على سائر الطعام» وقال عُرْوَة: ما رأيت أعلم بالشعر من عائشة. وقال القاسم: كانت تصوم الدهر. وقال هشام بن عُروة: توفيت سنة سبع وخمسين. ودفنت بالبقيع. الخلاصة ٣٨٧/٣ وسيأتي لها ترجمة مفصلة.

متفق عليه[١].

وفي رواية للبخاري: لولا أَن قومك حديثو عهد بجاهلية لأَمرتُ بالبيت فهُدِم، فأَدخلت ما خرج منه وأَلزقتُه بالأَرض، وجعلت له بابين: باباً شرقياً وباباً غربياً، فبلغْتُ به أَساس إبراهيم.

فذلك الذي حمل ابنَ الزبير على هَدْمه. قال يزيد ـ هو ابن رومان[٢]: وشهدت ابنَ الزبير حين هدمه وبناه فأَدخل فيه من الحِجْر، وقد رأَيت أَساس إبراهيم حجارة كأَسنمة الإبل.

قال جَرِير بن أَبي حازم[٣]: فقلت له ـ يعني ليزيد بن رومان: أَين موضعه؟ قال: أُريكه الآن. فدخلت مع الحِجْر فأَشار إِلى مكان وقال: هاهنا. قال جرير: فحَزَرت من الحِجْر ستة أَذرع أَو نحوها.

وفي رواية عن سعيد بن مينا[٤] قال: سمعت عبدَ الله بن الزبير يقول: حدثتني خالتي ـ يعني عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: **«يا عائشة لولا أَن قومك حديثو عهد بِشِرْك لهدمتُ الكعبة فأَلزقُها بالأَرض ولجعلت لها بابين: باباً شرقياً وباباً غربياً، وزدتُ فيها ستة أَذرع من الحجر، فإِن قريشاً اقتصرتها حيث بنت الكعبة»**.

ولمسلم عن عطاء بن أَبي ربَاح ـ رحمه الله تعالى ـ قال: لما احترق البيت زمن يزيد بن معاوية[٥] حين غزاها أَهلُ الشام فكان من أَمره ما كان، تركه ابن الزبير حتى قدم الناسُ الموسم يريد أَن يُحَرِّبهم على أَهل الشام، فلما صدر الناسُ قال: يا أَيها الناس أَشيروا عليَّ في الكعبة أَنقضها ثم أَبني بناءها أَو أُصْلح ما وهَى منها؟ قال ابن عباس: إِني قد فُرِق لي فيها رأَيٌ أَن تُصْلِح ما وَهَى منها وتدع بيتاً أَسْلَم عليه الناسُ، وأَحجاراً أَسْلَم عليها الناس وبُعث عليها رسول الله ﷺ. فقال ابن الزبير: لو كان أَحدكم احترق بيته ما رضي حتى يجدّده فكيف ببيت ربكم؟ وإِني مُسْتخير ربي ثلاثاً ثم عازم على أَمري. فلما مضى الثلاث أَجمع أَمْره على

---

(١) أخرجه البخاري ٢٨٧/٢ (١٥٨٥) كتاب الحج، ومسلم ٩٦٨/٢ (١٣٣٣/٣٩٨) كتاب الحج.

(٢) يزيد بن رُومان مولى آل الزبير أبو رَوْح المدني. عن ابن الزُّبَيْر وعُرْوَة. وعنه جَرِير بن حازم وابن إسحاق ونافع القارئ وطائفة. قال ابن سعد: كان عالماً ثقة كثير الحديث. توفي سنة ثلاثين ومائة. الخلاصة ١٦٩/٣.

(٣) جَرِير بن حازم الأزدي أبو النَّضْر البصري أحد الأعلام. عن الحسن وابن سيرين وطَاوُس وابن أبي مُلَيْكَة وخلق. وعنه أيُّوب وابن عَوْن وابنه وَهْب بن جرير وهُدْبَة بن خالد وخلق. وثقه ابن معين إلا في قتادة. وقال أبو حاتم: صدوق صالح. مات سنة سبعين ومائة بعد أن اختلط، ولم يحدّث في حال اختلاطه. الخلاصة ١٦٢/١.

(٤) سعيد بن مِينَا بكسر الميم ومد النون مولى أبي ذباب أبو الوَلِيد المكي. عن أبي هريرة وجابر. وعنه أيوب وابن إسحاق. وثقه ابن معين، وأبو حاتم. الخلاصة ٣٩١/١.

(٥) يزيد بن معاوية بن أبي سفيان. ولي بعهد من أبيه واستباح المدينة. فلم يمهله الله تعالى. هلك سنة أربع وستين. الخلاصة ١٧٧/٣.

أَن ينقضوها فتحاماها الناسُ أَن ينزل بأَول الناس يصْعد فيها أَمرٌ من السماء، حتى صعد رجل فأَلقى منه حجارة، فلما لم يره الناس أَصابه شيء تابعوه، فنقضوه حتى بلغوا به الأَرض، فجعل ابن الزبير أَعمدة فستَّر عليها الستور حتى ارتفع بناؤه.

قال السُهيلي، رحمه الله تعالى: وطاف الناس بتلك الأَسْتار فلم تَخْلُ من طائف حتى لقد ذكر أَن يوم قَتْل ابن الزبير اشتدت الحرب واشتغل الناس فلم يُرَ طائِف يطوف بالكعبة إِلا جملٌ يطوف بها.ا نتهى.

وقال ابن الزبير: إِني سمعت عائشة تقول: إِن النبي ﷺ قال: «**لولا أَن الناس حديثٌ عهدهم بكفر وليس عندي من النفقة ما أُنفق على بنيانه لكنت أَدخلت فيه من الحِجْر خمسة أَذرع، وجعلت له باباً يدخل الناس منه وباباً يخرج الناس منه**» قال: فأَنا اليوم أَجد ما أَنفق، ولست أَخاف الناس. قال: فزاد فيه خمسة أَذْرع حتى أَبْدَى أَساساً نظر الناسُ إِليه فبنى عليه البنيان.

وكان طول الكعبة ثمانية عشر ذراعاً، فلما زاد فيه استقصره فزاد في طوله عشرة أَذرع، وجعل له بابين: أَحدهما يدخل منه، والآخر يخرج منه.

فلما قُتل ابن الزبير كتب الحجاج[1] إِلى عبد الملك[2] يخبره بذلك ويخبره أَن ابن الزبير وضع البناء على أُسٍّ قد نظر إِليه العُدول من أَهل مكة، فكتب إِليه عبد الملك: إِنا لسنا من تخليط ابن الزبير في شيء أَمّا ما زاده في طوله فأَقِرَّه، وأَما ما زاد فيه من الحِجْر فرده إِلى بنائِه وسُدّ الباب الذي فتحه. فنقضه وأَعاده إِلى بنائه.

وفي تاريخ مكة للأَزرقي، أَن ابن الزبير لما هَدم الكعبة وسوَّاها بالأَرض كشف عن أَساس إِبراهيم ﷺ فوجده داخلاً في الحجر ستة أَذرع وشيئاً وأَحجار ذلك الأَساس كأَنها أَعناق الإِبل، حجارة حمراء آخذ بعضها في بعض مشبَّكة كتشبيك الأَصابع وأَصاب فيه قبراً،

---

(١) الحجاج بن يوسف بن الحكم الثقفي، أبو محمد: قائد، داهية، سفاك، خطيب. ولد ونشأ في الطائف بالحجاز وانتقل إلى الشام فلحق بروح بن زنباع نائب عبد الملك بن مروان فكان في عديد شرطته، ثم ما زال يظهر حتى قلده عبد الملك أمر عسكره، وأمره بقتال عبد الله بن الزبير، فزحف إلى الحجاز بجيش كبير وقتل عبد الله وفرق جموعه، فولاه عبد الملك مكة والمدينة والطائف؛ ثم أضاف إليها العراق والثورة قائمة فيه، فانصرف إلى بغداد في ثمانية أو تسعة رجال على النجائب، فقمع الثورة وثبتت له الإمارة عشرين سنة. وبنى مدينة واسط بين الكوفة والبصرة. توفي ٩٥هـ. الأعلام ١٦٨/٢.

(٢) عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي القرشي، أبو الوليد: من أعاظم الخلفاء ودهاتهم. نشأ في المدينة، فقيهاً واسع العلم، متعبداً، ناسكاً. وشهد يوم الدار مع أبيه. واستعمله معاوية على المدينة وهو ابن ١٦ سنة. وانتقلت إليه الخلافة بموت أبيه (سنة ٦٥هـ) فضبط أمورها وظهر بمظهر القوة، فكان جباراً على معانديه، قويّ الهيبة. واجتمعت عليه كلمة المسلمين بعد مقتل مصعب وعبد الله ابني الزبير في حربهما مع الحجاج الثقفي. وهو أول من صك الدنانير في الإسلام، وأول من نقش بالعربية على الدراهم، وكان عمر بن الخطاب قد صك الدراهم. توفي سنة ٨٦هـ. الأعلام ١٦٥/٤.

فقال: هذا قبر أُم إسماعيل ﷺ، فدعا ابنُ الزبير خمسين رجلاً من وجوه الناس وأَشرافهم فأَشهدهم على ذلك، وأَدخل عبدُ الله بن مطيع العَدوي[١] عَتلة كانت بيده في ركن من أَركان البيت فزعزعت الأَركان كلها وارتجت جوانب البيت ورَجفت مكةُ بأَسْرها رَجْفةً شديدة وخافوا خوفاً شديداً، وطارت من الحجر قطعة فأَخذها بيده، فإذا فيها نورٌ مثل نار، فطارت منه بَرْقة فلم يبق دار من دور مكة إلا دخله، ففزعوا، فقال ابن الزبير: اشهدوا. ثم وضع البناء على ذلك الأَساس، وجعل لها بابين مُلْصَقين بالأَرض، فلما ارتفع البنيان إلى موضع الركن، وكان وقتَ الهدم قد جعله ابنُ الزبير في ديباجة وأَدخله في تابوت وأَقفل عليه وأَدخله دار الندوة، وعمد إلى ما كان في الكعبة من حلى وثياب وطيب فوضعه في خزانة الكعبة في دار شيبة بن عثمان، فلما انتهى البناء إلى موضع الحجَر أَمر فنقر بين حجرين أَحدهما من المدماك الذي تحته والآخر من الذي فوقه وطبّق ما بينهما.

ثم أَمر ابنُ الزبير ابنَه عباداً وجبير بن شَيْبة بن عثمان أَن يجعلا الركن في ثوب وقال لهما: إذا فرغتما فكبِّرا حتى أَسمعكما فأُخف صلاتي فلما وضعاه في موضعه كبَّرا فتسامع الناس بذلك. فغضب رجال من قريش لذلك حيث لم يُحْضرهم ابن الزبير، وقالوا: ما رفعته قريش في الجاهلية حتى حكَّموا أَولَ من يدْخل عليهم، فكان رسول الله ﷺ أَول داخل.

وكان الحجَر قد انصدع بسبب الحريق فشدَّه ابن الزبير بالفضة. قال ابن عون[٢]: فنظرت إلى جوف الحجر حين انفلق كأَنه الفضة.

وكانت الكعبة يوم هَدمها ابن الزبير ثمانية عشر ذراعاً في السماء، فلما بلغ البنيان هذا المبلغ قصرت لحال الزيادة في العرض من الحِجْر، فقال ابن الزبير: قد كانت تسعة أَذرع في السماء قبل بناء قريش فزادت قريش تسعة أَذرع، وأَنا أَزيد تسعة أَذرع. فجعلها سبعة وعشرين ذراعاً في السماء! وهي سبعة وعشرون مِدْماكاً، وعرض جدارها ذراعان. وجعل داخلها ثلاثة دعائم. وكانت قبل ذلك على ست دعائم صَفَّين، وأَرسل إلى صنعاء فأَتى برخام فجعله في الروازن لأَجل الضوء، وجعل لبابها مِصراعين طولهما أَحد عشر ذراعاً، وجعل الباب الآخر بإزائه على هيئته وجعل لها درجاً من خشب معوجة يُصعد منها إلى ظهرها. فلما فرغ من بنائها

---

(١) عبد الله بن مطيع بن الأسود العدوي المدني، له رؤية، وكان رأس قريش يوم الحرّة، وأمره ابن الزبير على الكوفة، ثم قتل معه سنة ثلاث وسبعين. التقريب ١/٤٥٢.

(٢) عبد الله بن عَوْن بن أَرْطَبَان المُزَني مولاهم أبو عَوْن الْخَزّاز بفتح المعجمة والمهملة البصري أحد الأعلام. عن عطاء ومجاهد، وسالم، والحسن، والشَّعْبي، وخلق. وعنه شُعْبة، والثوري، وابن عُلَيَّة، ويحيى القطان وخلائق. قال ابن مهدي: ما أحد أعلم بالسنة بالعراق من ابن عَوْن وقال رَوْح بن عُبَادة: ما رأيت أعبد منه. قال يحيى القطان: مات سنة إحدى وخمسين ومائة. الخلاصة ٨٦/٢.

خلَّقها من داخلها ومن خارجها بالطِّيب والزعفران وكسَاها القَباطِيَّ وقال: من كانت لي عليه طاعة فليخرج فليَعْتَمر من التَّنْعيم، ومن قدر أَن يَنْحَر بدنةً فليفعل، فإِن لم يقدر فشاة، ومن لم يقدر فليتصدق بما تيسَّر.

وأَخرج ابنُ الزبير مائة بدَنة، فلما طاف بالبيت استلم الأَركان الأَربعة جميعاً.

فلم يزل البيت على بناء ابن الزبير تُستلم الأَركان كلها، ويُدْخل من باب ويخرج من باب حتى قُتل ابن الزبير وقتل ودخل الحجاج مكة، فكتب إِلى عبد الملك بكل ما فعله ابن الزبير. فكتب إِليه عبد الملك بن مروان أَن آهدم ما زاده فيها من الحِجْر وردَّها على ما كانت عليه وسُدَّ البابَ الغربيّ الذي فتح واترك سائِرها.

فكلُّ البيت اليوم على بنيان ابن الزبير، إِلا الجدار الذي في الحِجْر وموضع سد الباب الغربي، فإِنه من بنيان الحجاج، وغَيَّر تلك الدَّرج التي في جوفها، ونقص من طول الباب خمسة أَذرع.

فلما حج عبد الملك قال له الحارث بن عبد الله بن أَبي ربيعة المخزومي[1]: أَنا أَشهد لابن الزبير بالحديث الذي سمعه من عائشة فقد سمعته أَنا أَيضاً منها. قال: أَنت سمعته منها؟ قال: نعم، فجعل ينكث بقضيب كان في يده في الأَرض ساعة ثم قال: وددْت أَني كنت تركته وما تحمَّل.

***

المرة العاشرة: عمارة الحجاج.

وتقدم بيانها ذكره السهيلي والنووي رحمهما الله تعالى.

قال في شفاء الغرام: وفي إِطلاق العبارة بأَنه بنى الكعبة تجوّز لأَنه لم يبن إِلا بعضها.

---

(١) الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي القُبَاع بضم القاف وتخفيف الموحدة ولي البصرة، أرسل. وعن عمر وعائشة. وعنه أبو قَزَعة والزُّهري. مات بعد الستين. الخلاصة ١/١٨٣.

الباب الثالث

في أسماء البيت الشريف

منها: الكعبة. قال الله سبحانه وتعالى: ﴿**جَعَلَ اللهُ الكعبةَ الحرامَ قياماً للناسِ**﴾.

قال مجاهد رحمه الله تعالى: إنما سميت الكعبة لأَنها مربَّعة.

رواه ابن أبي شيبة، وعبد بن حُمَيْد، وكذا قال عكرمة. رواه ابن أَبي شيبة وعبد بن حميد.

وقال القاضي في «المشارق»: الكعبة هو البيت نفسه لا غير، سمي بذلك لتكعّبه وهو تربيعه، وكل بناء مرتفع مربع كعبة.

وقال: النووِيّ سمّيت بذلك لاستدارتها وعلوّها، وقيل لتربيعها.

قال في شفاء الغرام: وممن قال: إنها سميت بالكعبة لكونها على خِلْقَةِ الكعب، ابنُ أَبي نجيح[١] وابن جُرَيْج[٢] رحمهما الله تعالى.

ومنها: بَكَّة. قال أَبو مالك الغِفَاري[٣] رحمه الله تعالى بكة: موضع البيت، ومكة ما سوى ذلك. رواه ابن أَبي شيبة وسعيد بن منصور وعَبْد بن حُميْد وابن جرير.

وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: مكة من الفَج إِلى التنعيم. وبكَّة من البيت إِلى البطحاء. رواه ابن أَبي حاتم. وقال عكرمة رحمه الله تعالى: البيت وما حوله بَكَّة وما وراء ذلك مكة. رواه ابن أَبي شيبة وعبْد بن حُمَيد. وقال مجاهد رحمه الله تعالى: بَكَّة الكعبة، ومكة ما حولها. رواه عبد بن حميد.

وقال ابن شهاب رحمه الله تعالى: بَكَّة البيت. ومكة الحرم كله. رواه ابن جرير.

وسمِّي البيت بذلك لما رواه ابن أَبي حاتم عن محمد بن يزيد بن المهاجر قال: إِنما سميت بكَّة لأَنها كانت تبكُّ الظَّلَمة. ولهذا مزيد بيان في باب أَسماء الحرم.

ومنها: البيت الحرام. وتقدم في الآية السابقة.

---

(١) عبد الله بن يَسَار الْجُهَنِي الكوفي. عن حُذَيْفَة وسليمان بن صُرَد. وعنه مَنْصُور والأعمش. وثقه النسائي. الخلاصة ١١٣/٢.

(٢) عبد الملك بن عبد العزيز بن جُريج الأُمَوِي مولاهم أبو الوليد وأبو خالد المكي الفقيه أحد الأعلام. عن ابن أبي مُلَيْكة وعكرمة مرسلاً. وعن طاوس مسألة ومجاهد ونافع وخلق. وعنه يحيى بن سعيد الأنصاري أكبر منه والأوزاعي والسفيانان وخلق. قال ابن المديني: لم يكن في الأرض أحد أعلم بعطاء من ابن جُريج. وقال أحمد: إذا قال أخبرنا وسمعت حسبك به. وقال ابن معين: ثقة إذا روي من الكتاب. قال أبو نعيم: مات سنة خمسين ومائة. الخلاصة ١٧٨/٢.

(٣) غَزْوَان الْغِفَارِي أبو مالك الكوفي. عن الْبَـرَا وابن عباس. وعنه سلمة بن كُهَيْل والسُّدِّي. وثقه ابن معين. الخلاصة ٣٣٠/٢.

ومنها: المسجد الحرام. قال تعالى: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ المسجدِ الحرام﴾ والمراد به هنا الكعبة بلا خوف. وقد ورد إطلاق المسجد الحرام على غير الكعبة كما سيأتي.

ومنها: قادِس. ذكره في شفاء الغرام ولم يتكلم عليه. وقال أبو عبيد البكري رحمه الله تعالى في مُعْجمه نقلاً عن كُرَاعَ: القادِس: اسم للبيت الحرام. قال غير كراع: سميت بذلك من التقديس وهو التطهير لأنها تطهِّر من الذنوب.

ومنها: ناذِر. ذكره في شفاء الغرام. ولم يتكلم على ضبطه ولا على معناه. وذكره في القاموس في مادة نذَر بالذال وقال إنه من أسماء مكة.

ومنها القَرْية القديمة. ذكره في شفاء الغرام.

ومنها البيت العَتِيق قال الله تعالى: ﴿وَلْيَطَّوفوا بالبيتِ العَتِيق﴾. روى البخاري في تاريخه والترمذي - وحسَّنه - وابن جَرير والحاكم - وصحَّحه - عن عبد الله بن الزبير رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنما سمى الله البيت العتيق لأنه أعتقه من الجبابرة فلم يظهر عليه جَبَّار قط**»[1].

وروى عبد بن حميد وابن أَبي حاتم عن ابن عباس مثله وقال مجاهد: إنما سمى البيت العتيق لأنه أعتقه من الجبابرة لم يدّعِه جبار قط. وفي لفظ: فليس في الأرض جبار يدّعي أنه له.

رواه ابن أَبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير.

وروى ابن المنذر وابن أَبي حاتم عنه قال: إنما سمي البيت العتيق لأَنه لم يُرِدْه أَحدٌ بسوء إلاَّ هلَك.

وعن سعيد بن جبير رحمه الله تعالى أَنه أعتق من الغرق في زمان نوح. رواه ابن المنذر وابن أَبي حاتم.

وقال الحسن رحمه الله تعالى: لأَنه أَول بيت وضع. رواه ابن أَبي حاتم.

وما رواه عبد الله بن الزبير أَوْلَى وصححه ابن جماعة في مناسكه.

ومنها: البَنِيّة. بموحدة فنون فمثناة تحتية مشددة في حديث البراء بن مَعْرور: «رأَيت أَلاَّ أَجعل هذه البَنِيَّة منّي بظهر»، يعني الكعبة وقد كثر قسَمُهم بربّ هذه البنية.

ومنها الدوّار: بضم الدال المهملة وفتحها وتشديد الواو وبعدها أَلف وراء. ذكره ياقوت في المشترك وَضْعاً والمختلف صقعاً.

---

(١) أخرجه الترمذي (٣١٧٠)، والحاكم في المستدرك ٣٨٩/٢، والبيهقي في الدلائل ١٢٥/١، وذكره المتقي الهندي في الكنز (٣٤٦٣٨).

الباب الرابع

في بعض فضائل دخول الكعبة والصلاة فيها وآداب ذلك

روى ابن خُزَيْمة[١] والطبراني والبيهقي من طريق عبد الله بن المؤمل[٢]، عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«من دخل البيت فصلَّى فيه دخل في حَسنة وخرج من سيئة مغفوراً له»**[٣].

وفي لفظ: خرج مغفوراً له.

وروى الفاكهي عن ابن عمر ـ رضي الله تعالى عنهما ـ قال في دخول البيت: دخولٌ في حسنة وخروج من سيئة.

وروى الفاكهي عن مجاهد رحمه الله تعالى قال: دخول البيت حسنةٌ وخروج من سيئة ويخرج مغفوراً له.

ورَوى الفاكهي عن عبد الله بن عمر ـ رضي الله تعالى عنهما ـ أَنه قال لهند بن أَوس: أَرأَيت الكعبة؟ من دخلها فصلى فيها خرج من ذنوبه كيوم ولدَتْه أُمُّه.

وروى الفاكِهيّ عن عطَاء رحمه الله تعالى قال: لأَن أُصلي في البيت ركعتين أَحب إِليّ أَن أُصلي أَربعاً في المسجد الحرام.

ورَوى الفاكهي عن الحسن رحمه الله تعالى قال: الصلاة في الكعبة تَعْدِل مائة أَلف صلاة.

وفي رسالة الحسن لأَهل مكة: مَن دخل البيت دخل في رحمة الله عز وجل، وفي حِمَى الله عز وجل، وفي أَمْن الله عز وجل، ومن خرج خرج مغفوراً له.

---

(١) محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح، أبو بكر السلمي النيسابوري الحافظ إمام الأئمة. أخذ عن المزني والربيع. وقال فيه الربيع: استفدنا منه أكثر مما استفاد منا. قال أبو علي الحافظ: كان ابن خزيمة يحفظ الفقهيات من حديثه كما يحفظ القارئ السورة. وقال ابن حبان: ما رأيت على وجه الأرض من يحسن السنن ويحفظ ألفاظها الصحاح وزياداتها حتى كأنها بين عينيه إلا محمد بن إسحاق بن خزيمة فقط، وقال الدارقطني: كان إماماً ثبتاً معدوم النظير، وقال ابن سريج: كان ابن خزيمة يستخرج النكت من حديث رسول الله ﷺ بالمنقاش، وقال الحاكم: ومصنفاته تزيد على مائة وأربعين كتاباً سوى المسائل، والمسائل المصنفة أكثر من مائة جزء، ولد سنة ثلاث وعشرين ومائتين، وتوفي في ذي القعدة سنة إحدى عشرة وثلاثمائة، وقيل: سنة اثنتي عشرة. الطبقات لابن قاضي شهبة ٩٩/١، ١٠٠، والأعلام ٢٥٣/٦، وشذرات الذهب ٢٦٢/٢.

(٢) عبد الله بن المُؤَمَّل المخزومي العابدي بواحدة. عن ابن أبي مُليكة وعطاء. وعنه الشافعي وأبو نُعيم. قال أبو داود: منكر الحديث. وضعفه ابن عدي، وأما ابن حبان فوثقه. مات سنة سبع وستين ومائة. الخلاصة ١٠٤/٢.

(٣) أخرجه البيهقي ١٥٨/٥ وابن خزيمة ٣٠/٣ وذكره الهيثمي في المجمع ٢٩٦/٣ وعزاه للطبراني في الكبير والبزار بنحوه. وفيه عبد الله بن المؤمل وثقه ابن سعد وغيره وفيه ضعف.

وروى عبْد بن حميد وابن جرير وابن أَبي حاتم عن يحيى بن جَعْدة بن هُبَيرة[(١)] في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ دَخله كان آمنا﴾. قال: آمناً من النار.

وما أَحسن ما أَنشده الحافظ أبو طاهر السِّلفي[(٢)] رحمه الله تعالى لنفسه بعد دخول البيت زاده الله تعالى تشريفاً وتكريماً:

أَبعدَ دُخُولِ البَيْتِ واللهُ ضَامِنٌ ... أَيَبْقَى قبيحٌ والخطايا كَوامِنُ

فحاشَا وَكَلاَّ بَلْ تُسَامَح كُلُّها ... وَيَرْجِعُ كلٌّ وَهْوَ جَذْلانُ آمِنُ

فائدتان:

الأولى: قال في شفاء الغرام: دخل النبي ﷺ البيت أَربع مرات بعد الهجرة: الأُولى يوم الفتح. رواه مسلم[(٣)] عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما، الثانية: ثاني الفتح. رواه الإِمام أَحمد عن أسامة بن زيد رضي الله تعالى عنهما[(٤)] الثالثة: في عمرة القضية. نقله المحب الطبري في القرى عن عروة وسعيد بن المسَّيب. وفي ذلك نظر لما سيأَتي عن عبد الله بن أَبي أَوفى[(٥)] رضي الله تعالى عنه. الرابعة: في حجة الوداع، رواه أَبو داود والترمذي وابن ماجة[(٦)].

الثانية: اتفق الأَئمة الأَربعة رحمهم الله تعالى على استحباب دخول الكعبة، واستحسن الإِمام مالك رضي الله تعالى عنه كثرة دخولها، وأَما حديث عائِشة رضي الله تعالى عنها: خرج رسول الله ﷺ من عندي وهو قَرِير العين طيب النفس، ثم رجع وهو حزين فقلت له فقال: «**إِني دخلت الكعبة ووددت أَني لم أَكن فعلت، إِني أَخاف أَن أَكون أَتعبت امتي من بعدي**»، رواه الإِمام أَحمد والترمذي وصححه[(٧)]. فلا دلالة فيه لعدم الاستحباب، بل

---

(١) يحيى بن جعدة بن هبيرة، بن أبي وهب المخزومي، ثقة وقد أرسل عن ابن مسعود ونحوه، من الثالثة. التقريب ٣٤٤/٢.

(٢) السلفي: بفتحتين وفاء إلى مذهب السَّلَف وبضم أوله إلى سُلَف بطن من الكَلاع وبكسره إلى سِلَفَة جدّ الحافِظ أبي طاهر. لب اللباب ٢٢/٢.

(٣) أخرجه مسلم ٩٦٦/٢ كتاب الحج (٣٨٩/ ١٣٢٩).

(٤) أخرجه أحمد في المسند ٢٠٧/٦.

(٥) عبد الله بن أَبي أَوْفَى عَلْقَمَةَ بن خَالِد الأَسْلَمِي أبو إبراهيم، صحابي ابن صحابي. شهد بيعة الرِّضْوَان وروى خمسة وتسعين حديثاً، اتفقا على عشرة، وانفرد (خ) بخمسة، و (م) بواحد. وعنه عَمْرو بن مُرَّة، وطلحة بن مُصَرِّف وعَدِيّ بن ثابت والأعمش. قال الذهبي: قيل حديثه عنه مرسل وقد سمع الأعمش ممن مات قبله، فما المانع من أن يكون سمع منه. قال الواقدي: مات سنة ست وثمانين. وقال أبو نُعيْم: سنة سبع. قال عمرو بن علي: هو آخر من مات بالكوفة من الصحابة. الخلاصة ٤١/٢.

(٦) أخرجه أبو داود ٦١٩/١ كتاب المناسك باب في دخول الكعبة والترمذي ٢٢٣/٣ كتاب الحج.

(٧) أخرجه الترمذي ٢٢٣/٣ كتاب الحج باب ما جاء في دخول مكة (٨٧٣) وقال: هذا حديث حسن صحيح وابن ماجة ١٠١٨/٢ كتاب المناسك باب دخول الكعبة (٣٠٦٤).

دخوله ﷺ دليل على استحبابه، وتمنِّيه عدم الدخول قد علله النبي ﷺ بالشفقة على أُمته، وذلك لا يدفع الاستحباب.

وحديث عبد الله بن أَبي أَوفى رضي الله تعالى عنه: اعتمر رسولُ الله ﷺ فطاف بالبيت وصلى خلفَ المقام ركعتين ومعه من يَستره من الناس، قال له رجل: أَدَخَل النبي ﷺ الكعبة؟ قال: لا. رواه الشيخان[١]. فكذلك لا دليل فيه لعدم الاستحباب.

قال النووي: قال العلماء رحمهم الله تعالى: سبب ترك دخوله ﷺ ما كان في البيت من الأَصنام والصور ولم يكن المشركون يتركونه يغيرّها. فلما كان يوم الفتح أَمر بإِزالة الصور ثم دخلها كما في حديث ابن عباس في الصحيح.

وأَما آداب الدخول فكثيرة، منها: الغُسْل، ومنها: نزع الخُفّ والنعل، ومنها: أَلا يرفع بصره إِلى السقف لأَن؛ ذلك يؤدي إِلى الغفلة واللهو عن القصد.

روى الحاكم عن عائِشة رضي الله تعالى عنها أَنها كانت تقول: عجباً للمرء المسلم إِذا دخل الكعبة حين يرفع بصره قِبَل السقف يدَع ذلك إِجلالاً لله تعالى وإِعظاماً، دخل رسول الله ﷺ الكعبة ما خلَّف بصره موضع سجوده حتى خرج منها.

ومنها: أَلاَّ يزاحِم أَحداً زحمةً شديدةً يتأَذى بها أو يؤذي بها أَحداً. كما ذكره النووي رحمه الله تعالى:

ومنها: أَن يُلْزم قلبَه الخشوع والخضوع، وعينيه الدموع إِن استطاع ذلك، وإِلاَّ حاول صورتهما.

ومنها: أَلاَّ يسأَل مخلوقاً. قال سفيان بن عُيَيْنة[٢] رحمه الله تعالى: دخل هشام بن عبد الملك الكعبة فرأَى سالم بن عبد الله بن عمر، فقال: سَلْني حاجتك. فقال: استحي من الله تعالى أَن أَسأَل في بيته غيره.

وأَما ما يُطلب في الكعبة من الأُمور التي صنعها رسولُ الله ﷺ فهو: التسبيح والتكبير والتهليل والتحميد والثناء على الله تعالى والدعاء والاستغفار والصلاة. لأَحاديث وردت في ذلك يأْتي بيانها في غزوة الفتح إِن شاء الله تعالى.

---

(١) أخرجه البخاري ٣/٥٤٦ (١٦٠٠) (١٧٩١، ٤١٨٨، ٤٢٥٥).

(٢) سفيان بن عُيَيْنَة بن أبي عِمْرَ بن الهِلاَلي مولاهم أبو محمد الأعور الكوفي، أحد أئمة الإسلام. عن عمرو بن دِينار والزُّهري، وزيد بن أسلم وصَفْوَان بن سُلَيم، وخلق كثير. وعنه شعبة ومِسْعَر من شيوخه وابن المبارك من أقرانه وأحمد وإسحاق وابن معين وابن المديني وأمم. قال العجلي: هو أثبتهم في الزهري، كان حديثه نحو سبعة آلاف. وقال ابن عيينة: سمعت من عمرو بن دينار ما لبث نوح في قومه. وقال ابن وهب: ما رأيت أعلم بكتاب الله من ابن عيينة. وقال الشافعي: لولا مالك وابن عيينة لـذهب علـم الحجاز. مات سنة ثمان وتسعين ومائة، ومولده سنة سبع. الخلاصة ٣٩٧/١.

البـــاب الخامـــس

في فضل النظر إلى البيت الشريف

قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: النظر إلى الكعبة مَحْض الإيمان. وقال حمَّاد بن أَبي سلمة رحمه الله تعالى: الناظر إلى الكعبة كالمجتهد في العبادة في غيرها.

وقال يونس بن خبَّاب رحمه الله تعالى: النظر إلى الكعبة عبادة فيما سواها من الأَرض عبادة الصائِم القائم الدائم القانت.

وقال مجاهد رحمه الله تعالى: النظر إلى الكعبة عبادة.

وقال سعيد بن المسيَّب رحمه الله تعالى: من نظر إلى الكعبة إيماناً وتصديقاً خرج من الخطايا كيوم ولدته أُمه.

وقال أَبو السائب المدني رحمه الله تعالى: من نظر إلى الكعبة إيماناً وتصديقاً تحاتَّتْ عنه الذنوب كما يتحاتُّ الورقُ من الشجر.

وقال زهير بن محمد رحمه الله تعالى: الجالس في المسجد ينظر إلى البيت لا يطوف به ولا يصلي أَفضلُ من المصليِّ في بيته لا ينظر إلى البيت.

وقال عطاء رحمه الله تعالى: النظر إلى البيت عبادة، والناظر إلى البيت بمنزلة الصائِم القائم القانت الدائم المُخْبِت المجاهد في سبيل الله.

روى الجميعَ الأَزرقيُّ والجندي.

الباب السادس
في بعض فضائل الحجر الأسود والمقام

روى الترمذي وابن ماجة وابن حبان والحاكم والبيهقي في الدلائل عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«الركنُ والمقام ياقوتتان من يواقيت الجنة طمس الله تعالى نورهما، ولولا ذلك لأضاءتا ما بين المشرق والمغرب»**(١).

وروى الحاكم عن أَنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«الركن والمقام ياقوتتان من يواقيت الجنة»**(٢).

وروى البيهقي في الشُّعَب عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أَن الركن والمقام من يواقيت الجنة، ولولا ما مسَّهما من خطايا بني آدم لأَضاءا ما بين المشرق والمغرب، وما مسَّهما من ذي عاهة ولا سقيم إلاَّ شُفي.

وروى الترمذي - وصحَّحه واللفظ له - والإِمام أَحمد وابن خزيمة عن ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: **«نزل الحجر الأَسود من الجنة وهو أَشدُّ بياضاً من اللبن فسوّدتْه خطايا بني آدم»**(٣).

ورَوى ابن خزيمة عن ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: **«الحجر ياقوتة بيضاء من ياقوت الجنة، وإِنما سَوَّدته خطايا المشركين، يُبْعث يوم القيامة مثل أُحد يشهد لمن استلمه وقبّله من أَهل الدنيا»**(٤).

لطيفة: قال الإمام بدر الدين أَحمد بن محمد الشهير بابن الصاحب رحمه الله تعالى: فإِن قلت: ما الحكمة في كون الحجر من ياقوت الجنة دون غيره من جواهرها؟ قلت: سِرٌ غريب نبهت عليه في كتاب «الرموز في كشف أَغطية الكنوز» وأَنا ضَنِين بذلك ولكني أَبوح(٥) هنا بشيء من قشوره، وذلك أَن الشمس في الفلك الرابع المتوسط:

لَوْ لَـمْ يَكُـنْ وَسَـطُ الأَشيـاءِ أَحْـسَنَـهَـا ... ما اخْتَارتِ الشمسُ من أَفلاكها الوَسَطَا

وهي المُمِدّة لما فوقها وما تحتها من الأَفلاك، والمِعدَة في الفلك الرابع من الأَنفس وهي الممدة لما فوقها وما تحتها مستقرها النار، وخلق الله تعالى فيها عَيْناً نَبَّاعة بحَمْض مُعِينة على الهضم والتبريد، ومكة في الفلك المتوسط من الدنيا وهو محل النار، وهي الممدة للدنيا، قال الله تعالى:

---

(١) أخرجه البيهقي ٧٥/٥، وابن حبان ١٠٠٤، وذكره السيوطي في الدر المنثور ١١٩/١، والمتقي الهندي في الكنز ٣٤٧٤٠.

(٢) أخرجه ابن خزيمة (٢٧٣١).

(٣) أخرجه الترمذي (٨٧٧)، وأحمد في المسند ٣٠٧/١، ٣٧٣.

(٤) أخرجه ابن خزيمة ٢٢٠/٤ (٢٧٣٤) وفي إسناده أبو الجنيد وهو الحسين خالد الضرير قال ابن معين: ليس بثقة.

(٥) في أ: ألوح.

﴿جَعلَ اللهُ الكعبةَ البيتَ الحرامَ قِياماً للناسِ﴾ أَي: قياماً لدينهم ودنياهم، وجعل الحجر من ياقوت الجنة الذي لا يُبالي بالنار ويحصل منه التبريد المعنوي والحسي:

وطالَما أُصْلِيَ الياقوتُ جَمْراً غَضاً ثم انطفَا الجَمْرُ والياقوتُ ياقوتُ

ثم سِرٌّ آخر: وهو أنه نقطة الدائرة الياقوتية.

ذكر ما قيل في اسوداد الحجر بعد بياضه

قال السُّهَيْلي - رحمه الله تعالى - بعد أَن ذكر شيئاً يتعلق بالحجر الأَسود: وانتبه من هاهنا إِلى الحكمة في أَنه سوَّدته خطايا بني آدم دون غيره من أَحجار الكعبة وأَستارها وذلك أَن العهد الذي فيه هو الفطرة التي فُطر الناس عليها من توحيد الله تعالى، فكل مولود يولد على تلك الفطرة وعلى ذلك الميثاق، فلولا أَن أَبويه يهوِّدانه ويُنَصِّرانه ويمجِّسانه حتى يسودَّ قلبه بالشِّرْك لما حالَ عن العهد، فلما صار قلب ابن آدم محلاً لذلك العهد والميثاق وصار الحجر محلاً لما كتب فيه من ذلك العهد والميثاق فتناسبَا، فاسودّ من الخطايا قلبُ ابن آدم بعدما كان ولد عليه من ذلك العهد، واسودَّ الحجر الأَسود بعد ابيضاضه، وكانت الخطايا سبباً في ذلك حكمة من الله تعالى.

ورَوى أَبو الشيخ عن جعفر بن محمد رحمه الله تعالى قال: كنت مع أَبي محمد بن علي، فقال له رجل: يا أَبا جعفر ما بدْءُ خلق هذا الركن؟ فقال: إِن الله - تعالى - لما خلق الخلق قال لبني آدم: أَلستُ بِرَبِّكم؟ قالوا: بلى، فأَقَرُّوا فأَجرى نهراً أَحلى من العسل وأَلْيَنَ من الزبد، ثم أَمر القلم فاستمد من ذلك النهر، فكتب إِقرارهم وما هو كائن إِلى يوم القيامة، ثم أَلقم ذلك الكتابَ هذا القلم الحجَر، فهذا الاستلام الذي يُرى إِنما هو تبعية على إِقرارهم الذي كانوا أَقرُّوا به.

ورَوى عبد الرازق في المصنف وأَبو الشيخ عن فاطمة بنت حسن - رضي الله تعالى عنها - قالت: لمّا أَخذ الله الميثاق من بني آدم جعله الله - تعالى - في الركن، فمِن الوفاء بعهد الله تعالى استلامُ الحجَر.

ورَوى الجندي في فضائل مكة وأَبو الحسن القطَّان في المطوَّلات والحاكم والبيهقي في الشُّعَب عن أَبي سعيد الخدري - رضي الله تعالى عنه - قال: حَججْنا مع عمر بن الخطاب - رضي الله تعالى عنه - فلما دخل في الطواف استقبل الحجَر فقال: إِني أَعلم أَنك حجرٌ لا تضرّ ولا تنفع ولولا أَني رأَيت رسولَ الله ﷺ يقبّلكَ ما قبّلتُك ثم قبّله[1]، فقال له علي

---

(١) أخرجه البخاري ٥٤٠/٣ كتاب الحج (١٥٩٧، ١٦٠٥، ١٦١٠) ومسلم ٩٢٥/٢، ٩٢٦ كتاب الحج (١٢٧٠/٢٥١) وما ذكر عن علي لم يرد في الصحيحين.

- رضي الله تعالى عنه -: إنه يضرّ وينفع يا أَمير المؤمنين. قال: بم؟ قال: بكتاب الله تعالى. قال وأين ذلك من كتاب الله قال: قال الله عز وجل: ﴿وَإِذْ أخذ ربُك مِن بَنِي آدمَ مِن ظُهورِهم ذريتهم﴾ إلى قوله: ﴿بلى﴾، خلق آدم ومسح على ظهره فقرَّرهم بأنه الرب وأنهم العبيد، وأخذ عهودهم ومواثيقهم وكتب ذلك في رِقّ، وكان لهذا الحجَر عينان ولسان، فقال له: افتح فاك، ففتح فاه فألقمه ذلك الرّقَّ وقال: اشهد لمن وافاك بالموافاة يوم القيامة، وإني أشهد لَسمعت رسولَ الله ﷺ يقول: **«يؤتى بالحجَر الأسود يوم القيامة وله لسان ذَلْق يشهد لمن يستلمه بالتوحيد»** فهو يا أَمير المؤمنين يضرّ وينفع. فقال عمر: أَعوذ بالله أَن أَعيش في قوم لست فيهم يا أَبا الحسن.

تنبيه: قال المحب الطَّبَري رحمه الله تعالى: وقد اعترض بعض المُلْحِدة، فقال: كيف يسوِّدُ الحجرَ خطايا أَهل الشرك ولا يبيضه توحيدُ أَهل الإِيمان؟.

والجواب عنه من ثلاثة أَوجه: **الأَول**: ما تضمنه حديث ابن عباس الذي رواه الجندي: أَن الله - تعالى - إنما طمَس نوره بالسواد ليَسْتر زينة الجنة عن الظُّلَمة وكأَنه لما تغيَّرت صفته التي كانت كالزِّينة له بالسواد كان ذلك السواد له كالحِجَاب المانع من الرؤية وإِن رُئي جِرْمه، إِذ يجوز أَن يُطْلق عليه غير مَرْئي، كما يطلق على المرأَة المستترة بثوب أَنها غير مرئية.

الثاني: أَجاب به ابن حبيب[1] رحمه الله - تعالى - فقال: لو شاء الله - تعالى - لكان ذلك، وما علمتَ أَيّها المعترض أَن الله - تعالى - أَجرى العادة بأَن السواد يَصْبغ ولا يُصْبَغ، والبياض ينصبغ ولا يَصْبُغ.

والثالث: وهو مُنْقاس، أَن يقال: بقاؤه أَسود - والله تعالى أَعلم -: إِنما كان للاعتبار، وليُعْلَم أَن الخطايا إِذا أَثَّرت في الحجَر فتأْثيرها في القلوب أَعظم. والله أَعلم.

شهادة الحجر الأسود يوم القيامة لمن استلمه بحق

روى الدارمي وابن خُزَيْمَة وابن حِبَّان والحاكم عن ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما - أَن رسول الله ﷺ قال: **«ليَبْعثن الله الحجر يوم القيامة له عينان يبصر بهما، ولسان ينطق به، يشهد لمن استلمه بحق»**[2].

---

(١) عبد الملك بن حبيب بن سليمان بن هارون السلمي الإلبيري القرطبي، أبو مروان: عالم الأندلس وفقيهها في عصره. أصله من طليطلة، من بني سُليم، أو من مواليهم. ولد في إلبيرة، وسكن قرطبة. وزار مصر، ثم عاد إلى الأندلس فتوفي بقرطبة. كان عالماً بالتاريخ والأدب، رأساً في فقه المالكية. له تصانيف كثيرة، قيل: تزيد على ألف. منها «حروب الإسلام» و «طبقات الفقهاء والتابعين» و «طبقات المحدثين» و «تفسير موطأ مالك» توفي سنة ٢٣٨هـ. الأعلام ١٧٥/٤.

(٢) أخرجه أحمد ٢٩١/١، ٣٧١، والبيهقي ٧٥/٥، والطبراني في الكبير ٦٣/١٢، وذكره المتقي الهندي في الكنز ٣٤٧٤٨، والدارمي ٤٢/٢.

وورد من حديث أَنس رواه الحاكم، ومن حديث سلمان رواه الأَزرقي، ومن حديث عبد الله بن عمر، ورواه ابن خزيمة والطبراني والبيهقي في الأَسماء والصفات.

ما جاء في تقبيل النبي صلى الله عليه وسلم الحجر واستلامه له وسجوده عليه

قال ابن عمر - رضي الله تعالى عنهما -: رأَيت رسولَ الله ﷺ يستلم الحجَر ويقبِّله.

رواه الشيخان[١].

وقال ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما - سجَد رسول الله ﷺ على الحجر رواه الترمذي.

وقال أيضاً: رأَيت عمر بن الخطاب - رضي الله تعالى عنه - قبَّله وسجد عليه، ثم قال: رأَيتُ رسول الله ﷺ فعل ذلك. رواه البيهقي.

وقال جابر بن عبد الله - رضي الله تعالى عنهما -: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«إِنّ مَسْحهما ـ يعني الرُّكْنين ـ كفارة للخطايا»**[٢].

رواه الترمذي.

وقال عابس - بالباء الموحدة والمهملة - بن ربيعة: رأَيت عمر بن الخطاب - رضي الله تعالى عنه - يقبِّل الحجَر، ويقول: والله إِني لأَعلم أَنك حجَر لا تنفع ولا تضرّ، ولولا أَني رأَيت رسول الله ﷺ يقبّلك ما قبلتك. رواه الشيخان[٣].

قال المحب الطبري رحمه الله تعالى: إِنما قال ذلك عمر لأَن الناس كانوا حديثي عهد بعبادة الأَصنام، فخشي عمر أَن يظن الجُهّال أَن استلام الحجر من باب تعظيم بعض الأَحجار كما كانت العرب تفعل في الجاهلية، فأَراد عمر - رضي الله تعالى عنه - أَن يعلم الناس أَن استلامه اتباع لفعل النبي ﷺ لا أَن الحجر ينفع ويضر بذاته كما كانت الجاهلية تعتقده في الأَوثان.

ما جاءَ أن الحجر الأَسود يمين الله تعالى في الأَرض يصافح به عباده

روى الطبراني عن عبد الله بن عمرو بن العاص[٤] - رضي الله تعالى عنهما - قال: قال

---

(١) أخرجه البخاري ٥٥٥/٣ (١٦١١)، ومسلم ٩٢٤/٢ (١٢٦٨/٢٤٦).

(٢) أخرجه الترمذي ٢٩٢/٣ كتاب الحج (٩٥٩)، والنسائي ٢٢١/٥، والبيهقي ٨٠/٥.

(٣) أخرجه البخاري ٥٤٠/٣ (١٥٩٧)، ومسلم (٢/ ٩٢٥- ٩٢٦).

(٤) عبد الله بن عمرو بن العاص السَّهْمِي أبو محمد، بينه وبين أبيه إحدى عشرة سنة. له سبعمائة حديث. كان يلوم أباه على القتال في الفتنة بأدب وتؤدة ويقول: مَا لِي ولصِفِّين، ما لي ولقتال المسلمين لَوَدِدْتُ أني مِتُّ قبلها بعشرين سنة. قال يحيى بن بُكَيْر: مات سنة خمس وستين. وقال اللَّيْث: سنة ثمان. الخلاصة ٨٣/٢.

رسول الله ﷺ: **«يأتي الركن يوم القيامة أعظم من أبي قُبَيْس، له لسان وشفتان يشهد لمن استلمه بحق، وهو يمين الله ـ تعالى ـ في الأرض، يصافح به خلقه»**[١].

رجاله رجال الصحيح، إلا عبد الله بن المؤمّل، وهو ضعيف.

وروى الطبراني وابو عبيد القاسم بن سلام[٢] عن ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما - أَن رسول الله ﷺ قال: **«الحجر يمين الله تعالى في الأرض»**[٣].

ورواه الأَزرقي وأَبو طاهر المخلّص[٤] عنه موقوفاً بلفظ: الحجر الأَسود يمين الله تعالى في الأَرض، فمن لم يدرك بيعة النبي ﷺ فمسح الحجَر فقد بايع الله ورسوله ﷺ.

ورواه الأَزرقي أَيضاً عنه موقوفاً بلفظ: الركن يمين الله تعالى في الأَرض، يصافح به عباده كما يصافح أَحدكم أَخاه.

وفي لفظ رواه محمد بن أَبي عمر العَدَني والأَزرقي أَن هذا الركن الأَسود يمين الله تعالى في الأَرض يصافح بها خلقه، والذي نفس ابن عباس بيده ما مِنْ مسلم يسأَل الله تعالى عنده شيئاً إِلا أَعطاه إِياه[٥].

قال الحافظ في المطالب العالية: موقوف صحيح الإِسناد، زاد تلميذه الحافظ السَّخاوي في المقاصد الحَسنة فقال: وله شواهد، منها ما رواه الدَّيْلمي عن أَنس مرفوعاً: الحجر الأَسود يمين الله في الأَرض. فمن مسح يده على الحجر فقد بايع الله تعالى أَلاَّ يعصيه[٦]، ومنها: ما رواه الحارث بن أَبي أُسامة[٧] والخطيب وابن عساكر عن جابر بن عبد

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ٤٥٧/١ وابن الجوزي في العلل ٨٥/٢.

(٢) القاسم بن سلام أبو عبيد البغدادي. أحد أئمة الإسلام فقهاً، ولغة وأدباً، صاحب التصانيف المشهورة والعلوم المذكورة، أخذ العلم عن الشافعي والقراآت عن الكسائي وغيره. قال الإمام أحمد: أبو عبيد ممن يزداد كل يوم خيراً. توفي بمكة سنة أربع وعشرين ومائتين. الطبقات لابن قاضي شهبة ٦٧/١، ٦٨، ٦٩، والأعلام ١٠/٦ وابن سعد ٣٥٥/٧، وتذكرة الحفاظ ٤١٧/٢، ووفيات الأعيان ٢٢٥/٣.

(٣) أخرجه ابن عدي في الكامل ٣٣٦/١ وذكره العجلوني في كشف الخفا ٤١٧/١، وعزاه للطبراني في معجمه وأبي عبيد القاسم بن سلام عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) محمد بن عبد الرحمن بن العباس، أبو طاهر، المخلص الذهبي البغدادي: من حفاظ الحديث. كان مسند بغداد في عصره. له «منتقى سبعة أجزاء» في الحديث، لعله «الفوائد المنتقاة الغرائب الحسان» توفي ٣٩٣ هـ. الأعلام ١٩٠/٦.

(٥) انظر كشف الخفا الموضع السابق.

(٦) أخرجه الخطيب في التاريخ ٣٢٨/٦، وابن الجوزي في العلل ٥٧٥/٢، وذكره المتقي الهندي في الكنز (٣٤٧٤٤).

(٧) الحارث بن محمد بن أبي أسامة داهر الإمام أبو محمد التميمي البغدادي الحافظ صاحب المسند، ومسنده لم يرتبه ولد سنة ست وثمانين ومائة. وثقه إبراهيم الحربي مع علمه بأنه يأخذ الدراهم، وأبو حاتم بن حبان، وقال الدارقطني: صدوق وأما أخذ الدراهم على الرواية فكان فقيراً كثير البنات، وقال أبو الفتح الأزدي وابن حزم: ضعيف عاش سبعاً وتسعين سنة. وتوفي يوم عرفة سنة اثنتين وثمانين ومائتين. تذكرة الحفاظ ٦١٩/٢، ٦٢٠.

الله ـ رضي الله تعالى عنها ـ مرفوعاً: **«الحجَر يمين الله في الأَرض يصافح بها عباده»**.

قال الإمام الخَطَّابي رضي الله تعالى عنه: معنى أَنه يمين الله في الأَرض أَن من صافحه: أَي الحجر ـ كان له عند الله عهد، وجرت العادةُ بأَن العهد يَعْقده المِلِك بالمصافحة لمن يريدُ مولاته والاختصاص به، فخاطبهم بما يعهدونه.

وقال في النهاية: هذا كلام تمثيل وتخييل، أن الملك كان إذا صافح رجلاً قبَّل الرجلُ يده، فكان الحجر الأَسود لله بمنزلة اليمين للملك حيث يُسْتَلم ويُلْثَم.

وقال المحب: الطبري[1]: معناه أَن كل ملك قَدِم عليه الوافد قبَّل يمينه، فلما كان الحاجُّ أَولَ ما يَقْدَم يُسَنُّ له تقبيله نُزِّل بمنزلة يمين الملك ولله المثل الأَعلى.

---

(١) أحمد بن عبد الله بن محمد بن أبي بكر بن محمد بن إبراهيم، شيخ الحرم، محب الدين، أبو العباس الطبري المكي. ولد في جمادي الآخرة سنة خمس عشرة وستمائة. وسمع من جماعة، وتفقه، ودرس، وأفتى، وصنف كتاباً كبيراً إلى الغاية في الأحكام في ستة مجلدات، وتعب عليه مدة، ورحل إلى اليمن وأسمعه للسلطان صاحب اليمن. روى عنه الدمياطي وابن العطار وابن الخباز والبرزالي وجماعة. قال الذهبي: الفقيه، الزاهد، المحدث، وكان شيخ الشافعية ومحدث الحجاز. وقال ابن كثير: مصنف الأحكام المبسوطة، أجاد فيها وأفاد، وأكثر وأطنب، وجمع الصحيح والحسن، ولكن ربما أورد الأحاديث الضعيفة ولا ينبه على ضعفها. وله كتاب ترتيب جامع المسانيد. توفي في جمادي الآخرة، وقيل في رمضان، وقيل في ذي القعدة سنة أربع وتسعين وستمائة. وحكى البرزالي عن بعض علماء الحجاز أن الشيخ محب الدين توفي في جمادي الآخرة، وولده توفي بعده في ذي القعدة. الطبقات لابن قاضي شهبة ١٦٢/٢، ١٦٣، والأعلام ١٥٣/١، وتذكرة الحفاظ ١٤٧٥/٤ والطبقات للأسنوي ٣١٢، وشذرات الذهب ٤٢٥/٥.

الباب السابع

في فضائل زمزم

اختلفوا لم سميت بذلك؟ فقيل: لكثرة مائها. قال أَبو عبيد البكري يقال ماء زَمْزَم وزمزام: أَي كثير. وفي «المُوعَب» لابن التيَّان[1]: ماء زمزم وزمزام وهو الكثير. وقيل: لتزمزم الماء فيها، وهو حركته. والزمزمة: الصوت يُسمع له دويّ. وقيل: لاجتماعها. نُقل عن ابن هشام.

وقال مجاهد رحمه الله تعالى: سُميت زمزم، لأَنها مشتقة من الهَزمة. والهزمة: الغَمْز بالعقب في الأَرض. رواه الفاكِهيّ بسند صحيح.

وقيل: لأَنها زُمَّت بالميزان لئلا تأخذ يميناً وشمالاً. وقال البَكْري في معجمه: في زمزم لغات: زَمْزم بفتح أَوله وإِسكان ثانيه وفتح الزاي الثانية، وزُمَّزِم بضم أَوله وفتح ثانيه وتشديده وكسر الزاي الثانية، وزُمَزِم بضم أَوله وفتح ثانيه بلا تشديد وكسر الزاي الثانية.

قال أَبو ذرّ رضي الله تعالى عنه: قال رسول الله ﷺ: **«إِنها طعام طُعْم وشفاء سُقْم»**[2].

رواه أَبو داود الطيالسي[3] والطبراني والبزار، ورجاله رجال الصحيح، ورواه مسلم بدون **«وشفاء سقم»**.

وقال ابن عباس ـ رضي الله تعالى عنهما ـ: قال رسول الله ﷺ: **«ماء زمزم لِمَا شُرب له»**..

رجاله موثقون، إِلا أَنه اختلف في إِرساله ووَصْله، وإِرساله أَصح كما قاله الحافظ.

وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: قال رسول الله ﷺ: **«خير ماء على وجه الأَرض ماءُ زمزم، فيه طعام وشفاء سقم»**[4].

---

(١) تمام بن غالب بن عمر المرسيّ أديب لغوي، من أهل مرسية بالأندلس. توفي في المرية له كتاب «الموعَب» في اللغة، قيل: لم يؤلف مثله اختصاراً واكتنازاً، و «تلقيح العين» لغة. توفي ٤٣٦هـ. الأعلام ٨٦/٢.

(٢) أخرجه مسلم ١٩١٩/٤ كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل أبي ذر رضي الله عنه (١٣٢- ٢٤٧٣)، وأحمد في المسند ١٧٥/٥، والبيهقي في السنن ١٤٧/٥، وابن سعد في الطبقات ١٦٢/١/٤، وابن أبي شيبة ٣١٨/١٤.

(٣) سليمان بن داود بن الجارود مولى قريش، أبو داود الطيالسي: من كبار حفاظ الحديث. فارسي الأصل. سكن البصرة وتوفي بها. كان يحدّث من حفظه. سُمع يقول: أسرد ثلاثين ألف حديث ولا فخر! له «مسند ـ ط» جمعه بعض الحفاظ الخراسانيين. توفي ٢٠٤هـ. الأعلام ١٢٥/٣.

(٤) أخرجه الطبراني في الكبير ٩٨/١١ وذكره الهيثمي في المجمع ٢٨٩/٣، ونسبه للبزار والطبراني في الصغير وقال: ورجال البزار رجال الصحيح.

رواه الطبراني، ورجاله ثقاة وصححه ابن حبان.

وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: «كنا نسمِّيها شَبَّاعة، يعني زمزم، ونجدها نِعْم العون على العيال».

رواه الطبراني ورجاله ثقات.

وقال أَيضاً: اشربوا من شراب الأَبْرار يعني زمزم.

رواه الأَزرقي.

وقال أَيضاً: كان رسول الله ﷺ إِذا أَراد أن يُتحِف الرجل بتحفة سقاه من ماء زمزم.

رواه أَبو نُعَيْم في الحِلْية وصحح الدمياطي[١] إِسناده.

وقال عبَّاد بن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهم: لما حجَّ معاوية حججنا معه، فلما طاف بالبيت صلى عند المقام ركعتين، ثم مر بزمزم وهو خارج إلى الصَّفَا، فقال: انزع لي منها دَلْواً يا غلام، قال: فنزع له منها دلواً، فأُتي به. فشرب، وصبَّ على وجهه ورأْسه، وهو يقول: زمزم شِفاء وهي لِمَا شُرب له.

رواه الفاكهي.

قال الحافظ: هذا إِسناد حسن مع كونه موقوفاً، وهو أَحسن من كل إِسناد وقفتُ عليه لهذا الحديث.

ورَوى الإِمام أَحمد وابن ماجه عن أَبي الزُّبَيْر، عن جابر بن عبد الله[٢] رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله: «**ماء زمزم لِمَا شرب له**»[٣] ولفظ أَحمد «**لماشُرب منه**».

---

(١) عبد المؤمن بن خلف الدمياطي، أبو محمد، شرف الدين: حافظ للحديث، من أكابر الشافعية. ولد بدمياط. وتنقل في البلاد؛ وتوفي فجأة في القاهرة. قال الذهبي: كان مليح الهيأة، حسن الخلق، بساماً، فصيحاً لغوياً مقرئاً، جيد العبارة، كبير النفس، صحيح الكتب، مفيداً جداً في المذاكرة. وقال المزي: ما رأيت أحفظ منه. من كتبه «معجم» ضمنه أسماء شيوخه وهم نحو ألف وثلاثمائة، في أربعة مجلدات، و «كشف المغطى في تبيين الصلاة الوسطى» و «المتجر الرابح في ثواب العمل الصالح» و «قبائل الخزرج» و «العقد المثمن» توفي سنة ٧٠٥هـ. الأعلام ١٦٩/٤.

(٢) جابر بن عبد الله بن عمر بن حَرَام: بمهملة وراء، الأنصاري، ثم السَّلَمي: بفتحتين، صحابي ابن صحابي، غزا تسع عشرة غزوة، ومات بالمدينة، بعد السبعين، وهو ابن أربع وتسعين. التقريب ١٢٢/١.

(٣) أخرجه ابن ماجة ١٠١٨/٢ كتاب المناسك (٣٠٦٢). قال السيوطي: هذا الحديث مشهور على الألسنة كثيراً، واختلف الحفاظ فيه، فمنهم من صححه، ومنهم من حسنه، ومنهم من ضعفه والمعتمد الأول. قال في الزوائد ٣٤/٣: هذا إسناد ضعيف لضعف عبد الله بن المؤمل رواه الإمام أحمد في مسنده من حديث جابر بن عبد الله ورواه أبو بكر بن أبي شيبة في مسنده عن زيد بن الخباب وسعيد بن زكريا عن عبد الله بن المؤمل به. ورواه أبو يعلى الموصلي من طريق عبد الله بن المؤمل به لكن لم ينفرد ابن ماجة بإخراج هذا المتن فقد رواه الحاكم في المستدرك كذلك من طريق سعيد بن سليمان عن ابن عباس وقال: هذا حديث صحيح الإسناد وكذا رواه الدارقطني في سننه من حديث ابن عباس ولم يضعفه.

تنبيهان:

الأول: قد صح عن جماعة من الأئمة أَنهم جربوا هذا الحديث فوجدوه صحيحاً.

الثاني: يُذكر على بعض الأَلسنة أَن فضيلته ما دام في محله، فإذا نقل تغيّر. قال في المقاصد الحسنة: وهذا شيء لا أَصل له، فقد كتب ﷺ إلى سُهَيْل بن عمرو «**إن جاءك كتابي ليلاً فلا تصبحن أَو نهاراً فلا تُمْسين حتى تبعث إليَّ بماء زمزم**». وفيه: أَنه بعث له بمزادتين، وكان حينئذ بالمدينة قبل أَن تُفتح مكة، وهو حديث حسن لشواهده.

ورَوى الترمذي ـ وحسَّنه ـ وابن خُزَيمة في صحيحه والحاكم والبيهقي عن عائشة رضي الله تعالى عنها: أَنها حَمَلتْ ماء زَمْزم في القوارير، وقالت: حمَله رسول الله ﷺ في الأَداوي والقِرَب، وكان يصبُّ منه على المرضى ويسقيهم.

وروى الطبراني عن حبيب ابن أَبي ثابت[1] قال: سأَلت عطاء رحمه الله تعالى عن حَمْل ماء زمزم، فقال: قد حَمله رسول الله ﷺ وحمَله الحسن[2] وحمَله الحسين[3]، رضي الله تعالى عنهما[4].

فائدة: يجوز نقل ماء زمزم باتفاق الأَئمة الأَربعة، بل هو مستحب عند الشافعية والمالكية، والفَرْق عند الشافعية بينه وبين حجارة الحرم في عدم جواز نقلها وجواز نقل ماء زمزم أَن الماء ليس شيئاً يزول فلا يعود. أَشار إلى هذا الفرق الإمام الشافعي[5] كما حكاه عنه البيهقي.

---

(١) حبيب بن أبي ثابت: قيس، ويقال: هند بن دينار الأسدي، مولاهم، أبو يحيى الكوفي، ثقة فقيه جليل، وكان كثير الإرسال والتدليس، من الثالثة، مات سنة تسع عشرة ومائة. التقريب ١٤٨/١.

(٢) الحسن بن علي بن أبي طالب الهاشمي، سبط رسول الله ﷺ، وريحانته، وقد صحبه وحفظ عنه، مات شهيداً بالسّم، سنة تسع وأربعين وهو ابن سبع وأربعين، وقيل: بل مات سنة خمسين، وقيل: بعدها، التقريب ١٦٨/١.

(٣) الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي، أبو عبد الله المدني، سِبْط رسول الله ﷺ، وريحانته، حفظ عنه، استشهد يوم عاشوراء سنة إحدى وستين، وله ست وخمسون سنة. التقريب ١٧٧/١.

(٤) ذكره الهيثمي في المجمع ٢٩٠/٣ وعزاه للطبراني في الكبير وقال: فيه من لم أعرفه.

(٥) محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السَّائب بن عُبيد بن عَبْدِ يزيد المطَّلبي أبو عبد الله الشافعي الإمام العَلَم. عن مالك وإبراهيم بن سعد وابن عيينة ومحمد بن علي بن شافع وخلق. وعنه أبو بكر الْحُميدي وأحمد بن حنبل والبُوَيْطِي وأبو ثَوْر وحَرْمَلة وطائفة. حفظ القرآن وهو ابن سبع سنين، والموطأ وهو ابن عشر سنين. قال الربيع: كان الشافعي يختم القرآن ستين مرة في صلاة رمضان. وقال بحر بن نصر: كنا إذا أردنا أن نبكي قلنا بعضنا لبعض: قوموا بنا إلى هذا الفتى المُطَّلِبي يقرأ القرآن، فإذا أتيناه استفتح القرآن حتى يتساقط الناس من بين يديه ويكثر عَجيجُهم بالبكاء من حسن صوته. وقال ابن مهدي: كان الشافعي شابًّا مُفْهِماً. وقال أحمد: ستة أدعو لهم سَحَراً أحدهم الشافعي. وقال: إن الشافعي للناس كالشمس للعالم. وقال أبو عبيد: ما رأيت أعقل من الشافعي. انظر الخلاصة ٣٧٧/٢.

ذكر بعض خواص ماء زمزم غير ما تقدم

منها: أَنه يبرّد الحمى لأَمر النبي ﷺ بذلك كما في سنن النسائي من حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما[١].

ومنها: أَنه يذهب الصُّداع. قاله الضحاك رحمه الله تعالى. ومنها: أَنه لا يُرْفع ولا يغُور إذا رفعت المياه أَو غارت قبل يوم القيامة. قاله الضحاك أَيضاً ومنها: أَنه يَفْضُل مياه الأَرض كلها طِبّاً وشرعاً. قال الشيخ بدر الدين بن الصاحب رحمه الله تعالى: وازنتُ ماء زمزم بماء عين مكة فوجدتُ زمزمَ أَثقل من العين بنحو الربع، ثم اعتبرتها بميزان الطب فوجدتها تَفْضل مياهَ الأَرض كلها طباً وشرعاً. بل قال شيخ الإِسلام البلْقينيّ رحمه الله تعالى: إنه أَفضل من ماء الجنة ولهذا مزيد بيان يأَتي في باب شق صدره ﷺ.

ومنها: أَنه يحلو ليلة النصف من شعبان ويطيب. ذكَر ذلك ابنُ الحاجّ في مناسكه، نقلاً عن مكيّ بن أبي طالب[٢] ونص كلامه: قال الشيخ مكيّ بن أَبي طالب رحمه الله تعالى: وفي ليلة النصف من شعبان يَحْلو ماءُ زمزم وَيَطيب ماؤها، يقول أَهلُ مكة: إِن عين سُلْوان تتصل بها تلك الليلة، ويُبْذل على أَخذ الماء في تلك الليلة الأَموال ويقع الزحام فلا يصل إِلى الماء إِلا ذو جاه وشرف. قال: وعانيتُ ذلك ثلاث سنين. انتهى.

ومنها: أَنه يكثر في ليلة النصف من شعبان كلَّ سنة بحيث أَن البئر تفيض بالماء على ما قيل، لكن لا يشاهِد ذلك إِلا العارفون. وقد شاهد ذلك الشيخ صالح أَبو الحسن المعروف بكَرْباج رحمه الله تعالى.

ومنها: أَن الاطلاع فيها يجلو البصر. قاله الضحاك.

ومنها: أَنه يحطُّ الأَوزار والخطايا. ذكر ذلك أَبو الحسن محمد بن مرزوق الزعفراني الشافعي رحمه الله تعالى في مناسكه.

وروى الأَزْرَقي عن مكحول[٣] مُرْسلاً أَن رسول الله ﷺ قال: **«النظر في زمزم عبادة وهي تحط الخطَايا»**.

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ١/٢٩١.

(٢) مكي بن أبي طالب حموش بن محمد بن مختار الأندلسي القيسي، أبو محمد: مقرئ، عالم بالتفسير والعربية. من أهل القيروان. ولد فيها، وطاف في بعض بلاد المشرق، وعاد إلى بلده، وأقرأ بها. ثم سكن قرطبة (سنة ٣٩٣) وخطب وأقرأ بجامعها وتوفي فيها. له كتب كثيرة، منها «مشكل إعراب القرآن» و «الكشف عن وجوه القرآت وعللها». توفي سنة ٤٣٧هـ. الأعلام ٧/٢٨٦.

(٣) مكحول الشامي، أبو عبد الله، ثقة، فقيه كثير الإرسال، مشهور، من الخامسة، مات سنة بضع عشرة ومائة. التقريب ٢/٢٧٣.

ومنها: أَن الله تعالى خصَّه بالملوحة ليكون الباعث عليها الملح الإيمانيّ، ولو جعله عذباً جداً لغلب الطبع البشري، وبهذا يُردُّ على أَبي العلاء المعرّي[1] قوله:

لكَ الحمدُ أَمْواهُ البلادِ بأَسْرِها عِذابٌ وخُصَّت بالملوحةِ زَمْزمُ

ومنها: أَن من حثَى على رأْسه منها ثلاث حَثَياتٍ لم تُصِبْه ذِلَّة أَبداً.

رواه الفاكهي عن بعض ملوك الروم أَنه وجد ذلك في كتبهم.

ذكر بعض أسماء زمزم

قال الفاكهي رحمه الله تعالى: أَعطاني أَحمد بن محمد بن إبراهيم كتاباً ذكر أَنه عن أَشياخه من أَهل مكة فكتبتُه من كتابه فقالوا: هذه تسمية أَسماء زمزم. هي: زمزم وهزمة جبريل، وسُقْيا إِسماعيل، لا تُنْزف ولا تُذَمْ، وبرَكة، وسيدة، ونافعة، ومَضْنونة وعونة، وبُشْرى، وصافية، وبرَّة، وعِصْمة، وسالمة، وميمونة، ومبارَكة، وكافية، وعافية، ومغذية، وطاهرة، وحرمة، ومروية، ومؤنة، وطعام طعم، وشفاء سقم. انتهى.

زاد غيره: طَيْبة، وتُكْتَم وشبَّاعة العِيال، وشَراب الأَبرار، وقرية النمل، ونَقْرة الغُراب الأَعصم، وهَزْمة إِسماعيل، قال البَكْري: الهزمة تطامنٌ في الأَرض، وهَزْمة الأَرض: حفرتها، والهزائم: الآبار. انتهى.

وحُفرة العباس. ذكر هذا الاسمَ ياقوتُ في المشترك. وهَمْزة جبريل بتقديم الميم على الزاي ذكره السُّهيلي، وسابق.

قلت: وزاد البَكْري: الشَّيَّاعَة. قال: بتشديد الشين المعجمة وتشديد الياء أُخت الواو وبالعين المهملة. هذا نصه ولم يتعرض لحركات الحروف وهي في خط مُغَلْطَاي في «الزَّهْر» بثلاث فتحات. وذكره الزمخشري كذلك في أَسماء الأَماكن والمياه ثم نقل عن الخارْزَنْجي: شُيَاعة بضم الشين وفتح الياء مُخففتين.

ورَكْضة جبريل، وحَفِيرة عبد المطلب ونقل ذلك عن أَبي عمر الزاهد رحمه الله تعالى.

---

(١) أحمد بن عبد الله بن سليمان، التنوخيّ المعري: شاعر فيلسوف. ولد ومات في معرة النعمان. كان نحيف الجسم، أصيب بالجدريّ صغيراً فعمي في السنة الرابعة من عمره. وقال الشعر وهو ابن إحدى عشرة سنة. ورحل إلى بغداد سنة ٣٩٨هـ فأقام بها سنة وسبعة أشهر. وهو من بيت علم كبير في بلده. ولما مات وقف على قبره ٨٤ شاعراً يرثونه. وإذا أراد التأليف أملى على كاتبه عليّ بن عبد الله بن أبي هاشم. وكان يحرّم إيلام الحيوان، أما شعره وهو ديوان حكمته وفلسفته، فثلاثة أقسام: «لزوم ما لا يلزم» ويعرف باللزوميات، و «سقط الزند» و «ضوء السقط» وقد تُرجم كثير من شعره إلى غير العربية وأما كتبه فكثيرة. توفي سنة ٤٤٩هـ. الأعلام ١٥٧/١.

وزاد في «الزَّهر» نقلاً عن ابن السّيد[١] في المثلَّث: زَمَّم بفتح الميم الأُولى وبضمها مشددة فيهما. وشَيْعَة بفتح الشين المعجمة وسكون المثناة التحتية وفتح العين المهملة. وحَفِيرة عبد المطلب وزاد ابن خالويْه[٢] في كتاب «ليس»: مَكْنونة بنونين. ومكْتُومة بمثناة فوقية وميم. والله تعالى أَعلم.

---

(١) علي بن عبد الله بن أحمد الحسني الشافعي، نور الدين أبو الحسن: مؤرخ المدينة المنورة ومفتيها. ولد في سمهود بصعيد مصر ونشأ في القاهرة. واستوطن المدينة سنة ٨٧٣هـ، وتوفي بها. من كتبه «وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى»، و «خلاصة الوفا» و «جواهر العقدين» في فضل العلم والنسب، و «الفتاوى» مجموع فتاواه، و «الغماز على اللماز». توفي سنة ٩١١هـ. الأعلام ٣٠٧/٤.

(٢) الحسين بنْ أحمد بن خالويه، أبو عبد الله: لغويّ، من كبار النحاة. أصله من همذان. زار اليمن وأقام بذمار، مدة، وانتقل إلى الشام فاستوطن حلب. وعظمت بها شهرته، فأحله بنو حمدان منزلة رفيعة. وكانت له مع المتنبي مجالس ومباحث عند سيف الدولة. وعهد إليه سيف الدولة بتأديب أولاده. وتوفي في حلب. من كتبه «شرح مقصورة ابن دريد» و «مختصر في شواذ القرآن» و «إعراب ثلاثين سورة من القرآن العزيز». توفي سنة ٣٧٠هـ. الأعلام ٢٣١/٢.

الباب الثامن

في تجديد حفر زمزم على يد عبد المطلب بن هاشم

قال السهيلي: وكانت زمزم كما تقدم سُقْيا إسماعيل ﷺ فحفرها له روحُ القدس بعقبه.

وفي تحفيره إياها بالعَقِب دون أن يحفرها باليد أو غيره: إشارة إلى أنها لعَقِبه وِرَاثةً وهو محمد ﷺ وأُمته، كما قال تعالى: ﴿وجَعلها كَلِمةً باقيةً في عَقِبه﴾ أي في أُمة محمد ﷺ. انتهى.

ولم يزل ماءُ زمزم ظاهراً ينتفع به سكان مكة.

ولما توفى الله سبحانه وتعالى إسماعيل بن إبراهيم ﷺ وَلِي البيت بعده ابنه نابت بن إسماعيل ما شاء الله تعالى أن يليه، ثم وَلِي البيتَ مُضاضُ بن عمرو الجُرهميّ وبنو إسماعيل وبنو نابت مع جدهم مُضَاض وأَخوالهم من جُرهم. ثم نشر الله تعالى ولدَ إسماعيل بمكة، وأَخوالُهم من جُرهم ولاة البيت والحكام بمكة لا ينازعهم ولدُ إسماعيل في ذلك لخؤولتهم وقرابتهم، وإعظاماً للحرمة أن يكون بها بغيٌ أو قتالٌ.

ثم إن جُرْهُماً بَغْوا بمكة واستحلُّوا حلالاً من الحرَم، فظلموا مَن دخَلها من غير أَهلها وأَكلوا مالَ الكعبة الذي يُهْدى لها فرقَّ أَمرُهم، فلما رأَت بنو بكر بن عبد مَناة من كِنانة وغُبْشان من خُزاعة ذلك أَجمعوا لحربهم وإخراجهم من مكة، فآذنوهم، أي أعلموهم، بالحرب، فاقتتلوا، فغلبهم بنو بَكْر وغُبْشانُ فنفَوْهم من مكة، وكانت مكة في الجاهلية لا تُقِرُّ فيها ظلماً ولا بَغْياً، ولا يَبْغي فيها أَحدٌ إلا أَخرجَتْه، ولا يريدها مِلك يستحلّ حُرْمتها إلا أَهلكتْه مكانَه.

فخرج عمرو بن الحارث بن مُضَاض بغَزالَيْ الكعبة وبحَجر الركن، فدفَن الغزالين في زمزم وردَمَها، ومرَّت عليها السنون عصراً بعد عصر إلى أن صار موضِعُها لا يُعرف حتى بوَّأَها الله تعالى لعبد المطلب.

وانطلق عمرو بن الحارث بن مُضَاض ومن معه من جُرْهم إلى اليمن.

حفر عبد المطلب

ورَوَى قصة حفر عبد المطلب لزمزم ابنُ إسحاق عن عليّ بن أَبي طالب رضي الله تعالى عنه، والبيهقيّ عن الزُّهْري: أَن عبد المطلب بيْنا هو نائم في الحِجْر أُتي فقيل له: أُحفر بَرَّةَ. قال: وما بَرَّةَ؟ فذهب عنه، حتى إذا كان الغد فنام في مَضْجعه ذلك فأُتي فقيل: له: احفر المضْنُونة. قال: وما المضنونة؟ فذهب عنه، حتى إذا كان الغد فنام في مضجعه ذلك فقيل له:

احفر ظَبْية. قال: وما ظَبْية؟ فذهب عنه فلما كان من الغد عاد إِلى مضجعه فنام فيه فأُتي فقيل له: احفر زمزم. قال: وما زمزم؟ قال: لا تَنْزِف ولا تُذَمّ تسقي الحجيجَ الأَعظم.

ثم ادْعُ بالماءِ الرَّوَى غَيْر الكدِرْ تَسْقي حِجَيجَ اللهِ في كُلِّ مَبَرّ[1]

لَيْس يُخاف مِنْه شَيءٌ ما عَمَرْ

فخرج عبدُ المطلب حين قيل له ذلك إِلى قريش فقال: تعلَّموا أَني قد أُمرت بحفر زمزم. فقالوا: فهل بيَّن لك أَين هي؟ قال: لا. قالوا: فارجع إِلى مَضْجعك الذي رأَيتَ فيه ما رأَيت، فإِن يَكُ حقّاً من الله يبيّن لك، وإِن يك من الشيطان فلن يعود إِليك. فرجع عبد المطلب إِلى مضجعه فنام فيه وقال: اللَّهم بيِّن لي. فأُرى في المنام: احفرتُكْتَم. وفي لفظ: فقيل له: احفر زمزم إِنْ حفرتها لم تُذَمّ، وهي تُراثٌ من أبيك الأَعظم، لا تَنْزِف ولا تُذَمّ، تَسْقِي الحَجِيج الأَعظم، مثل نَعام جافلٍ لم يُقْسم، ينفذ فيها ناذِر لِمَغْنَم، تكون ميراثاً وعقداً مُحْكم، ليست كبعض ما قد تَعْلم. فقال: وأَين هي؟ فقيل له: بَيْن الفَرْث والدم، في مبحث الغراب الأَعْصم، في قرية النمل.

فقام عبدُ المطلب فمشى حتى جلس في المسجد الحرام ينتظر ما سمِّي له من الآيات، فنُحرت بقرة بالحَزْورة فانفلتت من جازِرها بحشاشة نفسها حتى غلَبها الموتُ في المسجد في موضع زمزم بين الوثنين إِسَاف ونائلة فنحرت تلك البقرة في مكانها حتى احتُمل لحمها، فأَقبل غراب يَهْوي حتى وقع في الفَرْث، فبحث عن قرية النمل.

فقام عبد المطلب فحفر هنالك ومعه ابنه الحارث وليس له يومئذ ولدٌ غيره، فجاءته قريش فقالت له: ما هذا الصَّنيع؟ قال: أُمرت بحفر زمزم، فلما كشف عنه وبَصُروا بالطَّيِّ كبَّر، فعرفتْ قريش أَنه قد أَدرك حاجته، فقاموا إِليه فقالوا: يا عبد المطلب إِنها بئر أَبينا إِسماعيل وإِن لنا فيها حقّاً فأَشْرِكنا معك فيها. قال: ما أَنا بفاعل، إِن هذا الأَمر خُصِصْتُ به دونكم. قالوا: تُحاكمنا؟ قال: نعم. قالوا: بيننا وبينك كاهنة بني سعد بن هُذَيْمٍ، وكانت بأَشراف الشام.

فركب عبدُ المطلب في نفر من بني أُمية وركب من كل بطن من أَفناءِ قريش نفرٌ، وكانت الأَرض مَفاوز فيما بين الشام والحجاز، حتى إِذا كانوا بمفازة من تلك البلاد فَنِي ما عند عبد المطلب وأَصحابه من الماء حتى أَيقنوا بالهلكة، ثم استَسْقوا القومَ قالوا: ما نستطيع أَن نسقيكم، وإِنا نخاف مثلَ الذي أَصابكم. فقال عبد المطلب لأَصحابه: ماذا ترون؟ قالوا: ما رأْينا إِلا تبعٌ لرأْيك. قال: فإِني أَرى أَن يحفر كلُّ رجل منكم حُفْرته، وكلما مات رجل منكم دفعه أَصحابه في حفرته حتى يكون آخركم يدفعه صاحبه، فضَيعة رجل أَهون من ضيعة

---

(١) الأبيات في البداية والنهاية ٢٤٣/٢، والسيرة النبوية في الروض الأنف ١٦٨/١.

جميعكم. ففعلوا. ثم قال: والله إن إلقاءنا للموت بأيدينا لا نضرب في الأَرض ونبتغي لعل الله تعالى يسقينا لعَجْز. فقال لأَصحابه: ارتحلوا. فارتحلوا وارتحل، فلما جلس على ناقته فانبعثت به انفجرت عين من تحت خُفِّها بماءٍ عذب، فكبّر عبد المطلب، وكبَّر أَصحابه ثم نزل فشرب وشرب أَصحابه وآستقوا وأَسْقَوا، ثم دعا القبائل من قريش فقال: هلموا إِلى الماءِ فقد سقانا الله تعالى. فجاؤوا وآستقوا وأَسقوا، قالوا: يا عبد المطلب قد والله قُضِي لك علينا، لا نخاصمك في زمزم أَبداً، إن الذي أَسقاك هذا الماء بهذه الفَلاَة لهو سقاك زمزم، فارجع إِلى سِقَايتك راشداً. ولم يَصِلوا إِلى الكاهنة وخَلَّوا بينه وبينها.

فلما رجع عبدُ المطلب أَكمل حفر زمزم وجعل عليها حوضاً يملأه ويشرب الحاج منه، فيكسره أناس من حسَدة قريش بالليل فيصلحه عبد المطلب، فلما أَكثروا إِفساده دعا عبدُ المطلب ربَّه، فأُري في المنام فقيل له: قل: اللَّهم إِني لا أُحِلّها لمغتسل، ولكن هي لشارب حِلّ وبِلّ. ثم كُفِيتهم. فقام عبد المطلب فنادى بالذي أُرِي، ثم انصرف فلم يكن يُفسد حوضَه عليه أَحد إِلاَّ رُمِي في جسده بداء حتى تركوا حوضه وسقايته.

وذكر ابن إِسحاق ـ رحمه الله تعالى ـ أَن عبد المطلب وجد في زمزم غزالين من ذهب وهما الغزالان اللذان دفنَتْهما جُرْهُم حين خرجت، ووجد فيها أَسيافاً قَلْعيّة وأَدْرُعاً. فقالت له قريش: يا عبد المطلب لنا معك في هذا شِرْك وحَقّ. قال: لا، ولكن هلموا إِلى أَمر نِصْف بيني وبينكم، نضرب عليها بالقِدَاح. قالوا: وكيف نصنع؟ قال: إجعل للكعبة قِدْحين، ولي قدحين، ولكم قدحين، فمن خرج قِدْحاه على شيء كان له، ومن تَخلَّف قدحاه فلا شيء له. قالوا: أَنصفتَ. فجعل قِدْحين أَصفرين للكعبة وقدحين أَسودين لعبد المطلب وقدحين ابيضين لقريش. ثم أَعطوا صاحبَ القِداح الذي يضرب بها عند هُبَل، وهُبَل صنم في جوف الكعبة، وقام عبد المطلب يدعو وصاحب القِدَاح يضرب القداح، فخرج الأَصفران على الغزالين، وخرج الأَسودان على الأَسياف والأَدرع، وتخلَّف قِدْحا قريش. فضرب عبد المطلب الأَسياف باباً للكعبة وضرب في الباب الغزالين من ذهب، فكان أَول ذهبٍ حُلِّيتْه الكعبة.

قال ابن إِسحاق ـ رحمه الله تعالى ـ: فلما حفر عبد المطلب زمزم ودلَّه الله تعالى عليها وخصَّه الله بها زاده الله بها شرفاً وخطَراً في قومه، وعطّلت كل سقاية كانت بمكة حين ظهرت وأَقبل الناس عليها التماس بركتها ومعرفة فضلها، لمكانها من البيت وأَنها سقاية الله عزَّ وجلَّ لإِسماعيل ﷺ.

فوائـد

الأُولـى: قال السُّهيلي ـ رحمه الله تعالى: الأَسياف والغزلان، كان ساسان ملك الفُرْس

أَهداها للكعبة، وقيل سابور. وكانت الأَوائِل من ملوك الفرس تحجُّها إِلى ساسان أَو سابور.

الثانية: قال السُّهيلي أَيضاً: دُلَّ عبدُ المطلب على زمزم بعلامات ثلاث: بنَقْرَة الغراب الأَعْصَم، وأَنها بين الفرْث والدم، وعند قرية النمل، ولم يخص هذه العلامات الثلاث إِلا بحكمة إِلهية وفائدة مشاكَلة لطيفة في علم التعبير والتوسّم الصادق لمعنى زمزم ومائها. أَما الفرث والدم: فإِن ماءها طعام طُعْم وشفاء سُقم. وهي لِمَا شُربت له، وقد تقوَّتَ من مائها أَبو ذَرّ ـ رضي الله تعالى عنه ـ ثلاثين ما بين ليلة ويوم فسَمِن حتى تكسَّرت عُكَن بطنه، فهي إِذاً كما قال رسول الله ﷺ في اللبَن: «**إِذا شرب أَحدكم اللبن فليقل: اللَّهم بارك لنا فيه وزِدْنا منه فإِنه ليس شيء يسدُّ مسدَّ الطعام والشراب إِلا اللبن**» وقد قال الله تعالى: ﴿**من بَيْنِ فَرْثٍ ودمٍ لبناً خالصاً سائغاً للشاربين**﴾ فظهرت هذه السُّقيا المباركة بين الفَرْث والدم، وكانت تلك من دلائلها المشاكِلة لمعناها.

وأَما الغراب: فهو في التأْويل فاسق، وهو أَسود، فدلت نَقْرته عند الكعبة على نقرة الأَسود الحبشي بمعْوَله في أَساس الكعبة بهدمها آخر الزمان، فكأَن نقرة الغراب في ذلك المكان تُؤْذن بما يفعله الفاسق في آخر الزمان بقِبْلة الرحمن وسُقْيَا اهلِ الإِيمان، وذلك عندما يُرْفع القرآن. وتحيا عبادةُ الأَوثان.

وفي الصحيح عن رسول الله ﷺ: «**ليُخرّبنَّ الكعبة ذو السُّوَيْقتَيْن من الحبشة**»[1] وفيه أَيضاً من صفته أَنه أَفْحج، وهذا ينظر إِلى كون الغراب أَعصمَ، إِذ الفَحج: تباعُدٌ في الرجلين، كما أَن العصَم اختلافٌ فيهما، والاختلاف تَباعُد، وقد عرف بذي السويقتين، كما نُعت الغراب بصفة في ساقيه. فتأَمَّلْه. وهذا من خَفِيّ عِلم التعبير، لأَنها كانت رؤيا.

وأَما قرية النمل ففيها من المشاكلة أَيضاً والمناسبة: أَن زمزم عَيْن مكة التي يَرِدها الحجيج والعُمَّار من كل جانب، فيحملون لها البرّ والشعير وغير ذلك، وهي لا تزرع ولا تحرث، كما قال سبحانه وتعالى خبراً عن إِبراهيم عليه وعلى نبينا أَفضل الصلاة والسلام: ﴿**ربَّنا إِنِّي أَسْكنتُ من ذريتي بوادٍ غير ذي زَرْع**﴾ الآية. وقرية النمل كذلك، لأَن النمل لا تحرث ولا تَزْرع وتَجْلب الحبوب إِلى قريتها من كل جانب، ومكة كذلك، كما قال تعالى: ﴿**وضرب الله مثلاً قرية كانت آمنةً مُطْمئنَّةً يأْتيها رِزْقُها رغَداً من كلِّ مكانٍ**﴾ مع أَن لفظ قرية النمل مأْخوذ من قرَيْت الماء في الحوض إِذا جمعته، والرؤيا تعبّر على اللفظ تارة وعلى المعنى أُخرى، فقد اجتمع اللفظ والمعنى في هذا التأْويل. والله تعالى أَعلم.

---

(١) أخرجه البخاري ٣/٥٣١ كتاب الحج (١٥٩١)، ومسلم ٤/٢٢٣٢ كتاب الفتن (٥٧. ٢٩٠٩).

الثالثة: ذكر الزمخشري[١] ـ رحمه الله تعالى ـ في ربيع الأبرار أن جبريل ﷺ أَنْبَط ماء زَمزم مرتين: مرة لآدم ﷺ حتى انقطعت زمن الطوفان، ومرة لإسماعيل. وفي الزَّهْر: ويعضِّد ما قاله قولُ خُوَيْلد بن أَسَد بن عبد العُزَّى في عبد المطلب:

أَقـولُ وَمَـا قَـوْلـي عَـلَـيْـهِـمْ بِـسُـبَّـةٍ ... إِلـيْـكَ ابْـنَ سَـلْـمَـى أَنْـتَ حافِرُ زمـزمِ

رَكـيَّـةُ إِبـراهـيـمَ يـومَ ابـنِ هـاجَـرٍ ... ورَكْـضـةُ جِـبْـريـلَ عَـلَـى عَـهْـدِ آدمِ

***

الرابعة: في شرح غريب ما تقدم:

روح القُدس بضم القاف والدال، وسكون الدال: المطهَّر، والمراد به جبريل ﷺ، لأَنه خُلق من طهارة، فالإضافة بيانية.

العَقِب[٢]: ما فَضل من مؤخر الرِّجل عن الساق، والمراد به في الآية الولد. وولد الولد.

نابت: بنون ومثناة فوقية. مِضَاض بميم مكسورة وحكى ضمها وضادين معجمتين.

جُرْهُم: بضم الجيم وسكون الراءِ وضم الهاء. نشَر اللهُ ولدَ إِسماعيل: أَي كثَّرهم.

رقَّ أَمرهُم: أَي ساءت حالهم.

بَرَّة بفتح الباءِ الموحدة وتشديد الراء المهملة، سمِّيت بذلك لكثرة منافعها وسعة مائها.

المضنونة: قال وهب بن منبه ـ رحمه الله تعالى ـ: سمِّيت بذلك لأَنها ضُنَّ بها على غير المؤمنين، فلا يتضلع منها منافق.

روى البخاري في التاريخ وابن ماجه والطبراني والحاكم والبيهقي عن ابن عباس ـ رضي الله تعالى عنهما ـ أَن رسول الله ﷺ قال: «**آيةُ ما بيننا وبيْن المنافقين أَنهم لا يتضَلَّعون من زمزم**»[٣].

له طُرق وهو بمجموعها حسَن.

---

(١) محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي الزمخشري، جار الله، أبو القاسم: من أئمة العلم بالدين والتفسير واللغة والآداب. ولد في زمخشر (من قرى خوارزم) وسافر إلى مكة فجاور بها زمناً فلقب بجار الله. وتنقل في البلدان، ثم عاد إلى الجرجانية (من قرى خوارزم) فتوفي فيها. أشهر كتبه «الكشاف» في تفسير القرآن، و «أساس البلاغة» و «المفصل» ومن كتبه «المقامات» و «الجبال والأمكنة والمياه» و «المقدمة» معجم عربي فارسي، مجلدان، و «مقدمة الأدب» في اللغة، و «الفائق» في غريب الحديث، و «المستقصى» في الأمثال، مجلدان، وكان معتزلي المذهب، مجاهراً، شديد الإنكار على المتصوفة، أكثر من التشنيع عليهم في الكشاف وغيره. توفي سنة ٥٣٨هـ. الأعلام ١٧٨/٧.

(٢) انظر المفردات في غريب القرآن (٣٤٠).

(٣) أخرجه البيهقي ١٤٧/٥ والحاكم في المستدرك ٤٧٢/١، والبخاري في التاريخ ١٥٨/١، والدارقطني ٢٨٨/٢، والطبراني في الكبير ١٢٤/١١.

وروى الأَزرقيّ عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«التضلُّع من ماء زمزم براءةٌ من النفاق»**(١). وقيل سميت بذلك لأَنه قيل لعبد المطلب: احفر المضنونة، ضنَنْت بها على الناس إِلا عليك. ظَبْية: بظاء معجمة فباء موحدة فمثناة تحتية، سميت بذلك تشبيهاً بالظبية وهي الخريطة لجمعها ما فيها. قاله في النهاية تبعاً لأَبي موسى المديني: والذي جرى عليه السُّهيلي والخشني: أَنها بطاء مهملة فمثناة تحتية، فباء، قال الخشني: من الطِّيب. وقال السهيلي: لأَنها للطيّبين والطيبات.

تُكْتَم بمثناتين فوقيتين تبنى للمفعول.

لا تَنْزِف: أَي لا يفرغ ماؤها ولا يُلْحق قعرها. قال السُّهَيْلي ـ رحمه الله تعالى ـ وهذا برهان عظيم، لأَنها لم تنزف من ذلك الحين إِلى اليوم قط، وقد وقع فيها حبشيّ فنُزحت من أَجله فوجد ماؤها يفور من ثلاثة أَعين اقواها وأَكثرها ماء عينٍ من ناحية الحجر الأَسود.

ولا تُذَمّ: قال الخُشَنيّ: أَي لا توجد قليلة الماء يقال أَذْمَمْت البئر إِذا وجدتها ذَمَّة أَي قليلة الماءِ. زاد السُّهَيْلي: وليس معناه على ما يبدو من ظاهر اللفظ من أَنها لا يذمُّها أَحد، ولو كان من الذم لكان ماؤها أَعذب المياه ولتضلع كلٌّ من شرب منه، وقد تقدم أَنه لا يتضلع منها منافق، فماؤها إِذاً مذموم عندهم. وفي النهاية: لا تُذَم أَي لا تعاب أَو لا تُلْفَى مذمومة، من قولك: أَذْممته إِذا وجدته مذموماً. وقيل: لا يوجد ماؤها قليلاً من قولهم: بئر ذمّة إِذا كانت قليلة الماء.

الفرث: ما يكون في كَرِش ذي الكرش.

الأَعْصَم من الغربان: الذي في ساقيه بياض. قاله الخشني ـ رحمه الله تعالى ـ.

قرية النمل: الموضع الذي يجتمع فيه. الرِّوَى: يقال: ماء رِوَى بالكسر والقصر ورَواء بالفتح والمدّ: أَي عذْب. ما عَمر: بفتح العين المهملة أَي ما عمر هذا الماءُ فإِنه لا يؤذِي ولا يخاف منه ما يخاف من سائد المياه إِذا أُفرط في شربها بل هو بركة على كل حال.

نعَام جافل: لم يقسم. الجافل: من جفَلت الغنمُ إِذا انفلتت بجملتها، ولم يُقْسم: أَي لم يتوزع ولم يتفرق، وعلى هذا يجوز أَن يحمل قوله: لا تُذم أَي لا تذم عاقبة شربها. وهذا تأْويل سائغ إِلى ما قدمناه من التأْويل، وكلاهما صحيح في صفتها.

وفي كل مَبَرّ: مَفْعل من البِرّ، يريد في مناسك الحج ومواضع الطاعة. الحَزْوَرة بفتح

---

(١) ذكره العجلوني في كشف الخفا ٣٦٤/١ وعزاه لابن ماجة عن ابن عباس رضي الله عنهما ورواه أبو نعيم عن عبد الله بن ثعلبة الحنثي من كلامه، وذكره في الكنز (٣٤٧٧٨) والسيوطي في الدر المنثور ٢٢١/٣.

الحاءِ المهملة ثم زاي ساكنة فواو فراء فهاء بوزن قَسْورة. قال الإمام الشافعي - رضي الله تعالى عنه -: الناس يشدّدونه وهو مخفف. وقال الدارقطني: التشديد تصحيف وإنما هو بالتخفيف. موضع بمكة داخل المسجد.

الحُشَاشة[1]: بقية الروح. إِسَاف: بكسر الهمزة وفتح المهملة المخففة. نائلة بنون وبعد الألف مثناة تحتية. الطيّ: قال ابن هشام: ويقال: الطوىّ: وكلٌّ واحد. قال الخشني: وليس بظاهر، لأَن الطي يقال للحجارة التي يُطْوَى أي يبنى بها البئر سمِّيت بالمصدر، والطوِيّ هو البئر نفسها.

كاهنة بني سعد بن هُذَيم: كذا روِي، ورواه ابن سِرَاج: سعد هذيم. بإسقاط ابن. قال الخشني: وهو الصواب لأَن هذيماً لم يكن أَباه وإنما كفله بعد أَبيه فأُضيف إِليه.

أَشراف الشام بالفاء أُخت القاف: وهو ما ارتفع من الأَرض، واحده شَرَف. تقول: قعدت على شَرف من الأَرض أي على مكان مرتفع، من أَفناءِ قريش. الأَفناءُ جمع فِنْو كأَحمال وحِمْل، أَي أَخلاطهم. المفاوز: القِفَار واحدها مفازة، وفي اشتقاق اسمها ثلاثة أَقوال: فقيل لأَن راكبها إِذا قطعها فقد فاز. وقيل: معناها: مَهْلكة، يقال: فاز الرجل، وفوَّز مشدداً، وفاد بالدال المهملة: إِذا هلك. وقيل سميت مفازة على جهة التفاؤل.

ظمئوا: عطشوا. ضَيْعة رجل: هو في الأَصل المرة من الضياع. نضرب في الأَرض: نسافر. انبعثت به راحلته: قامت من بُروكها. حِلٌّ بكسر الحاء: الحلال ضد الحرام وبِلّ بكسر الباء الموحدة: المباح. وقيل: الشفاء من قولهم: بَلَّ من مرضه وأَبَلَّ. وبعضهم يجعله إِتباعاً لحِلّ. قال في النهاية: ويَمْنع من جواز الإِتباع الواو.

أسيافاً قلعية: منسوبة إِلى بلد بالهند من جهة الصين. والقَلْعة بفتح اللام وسكونها: الموضع المرتفع. النِّصْف بكسر النون وسكون الصاد المهملة وبفتحها: النَّصَفة بفتحات، وهو الاسم من الإِنصاف. القِدَاح: جمع قِدْح بكسر القاف فيهما، وهو السَّهْم الذي كانوا يستقسمون به. هُبَل: بضم الهاءِ وفتح الباء.

الخَطَر: بفتح الخاء المعجمة والطاء المهملة. قال في المصباح: خَطُر الرجل يَخْطُر خَطَراً، وزَان شَرُف شَرفاً إِذا ارتفع قَدْره ومنزلته فهو خطير.

---

(١) والحُشاشة: روح القلب ورمق حياة النفس قال:

وما المرء ما دامت حشاشة نفسه بمدرك أطراف الخطوب ولا آل

اللسان ٢/٨٨٦.

الباب التاسع

في بعض أسماء البلد الشريف والحرم المنيف

قال الإمام النووي ـ رحمه الله تعالى ـ: ولا يرى في البلاد بلدة أكثر أَسماء من مكة والمدينة، لكونهما أَشرف الأَرض. انتهى.

الباسَّة: بالباء الموحدة والسين المهملة. قال مجاهد ـ رحمه الله تعالى ـ: سمِّيت بذلك؛ لأَنها تبسُّ من أَلْحَدَ فيها أَي تهلكه وتَحْطمه.

بَرَّة: نقله الزركشي عن ابن خليل ـ رحمهما الله تعالى ـ.

بُسَاق: ذكره ابن رَشِيق[1] ـ رحمه الله تعالى ـ في «العُمْدة». قال في شفاء الغرام: وهو بباء موحدة فسين مهملة فأَلف فقاف. انتهى. وفي الصِّحَاح: بسَق فلان على أُصحابه أَي علاَهم. وفي القاموس: أَنه كغُرَاب: جبل بعرفات ووادٍ في الحجاز. وفي المشترك لياقوت وربما قالوه بالصاد جبل بعرفات، فيه وادٍ بين المدينة والحجاز وعقبة بين التيه وأَيْلة.

بَكَّة بالباء. قال: أَبو عُبَيْد البَكري: وهي مكة تُبْدل الميم من الباء قال تعالى: ﴿إِنَّ أَولَ بيتٍ وُضِع للناسِ لَلَّذي ببَكَّة﴾ وقال: ﴿ببطْن مكة﴾ وقال عطية: بكَّة موضع البيت، ومكة ما حوالَيْه. وهو قول إبراهيم النَّخَعي. وقال عِكْرِمة: بَكَّة: ما وَلِي البيتَ. ومكةُ ما وراء ذلك. وقال القُتَبيّ: قال أَبو عبيدة: بَكَّة بالباء، اسمٌ لبطن مكة. قال البَكْري: والذي عليه أَهلُ اللغة أَن مكة وبكة شيء واحد، كما يقال سبَد رأْسَه وسمَده، وضَرْبة لازم ولازب. قال: وقيل بل هما اسمان لمعنيين واقعان على شيء واحد، فاشتقاق مكة لقلة مائها وذكر ما سيأْتي في مكة. ثم قال؛ قالوا: وسميت بكَّة لأَن الناس يتَبَاكُّون فيها أَي يزدحمون. انتهى.

زاد الزركشي في الإِعلام، والفاسيّ[2] في شفاء الغرام: وقيل: لأَنها تبكُّ أَعناقَ الجبابرة إِذا أَلحدوا فيها، أَي تدقها. والبَكُّ: الدق. ولفظ الزركشي: أَي تكْسرهم فيذلُّون بها

---

(١) الحسن بن رشيق القيرواني، أبو علي: أديب، نقاد، باحث. كان أبوه من موالي الأزد. ولد في المسيلة (بالمغرب) وتعلم الصياغة، ثم مال إلى الأدب وقال الشعر، فرحل إلى القيروان سنة ٤٠٦ ومدح ملكها، واشتهر فيها. وحدثت فتنة فانتقل إلى جزيرة صقلية، وأقام بمازر إحدى مدنها، إلى أن توفي. من كتبه «العمدة في صناعة الشعر ونقده» و «قراضة الذهب ـ ط» في النقد، و «الشذوذ في اللغة». توفي سنة ٤٦٣هـ. الأعلام ١٩١/٢.

(٢) محمد بن أحمد بن علي، تقي الدين، أبو الطيب المكي الحسني: مؤرخ، عالم بالأصول، حافظ للحديث. أصله من فاس، ومولده ووفاته بمكة. دخل اليمن والشام ومصر مراراً. وولي قضاء المالكية بمكة مدة. وكان أعشى يملي تصانيفه على من يكتب له، ثم عمي سنة ٨٢٨ قال المقريزي: كان بحر علم لم يخلف بالحجاز بعده مثله. من كتبه «العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين» و «شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام» وغير ذلك، واشترط في وقف كتبه ألا تعار لمكي، فسرق أكثرها وضاع. توفي ٣٨٢هـ. الأعلام ٣٣١/٥.

ويخضعون. وقيل: إنها تضع من نَخْوة المتكبِّرين فيها. قاله ـ الترمذي ـ رحمه الله تعالى.

البلد: قال الله تعالى: ﴿لا أُقْسِم بهذا البلد﴾ وروى ابن جرير وابن أبي حاتم، عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ : ﴿لا أُقْسِم بهذا البلد﴾ قال: مكة. ﴿وأَنت حِلٌّ بهذا البلد﴾ يعني النبيّ ﷺ، أَحل الله تعالى له يومَ دخول مكة أَن يقتل من شاء ويستحيي من شاء.

بلَدُ الله تعالى: لاختياره لها على غيرها.

البلدة. قال تعالى: ﴿بَلْدة طَيِّبةٌ وربٌّ غفُور﴾ قال ياقوت في «المشْتَرك»: هي مكة. وقال تعالى: ﴿إِنـما أُمرتُ أَنْ أَعبدَ ربَّ هذه البلدة﴾ قال الواحديّ[١] في الوسيط وابن بَرَّجَان[٢] في تفسيره: هي مكة.

وروى ابن أَبي حاتم عن ابن عباس في الآية قال: هي مكة. وروى عَبْدُ بن حُمَيْد عن قَتادة مثله. وروى ابن المنذِر عن ابن جُرَيْج قال: زعم الناس أَنها مكة.

البَلَد الحرام: لحرمة مكة[٣]. وسيأْتي لهذا مزيد بيان في حجة الوداع.

البَلَد الأَمين: لتحريم القتال فيه، قال تعالى: ﴿وهذا البلدِ الأَمين﴾ قال خُزَيْمة بن ثابت[٤]، وليس بالأَنصاري: سأَلتُ رسولَ الله ﷺ عن هذه الآية فقال: «مكة». رواه الطَّبراني في الأَوسط. وبه قال ابن عباس ـ رضي الله تعالى عنهما. رواه أَيضاً ابن جرير، وابن أَبي حاتم. ولا خلاف في ذلك بين المفسرين.

الثَّنِيَّة: ذكره الزركشي. وقال في شفاء الغرام: هذه عن ياقوت. انتهى.

والذي ذكره ياقوت في المشترك بعد أَن ذكرالكلام على الثنية: فالأَول: الثنية البيضاء،

---

(١) علي بن أحمد بن محمد، أبو الحسن الواحدي. كان فقيهاً إماماً في النحو واللغة وغيرهما، شاعراً، وأما التفسير فهو إمام عصره فيه. أخذ التفسير عن أبي إسحاق الثعلبي، واللغة عن أبي الفضل العروضي صاحب أبي منصور الأزهري والنحو عن أبي الحسن القهندري الضرير. صنف «البسيط» و «الوسيط» و «الوجيز» و«أسباب النزول» وكتاب نفي التحريف عن القرآن الشريف، وكتاب الدعوات، وكتاب التنجيز في شرح أسماء الله الحسنى، وكتاب تفسير أسماء النبي ﷺ، وكتاب «المغازي» وكتاب الإغراب في الإعراب، وشرح ديوان المتنبي. وأصله من ساوه. من أولاد التجار، وولد بنيسابور، ومات بها بعد مرض طويل في جمادي الآخرة سنة ثمان وستين وأربعمائة. الطبقات لابن قاضي شهبة ٢٥٦/١، ٢٥٧، والأعلام ٥٩/٥، ووفيات الأعيان ٤٦٤/٢، وبغية الوعاة ٣٢٧.

(٢) هو عبد السلام بن عبد الرحمن بن محمد اللخمي الإشبيلي، أبو الحكم: متصوف، من مشاهير الصالحين. له كتاب في «تفسير القرآن» أكثر كلامه فيه على طريق الصوفية لم يكمله، و «شرح أسماء الله الحسنى». توفي بمراكش سنة ٥٣٦هـ. الأعلام ٦/٤.

(٣) في أ: لحرم مكة.

(٤) خُزيمة بن ثابت بن الفاكِه بن ثَعْلَبَة بن سَاعِدَة بن عَمَّار الأنصاري الخطْمِي ذو الشَّهَادَتَيْن، شهد بَدْراً وأُحُداً، له ثمانية وثلاثون حديثاً. تفرد له (م) بحديث. روى عنه ابنه عمارة وإبراهيم بن سعد بن أبي وقاص. قتل مع علي بصِفِّين. الخلاصة ٢٨٩/١.

وهي عقبة تُهْبطك إلى فَخّ بالخاء المعجمة وأَنت مُقْبل إلى المدينة، تريد أَسفل من مكة قبل ذي طُوَى، ولم يذكر أَن مكة نفسها اسمها الثنية. فالله تعالى أَعلم.

الحاطِمَة: ذكره الأَزْرقي والنووي وغيرهما، لحَطْمها الملحدين.

الحَرَم: بحاء وراء مهملتين ذكره سليمان بن خليل في مناسكه. الحُرْمة بالضم. الحِرمة بالكسر. ذكرهما عديس في الباهر.

الرأْس: قال النووي: لأَنه أَشرف الأَرض كرأْس الإِنسان. وأَنشد كُرَاع[1]:

وَفي الرَّأْس آيَاتٌ لِمَنْ كَانَ ذَا حِجىً وَفِي مَدْين العَلْيا وَفي مَوضعِ الحِجْرِ

الرِّتَاج: براء مكسورة فمثنَّاه فوقية فأَلف فجيم. ذكره المحب الطَّبري، وقال الزركشي المعروف أَن الرتاج: الباب. قال الخليل: وربما أُريد به الكعبة. ومنه الحديث: «**جعَل مالَه في رِتَاج الكعبة**» أَي لها، فكَنَى عنها بالباب، لأَن منه يُدْخل إليها.

سَبوحة: ذكره في شفاء الغرام. وقال في الصِّحاح: وهي بفتح السين مخففة: البلد الحرام. ويقال: وادٍ بعرفات. وذكرها الفارابيّ[2] في فَعُولة بفتح الفاء وضم العين.

سَلامِ: بالكسر بلا تنوين ذكره في شفاء الغرام.

السبل. ذكره صاحب القاموس[3] في التحبير.

صَلاَحِ: بفتح الصاد وكسر الحاء المهملة بلا تنوين. قال النووي: سميت بذلك لأَمْنها. زاد الزركشي في الإِعلام: ولأَن فيها صلاح الخُلق، أَو لأَنها تُعمل فيها الأَعمال الصالحة.

صلاحٍ: منونة.

طَيِّبة: بالتشديد لِطيبها.

العَذْراء: لأَنها لم تُنَل بمكروه.

---

(١) علي بن الحسن الهنائي الأزدي أبو الحسن عالم بالعربية مصري لقب «كراع النمل» لقصره أو لدمامته. له كتب منها «المنضد» في اللغة توفي بعد ٣٠٩هـ. الأعلام ٢٧٢/٤.

(٢) إسحاق بن إبراهيم بن الحسين الفارابي، أبو إبراهيم، أديب، غزير مادة العلم، من أهل فاراب (وراء نهر سيحون) وهو خال الجوهري صاحب الصحاح. انتقل إلى اليمن، وأقام في زبيد، وصنف كتاباً سماه «ديوان الأدب» عرّفه بقوله: وهو ميزان اللغة ومعيار الكلام. وهو غير الفارابي الحكيم. توفي سنة ٣٥٠هـ. الأعلام ٢٩٣/١.

(٣) محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم بن عمر، أبو طاهر، مجد الدين الشيرازي الفيروزابادي: من أئمة اللغة والأدب. ولد بكارزين (بكسر الراء وتفتح) من أعمال شيراز. وانتقل إلى العراق، وجال في مصر والشام، ودخل بلاد الروم والهند. ورحل إلى زبيد (سنة ٧٩٦هـ) فأكرمه ملكها الأشرف إسماعيل وقرأ عليه، فسكنها وولي قضاءها. وانتشر اسمه في الآفاق، حتى كان مرجع عصره في اللغة والحديث والتفسير، وتوفي في زبيد. أشهر كتبه «القاموس المحيط» و «المغانم المطابة في معالم طابة» و «تنوير المقباس في تفسير ابن عباس» وله «بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز» و «نزهة الأذهان في تاريخ أصبهان» توفي سنة ٨١٧هـ. الأعلام ١٤٦/٧.

العَرْش، بوزن بَدْر. قاله كُرَاع ـ رحمه الله تعالى ـ وبضمتين. قاله البَكْري.

العَرِيش: بزيادة مثناة تحتية ذكره ابن سيده[1]، لأَن أَبياتها عِيدان تُنْصب وتظلَّل. قال الزركشي: قالوا: ويقال فيها عُروش واحدها عرش.

العَرُوض: ذكره في التحبير. ولم يزد على ذلك. وفي الصحاح: عَرَّضَ الرجلُ إِذا أَتى العَرُوض وهي مكة والمدينة وما حولهما. وذكره الفارابي في ديوانه في مادة فَعُول بفتح الفاء وضم العين.

فاران: بفاء فأَلف فراء فألف فنون، نقله في شفاء الغرام عن ياقوت والذي في «المشترك» له: فاران اسم جبال مكة، وقيل اسم جبال الحجاز، ولها ذكر في التوراة يجيء في أَعلام نبوة النبي ﷺ.

المقدَّسة والقادس والقادسة والقادسية: أَسماء لها من القُدْس وهو الطُّهرْ نصيب لأَنها تطهِّر من الذنوب، ذكر الأَول ابن جماعة. والثاني والثالث ابن قرقول، وذكر الزركشي الثلاثة والرابع الفاسِيّ.

قرية الحُمْس: بحاء مهملة مضمومة فميم ساكنة فسين مهملة جمع أَحْمَس. وهم قريش ومن ولدتْه قريش وكِنَانة وجَدِيلة وقيس، سُمُّوا حُمْساً لأَنهم تحمَّسوا في دينهم أَي تشدَّدوا. والحماسة أَيضاً: الشجاعة. ولهذا مزيد بيان في باب حفظ الله تعالى نبيَّه ﷺ في حال طفوليته.

وقرية النمل: ذكر هذين الاسمين صاحب القاموس في تحبير الموشَّى.

قال في شفاء الغرام: قرية النمل ونَقْرة الغراب. علامتان لموضع زمزم حين أُمر عبد المطلب بحفرها. وعدَّها بعضهم اسمين لزمزم مجازاً. فإِن كان شيخنا ـ رحمه الله تعالى ـ لَحظ كونُهما اسمين وسمّى بها مكة من باب تسمية الكلّ باسم البعض، وهو مجاز شائع، فيصحّ على هذا أَن يذكر في أَسماء مكة الصفا والمروة والحَزْوَرة وغير ذلك. وقوله: قرية الحُمْس: إِن كان شيخنا لَحظ في تسمية مكة بذلك أَن الحُمْس كانوا سكانَ مكة، فيصح على هذا أَن يذكر في أَسماء مكة قرية العمَاليق وقرية جُرْهم، لكونهم كانوا سُكَّان مكة قبل الحُمس، اللَّهم إِلا أَن تكون سمِّيت مكة بقرية النمل ونَقْرة الغراب وقرية الحمس منقولاً عن كتب اللغة، فلا يُقاس عليه غيره.

---

(١) علي بن إسماعيل، المعروف بابن سيده، أبو الحسن: إمام في اللغة وآدابها. ولد بمرسية (في شرق الأندلس) وانتقل إلى دانية فتوفي بها. كان ضريراً (وكذلك أبوه) واشتغل بنظم الشعر مدة، وانقطع للأمير أبي الجيش مجاهد العامري. توفي سنة ٤٥٨هـ. الأعلام ٤/٢٦٣.

القرية: قال الله تعالى: ﴿ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً قَرْيَةً﴾ قال مجاهد ـ رحمه الله تعالى ـ: يعني مكة.

كُوثَى: بكاف مضمومة وثاء مثلثة مفتوحة. نقله الأَزرقي عن مجاهد وجزَم به السُّهيلي. وفي المطَالع: سميت باسم بقعة فيها. وأَفاد الفاكهي أَن كُوثَى في ناحية قُعَيْقعان. وقيل: كوثى جبل بمنىً.

المأمون: ذكره الزركشي ونقله الشيخ عن ابن دحْيه لتحريم القتال فيه.

مُخْرَج صِدْق: روى الزُّبير بن بكَّار في أَخبار المدينة عن زيد بن أَسْلم[1] ـ رحمه الله تعالى ـ قال: جعل الله تعالى مُدْخل صدق: المدينة ومُخْرَج صِدْق: مكة.

المسجد الحرام: قال ابن عباس ـ رضي الله تعالى عنهما ـ: الحرَم كله هو المسجد الحرام. رواه سعيد بن منصور. ولهذا مزيد بيان يأتي في تفسير أَول سورة الإِسراء في أَبواب الإِسراء إِن شاء الله تعالى.

المَعَاد: قال الله تعالى: ﴿إِنّ الذي فرَض عليك القرآن لَرادُّك إِلى مَعَادٍ﴾ قال ابن عباس ـ رضي الله تعالى عنهما ـ: يعني مكة. رواه البخاري.

المكَّتان: ذكره الشيخ برهانُ الدين القِيراطيّ ـ رحمه الله تعالى ـ في قصيدة في أَسماء مكة. قال في شفاء الغرام: ولعله أَخذه من قول ورقة بن نوفل:

أَرى الأَمـرَ لا يَـزْداد إِلاَّ تـفـاقُـمـاً وأَنـصـارُنـا بـالـمـكـتـين قـلـيـلُ

ولهذا مزيد بيان يأَتي في باب البعثة إِن شاء الله تعالى.

مكة: اختُلف في سبب تسميتها مكة بالميم، فقيل: لأَنها تمكُّ الجبارين، أَي تُذهب نَخْوتهم. وقيل: لأَنها تمكُّ الفاجر عنها، أَي تُخرجه. وقيل: لأَنها تجذب الناسَ إِليها من قولهم:امْتَكَّ الفصيلُ ما في ضَرْع أمّه إِذا لم يُبْق فيه شيئاً. وقيل: لقلة مائها. وقيل: لأَنها تمك الذنوب أَي تستخرجها وتذهب بها كلها. وقيل لأَنها لمّا كانت في بطن وادٍ تمك الماء من جبالها عند نزول المطر وتنحدر إِليها السيول.

نادر: نقله في «الزَّهْر» عن منتخب كُرَاع. وهو بخط مُغَلْطاي ـ رحمه الله تعالى ـ بنون ودال مهملة.

الناسَّة: بالنون والسين المهملة المشددة ذكره الماوردي وغيره، لأَنها تنسُّ من أَلْحَدَ

(١) زيد بن أسلم العدوي، مولى عمر، أبو عبد الله، أو أبو أسامة، المدني، ثقة عالم، وكان يرسل، من الثالثة، مات سنة ست وثلاثين. التقريب ٢٧٢/١.

فيها، أَي تطرده وتنفيه. وقيل: من نَسَّ الشيء إذا يبس من العطش. قال في الصحاح: يقال لمكة الناسّة لقلة الماء بها من النسّ وهو اليُبس.

النسَّاسة: بنون وسينين مهملتين: الأُولى مشددة ذكره ابن جماعة. ومعناها كمعنى الاسم الذي قبلها، وقيل لقلة مائها من النّس وهو اليُبْس.

الناشَّة بالشين العجمة. نقله في «الزَّهْر» عن الخطابي لأَنها تنشُّ من أَلْحد فيها أَي تطرده وتَنْفيه.

الوادِي: ورد في كلام عمر - رضي الله تعالى عنه -.

أُم راحِم: ذكره في «شفاءِ الغرام»، ونقله في الزهر عن كُرَاع. ومعناه معنى الاسم الذي بعده.

أُم رُحُم: براءٍ وحاءٍ مهملتين قال في الزَّهر نقلاً عن ابن السيِّد: بضم الراء والحاء ويقال بتسكين الحاء ونقله الماوردي وغيره عن مجاهد، لأَن الناس يَتَراحمون فيها ويتواصلون.

أُم الرَّحم: معناه معنى الاسم الذي قبله.

أُم الرَّحمَات: عزَاه الشيخ عبد الله المُرْجاني(١) لابن العربي(٢) - رحمه الله تعالى -.

أُم رَوْح: بفتح الراء من الروح وهو الرحمة ذكره ابن الأَثير في المُرَصَّع.

أُم زَحْم: بزاي من الزحام. ذكره الرَّشَاطِيّ(٣) - رحمه الله تعالى -.

أُم صُبَيح: ذكره ابن الأَثير في كتاب المرصَّع. وهو بضم الصاد كما في القاموس.

---

(١) محمد بن أبي بكر بن علي، نجم الدين المرجاني، الذروي الأَصل المكي المولد والوفاة: نحويّ مكة في عصره. له معرفة بالأدب، ونظم ونثر. من كتبه «مساعد الطلاب في الكشف عن قواعد الإعراب» قصيدة من نظمه، وشرحها، و «طبقات فقهاء الشافعية» ومنظومة في «دماء الحج» وشرحها. توفي ٨٢٧هـ. الأعلام ٥٧/٦.

(٢) محمد بن عبد الله بن محمد المعافري الإشبيلي المالكي، أبو بكر بن العربي: قاض، من حفاظ الحديث. ولد في إشبيلية، ورحل إلى المشرق، وبرع في الأدب، وبلغ رتبة الاجتهاد في علوم الدين. وصنف كتباً في الحديث والفقه والأصول والتفسير والأدب والتاريخ. وولي قضاء إشبيلية، ومات بقرب فاس، ودفن بها. قال ابن بشكوال: ختام علماء الأندلس وآخر أئمتها وحفاظها. من كتبه «العواصم من القواصم» و «عارضة الأحوذي في شرح الترمذي» و «أحكام القرآن» توفي سنة ٥٤٣هـ. الأعلام ٢٣٠/٦، ووفيات الأعيان ٤٨٩/١.

(٣) عبد الله بن علي بن عبد الله اللخمي الأندلسي، أبو محمد، المعروف بالرشاطي: عالم بالأنساب والحديث، من أهل أوريولة سكن المرية، وتعلم بها. من كتبه «اقتباس الأنوار والتماس الأزهار في أنساب الصحابة ورواة الآثار» قال ابن كثير: هو من أحسن التصانيف الكبار، وقال حاجي خليفة: هو من الكتب القديمة في الأنساب، لخصه مجد الدين إسماعيل بن إبراهيم البلبيسي المتوفى سنة ٨٠٢ وأضاف إليه ما زاده ابن الأثير على أنساب السمعاني وسماه «القبس» استشهد بالمرية عند تغلب الروم عليها ٥٤٢هـ. الأعلام ١٠٥/٤.

أُم القُرَى: قال الله سبحانه وتعالى: ﴿لِتُنْذِر أُمَّ القُرَىٰ ومن حولها﴾ قال الضحاك ـ رحمه الله تعالى: يعني مكة. واختلف في سبب تسميتها بذلك. فقيل: لأَن الأَرض دُحِيت من تحتها قاله ابن عباس وتقدم في باب بدءِ أَمر البيت، وقيل لأَنها أَعظم القرى، وقيل لأَن فيها بيت الله تعالى. ولما جرت العادة بأَن الملك وبلده مقدَّمان على جميع الأَماكن سمي أُمّاً لأَن الأُم متقدمة، وقيل لأَنها قِبْلة تؤمُّها جميع الأُمة، وقيل لأَن أَهل القُرى يرجعون إِليها في الدِّين والدنيا.

أُم كوثى: ذكره ابن المرْجانِي ـ رحمه الله تعالى ـ ولم يتكلم عليه والله أَعلم.

الباب العاشر

في ذكر حرم مكة وسبب تحريمه

حَرَمُ مكة: ما أَحاط بها وأَطاف بها من جوانبها، جعل الله تعالى لها حُكْمها في الحُرْمة تشريفاً لها. قال الإمام النووي ـ رحمه الله تعالى ـ في الإِيضاح: وَحَدُّه من طريق المدينة دون التنعيم عند بيوت نِفَار على ثلاثة أَميال من مكة، ومن طريق اليمن طرف أَضَاة لِبنْ في ثنية لِبْن على سبعة أَميال. ومن طريق العراق على ثنية جبل بالمُقطَّع على سبعة أَميال. ومن طريق الجعْرانة في ـ شعب آل عبد الله بن خالد على تسعة أَميال بمثناة فوقية فسين مهملة. وليس في الحدود تسعة بتاء فسين غير هذا الموضع.

ومن طريق الطائف على عرفات من بطن نَمرة على سبعة أَميال، ومن طريق جدة منقطع الأَعشاش على عشرة أَميال.

فهذا حد ما جعله الله تعالى حرماً لما اختُص به من التحريم وبايَنَ بحكمه سائر البلاد وهكذا ذكر حدوده أَبو الوليد الأَزرقي في كتاب مكة وأَصحابُنا في كتب الفقه، ومنهم الماوردي في الأَحكام السلطانية. إِلا أَن الأَزْرَقي قال في حدّه من طريق الطائف: أَحد عشر ميلاً. والجمهور قالوا: سبعة كما ذكرنا وقال في شفاء الغرام: وتبعه عليه الفاكهي وأَبو القاسم عبيد الله بن عبد الله بن خُرْدَذابه[1] في كتابه «المسالك» ولا يعرف للأَزرقي فيما قاله مخالِف قبله ولا معاصر له ولا بعده غير الماوردي وصاحب المهذَّب ومن تبعهما ـ رحمهم الله تعالى ـ.

وقد نظم ذلك بعضهم فقال:

وَلِلْحرَمِ التَّحديدُ من أَرضِ طِيبةٍ ... ثَلاثةُ أَميالٍ إِذا رُمْتَ إِتْقَانَهْ

وسَبْعةُ أَميالٍ عراقٍ وطائفٍ ... وجُدّةَ عَشْرٌ ثُمَّ تِسْعٌ جِعِرّانَه

ومن يَمَنٍ سَبْعٌ بتقديمِ سِينِها ... لِذَلِك سَيْلُ الحل لم يَعْدُ بُنْيَانَهْ

يعني أَن سَيل الحل لا يدخل الحرم، كما ذكره جماعة. قال الأَزرقي: إِلا من موضع واحد عند التَّنْعيم.

التَّنْعيم بفتح المثناة الفوقية وسكون النون وكسر العين المهملة بعدها مثَناة تحتية، وهو من الحِلّ.

(١) عبيد الله بن أحمد بن خرداذبه، أبو القاسم: مؤرخ جغرافي، فارسي الأصل. من أهل بغداد. كان جده خرداذبه مجوسياً أسلم على يد البرامكة. واتصل عبيد الله بالمعتمد العباسي، فولاه البريد والخبر بنواحي الجبل، وجعله من ندمائه. له تصانيف، منها «المسالك والممالك» و «جمهرة أنساب الفرس» و «اللهو والملاهي»، و «الشراب» و «الندماء والجلساء» و «أدب السماع». توفي سنة ٢٨٠هـ. الأعلام ٤/١٩٠.

نِفَار: بنون مكسورة ففاء فراء. أَضاة بفتح الهمزة وبالضاد المعجمة على وزن قَنَاة. لِبْن بكسر اللام وسكون النون. قاله الحازمي - رحمه الله تعالى -.

المُقطَّع ضبطه ابن خليل بضم الميم وفتح الطاء المشددة. وفي خط الطبري؛ بفتح الميم وإسكان القاف. الجعْرانة بكسر الجيم وسكون العين وتخفيف الراء، وتشدَّد. نَمِرة بفتح النون وكسر الميم: موضع: قيل مِنْ عرفات وقيل بقربها. الجُدّة بضم الجيم ساحل مكة معروفة سميت بذلك لأنها حاضرة البحر، والجدة من البحر والنهر ما وَلي البَرَّ، وأَصل الجُدّة: الطريق الممتد. مُنْقَطع الأَغْشاش: بفتح الهمزة وبالشينين المعجمتين جمع غُشْ.

قال المحب الطبري في «القرى» في سبب تحديد الحرم واختلاف حدوده أَربعة أَوجه:

الأَول: ما رواه سعيد بن جُبير عن ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما - قال: لما أُهبط آدم ﷺ خَرَّ ساجداً معتذراً، فأَرسل الله تعالى إِليه جبريلَ بعد أَربعين سنة فقال: ارفع رأَسك فقد قبلت توبتك. فقال: يا رب إِنما أَتلهَّف على ما فاتني من الطواف بعرشك مع ملائكتك. فأَوحى الله تعالى إِليه: إِني سأَنزل لك بيتاً أَجعله قِبْلةً. فأَهبط الله تعالى إِليه البيتَ المعمور وكان ياقوتة حمراء تَلْتَهب التهاباً، وله بابان شرقي وغربي قد نظمت حيطانه بكواكب بيض من ياقوت الجنة، فلما استقر البيتُ في الأَرض أَضاء نوره ما بين المشرق والمغرب، فنفرت لذلك الجن والشياطين وفزِعوا، فصعدوا في الجوّ ينظرون من أَين ذلك النور، فلما رأَوه من مكة أَقبلوا يريدون الاقتراب إِليه، فأَرسل الله تعالى ملائكة فقاموا حول الحرم في مكان الأَعلام اليوم، فمنعتهم، فمن ثم ابتدئ اسم الحرم.

الثاني: ما رواه وهب بن منبه رحمه الله تعالى فقال: إِن آدم ﷺ لمّا نزل إِلى الأَرض اشتد بكاؤه، فوضع الله تعالى له خيمة بمكة موضع الكعبة قُبل الكعبة، وكانت الخيمة ياقوتة حمراء من الجنة، فيها ثلاثة قناديل فيها نور يتلهب من الجنة، وكان ضوء النور ينتهي إِلى مواضع الحرم، وحرَس الله تعالى تلك الخيمة بملائكة فكانوا يقفون على مواضع أَنصاب الحرم يحرسونه ويذودون عنه سكانَ الأَرض من الجن، فلما قَبض الله تعالى آدم رفعها إِليه.

الثالث: روي أَن إِبراهيم ﷺ لما بنَى البيتَ قال لإِسماعيل: ابغني حجراً أَجعله للناس آية. فذهب إِسماعيل ولم يأته بشيء ووجد الركن عنده فقال: من أَين لك هذا؟ قال: جاء به من لا يَكِلني إِلى حَجرك، جاء به جبريل. فوضعه إِبراهيم موضعه هذا، فأَنار الحجرُ شرقاً وغرباً ويميناً وشمالاً، فحرَّم الله الحرَم حيث انتهى إِليه نورُ الحجر وإِشراقه من كل جانب.

الرابع: أَن آدم ﷺ لما أُهبط إِلى الأَرض خاف على نفسه من الشياطين واستعاذ بالله تعالى، فأَرسل الله تعالى ملائكة حفُّوا بمكة من كل جانب ووقفوا حواليها، فحرم الله تعالى الحرم حيث وقفت الملائكة. انتهى.

وزاد في شفاء الغرام تبعاً للسُّهيلي: وقيل: لأَن الله تعالى حين قال للسماوات والأَرض؛ ﴿ائتيا طَوْعاً أَو كَرْهاً قالتا أَتَيْنا طائعين﴾ [فصلت: ١١] لم يجبه بهذه المقالة من الأَرض إِلا أَرضُ الحرم، ولذلك حرَّمها.

وقال الزركشي رحمه الله تعالى في الإِعلام: فإِن قيل: ما الحكمة في تحديد الحرم؟ قيل فيه وجوه: **أَحدها** التزام ما ثبت له من الأَحكام وتبيين ما اختص به من البركات. **الثاني**: ذُكِر أَن الحجر الأَسود لما أُتي به من الجنة كان أَبيض مستنيراً أَضاء منه نور، فحيثما انتهى ذلك النور كانت حدود الحرم. وهذا معنى مناسب والأَمر فوق ذلك.

الثالث: أَنه أَنوار موضوعة من العالم الأَعلى ربّاني، وسرٌّ روحاني، توجّه إِلى تلك البقاع. ويذكر أَهل المشاهدات أَنهم يشاهدون تلك الأَنوار واصلة إِلى حدود الحرم، ولها منار يَنْبع منها ويكون عنها في الحرمين والأَرض المقدسة.

ذكر علامات الحرم

قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: أَول من نصبَ أَنصاب الحرم إِبراهيمُ يريه ذلك جبريل، فلما كان يوم الفتح بعث رسول ﷺ تميمَ بن أَسد الخزاعي فجدَّد ما رثَّ منها. رواه ابنُ سعد والأَزْرقي.

وروى الأَزرقي عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة[1] رحمه الله تعالى قال: إِن إِبراهيم ﷺ نصَب أَنصابَ الحرم يريه جبريلُ ﷺ ثم لم تُحرَّك حتى كان قُصَيّ فجددها، ثم لم تُحرك حتى كان رسولُ الله ﷺ يومَ الفتح، فبعث عام الفتح تميمَ بن أَسد الخُزَاعي فجددها.

رَثَّ الشيء يَرِثُّ بالكسر وأَرَثَّ: خلَق.

---

(١) عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي، أبو عبد الله، المدني، ثقة فقيه، ثبت، من الثالثة، مات سنة أربع وتسعين، وقيل سنة ثمان، وقيل غير ذلك. التقريب ١/٥٣٥.

الباب الحادي عشر

في تعظيم مكة وحرمها، وتعظيم الذنب فيها

عن أَبي شُرَيْح العدَوي رضي الله تعالى عنه أَن رسول الله ﷺ قام الغدَ من يوم الفتح فقال: **«إن مكة حرَّمها الله ولم يحرِّمها الناسُ، فلا يحلُّ لامرىء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يَسفك فيها دماً ولا يَعْضِد بها شجرةً، فإن أحدٌ ترخَّصَ لقتال رسول الله ﷺ فيها فقولوا له: إنَّ الله تعالى قد أَذِن لرسوله ولم يأْذن لكم، وإنما أَذِن لي ساعةً من نهارٍ، وقد عادت حُرمتها اليوم كحرمتها بالأَمس، وليبلِّغ الشاهد الغائب»**.

رواه الإمام الشافعيّ والشيخان[1].

وعنه أَيضاً قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن الله حرَّم هذا البيت يومَ خَلق السموات والأَرض وصاغه يومَ صاغ الشمسَ والقمر وما حِيَاله من السماء حرَام، وإنه لا يحلّ لأَحد بعدي وإِنما أُحِلَّ لي ساعةً من النهار ثم عاد كما كان»**.

رواه الطبراني[2].

وعن عيَّاش بن أَبي ربيعة[3] رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا تزال هذه الأُمة بخير ما عظَّموا هذه الحرمة حقَّ تعظيمها فإذا ضيَّعوا ذلك هلكوا»**.

رواه ابن ماجة[4].

وعن صفية بنت شَيْبة[5] ـ رضي الله تعالى عنها ـ قالت: سمعت رسولَ الله ﷺ يقول: **«يا أَيها الناس إن الله حرَّم مكة يوم خَلق السموات والأَرض، وهي حرام إلى يوم القيامة،لا يُعْضد شجرها ولا يُنفَّر صيدها ولا تؤخذ لُقطتها إلا لمنشِد»**. فقال العباس: إلاَّ الإِذْخَر فإنه للبيوت والقبور. فقال رسول الله ﷺ: **«إلا الإِذخر»**.

---

(١) أخرجه الشافعي في المسند ٢٩٥/١ (٧٦٩)، والبخاري ٥٠/٤ كتاب جزاء الصيد (١٨٣٢)، ومسلم ٩٨٧/٢ كتاب الحج (٤٤٦ـ ١٣٥٤).

(٢) ذكره الهيثمي في المجمع ٢٨٦/٣ وعزاه للطبراني في الأوسط وقال فيه عطاء بن السائب وقد اختلط.

(٣) عَيَّاش بن أبي ربيعة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشي، المخزومي، واسم أبيه عمرو، يلقب ذا الرمحين، أسلم قديماً، وهاجر الهجرتين، وكان أحد من يدعو له النبي ﷺ، من المستضعفين، واستشهد باليمامة، وقيل باليرْموك، وقيل مات سنة خمس عشرة. التقريب ٩٥/٢.

(٤) أخرجه ابن ماجة (٣١١٠) قال في الزوائد وفي إسناده يزيد بن أبي زياد، واختلط بآخره.

(٥) صَفِيَّة بنت شَيْبَة بن عثمان العَبْدَرِيَّة. قال البَرْقاني: ليست بصحابية. ووثقها ابن حبان. الخلاصة ٣٨٥/٣.

رواه البخاري تعليقاً. ووصلَه ابنُ ماجة[١].

وعن ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ يوم فتح مكة: **«إن هذا البلد حرَّمه الله يوم خلق السموات والأرض والشمس والقمر ووضع هذين الأَخْشَبَيْن، فهو حرام بحُرْمَةِ الله تعالى إلى يوم القيامة، وإنه لم يحل القتال فيه لأَحدٍ قَبْلي ولا يحل لأحد بَعْدِي، ولم يحل لي إلا ساعة من نهار، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة، لا يُختلى خلاؤها ولا يُعْضَد شجرها ولا ينفَّر صيدها، ولا تُلتقط لقطتها إلا لمن عرَّفها إلى أخرة»**.

رواه ابن أَبي شيبة والخمسة[٢].

وروى الأَزرقي عن الزهري مرسَلاً أَن رسول الله ﷺ قال: **«إن الناس لم يحرِّموا مكة ولكن الله تعالى حرَّمها فهي حرام إلى يوم القيامة، وإن من أَعْتَى الناس على الله تعالى رجلاً قتل في الحرم ورجلاً قتل غير قاتله، ورجلاً أَخذ بذُحول الجاهلية»**[٣].

الذُّحول جمع ذَحْل بذال معجمة فحاء مهملة، وزان فلْس: الحقدُ والعداوة. وطلب بذَحْله أي بثأْره، وهو المراد هنا.

وروى الأَزرقي عن قتادة رحمه الله تعالى قال: ذكر لنا أَن الحرم حُرِّم بحِيَاله إلى العرش.

وروى أَيضاً عن مجاهد قال: إن هذا الحرَم حُرِّم مَناه وقَصده من السموات السبع. والأَرضين السبع، وإن هذا البيت رابع أَربعة عشر بيتاً في كل سماء بيت، وفي كل أَرض بيت، ولو وقعن بعضهن على بعض.

وروى الأَزرقي عن ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: **«البيت المعْمور الذي في السماء يقال له الضراح وهو على مَنَا الكعبة، يعمره كلَّ يوم سبعون أَلف ملك لم يزره قط، وإن للسماء السابعة لَحرماً على مَنَا حَرم الكعبة»**[٤].

وروى الأَزرقي والطبراني والبيهقي في الشُّعَب عن عائشة - رضي الله تعالى عنها - أَن رسول الله ﷺ قال: **«ستةٌ لَعَنْتهم وكلُّ نَبيٍّ مُجَابُ الدعوة: الزائدُ في كتاب الله، والمكذِّب بقدَر الله، والمُتسلِّط بالجبروت ليُذلّ من أَعزَّ الله ويعز من أَذل الله، والتارك لسُنَّتي، والمستحل من عِتْرتي ما حرَّم الله، والمستحلّ لحرَم الله»**[٥].

---

(١) أخرجه البخاري ٣/٢٥٣ كتاب الجنائز باب الإذخر والحشيش في العنبر وابن ماجة (٣١٠٩).

(٢) أخرجه البخاري ٤/٥٦ (١٨٣٤) ومسلم ٢/٩٨٦ (٤٤٥- ١٣٥٣).

(٣) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٩١٨٨) وذكره السيوطي في الدر ١/١٢٢ وعزاه للأزرقي في تاريخ مكة عن الزهري.

(٤) ذكره السيوطي في الدر ١/٢٢ وعزاه للأزرقي عن ابن عباس وذكره صاحب الكنز (٨٨٧٤).

(٥) ذكره السيوطي في الدر ١/١٢٢ وعزاه للأزرقي والطبراني والبيهقي في الشعب عن عائشة.

ذكر تعظيم ما[1] لا يعقل للحرم

روى ابن أَبي الدنيا في «ذَمِّ الملاَهي» عن جُوَيْرية بن أَسماء[2] عن عمه رحمهما الله تعالى قال: حججتُ مع قوم فنزلنا منزلاً ومعنا امرأَة، فنامت فانتبهتْ وحيّة منطوية عليها جمعت رأسها مع ذنَبها بين ثدييها فهالنا ذلك وارتحلنا فلم تزل مَطْوية عليها لا تضرّها شيئاً، حتى دخلنا أَنصابَ الحرم فانسابت فدخلنا مكة فقضينا نُسكنا وانصرفنا، حتى إذا كنا بالمكان الذي تطوَّقت عليها فيه الحية، وهو المنزل الذي نزلنا فنامت فاستيقظت والحية منطوية عليها، ثم صفَرت الحية فإذا بالوادي يسيل علينا حَيّات فنهَشْنها حتى بقيت عظاماً، فقلت لجارية لها: ويحك أَخبرينا عن هذه المرأة. قالت: بغَتْ ثلاثَ مرات، كل مرة تلد ولداً فإذا وضعته سجَرت التَّنُّور ثم أَلقته فيه.

وروى الأَزرقي عن ابن أَبي نَجِيح ـ رحمه الله تعالى ـ قال: لم تكن كِبَار الحيتان تأْكل صغارها في الحرم زمنَ الطوفان.

وروى ابن أَبي شيْبة عن ابن سابط[3] ـ رحمه الله تعالى ـ قال: كان الناس إذا كان الموسم في الجاهلية خرجوا ولم يبق أَحد بمكة، وإنه تخلَّف رجل سارِق فعمد إلى قطعة من ذهب فوضعها ليأْخذ أَخرى، فلما أَدخل رأْسه هَمزه البيتُ فوجدوا رأْسه في البيت واسته خارج البيت فأَلقوه للكلاب.

وروى الجندي عن طاوس[4] ـ رحمه الله تعالى ـ قال: إن أَهل الجاهلية لم يكونوا يصيبون في الحرم شيئاً إلا عجِّل لهم ويوشك أَن يرجع إلى ذلك.

والأَحاديثُ والآثار في تعظيم حُرمة الحرم أَكثر من أَن تُحصر.

وروى الأَزرقي عن حُوَيْطب بن عبد العُزَّى[5] رضي الله تعالى عنه ـ قال: كنا جلوساً بفناء الكعبة في الجاهلية فجاءت امرأَة إلى البيت تَعُوذ به من زوجها فجاء زوجها فمد يده إليها فيبست يدُه، فلقد رأَيته في الإسلام وإنه لأَشَلّ.

---

(١) في أ: من لا.

(٢) جُويرية بن أسماء بن عُبَيْد الضُّبَعي بضم المعجمة البصري. عن نافع والزهري. وعنه ابن أخيه عبد الله بن محمد، وحَبَّان بن هلال. وثقه أحمد. توفي سنة ثلاث وسبعين ومائة. الخلاصة ١٧٤/١.

(٣) عبد الرحمن بن سابط، ويقال ابن عبد الله بن سابط وهو الصحيح، ويقال ابن عبد الله بن عبد الرحمن الجمحي المكي، ثقة كثير الإرسال، من الثالثة، مات سنة ثمان عشرة. التقريب ٤٨/١.

(٤) طاوس بن كيسان اليماني، أبو عبد الرحمن، الحميري مولاهم، الفارسي يقال اسمه ذكوان، وطاوس لقب، ثقة فقيه، فاضل، من الثالثة، مات سنة ست ومائة، وقيل بعد ذلك. التقريب ٣٧٧/١.

(٥) حويطب بن عبد العزى بن أبي قيس بن عبد ودّ، من بني عامر بن لؤيّ: صحابيّ قرشيّ، من المعمرين، تجاوز المئة. حارب الإسلام إلى أن فتحت مكة، فأسلم. وشهد مع النبي ﷺ حُنيناً والطائف. وكان من أهل مكة فانتقل إلى المدينة ومات بها. توفي سنة ٥٤هـ. الأعلام ٢٨٩/٢.

وروى الأَزرقي عن ابن جُرَيْج - رحمه الله تعالى - قال: الحِطَيم ما بين الركن والمقام وزمزم والحِجْر، وكان إِسَافٌ ونائلة (رجلٌ وامرأةٌ) دخلا الكعبة فقبَّلها فيها فمسِخا حجرين فأُخرجا من الكعبة فنُصب أَحدهما في مكان زمزم والآخر في وجه الكعبة يعتبر بهما الناس ويزدجروا عن مثل ما ارتكبا، فسمِّي هذا الموضع الحطيم لأَن الناس كانوا يحطمون هنالك بالأَيمان ويستجاب فيه الدعاء على الظالم للمظلوم، فقلَّ من دعا هنالك على ظالم إلا هلَك، وقلَّ من حلف هنالك إِثماً إِلا عُجِّلت عليه العقوبة، وكان ذلك يحجز بين الناس عن الظلم ويتهيب الناس الأَيمان هنالك، فلم يزل ذلك كذلك حتى جاء الله تعالى بالإِسلام فأَخَّر الله تعالى ذلك لما أَراد إِلى يوم القيامة.

تنبيه: في الأَحاديث السابقة أَن الله تعالى حرَّم مكة. ولا يخالف ذلك ما رواه الإِمام أَحمد ومسلم والنسائي وغيرهم، عن جابر بن عبد الله - رضي الله تعالى عنهما - أَن رسول الله ﷺ قال: «**إِن إِبراهيم حرَّم مكة، وإِني حرَّمْتُ المدينة**»[١] لأَن المعنى: أَن إِبراهيم حرَّم مكة بأَمر الله تعالى لا باجتهاده، أَو أَن الله قضى يوم خَلق السموات والأَرض أَن إِبراهيم سيحرّم مكة. أَو المعنى: أَن إِبراهيم أَولُ من أَظهرَ تحريمها بين الناس وكانت قبل ذلك عند الله حراماً، وأَولُ من أَظهره بعد الطوفان.

وقال القرطبي[٢] معنى الأَحاديث السابقة: أَن الله تعالى حرَّم مكة ابتداءً من غير سبب يُنسب لأَحد. ولا لأَحد فيه مدخل، ولأَجل هذا أَكَّد هذا المعنى بقوله: «ولم يحرِّمها الناس». والمراد بقوله: ولم يحرمها الناس أَن تحريمها ثابت بالشرع لا مدخل للعقل فيه. أَو المراد: أَنها من محرَّمات الله تعالى فيجب امتثال ذلك، وليس ذلك من محرَّمات الناس، يعني في الجاهلية كما حَرَّموا أَشياء من عند أَنفسهم، فلا يَسُوغ الاجتهاد في تركه. وقيل معناه: أَن حرمتها مستمرة من أَول الخَلْق وليس مما اختصت به شريعة النبي ﷺ.

(١) أخرجه مسلم ٢/٩٩٢ كتاب الحج (٤٥٨- ١٣٦٢).

(٢) محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فَرْح الأنصاري الخزرجي الأندلسي، أبو عبد الله، القرطبي: من كبار المفسرين، صالح متعبد. من أهل قرطبة. رحل إلى الشرق واستقر بمنية بن خصيب في شمالي أسيوط، بمصر وتوفي فيها. من كتبه «الجامع لأحكام القرآن» وكان ورعاً متعبداً، طارحاً للتكلف، يمشي بثوب واحد وعلى رأسه طاقية. توفي سنة ٦٧١هـ. الأعلام ٥/٣٢٢.

البـــاب الثانـــي عشر

في حج الملائكة وآدم والأنبياء وتعظيمهم للحرم

روى الأَزرقي عن عثمان بن ساج رحمه الله تعالى قال: أَخبرني سعيد أَن آدم لما فَرغ من حجته لقيتْه الملائكة بالمأْزِمين فقالوا: «بَرَّ حجُّك يا آدم فلقد حَججنا هذا البيتَ قبلَك بأَلفي عام».

المأْزِمين: تثنية مأْزِم بالهمز والزاي: المضِيق في الجبال.

وروى الأَزرقي عن أَبي هريرة ـ رضي الله تعالى عنه ـ أَن آدم ﷺ لما فرغ من حجه لقيته الملائكة بالردْم فقالوا: بَرَّ حجّك يا آدم، إنا قد حَججْنا هذا البيت قبلك بأَلفي عام. قال: فما كنتم تقولون حوله؟ فقالوا: كنا نقول: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أَكبر. فكان آدم إذا طاف قال هذه الكلمات.

الرَّدْم بفتح الراء وسكون الدال المهملتين: موضع بمكة.

وروى الأَزرقي عن عمرو بن يسَار المكّي ـ رحمه الله تعالى ـ قال: بلَغني أَن الله تعالى إذا أَراد أَن يبعث ملَكاً من الملائكة لبعض اموره في الأَرض استأْذنه ذلك الملَك في الطواف ببيته، فهبط الملك مهللاً.

وروى الأَزرقي وابن المنذِر والجندي عن وهب بن مُنبِّه رحمه الله تعالى قال: قرأَت في كتاب من الكتب الأُول ذكر فيه أَمر الكعبة وأَنه ليس من ملَك بعثه الله تعالى إلى الأَرض إلاَّ أَمره بزيارة البيت فينقضّ من عند العرش مُحْرِماً ملبّياً حتى يستلم الحجَر، ثم يطوف سبعاً بالبيت ويصلي في جوفه ركعتين.

وروى الطبراني عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: أَولُ من طاف بالبيت الملائكة.

وروى الأَزْرَقي عنه أَن جبريل عليه السلام وقف على رسول الله ﷺ عصابة خضراء قد علاَها الغبار، فقال رسول الله ﷺ: ما هذا الغبار الذي أَرَى عليك؟ قال: إني زرتُ البيت فازدحمت الملائكة على الركن فهذا الغبارُ الذي تَرى مما تُثير[1] بأَجنحتها[2].

فائدة: قول الملائكة: بَرَّ حجُّك. قال في النهاية: الحج المبرور الذي ليس له ثواب إلا الجنة هو الذي لا يخالطه شيء من الإِثم. وقيل: هو المقبول المقابَل بالبِرّ وهو الثواب يقال بَرَّ حجُّه وبُرَّ حجه، وبَرَّ الله حجَه وأَبَرَّه بِرّاً بالكسر وإبراراً.

---

(١) في أ: تنثر.

(٢) ذكره السيوطي في الدر ١٣٢/١ وعزاه للأزرقي عن ابن عباس.

حج آدم صلى الله عليه وسلم

روى سعيد بن منصور عن عطاء بن أبي ربَاح رحمه الله تعالى أَن آدم ﷺ هبط بأَرض الهند ومعه أَربعة أَعواد من الجنة، فهي هذه التي يتطيَّب بها الناس، وأَنه حجَّ هذا البيتَ وطاف بين الصفا والمروة وقضَى مناسك الحج.

وروى الأَزرقي عن عثمان بن ساج قال: أَخبرني سعيد رحمه الله تعالى أَن آدم ﷺ حجَّ على رجليه سبعين حجةً ماشياً.

وروى أَيضاً عن أَبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: حج آدم ﷺ فقضى المناسكَ، فلما فرغ قال: يا رب إِنّ لكل عامل أَجراً. قال الله تعالى: يا آدم أَمّا أَنت فقد غفرتُ لك، وأَما ذريتك فمن جاء منهم هذا البيت فباء بذَنْبه فقد غفرتُ له.

باء بذنْبه: اعترف به.

وروى ابن خُزَيْمة وأَبو الشيخ في العظمة والدَّيْلمِيّ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أَن رسول الله ﷺ قال: «**إِن آدم أَتى هذا البيت أَلف أَتْية لم يركب قط فيهن من الهند على رجليه، ثلاثمائة حجة وسَبْعمائة عُمرة، وأَول حجة حجَّها آدم وهو واقف بعرفة أَتاه جبريل فقال: يا آدم بَرَّ نُسكك، أَمّا نحن فقد طُفْنا بهذا البيت قبل أَن تُخلق بخمسين أَلف سنة**»[1].

وروى الأَزرقي والجندي وابن عساكر عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: حج آدم فطاف بالبيت سبعاً فلقيتْه الملائكة في الطواف فقالوا: بَرَّ حجك يا آدم، إِنا قد حجَجْنا هذا البيت قبلك بأَلفي عام. قال: فماذا كنتم تقولون في الطواف؟ قالوا: كنا نقول: سبحان الله والحمد لله ولا إِله إِلا الله والله أَكبر. قال آدم: فزيدوا فيها: ولا حول ولا قوة إِلا بالله. فزادت الملائكة فيها ذلك.

ثم حج إِبراهيم بعد بنائه البيتَ فلقيتْه الملائكة في الطواف فسلَّموا عليه فقال لهم: ماذا كنتم تقولون في طوافكم؟ قالوا: كنا نقول قبلَ أَبيك آدم: سبحان الله والحمد لله ولا إِله إِلا الله والله أَكبر. فأَعلمناه بذلك فقال: زيدوا: «**ولا حول ولا قوة إِلا بالله**» فقالوها. فقال إِبراهيم: زيدوا فيها: العليّ العظيم. فقالت الملائكة ذلك.

حج إِبراهيم واسماعيل وإِسحاق صلى الله وسلم عليهم

تقدم ذلك في قصة بناء إِبراهيم البيت ﷺ حجُّ نوح وهود وصالح وشعيب عليهم الصلاة والسلام:

---

(١) أخرجه ابن خزيمة في صحيحه (٢٧٩٢) وذكره السيوطي في الدر ١/١٣٠.

روى الأَزرقي عن عبد الرحمن بن سابط مرسلاً عن النبي ﷺ قال: «**كان النبي من الأَنبياء إِذا هلكتْ أُمتُه لَحِق بمكة فيعبد الله تعالى فيها ومن معه حتى يموت، فمات فيها نوح وهود وصالح وشعيب. وقبورهم بين زمزم والحِجْر**».

وروى ابن الجَوْزي في «مُثير العَزْم الساكن إِلى أَشرف الأَماكن» عن عروة بن الزبير رحمه الله تعالى أَن نوحاً ﷺ حج البيت قبلَ الغرق.

وروى الأَزرقي عن وهب بن منبه رحمه الله تعالى أَن هوداً وصالحاً وشُعَيْباً حجُّوا البيت بمن آمن معهم، وأَنهم ماتوا بمكة، وأَن قبورهم غربيّ الكعبة بين دار النَّدوة ودار بني هاشم.

تنبيه: وردت أَحاديث وآثار بحج هود وصالح عليهما الصلاة والسلام. وهو أَقوى اسانيد من حديث: «ما من نبيٍّ إِلاَّ وقد حجَّ البيت إِلا ما كان من هود وصالح»[١] قال: الشيخ رحمه الله تعالى: فإِن إِسناده ضعيف.

حج موسى ويونس صلى الله عليهما وسلم

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: سِرْنا مع رسول الله ﷺ بين مكة والمدينة فمررنا بوادٍ فقال: «**أَيّ وادٍ هذا؟**» قالوا: وادي الأَزرق. فقال: «**كأَني أَنظر إِلى موسى واضعاً إِصبعه في أُذنه له جُؤَار إِلى الله تعالى بالتَّلْبية مارّاً بهذا الوادي**». قال: ثم سرنا بالوادي حتى أَتينا إِلى ثَنِيّة فقال: ما هذه الثنية؟ قيل: ثنية هَرْشَى. فقال: «**كأَني أَنظر إِلى يونس على ناقة حمراء خُطَام ناقته ليف خُلْبة، وعليه جبة له من صوف يُهلّ نهاراً بهذه الثَّنية ملبيّاً**».

رواه الشيخان وابن حِبَّان[٢].

الجؤار بجيم مضمومة فهمزة مفتوحة: رفع الصوت بالاستعاذة. ليف خُلْبة: بخاء معجمة مضمومة فلام ساكنة فباء موحدة مفتوحة. يروى بتنوين الكلمتين على البدل، وبإِضافة الأَول للثاني. قال في التقريب: وكأَنه على الإِضافة مقلوب. قال في الصحاح: الخُلْب حَبْل رقيق من ليف أَو قنب[٣]، فالوجه بخُلْبة ليف.

هَرْشى بهاء مفتوحة فراء ساكنة فشين معجمة مفتوحة فأَلف مقصورة: جبل قريب من الجُحْفة.

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**كأَني أَنظر**

---

(١) أخرجه البيهقي في المسند ١٧٧/٥.

(٢) أخرجه مسلم ١٥٢/٢ كتاب الإيمان (٢٦٨- ١٦٦)، وابن ماجة (٢٨٩١)، وأحمد في المسند ٢١٦/١.

(٣) في أ: نسب.

إِلى موسى بن عمران في هذا الوادي مُحْرماً يلبِّي بين قَطْوانيّتين»[١].

رواه أَبو ذر الهَروي في مناسكه.

قطوانيتين: تثنية قَطْوانية، وهي عَباءة بيضاء قصيرة.

وعن مجاهد رحمه الله تعالى قال: حجَّ موسى ﷺ على جمل أَحمر فمر بالرَّوْحاء عليه عباءتان قطوانيتان مؤتزراً بإِحداهما مُرْتدياً بالأُخرى، فطاف بالبيت ثم طاف بين الصَّفا والمروة إِذ سمع صوتاً من السماء وهو يقول: لبَّيْك عبدي وأَنا معك. فخرَّ موسى ساجداً.

رواه الأَزْرَقي.

وعن مجاهد رحمه الله تعالى قال: حج البيتَ سبعون نبياً فيهم موسى ﷺ عليه عباءتان قَطْوانيّتان، وفيهم يونس يقول: لبَّيْك كاشفَ الكَرْب.

رواه سعيد بن منصور.

حج الأنبياء عليهم الصلاة والسلام غير من سمي

روى ابن أَبي شَيْبة عن مجاهد رحمه الله تعالى قال: كانت الأَنبياء إِذا أَتت حكم الحرم نزعوا نعالَهم.

وروى أَبو ذَرّ الخُشَني في مناسكه عن عبد الله بن الزبير رضي الله تعالى عنهما قال: حج البيتَ أَلفُ نبي من بني إِسرائيل لم يدخلوا مكة حتى وضعوا نِعَالَهم بذي طُوَى.

ذو طُوَى بضم الطاء المهملة وفتح الواو وأَلف مقصورة: وادٍ معروف عند باب مكة.

وعن عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: مرَّ بصِفَاح الرَّوْحاء سبعون نبيّاً حُجاجاً عليهم لباس الصوف إِبلهم مُخَطَّمة بالليف.

وفي رواية: لقد سَلك فجَّ الرَّوْحاء سبعون نبياً حُجاجاً عليهم لباس الصوف خُطم إِبلهم الليف.

رواه الأَزرقي.

صِفاحُ الرَّوْحاء: جانبها. الروحاء: بفتح الراء وبالحاء المهملة: ممدود: اسم قرية. الفج بفتح الفاء والجيم: الطريق الواسع.

وروى أَيضاً عن عثمان بن ساج قال: أَخبرني صادق أَنه بلغه أَن رسول الله ﷺ قال: **«مرَّ بفجّ الروحاء سبعون نبياً على نوق حُمْر خُطمهم الليف لبوسهم العَباء وتلبيتهم شَتَّى. أي متفرقة»**.

---

(١) ذكره الهيثمي في المجمع ٢٠٧/٨ وعزاه للطبراني وقال فيه يزيد بن سنان الرهاوي وهو متروك.

وروى أَيضاً عن مجاهد قال: حج خمسة وسبعون نبياً كل قد طاف بالبيت وصلَّى في مسجد مِنىً، فإِن استطعت أَن لا تفوتك الصلاة في مسجد منى فافعل.

وروى أَيضاً عن عبد الرحمن بن سابط رحمه الله تعالى قال: سمعت عبد الرحمن بن ضَمْرة السَّلُولي يقول: ما بين الركن إِلى المقام إِلى زمزم قبرُ سبعين نبياً جاؤوا حجاجاً فقُبروا هنالك.

حج بنـي إِسرائيل وغيرهم

روى أَبو نُعَيم عن مجاهد رحمه الله تعالى قال: كان يحج من بني إِسرائيل مائة أَلف فإِذا بلغوا أَنْصاب الحرم خلعوا نعالهم ثم دخلوا الحرم حُفاة.

وروى ابن أَبي شيبة والأَزرقي عن عبد الله بن الزبير رضي الله تعالى عنهما قال: إِنْ كانت الأُمّة من بني إِسرائيل لَتَقْدم مكة فإِذا بلغت ذا طُوىً خلعت نعالها تعظيماً للحرم.

وروى الأَزرقي وابن عساكر عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: حجَّ الحواريّون فلما دخلوا الحرم مَشَوْا حُفَاةً تعظيماً للحرم.

حج ذي القرنـين رضي الله تعالـى عنه

روى الأَزرقي عن عطاء بن السائب رحمه الله تعالى أَن إِبراهيم ﷺ رأَى رجلاً يطوف بالبيت فأَنكره فسأَله ممن أَنت؟ قال من أَصحاب ذي القرنين. قال: وأَين هو؟ قال: بالأَبْطَح. فتلقَّاه إِبراهيم فاعتنقه فقيل لذي القرنين: أَلا تركب؟ قال: ما كنت لأَركب وهذا يمشي. فحج ماشياً.

وروى ابن أَبي حاتم عن عِلْباء بن أَحمر[1] رضي الله تعالى عنه أَن ذا القرنين قدِم مكة فوجد إِبراهيمَ وإِسماعيل يبنيان الكعبة فاستَفْهَمهما عن ذلك فقالا: نحن عبدان مأْموران. فقال: من يشهد لكما؟ فقامت خمسة أَكْبُش فشهدت فقال: قد صدقتما. ولهذا تتمة تأْتي في باب أَسئلة المشركين رسولَ الله ﷺ أَشياء على وجه العناد.

حج عيسى صلى الله عليه وسلم بعد نزوله وأَصحاب الكهف

روى ابن أَبي حاتم عن أَبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لَـيُهلَّن ابنُ مريم بفَجّ الرَّوْحاء حاجّاً أَو معتمراً»**[2].

---

(١) عِلباء بن أَحْمَرَ اليَشْكُرِي. عن أَبي زيد عَمْرو بن أَخْطَب الأنصاري. وعن عِكْرِمَة. وعنه عَزْرَة بن ثابت وحُسَيْن بن وَاقِد. وثقه ابن مَعِين. الخلاصة ٢/٢٤٠.

(٢) أخرجه ٢/٩١٥ كتاب الحج (٢١٦- ١٢٥٢) وأحمد في المسند ٢/٥٤٠.

وروى سعيد بن منصور رحمه الله تعالى قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«لا تقوم الساعة حتى يمرّ عيسى بن مريم ببطن الرَّوْحاء حاجاً أَو معتمراً يلبي: لبيَّك الَّلهم لبيك»**.

وروى ابن الجوزي في «المثير» عن عطاف بن خالد رحمه الله تعالى قال: «يحج عيسى ابن مريم إِذا نزل في سبعين أَلفاً فيهم أَصحاب الكهف فإِنهم ماتوا ولم يحجّوا».

الباب الثالث عشر

في قصة إهلاك أصحاب الفيل

وذلك عام ولادته ﷺ على الصحيح الذي عليه أكثر العلماء.

وكان إهلاكهم تشريفاً له ﷺ ولبلده، وإلا فأَصحابُ الفيل كانوا نصارى أَهل كتاب، وكان دينهم إذ ذاك أَقربَ حالاً مما كان عليه أَهل مكة، لأَن أَهل مكة كانوا عُبَّاد أَوثان، فنصرهم الله تعالى نصراً لاصُنْع للبشر فيه، ولسان حال القدَر يقول: لم ننصركم يا معشر قريش على الحبشة لخَيْريتكم عليهم، ولكن صيانةً للبيت العتيق الذي نشرّفه ونعظّمه ونوقره ببعثة النبي الأُميّ خاتم الأَنبياء محمد ﷺ.

قال الله سبحانه وتعالى. بسم الله الرحمن الرحيم ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ الخطاب للنبي ﷺ. أَي: أَلم تعلم. قدّره على وجودِ علمه بما يَذْكر. وقيل: الاستفهام هنا للتعجب إذ هو أَمرٌ منقول نقلَ المُتَواتِر. فكأَنه قيل: قد علمتَ أَو تعجَّب ﴿كيف فعل ربُّك﴾ عبَّر بكيف دون ما. لأَن المراد تذكير ما فيها من وجوه الدلالة على كمال عِلْم الله تعالى وقُدْرته وعزة بيته وشرف رسوله ﷺ فإنها من الإرهاصات لنبوّته، إذ مجيء تلك الطيور على الوصف المنقول من خوارق العادات والمعجزات المتقدمة بين أَيدي الأَنبياء ﷺ ﴿بأْصحاب الفيل﴾ محمود. ﴿أَلم يَجْعَلْ﴾ أَي يجعل كيدهم في هدم الكعبة ﴿في تَضْليل﴾ خسَار وهلاك بأَن أَحرق البيت الذي بنوه قاصدين أَن يرجع حجُّ العرب إليه، وبأْن أَهلكهم لمّا قصدوا هدمَ الكعبة بيت الله تعالى ﴿وأَرسَل عليهم طَيْراً﴾ اسم جمع يجوز تأْنيثه وتذكيره ﴿أَبَابِيل﴾ جماعات قيل لا واحد له وقيل واحده: أَبُول. أَو إِبّال. أَو إِبِّيل كعَجُول. ومفتاح، ومسكين. وعلى تذكير الطير قرئ: ﴿ترميهم﴾ بالمثناة التحتية. وقيل الضمير للرب سبحانه ﴿بحجارة﴾ فوق العدسة ودون الحمصة، كما في أَكثر الأَخبار، مكتوب على كل حجر اسم مَرميّة، يحمل كلُّ طائر ثلاثةَ أَحجار: واحداً بمنقاره وحجرين برجليه ﴿من سِجّيل﴾ طين مطبوخ ﴿فجعلهم كعَصْف مأْكول﴾ كورق زرع أَكلته الدواب وراثَتْه فيبس وتفرقت أَجزاؤه شبه تفرق أَجزائهم بتفرق أَجزاء الرَّوْث.

الإشارة إلى القصة على وجه الاختصار

كان ذو نُوَاس[1] آخر ملوك اليمن مشركاً، وهو الذي قَتل أَصحابَ الأَخدود، وكانوا

(١) ذو نُواس الحِميري: آخر ملوك حِميَر في اليمن. وهو صاحب الأُخدود المذكور في القرآن الكريم. كان يدين باليهودية، وبلغه أن أهل نجران مقبلون على النصرانية، فسار إليهم وحفر أخاديد وملأها جمراً وجمع أعيان المتنصرين منهم، فعرضهم على النار، فمن رجع إلى اليهودية نجا، ومن أبى هوى. واتفق الرومان والحبشة على قتاله، فزحف النجاشيّ =

نصارى قريباً من عشرين أَلفاً فنجا منهم دَوْس ذو ثلعبان، فذهب فاستغاث بقيصر ملك الروم وكان نصرانياً فكتب له إِلى النجاشي ملك الحبشة لكونه أَقرب إِليهم، فبعث معه أَميرين: أَرياط وأَبرهة بن الصباح أَبا يَكْسوم في جيش كثيف، فدخلوا اليمن فجاسوا خلالَ الديار واستلبوا المُلْك من حِمْير، وهلك ذو نُوَاس غريقاً في البحر.

واستقل الحبشةُ بملك اليمن وعليهم هذان الأَميران أَرْيَاط وأَبْرَهَة، فاختلفا في أَمرهما وتصاوَلا وتقاتلا، وتصَافّا، فقال أَبرهة لأَرياط: إنه لا حاجة بنا إِلى اصطلام الجيش بيننا، ولكن ابرزْ إِليّ وأبرزُ إِليك، فأَيُّنا قتلَ الآخرَ استقل بالمُلْك بعده. فأَجابه إِلى ذلك، فتبارزَا وخلْف كل واحد منهما فتاه، فحملَ أَرياطُ على أَبرهة فضربه بالسيف فشرمَ أَنفه وشق وجهه وحمل عَتودة مَوْلَى أَبرهة على أَرياط فقتله، ورجع أَبرهة جريحاً، فداوى جرحه فبرىء واستقلَّ بملْك الحبشة باليمن.

فكتب إِليه النجاشي يلومه على ما كان منه ويتوعده وحلف لَيطأَنَّ بلاده وليَجُزَّنَّ ناصيته، فأَرسل إِليه أَبرهة يترفَّق له ويصانعه، وبعث مع رسوله بهدايا وتحف وبجراب فيه تراب اليمن، وجزَّ ناصيته وأَرسلها معه ويقول في كتابه: لِيطَأ الملِك على هذا التراب فيبَرَّ قسَمه، وهذه ناصيتي قد بعثت بها إِليك، وأَنا عبدُ الملك.

فلما وصل ذلك إِليه أَعجبه ورضِي عنه وأَقرَّه.

ثم إِن أَبرهة رأَى الناسَ يتجهزون ايامَ الموسم للحج إِلى بيت الله الحرام فسأَل: أَين يذهب الناس؟ فقيل له: يحجون إِلى بيت الله بمكة. قال: ما هو؟ قالوا من حجارة؟ قال: فما كسوته؟ قالوا: ما يأْتي من هاهنا من الوصَائل. قال: والمسيح لأَبْنيَنّ لكم خيراً منه.

فبنى لهم كنيسة هائلة بصنعاء رفيعة البناء مزخرفة الأَرجاء، فسمتها العرب القُلَيْس لارتفاعها لأَن الناظر إِليها، يكاد تسقط قلنسوته عن رأْسه لارتفاع بنائها، ونقل من قصر بلقيس ما تحتاج إِليه، واستذَلَّ أَهلَ اليمن في بنيان هذه الكنيسة، وبناها بالرخام المجزَّع والأَبيض والأَحمر والأَصفر والأَسود، وحلاَّه بالذهب والفضة وفصَل بينهما بالجواهر، وجعل فيها ياقوتة حمراء عظيمة ونصب فيها صُلْباناً من الذهب والفضة ومنابر من العاج والآبنس، وكان يوقد فيها بالمندل ويلطخ جُدرها بالمسْك، وكان حُكمه في العامل إِذا طلعت عليه الشمسُ قبل أَن يأْخذ في عمله أَن يقطع يده، فنام رجل منهم ذات يوم حتى طلعت الشمس فجاءت معه أَمّه

= وكان على النصرانية، بجيش كبير، فقاتله ذو نواس على ساحل البحر الأحمر عند عدن، فكان الظفر للنجاشي، وخاف ذو نواس الأسر فأطلق جواده نحو البحر، فألقى نفسه راكباً فمات غريقاً. قال النويري: وهو آخر من ملك اليمن من قحطان، فجميع ما ملكوا من السنين ثلاثة آلاف سنة واثنتان وثمانون سنة. توفي ١٠٢ق .هـ. الأعلام ٩٢٨/٣.

وهي امرأة عجوز فتضرعت إليه تشفع لابنها وأبى إلا أن يقطع يده، فقالت: اضرب بمِعْولك اليوم لك وغداً لغيرك. فقال: ويحك ما قلت؟ قالت: نعم، صار هذا المُلْك من غيرك إليك، وكذلك يصير إلى غيرك: فأخذته موعظتُها وأعفَى الناسَ من ذلك.

ثم كتب إلى النجاشي: إني قد بنيت لك أيها الملك كنيسة لم يُبْن مثلها لملك قبلك، ولست بِمُنْتهٍ حتى أَصْرف حج العرب إليها. فأمر الناسَ فحجوها، فحجه كثير من قبائل العرب سنين، ومكث فيها رجال يتعبدون ويتألَّهون ونسكوا له.

قال ابن إسحاق رحمه الله تعالى: فلما تحدثت العرب بكتاب أبرهة ذلك إلى النجاشي غضب رجل من النَّسَأَة أحد بني فُقَيْم فخرج إلى القُلَيْس فقعد فيها، يعني أَحْدَث، ثم خرج فلحق بأرضه.

وقال ابن سعد رحمه الله تعالى: وكان نُفَيْل بن حبيب الخَثْعمي يُوَرِّض له ما يكره، فأَمْهَل حتى إذا كان ليلة من الليالي لم ير أحداً يتحرك فقام فجاء بعَذِرة فلطخ بها قِبْلته وجمع جِيَفاً فألقاها فيها.

وقال مقاتِل رحمه الله تعالى: إن فتية من قريش دخلوها فأطلقوا فيها ناراً وكان يوماً فيه هواء شديد فاحترقت وسقطت. انتهى.

فأُخبر بذلك أبرهة فقال: من صنَع هذا: قيل: صنعه رجالٌ من أهل هذا البيت الذي يحجه العرب، يعني أنها ليست لذلك بأهل.

فغضب غضباً شديداً وحلَف لَيسيرنَّ حتى يهدم الكعبة وينقضها حجراً حجراً، وكتب إلى النجاشي يخبره بذلك ويسأله أن يبعث إليه بفيله، وكان له فيل يقال له محمود، وكان فيلاً عظيماً لم يُرَ مثله في الأرض عِظَما وقوة، فبعث به إليه، فأمر الحبشة فتجهَّزت في ستين ألفاً ثم سار نحو أرض مكة.

فلما سمعت العرب ذلك أَعْظموه وفَظِعوا به ورأوا جهاده حقّاً عليهم حين سمعوا أنه يريد هَدْم الكعبة.

فخرج له رجل من أشراف اليمن يقال له ذو نَفْر، فدعا قومَه ومن أطاعه من سائر العرب إلى حرب أبرهة وجهاده عن بيت الله تعالى وما يريد من هدمه وخرابه، فأجابه من أجابه إلى ذلك، ثم عرَض له فقاتله، فهزِم ذو نَفْر وأصحابه وأُخذ له ذو نفر فأُتي به إليه أسيراً، فلما أراد قتله قال له ذو نفر: أيها المِلك لا تقتلني فإنه عسى أن يكون بقائي معك خيراً لك من القتل. فتركه وحبسه عنده في وثاق.

ثم سار أبرهةُ يريد ما خرج له، حتى إذا كان بأرض خَثْعم عرض له نُفَيْل بن حبيب الخَثْعمي في قومه ومن أطاعه من قبائل العرب فقاتله، فهزمه أبرهة وأُخذ له نُفَيل أسيراً فأُتي به،

فلما همَّ بقتله قال له نفيل: أيها الملك لا تقتلني فإني دليلك بأَرض العرب. فخليَّ سبيله.

وخرج أَبرهة يريد مكة، حتى مرّ بالطائف فخرج إليه مسعود بن مُعتّب في رجال من ثَقِيف فقالوا: أَيها الملك إنما نحن عبيدك سامعون لك مطيعون، وليس لك عندنا خلاف وليس بَيْتُنا البيت الذي تريد، يعنون اللات، وهو بيت الطائف كانوا يعظّمونه نحو تعظيم الكعبة، إنما تريد البيت الذي بمكة، ونحن نبعث معك من يدلك عليه. فتجاوزَ عنهم فبعثوا معه أَبا رِغَال يدلّه على الطريق إلى مكة، فخرج أَبرهةُ ومعه أبو رِغَال حتى أَنزله بالمُغَمّس، فلما أَنزله به مات أَبو رغال فرجمت العربُ قبره، فهو القبر الذي يرجم الناس بالمغمّس.

فلما نزل أَبرهة بالمغمّس بعث رجلاً من الحبشة يقال له الأَسود بن مقصود على خَيْل له حتى انتهى إلى مكة فساق أَموالَ تِهَامة من قريش وغيرها، وأَصاب فيها مائتي بعير لعبد المطلب بن هاشم، وهو يومئذ كبير قريش وسيدها فهمت قريش وكنانة وهُذَيْل ومن كان بذلك الحرم بقتاله، ثم عرفوا أَنه لا طاقة لهم بحَرْبه.

وبعث أَبرهةُ حُناطةَ الحِمْيري إلى مكة وقال له: سَلْ عن سيد أَهل البلد وشريفهم، ثم قل له: إن الملِك يقول: إني لم آت لحربكم، إنما جئت لهدم هذا البيت، فإن لم تَعْرضوا دونه بحرب فلا حاجة لي بدمائكم، فإن هو لم يُردْ حَرْبي فأْتني به.

فلما دخل حنَاطة مكة سأَل عن سيد قريش وشريفها، فقيل: عبد المطلب بن هاشم. فجاءه فقال له ما أَمره به أَبرهة، فقال عبد المطلب: والله ما نريد حَرْبه وما لنا بذلك من طاقة، هذا بيتُ الله الحرام وبيتُ خليله إبراهيم ـ صلى الله عليه وسلم ـ فإن يَمْنعه فهو بيته وحَرَمه وإن يخلِّ بينه وبينه فوالله ما عندنا دَفْع عنه. قال حُنَاطة: فانطلقْ إليه فإنه قد أَمرني أَن آتيه بك. فانطلق معه عبد المطلب ومعه بعض بنيه حتى أَتى العسكر فسأَل عن ذي نَفْر وكان صديقاً له، فدخل عليه وهو في مجلسه فقال له: يا ذا نفر هل عندك غَنَاء من شيء مما نزل بنا؟ فقال له ذو نفر: ما غناء رجل أَسير بيد ملِك ينتظر قتله غدّواً وعشياً، والله ما عندي غناء من شيء مما نزل بكم إلا أَن أُنَيْساً سائس الفيل صديق لي فأرسل إليه فأُوصيه بك وأعظّم عليه حقَّك وأَسأَله أَن يستأذن لك على الملك فتكلِّمه بما بدا لك ويشفع لك عنده بخير إن قدر عليه. فقال: حسبي.

فبعث ذو نَفْر إلى أُنَيْس فجاء فقال: هذا عبد المطلب سيد قريش وصاحب عَيْن مكة، يطعم الناسَ بالسَّهْل والوحوش في رؤوس الجبال، قد أَصاب الملكُ له مائتي بعير، فاستأْذِن له عليه وانفعه عنده بما استطعتَ. قال: أَفعل.

فكلّم أُنَيْس أَبرهة فقال: أَيها الملِك هذا سيد قريش ببابك يستأْذن عليك، وهو صاحب عَيْن مكة، يُطْعم الناسَ بالسهلِ والوحوش في رؤوس الجبال فائذن له عليك فليكلمك في

حاجته. فأَذِن له أبرهة.

وكان عبد المطَّلب أَوسمَ الناس وأَجْملهم وأَعظمهم، فلما رآه أَبرهة أَجلَّه وأَكرمه عن أَن يجلسه تحته وكره أَن تراه الحبشة يجلسه معه على سريره، فجلس على بُساطه وأَجلس عبدَ المطلب معه إلى جنبه.

وفي «الدرّ المنظَّم» أَن عبد المطلب لما دخل على أَبرهة سجد له فيلٌ من الفيلة، وكان لا يسجد لأَبرهة كغيره من الفيلة، فتعجب أَبرهةُ من ذلك ودعا بالسحرة والكهان فسأَلهم عن ذلك فقالوا: إنه لم يسجد له وإنما سجد للنور الذي بين عينيه. انتهى.

ثم قال لترجمانه: قل له ما حاجتك؟ ففعل الترجمان، قال: حاجتي أَن يردّ عليّ الملكُ مائتي بَعير أَصابها لي. فلما قال له ذلك قال أَبرهة لترجمانه: قل له: قد كنتَ أَعجبتني حين رأَيتك ثم قد زهدتُ فيك حين كلَّمتني في مائتي بعير أَصبتها لك وتترك بيتاً هو دِينك ودين آبائك جئتُ لهدمه لا تكلّمني فيه؟!.

قال عبد المطلب: أَنا ربُّ الإِبل وإِن للبيت ربّاً سيمنعه. قال: ما كان ليمتنع منيّ. قال: أَنت وذاك.

قال ابن السائب ومقاتِل رحمهما الله تعالى: ثم إِنَّ عبد المطلب عرَض على أَبرهة أَموال تهامة ويرجع عن خراب البيت، فأَبى وردّ أَبرهةُ على عبد المطلب الإِبل التي أَصاب فقلَّدها وأَشعرها وجلَّلها وجعلها هَدْياً للبيت وبثَّها في الحرام، فعمد القوم إِليها فحملوا عليها وعقروا بعضَها، فدعا عليهم عبد المطلب.

قال مقاتل: فقال عبد المطلب:

لا هُـمَّ أَخْـز الأَسـودَ بـنَ مَـقْـصـودْ ... الآخِـذَ الـهَـجْـمَـة بـعْـد الـتَّـقـلـيـدْ
فَـتـلَّـهـا إِلـىَ طَـمَـاطِـمَ سِـودْ ... بـيـن ثَـبـيـرٍ وحِـرَا والـبِـيـدْ
والـمَـرْوَتَـيْـن والـمَـسَـاعِـي الـسُّـودْ ... يُـهَـدِّم الـبـيـتَ الـحـرام الـمـقـصـودْ
قـد أَجْـمـعـوا أَنْ لاَ يـكـونُ لَـكَ عِـيـدْ ... أَخْـفِـرْهُـمْ ربِّـي وأَنْـتَ الـمـحـمـودْ[١]

وذكر ابن إِسحاق ـ رحمه الله تعالى ـ نحوها لعكرمة بن عامر وهو من مُسْلمة الفتح. فالله تعالى أَعلم.

---

(١) انظر الروض الأنف ١/٧٠، ورواية الأبيات هناك هكذا:

لا هـم أخـز الأسـود بـن مـقـصـود ... الآخـذ الـهـجـمـة فـيـهـا الـتـقـلـيـد
بـيـن حـراء وثـبـيـر فـالـبـيـد ... يـحـبـسـهـا وهـي أولات الـتـطـريـد
فـضـمـهـا إلـى طـمـاطـم سـود ... أخـفـره يـا رب وأنـت مـحـمـود

ثم انصرف عبدُ المطلب إلى قريش فأَخبرهم الخبر وأَمرهم بالخروج من مكة والتحرّز في شعف الجبال والشِّعاب خوفاً عليهم من مَعَرّة الجيش.

ثم قام عبد المطلب فأَخذ بحَلْقة باب الكعبة ومعه نفر من قريش يدعون الله تعالى ويستنصرونه على أَبرهة وجنده، فقال عبد المطلب:

لا هُـمَّ إنّ الـمـرء يَمـ ـنَعُ رَحْلـه فـامْـنَـع حِـلالَـك
لا يَـغْـلـبَنّ صَـلِـيـبُـهُـم ومِـحَـالـهـم عَـدْواً مِـحَـالَـكْ
انـصُـرْ عَـلَـىَ آلِ الـصَّـلِـيـ ـب وعَـابِـديـهِ الـيَـوْمَ آلَـكْ
إنْ كـنـتَ تـارِكَـهُـم وكَـعْـ ـبَـتَنا فـأمـرٌ مـا بـدالَـكْ[1]

وعند البيهقي رحمه الله تعالى أَن عبد المطلب قام يدعو على الحبشة فقال:

يـا ربِّ لاَ أَرجـوُ لـهـم سِـوَاكَـا يـا ربِّ فـامْـنَـعْ مِـنْـهُـمْ حِـمَـاكَـا
امـنَـعْـهُـمُ أَنْ يُـخْـرِبـوا قُـرَاكَـا إنَّ عَـدوَّ الـبـيـتِ مَـنْ عَـادَاكَـا

قال ابن إسحاق ـ رحمه الله تعالى ـ: ثم إن عبد المطلب انطلق هو ومن معه من قريش إلى شَغَف الجبال فتحرّزوا فيها ينظرون ما أَبرهة فاعلٌ بمكة إذا دخلها.

وذكر مقاتل ـ رحمه الله تعالى ـ أَن عبد المطلب لم يخرج معهم بل أَقام بمكة وقال: لا أَبْرح حتى يقضي الله تعالى قضاءه. ثم صعد هو وأبو مسعود الثقفي على مكان عال لينظر ما يفعله أَبرهة.

فلما أَصبح أَبرهة تهيأَ لدخول مكة وهيأَ فيله وعبّأَ جيشه.

قال ابن جرير ـ رحمه الله تعالى ـ: ويقال كان معه ثلاثة عشر فيلاً هلكت كلها.

ونقل الماورديّ عن الأَكثرين أَنه لم يكن معهم إلا فيل واحد اسمه محمود. وعن الضحاك كان معه ثمانية أَفيلة.

وأَبرهة مُجْمع لهَدْم البيت. زاد مقاتل: وجعل الفيل مُقَابل الكعبة ليعظِّم ويعبد كتعظيم الكعبة. وقال غيره: بل ليجعل السلاسل في أَركان الكعبة وتوضع في عنق الفيل ثم يُزْجر ليُلْقِي الحائطَ جملةً واحدة.

فلما وجَّهوا الفيل نحو الكعبة أَقبل نُفيْل بن حَبيب فأَخذ بأُذنه وقال: يا محمود أَنت بحرَم الله. ثم خرج نُفَيْل يشتدّ حتى أَصْعَد في الجبل فبرَك الفيل فضربوه بالطَّبَرْزين ليقوم فأَبى فأَدخلوا مَحَاجِنَ لهم في مراقّه فبزَغوه بها ليقوم فأَبى، فوجَّهوه جهة اليمن فقام يُهَرْول،

---

(١) انظر الروض الأنف ٧٠/١، ورواية البيت الثالث:
وقبلتنا بدل كعبتنا وهي رواية ابن كثير أيضاً. انظر البداية والنهاية ١٧٣/٢، ورواية البيت الأول في البداية والنهاية فامنع رحالك.

ووجَّهوه نحو الشام ففعل مثلَ ذلك، ووجهوه نحو المشرق ففعل مثل ذلك، ووجهوه إِلى جهة مكة فبرك وأَلقى جِرَانه إِلى الأَرض وجعل يعجُّ عَجّاً.

وفي رواية يونس بن بُكَيْر[١] عن ابن إِسحاق أَن الفيل لما ربَض جعلوا يُقْسمون له بالله أَنهم رادُّوه إِلى اليمن فيحرك لهم أُذنيه ـ كأَنه يأَخذ عليهم بذلك عهداً ـ فإِذا أَقسموا عليه قام يهرول فيردّوه إِلى مكة فيربض، فيحلفون له فيحرك أُذنيه كالمؤكد عليهم القسم، ففعلوا ذلك مراراً.

وفي معاني القرآن للزَّجاج أَن دوابَّهم لم تَسِر نحو البيت، فإِذا عطَفوها راجعين سارت، فوعظهم الله تعالى بأَبلغ موعظة.

فأَقاموا على قَصْد أَن يخربوا البيت فلم يزالوا يعالجون الفيل حتى غَشِيهم الليل.

وفي رواية يونس عن ابن إِسحاق أَنهم استشعروا العذاب في تلك الليلة، لأَنهم نظروا إِلى النجوم كالحةً إِليهم تكاد تكلمهم من اقترابها منهم، فلما كان السَّحَر أَرسل الله الطير الأَبابيل من البحر أَمثال الخَطَاطيف مع كل طير منها ثلاثة أَحجار يحملها، حجرٌ في منقاره وحجران في رجليه أَمثال العدس والحمص، ثم جاءت حتى صفَّت على رؤوسهم، فلما رأَوها أَشفقوا منها وسُقِط في أَيديهم، فصاحت وأَلقت ما في أَرجلها ومناقيرها، فما من حجرَ وقع على جنب رجل إِلا خرج من الجنب الآخر، وإِن وقع على رأَسه خرج من دُبْره ولا تصيب شيئاً إِلا هشمتْه وإِلا سقط ذلك الموضع. فكان أَول ما رُئي الجُدري والحَصْبة، وبعث الله تعالى ريحاً شديدة فضربت بأَرجلها فزادتها قوة.

وروى أَبو نُعَيْم عن عطاء بن يَسار رحمه الله تعالى قال: حدثني من كلَّم قائد الفيل وسائسه قال: إِنهما أَخبراني خبر الفيل قالا: أَقبلنا ومعنا فيل الملِك الأَكبر لم يسرْ به قط إِلى جَمْع إِلاَّ هزمهم، فلما دنونا من الحَرم جعلنا كلما نوجهه إِلى الحرم يرْبض، فتارة نضربه فيهبط وتارة نضربه حتى نملّ ثم نتركه. فلما بلغ المغَمَّس ربض فلم يقم فطلع العذاب، فقلت: نجا غيركما؟ نعم ليس كلهم أَصابهم العذاب.

وولَّى أَبرهة ومن تبعه يريد بلاده، فكلما دخل أَرضاً وقع منه عضو حتى انتهى إِلى بلاد خثعم وليس عليه غير رأَسه فمات. وأَفلت وزيره وطائره يتبعه حتى وصل إِلى النجاشي فأَخبره بما جرى للقوم، فلما فرغ رماه الطير بحجره فمات بين يدي الملك.

وروى سعيد بن منصور عن عِكْرمة رحمه الله تعالى أَن رؤوس هذه الطيور مثل رؤوس

---

(١) يونس بن بكير بن واصل الشيباني، أبو بكر الجمّال الكوفي، يخطئ، من التاسعة، مات سنة تسع وتسعين. التقريب ٣٨٤/٢.

السِّباع لم تُرَ قبل ذلك ولا بعده، فأَثرت في جلودهم فإِنه لأَول ما رئي الجدري.

وروي أَيضاً عن عُبَيْد بن عُمَيْر[١] رحمه الله تعالى أَنها كالخطاطيف بُلْق.

وروى عَبْد بن حُمَيْد وابن المنذِر عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: دعا الله تعالى الطيرَ الأَبَابيل فأَعطاها حجارة سوداً عليها الطين، فلما حاذتهم صفَّت عليهم ثم رمتهم، فما بقي منهم أَحد إِلا أَخذته الحِكَّة فكان لا يحك إِنسان منهم جِلْده إِلا تساقط لحمه.

وروى الفِرْيابيّ[٢] وعبد بن حميد وابن أَبي حاتم عن عُبَيْد بن عمير رحمه الله تعالى أَنها خرجت من قِبَلَ البحر كأَنها رجال الهند معها حجارة أَمثال الإِبل البوارك، وأَصغرها مثل رؤوس الرجال، لا تريد أَحداً منهم إِلا أَصابته ولا أَصابته إِلا قتلته. والأَبابيل: المتتابعة.

وروى أَبو نُعَيْم عن نوفل بن معاوية الدِّيلي[٣] رضي الله تعالى عنه قال: رأَيت الحصى التي رُمي بِهَا أَصحاب الفيل، حصى مثل الحمص وأَكبر من العدس حُمْر مختمة كأَنها جَزْع ظَفَار.

وروي أَيضاً عن حكيم بن حزام رضي الله تعالى عنه قال: كانت في المقدار بين الحمصة والعدسة حصى به نضح أَحمر مُخَتَّم كالجَزْع.

وروى ابن إِسحاق والواقدي وأَبو نُعَيْم والبيهقي عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: لقد رأَيت قائدَ الفيل وسائسه أَعميَيْن مُقْعَدين يستطعمان الناسَ.

وروى أَبو نعيم وابن مردويه عن أَبي صالح رحمه الله تعالى أَنه رأَى عند أُم هانىء بنت أَبي لهب من تلك الحجارة نحواً من قَفِيز مخطَّطة كأَنها جَزْع ظَفَار مكتوب في الحجر اسمه واسم أَبيه.

قال ابن إِسحاق رحمه الله تعالى: وليس كلهم أُصيب. وخرجوا هاربين يبتدرون الطريقَ الذي جاؤوا منه يسأَلون عن نُفَيْل بن حبيب ليدلَّهم على الطريق، فقال نُفَيل بن حبيب في ذلك:

أَيـن الـمـفَـرُّ والإِلـهُ الـغـالِـبُ والأَشْرمُ المغْلُوبُ لَيْسَ الْغَالِبُ

---

(١) عُبيد بن عُمير بن قتادة اللّيثي أبو عاصم المكي القاصّ مُخَضْرَم. عن أُبَيّ وعمر وعلي وعائشة وأبي موسى. وعنه ابنه عبيد الله وابن أبي مُلَيْكة ومجاهد وعطاء وعمرو بن دينار. قال ثابت: أول من قص عُبيد بن عُمير. وثقه أبو زرعة. قيل: توفي سنة أربع وستين. الخلاصة ٢٠٣/٢.

(٢) محمد بن يوسف بن واقد الضبي بالولاء، التركي الأصل، أبو عبد الله الفريابي: عالم بالحديث. من الحفاظ أخذ بالكوفة عن سفيان، وقرئ عليه بمكة، ونزل قيسارية وتوفي بها. روى عنه البخاري ٢٦ حديثاً. وله «مسند» في الحديث. توفي سنة ٢١٢هـ. الأعلام ١٤٧/٧، ١٤٨.

(٣) نوفل بن معاوية بن عروة (أو عمرو) الديلي الكناني: معمر، من الصحابة. له أحاديث. شهد بدراً والخندق مع المشركين، وكان له ذكر ونكاية. ثم أسلم وشهد الفتح وحنيناً والطائف. ونزل المدينة، ومات بها، في خلافة معاوية، أو أيام يزيد. قيل: عاش ستين سنة في الجاهلية ومثلها في الإسلام. توفي سنة ٦٠هـ. الأعلام ٥٥/٨.

وخرجوا يتساقطون بكل طريق ويَهلكون على كل مَنْهل.

وأُصيب أَبرهة في جسده وخرجوا به معهم يَسْقط منه أنملة أنملة، كلما سقطت أنملة أتبعتها مِدّة ودم وقيح حتى قَدِموا به صنعاء وهو مثل فرخ الطائر فما مات حتى انصدع قلبه.

ولما أَصبح عبدُ المطلب أَشرف ومعه أَبو مسعود يقوده. فقال له أَبو مسعود: انظر نحو البحر. قال: أَرى طيراً بيضا. فقال: ارمقها ببصرك أَين قَرارها؟ قال: قد دارت فوق رؤوسنا. قال: هل تعرفها؟ قال: لا. قال: ما هي بنَجْدية ولا تِهَامية ولا يَمَانية ولا شامِيّة وإنها لَطير بأَرضنا غير مُؤْنسة. قال: ما قَدْرها؟ قال: أَمثال اليَعَاسيب في مَنَاقيرها الحصى كحصى الخَذْف وهي أَبابيل يَتْبع بعضها بعضاً، أَمام كل رفّة منها طائر يقودها أَحمر المنقار أَسود الرأْس طويل العُنق، حتى إذا جازت عسكرَ القوم ركدت فوق رؤوسهم. فقال أَبو مسعود: لأَمرٍ ما هو كائن.

ثم إن عبد المطلب أَرسل ابناً له على فرس له سريع لينظر ما جرى للقوم فذهب الفرسُ نحوهم فرآهم مشدّخين جميعاً فرجع يرفع فرسه كاشفاً عن فخذه فلما رأَى ذلك عبدُ المطلب قال: إنَّ ابني لأَفرس العرب وما كشف عن عورته إلا بَشِيراً أَو نذيراً. فلما دنا منهما قالا له: ما وراءك؟ قال: هلكوا جميعاً. فانحطّا من الجبل ربوة أَو ربوتين فلم يُؤْنسا أَحداً، فلما دَنيا من المعسكر وجَدا القومَ خامدين، فعمد عبد المطلب وأَخذ فأساً وحفر حتى أَعمق في الأَرض وملأَ من الذهب والجوهر وحفر أَيضاً لصاحبه حَفيرة وملأَها كذلك، وجلس كل واحد على حفرته، ونادى عبد المطلب في الناس فتراجعوا وأَصابوا من ذلك ما ضاقوا به ذرعاً.

وازداد عبد المطلب عِظَماً لعدم خروجه من مكة.

وأَرسل الله سبحانه وتعالى سَيلاً عظيماً فاحتمل جثث الحبشة فأَلقاهم في البحر.

* * *

ولما أَهلك الله تعالى الحبشة عظَّمت العربُ قريشاً وقالوا: أَهلُ الله تعالى، قاتَل عنهم وكفاهم مُؤْنَة عدوِّهم وقالوا في ذلك أَشعاراً كثيرة، منها قول عبد المطلب كما ذكره البلاذري[1] ورجح الزبير أَنها لمغيرة:

قـلـتُ والأَشْـرَمُ يَـرْدِي خَـيْـلَـهُ   إنَّ ذَا الأَشْـرمَ غِـرٌّ بـالـحَـرَمْ

رامَـهُ تُـبَّـعُ فِـيـمَـن جَـمَّـعـت   حِـمْـيَـرٌ والـحـيُّ مـن آل قَـدَمْ

---

(١) أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البلاذري: مؤرخ، جغرافي، نسابة، له شعر. من أهل بغداد. جالس المتوكل العباسي، ومات في أيام المعتمد، وله في المأمون مدائح. وكان يجيد الفارسية وترجم عنها كتاب «عهد أزدشير» وأصيب في آخر عمره بذهول شبيه بالجنون فشد بالبيمارستان إلى أن توفي. نسبته إلى حب البلاذر قيل: إنه أكل منه فكان سبب علته. من كتبه «فتوح البلدان» و «القرابة وتاريخ الأشراف»، ويسمى «أنساب الأشراف». توفي سنة ٢٧٩هـ. الأعلام ٢٦٧/١.

فـانـثـنـى عَـنْـهُ وفـي أَوْدَاجِـهِ   جَـارِضٌ أَمْسَـكَ مـنـه بـالـكَـظَـمْ[1]
نـحـنُ آلُ الـلـهِ فـي بَـلْـدَتِـهِ   لـم نَـزلْ فـيـهـا عـلـى عَـهْـدِ إِبْـرَهَـمْ

أَشار عبد المطلب إلى قصة تُبَّع، وخلاصتها ـ كما ذكر ابن إسحاق رحمه الله تعالى وغيره: أَن تُبَّعا لما توجه راجعاً لبلاده أَتاه نفر من هُذَيل بن مدركة بن الياس بن مضر فقالوا له: أيها الملك أَلاَ ندلك على بيت مال داثر أَغفلته الملوكُ قبلك، فيه اللؤلؤ والزبرجد والياقوت والذهب والفضة؟ قال: بلى. قالوا: بيتٌ بمكة. وإنما أَراد الهُذَليون هلاكه بذلك، لِمَا عرفوا من هلاك من أَراده بسوء وبغى عنده. فراح تُبَّع وهو مُجْمع لهدم البيت فبعث الله تعالى عليهم ريحاً فعقفت يديه ورجليه وشنجت جسده، فأَرسل إلى من كان معه من يهود فقال: ويحكم ما هذا الذي أَصابني. فقالوا: أَحْدَثْت شيئاً. فقال: ما أَحدثت؟ فقالوا: حدّثتَ نفسك بشيء. قال: نعم. فذكر ما أَجمع عليه من هدم البيت وإصابة ما فيه. قالوا: ذاك بيت الله الحرام ومن أَراده هلك. قال: ويحكم وما المخرج مما دخلتُ فيه؟ قالوا: تحدِّث نفسك أَن تطوف به وتكسوه وتعظمه. فحدَّث نفسه بذلك فأَطلقه الله تعالى، فسار حتى دخل مكة فطافه وسعى بين الصفا والمروَة وحلق رأْسه، وأَقام بمكة ستة أَيام ينحر فيها للناس ويطعم أَهلها ويسقيهم العسل. وأُري في المنام أن يكسوه فكساه الخصف، ثم أُرِي أَن يكسوه أَحسن من ذلك فكساه المعَافِر، ثم أُري أَن يكسوه أَحسن من ذلك فكساه المُلاَء والوصَائل. وذكر القصة.

تـنـبـيـهـات

الأَول: أَكثر الآثار على أَن الحجارة كانت أَكبر من العدسة ودون الحمصة، وفي بعضها أَنها كانت أَكبر من ذلك، فكأَنها والله تعالى أَعلم كان فيها الكبير والصغير، فحدَّث كلُّ راءٍ بما رأَى أَو سمع.

الثاني: إن قيل: قد وقع في زمن يزيد بن معاوية لما أَرسل الحُصيْن بن نمير السَّكُونيّ[2] فنصب المنجنيق على أَبي قُبَيْس وغيره من جبال الكعبة ورمى الكعبة وكسر الحجرَ الأَسود واحترقت الكعبة حتى انهدم جدارها وسقط سقفها، إلى غير ذلك.

فالجواب: إنما لم يمنعوا لأَن الدعوة قد تمت والكلمة قد بلغَت والحُجّة قد ثبتت فأَخَّر

---

(١) الكَظْمُ: مخرج النفس من الحلق يقال: أخذ بكَظْمِهِ جمعه أكظام وكظامٌ، المعجم الوسيط ٧٩٠/٢.

(٢) الحصين بن نمير بن نائل، أبو عبد الرحمن الكنديّ ثم السكوني: قائد، من القساة الأشدّاء، المقدمين في العصر الأموي. من أهل حمص. وهو الذي حاصر عبد الله بن الزبير بمكة ورمى الكعبة بالمنجنيق. وكان في آخر أمره على ميمنة عبيد الله بن زياد في حربه مع إبراهيم بن الأشتر، فقتل مع ابن زياد على مقربة من الموصل. توفي سنة ٦٧هـ. الأعلام ٢٦٢/٢.

الله تعالى أَمرهم إِلى الدار الآخرة، وقد أَخبر ﷺ بوقوع الفتن وأَن الكعبة ستهدم[١].

الثالث: في شرح غريب ما تقدم: أَبْرَهة بفتح أَوله وسكون ثانيه وفتح الهاء. يَكْسُوم بمثناة تحتية وسين مهملة. الوصَائل: ثياب حُمْر مخططة يمانية. القُلَّيْس بقاف مضمومة ولام مشددة مفتوحة بعدها مثناة تحتية ساكنة فسين مهملة على وزن جُمَّيْز ذكره الفارَابِيّ في ديوانه. ووجد بخط القسطلي: بضم القاف وفتح اللام المخففة، وفي موضع آخر بفتح القاف وكسر اللام، سمي بذلك لارتفاعه وعلوّ بنائه، ومنه القَلاَنس لأَنها في أَعلى الرأْس، ويقال: تَقَلْنَس الرجل، وتقلَّس إِذا لبس القلنسوة.

وجَشَّمهم بجيم فشين معجمة: كلفهم مالا يطيقون: الرخام المجذَّع: هو الذي حُكَّ بعضه على بعض حتى ابيض الموضع المحكوك منه وبقي الباقي على لونه تشبيهاً بالجَذْع وهو بفتح الجيم وسكون الذال: العاج الذَّبْل بذال معجمة وزان فلْس، وقيل هو شيء يتخذ من ظهر السلحفاة البحرية، والعاج أَيضاً: عظم الفيل، الأَبُنس بحذف الواو لغة في الأَبنوس بضم الباء: خشب معروف يجلب من الهند، وهو معرب واسمه بالعربية: بَأْسَم بالهمز وزن جعفر.

المِعْوَل بالكسر: الفأَس الذي يكسر به الحجارة. يتأَلَّهون: يتعبدون. نَسكُوا له: تقربوا بالذبائح له. النَّسَأَة بالهمز، جمع ناسىء مثل فاسق وفسقة: والنسيء مصدر نسَأَة إِذا أَخرَّه. كانوا يؤخرون حُرْمة شهر إِلى آخر، قال الله تعالى: ﴿**إِنما النسيءُ زِيَادةٌ في الكُفْر**﴾.

فُقَيْم بفاء مضمومة فقاف مفتوحة فمثناة تحتية: حيّ من كِنَانة والنسبة إِليه فَقَمي، وهم نَسَأَة الشهور. الخَثْمي بخاء معجمة مفتوحة فثاء مثلثة ساكنة فعين مهملة، نسبة إِلى خثعم بن أَنمار. يُوَرِّضُ له: أَي ينوي له مايكره: فَظِعوا بفاء فظاء معجمة يقال: فظع بالأَمر فظاعة فهو فظيع أَي شديد شنيع جاوز المقدار.

ذو: نَفْر بالنون والفاء والراء. أَبو رِغَال بكسر الراء وتخفيف الغين، سمي باسم الجد الأَعلى لثقيف. المغَمِّس بضم الميم وفتح الغين المعجمة بعدها ميم مشددة مكسورة فسين مهملة: موضع في طرف الحرم، ذكره البَكْري ثم أَورد شعراً لابن أَبي ربيعة[٢] في ذكر المغمِّس وقال هكذا رواه أَبو علي بفتح الميم ورواه أَبو علي عن أَبي بكر بن دُرَيْد[٣] في شعر المؤرّق الهُذَلي بالكسر.

---

(١) أخرجه البخاري ٥٣٨/٣ (١٥٩٦) ومسلم ٢٢٣٢/٤ (٥٨- ٢٩٠٩) وقد مرّ.

(٢) عمرو بن أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان من بكر بن وائل، من عدنان كان يعرف بالمزدلف لقب بذلك لقوله يخاطب قومه يوم التحاليق «يا بني بكر ازدلفوا مقدار رميتي برمحي هذا» وهو أبو «حارثة» الملقب بذي التاج قال ابن حزم: كان حارثة على بني بكر يوم أوارة، إذ قتلوا المنذر بن ماء السماء. الأعلام ٧٧/٥، وجمهرة الأنساب ٣٠٤.

(٣) محمد بن الحسن بن دريد الأزدي من أزد عمان من قحطان، أبو بكر: من أئمة اللغة والأدب. كانوا يقولون: ابن دريد أشعر العلماء وأعلم الشعراء. وهو صاحب «المقصورة الدريدية». ولد في البصرة، وانتقل إلى عُمان فأقام اثني عشر عاماً، وعاد إلى البصرة. ثم رحل إلى نواحي فارس، فقلده «آل ميكال» ديوان فارس، ومدحهم بقصيدته «المقصورة» ثم =

ابن مَقْصود بفاء: فصاد مهملة. تِهَامة: بكسر التاء: كل ما انخفض من أَرض نجد، سميت بذلك لتغير هوائها من قولهم: تَهِم الدهن إِذا تغيرت رائحته. هُذَيْل بضم الهاء وفتح الذال المعجمة بعدها مثناة تحتية فلام.

حُنَاطة: بحاء مهملة مضمومة ونون وطاء مهملة. أُنَيس بضم الهمزة وفتح النون وسكون المثناة التحتية. سائس الفيل: أَي خادمه.

أَوسَم الناس: أَجملهم، من الوسامة وهي الجمَال. وأَجمله: قال السهيلي: هذا الكلام حكاه سيبويه عن العرب، ووجهه عندهم أَنه محمول على المعنى، كأَنك قلت: أَحسن رجل وأَجمله، فأَفردَ الاسم المضمَر التفاتاً إِلى هذا المعنى، وهو عندي محمول على الجنس كأَنه حين ذكر الناس قال: هو أَجْمل الجنس، وإِنما عدَلْنا عن ذلك التقدير الأَول لأَن في الحديث الصحيح: **«خيرُ نساءٍ رَكِبْنَ الإِبلَ صَوَالِح قُريش أَحْنَاه على ولد في صِغره وأَرْعاه على زوجٍ في ذات يد»** ولا يستقيم هاهنا حَمْله على الإِفراد، لأَن المفرد ها هنا امرأَة، فلو نظر إِلى واحد النساء لقال أَحناها على ولد، فإِذن التقدير: أَحْنى هذا الجنس الذي هو النساء أَو هذا الصنف. ونحو هذا.

لترجمانه: بفتح التاء وضمِّها بعضهم، وهو من يفسر لغةً بلغة.

قلَّدها: علَّق في أَعناقها قطعة من جلد لِيُعْلَم أَنها هَدْي فيكفَّ الناسُ عنها. أَشعرها: حزَّز أَسمنتها حتى يسيل الدم فيعلم أَنها هدْي. بثَّها: فرَّقها.

لاهُمَّ: أَصله اللَّهم، والعرب تحذف الأَلف واللام وتكتفي بما بقي، وكذلك تقول لاه أَبوك تريد: لله أَبوك، وهذا لكثرة دَوْر هذا الاسم على الأَلسنة.

الهَجْمة بفتح الهاء وسكون الجيم. قال السُّهيلي: وهي ما بين التسعين إِلى المائة من الإِبل، والمائة منها هُنَيْدة والمائتان هند. وقال بعضهم والثلاثمائة أُمامة. وقال الخُشَنى: هي القطعة من الإِبل. وقال بعضهم: هي ما بين الخمسين إِلى الستين.

وفيها التقليد: أَي في أَعناقها قلائد.

حراء بكسر الحاء المهملة: يُمّد، ويُقْصر، ويذكَّر فيُصْرَف، ويؤنث فيمنع.

= رجع إلى بغداد، واتصل بالمقتدر العباسي فأجرى عليه في كل شهر خمسين ديناراً، فأقام إلى أن توفي. ومن كتبه «الاشتقاق» في الأنساب، و «المقصور والممدود» و «شرحه» و «الجمهرة» في اللغة. توفي سنة ٣٢١هـ. الأعلام ٨٠/٦.

ثَبِير: بثاء مثلثة فباء موحدة مكسورة فمثناة تحتية. وهما جبلان بمكة.

البِيد: بباء موحدة فمثناة تحتية جمع بيداء وهي القَفْر.

الطَّماطِم: العُلوج يقال لكل أعجمي: طِمْطِم بكسر الطاءين. وطُمْطُماني بضمهما.

أَخفِرْهم: بالخاء المعجمة والفاء، أَي انْقُضْ عَزْمهم وعهدهم ولا تُؤَمِّنهمْ، يقال: أَخْفَرت الرجلَ إذا نقضت عهده. وخفَرْتُه إذا أَجَرْتُه، فينبغي أَن لا يضبط هذا إلا بقطع الهمزة وفتحها لئلا يصير الدعاء عليه دعاء له. ويروى احْفز بالحاء المهملة أَي اجعله متحفزاً يريد خائفاً وَجلاً.

شَعَف الجبال بشين معجمة فعين مهملة مفتوحة: رؤوسها. الواحدة شَعَفة. الشِّعاب: جمع شِعْب بالكسر: الطريق في الجبل.

معَرّة: الجيش شدته. الرَّحْل بفتح الراء وسكون الحاء المهملة: مأَوى الشخص في الحضَر ثم أُطلق على أَمتعة المسافر لأَنها هناك مأَواه.

حِلالك: قال: الخُشَني: بكسر الحاء المهملة جمع حلة وهي جماعة البيوت. وقال السُّهيلي: الحِلاَل في هذا البيت: القوم الحُلول في المكان. والحلاَل مَرْكَب من مراكب النساء: والحلال أَيضاً: متاع البيت. وجائز أَن يستعيره هنا.

المِحَال: بكسر الميم: القوة والشدة.

غَدْوا: بالغين المعجمة قال في النهاية: أَصل الغَدْو: هو اليوم الذي يأْتي بعد يومك فحذفت لامه ولم يستعمل تاماً إلا في الشعر. ومنه قول ذي الرُّمة[1]:

وما النـاسُ إلا بالـديارِ وأَهلُـها بـهـا يَوْمَ حَلُّوها وغَدْواً بَلاَقِعُ

قال: ولم يُرِدْ عبد المطلب الغدَ بعينه، وإنما أَراد تقريب الزمان.

فأَمرٌ ما بدَالك: ما زائدة مؤكدة أَو موصولة أَي الذي بدَالك من المصلحة في تركهم قال الطيبي رحمه الله تعالى.

(١) غيلان بن عقبة بن نهيس بن مسعود العدوي، من مضر، أبو الحارث، ذو الرمة: شاعر، من فحول الطبقة الثانية في عصره. قال أبو عمرو بن العلاء: فتح الشعر بامرئ القيس وختم بذي الرمة. وكان شديد القصر، دميماً، يضرب لونه إلى السواد. أكثر شعره تشبيب وبكاء أطلال، يذهب في ذلك مذهب الجاهليين. وكان مقيماً بالبادية، يحضر إلى اليمامة والبصرة كثيراً. وامتاز بإجادة التشبيه. قال جرير: لو خرس ذو الرمة بعد قصيدته: «ما بال عينك منها الماء ينسكب» لكان أشعر الناس. وقال الأصمعي: لو أدركت ذا الرمة لأشرت عليه أن يدع كثيراً من شعره، فكان ذلك خيراً له. وعشـق «مية» المنقرية واشتهر بهـا. لـه «ديوان شعر». توفي سنة ١١٧هـ بأصبهان، وقيل: بالبادية. الأعلام ١٢٤/٥.

عبَّى جيشه: يقال: عبَّيْت الجيشَ بغير همز، وعبأت المتاع: بالهمز. وحكى: عبَّأْت الجيشَ بالهمز. وهو قليل. قاله السهيلي قال في الزَّهْر: وفيه نظر، لأن ثعلباً حكى في باب ما يهمز من الفعل في فصيحه عن أَبي زيد[1] وابن الأَعرابي[2]: هما مهموزان يعني الجيش والمتاع سوَّى بينهما. قال ابن فارس: وهو الاختيار. وبسَط في الزَّهْر الكلام على أَنهما سواء.

محمود: قال الخُشَني يقال: إن هذا الإسم كان علَماً لهذا الفيل خاصة. وقيل: بل هو علم للجنس كله، كما يقال للأَسد أسامة.

أَصْعَد في الجبل: علا.

الطَّبَرْزِين: بفتح الطاء المهملة وقيّد أَبو بَحر الباء بالسُّكون، والبَكْري بالفتح: آله مُعوجة من حديد.

مَحَاجن: جمع مِحْجَن، وهي عصا معوجة وقد يجعل في طرفها حديد.

مَرَاقُّه: أَسفل بطنه. بزَّغُوه: بفتح الباء الموحدة والزاي المشددة بعدها عين معجمة أَي شرَطوه بالحديد الذي في تلك المحاجن.

يُهَرْوِل: يسرع.

بَرك: ورد برُوك الفيل في عدة آثار. وقول السُّهيلي: إنه لا يَبْرك ليس بشيء وقد شوهد في زماننا. قيل: عصى على سائِسه وبرك.

جِرَانه ـ بكسر الجيم ـ مقدَّم عنقه من مَذْبَحه إِلى منحره. والجمع جُرُن. وأَجْرنة، مثل حِمَار وحُمُر وأَحْمِرة.

يعجّ: يرفع صوته.

الحِمَّص: بكسر الحاء المهملة وتفتح.

---

(١) سعيد بن أوس بن ثابت الأنصاري: أحد أئمة الأدب واللغة. من أهل البصرة. ووفاته بها. كان يرى رأي القدرية. وهو من ثقات اللغويين، قال ابن الأنباري: كان سيبويه إذا قال «سمعت الثقة» عنى أبا زيد. من تصانيفه كتاب «النوادر» في اللغة، و «الهمز» و «المطر» و «اللبأ واللبن» و «المياه» و «خلق الإنسان» و «لغات القرآن» و «الشجر» و «الغرائز» و «الوحوش» و «بيوتات العرب» و «الفرق» و «غريب الأسماء» و «الهشاشة والبشاشة». توفي ٢١٥هـ. الأعلام ٩٢/٣.

(٢) محمد بن زياد، المعروف بابن الأعرابي، أبو عبد الله: راوية، ناسب، علامة باللغة. من أهل الكوفة. كان أحول. أبوه مولى للعباس بن محمد بن علي الهاشمي قال ثعلب: شاهدت مجلس ابن الأعرابي وكان يحضره زهاء مئة إنسان، كان يسأل ويقرأ عليه، فيجيب من غير كتاب؛ ولزمته بضع عشرة سنة ما رأيت بيده كتاباً قط، ولقد أملى على الناس ما يحمل على أجمال، ولم ير أحد في علم الشعر أغزر منه. وهو ربيب المفضَّل بن محمد صاحب المفضليات. مات بسامراء. له تصانيف كثيرة، منها «أسماء الخيل وفرسانها» و «تاريخ القبائل» و «النوادر» في الأدب و «تفسير الأمثال» و «شعر الأخطل» و «معاني الشعر» و «الأنواء»، و «البئر» وغير ذلك. توفي سنة ٢٣١هـ. الأعلام ١٣١/٦.

الجُدَري بفتح الجيم وضمها وأَما الدال المهملة فمفتوحة فيهما: قُروح تَنفُّط[1] عن الجلد ممتلئة ماءً ثم تتقيَّح وصاحبها جَدِير مُجَدَّر.

الحَصِبة وزان كَلِمة وإِسكان الصاد لغة: بَثْر يخرج بالجسد ويقال: هي الجدري.

ظَفَار بوزن قَطَام: اسم لمدينة بحِمْير باليمن وهو الصواب. قاله في التقريب. نَضْح أَحمر: أَي رش أَحمر. مختمة ببياض ...

تسقط أَنملة أنملة: أَي ينتثر جسمه، والأَنملة طرف الإِصبع، ولكن قد يعبَّر بها عن طرف غير الإِصبع والجزء الصغير. مِدّة بكسر الميم وفتح الدال المهملة المشدودة. وهي القَيْح وهي الغَثِيثة الغليظة، وأَما الرقيقة فهي صديد.

انصدع قلبُه: انشقَّ. فاضت نفسه: خرجت. ارْمقها: اتْبعها بصَرك. نَجْدية: نسبة إِلى نجد، وهو ما ارتفع من أَرض تهامة إِلى أَرض العراق. تِهَامية: نسبة إِلى تِهَامة وتقدمت. غير مُؤْنسة: أَي لم تُعهد بهذه البلاد. اليَعَاسيب: جمع يعسوب وهو ضرب من الحجلان.

الخَذْف - بفتح الخاء وسكون الذال المعجمتين -: الرمي بالحصى. رَفَّة: براء مفتوحة ففاء: جماعة. ركدت على رؤوسهم: وقفت. رَتْوة. الرَّتْوة بمثناة فوقية وزان رَكْوة: الخطوة. لم يُؤْنسا: لم يُبْصِرا.

ضاقوا به ذرعاً: ضيق الذراع والذَّرْع: قصرها، كما أَن معنى سعتها وبسطها طولُها، ووجه التمثيل أَن القصير الذراع لا ينال ما يناله الطويل الذراع ولا يطيق طاقته، فضرب مثلاً للذي سقطت قوّته دون بلوغ الأَمر والاقتدار عليه.

الجارض: اسم فاعل من جَرَض بفتح الجيم والراء: وهو بلوغ الروح الحلق. الكَظَم بفتح الكاف والظاء المعجمة. والله سبحانه وتعالى أَعلم.

---

(١) نفَط نفطاً ونفيطاً ونفَطاً: خرج بيده بثور ملأى بالماء.
انظر المعجم الوسيط ٢/٩٥٠.

جماع أبواب نسبه الشريف صلى الله عليه وسلم

البـــاب الأول

في فضل العرب وحبهم

لما كانت العرب أَصلَ رسول الله ﷺ حَسُن ذكر بعض فضائِلهم.

وقد قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: ليس في العرب قبيلة إلا وقد ولدت رسولَ الله ﷺ مُضَريّها وربيعيّها ويَمَانيها.

رواه عَبْد بن حُمَيْد وابن أَبي أُسامة وابن المنذر.

وفيه أَنواع: **الأَول**: في أَن الله تعالى تخيَّر العرب من خلقه وتخيره ﷺ منهم.

عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**خلق الله الخلق فاختار من الخلق بني آدم، واختار من بني آدم العربَ، واختار من العرب مُضَر، واختار من مضر قريشاً، واختار من قريش بني هاشم، واختارني من بني هاشم، فأَنا خِيَار من خيار إلى خيار، فمن أَحبَّ العرب فبحبِّي أَحبَّهم ومن أَبغض العرب فببغضي أَبغضهم**».

رواه الطبراني والحاكم والبيهقي وأَبو نُعَيْم.

وعنه أَيضاً قال: قال رسول ﷺ: «**لما خلق الله الخلق اختار العرب، ثم اختار من العرب قريشاً، ثم اختارت من قريش بني هاشم، ثم اختارني من بني هاشم، فأَنا خيرة من خيرة**».

رواه الحاكم وصححه(١).

وعن أَبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله حين خلَق الخلق بعث جبريل فقسَم الناس قسمين، فقسم العرب قسماً وقسم العجَم قسماً، وكانت خيرة الله في العرب، ثم قسم العرب قسمين، فقسم اليَمَنَ قسماً وقسم مضر قسماً وقريشاً قسماً، وكانت خيرة الله في قريش، ثم أَخرجني من خير من أَنا منه**».

---

(١) أخرجه الحاكم ٨٦/٤.

رواه الطبراني وحَسَّن الحافظ أَبو الفضل العراقي[1] إسناده.

وعن واثلة بن الأَسقع[2] رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل، واصطفى كنانة من بني إسماعيل، واصطفى من بني كِنانة قريشاً، واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم**»[3].

رواه مسلم والترمذي وصححه.

* * *

النوع الثاني: في أَن حب العرب حب للنبي ﷺ.

عن أَنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من أَحبَّ العرب فقد أَحبَّني، ومن أَبغض العرب فقد أَبغضني**»[4].

رواه الطبراني:

وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أَن رسول الله ﷺ قال: «**من أَحب العرب فبحبّي أَحبَّهم ومن أَبْغض العربَ فببغضي أَبغضهم**»[5].

رواه الحاكم.

وروى الطبراني والحاكم عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أَن رسول الله ﷺ قال: «**أَحبّوا العرب لثلاث: لأَني عربيّ، والقرآن عربي، وكلام أَهل الجنة عربي**»[6].

النوع الثالث: في أَن بغض العرب مفارقة للدّين.

عن سلمان رضي الله تعالى عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: «**يا سَلْمان لا تُبْغضني**

---

(١) عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم، الحافظ الكبير، المفيد، المتقن، المحرر، الناقد، محدث الديار المصرية، ذو التصانيف المفيدة، زين الدين أبو الفضل، العراقي الأصل، الكردي. توفى سنة ست وثمانمائة. انظر ابن قاضي شهبة ٢٩/٤.

(٢) واثلة بن الأسقع، بالقاف، ابن كعب الليثي، صحابي مشهور، نزل الشام، وعاش إلى سنة خمس وثمانين، وله مائة وخمس سنين. التقريب ٣٢٨/٢.

(٣) أخرجه مسلم ١٧٨٢/٤ كتاب الفضائل (١- ٢٢٧٦) والترمذي (٦- ٣٦) وأحمد في المسند ١٠٧/٤، والبخاري في التاريخ ٤/١، والخطيب في التاريخ ٦٤/١٣.

(٤) ذكره الهيثمي في المجمع ٩٤/١ وعزاه للبزار والطبراني في الأوسط وقال فيه الهيثم بن جماز ضعفه أحمد ويحيى بن معين والبزار.

(٥) أخرجه الطبراني في الكبير ٤٤٥/١٢، وابن عدي في الكامل ٨٠٣/٢.

(٦) أخرجه الحاكم في المستدرك ٨٧/٤، وابن حجر في اللسان ٤٨٦/٤، والعقيلي في الضعفاء ٣٤٨/٣، وذكره الهيثمي في المجمع ٥٥/١٠ وعزاه للطبراني والأوسط وقال: فيه العلاء بن عمرو الحنفي وهو مجمع على ضعفه.

فتفارق دينك». قلت: يا رسول الله كيف أُبْغضك وبك هداني الله؟ قال: «**تُبْغض العرب فتبغضني**»[١].

رواه الترمذي وقال حسن غريب.

وعن علي رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يُبْغض العربَ إلا منافق**»[٢].

رواه الطبراني.

النوع الرابع: في فضل قريش.

عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**حُبُّ قريش إيمان وبُغْضهم كفر**»[٣].

رواه الطبراني.

وعن أَبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**الناسُ تَبَع لقريش في هذا الشأن مُسْلمهم تبعٌ لمسلمهم وكافرهم تبع لكافرهم**»[٤].

رواه الشيخان.

وعن معاوية رضي الله تعالى عنه قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ هذا الأَمر في قريش لايعادِيهم أَحد إلاَّ كبّه الله على وجهه ما أَقاموا الدِّين**»[٥].

رواه البخاري.

وعن سعد بن أَبي وقاص[٦] رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من يُرِدْ هوانَ قريش أَهانه الله**»[٧].

رواه الترمذي وحسّنه.

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٩٢٧) وأحمد في المسند ٤٤٠/٥، والطبراني في الكبير ٢٩١/٦، والحاكم في المستدرك ٤/ ٨٦، والعقيلي في الضعفاء ١٨٤/٢.

(٢) ذكره الهيثمي في المجمع ٥٦/١٠ وعزاه لعبد الله وقال وفيه زيد بن جبيرة وهو متروك.

(٣) ذكره الهيثمي في المجمع ٥٦/١٠ وعزاه للطبراني في الأوسط وقال: وفيه الهيثم بن جماز وهو متروك.

(٤) أخرجه البخاري ١٢/٥ كتاب المناقب (٣٤٩٥)، ومسلم ١٤٥١/٣ كتاب الإمارة (١٨١٨/٢).

(٥) أخرجه البخاري ٥٣٢/٦ كتاب المناقب (٣٥٠٠).

(٦) سعد بن أبي وَقَّاص واسمه مَالِك بن أُهَيْب بن عبد مَنَاف بن زُهْرَة الزُّهْرِي المدني. شهد بدراً والمشاهد، وهو أحد العشرة، وآخرهم موتاً، وأول من رمى في سبيل الله، وفارس الإسلام، وأحد ستة الشورى، ومقدم جيوش الإسلام في فتح العراق، وجمع له النبي ﷺ أبويه، وحرس النبي ﷺ، وكوّف الكوفة، وطرد الأعاجم، وافتتح مدائن فارس، وهاجر قبل النبي ﷺ. له مائتا حديث وخمسة عشر حديثاً. الخلاصة ١/ ٣٧١- ٣٧٢.

(٧) أخرجه أحمد في المسند ١٧١/١ والترمذي ٧١٤/٥ كتاب المناقب (٣٩٠٥) والحاكم في المستدرك ٧٤/٤ كتاب معرفة الصحابة وصححه وأقره الذهبي.

وعن عائشة رضي الله تعالى عنها أن رسول الله ﷺ قال: **«لولا أن تبطر قريش لأخبرتُها بما لها عند الله»**[١].

رواه الإمام أحمد، وصحح العراقي إسناده.

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«التمسوا الأمانة في قريش فإن الأمين في قريش له فضلان على أمينٍ من سواهم، وإنَّ قويّ قريش له فضلان على قوي من سواهم»**[٢].

رواه الطبراني وأبو يعلى. وحسَّن الهيثمي[٣] إسناده.

وعن عبد الله بن الحارث الزبيدي[٤] رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«العِلْم في قريش والأمانة في الأَزْدِ»**[٥].

رواه الطبراني، وحسن الهيثمي إسناده.

وعن رفاعة بن رافع رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«إن قريشاً أهلُ أمانة، فمن بغَى لهم العَوَاثر أكبّه الله على مِنخريه»** قالها ثلاثاً[٦].

رواه البزّار ورجاله ثقات.

وعن قتادة بن النعمان[٧] رضي الله تعالى عنه أنه وقع بقريش فقال له رسول الله ﷺ: **«يا قَتادة لا تسبَّنَّ قريشاً فإنه لعلك أن ترى منهم رجالاً تَزْدري عملك مع أعمالهم وفعلك مع أفعالهم وتغبطهم إذا رأيتهم، لولا أن تطغى قريش لأخبرتهم الذي لهم عند الله»**[٨].

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ١٠١/٤.

(٢) ذكره الهيثمي في المجمع ٢٨/١٠ وعزاه للطبراني في الأوسط ولأبي يعلى وإسناده حسن كما قال المصنف.

(٣) علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي، أبو الحسن، نور الدين، المصري القاهري: حافظ. له كتب وتخاريج في الحديث، منها «مجمع الزوائد ومنبع الفوائد»، و «ترتيب الثقات لابن حبان» و «تقريب البغية في ترتيب أحاديث الحلية» و «مجمع البحرين في زوائد المعجمين» و «المقصد العلي، في زوائد أبي يعلى الموصلي» و «زوائد ابن ماجة على الكتب الخمسة» و «موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان». توفي سنة ٨٠٧هـ. الأعلام ٢٦٦/٤.

(٤) عبد الله بن الحارث الزُّبَيْدي بالضم النَّجْراني بنون وجيم الكوفي المُكْتِّب عن ابن مسعود وجُندُب بن عبد الله. وعنه عَمْرو بن مُرَّة وحُمَيْد الأعرج. وثقه النسائي. الخلاصة ٤٨/٢.

(٥) ذكره الهيثمي وعزاه للطبراني في الأوسط والكبير وإسناده حسن.

(٦) أخرجه الحاكم في المستدرك ٧٣/٤ والبخاري في الأدب المفرد (٧٥) وذكره المتقي الهندي في الكنز (٣٣٨١٤، ٣٣٩٨٩).

(٧) انظر الإصابة ٢٨٤/٥.

(٨) أخرجه أحمد في المسند ٣٨٤/٦ وأبو نعيم في الحلية ٣٠٦/١٠، وذكره الهيثمي في المجمع ٢٦/١٠ وعزاه لأحمد مرسلاً ومسنداً وأحال لفظ المسند على المرسل، والبزار كذلك والطبراني مسنداً، ورجال البزار في المسند رجال الصحيح ورجال أحمد في المرسل والمسند رجال الصحيح غير جعفر بن عبد الله بن أسلم في مسند أحمد وهو ثقة وفي بعض رجال الطبراني خلاف.

رواه الإمام أَحمد والطبراني والبزار، وصحح العراقي إسناده.

وفي لفظ: أَن أَبا قتادة الأَنصاري السُّلَمي[١] قال لخالد بن الوليد[٢] يوم فتح مكة: هذا يوم يذلُّ الله فيه قريشاً. فقال بعض أَصحاب رسول الله ﷺ: أَلاَ تسمع ما يقول أَبو قَتادة يا رسول الله؟ فقال: **«مهلاً يا أَبا قتادة إِنك لو وزنت حلْمك مع حُلومهم لتحاقَرْتَ حلمك مع حلومهم، ولو وزنت رأْيك مع رأْيهم لتحاقَرْت رأَيك مع رأَيهم، ولو وزنت فعالك مع فعالهم لتحاقرت فعلك مع فعالهم، لا تُعلِّموا قريشاً وتعلَّموا منهم، فلولا أَن تبطر قريش لأَخبرتهم بما لهم عند رب العالمين»**.

رواه البيهقي في المدخل.

وعن جُبَيْر بن مُطْعِم رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«يا أَيها الناس لا تقَدَّموا قريشاً فتهلكوا ولا تتخلفوا عنها فتضلّوا ولا تعلِّموها وتعلَّمُوا منها، فإِنها أَعلم منكم، لولا أَن تَبْطر قريش لأَخبرتهم بالذي لها عند الله»**.

رواه البيهقي في المدخل وحسَّن العراقي إِسناده.

وعن أُم هانيء رضي الله تعالى عنها أَن رسول الله ﷺ قال: **«فضَّل الله قريشاً بسبع خصال لم يعطها أَحداً قبلهم ولا يعطيها أَحداً بعدهم: فضَّل الله قريشاً بأَنّي منهم، وأَن النبوة فيهم، وأَن الحجابة فيهم، وأَن السقاية فيهم ونصَرهم على الفيل، وعبدوا الله عشر سنين لا يعبده غيرهم، وأَنزل فيهم سورة من القرآن لم تنزل في أَحد من غيرهم»**[٣].

رواه الطبراني وحسن العراقي إِسناده.

والأَحاديث في ذلك كثيرة.

ويرحم الله تعالى العلامة ابن جابر[٤] حيث قال في بَدِيعيّته:

---

(١) أبو قتادة الأنصاري، هو الحارث، ويقال عمرو أو النعمان بن رِبْعِي، بكسر الراء وسكون الموحدة بعدها مهملة، ابن بُلْدُمة، بضم الموحدة والمهملة بينهما لام ساكنة السُّلَمي، بفتحتين، المدني، شهد أحداً وما بعدها، ولم يصح شهوده بدراً، ومات سنة أربع وخمسين، وقيل سنة ثمان وثلاثين، والأول أصح وأشهر. التقريب ٤٦٣/٢.

(٢) خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم المخزومي، سيف الله، يكنى أبا سليمان، من كبار الصحابة، وكان إسلامه بين الحديبية والفتح، وكان أميراً على قتال أهل الردة وغيرها من الفتوح، إلى أن مات سنة إحدى أو اثنتين وعشرين. التقريب ٢١٩/١.

(٣) ذكره الهيثمي في المجمع ٢٧/١٠ وعزاه للطبراني وقال فيه من لم أعرفه.

(٤) محمد بن أحمد بن علي بن جابر الأندلسي الهَوّاري المالكي، أبو عبد الله، شمس الدين: شاعر، عالم بالعربية، أعمى. من أهل المرية. صحبه إلى الديار المصرية أحمد بن يوسف الغرناطي الرعيني فكان ابن جابر يؤلف وينظم، والرعيني يكتب. واشتهرا بالأعمى والبصير. ثم دخلا الشام، فأقاما بدمشق قليلاً، وتحولا إلى حلب. ثم تزوج ابن جابر، فافترقا. ومات الرعيني فرثاه ابن جابر ومات بعده بنحو سنة، في «البيرة». من كتب ابن جابر «شرح ألفية ابن مالك» و «شرح ألفية ابن معطي»، و «العين في مدح سيد الكونين». توفي سنة ٧٨٠هـ. الأعلام ٣٢٨/٥.

مِـنْ أَعْـربِ الـعُـرْبِ إلا أَنَّ نِـسْـبـتَـهُ ... إلـى قـريش حُـمَـاةِ الـبـيـتِ والـحَـرَمِ
لا عَـيْـبَ فِـيـهِـمْ سِـوَى أَلاَّ تَـرى لَـهُـمُ ... ضَـيْـفـاً يَـجُـوعُ ولا جَـاراً بـمُـهْـتَـضَـمِ
مـا عـابَ مـنـهـم عَـدوٌّ غـيـرَ أَنَّـهُـمُ ... لـم يَصْرِفُوا السَّيفَ يوماً عن عَدُوِّهِمِ
مَنْ غَضَّ من مَجْدِهِمْ فالمجدُ عَنْه نَأَى ... لـكـنَّـهُ غُـصَّ إِذْ سَـادُوا عَـلَـى الأُمَمِ
لا خيرَ في المرءِ لَمْ يَعْرِف حقوقَهُمْ ... لـكـنـه مِـن ذَوي الأَهْـوَاءِ والـتُّـهَـمِ
عِيَبتْ عِداهُمْ فَزَانُوهُمْ بِأَن تَرَكُوا ... سيـوفَـهُـمْ وَهْـيَ تِـيـجـان لِـهَـامِـهِـمِ
تَجْرِي دِمَـاءُ الأَعَـادي مـن سُـيُـوفِـهِـمُ ... مثـلَ الـمَـوَاهِـبِ تَجْرِي من أَكُـفِّـهِـمِ
لَـهُـم أَحـاديـثُ مَـجْـدٍ كـالـرِّيَـاضِ إذا ... أَهْـدَتْ نَـوَاسِـمُ حُـبِّـي بـاريءَ الـنَّـسَـمِ
تَـرَى الـغَـنِـيَّ لَـدَيْـهـم والـفَـقِـيـرَ وَقَـدْ ... عـادُوا سـواءً فَـلازِمْ بـابَ قَـصْـدِهِـمِ
قُـلْ لـلـصـبـاحِ إذا مـا لاحَ نـورُهُـمُ ... إنْ كـانَ عـنـدَكَ هـذا الـنورُ فـابتِـسِـمِ
إذا بَـدا الـبـدرُ تحـتَ الـلَّـيْـلِ قُـلـتَ لـه ... أَأَنْـتَ يـا بـدر أَم مَـرْأَى وُجُـوهِـهِـمِ
كـانـوا عُـيـونـاً ولـكـن لـلـعُـفـاةِ كـمـا ... كـانـوا لُـيُـوثـاً ولـكـن فـي عِـدَاتِـهِـمِ
كـم قـائـلٍ قـالَ حـازَ المجـدَ وارِثُـه ... فـقـلـتُ هـم وارِثُـوهُ عـن جُدودِهِـمِ
قد أُورثَ المجدَ عبدَ الله شَيْبةُ عن ... عمرو بن عبدِ مَنَافٍ عَنْ قُصَيِّهِـمِ
فجاءَ فيهِمْ بمنِ جال السَّمَاءَ وَمَنْ ... سمَا على النَّجْمِ في سَامِي بيُوُتِهِمِ
فـالْـعُـرْبُ خـيـرُ أُنَـاسٍ ثـم خَـيْـرُهُـمُ ... قريشُ هُمْ وَهُوَ منْهُم خيرُ خيرهِمِ
قـومٌ إذا قـيـل مَـنْ؟ قـالـوا نـبـيُّـكُـمُ ... منّـا، فَـهَـلْ هَـذِهِ تُـلْـفَـى لـغـيـرِهِـمِ
إِنْ تَقْرَإِ «النَّحْلَ» تَنْحَلْ جِسْمَ حَاسِدِهِمْ ... وفـي «بَـراءَةَ» يَـبْـدُو وجـهُ جـاهِـهِـمِ
قـومُ الـنـبـيِّ فـإن تَحْـفِـلْ بـغَـيْـرِهِـمِ ... بـينَ الـوَرَى فقـدِ اسْتَسْمَنْتَ ذَا وَرَمِ
إن يَجْحِدِ العُجْمُ فَضْلَ العُرْبِ قُلْ لَهُمُ ... خيرُ الورى منْكُمُ أَمْ مِنْ صَمِيمِهِم
من فَضَّلَ العُجْمَ فضَّ اللهُ فاهُ وَلَوْ ... فَـاهُـوا لَـغـضُّـوا وغَـضُّـوا من نـبـيِّـهِـمِ

الباب الثاني

في طهارة أصله وشرف مجده صلى الله عليه وسلم غير ما تقدم

وذلك مما لا يحتاج إلى إقامة دليل عليه، فإنه نُخْبة بني هاشم وسُلاَلَة قريش وأَشرف العرب وأَعزم نفرا من قِبَل أَبيه وأُمّه، ومن أَهل مكة أَكرم بلاد الله تعالى على الله وعلى عباده.

وأَعداؤه ﷺ كانوا يشهدون له بذلك ولهذا شهد له به عدوُّه إذ ذاك أَبو سفيان بن حرب بين يديْ مِلِك الروم.

فأَشرفُ القومِ قومُه وأَشرف القبائل قبيلته وأَشرف الأَفخاذ فَخِذُه ﷺ.

قال الله سبحانه وتعالى: **﴿الله أَعْلَم حيث يَجْعل رسالته﴾**.

وعن عِكْرمة عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في قوله تعالى: **﴿وتقلّبك في الساجدين﴾** قال: من صُلْب نبيّ إلى صلب نبيّ حتى صرت نبياً.

رواه البزّار، والطبراني. رجاله ثقات.

وعن عطاء عنه في الآية قال: **«ما زال نبي الله ﷺ يتقلَّب في أَصلاب الأَنبياء حتى ولدته أُمه»** رواه أَبو نعيم[1].

وعن أَبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«بُعثت من خير قرون بني آدم قرناً فقرناً حتى كنت من القرن الذي كنت فيه»**.

رواه البخاري[2].

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«خير العرب مُضَر، وخير مضر بنو عبد مناف، وخير بني عبد مناف بنو هاشم، وخير بني هاشم بنو عبد المطلب، والله ما افترقت فرقتان منذ خلق الله آدم إلا كنت في خيرهما»**.

رواه أَبو نعيم.

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن الله قسم خلقه قسمين فجعلني في خيرهما قسماً، ثم جعل القسمين أَثلاثاً فجعلني في خيرهما ثلثاً، ثم جعل الأَثلاث قبائل فجعلني في خيرها قبيلة، ثم جعل القبائِل بيوتاً فجعلني في خيرها بيتاً فذلك قوله تعالى: ﴿إنما يُريد اللهُ ليُذْهب عنكم الرجسَ أَهلَ البيت﴾»** الآية.

---

(١) أخرجه أبو نعيم في الدلائل (٢٥).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب المناقب (٣٥٥٧).

رواه الطبراني وأبو نعيم[١].

وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: **«قال جبريل قلبت مشارق الأَرضِ ومغاربها فلم أجد أَفضل من محمد، ولم أَجد بَني أَبٍ أَفضل من بني هاشم»**.

روه الطبراني والبيهقي وابن عساكر.

قال الحافظ في أَماليه: لوامح الصحة ظاهرة على صفحات هذا المتن.

وعن جعفر بن محمد عن أَبيه مُعْضَلاً قال:قال رسول الله ﷺ: **«أَتاني جبريل فقال: يا محمد إن الله بعثني فطُفْت شرق الأَرض وغربها وسَهْلها وجبلها فلم أَجد حيّاً خيراً من مضر. ثم أَمرني فطُفْت في مضر فلم أَجد حيّاً خيراً من كِنَانة، ثم أَمرني فطفت في كنانة فلم أَجد حيّاً خيراً من قريش، ثم أَمرني فطفت في قريش فلم أَجد حيّاً خيراً من بني هاشم، ثم أَمرني أَن أَختار في أَنفسهم فلم أَجد نفساً خيراً من نفسك»**.

رواه الحكيم الترمذي.

وعن أَبي هريرة رضي الله عنه قال:قال رسول الله ﷺ: **«ما ولدتني بَغِيّ قط منذ خرجتُ من صُلْب آدم، ولم تَزل تنازعني الأُمَم كابراً عن كابر حتى خرجت من أَفضل حيَّيْن من العرب: هاشم وزُهْرة»**[٢].

رواه ابن عساكر.

وعن أَنس رضي الله تعالى عنه قال:قال رسول الله ﷺ: **«لقد جاءكم رسولٌ من أَنْفَسكم»** بفتح الفاء وقال: **«أَنا أَنْفَسُكم نسَباً وصِهْراً وحَسباً، ليس في آبائي من لدن آدمِ سِفَاح، كلُّنا نكاح»**.

رواه ابن مَرْدَويه.

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال:قال رسول الله ﷺ: **«خرجت من لدُن آدم من نِكَاح غير سِفَاح»**.

رواه ابن سعد وابن عساكر.

وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: **«خرجتُ من نكاح غير سِفَاح»**.

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير ٥١/٣، وأبو حاتم الرازي في العلل (٢٦٩٣) وابن كثير في البداية ٢٥٧/٢ وذكره الهيثمي في المجمع ٢١٤/٨.

(٢) ذكره السيوطي في الدر المنثور ٢٩٥/٣ وعزاه لابن عساكر وذكره المتقي الهندي في الكنز (٣٢٠١٩).

رواه ابن سعد وابن عساكر[١].

وعن علي رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«خرجت من نكاحٍ ولم أَخرج من سفاح من لدن آدم إلى أن ولدني أبي وأمي لم يُصبني من نكاح الجاهلية شيء ما ولدني إلاَّ نكاحٌ كنكاح الإسلام»**[٢].

رواه العدنيّ في مُسْنده والطبراني وأبو نعيم وابن عساكر.

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال:قال رسول الله ﷺ: **«ما ولدني من سفاح الجاهلية شيء ما ولدني إلا نكاح كنكاح الإسلام»**[٣].

رواه الطبراني، وله طرق عن ابن عباس رواها أبو نعيم.

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: إن قريشاً ـ أي المسْعَدة بالإسلام ـ كانت نوراً بين يدي الله تعالى قبل أن يخلق آدم ﷺ بألفي عام يُسبّح ذلك النور وتسبّح الملائكة بتسبيحه، فلما خلق الله آدم ألقى ذلك النور في صلبه. قال رسول الله ﷺ: **«فأهبطني الله تعالى إلى الأرض في صلب آدم وجعلني في صلب نوح، وقذف بي في صلب إبراهيم، ثم لم يزل الله يَنْقلني من الأصلاب الكريمة والأرحام الطاهرة حتى أخرجني من بين أبويّ لم يلتقيا على سفاح قط»**[٤].

رواه ابن أبي عمر العَدني في مسنده.

ويرحم الله تعالى القائل:

حَفِظَ الإلهُ كَرامَةً لِمُحَمَّدٍ ... آباءَه الأمجادَ صَوْناً لاسْمِهِ
تَرَكُوا السِّفاحَ فَلَمْ يُصِبْهُمْ عَارُه ... مِنْ آدمٍ وَإِلَى أَبِيهِ وأُمِّهِ

ويرحم الله تعالى القائل:

مِنْ عَهْدِ آدمَ لَمْ يَزَلْ تَحْمِي لَهُ ... في نَسْلِهَا الأَصلابُ والأَرْحَامُ
حتَّى تَنَقَّلَ في نِكاحٍ طاهرٍ ... ما ضَمَّ مُجْتَمِعَيْنِ فيهِ حَرَامُ
فَبَدا كَبَدْرِ التِّمِّ لَيْلَةَ وَضْعِهِ ... ما شَانَ مَطْلَعهُ المُنيرَ قَتَامُ
فانْجَابَتِ الظَّلْماءُ من أَنْوَارِهِ ... والنُّورُ لا يَبْقَى عَلَيْهِ ظَلامُ

---

(١) أخرجه ابن جرير في التفسير ٥٦/١١، والبيهقي في السنن ١٩٠/٧ وابن سعد في الطبقات ٣٢/١/١، وذكره السيوطي في الدر ٢٩٤/٣ وعزاه لابن سعد وابن عساكر.

(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات ٣٢/١/١ وأبو نعيم في الدلائل (٢٤).

(٣) أخرجه البيهقي في السنن ١٩٠/٧ وذكره السيوطي في الدر المنثور ٢٩٤/٣ وعزاه للطبراني.

(٤) أخرجه ابن حجر في المطالب العالية (٤٢٥٦).

شُكْراً لِمُهْدِيهِ إِلَيْنَا نِعْمَةً لَيْسَتْ تُحِيطُ بِكُنْهِهَا الأَوْهَامُ

وروى ابن سعد وابن عساكر عن الكلبي رحمه الله تعالى قال: كتبتُ للنبي ﷺ خمسمائة أمّ فما وجدت فيهن سفاحاً ولا شيئاً من أمر الجاهلية.

قوله خمسمائة أمّ: يريد الجدّات وجدات الجدات من قِبَل أَبيه وأُمه.

القرْن بسكون الراء: اختلف السَّلف في تعيين مدته، فقيل: مائة سنة. قال الحافظ: وهو الأَشهر. وحكى الحرْبي رحمه الله تعالى الاختلاف فيه ثم قال: وعندي أَن القرن كلُّ أُمة هلكتْ فلم يبق منها أَحد.

السِّفَاح بكسر السين المهملة: الزنا.

الباب الثالث

في سرد أسماء آبائه إلى آدم صلى الله عليه وسلم

وهو سيدنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قُصَيّ بن كِلاَب.

وأُم سيدنا رسول الله ﷺ آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زُهْرة ابن كلاب بن مُرّة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهْر بن مالك بن النضر بن كنانة ابن خُزيْمة بن مُدْركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معدّ بن عدنان.

هذا هو نسب الصحيح المتفق عليه في نسب سيدنا رسول الله ﷺ، وما فوق ذلك مختلَف فيه.

ولا خلاف أَن عدنان من ولد إِسماعيل بن إِبراهيم ﷺ، إِنما الخلاف في عدد من بين عدنان وإِسماعيل من الآباء فمُقِلٌ ومكثر، وكذلك من إِبراهيم إِلى آدم ﷺ لا يعلم ذلك على حقيقته إِلا الله تعالى.

والذي رجَّحه الإِمام العلامة الشريف النسَّابة أَبو علي محمد بن أَسعد بن علي بن حسن الجَوَّاني[1] بفتح الجيم والواو المشددة وكسر النون وقال: إِنه أَصح الطرق وأَحسنها وأَوضحها وإِنه رواية شيوخه في النسب كالشيخ شرف الدين بن أَبي جعفر البغدادي المعروف بابن الجوَّانية، وأَبي الغنائم الزيدي والبطحاوي والسِّجْزي وأَبي بكر محمد بن عبدة الفَقْعَسيّ وغيرهم وهي عهدة أَكثر النسابين الأَجلاء وهي رواية عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما وعليها استقر رأي أَكثر أَهل العلم. انتهى. وتبعه على ذلك الحافظ شرف الدين الدمياطي والقاضي عز الدين بن جماعة وأَبو الفتح والعلامة بدر الدين حسن بن حبيب الحلبي في سيرهم: أَن عدنان بن أَدّ بن أَدَد بن اليسَع بن الهَميسع ابن سلامان بن نَبْت ابن حمْل بن قيدار بن إِسماعيل.

وقال ابن إِسحاق ومن تبعه في السيرة تهذيب ابن هشام: إِن أَدد بن مقوم بن ناحور بن تيرح بن يَعْرب بن يَشْجب بن نابت بن إِسماعيل بن إِبراهيم الخليل صلى الله عليهما وسلم بن آزر بن ناحور بن ساروح بن راغو بن فالخ بن عيبر بن شالخ بن أَرفخشذ بن سام بن نوح ﷺ بن لامك بن متوشلخ بن أَخنوخ، وهو إِدريس ﷺ، بن يرْد بن مهلاييل بن قينان بن يانش بن شيث بن آدم ﷺ.

---

(١) محمد بن أسعد بن علي بن معمر العبيدي العلوي، أبو علي، شرف الدين الجواني المالكي: عالم بالأنساب. أصله من الموصل. ومولده ووفاته بمصر ولي نقابة الأشراف فيها مدة. وصنف «طبقات الطالبيين» و «تاج الأنساب» وأورد العماد بعض شعره. توفي سنة ٥٨٨هـ. الأعلام ٣١/٦.

ويرحم الله تعالى القائل حيث قال:

فأُولئِكَ السَّادَاتُ لَمْ تَرَ مِثْلَهُمْ ... عَيْنٌ عَلَى مُتتَابعِ الأَحْقَابِ
لم يَعْرِفُوا رَدَّ العُفَاةِ وَطَالَمَا ... رَدُّوا عِدَاتَهُمْ عَلَى الأَعْقَابِ
زُهْرُ الوجوهِ كَرِيمَةٌ أَحْسَابُهُمْ ... يُعْطونَ عَافِيَهُمْ بغيرِ حِسَابِ
حَلُمُوا إِلَى أَنْ لاَ تكادُ تَرَاهُمُ ... يَوماً عَلَى ذِي هَفْوَةٍ بِغِضَابه
وَتَكرَّموا حَتَّى أَبَوْا أَنْ يَجْعَلُوا ... بَيْنَ العُفَاةِ وَمَالَهُمْ مِنْ بَابِ
كَانَتْ تَعِيشُ الطَّيْرُ في أَجْنَابِهِمْ ... وَالْوَحْشُ حِينَ تَشِحُّ كلُّ سَحَابِ
وَكَفَاهُمُ أَنَّ النبيَّ مُحَمَّداً، ... مِنْهُمْ فَمَدْحُهُمْ بِكُلِّ كِتَابِ

ويرحم الله تعالى القائل أيضاً:

نَسَبٌ أَضَاءَ وَشَمْسُهُ مِنْ هَاشِمٍ ... وَسَمَاؤُهُ مِنْ يَعْرُبٍ وَنِزَارِ
مِنْ مَعْشَرٍ وَرِثُوا السِّيادَةَ كَابِراً ... عَنْ كَابِرٍ فَهُمْ كِبَارُ كِبَارِ
أَقْمَارُ أَنْدِيَةٍ أُسُودُ وَقَائِعٍ ... أَطْوَادُ أَحْلاَمٍ سَحَابُ قِطَارِ
لا عارَ فِيهِمْ غيرَ طُولِ تيقُّظٍ ... مَا زَالَ يَنْفِي ضِيقَ طيْفِ الْعَارِ
أَهلُ الرِّفَادَةِ والحِجَابَةِ والحِجَا ... وسِقَايَةُ الحُجَّاجِ والزُّوَّارِ
المُطْعِمُونَ إذَا البِلاَدُ مَجِيعَةٌ ... ومُبدِّلُو الإعْسَارِ بِالْإِيسَارِ
والمُجْتَبِى الْهادِي خِيَارُهُمُ وَهُمْ ... بَيْنَ الأَنَامِ خِيَارُ كُلِّ خِيَارِ

قال أبو عمر رحمه الله تعالى: وقد اعتنى الناس بنظم نسَب سيدنا رسول الله ﷺ، وأَحسن ما جاء في ذلك ما نظمه أبو العباس عبد الله محمد بن محمد الناشي رحمه الله تعالى.

قلت: وهو بالنون والشين المعجمة على وزن الماشي، وفيه بعض مخالفة لما تقدم، في قوله:

مَدَحْتُ رسول الله أَبْغِي بمَدْحِه ... وُفُورَ حُظوظِي[1] مِنْ كَرِيمِ المَوَاهِب
مَدَحْتُ امْرَاءً فَاتَ المديحَ مُوَحَّداً ... بأَوْصَافِهِ من مُبْعِدٍ أَو مُقَارِبِ
نبيّاً تَسَامَى في المشَارِقِ نورُهُ ... فَلاَحَتْ هَوادِيهِ لأَهلِ المغَارِبِ
أَتَتْنا به الأَنْبَاءُ قَبْلَ مَجيئِهِ ... وشاعَتْ بهِ الأَخْبَارُ في كلِّ جَانِبِ
وأَصْبَحَتِ الكُهَّانُ تَهْتِفُ باسْمِهِ ... وتَنْفي بِهِ رَجْمَ الظُّنُونِ الْكَواذِبِ
وأُنطِقَتِ الأَصْنامُ نُطْقاً تبرَّأَتْ ... إِلىَ اللهِ فيه من مَقَالِ الأَكَاذبِ
وَقَالتْ لأَهلِ الكُفرِ قَوْلاً مُبيِّناً ... أتاكم نبيٌّ من لُؤَيِّ بنِ غَالبِ

---

(١) الحظوظ مفردها حظ والحظ: النصيب انظر الوسيط ١/١٨٣.

ورامَ استراقَ السَّمعَ جِنٌّ فَزَيَّلتْ[١] مَقاعدَهم منها رُجومُ الكَوَاكِبِ
هدانا إلى ما لم نَكُنْ نَهْتَدِي لَهُ لطُولِ العَمَى عن مُوضِحَاتِ المَذَاهِب
وَجَاءَ بآياتٍ تَبَيَّنَ أنَّها دَلائلُ جَبَّارٍ مُثيبٍ مُعاقِب
فمنها انْشِقاقُ البَدْرِ حَتَّى تعمَّمَتْ شُعوبُ الضِّيَا منه رؤوسَ الأَخَاشِبِ
ومنها نبوعُ الماء بَيْنَ بَنَانِهِ وقد عَدِمَ الوُرَّادُ قُرْبَ المشارب
فَرَوَّى بها جَمّاً[٢] غفيراً وأَسْهلَت بأَعْنَاقِهِ طَوْعاً أَكُفُّ المذَانِبِ[٣]
وبئرٌ طغَتْ بالماء من مسِّ سَهْمِهِ ومن قَبْلُ لم تَسْمحْ بِمَذْقةِ شَارِبِ
وضَرْعٌ مَرَاه[٤] فاسْتَدرَّ وَلَمْ يَكُن به دَرَّةٌ تُصْغِي إلىَ كُفِّ حَالِبِ
ونُطْقٌ فصيحٌ من ذِراعٍ مُبِينةٍ لكَيْدِ عدوٌ للعَداوة ناصِبِ
وإِخبارُهُ بالأَمْرِ من قَبْلِ كَوْنه وعند مَبَادِيه بما في العَوَاقِبِ
ومن تِلْكُمُ الآياتِ وَحْيٌ أَتَى به قَريب المآتي مُسْتجم[٥] العجائب
تقاصَرتِ الأفكارُ عنه فلم تُطعْ بليغاً ولم يَخطر على قلب خاطب
حوَى كُلَّ عِلْمٍ واحتَوَى كُلَّ حِكْمَةٍ وفاتَ مَرامَ المُسْتَمِرِّ المُوارِبِ
أَتانا به لا عن رَوِيّةِ مُرْتَئٍ ولا صُحْفِ مُسْتَمِلٍ ولا وَصفِ كاتِب
يُوَاتيه طَوْراً في إجابةِ سائِلٍ وإفتاءِ مُسْتفْتٍ ووعْظِ مُخَاطِب
وإتيانِ بُرْهانٍ وفَرْضِ شرائعٍ وقَصِّ أَحاديثٍ ونَصبِ مَآدِب
وتصريفُ أَمثالٍ وتثبيتُ حُجَّةٍ وتعريفُ ذِي جَحْدٍ وتوقيفُ كاذِب
وفي مَجْمَعِ النادي وفي حَوْمَة الوَغَى[٦] وعِنْدَ حَدِيثِ المُعضِلاتِ الغرائب
فيأتي على ماشئتَ من طُرُقاتِهِ كريمَ المَعَاني مُستدِرَّ الصَّوائبِ
وصدَّقَ مِنْهُ البَعضُ بَعْضاً كأنَّما يُلاحَظُ مَعْنَاهُ بعَيْنِ المُرَاقِب
وعَجْزُ الورَى عن أن يجيئوا بمثل ما وَصَفْناهُ مَعْلومٌ بطُولِ التَّجَارِب

(١) قال القتيبيُّ في تفسير قوله تعالى: «فزيلنا»: أي فرقنا، وهو في البيت بزنة فعلت للفعل زيل: زلت الشيء من مكانه أزيله زيلاً: لغة في أزلته اللسان ١٩٠١/٢.

(٢) الجماء الغفير: جماعة الناس وجاء واجماً غفيراً، وجماء الغفير والجماء الغفير أي بجماعتهم اللسان ٦٨٨/١، والوسيط ١٣٧/١.

(٣) قال ابن الأعرابي: المذنب الذنب الطويل وقال الجوهري: والمِذْنب مسيل الماء في الحضيض والمِذنبةُ المذنب؛ المِغرفة لأن لها ذنباً أو شبه الذنب والجمع مذانب، انظر اللسان ١٥١٩/٢، ١٥٢٠، والمعجم الوسيط ٣١٦/١.

(٤) انظر الوسيط ٨٦٥/٢.

(٥) جمم: الجَمُّ والجمم: الكثير من كل شيء، وما لجم: كثير اللسان. ٦٨٦/١، والوسيط ١٣٧/١.

(٦) الوغى: الصوت، وقيل: الوغى الأصوات في الحرب مثل الوغى ثم كثر ذلك حتى سموا الحرب وغى، اللسان ٤٨٨٠/٦.

تـأَبَّـى بِـعَـبْـدِ الـلـه أكـرم والـدِ تـبَـلَّـجَ مـنـه عـن كَـرِيمِ مَـنَـاسِـبِ
وشَيْبةِ ذي الحمد الذي فَخَرَتْ بِهِ قريشٌ على أهلِ العُلَى والمناصب
ومن كان يُسْتَسْقَى الغمامُ بوجْهِهِ ويُصْـدَرُ عـن آرائِـهِ فـي الـنـوائـب
وهـاشـمِ الـبَـانـي مَـشِـيـدَ افْـتـخَـارِهِ بِغُرِّ الـمَسَاعِي وابْتِذَالِ الـمَواهب
وعـبـدِ مـنـافٍ وَهْـوَ عَـلَّـمَ قَـوْمَـهُ اشْتِطَاطَ الأَماني واحْتِكَامَ الرَّغَائِبِ
وإن قُـصَـيّـاً مـن كِـرَامِ غِـرَاسِـهِ لفي مَنْهَلٍ لم يَدْنُ من كَفِّ قَاضِبِ
بـه جَـمَـعَ الـلـهُ الـقـبـائِـلَ بـعـدَمَـا تَقَسَّمَهَا نَهْبُ الأَكُفِّ السَّوالِبِ
وحَلَّ كلابٌ من ذُرَا الـمجْد مَعْقِلاً تَـقَـاصَـرَ عـنـه كُـلُّ دَانٍ وعَـازِبِ
ومُـرَّةُ لَـمْ يَـحْـلُـلْ مَـرِيـرَةَ عَـزْمِـه سفَاهُ سفِيهٍ أو مَحُوبَةُ خَائِبِ
وكَعْبٌ علاَ عن طَالِبِ المَجْدِ كَعْبُهُ فَنَالَ بأَعْلَى السَّعْيِ أَعْلَى المَرَاتِبِ
وأَلْـوَى لُـؤَيٌّ بـالـعِـدَاةِ فَـطُـوِّعَـتْ لـه هِـمَـمُ الـشُّـمِّ الأُنـوفِ الأَغَالِبِ
وفي غالبٍ بأْسٌ أَبى الناسُ دُونَهُمْ يُـدَافِـعُ عَـنْـهُ كُـلَّ قِـرْنٍ مُـغَـالِـب
وكانت لفِهْرٍ في قريشٍ خَطَابَةٌ يَعُوذُ بِهَا عند اشْتِجارِ المخَاطِبِ
وما زَالَ مـنْـهُـم مالـكٌ خيرَ مَالِكٍ وأَكْرَمَ مَصْحُوبٍ وأَنْجَدَ صاحِبِ
وللنَّضْر طَوْلٌ يَقْصُر الطَّرْفُ دونَهُ بحيثُ الْتَقَى ضوءُ النجومِ الثَّواقِبِ
لعَمْرِي لَقَد أَبدَى كِنَانةُ قَبْلَه مَحَاسِنَ تأْبى أَن تَطُوعَ لِغالِبِ
ومن قـبـلِـهِ أَبْـقَـى خُـزَيْمةُ حَـمْـدَه تَـلِـيـدَ تُـراثٍ عـن حَـمِـيـدِ الأَقَارِبِ
ومُـدْرِكَـةٌ لـم يُـدرِكِ الـنـاسُ مـثـلَـه أَعفَّ وأَعْلَى عن دَنِيءِ المَكَاسِبِ
وإلْـيـاسُ كـانَ الـيـأْسُ مـنـه مُـقـارِنـاً لأَعـدائِـه قـبـلَ اعْـتِـدَادِ الـكَـتَـائِـبِ
وفي مُضَرٍ مُسْتَجمَعُ الفَخرِ كُلِّهِ إذا اعْتَرَكَتْ يَوْماً زُحُوفُ المقَانِبِ
وحَـلَّ نـزارٌ مـن رِيَـاسـةِ أَهْـلِـهِ مَحلاً تسامَى عن عُيُونِ الرَّوَاقِبِ
وكـانَ مَـعَـدٌّ عُـدَّةً لـولـيِّـهِ إذا خَافَ من كَيْدِ العَدُوِّ المُحَارِبِ
ومـا زال عـدنـانُ إذا عُـدَّ فـضْـلُـه تَـوحَّـد فـيـه عـن قـريـبٍ وصَـاحِـبِ
وأُدٌّ تـأَدَّى الـفَـضْـلُ مـنـه لِـغَـايَـةٍ وإرْثٍ حَـوَاهُ عـن قُـرُومٍ أَشَـايِـبِ
وفـي أُدَدٍ حِـلْـمٌ تَـزَيَّـنَ بـالـحِـجَـا[1] إذا الحِلْم أزهاه[2] قُطوبُ الحَوَاجِبِ
وما زَالَ يـسـتعْلي هَمَيْسَعُ بالعُلَى ويَـتْـبـعُ آمـالَ الـبَـعـيـد الـمُـرَاقِـبِ

---

(١) الحجا: العقل جمعه أحجاء، الوسيط ١٥٩/١.

(٢) زُهي فلان فهو مزهو إذا أعجب بنفسه وتكبر، اللسان ١٨٨٢/٣.

وَنَبْتٌ نَمَتْهُ دَوْحَةُ العِزّ وابْتَنَى ... مَعَاقِلَةُ في مُشْمخِرٍّ[1] الأَهاضِبِ

وحِيزَتْ لقَيْدَارِ سَمَاحَةُ حَاتِمٍ ... وحِكْمةُ لقمان وهِمَّةُ حَاجِبِ

هُمُ نَسْلُ إسماعيلَ صادقُ وَعْدِه ... فما بَعْدَه في الفَخْرِ مَسْعىً لِذَاهِبِ

وكان خليلُ اللهِ أكرمَ مَنْ عَنَتْ[2] ... له الأَرْضُ من ماشٍ عليها ورَاكِبِ

وتارِحُ ما زَالَتْ له أَرْيَحِيَّةٌ ... تُبيَّنُ منه عن حَمِيدِ الضرائِبِ

وناحورُ نَحَّارُ العِدَى حُفِظَتْ له ... مآثرُ لمَّا يُحْصِها عَدُّ حاسِبِ

وساروغُ في الهيجاءِ ضَيْغَمُ غابَةٍ ... يَقُدُّ الكُمَاةَ بالمُرْهَفَاتِ القَوَاضِبِ[3]

وَأَرْغُو فَنَابٌ في الحُرُوبِ مُحَكَّمٌ ... ظَنِينٌ على نفس المُشيح[4] المُغَالب

وما فَالِغٌ في فضلِهِ تِلْوَ قومه ... ولا عابرٌ من دونهم في المَرَاتِبِ

وَفَالِخُ وأَرْفَخْشَذْ وسامٌ سَمَتْ بهمْ ... سَجايا حَمَتْهُمْ كُلَّ زارٍ[5] وعائِبِ

وما زال نوُحُ عِنْدَ ذي العَرْش فَاضِلاً ... يُعَدِّدهُ في المصطفَيْنَ الأَطايبِ

ولَمْكٌ أَبوهُ كان في الرَّوْعِ رائِعاً ... جَرِيّاً عل نفس الكَمِيِّ[6] المُضَارِبِ

ومن قَبْلُ لَمْكٍ لم يَزَلْ مَتُّوشَلِخٌ ... يذودُ العِدى بالذائِدَاتِ الشَّوَازِبِ

وكانت لإدريسَ النبيِّ منازلٌ ... من اللهِ لم تُقرَن بِهِمَّةِ غالب

ويارِدُ بَحْرٌ عند أَهْلِ سَرَاتِهِ ... أَبِيُّ الخَزَايا مُسْتِدِقُّ المَذَاهب

وكانت لمهْيَاييلَ فيهمْ فضائِلٌ ... مهذَّبَةٌ من فَاحِشَاتِ المثَالب[7]

وقَيْنانُ من قَبْلُ اقتنى مَجْدَ قومه ... وفات بَشأْوِ الفَضْلِ وَخْدَ الركائبِ

وكان أَنوشٌ ناشَ للمجد نَفْسَهُ ... ونزَّهَهَا عن مُرْدِياتِ المطَالِبِ

وما زال شِيثٌ بِالْفَضائِل فاضلاً ... شريفاً بَرِيّاً من ذَمِيم المَعَائبِ

وكُلُّهمْ من نورِ آدم أَقْبَسُوا ... وعن عُوده أَجْنَوا ثمارَ المَنَاقِبِ

وكان رسولُ الله أَكرمَ مُنْجَبٍ ... جرَى في ظهور الطيِّبين المناجِبِ

مُقابِلَةٌ آباؤه أُمهاتِه ... مُبَرَّاةٌ من فاضحات المثَالِبِ

عليه سلام الله في كل شَارِقٍ ... أَلَاحَ لنا ضَوْءاً وفي كُلِّ غارب

(١) انظر اللسان ٦/٤٦٧٠.

(٢) المعجم الوسيط ٢/٦٣٠.

(٣) اللسان ٤/٣٦٦٠.

(٤) قال الفراء: المُشيح على وجهين: المقبل إليك والمانع لما وراء ظهرك، اللسان ٤/٢٣٧٢.

(٥) قال أبو عمرو الشيباني: الزاري على الإنسان هو الذي ينكر عليه ولا يعد شيئاً، المصباح المنير ٢٥٣.

(٦) الكميّ: الشجاع المتكمي في سلاحه، لأنه كمى نفسه، أي سترها بالدرع والبيضة والجمع الكُماة، اللسان ٥/٣٩٣٤.

(٧) مفردها: مثلُبَة بضم اللام وفتحها بمعنى المعايب، اللسان ١/٤٩٦.

الباب الرابع

في شرح أسماء آبائه صلى الله عليه وسلم وبعض أحوالهم على وجه الاختصار

عبد الله: علَم منقول من مركب إضافي. أَما المضاف إليه ففي كونه منقولا فِي الأَصل أَو مرتَجلاً خلاف مشهور لا نطيل بذكره، وهو الاسم الأَعظم للباري تعالى في قول أَكثر أَهل العلم كما حكاه البَنْدَنِيجيّ رحمه الله تعالى، وقد اشبعت الكلام على هذا الاسم العظيم في كتابي «القول الجامع الوجيز الخادم للقرآن العزيز».

وأَما المضاف فإِنه صفة في الأَصل، كما صرح به ابن الحاجب. والعبد هو المملوك من نوع من يعقل، مشتق من التعبد وهو التذلل.

قال ابن الأَنْبَاري[١] رحمه الله تعالى: العبد الخاضع لله، من قولهم: طريق مُعَبّد إِذا كان وطِئها الناسُ والعُبودية: أَشرف أَوصاف العبد، وبها نَعت الله تعالى نبيه ﷺ في أَعلى مقاماته وهو الإِسراء. كما سيأْتي بيان ذلك هناك.

وكنيته قال ابن الأَثير: أَبو قُثَم. والقُثَم من أَسمائه ﷺ، مأْخوذ من القَثْم وهو الإِعطاء أَو من الجمع، يقال للرجل الجموع للخير: قثوم وقُثَم. وقيل كنيته: أَبو محمد. وقيل أَبو أَحمد ويلقب بالذَّبيح، لقول ابن عباس رضي الله تعالى عنهما فيما رواه ابن سعد، ومعاوية بن أَبي سفيان فيما رواه الحاكم، وابن جرير والزهري فيما رواه البيهقي، وابن إِسحاق فيما رواه البيهقي: أَن أَباه عبد المطلب لما أُمر في منامه بحفر زمزم ولم يكن له من الولد إِلا الحارث وبه كان يكنى. فنذَر إِن ولد له عشرة نفر ثم بلغوا أَن يمنعوه ليَنْحرن أَحدهم عند الكعبة. وكان السبب في ذلك كما رواه ابن سعد والبلاذري أَن عَدِيّ بن نوفل بن عبد مناف والد المُطْعم قال له: يا عبد المطلب أَتستطيل علينا وأَنت فَذٌّ لا ولد لك؟ فقال عبد المطلب أَبالقِلَّة تُعيِّرني[٢]؟! فوالله لئن آتاني الله عشرةً من الولد ذكوراً لأَنحرنَّ أَحدهم عند الكعبة. انتهى.

فلما توافَى بنوه عشرةً وعرف أَنهم سيمنعونه ـ وذلك بعد حفره زمزم بثلاثين سنة ـ جمَعهم ثم أَخبرهم بنَذْره ودعاهم إِلى الوفاء لله بذلك، فأَطاعوه وقالوا: أَوْفِ بنَذْرك وافعل ما

---

(١) محمد بن القاسم بن محمد بن بشار، أبو بكر الأنباري: من أعلم أهل زمانه بالأدب واللغة، ومن أكثر الناس حفظاً للشعر والأخبار، قيل: كان يحفظ ثلثمائة ألف شاهد في القرآن. ولد في الأنبار (على الفرات) وتوفي ببغداد. وكان يتردد إلى أولاد الخليفة الراضي بالله، يعلمهم. من كتبه «الزاهر» في اللغة، و «شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات» و «إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل» و «الهاآت» و «عجائب علوم القرآن» و «شرح الألفات» رسالة نشرت في مجلة المجمع بدمشق، و «خلق الإنسان» و «الأمثال» و «الأضداد» وأجل كتبه «غريب الحديث» قيل إنه ٤٥٠٠٠ ورقة. وله «الأمالي». توفي سنة ٣٢٨هـ. الأعلام ٦/٣٣٤.

(٢) في أ: تعيروني.

شئت كيف تصنع. قال: ليأْخذ كلُّ رجل منكم قِدْحا ثم يكتب فيه اسمه، ثم ائتوني ففعلوا، فدخل بهم على هُبَل في جوف الكعبة وكان على بئر في جوف الكعبة. وكانت البئر هي التي يُجْمع فيها ما يُهدى للكعبة، وكان عند هُبل قِدَاح سبعة بها يَضْربون على ما يريدون وإلى ما يخرج ينتهون في أُمورهم. فقال عبد المطلب لصاحب القِدَاح: اضربْ على بَنِيَّ هؤلاء بقِدَاحهم هذه. وأَخبَره بنذره الذي نذَر. وأَعطاه كلُّ رجل منهم قِدْحه الذي فيه اسمه. قال ابن إسحاق رحمه الله تعالى: وكان عبد الله بن عبد المطلب أَصغَر بني أَبيه وأَحبَّهم إليه، وكان عبد المطلب يرى أَن السَّهْم إذا أَخطأَه فقد أَشوَى. فلما أَخذ صاحبُ القداحَ ليضرب بها قام عبدُ المطلب عند هُبَل يدعو الله تعالى، ثم ضرب صاحبُ القداحِ القداحَ، فخرج السهمُ على عبد الله فأَخذ عبدُ المطلب بيَده وأَخذالشَّفْرة ثم أَقبل به إلى إسَاف ونائلة ليذبحه، فجذَب العباسُ عبدَ الله من تحت رجل أَبيه حين وضعها عليه ليذبحه، فيقال إنه شجَّ وجهه شجةً لم تزل على وجه عبد الله حتى مات، فقامت إليه قريش من أَنديتها وقالوا: ماذا تريد يا عبد المطلب؟ قال: أَذبحه. فقالت له قريش وبنوه: والله لا تذبحه أَبداً حتى تُعْذِر فيه، لئن فعلتَ هذا لا يزال الرجلُ يأْتي بابنه فيذبحه، فما بقاء الناس على هذا؟ وقال له المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم، وكان عبد الله ابن أُخت القوم: والله لا تذبحه أَبداً حتى تُعْذر فيه، فإن كان فداؤه بأَموالنا فديناه. وقالت قريش وبنوه: لا تفعل وانطلقْ إلى الحجاز فإن به عرَّافة لها تابعٌ من الجن فتسألها ثم أَنت بعد ذلك على رأْس أَمرك، إن أَمرتْك بذبحه ذبحتَه، وإن أَمرتك بأَمرٍ لك وله فيه فَرَج فعَلْته.

فانطلقوا حتى قدِموا المدينة فوجدوهابخيبر، فركبوا حتى جاؤوها فسأَلوها، وقصَّ عليها عبد المطلب خبره وخبر ابنه وما أَراد به في نَذْره. فقالت لهم: ارجعوا عنِّي اليوم حتى يأْتيني تابِعي فأَسأَله. فرجعوا من عندها فلما خرجوا من عندها قام عبد المطلب يدعو الله تعالى، ثم غدَوْا عليها فقالت لهم: قد جاءني الخبر، كم الدِّية فيكم؟ قالوا: عشرة من الإبل. وكانت كذلك. قالت: فارجعوا إلى بلادكم ثم قرِّبوا صاحبَكم وقرِّبوا عَشْراً من الإبل، ثم اضربوا عليه وعليها بالقِدَاح، فإن خرجت على صاحبكم فزيدوا من الإبل، حتى يرضى ربكم، وإن خرجت على الإبل فانحروها عنه فقد رضي ربكم ونجا صاحبكم.

فخرجوا حتى قدموا مكة، فلما أَجمعوا لذلك قام عبدُ المطلب يدعو الله، فقرَّبوا عبدَ الله وعشرةً من الإبل، ثم ضربوا فخرج القِدْح على عبد الله، فزادوا عشراً من الإبل فبلغت الإبل عشرين، فقام عبد المطلب يدعو الله ثم ضربوا القدح فخرج على عبد الله، فزادوا عشراً من الإبل، وما زالوا كذلك يزيدون عَشْراً فعشراً من الإبل ويضربون عليها بالقداح، كلُّ ذلك يخرج

القِدْح على عبد الله حتى بلغت الإِبل مائة، وقام عبدُ المطلب يدعو الله ثم ضربوا فخرج القِدْح على الإِبل، فقالت قريش: قد انتهى رضا ربِّك يا عبد المطلب. فقال عبد المطلب: لا والله حتى أَضرب عليها ثلاث مرات. فضربوا على عبد الله وعلى الإِبل، وقام عبد المطلب يدعو الله فخرج القدح على الإِبل، ثم عادوا الثانية والثالثة، وعبد المطلب قائِم يدعو الله فخرج القدح في كلتيهما على الإِبل، فنُحِرت ثم تُركت لا يُصدّ عنها إِنسان ولا سبع.

قال الزهري(١): وكان عبد المطلب أَول من سَنَّ دية النفس مائة من الإِبل، فجَرتْ في قريش والعرب، وأَقرها رسول الله ﷺ.

وروى الحاكم وابن جرير والأَموي(٢) عن معاوية رضي الله تعالى عنه أَن أَعرابياً قال للنبي ﷺ: يا ابن الذَّبيحين. فتبسم رسول الله ﷺ ولم ينكر عليه. فقيل لمعاوية: من الذبيحان؟ قال: إِسماعيل وعبد الله.

قال ابن حزم(٣) رحمه الله تعالى: لا عَقِب لعبد الله غير رسول الله ﷺ أَصلاً ولم يولد لعبد الله غير رسول الله ﷺ لا ذكر ولا أُنثى.

وقال ابن سعد رحمه الله تعالى: لم تلد آمنة ولا عبد الله غير رسول الله ﷺ.

وأُم عبد الله: فاطمة بنت عمرو بن عائذ ـ بعين مهملة فمثنّاة تحتية فذال معجمة ـ ابن عمران ابن مخزوم.

---

(١) محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب الزهري، من بني زهرة بن كلاب، من قريش، أبو بكر: أول من دوّن الحديث، وأحد أكابر الحفاظ والفقهاء. تابعي، من أهل المدينة. كان يحفظ ألفين ومئتي حديث، نصفها مسند. وعن أبي الزناد: كنا نطوف مع الزهري ومعه الألواح والصحف ويكتب كل ما يسمع. نزل الشام واستقرّ بها. وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عماله: عليكم بابن شهاب فإنكم لا تجدون أحداً أعلم بالسنة الماضية منه. قال ابن الجزري: مات بشَغْب، آخر حدّ الحجاز وأول حدّ فلسطين. توفي ١٢٤هـ. الأعلام ٩٧/٧.

(٢) الشيخُ المحدِّثُ العالم، أبو عبد الله، محمدُ بنُ العبَّاسِ بنِ يَحْيَى الأمويُّ مولاهم الحَلَبيّ، نزيل الأَندلس ومسندُها. سمعَ من: أبي عَرُوبة الحرّاني، وعليِّ بنِ عبدِ الحميد الغَضَائِري، ومحمدِ بنِ إبراهيمَ بن نَيْرُوز، ومكحولٍ البَيْرُوتي، وأبي الجَهْم بن طلاَّب، ومحمدِ بنِ سعيد التَّرْخُمي الحمصي، ووَفَدَ على الأَميرِ المستَنْصِر صاحبِ الأَنْدَلُس. حدث عنه أبو بكر محمدُ بنُ الحسن الزُّبيدي، وأبو الوليد عبدُ اللهِ بنُ الفَرَضي. قال أبو الوليد: كتبتُ عنه وقد كُفَّ بَصَره، وتوفي في سنةِ ستٍّ وسبعينَ وثلاثمائة.

(٣) علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري، أبو محمد: عالم الأندلس في عصره، وأحد أئمة الإسلام. كان في الأندلس خلق كثير ينتسبون إلى مذهبه، يقال لهم «الحزمية». ولد بقرطبة. وكانت له ولأبيه من قبله رياسة الوزارة وتدبير المملكة، فزهد بها وانصرف إلى العلم والتأليف، فكان من صدور الباحثين فقيهاً حافظاً يستنبط الأحكام من الكتاب والسنة، بعيداً عن المصانعة. وانتقد كثيراً من العلماء والفقهاء، فتمالأوا على بغضه، وأجمعوا على تضليله وحذروا سلاطينهم من فتنته، ونهوا عوامهم عن الدنو منه، فأقصته الملوك وطاردته، فرحل إلى بادية لَبْلة (من بلاد الأندلس) فتوفي فيها.

تفسير الغريب

إِسَاف: بكسر الهمزة وفتح السين المخففة. نائلة ـ بنون فألف فمثناة تحتية: اسما صنمين.

أَصغر بني أَبيه: قال السُّهيلي: هذا غير معروف. ولعل الرواية أَصغر بني أمّه، وإلا فحمزة كان أَصغر من عبد الله، والعباس كان أَصغر من حمزة. قال السهيلي: وله وجه وهو أن يكون عبد الله أَصغر ولد أَبيه حين أَراد نحره ثم ولد بعد ذلك حمزة والعباس.

قال أَبو ذر الخُشَنِيّ رحمه الله تعالى: قوله أَصغر بني أَبيه: يعني في ذلك الوقت.

أَشْوَى بشين معجمة: قال في النهاية: يقال رَمَى فأَشْوَى إذا لم يُصب المقْتَل. وقال الخُشَني: يقال أَشْويت من الطعام إذا أُبقيت منه.

القِدَاح ـ بكسر القاف: جمع قِدْح. كذلك: السهمُ الذي كانوا يستقسمون به.

* * *

ومن شعر عبد الله والد سيدنا رسول الله ﷺ ما أَورد الصلاح الصَّفَدي في تذكرته وشيخنا رحمهما الله في المسالك:

لقدْ حَكَمَ السَّارُونَ في كل بلْدَةٍ ... بأَنَّ لنا فَضْلاً على سادَةِ الأَرض

وأَنَّ أَبي ذُو المَجْدِ والسُّؤْدَدِ الّذي ... يُشَارُ بِهِ ما بَيْنَ نَشْزٍ إِلىَ خَفْضِ

وَجَدّي وآباءٌ لهُ أَثَّلوا العُلَى ... قَدِيماً بطيبِ العِرْقِ والحَسَبِ المحْضِ

وسيأَتي الكلام على وفاته في أَبواب المولد إن شاء الله تعالى.

تنبيه: روى مسلم من طريق حماد بن سلَمة[1]، عن ثابت، عن أَنس رضي الله تعالى عنه أَن رجلاً قال: يا رسول الله أَين أَبي؟ قال: «**في النار**». فلما قفى[2] دعاه فقال: «**إن أَبي وأَباك في النار**».

قال الشيخ رحمه الله تعالى في مسَالك الحُنفا في والدَي المصطفى: قوله: «**إن أَبي وأَباك في النار**» لم يتفق عليه الرواة، وإنما ذكره حماد بن سلمة، عن ثابت. وقد خالفه معمر عن ثابت، فلم يذكر: إن أَبي وأَباك في النار. ولكن قال له: إذا مررت بقبر كافر فبشّره بالنار.

---

(١) حماد بن سليمة بن دينار الربعي أو التميمي أو القرشي مولاهم أبو سلمة البصري أحد الأعلام عن ثابت وسماك وسلمة بن كهيل وابن أبي مليكة وقتادة وحميد وخلق وعنه ابن جريج وابن إسحاق شيخاه وشعبة ومالك وحبان بن هلال والقعنبي وأمم. الخلاصة ١/٢٥٢.

(٢) في أ: نعى.

وهذه اللفظة لا دلالة فيها على والده ﷺ بأَمرِ البتة. وهو أَثْبَت من حيث الرواية. فإِن مَعْمَراً أَثبت من حمَّاد. فإِن حماداً تُكلِّم في حفظه، ووقع له أَحاديث مَنَاكير ذكروا أَن رَبيبه دسَّها في كتبه. وكان حمَّاد لا يحفظ فحدَّث بها فوَهِم. ومن ثم لم يخرِّج له البخاري شيئاً، ولا أَخرج له مسلم في الأُصول إلاَّ من روايته عن ثابت.

وقد قال الحاكم في المدخل: ما خرَّج مُسْلم لحمَّاد في الأُصول إِلا من حديثه عن ثابت وقد أَخرج له في الشواهد عن طائفة، وأَمَّا مَعْمَر فلم يُتَكلم في حفظه ولا استنكر شيء من حديثه واتفق على التخريج له الشيخان فكان لفظه أَثْبت.

ثم وجدنا الحديث وردَ من حديث سعد بن أَبي وقاص بمثل رواية مَعْمَر، عن ثابت، عن أَنس.

فروى البزَّار والطبراني والبيهقي من طريق إِبراهيم بن سعد، عن الزُّهري، عن عامر ابن سعد، عن أَبيه، أَن أَعرابياً، قال لرسول الله ﷺ: أَين أَبي؟ قال: في النار. قال: فأَين أَبوك؟ قال: **«حيثما مررتَ بقبر كافر فبشِّره بالنار»**.

وهذا الإِسناد على شرط الشيخين. فتعيَّن الاعتماد على هذا اللفظ وتقديمه على غيره.

وقد زاد الطبراني والبيهقي في آخره قال: فأَسلم الأَعرابي بعد وقال: لقد كلَّفني رسول الله ﷺ تعبا! ما مررت بقبر كافر إِلا بشَّرْته بالنار.

وقد روى ابن ماجه عن طريق إِبراهيم بن سعد، عن الزهري عن سالم، عن أَبيه قال: جاء أَعرابي إِلى النبي ﷺ فقال: إِن أَبي كان يصَل الرحم وكان. فأَين هو؟ قال: **«في النار»**. قال: فكأَنه وجد من ذلك فقال: يا رسول الله، فأَين أَبوك؟ فقال رسول الله ﷺ: **«حيثما مرَرْت بقبر مُشْرك فبشِّره بالنار»**. قال: فأَسلم الأَعرابي بعدُ وقال لقد كلَّفني رسولُ الله ﷺ تعباً! ما مررتُ بقبر كافر إِلا بشَّرتُه بالنار.

قال الشيخ رحمه الله تعالى: فهذه الزيادة أَوضحت بلا شك أَن هذا اللفظ العامّ هو الذي صدَر منه ﷺ ورآه الأَعرابي بعد إِسلامه أَمراً مقتضِياً للامتثال، فلم يسعه إِلا امتثاله، ولو كان الجواب باللفظ الأَول لم يكن فيه أَمرٌ بشيء البتة. فعلِم أَن اللفظ الأَول من تصرّف الراوي، رواه بالمعنى على حسب فهمه.

وقد وقع في الصحيحين روايات كثيرة من هذا النمط فيها لفظٌ تصرف فيه الراوي، وغيره أَثْبت منه. كحديث أَنس في نفي قراءة البسملة. وقد أَعلَّه الإِمام الشافعي رضي الله تعالى عنه بذلك وقال: إِنَّ الثابت من طريق آخر نفي سماعها،ففهم منه الراوي نفي قراءتها فرواه بالمعنى على ما فهمه، فأَخطأَ.

قال الشيخ رحمه الله تعالى: ونحن أَجبنا عن حديث مسلم في هذا المقام بنظير ما أَجاب به إِمامنا الشافعي عن حديث مسلم في نفي قراءة البسملة.

ثم رأَيت طريقاً أَخرى للحديث مثل لفظ رواية مَعْمَر وأَزْيد وضوحاً. وذلك أَنه قد صرّح فيه بأَن السائل أَراد أَن يسأَل عن أَبيه ﷺ، فعدَل عن ذلك تجمُّلاً وتأَدباً. فروى الحاكم في المستدرك وصححه عن لقيط بن عامر(١) رضي الله عنه أَنه قال: يا رسول الله هل أَحد ممن مضى منا في جاهليته في خير؟ فقال رجل من عرض قريش: إِن أَباك المنتفق في النار. فكأَنه وقع حَرٌّ بين جلد وجهي ولحمي مما قال لأَبي على رؤوس الناس، فهمَمْت أَن أَقول: وأَبوك يا رسول الله؟ ثم نظرت فإِذا الأُخرى أَجمل، فقلت: وأَهلك يا رسول الله؟ فقال: «**ما أَتيت عليه من قبر قرشِيّ ولا عامريّ مشرك فقل: أَرسلني إِليك محمد فأَبشِّرك بما يسوؤك**».

هذه الرواية لا إِشكال فيها، وهي أَوضح الروايات وأَبْينها.

ثم لو فرض اتفاق الرواة على اللفظ الأَول كان معارَضاً بالأَدلة الآتية في المسلك الأَول والحديث إِذا عارضه أَدلة أُخرى هي أَرجح منه وجب تأْويله وتقديم تلك الأَدلة عليه كما هو مقرَّر في الأُصول.

تتمة: ثبت في الحديث الصحيح أَن أَهْوَن أَهل النار عذاباً أَبو طالب، وأَنه في ضَحْضاح من النار في رجليه نعلان من نار يَغْلي منهما دماغه، وهذا مما يدل على أَن أَبوي النبي ﷺ ليسا في النار. لأَنهما لو كانا فيها لكانا أَهون عذاباً من أَبي طالب، لأَنهما أَقرب منه مكاناً، وأَبْسط عُذْراً،فإِنهما لم يدركا البعثة ولا عرض عليهما الإِسلام فامتنعا. بخلاف أَبي طالب، وقد أَخبر الصادق المصدوق أَنه أَهون أَهل النار عذاباً. فليس أَبواه من أَهلها. وهذا يسمَّى عند أَهل الأُصول دلالة الإِشارة.

تنبيه: أَجاب جماعة عن الأَحاديث الواردة في عدم نجاة الأَبوين بأَنها وردت قبل ورود الآيات والأَحاديث الآتية في المسلك الأَول. كما أَجابوا بذلك عن الأَحاديث الواردة في أَطفال المشركين أَنهم في النار. وقالوا: الناسخ لأَحاديث الأَطفال قوله تعالى: ﴿**وما كنا مُعَذِّبين حتى نَبْعث رسولاً**﴾. وإِذا عُلم ما تقرر فللعلماء رضي الله تعالى عنهم في والدي المصطفى ﷺ مسالك:

الأَوَل: أَنهما لم تبلغهما دعوة أَحد وذلك لمجموع أُمور: تأَخر زمانهما وبعُد ما بين

---

(١) لَقِيط بن عامر بن صَبِرَة بكسر الموحدة، وهو لَقِيط بن صَبِرَة وَلَقِيط بن المُنْتَفِق بضم الميم وإِسكان النون وفتح المثناة فوق وكسر الفاء آخره قاف، ابن عامر بن عُقيل بن كعب العُقَيْلي أَبو رَزين، صحابي له أَربعة وعشرون حديثاً. وعنه ابنه عاصم وابن أَخيه وَكِيع بن حدس. الخلاصة ٣٧٢/٢.

الأَنبياء السابقين. فإِن آخر الأَنبياء قبل بعثة نبينا ﷺ: عيسى ﷺ. وكانت الفترة بينه وبين بعثة نبينا ﷺ نحو ستمائة سنة، ثم إِنهما كانا في زمن جاهلية. وقد طبّق الجهلُ الأَرضَ شرقاً وغرباً وفُقد من يعرف الشرائع ويبلّغ الدعوة على وجهها إِلا نفراً يسيراً من أَحبار أَهل الكتاب مفرّقين في أَقطار الأَرض كالشام وغيرها. ولم يُعهد لهما تقلّب في الأَسفار سوى إِلى المدينة ولا عَمَّرا عمراً طويلاً بحيث يقع لهما فيه التنقيب، فإِن والده ﷺ صحح الحافظ العلائي أَنه عاش من العمر نحو ثماني عشرة سنة. ووالدته ﷺ ماتت وهي في حدود العشرين تقريباً. ومثل هذا العمر لا يسع الفحصَ عن المطلوب في مثل ذلك الزمان لا سيما وهي امرأَة مضنونة محجَّبة في البيت عن الاجتماع بالرجال، والغالب على النساء أَنهن لايعرفن ما الرجال فيه من أَمر الديانات والشرائع، خصوصاً في زمان الجاهلية الذي رجاله لا يعرفون ذلك فضلاً عن نسائِه. ولهذا لـمّا بُعث رسول الله ﷺ تعجب من بعثته أَهل مكة وقالوا: «أَبعث الله بَشراً رسولاً» وقالوا: «لو شاء الله لأَنزل ملائكةً ما سمعنا بهذا في آبائنا الأَوّلين».

فلو كان عندهم عِلْم من بعثة الرسل ما أَنكروا ذلك وربما كانوا يظنون أَن إِبراهيم بُعث بما هم عليه، فإِنهم لم يجدوا من يبلغهم شريعة إِبراهيم على وجهها لدُثورها وفَقْد من يعرفها، إِذ كان بينهم وبين زمن إِبراهيم أَزيدُ من ثلاثة آلاف سنة، وحُكم من لم تبلغه الدعوة أَنه يموت ناجياً بشرطه الآتي في الأَحاديث الآتية، وأَنه لا يعذَّب ابتداء قبل الامتحان كما سيأْتي بيان ذلك.

هذا مذهبنا لا خلاف فيه بين أَئمتنا الشافعية في الفقه والأَشاعرة في الأُصول. وقد نص على ذلك إِمامنا الشافعي رضي الله تعالى عنه في الأُم والمختصر، وتبعه جميع الأَصحاب فلم يشذّ أَحدٌ منهم بخلاف، واستدلوا على ذلك بعدّة آيات منها قوله تعالى: ﴿**وما كنا مُعَذِّبين حتى نبعث رسولاً**﴾ روى ابن جرير وابن أبي حاتم في تفسيريهما عن قتَادة في الآية قال: «إِنَّ الله ليس بمعذِّب أَحداً حتى يسبق إِليه من الله خبرٌ أَو تأْتيه من الله بينة» ومنها قوله تعالى: ﴿**ذلك أَن لم يَكُنْ ربُّك مُهْلك القُرَى بظُلم وأَهلُها غافلون**﴾ ومنها قوله تعالى: ﴿**ولولا أَن تُصيبهم مصيبةٌ بما قدَّمت أَيديهم فيقولوا: ربَّنا لولا أَرسلتَ إِلينا رسولاً فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين**﴾ أَوردهما الزركشي في شرح جمع الجوامع استدلالاً على قاعدة أَن شُكر المنعِم ليس بواجب عقلاً بل بالسمع، وهذه القاعدة أَي قاعدة شُكْر المنْعم مرجعها إِلى قاعدة كلامية وهي قاعدة التحسين والتقبيح العقليين، وإِنكارهما متفق عليه بين الأَشاعرة كما هو معروف في كتب الكلام والأُصول. وقد أَطنب الأَئمة في تقريرها.

وتَرْجع مسأَلة من لم تَبْلغه الدعوة إِلى قاعدة ثانية أُصولية وهي: أَن الغافل لا يكلَّف وهذا هو الصواب في الأُصول للآية الثانية.

ثم اختلفت عبارة الأَصحاب فيمن لـم تَبْلغه الدعوة، وأَحسنُها من قال: إِنه ناجٍ. وإِياها اختار السُّبْكي رحمه الله تعالى.

ومنهم من قال: على الفِطْرة. ومنهم من قال: مُسْلم.

قال الغزاليُّ رحمه الله تعالى: التحقيق أَن يقال: في معنى المُسْلم.

وقد مشى على هذا المسلك في والدَيْ سيدنا رسول الله ﷺ قومٌ من العلماء فصرَّحوا بأَنهما لـم تبلغهما الدعوة. حكاه عنهم سِبْط ابن الجوزي رحمه الله تعالى في «مرآة الزمان» ومشى عليه الإمام الآبِيّ في شرح مسلم.

وكان شيخنا شيخ الإِسلام شرف الدين المنَاوِيّ يعوِّل عليه ويجيب به إِذا سئل عنهما.

وقد ورد في أَهل الفترة أَحاديث كثيرة أَنهم موقوفون إِلى أَن يُمتحنوا يوم القيامة، فمن أَطاع دخل الجنة ومن عصى دخل النار. والمصحَّح منها ثلاثة: الأَول، حديث الأَسود ابن سريع رضي الله تعالى عنه أَن رسول الله ﷺ قال: **«أَربعةٌ يحتجُّون يومَ القيامة: رجل أَصمّ لا يسمع شيئاً، ورجل أَحمق، ورجل هَرِم: ورجل مات في الفترة. فأَما الأَصمّ فيقول: رب لقد جاء الإِسلام وما أَسمع شيئاً. وأَما الأَحمق فيقول: ربٌّ لقد جاء الإِسلامُ والصبيان يَحْذفونني بالبَعْر. وأَما الهَرِم فيقول: رب لقد جاء الإِسلام وما أَعقل شيئاً. وأَما الذي مات في الفترة فيقول: رب ما أَتاني لك رسول. فيأْخذ مواثيقهم لَيُطيعُنَّه، فيرسل إِليهم: أَن ادخلوا النار. فمن دخلها كانت عليه بَرْداً وسلاماً، ومن لم يدخلها فيُسحب إِليها»**.

الثاني: حديث أَبي هريرة رضي الله تعالى عنه موقوفاً، مثل حديث الأَسود بن سريع[1]. رواهما الإِمام أَحمد وإِسحاق في مسنديهما والبيهقي في كتاب الاعتقاد، وإِسنادهما صحيح. ورواه عبد الرزاق بسند صحيح من طريق آخر عنه.

الثالث: حديث ثَوْبَان رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إِذا كان يومُ القيامة جاء أَهل الجاهلية يحملون أَوزارهم على ظهورهم، فيسأَلهم ربهم فيقولون: ربنا لَـمْ ترسل إِلينا رسولاً ولـم يأْتنا لك أَمر، ولو أَرسلت إِلينا رسولاً لكنا أَطوعَ عبادك. فيقول لهم ربهم: أَرأَيتكم إِن أَمرتكم بأَمر تطيعوني؟ فيقولون: نعم. فيأمرهم أَن يَعْمدوا إِلى جهنم فيدخلوها، فينطلقون حتى إِذا دنوا منها وجدوا لها تَغَيُّظاً وزفيراً فيرجعون إِلى ربهم فيقولون: ربنا أَجِرْنا منها. فيقول لهم: أَلـم تزعموا أَني إِن أَمرتكم بأَمر تطيعوني؟ فيأْخذ على ذلك مواثيقهم فيقول: اعمدوا إِليها. فينطلقون حتى إِذا رأَوها**

---

(١) الأَسود بن سَرِيع التَّمِيمي المِنْقَرِي أبو عبد الله صحابي نزل البصرة له ثمانية أَحاديث وغزا مع النبي ﷺ أربع غزوات. وكان شاعراً مُحْسِناً فصيحاً لَسِناً، وهو أول من قَصَّ بالبصرة. روى عنه الأَحْنَف بن قَيْس والحسَن وعبد الرحمن بن أبي بَكْرَة ولا يصح سماعهما منه. قال ابن مَنْدة: مات سنة اثنتين وأربعين. الخلاصة ٩٥/١.

فرِقوا ورجعوا فقالوا: ربنا فَرِقْنا منها ولا نستطيع أَن ندخلها. فيقول: ادخلوها داخرين. فقال النبي ﷺ: لو دخلوها أَول مرة كانت عليهم برداً وسلاماً».

رواه البزّار والحاكم وصححه وأَقرّه الذهبي.

وورد من حديث أَبي سعيد رضي الله تعالى عنه مرفوعاً قال: قال رسول الله ﷺ: **«يُؤتى بالهالك في الفترة والمعتوه والمولود، فيقول الهالك في الفترة: لم يأْتني كتاب ولا رسول. ويقول المعتوه: أَي رب لم تجعل لي عقلاً أَعقل به خيراً ولا شراً.ويقول المولود: لم أُدرك العمل. قال: فتُرفع لهم نار فيقال لهم: رِدُوها. أَو قال: ادخلوها. فيدخلها من كان في علم الله سعيداً لو أَدرك العمل، ويُمْسك عنها من كان في علم الله شقيّاً لو أَدرك العمل، فيقول الله تبارك وتعالى: إِياي عصيتم فكيف برسلي بالغيب».**

رواه البزار من طريق عطية العوفي[١] وفيه ضَعْف. والترمذي يحسّن حديثه[٢] خصوصاً إِذا كان له شاهد، وحديثه هذا له عدة شواهد تقتضي الحكم بحسنه وثبوته.

ومن حديث أَنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«يؤتى بأَربعة يوم القيامة: بالمولود، والمعتوه، ومن مات في الفترة، وبالشيخ الفاني، كلهم يتكلم بحجته، فيقول الله تبارك وتعالى لِعُنُقٍ من جهنم، ابرُزِى. فيقول لهم: إِني كنت أَبعث إِلى عبادي رسلاً من أَنفسهم، وإِني رسول نفسي إِليكم، ادخلوا هذه: فيقول من كُتب عليه الشقاء يا ربّ أَندخلها ومنها كنا نَفْرَق، ومن كتب له السعادة فيمضي فيقتحم فيها مسرعاً فيقول الله: قد عصيتموني فأَنتم لرسلي أَشدّ تكذيباً ومعصية. فيدخل هؤلاء الجنة وهؤلاء النار»[٣].**

رواه البزار وأَبو يَعْلى.

ومن حديث معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه أَن رسول الله ﷺ قال: **«يؤتى يوم القيامة بالممسوخ عقلاً وبالهالك في الفترة وبالهالك صغيراً، فيقول الممسوخ عقلاً: يا رب لو آتيتني عقلاً ما كان من آتيته عقلاً بأَسعد بعقله منّي. وذكر في الهالك في الفترة والصغير نحو ذلك، فيقول الرب. إِني آمركم بأَمر فتطيعون؟ فيقولون: نعم.**

---

(١) عطية بن سعد بن جُنَادة العَوْفي بفتح المهملة وإِسكان الواو بعدها فاء الْجَدَلي بفتح الجيم أبو الحسن الكوفي. عن أبي هريرة وأبي سعيد وابن عباس. وعنه ابناه عمر والحسن وإسماعيل بن أبي خالد ومِسْعر وخلق. ضعفه الثوري وهُشيم وابن عدي. وحسن له الترمذي أحاديث قال مُطَيّن: مات سنة إحدى عشرة ومائة. الخلاصة ٢/ ٢٣٣- ٢٣٤.

(٢) ذكره الهيثمي في المجمع ٢١٩/٧ وعزاه للبزار وقال: فيه عطية وهو ضعيف.

(٣) ذكره الهيثمي ٢١٩/٧ وعزاه لأبي يعلى والبزار بنحوه وقال: وفيه ليث بن أبي سليم وهو مدلس. وبقية رجال أبي يعلى رجال الصحيح.

فيقول: اذهبوا فادخلوا النار. قال: ولو دخلوها ما ضَرَّتهم فيظنون أنها قد أهلكت ما خلق الله من شيء فيرجعون سراعا، ثم يأمرهم الثانية، فيرجعون كذلك فيقول الرب: قبل أن أخلقكم علمتُ ما أَنتم عاملون وعلى عِلْمي خلقتكم وإلى علمي تصيرون، ضُمّيهم. فتأخذهم».

رواه الطبراني وأبو نعيم(١).

قال الحافظ رحمه الله تعالى في الإصابة في ترجمة أَبي طالب في القسم الرابع من حرف الطاء من الكُنَى، بعد أَن أورد قصة الامتحان: ونحن نرجو أَن يدخل عبد المطلب وآل بيته في جملة من يدخلها طائعاً فينجو، إلا أَبا طالب فإنه أدرك البَعْثة ولم يؤمن، وثبت أنه في ضَحْضاح من النار.

وذكر الحافظ عماد الدين ابن كثير رحمه الله تعالى قصة الامتحان أيضاً في والدي رسول الله ﷺ وسائر أَهل الفترة وقال: إِن منهم من يجيب ومنهم من لا يجيب إِلا أَنه لم يقل إِن الظن في أَبوي النبي ﷺ أَن يجيبا.

ولا شك أَن الظن بهما أَن يوفقهما الله تعالى حينئذ للإِجابة، لشفاعة النبي ﷺ، كما رواه تمام في فوائده بسند ضعيف من حديث ابن عمر مرفوعاً: «إِذا كان يوم القيامة شفعتُ لأَبي وأَمي» الحديث.

وروى الحاكم وصححه عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه أَن رسول الله ﷺ سئل عن أَبويه فقال: «**ما سأَلتهما ربي وإِني لقائم يومئذ المقام المحمود**»(٢). فهذا تلويح بأَنه يُرْجَى لهما الخير عند قيامه المقام المحمود، وذلك بأَن يشفع لهما لِيوفَّقا للطاعة عند الامتحان. ولا شك في أَنه ﷺ يقال له عند قيامه في ذلك المقام: سَلْ تُعْطَ واشفع تُشفَّع، كما في الأَحاديث الصحيحة، فإِذا سأَل ذلك أُعطيه.

وينضم إِلى ذلك ما رواه أَبو سعد النيسابوري في «شَرف المصطفى» وعمر الملاَّ في سيرته عن عِمْران بن حُصَيْن مرفوعاً: سأَلت ربي أَن لا يدخل النارَ أَحداً من أَهل بيتي. فأَعطاني ذلك» وروى ابن جرير عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿**ولسوف يعطيك ربك فترضى**﴾ قال: مِنْ رضَا محمد ﷺ أَن لا يدخل أَحداً من أَهل بيته النار.

---

(١) أخرجه ابن عدي في الكامل ١٧٧٠/٥ وابن الجوزي في العلل المتناهية ٤٤١/٢ وذكره الهيثمي في المجمع ٢١٩/٧ وعزاه للطبراني في الأوسط والكبير وقال: وفيه عمرو بن واقد وهو متروك عند البخاري وغيره ورمي بالكذب وقال محمد بن المبارك: كان يتبع السلطان وكان صدوقاً وبقية رجال الكبير رجال الصحيح.

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير: ٩٨/١ وأبو نعيم في الحلية ٢٣٨/٤.

فهذه الأَحاديث يشد بعضها بعضاً، لأَن الحديث الضعيف إِذا كثرت طرقه أَفاد ذلك قوة، كما تقرر في علم الحديث.

وروى الطبراني عن أَم هانيء رضي الله تعالى عنها، أَن النبي ﷺ قال: **«ما بال أَقوام يزعمون أَن شفاعتي لا تنال أَهلَ بيتي، وإِن شفاعتي تنال حاء وحكم»**(١).

قال في النهاية: حاء وحكم: قبيلتان جافيتان من وراء رمل يَبْرين. انتهى. ويبرين بمثناة تحتية فباء موحدة فراء فمثناة تحتية فنون ويقال يبرون. قال أَبو عبيد البَكْري: هو رمل معروف في ديار بني سعد بن تميم.

وقال الإِمام أَبو عبد الله محمد بن خلفة الآبي(٢) في شرح مسلم في شرح حديث: **«إِنَّ أَبي وأَباك في النار»**(٣) وأَورد قولَ الإِمام النووي فيه أَي الحديث: إِن من مات كافراً في النار ولا تنفعه قرابة الأَقربين. ثم قال الآبي: انظر هذا الإِطلاق وقد قال السُّهيلي رحمه الله تعالى: ليس لنا أَن نقول ذلك. فقد قال ﷺ: **«لا تؤذوا الأَحياء بسبِّ الأَموات»**. وقال تعالى: **﴿إِن الذين يؤذون الله ورسوله لعَنهم اللهُ في الدنيا والآخرة وأَعدَّ لهم عذاباً مهيناً﴾** ولعله يصح ما جاء أَنه ﷺ أحيا [الله] له أَبويه فآمنا به، ورسول الله ﷺ فوق هذا. ولا يُعْجز الله سبحانه وتعالى شيء.

ثم أَورد قول النووي وفيه أَن من مات على الفترة على ما كانت عليه العرب من عبادة الأَوثان في النار، وليس هذا من التعذيب قبل بلوغ الدعوة لأَنه بلغتهم دعوةُ إِبراهيم وغيره من الرسل.

ثم قال: قلت: تأَمل ما في كلامه من التنافي، فإِنَّ من بلغتهم الدعوة ليسوا بأَهل فترة، فإِن أَهلَ الفترة هم الأُمم الكائنة بين أَزمنة الرسل الذين لم يُرسل إِليهم الأَول ولم يُدركوا الثاني، كالأَعراب الذي لم يرسل إِليهم عيسى ولا لحقوا النبي ﷺ. والفترة بهذا التفسير تشمل ما بين كلِّ رسولين. ولكن الفقهاء إِذا تكلموا في الفترة فإِنما يعنون التي بين عيسى والنبي ﷺ.

ولما دلت القواطع على أَنه لا يعذَّب حتى تقوم الحجة علمنا أَنهم غير معذَّبين.

فإِن قلت: صحت أَحاديث بتعذيب أَهل الفترة كصاحب المِحْجَن وغيره. قلت: قد

---

(١) ذكره الهيثمي في المجمع ٢٦٠/٩ وعزاه للطبراني وقال: وهو مرسل ورجاله ثقات.

(٢) محمد بن خلفة بن عمر الأبي الوشتاتي المالكي: عالم بالحديث، من أهل تونس. نسبته إلى «أبة» من قراها. ولي قضاء الجزيرة، سنة ٨٠٨هـ. له «إكمال إكمال المعلم، لفوائد كتاب مسلم»، جمع فيه بين المازري وعياض والقرطبي والنووي، مع زيادات من كلام شيخه ابن عرفة، و «شرح المدونة» وغير ذلك، مات بتونس سنة ٨٢٧هـ. انظر الأعلام ١٥٤/٦.

(٣) أخرجه مسلم ١٩٢/١ كتاب الإيمان (٣٤٧- ٢٠٣).

أَجاب عن ذلك عقيل بن أَبي طالب بثلاثة أَجوبة: **الأَول** أَنها أَخبار آحاد فلا تُعارض القاطع.

الثاني: قَصْر التعذيب على هؤلاء والله أَعلم بالسبب.

الثالث: قصر التعذيب في هذه الأَحاديث على من بدَّل وغيَّر الشرائع وشرع من الضلال ما لا يُعْذَر به. فإِن أَهل الفترة ثلاثة أَقسام: **الأول** من أَدرك التوحيد ببصيرته ثم من هؤلاء من لم يدخل في شريعة كقُسّ بن ساعدة[1] وزيد بن عمرو بن نُفَيْل. ومنهم من دخل في شريعة حقٍ قائمة الرسم كتُبَّع وقومه.

الثاني: من بدَّل وغيَّر وأَشرك ولم يوحد وشرع لنفسه فحلَّل وحرَّم وهم الأَكثر، كعمرو ابن لُحَيّ أَول من سيَّب السوائب ووصَل الوصيلةَ وحمى الحامي. وزادت طائفة على ما شرعه أَن عبدوا الجن والملائكة وخَرَقوا البنين والبنات، واتخذوا بيوتاً جعلوا لها سَدَنة وحُجّاباً يضاهون بها الكعبة كاللات والعزى ومناة.

الثالث: من لا يشرك ولم يُوحد ولا دخل في شريعة نبي، ولا ابتكر لنفسه شريعة ولا اخترع ديناً، بل بقي عمره على حال غفلة عن هذا كله. وفي الجاهلية من كان كذلك.

فإِذا انقسم أَهلُ الفترة إِلى الثلاثة أَقسام فيُحمل من صحّ تعذيبه على أَهل القسم الثاني بكفرهم بمالا يُعذرون به. وأَما القسم الثالث فهم أَهل فترة حقيقةً، وهم غير معذَّبين للقطع كما تقدم.

وأَما القسم الأَول فقد قال ﷺ في كلٍّ من قُسّ وزيد: إِنه يُبعث أُمّةً وَحْده. وأَما تُبَّع ونحوه فحكمهم حكم أَهل الدين الذين دخلوا فيه، ما لم يلحق أَحد منهم الإِسلامَ الناسخ لكل دين. انتهى. ما أَورده الآبي رحمه الله تعالى.

المسلك الثاني: أَنهما لم يثبت عنهما شِرْك بل كانا على الحنيفيّة دين جَدِّهما إِبراهيم ﷺ، كما كان زيد بن عمرو بن نُفيْل وأَضرابه في الجاهلية. ومال إِلى هذا المسلك الإِمام فخر الدين الرازي رحمه الله تعالى. وزاد أَن آباءه ﷺ كلهم إِلى آدم كانوا على التوحيد. كما قال في كتابه «أَسرار التنزيل» ما نصه: قيل إِن آزر لم يكن والد إِبراهيم بل كان عمه. واحتجوا عليه بوجوه. منها: أَن آباء الأَنبياء ما كانوا كفاراً. ويدل عليه وجوه. أَحدها: قوله تعالى: ﴿**الذي يراكَ حين تقومُ وتقلُّبَك في الساجدين**﴾. قيل معناه: أَنه كان يُنقل نوره من

---

(١) قس بن ساعدة بن عمرو بن عدي بن مالك، من بني إياد: أحد حكماء العرب، ومن كبار خطبائهم، في الجاهلية. كان أسقف نجران، ويقال: إنه أول عربي خطب متوكئاً على سيف أو عصا، وأول من قال في كلامه «أما بعد». وكان يفد على قيصر الروم، زائراً، فيكرمه ويعظمه. وهو معدود في المعمرين، طالت حياته وأدركه النبي ﷺ قبل النبوّة، ورآه في عكاظ، وسئل عنه بعد ذلك، فقال: يُحشر أمة وحده. انظر الأعلام ١٩٦/٥.

ساجد إلى ساجد قال: وبهذا التقدير فالآية دالَّة على أن جميع آباء محمد ﷺ كانوا مُسْلمين، وحينئذ يجب القَطْع بأن والد إبراهيم ما كان من الكافرين إنما ذاك عمّه، أقصى ما في الباب أن يحمل قوله: «وتقلّبك في الساجدين» على وجوه أخرى، وإذا وردت الروايات بالكل ولا منافاة بينها وجب حمل الآية على الكل، ومتى صحَّ ذلك ثبت أن والد إبراهيم ما كان من عَبدة الأوثان.

قال: ومما يدل على أن آباء محمد ﷺ. ما كانوا مشركين قوله عليه الصلاة والسلام: «**لم أزل أُنْقَل من أصلاب الطاهرين إلى أرحام الطاهرات**» وقال تعالى: ﴿**إنما المشركون نجس**﴾ فوجب أن لا يكون أحد من أجداده ﷺ مشركاً. انتهى كلام الإمام فخر الدين.

قال الشيخ رحمه الله تعالى: وقد وجدتُ له أدلة قوية ما بين عامّ وخاص. فالعام مركَّب من مقدمتين: **إحداهما:** أنه قد ثبت في الأحاديث الصحيحة أن كل جَد من أجداده ﷺ خير أهل قرنه لحديث البخاري: «بُعثتُ من خير قرون بني آدم قرناً فقرناً، حتى بُعثت من القرن الذي كنت فيه» وتقدمت أحاديث كثيرة في هذا المعنى في باب فضل العرب وفي باب طهارة أصله ﷺ.

الثانية: أنه قد ثبت أن الأرض لم تخلُ من سَبْعة مسلمين فصاعداً يدفع الله تعالى بهم عن أهل الأرض. فروى عبد الرزّاق في المصنف وابن المنذرِ في التفسير بسند صحيح على شرط الشيخين عن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه قال: «لم يزل على وجه الدهر في الأرض سبعة مسلمون فصاعدا فلولا ذلك هلكت الأرض ومن عليها».

وروى الإمام أحمد في الزهد والخلاَّل في كرامات الأولياء بسند صحيح على شرطهما، عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: ما خلت الأرض من بعد نوح من سبعة يدفع الله تعالى بهم عن أهل الأرض.

وإذا قرنت بين هاتين المقدمتين أنتج ما قاله الإمام. لأنه إن كان كل جد من أجداده ﷺ من جملة السبعة المذكورين في زمانه فهو المدَّعى. وإن كان غيرهم لزم أحد أمرين: إما أن يكون غيرهم خيراً منهم، وهو باطل لمخالفته الحديث الصحيح، وإما أن يكونوا خيراً منه وهم على الشِّرك وهو باطل بالإجماع، وفي التنزيل: ﴿**ولعَبْدٌ مؤمن خيرٌ من مشرك**﴾ فثبت أنهم على التوحيد ليكونوا خير أهل الأرض كلٌّ في زمانه.

وأما الخاص فروى ابن سعد في الطبقات عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: «ما بين نوح إلى آدم من الآباء كانوا على الإسلام».

وروى ابن المنذر وابن أبي حاتم والبزّار في مسنده والحاكم وصححه، عن ابن عباس

رضي الله تعالى عنهما قال: كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق فاختلفوا فبعث الله النبيين. قال: وكذلك هي في قراءة عبد الله: كان الناس أمة واحدة فاختلفوا. وفي التنزيل حكاية عن نوح ﷺ: «رب اغفر لي ولوالدّي ولمن دخلَ بيتي مؤمناً» وسام بن نوح مؤمن بنص القرآن والإجماع، بل ورد في أثر أنه نبي رواه ابن سعد والزبير بن بكّار في الموفقيات وابن عساكر عن محمد بن السائب، وولده أرفخشذ صُرِّح بإيمانه في أثر عن ابن عباس. رواه ابن عبد الحكم في تاريخ مصر وفيه أنه أدرك جدَّه نوحاً وأنه دعا له أن يجعل الله تعالى المُلْك والنبوة في ولده. وولدُ أرفخشذ إلى تارح وَرَدَ التصريحُ بإيمانهم.

روى ابن سعد من طريق محمد بن السائب، عن أبي صالح، عن ابن عباس رضي الله عنهما أن الناس ما زالوا ببابل وهم على الإسلام من عهد نوح إلى أن ملكهم نمرودُ فدعاهم إلى عبادة الأوثان ففعلوا.

فعُرف من مجموع هذه: الآثار أن أجداد النبي ﷺ كانوا مؤمنين بيقين من آدم إلى زمن نمرود. وفي زمنه كان إبراهيم ﷺ. وآزر إن كان والد إبراهيم فيستثنى من سلسلة النسب وإن كان عمه فلا استثناء. وهذا القول، أعني أن آزر ليس أبا إبراهيم، ورد عن جماعة من السلف. رواه ابن أبي شيبة وابن المنذر عن مجاهد، من طرق بعضها صحيح. ورواه ابن المنذر عن ابن جُرَيْج بسند صحيح وابن أبي حاتم عن السُّدّي بسند صحيح.

وقد وجِّه من حيث اللغة بأن العرب تطلق لفظ الأب على العم إطلاقاً شائعاً وإن كان مجازاً. وبسط الشيخُ الكلام على ذلك، وتركْته لأنه خلاف الظاهر.

وقد صحت الأحاديث في البخاري وغيره وتضافرت نصوص العلماء بأن العرب من عهد إبراهيم وهم على دينه ولم يكفر أحد منهم إلى عهد عمرو بن عامر الخزاعي، وهو الذي يقال له عمرو بن لُحَيّ، فهو أول من عبد الأصنام وغيَّر دين إبراهيم وحمل العرب على ذلك فتبعتْه. وكان عمرو بن لُحيٍّ قريباً من زمن كنانة جد النبي ﷺ ولهذا مزيد بيان يأتي قبيل أبواب البعثة.

ثم ذكر الشيخ رحمه الله تعالى ما يشهد لإيمان عدنان ومعدّ وربيعة ومضر وخزيمة وأَسد وإلياس وكعب بن لؤي. وسيأتي بيان ذلك في تراجمهم.

ثم قال: فتلخص من مجموع ما سقناه: أن أجداده ﷺ من آدم إلى كعب بن لُؤَيّ ومن ولده مُرّة مصرَّحٌ بإيمانهم، إلا آزر فإنه مختلَف فيه. فإن كان والدَ إبراهيم فإنه مستثنى، وإن كان عمه كما هو أحد القولين فيه فهو خارج عن الأجداد وسَلِمت سلسلة النسب.

وبقي بين مُرة وعبد المطلب أربعة أجداد لم أظفر فيهم بنقل. وعبد المطلب يأتي الكلام عليه في ترجمته إن شاء الله تعالى.

ويرحم الله الحافظ شمس الدين بن ناصر الدين الدمشقي حيث قال:

تَنَقَّلَ أَحمدُ نوراً مبيناً ... تلألأ في وُجُوهِ السَّاجِدِينَا

تَقَلَّبَ فِيهِمُ قَرْناً فَقَرْناً ... إلى أنْ جاءَ خَيرَ المرسَلينَا

* * *

المسلك الثالث: أن الله تعالى أَحياهما له ﷺ حتى آمنا به. وهذا المسلك مال إليه طائفة كثيرة من الأَئمة وحفَّاظ الحديث واستندوا إلى حديث ورد بذلك لكن إسناده ضعيف. وقد أَورده ابن الجوزي في الموضوعات، وليس بموضوع، وقد نص ابن الصلاح في علوم الحديث وسائر من تبعه على أَن ابن الجوزي تسامحَ في كتابه الموضوعات فأَورد فيه أَحاديث وحكَم بوضعها وليست بموضوعة بل هي ضعيفة فقط، وربما تكون حسنة أَو صحيحة.

قال الحافظ زين الدين العراقي رحمه الله تعالى في أَلفيته:

وأَكْثَرَ الجَامِعُ فِيهِ إذْ خَرَجْ ... لِمُطْلَقِ الضَّعْفِ عَنَى أَبَا الفَرَجْ

وقد أَلف شيخ الإِسلام أَبو الفضل ابن حجر[1] رحمه الله تعالى كتاباً سماه: «القول المُسَدَّد في الذَّب عن مُسْنَد أَحمد» أَورد فيه جملةً من الأَحاديث التي أَوردها ابن الجوزي في الموضوعات وهي في مسند أَحمد. وَدَرَأَ عنها أَحسنَ الدَّرْء، ووهَّمَ ابن الجوزي في حكمه عليها بالوضع، وبيَّن أَن منها ما هو ضعيف فقط من غير أَن يَصل إلى حد الوضْع، ومنها ما هو حسَن، ومنها ما هو صحيح، وأَبْلغ من ذلك أَن منها حديثاً مخرَّجا في صحيح مسلم. حتى قال شيخ الإِسلام: هذه غفلة شديدة من ابن الجوزى حيث حكم على هذا الحديث بالوضع وهو في أَحد الصحيحين. انتهى.

وسبقه إلى شيء من هذا التعقب شيخه حافظ عصره زَيْن الدين العِرَاقي، ورأَيت في فهرست مصنفات شيخ الإِسلام أنه شرع في تأَليف تعقبات على ابن الجوزي، ولم أَقف على هذا التأَليف، وقد تتبَّعت أَنا منه جملة من الأَحاديث ليست بموضوعة، فمنها ما هو في سنن أَبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجه ومستدرك الحاكم وغيرها من الكتب المعتمدة وبيَّنْتُ حالَ كل حديث منها ضَعْفاً وحُسناً وصحةً في تأَليف حافل، يسمى: «النكت البديعات على الموضوعات».

---

(١) أحمد بن عليّ بن محمد الكنانيّ العسقلاني، أبو الفضل، شهاب الدين بن حَجَر: من أئمة العلم والتاريخ. أصله من عسقلان (بفلسطين) ومولده ووفاته بالقاهرة. ولع بالأدب والشعر ثم أقبل على الحديث، ورحل إلى اليمن والحجاز وغيرهما لسماع الشيوخ، وعلت له شهرة فقصده الناس للأخذ عنه وأصبح حافظ الإسلام في عصره، قال السخاويّ: «انتشرت مصنفاته في حياته وتهادتها الملوك وكتبها الأكابر» وكان فصيح اللسان، راوية للشعر، عارفاً بأيام المتقدمين وأخبار المتأخرين، صبيح الوجه. وولي قضاء مصر مرات ثم اعتزل. أما تصانيفه فكثيرة جليلة، منها «الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة» و «لسان الميزان». توفي سنة ٨٥٢هـ. انظر الأعلام ١٧٨/١.

وهذا الحديث الذي نحن في ذِكْره خالَف ابنَ الجوزي فيه كثيرٌ من الأَئمة والحفاظ فذكروا أَنه من قسم الضعيف الذي يجوز روايته في الفضائل والمناقب، لا من قسم الموضوع، منهم الحافظ أَبو بكر الخطيب البغدادي، والحافظ أَبو القاسم، ابن عساكر والحافظ أَبو حفص ابن شاهين، والحافظ أَبو القاسم السُّهَيْلي، والإمام القرطبي، والحافظ محب الدين الطبري، والعلاَّمة ناصر الدين بن المنير، والحافظ فتح الدين بن سيّد الناس، ونقله عن بعض أَهل العلم. ومشَى عليه الصلاح الصَّفَدي في نظم له والحافظ شمس الدين بن ناصر الدين الدمشقي في أَبيات له فقال:

حَبَا اللهُ النبيَّ مَزِيدَ فَضلٍ عَلَى فَضْلٍ وَكَانَ بِهِ رَؤُوفَا
فأَحْيَا أُمَّهُ وَكَذَا أَبَاهُ لإِيمَانٍ بِهِ فَضْلا لَطِيفَا
فَسَلِّمْ فالْقَدِيمُ بِذَا قَدِيرٌ وإِنْ كَانَ الْحَدِيثُ بِهِ ضَعِيفَا

وأَخبرني بعض الفضلاء أَنه وقف على فُتْيَا بخط شيخ الإِسلام ابن حجر أَنه أَجاب فيها بهذا، إِلا أَني لم أَقف على ذلك، وإِنما وقفت على كلامه الذي قدمتُه في المسلك الثاني.

وقال السُّهيلي رحمه الله تعالى في أَوائل «الروض الأُنف» بعد إِيراد حديث أَنه ﷺ سأَل ربه أَن يُحْيي أَبويه فأَحياهما له فآمنا به ثم أَماتهما ما نصه: «والله قادر على كل شيء وليس تَعْجز رحمته وقدرته عن شيء، ونبيه ﷺ أَهلٌ أَن يختصه بما شاء من كرامته». وقال في موضع آخر من الكتاب في حديث أَنه ﷺ قال لفاطمة: «**لو كنتِ بلغتِ معهم الكُدَى ما رأيت الجنة حتى يراها جدُّ أَبيك**» ما نصه: «في قوله: جدّ أَبيك ولم يقل جدك يعني أَباه تقوية للحديث الضعيف الذي قدمنا ذكره: أَن الله تعالى أَحيا أَمه وأَباه وآمنا به» انتهى.

مع أَن الحديث الذي أَورده السهيلي لم يذكره ابن الجوزي في الموضوعات، وإِنما أَورد ابن الجوزي حديثاً آخر من طريق آخر في إِحياء امه فقط وفيه قصة بلفظٍ غير لفظ الحديث الذي أَورده السهيلي. فعلم أَنه حديث آخر مستقل وقد جعل هؤلاء الائمة هذا الحديث ناسخاً للاحاديث الواردة لما يخالف ذلك، ونصُّوا على أَنه متأَخر عنها فلا تعارض بينه وبينها.

وقال القرطبي رحمه الله تعالى: فضائل النبي ﷺ لم تزل تتوالى وتتابع إِلى آخر مماته، فيكون هذا مما فضَّله الله به وأَكرمه. قال: وليس إِحياؤهما وإِيمانهما به بممتنع عقلاً ولا شرعاً، فقد ورد في القرآن إِحْياء قتيل بني إِسرائيل وإِخباره بقاتله، وكان عيسى عليه الصلاة والسلام يُحيِي الموتى وكذلك نبينا ﷺ قال: وإِذا ثبت هذا فما يمتنع من إِيمانهما بعد إِحيائهما زيادةً في كرامته ﷺ وفضيلته؟.

وبسط الشيخ رحمه الله تعالى الكلام على ذلك في «مسالك الحُنفَا» ويأْتي لهذا مزيد بيان إِن شاء الله تعالى في باب وفاة أمّه ﷺ.

خاتمـة

وجمعٌ من العلماء لـم تَقْوَ عندهم هذه الـمسالك فأَبقوا حديث مسلمٍ ونحوه على ظاهرها من غير عدول عنها بدعوى نسخ ولا غيره، ومع ذلك قالوا: لا يجوز لأحد أَن يذكر ذلك.

قال السُّهيلي في الروض الأنف بعد إِيراده حديثَ مسلم: وليس لنا نحن أن نقول ذلك في أبويه ﷺ: «**لا تُؤْذوا الأَحياء بسبِّ الأَموات**»[1] وقال تعالى: ﴿**إِن الذين يؤْذون الله ورسوله**﴾ الآية.

وسئل القاضي أَبو بكر بن العربي أَحد أَئمة الـمالكية رحمه الله تعالى عن رجل قال: إِن أَبا النبي ﷺ في النار. فأَجاب: بأَن من قال ذلك فهو ملعون لقوله تعالى: ﴿**إِن الذين يؤْذون الله ورسولَه لَعَنهم اللهُ في الدُّنيَا والآخِرَةِ**﴾ قال ولا أَذَى أَعظم من أَن يقال عن أَبيه: إِنه في النار.

ومن العلماء من ذهب إِلى قول خامس وهو الوقف. قال الشيخ تاج الدين الفاكهاني في كتابه «الفجر المنير»: الله أَعلم بحال أَبويه ﷺ. وقال الباجِيّ[2] في شرح الـموطَّأ: قال بعض العلماء: إِنه لا يجوز أَن يؤذى النبي ﷺ بفعل مُباح ولا غيره، وأما غيره من الناس فيجوز أن يؤذَى بمباح وليس له الـمنع منه، ولا يأْثم فاعل الـمباح وإِن وصل ذلك إِلى أَذى غيره. قال: ولذلك قال النبي ﷺ إِذ أَراد عليّ ابن أَبي طالب أَن يتزوج ابنة أَبي جهل: «**إِنـما فاطمة بَضْعة منّـي وإِنـي لا أُحرِّم ما أَحلّ الله، ولـكن لا والله لا تجتـمع ابنةُ رسول الله وابنةُ عدو الله عند رجل أَبداً**». فجعل حكمها في ذلك حكمه أَنه لا يجوز أَن تؤذَى بمباح. واحتج على ذلك بقوله تعالى: ﴿**إِن الذين يؤْذون اللهَ ورسوله لعنَهم اللهُ فـي الدنـيا والآخرة وأَعدَّ لهم عذاباً مهيناً. والذين يؤْذون الـمؤمنـين والـمؤمنات بغير ما اكتَسَبُوا فقد احتَـملوا بُهْتاناً وإِثماً مُبـيناً**﴾ فشرط على الـمؤمنين أَن يؤذَوا بغير ما اكتسبوا. وأَطلق الأَذى في خاصة النبي ﷺ من غير شرط. انتهى.

---

(١) ذكره المتقي الهندي في الكنز (٣٧٤١٧).

(٢) سليمان بن خلف بن سعد التجيبي القرطبي، أبو الوليد الباجي: فقيه مالكي كبير، من رجال الحديث. أصله من بطليوس ومولده في باجة بالأندلس. رحل إلى الحجاز سنة ٤٢٦هـ فمكث ثلاثة أعوام. وأقام ببغداد ثلاثة أعوام، وبالموصل عاماً، وفي دمشق وحلب مدة. وعاد إلى الأندلس، فولي القضاء في بعض أنحائها. وتوفي بالمرية. من كتبه «السراج في علم الحِجَاج» و «إحكام الفصول، في أحكام الأصول». توفي سنة ٤٧٤هـ. الأعلام ١٢٥/٣.

وأَخرج ابن عساكر في تاريخه من طريق يحيى بن عبد الملك بن أَبي عتبة قال: حدثنا نوفل بن الفُرَات. وكان عاملاً لعمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه. قال: كان رجل من كُتّاب الشام مأْموناً عندهم استعمل رجلاً على كورة الشام وكان أَبوه يُزَنّ بالمَانِيّة[1] فبلغ ذلك عمرَ بن عبد العزيز فقال: ما حملَك على أَن تستعمل رجلاً على كورة من كور المسلمين كان أَبوه يُزَن بالمانِيّة؟ قال: أَصلَح الله أَمير المؤمنين وما عليَّ من كان أَبوه كان أَبو النبي ﷺ مُشْركاً. فقال عمر آه. ثم سكت ثم رفع رأْسه ثم قال: أأَقطع لسانه؟ أأَقطع يده ورجله؟ أأَضرب عنقه؟ ثم قال: لايَلِي شيئاً ما بقيتُ.

قال الشيخ رحمه الله تعالى: وقد سئلت أَن أنْظم في هذه المسأَلة أَبياتاً أَختم بها هذا التأليف فقلت:

إنَّ الَّذي بَعث النبيَّ مُحَمَّداً ... أَنْجَى بِهِ الثَّقَلَيْنِ مِمَّا يُجْحِفُ

وَلأُمِّه وَأَبِيهِ حُكْمٌ شائعٌ ... أَبْداه أَهلُ العِلْم فِيمَا صَنَّفُوا

فَجَمَاعةٌ أَجْرَوْهُمَا مُجْرَى الَّذي ... لَمْ يَأْتِهِ خَبَرُ الدُّعَاةِ المسْعِفُ

والحُكْمُ فِيمَنْ لَمْ تجِئْهُ دَعْوَةٌ ... أَنْ لاَ عَذابَ عَلَيْهِ حُكْمٌ يُؤْلَفُ

فَبِذَاكَ قَالَ الشَّافِعِيَّةُ كُلُّهُمْ ... والأَشْعَرِيَّةُ مَا بِهِمْ مُتَوَقِّفُ

وَبِسُورَة الإِسْرَاء فيهِ حُجَّةٌ ... وَبِنَحْوِ ذَا في الذِّكْرِ آيٌ تُعْرَفُ

وَلِبَعْضِ أَهْلِ الفِقْهِ في تَعْلِيلِهِ ... مَعْنىً أَدَقُّ مِنَ النَّسِيمِ وَأَلْطَفُ

وَنحا الإِمامُ الْفَخْرُ رَازِيُّ الوَرى ... مَنْحىً به لِلسَّامِعِينَ تَشَنُّف

إِذْ هُمْ عَلَى الفِطْرِ الذَّي وُلِدُوا وَلَمْ ... يَظْهَرْ عِنَادٌ مِنْهُمُ وَتَخَلُّفُ

قَالَ الأُلىَ وَلَدَ النبيَّ المُصْطَفى ... كلٌّ عَلَى التَّوحِيدِ إِذْ يَتَحَنَّفُ

مِنْ آدَمَ لأَبِيهِ عَبْدُ اللهِ مَا ... فِيهِمْ أَخوُ شِرْكٍ ولا مُسْتَنْكِفُ

فالمُشْرِكوُنَ كَمَا بِسُورَةِ تَوْبَةٍ ... نَجَسٌ وَكُلُّهُمْ بِطُهْرٍ يُوصَفُ

وَبِسُورَةِ الشُّعراءِ فيهِ تَقَلُّبٌ ... في السَّاجِدِينَ فَكُلُّهُمْ مُتَحَنِّفُ

هَذَا كَلاَمُ الشَّيخِ فَخْر الدِّين في ... أَسْرَارِهِ هَطَلَتْ عَلَيْهِ الذُّرَّفُ

فَجزاهُ رَبُّ العَرْشِ خَيْرَ جَزَائِهِ ... وَحَبَاهُ جَنَّاتِ النَّعِيمِ تُزَخْرَفُ

فَلَقَدْ تَدَيَّنَ في زَمَانِ الجَاهِلِـ ... ـيَّةِ فِرْقَةٌ دِينَ الهُدَى وتحنَّفُوا

زيدُ بْنِ عَمْرو بن نَوْفلٍ هَكَذَا الصدّ ... يقُ مَا شِرْكٌ عَلَيْهِ يَعْكُفُ

قَدْ فسَّر السُّبْكِيْ بِذَاك مَقَالَةً ... لِلأَشْعَرِيِّ وَمَا سِوَاهُ مُزَيَّفُ

---

(١) يزن: أي يتهم.

إِذْ لَمْ تَزَلْ عَيْنُ الرِّضَا مِنهُ عَلَى الـ صِّدِّيقِ وَهْوَ بِطُولِ عُمْرٍ أَحْنَفُ
عادتْ عَلَيْهِ صُحْبَةُ الهَادِي فما في الجاهِلِيَّةِ لِلضَّلاَلَةِ يَقْرِفُ
فلأُمُّهُ وأَبُوهُ أَحْرَى سِيَّمَا وَرَأتْ مِنَ الآيَاتِ مَا لاَ يُوصَفُ
وَجَمَاعَةٌ ذَهَبُوا إِلَى إِحْيَائِهِ أَبَوَيْهِ حَتَّى آمَنَا لا خَرَّفُوا
وروى ابْنُ شَاهِينٍ حديثاً مُسْنَداً في ذَاكَ لَكِنَّ الحَدِيثَ مُضَعَّفُ
هذي مَسالِكُ لَوْ تَفَرَّدَ بَعْضُهَا لَكَفَى فَكَيْفَ بِهَا إِذَا تَتأَلَّفُ
وَبِحَسْبِ مَنْ لاَ يَرْتَضِيهَا صَمْتُهُ أَدَباً وَلَكِنْ أَيْنَ مَنْ هُوَ مُنْصِفُ
صَلَّى الإِلهُ عَلَى النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ مَا جَدَّدَ الدِّينَ الحَنِيفَ مُحَنَّفُ

* * *

ابن عبد المطلب

عبد المطلب: مفتعل من الطلب. يكنى أَبا الحارث، وأَبا البطحاء، واسمه شيبة الحمد. قال السُّهيْلي: وهو الصحيح. وقيل عامر. قال أَبو عمر رحمه الله تعالى: ولا يصح: واختلف لِمَ سُمِّي شَيْبة. فقيل: إنه ولد وفي رأْسه شيبة وكانت ظاهرة في ذُؤَابته. وقيل: لأَن أَباه وصَّى أُمه بذلك. ولقِّب عبدَ المطلب لأَن أَباه هاشماً قدِم المدينة تاجراً فنزل على عمرو بن زيد بن لبِيد بن خِدَاش بن عامر بن غَنْم بن عدِيّ النجار. ذكر هذا النسب مصْعَب. وقال الزُّهْري: عمرو بن زيد بن عدِيّ بن النجّار. وقال ابن إسحق رحمه الله تعالى: زيد بن عمرو بن أَسد بن حَرام بن خِدَاش بن جُنْدَب بن عَدِيّ بن النجّار.

فلمح ابنته سَلْمى بنت عمرو فأَعجبته فخطبها إلى أَبيها فأَنكحه إياها وشرط عليه أَنها لا تلد ولداً إلا في أَهلها. فمضى هاشم ولم يَبْنِ بها حتى رجع، فبنى بها عند أَهلها وسكن معها سنين، ثم ارتحل إلى مكة بها، فلما أَثقلت خرج بها فوضعها عند أَبيها ومضى إلى الشام فمات بغزة من وجهه ذلك. وولدت عبدَ المطلب فمكث بالمدينة سبع سنين أَو ثمانياً، ثم إن رجلاً من أَهل تِهَامة من بني الحارث بن عبد مناف مرَّ بالمدينة فإذا غِلْمان يَنْتضلون وإذا غلام فيهم إذا أَصاب قال: أَنا ابن هاشم، أَنا ابن سيد البَطْحاء. فقال له الرجل: ممن أَنت يا غلام؟ قال: أَنا شَيْبة بن هاشم بن عبد مناف. فانصرف الرجل حتى قدِم مكة فوجد المطَّلب بن عبد مناف جالساً في الحِجْر فقال له: قم يا أَبا الحارث. فقام إليه فقال: تعلَّم أَني جئت الآن من يثرب فوجدت غلماناً يَنْتضلون. وقصَّ عليه ما رأَى من عبد المطلب. قال: وإذا أَظرف غلام رأَيته قط ولا يَحشُن أَن يُترك مثله. قال المطَّلب: أَغْفَلْتُه والله! أَمَا والله لا أَرجع إلى أَهلي ومالي حتى آتيه. فأَعطاه الحارث ناقته فركبها.

فخرج المطلب بن عبد مناف حتى أَتى المدينةَ عشِيّاً ثم خرج براحلته حتى أَتى بني عديّ ابن النجار فإذا بغلمان من بين ظَهْراني المجلس، فلما نظر إلى ابن أَخيه قال: هذا ابن هاشم؟ فقال القوم: نعم. وعرف القومُ المطَّلب. فقالوا: نعم هذا ابن أَخيك، فإن كنت تريد أَخذه فالساعة لا تُعْلم أمه فإنها إن علمت حُلْنا بينك وبينه. فأَناخ راحلته ثم دعاه فقال: يا بن أَخي أَنا عمُّك وقد أَردت الذهاب بك إلى قومك فاركب. فوالله ما كذب أَن جلس على عَجُز الرَّحْل وجلس المطَّلب على الرحل ثم بعث راحلته فانطلق به. فلما علمت أُمه أَن عمه ذهب به عَلِقت تدعو من حُزْنها على ابنها وقالت:

كُنَّا وَلاَةَ حُمِّهِ ورُمِّهِ[1] حَتَّىَ إِذَا قَامَ عَلَىَ أَتَمِّهِ

انْتَزَعُوهُ غِيلَةً مِنْ أُمِّه وَغَلَبَ الأَخْوَالَ حقُّ عمِّه

وقيل إنه أَخذه بإِذن أُمه.

ولمّا دخل المطلب مكة دخل ضحوةً مُرْدِفه خَلْفه والناس في أَسواقهم ومجالسهم، فقاموا يرحِّبون به ويقولون: من هذا معك؟ فيقول هذا عبدي ابتعته بيثرب. ثم خرج به حتى جاء الحَزْوَرة فابتاع له حُلَّة، ثم أَدخله على امرأَته خديجة ابنة سعيد بن سعد بن سهم، فلما كان العشي أَلبسه الحلَّة ثم أَجلسه في مجلس بني عبد مناف وأَخبرهم خبره. وجعل بعد ذلك يخرج في تلك الحلة فيطوف في سكك مكة وكان أَحسن الناس وجهاً فيقولون: هذا عبد المطلب. لقول المطلب: هذا عبدي. فثبت اسمهُ عبدَ المطلب. وتُرك شَيْبَة.

وكان عبد المطلب يكثر زيارة أَخواله ويَبرُّهم.

حُمّة: بحاء مهملة يجوز ضمها وفتحها يعني قليله. رُمَّة: براء يجوز فتحها وضمها يعني كثيره.

وروى البلاذريّ عن محمد بن السائب وغيره قالوا: كان عبد المطلب من حلماء قريش وحكمائها، وكان نديمُه حرب بن أُمَيّة بن عبد شمس بن عبد مناف، وكان في جوار عبد المطلب يهودي يقال له أُذَيْنة وكان اليهودي يتسوَّق في أَسواق تهامة بماله، فغاظ ذلك حَرْباً فأَلَّبَ عليه فتيانَ قريش وقال: هذا العِلْج الذي يقطع إليكم ويخوض في بلادكم بمالٍ جَمّ كثير من غير جوار ولا خيل، والله لو قتلتموه وأَخذتم ماله ما خفتم تَبِعةً ولا عرَض لكم أَحدٌ يطلب دمه. فشدَّ عليه عامر بن عبد مناف بن عبد الدار بن قُصَيّ وصخر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تَيْم بن مُرّة فقتلاه. فجعل عبد المطلب لا يعرف له قاتلاً، فلم يزل يبحث

(١) الحَمّ ما أذيب من الشحم ـ وما بقي من الشحم المذاب، وحم الشيء معظمه يقال: ما له حَمٌّ ولا رَمٌّ: لا قليل ولا كثير، وما لك عن ذلك حم ولا رم: بُدٌّ وما له حم ولا سمٌّ غيرُك: ما له هم غيرك. المعجم الوسيط ٢٠٠/١.

عن أَمره حتى عرف خبره، فأَتى حربَ بن أُمية فأَنَّبه بصنيعه وطلب دَمَ جاره، فأَجار حربٌ قاتِليه ولم يُسْلمهما وأَخفاهما، وطالبه عبد المطلب بهما فتغالَظا في القول حتى دعاهما المحْك واللَّجاج إِلى المنافرة، فجعلا بينهما النجاشيَّ صاحب الحبشة، فأَبى أَن يدخل بينهما، فجعلا بينهما نُفَيْل بن عبد العُزَّى بن رَباح بن عبد الله بن قُرْط بن رَزَاح بن عَدِيّ بن كعب بن لُؤَي جد عمر بن الخطاب، فقال لحرب: يا أَبا عمرو تُنَافر رجلاً هو أَطول منك قامة، وأَوْسَم منك وسامة، وأَعظم منك هامة، وأَقل منك لامَة. وأَكثر منك ولدا، وأَجْزَل منك صَفَداً، وأَطْول منك مَدَدا، وإني لأَقول قولي هذا، وإِنك لَبعيد الغضب، رفيع الصِّيت في العرب، جَلْد المريرة، تحبّك العشيرة، ولكنك نافرت مُنْفِراً. فنَفر عبدُ المطلب، فغضب حرب. وأَغلظ لنفيل وقال: من انتكاس الدهر جُعلتَ حكَما. وكانت العرب تتحاكم إِليه فقال في ذلك نفيل:

أَوْلاَدُ شَيْبَةَ أَهْلُ المَجْدِ قَدْ عَلِمَتْ ... عُلْيَا مَعَدٌّ إِذَا مَا هَزْهَزَ الوَرَعُ

وشيخُهُمْ خَيْرُ شَيْخٍ لَسْتَ تَبْلُغُهُ ... أَنيٌّ وَلَيْسَ بِهِ سُخْفٌ وَلاَ طَمَع

يَا حَرْبُ مَا بَلَغَتْ مَسْعاتُكُمْ هُبَعاً ... يَسْقي الحَجِيجَ وَمَاذَا يَبْلُغُ الهُبَعُ

أَبُوكُمَا وَاحِدٌ وَالْفَرْعُ بَيْنَكُمَا ... مِنْهُ العِشَاشُ ومنهُ الناضِرُ اليَنَعُ

فترك عبدُ المطلب منادمة حرب، ونادم عبدَ الله بن جُدْعان بن عمرو بن كعب بن سعد ابن تَيْم بن مرة. ولم يفارق حرباً حتى أَخذ منه مائة ناقة ودفعها إِلى ابن عم اليهودي، وارتجع ماله إِلا شيئاً يسيراً كان قد تلِف فغرِمه من ماله. فقال الأَرْقم بن نَضْلة بن هاشم في ذلك:

وقَبْلَكَ مَا أَرْدَى أُمَيَّةَ هَاشِمٌ ... فَأَوْرَدَهُ عَمْروٌ إِلَى شَرٍّ مَوْرِدِ

أَيَا حَرْبُ قدْ حاربْتَ غَيْرَ مُقَصِّر ... شَآكَ إِلَى الغَايَاتِ طلاَّعَ أَنْجُدِ

تفسير الغريب

الصَّفَد[1]: بفتح الصاد والفاء: العطاء. الهُبَع: بضم الهاء وفتح الباء الموحَّدة: الفَصِيل الذي نتَج في آخر النتاج. العِشاش: بعين مهملة مكسورة وشينين معجمتين: جمع عُشّ وهو ما يجمعه الطائر من حطام العيدان. اليَنَع: بفتح المثناة التحتية: وهو من الثمر النضيج الطيب.

وروى البلاذريّ عن محمد بن السائب عن أَشياخه قالوا: كان لعبد المطلب ماء يدعى الهرم فغلبه عليه جُنْدب بن الحارث الثقفي في طائفة من ثَقِيف، فنافرهم عبد المطلب إِلى

(١) والاسم من العَطِية الصَّفَدُ قال النابغة: فلم أعرِّض - أبيت اللعن - بالصفد، اللسان ٤/٢٤٥٨.

الكاهن القُضاعي، وهو سلمة بن أَبي حيّة بن الأُسحم بن عامر بن ثعلبة بن سعد بن هُذَيم، وكان منزله بالشام، فخرج إليه عبد المطلب في نفر من قريش وخرج جُنْدَب في جماعة من ثقيف، فلما انتهوا إلى الكاهن خبأُوا له رأْس جَرَادة في خرز مَزَادة، فقال: خبأْتم لي شيئاً طار فسطَع، وتصوَّب فوقع، ذا ذَنب جَرّار وساق كالمنشار. قالوا: ذه. أي بَيِّن. قال: إلاّ ذه فلاذه. يقول: إن لم يكن قولي بياناً، وهو رأْس جرادة، في خرْز مزادة، في ثني القِلاَدة. قالوا: صدقتَ. وانتسبوا له، فقال: أَحلف بالضِّياء والظُّلم، والبيت ذي الحرَم، إن الماء ذا الهرم، للقُرَشي ذي الكرم. فغضب الثقفيون وقالوا: اقضِ لأَرفعنا مكاناً وأَعْظمنا جِفَانا. وأَشدّنا طِعَانا. فقال عبد المطلب: اقضِ لصاحب الخيرات الكُبَرْ، ولمن أَبوه سيِّد مُضَر، وساقي الحجيج إذا كثر. فقال الكاهن:

أَمَـا وَرَبِّ الـقُـلُـصِ الـرَّوَاسِـم ... يَـحْـمِـلْـنَ أَزْوَالاً بَـقِـيَّ طاسِـمِ

إِنَّ سَـنَـاءَ الـمَـجْـدِ والْـمَـكَـارِمِ ... فـي شَيْبةِ الـحَمْدِ سليلِ هاشِمِ

أَبـي الـنـبـيِّ الـمُـرْتـضـىَ لـلـعَـالَـمِ

ثم قال:

إِنَّ بَـنـي الـنَّـضْـرِ كِـرَامٌ سـادَه ... مـن مُـضَـرِ الْـحَـمْـراءِ فـي قِـلاَدَه

أَهْـلُ سَـنـاً ومُـلـوكٌ قَـاده ... مَـزارُهُـمْ بـأَرْضِـهِـمْ عِـبَـاده

إِنَّ مـقَـالـي فَـاعْـلَـمُـوا شَـهَـادَهْ

ثم قال:

إِن ثَقِيفا عَبْدٌ أَبَق، فثُقِف فعتق، فليس له في المنْصِب الكريم من حق.

فلما قضي لعبد المطلب بذي الهَرِم استعار عبدُ المطلب قدوراً ثم أَمر فنحرت الجزائر ودعا من حوله فأَطعمهم وبعث إلى جبال مكة بجزائر منها، فأَمر بها فنُحرت للطير والسِّباع شكراً لله. فلذلك قال أَبو طالب ولده:

ونُطْعِم حَتَّى تَأْكُلَ الطَّيْرُ فَضْلَنَا ... إذا جَعلَتْ ايْدِي الـمُنِيضِينَ تُرْعِدُ

تفسيـر الغريـب

الهَرِم بفتح الهاء وكسر الراء. وأَما بالفتح والسكون فمالٌ لأَبي سفيان بن حرب بالطائف أَيضاً. القُلُص بضم القاف واللام وبالصاد المهملة: جمع قَلُوص، وهي من الإِبل بمنزلة الجارية من النساء، وهي الشابة. رواسم: جمع رَسُوم وهي الناقة التي تؤثر في الأَرض من شدة الوطء. الأَزوال: بالزاي واللام: النساء. بقي: بالقاف. طاسم بطاء وسين مهملتين وهو حي من عاد. المنيضين: جمع منيض المعالج للشيء يقال: نُضْتُ الشيء إذا عالجته.

ونقل البلاذريّ عن محمد بن السائب رحمه الله تعالى أن ركْباً من جُذَام صدَروا عن الحج ففقدوا رجلاً منهم غالَتْه بيوت مكة، فلقوا حُذافة بن غانم بن عامر بن عوف فأخذوه فربطوه ثم انطلقوا به، فتلقَّاهم عبد المطلب مُقْبلاً من الطائف معه ابنه أبو لهب يقوده وقد ذهب بصره، فلما نظر إليه حذافة هتف به فقال عبد المطلب لابنه أبي لهب: ويلك ما هذا؟ قال: هذا حذافة بن غانم مربوطاً مع رَكْب. قال: فالحقهم فاسألهم ما شأنهم. فلحقهم فأخبروه فرجع إلى عبد المطلب فأخبره فقال: ما معك. قال: والله ما معي شيء. قال فالحقهم لا أُمّ لك فأعطهم بيدك وأَطْلق الرجل. فلحقهم أبو لهب فقال: قد عرفتم تجارتي ومالي وأنا أحلف لكم لأعطينكم عشرين أُوقية ذهباً وعَشْراً من الإبل وحُمراً وفرساً، وهذا ردائي رهناً بذلك. فقبلوا منه فأطلقوا حذافة فأقبل به، فلما سمع عبدُ المطلب صوتَ أبي لهب قال: وأبي إنك لَعاصٍ ارجع لا أُم لك! قال: يا أبتاه هذا الرجل معي فناداه عبد المطلب: يا حذافة أسمعني صوتك. فقال حذافة: هأنذا بأبي أنت وأُمي يا ساقي الحجيج أَرْدِفني. فأردفه حتى دخل مكة فقال حذافة:

بَنُو شَيْبة الحَمْدِ الَّذي كَانَ وَجْهُهُ ... يُضِيءُ ظَلامَ الَّليْل كَالقَمَرِ الْبدْرِ
كُهُولُهُمْ خَيْرُ الكُهُولِ وَنَسْلُهُمْ ... كَنَسْلِ مُلُوكٍ لاَ قِصَارٍ ولا خُزْرِ
لِسَاقِي حَجيجٍ ثُمَّ لِلخَيْرِ هَاشِمٍ ... وَعَبْدِ مَنَافٍ ذَلِكَ السَّيدِ الفِهْرِ
مُلُوكٌ وأَبنَاءُ المُلُوكِ وَسادَةٌ ... تفلَّقُ عَنْهُمْ بَيْضَةُ الطَّائِرِ الصَّقْرِ
متى تَلْقَ مِنْهُمْ خَارِجاً في شَبَابِهِ ... تَجِدهُ عَلَى أَحْرَاءِ وَالِدِهِ يَجْري
هُمْ مَلأُوا البَطْحَاءَ مَجْداً وسُؤْدَداً ... وَهُم نَكَلُوا عَنَّا غُواةَ بني بَكرِ
وَهُمْ يَغْفِرونَ الذَّنْبَ يُنْقَمُ مِثْلُهُ ... وَهُمْ تَرَكُوا رأْيَ السَّفَاهَةِ والهُجْرِ
أَخَارِجُ إِمّا أَهْلِكَنَّ فَلاَ تَزَلْ ... بشَيْبةِ مِنْكُمْ شَاكِراً آخِرَ الدَّهرِ

والقصيدة أطول مما ذكر وهذه خلاصتها.

وروى البلاذري عن محمد بن السائب أن عبد المطلب أول من خضَب بالوسمة لأن الشيب أسرع إليه فدخل على بعض ملوك اليمن فأشار عليه بالخِضَاب فغيَّر شيبته بالحنَّة ثم علاه بالوسِمة، فلما انصرف وصار بقرب مكة جدد خضابه وقد كان تزود من الوسمة شيئاً كثيراً، فدخل منزله وشعره مثل حَلك الغراب، فقالت امرأته نَتِيلة أم العباس: يا شيب ما أحسن هذا الصبغ لو دام. فقال عبد المطلب:

لَوْ دَامَ لي هَذَا السَّوَادُ حمِدْتُهُ ... وَكَان بَدِيلاً مِنْ شَبَابٍ قَدِ انْصَرَمْ
تَمَتَّعْتُ مِنْهُ وَالحَيَاةُ قَصِيرَةٌ ... وَلاَ بُدَّ مِنْ مَوتٍ نَتِيلَة أَو هَرَمْ
وَمَاذَا الَّذي يُجْدِي عَلَى المَرْءِ خَفْضُه ... ونِعْمَتُهُ يَوْماً إذا عَرْشُه انْهَدَمْ

ثم إن أهل مكة خضبوا بعده.

الوَسِمة: كَنبِقة وتسكن: نَبْت يُخْتضب بورقه.

***

وكان عبد المطلب جَسِيماً أَبيض وَسِيماً طِوَالاً فصيحاً ما رآه أَحد قط إلا أَحبَّه، وصار إليه السِّقَاية والرِّفَادة، وشَرُف في قومه وعظم شأنه. وكان يعرف فيه نور النبوة وهيبة المُلْك.

ومكارمه أكثر من أن تحصر، فإنه كان سيد قريش غير مدافَع نفساً وأَباً وبيتاً وجمالاً وبهاءً وفِعَالاً.

قال الرشَاطِيّ رحمه الله تعالى: وكان ممن حرَّم الخمر في الجاهلية. وله عدة بنين وبنات يأتي ذكرهم عند ذكر أَعمام النبي ﷺ وعماته، وتوفي وله مائة وعشرون سنة، وقيل خمسٌ وثمانون وقيل غير ذلك.

تنبيه:

قال السُّهيلي رحمه الله تعالى: ظاهر حديث أَبي طالب لـمّا قال له رسول الله ﷺ: **«قل لا إله إلا الله كلمةً أَشهد لك بها»**، فكان آخر كلامه أَنه على مِلَّة عبد المطلب يقتضي أَن عبد المطلب مات على الشِّرك قال: ووجدت في بعض كتب المسعوديّ اختلافاً في عبد المطلب، وأَنه قد قيل فيه مات مُسْلماً لِمَا رأَى من الدلالات على نبوته ﷺ وعلم أَنه لا يُبعث إلا بالتوحيد. فالله أَعلم.

غير أَن في مسند الدَّارِميّ وسنن النّسائي عن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما أَن رسول الله ﷺ قال لفاطمة وقد عزَّتْ قوماً من الأَنصار: **«لعلك بلغت معهم الكُدَى»** ويروى الكُرَى بالراء يعني القبور؟ قالت لا. قال: **«لو بلغتِ معهم ذلك ما رأَيتِ الجنة حتى يراها جَدُّ أَبيك»** وهذا ظاهر في عدم إسلامه. انتهى.

وقد ذكره ابن السَّكن[١] في الصحابة لما جاء عنه أَنه ذكر أَن النبي ﷺ سيبعث كما ذكر بَحِيرى الراهب وسيف بن ذي يزَن وقسُّ بن ساعدة ونظائرهم ممن كان قبل البعثة.

والخبر رواه عنه العباس وتقدم. ولم يتعقب الحافظُ في الإصابة ابنَ السكن بشيء غير أَنه أَورده في القسم الرابع وقد قال في أَول الكتاب: إن القسم الرابع فيمن ذُكِر في كتب الصحابة على سبيل الوهم والغلط، وبيَّن ذلك البيانَ الظاهر الذي يعوَّل عليه على طريق أَهل الحديث. إلى آخره.

---

(١) سعيد بن عثمان بن سعيد بن السكن البغدادي، أبو علي: من حفاظ الحديث. نزل بمصر وتوفي بها. قال ابن ناصر الدين: «كان أحد الأئمة الحفاظ، والمصنفين الأيقاظ. رحل وطوَّف، وجمع وصنَّف». له «الصحيح المنتقى» في الحديث. توفي سنة ٣٥٣هـ. الأعلام ٣/٩٨.

والظاهر أَن إِيراده له في القسم الرابع إنما هو لكونه لم يدرك البعثة، فكيف يُعدّ من الصحابة كسَيْف بن ذي يزَن فإِنه مات بعد المولد بنحو ثلاث سنين، فإِنه وإِنْ أَقرّ ببعثة النبي ﷺ فلا يسمّى صحابياً، لأَنه لم يره بعد البعثة، بل لم يره أَصلاً.

وقال في ترجمة أَبي طالب في الكنى، بعد أَن أَورد قصة الامتحان يوم القيامة: ونحن نرجو أَن يدخل عبد المطلب وآل بيته في جملة من يدخلها طائِعاً فينجو. إِلى آخره.

وتقدم لهذا مزيد بيان في ترجمة ابنه عبد الله.

ابن هاشم

هاشم: اسم فاعل من الهشم وهو كسر الشيء اليابس والأَجوف. واسمه عمرو العُلاَ، وهو منقول إِما من العَمْر بفتح العين الذي هو من العُمر بضمها أَي البقاء، ذكره أَبو الفتح ابن جنيّ رحمه الله تعالى في المبهج وأَنشد لأَبي القماقم:

يَارَبِّ زِدْ مِنْ عُمْرِهِ فِي عُمْرِي ... واسْتَوْفِ مِنِّي يَا إِلَهِي نَذْرِي

ويحكى أَن عيسى بن عمر سأَل عمرو بن عبيد فقال: لمَ سُميتَ عمراً؟ فقال له: العَمْر البقاء أَطال الله عَمْرك وعُمْرك. قال ابن دِحْية رحمه الله تعالى: إِن استعمل العَمْر في القسَم فالفتح لا غير. قال تعالى: ﴿**لَعَمْرُكَ إِنهم لفي سَكْرتهم يعْمهون**﴾.

أَو من غيره مما هو مذكور في الروض والزَّهر وغيرهما.

ولُقِّب هاشماً لأَنه أَول من هشَم الثريد لقومه بمكة وأَطعمه، وذلك أَن أَهل مكة أَصابهم جَهْد وشدة فرحل إِلى فلسطين فاشترى منها دقيقاً كثيراً وكعكاً وقَدِم بذلك إِلى مكة فأَمر به فخبِز ثم نحر جَزوراً وجعلها ثريداً عمَّ به أَهل مكة، ولا زال يفعل ذلك حتى استكفوا.

وهو أَول من سَنَّ الرحلتين، رحلة الشتاء إِلى الحبشة ورحلة الصيف إِلى الشام.

قال الرشاطي: كانت قريش تجارتهم لا تَعْدو مكة، وكانت الأَعاجم تَقْدَم عليهم بالسلع فيشترون منهم، حتى ركب هاشم إِلى الشام فنزل بقيصر وكان كل يوم يذبح شاة فيصنع جفنة ثريد ويدعو من حوله فيأَكلون فذكر ذلك لقيصر أَن ها هنا رجلاً من قريش يهْشم الخبز ثم يصبّ عليه المرق ويفرغ عليه اللحم، وإِنما كانت العجم تضع المرق في الصحاف ثم تأْتدم عليه بالخبز، فدعا به قيصر وكلَّمه فأَعجبه كلامه وأَعجب به وجعل يرسل إِليه ويدخل عليه، فلما رأَى مكانه منه قال: أَيها الملك إِنّ لي قوماً وهم تجار العرب فإِن رأَيت أَن تكتب لي كتاباً تؤَمِّنهم وتؤمن تجارتهم فيقدموا عليك بما يُستظرف من أُدْم الحجاز وثيابه فيمكّنوا من بيعه عندكم فهو أَرخص عليكم. فكتب له كتاب أَمانٍ لمن أَتى منهم فأَقبل هاشم بالكتاب فجعل كلمّا مرّ بحيٍّ من العرب على طريق الشام أَخذ لهم من أَشرافهم إِيلافاً، والإِيلاف أَن يأْمنوا

عندهم وفي طريقهم وأَرضهم بغير حِلْف، إنما هو أَمان الطريق، فأَخذ هاشم الإِيلاف فيمن بينه وبين الشام حتى قدِم مكة فأَعطاهم الكتاب، فكان ذلك أَعظم بركة. ثم خرجوا بتجارة عظيمة وخرج هاشم معهم يجُوزهم ويوفيهم إِيلافهم الذي أَخذ لهم من العرب، فلم يبرح يجمع بينهم وبين العرب حتى ورد الشام. ومات في تلك السَّفْرة بغزة. فهذا سبب تسميته بهاشم.

كذا قاله الرشاطي رحمه الله تعالى. وما ذكرناه في سبب تسميته هاشماً هو المشهور. ولا مانع أَن يكون سُمِّي ببلاد مكة هاشماً لِمَا تقدم، وببلاد قيصر كذلك. والله تعالى أَعلم.

وخرج اخوه عبد شمس إلى النجاشي بالحبشة وأَخذ لهم كذلك. وخرج أَخوهما نوفل إلى الأكاسرة بالعراق وأَخذ لهم كذلك. وخرج المطَّلب إلى حِمْير باليمن وأَخذ لهم كذلك. فكان يقال لهاشم ولعبد شمس وللمطلب ولنوفل، أولاد عبد مناف: المجِيزون فسادُوا كلهم، فقال فيهم عبد الله بن الزِّبَعْرَى رضي الله تعالى عنه، ويقال بل أَبوه قائل ذلك. قال البلاذري: والأول أَثبت:

يَا أَيُّها الرَّجُلُ المُحَوِّلُ رَحْلَهُ ... هَلا نَزَلْتَ بِآلِ عَبْدِ مَنَافِ
الآخِذُونَ العَهْدَ مِنْ آفَاقِهَا ... وَالرَّاحِلُونَ لِرِحْلَةِ الإِيلاَفِ
وَالرَّائِشُونَ وَلَيْسَ يُوجَدُ رَائِشٌ ... والْقَائِلُونَ هَلُمَّ لِلأَضْيَافِ
وَالخَالِطُونَ غَنِيَّهُمْ بِفَقِيرهِمْ ... حَتَّى يَكُونَ فَقِيرُهُمْ كَالْكَافِي
عَمْرو العُلاَ هشَم الثَّرِيدَ لِقَوْمِهِ ... سَفَرُ الشِّتاءِ ورَحلةُ الإِيلافِ(١)

وروى الزبير بن بكَّار في الموفَّقيّات، عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى قال: كانت قريش في الجاهلية تَحْتفد، وكان احتفادها أَن أَهل البيت منهم كانوا إِذا سافتْ - يعني هلكت - أَموالُهم خرجوا إِلى براز من الأَرض فضربوا على أَنفسهم الأَخْبية ثم تناوبوا فيها حتى يموتوا خوفاً من أَن يُعلم بخَلَّتهم. حتى نشأَ هاشم بن عبد مناف فلما رَبَل وَعَظم قَدره في قومه قال: يا معشر قريش إِن العِزَّ مع كثرة العدد، وقد أَصبحتم أَكثرَ العرب أَموالاً وأَعزَّهم نَفَرا، وإِن هذا الاحتفاد قد أَتى على كثير منكم، وقد رأَيت رأياً. قالوا: رأيك رشيد، فمُرْنا نأْتمر. قال رأَيت أَن أَخلط فقراءكم بأَغنيائكم فأَعمد إِلى رجل غني فأَضم إِليه فقيراً عَدده بعدد عياله فيكون يؤازره في الرحلتين رحلة الشتاء ورحلة الصيف، رحلة الصيف إِلى الشام ورحلة الشتاء إِلى اليمن، فما كان في مال الغني من فضل عاش الفقير وعياله في ظله، وكان ذلك قطعاً

(١) روي في الروض الأنف هذان البيتان:

عمرو الذي هشم الثريد لقومه ... قوم بمكة منتهين عجاف
سننت إليه الرحلتان كلاهما ... سفر الشتاء ورحلة الإيلاف

الروض الأنف ١٥٧/١. وفي البداية والنهاية الأصياف بدل الإيلاف، انظر البداية والنهاية ٢٥٣/٢.

للاحتفاد. قالوا: نِعْم ما رأَيت. فألَّف بين الناس.

الاحتفاد: خفة العمل والإسراع فيه.

وروى البلاذري عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه قال: والله لقد عَلمتْ قريش أَن أَول من أَخذ لها الإيلاف وأَجاز لهاالعِيرات لَهاشم، والله ما أَخذت قريش حَبْلاً لسفر ولا أَناخت بعيراً لحَضر إلا بهاشم.

وكان هاشم رجلاً موسِراً، وكان يقوم أَول يوم من ذي الحجة فيُسْند ظهره إلى الكعبة من تلقاء بابها فيخطب فيقول: يا معشر قريش أَنتم سادة العرب أَنساباً، وأَنتم أَقربُ العرب بالعرب أَرحاماً، يا معشر قريش إنكم جيران بيت الله أَكرمكم الله تعالى بولاية بيته وخصَّكم بجواره دون بني إسماعيل، حفظ منكم أَحسنَ ما حفظ جارٌ من جاره فأكرموا ضيفه وزوَّار بيته، فإنهم يأتون شُعْثاً غُبْراً من كل بلد على ضَوَامر كالقِدَاح وقد أَرْحَضُوا وتَفِلوا وقَمِلُوا وأَرْملوا، فاقْرُوهم وأَعِينوهم، ولو كان لي مال يحمل ذلك كله كفيتُكموه وأَنا مُخرج من طيِّب مالي وحَلاَله مالم تُقطع فيه رحِم ولم يؤخذ بظلم ولم يدخل فيه حرام فواضِعه، فمن شاء منكم أَن يفعل مثل ذلك فعل، وأَسأَلكم بحرمة هذا البيت أَن لا يُخرج رجلٌ منكم من ماله لكرامة زوار بيت الله ومعونتهم إلا طيِّباً لم يؤخذ ظلماً ولم يقطع فيه رحم ولم يؤخذ غصباً.

فكانت بنو كعب بن لؤي كلها تجتهد في ذلك، ثم يخرجون ذلك من أَموالهم حتى إنْ كان أَهل البيت لَيرسلون بالشيء اليسير على قدرهم، وكان أَهل اليسار منهم ربما أَرسل بمائة مثقال هِرَقْلية فيأتون به هاشماً فيضعونه في داره دار النَّدْوة.

وكان هاشم يُخْرج في كل سنة مالاً كثيراً. وكان يأَمر بحِيَاض من أَدَم فتجعل في موضع زمزم من قبل أَن تحفر زمزم ثم يستقي فيها من الآبار التي بمكة فيشرب الحاج. وكان يطعمهم أول ما يطعمهم قبل التروية بيوم بمكة وبمنى وبِجَمْع وعرفة وكان يَثْرد لهم الخبز واللحم، والخبز والسمن، والسويق والتمر، ويحمل لهم الماء، ويتفرق الناس لبلادهم.

وكان من أَحسن الناس وأَجملهم، وكانت العرب تسميه قِدْح النَّضَار والبدر.

قال أَبو سعد النيسابوري رحمه الله تعالى في «الشَّرَف»: كان النور يُرى على وجهه كالهلال يتوقد، لا يراه أَحد إلا أَحبَّهُ وأَقبل نحوه.

وبعث إليه قيصر رسولاً ليتزوج ابنته لما وجد في الإنجيل من صفته فأَبى.

* * *

ولهاشم من الأَولاد: نَضْلة، وبه كان يكنى، وعبد المطلب والعَقِب منه. وأسد والد فاطمة بنت أَسد أُم سيدنا علي رضي الله تعالى عنهما. وأَبو صيفي. والشَّفاء، وخلدة. ورقية وحبيبة.

وله من الإِخوة: المطَّلب، وعبد شمس، وتماضر، وقلاَبَة. وأُمهم عاتكة بنت مُرة بن هلال بن فالج، بالجيم، بَن ذَكْوان بن ثعلبة بن الحارث بن بهثة بن سُلْيم السلمية. ونوفل، وأَبو عمرو واسمه عبيد. قال ابن قتيبة رحمه الله تعالى: ولا عقب له. وأُميمة، أُمهم وافدة بنت أَبي عدي بن عبد فهم من بني مازن بن صعصعة.

ورَيْطة بنت عبد مناف، ولدت في بني هلال بن معيط من بني كنانة وأُمها من ثقيف.

وقيل إِن هاشماً وعبد شمس توأَمان وإِن أَحدهما ولد قبل الآخر. قيل إِن الأَول هاشم وإِن إِصبع أَحدهما ملتصقة بجهة صاحبه فنحيت فسال دم، فقيل يكون بينهما دم.

وولي هاشم بعد أَبيه عبد مناف ما كان إِليه من السقاية والرفادة فحينئذ حسده أُمية ابن عبد شمس بن عبد مناف فنال من هاشم.

فروى البلاذري عن هشام بن محمد بن السائب رحمه الله تعالى قال: كان أُمية بن عبد شمس بن عبد مناف ذا مال فتكلَّف أَن يفعل كما فعل هاشم في إِطعام قريش، فعجز عن ذلك، فشمت به أُناس من قريش وعابوه لتقصيره، فغضب ونافرَ هاشماً على خمسين ناقة سود الحدق. تُنْحر بمكة وإِجلاء عشر سنين، وجعَلا بينهما الكاهن الخزاعي، وهو جد عمرو بن الحَمِيق وكان منزله عُسْفان. وكان مع أُمية أَبو هَمْهَمة بن عبد العُزَّى الفِهري، وكانت ابنته عن أُمية، فقال الكاهن: والقمر الباهر، والكوكب الزاهر، والغمام الماطر، وما بالجوّ من طائِر. وما اهتدى بعلَم مسافر، في مُنْجد وغائر لقد سبق هاشم أُمية إِلى المآثر، أَول منها وآخر، وأَبو همهمة بذاك خابر. فأَخذ هاشم الإِبل، فنحرها وأطعم لحمها من حضر. وخرج أُمية إِلى الشام فأَقام عشر سنين. فتلك أَولُ عداوة وقعت بين بني هاشم وأُمية.

مات هاشم بغزة وله عشرون سنة. ويقال خمس وعشرون سنة.

قال البلاذُرِيّ رحمه الله تعالى: وهذا أَثْبت. وهو أَول من مات من بني عبد مناف. ثم مات عبد شمس بمكة فقُبر بأَجياد. ثم مات نوفل بسلمان من طريق العراق. ومات المطلب برَدْمان من طريق اليمن. وسَلْمان بوزن اسم سلمان الفارسي، ورَدْمان بوزنه.

ابن عبد مناف

عبد مناف: قال السهيليّ [مَفْعل من أَناف يُنيف إِنافة: إِذا ارتفع. وقال المفضَّل رحمه الله تعالى: الإِنافة: الإِشراف والزيادة. وبه سمي عبد مناف. ومنه تقول: مائة ونيف أَي شيء زائد على المائة][١] واسمه المغيرة منقول من الوصف. والهاء فيه للمبالغة. أَي أَنه يغير على

(١) سقط في أ.

الأَعداء. أَو مُغير من أَغار الحَبْلَ إِذا أَحْكمه. ودخلت الهاء للمبالغة، كما دخلت في عَلاَّمة ونسابة.

قال السهيلي رحمه الله تعالى: ويجوز أَن تكون الهاء في المغيرة للتأْنيث، ويكون منقولاً من وصف المؤنث.

وكنيته أَبو شمس وأَمّه حُبِّي بضم الحاء المهملة وتشديد الباء الموحدة الممالة. وكان يقال له قمر البَطحاء لجماله.

وسبب تلقيبه بعبد مناف أن أُمَّه حُبَّى بنت حُلَيْل، بضم الحاء المهملة وفتح اللام، ابن حُبْشِية، بضم الحاء المهملة وقيل بفتحها وسكون الباء الموحدة وكسر الشين المعجمة وتشديد الياء وقيل بتخفيفها، ابن سَلُول بفتح السين المهملة ولامين الأَولى مضمومة، ابن كعب بن خزاعة قد أَخدَمْته مَناة، وكان صنماً عظيماً لهم فسمى عبد مناة به. ثم نظر أَبوه قُصَيّ فرآه يوافقُ عبد مناة بن كنانة فحوَّله عبد مناف.

وسادَ في حياة أَبيه وكان مطاعاً في قريش وإِياه عنى القائل بقوله:

كَانَتْ قُرَيْشٌ بَيْضةً فَتَفَلَّقَتْ   فَالْمُخُّ خالِصُهُ لِعَبْدِ مَنَافِ

المخُّ بالحاء المهملة: صفرة البيض.

وروى البلاذريّ عن زيد بن أَسْلَم - رحمه الله تعالى - أَن رسول الله - ﷺ سمع جارية تنشد:

كَانَتْ قُرَيْشٌ بَيْضَةً فَتَفَلَّقَتْ   فَالمخُّ[1] خالِصُهُ لِعَبْدِ الدَّارِ

فقال رسول الله ﷺ لأَبي بكر: «**كذا قال الشاعر؟**» قال أَبو بكر: لا. إِنما قال: لعبد مناف. قال: «**كذاك**».

قال البلاذريّ: وزعموا أَنه وجد كتاب في حجَر: أَن المغيرة أَوصى قريشاً بتقوى الله وصلة الرحم.

ابن قصي

قُصَيّ بضم القاف وفتح الصاد المهملة: تصغير قَصِي بفتح القاف، من قصا يَقْصُو إِذا أَبْعَد. قاله ابن الأَنباري والزجّاجي - رحمهما الله تعالى: واسمه زيد. قال السُّهيلي: وصُغِّر قَصِيّ

---

(١) البيت في الروض الأنف وبعده:

الخالطين فقيرهم بغنيهم   والظالمين لرحلة الأضياف

.١٦١/١

على فُعَيْل. لأَنهم كرهوا اجتماع ثلاث ياءاتٍ، يعني ياء التصغير وياء فَعِيل المكبر، والياء المنقلبة عن الواو التي هي لام الفعل لتطرّفها وانكسار ما قبلها، فحذفوا إِحداهن وهي الياء الثانية التي تكون في فعيل نحو قَضِيب، فبقي على وزن فُعَيْل. قال: ويجوز أَن يكون المحذوف لام الفعل. يريد المبْدَلة من لام الفعل، فيكون وزنه فُعَيّاً وتكون ياء التصغير هي الثانية مع الزائدة.

قال الرّشَاطِيّ ـ رحمه الله تعالى: وإِنما قيل له قُصَيّ لأَن أَباه كِلاَب بن مُرّة كان تزوج فاطمة بنت سعد بن سَيَل ـ بسين مهملة فمثناة تحتية مفتوحتين فلام ـ لقِّب باسم جبل لطوله. واسمه خَيْر ضد شَرّ. وفي سعد قال الشاعر:

مَـا أَرَى فـي الـنَّـاسِ طُـرّاً رَجُـلاً ... حَـضَـرَ الـبـأْسَ كَـسَـعْـدِ بْـنِ سَـيَـلْ

فـارسٌ أَضْـبَـطَ فـيـه عُـسْـرَةٌ ... وإِذَا مـا وَافَـقَ الـقِـرْنَ نَـزَلْ

وَتَـرَاهُ يَـطْـرُدُ الـخَـيْـلَ كَـمَـا ... يَـطْـرُدُ الـحَـرُّ الـقُـطَـامِيُّ[1] الـحـجَـلْ

ويقال: إِن سعداً هذا أَول من حليَّ السيوف بالفضة والذهب.

فولدت له زهرة وقُصَيّا. فهلك كِلاَب وقصيٌّ صغير. فتزوج فاطمةَ أَمَّ قصيّ ربيعةُ ابن حرام بن ضَبّة فاحتملها ـ ربيعةُ ومعها قُصَي صغير. وقال السهيلي: رضيع. قال الرشاطي: فولدت فاطمةُ لربيعة رزَاحا وكان أَخاه لأُمه، فربيّ في حجر ربيعة، فسمى قُصَيّاً لبعده عن دار قومه.

قال الرشاطي: وقال الخطَّابي: سمي قُصَيّاً لأَنه قصا قومَه أَي تقصَّاهم بالشام، فنقلهم إِلى مكة.

قال الرشاطي. وإِن زيداً وقع بينه وبين آل ربيعة شر فقيل له: أَلا تلحق بقومك! وعيِّر بالغربة وكان لا يعرف لنفسه أَباً غير ربيعة فرجع إِلى أُمه وشكا إِليها ما قيل له. فقالت: يا بني أَنت أَكرم نفساً وأَباً، أَنت ابن كِلاَب بن مرة وقومُك بمكة عند البيت الحرام. فأَجمع قصي على الخروج، فقالت له أُمه: أَقم حتى يدخل الشهر الحرام فتخرج في حاجّ العرب، فلما دخل الشهر الحرام خرج مع حاج قُضَاعة حتى قدم مكة فحج وأَقام، فعرفت له قريش قَدْره وفضله وعظَّمته وأَقرتّ له بالرياسة والسؤدد، وكان أَبعدها رأْياً وأَصدقها لَهْجة وأَوسعها بَذْلا، وأَبيَنها عَفافا، وكان أَولُ مالٍ أَصابه مالَ رجل قدم مكة بأُدْمٍ كثير فباعه وحضرته الوفاة ولا وارث له فوهبه لقصي ودفعه له.

---

(١) القطامي: الصقر، اللسان ٥/٣٦٨٢.

وكانت خزاعة مستولية على الأَبْطَح، وكانت قريش تنزل الشِّعاب والجبال وأطراف مكة وما حولها فخطب قُصَي إلى حُلَيْل بن حُبْشية الخُزَاعي ابنته حُبَّى، فعرف حليل نسَبه فزوجه ابنته وحليل يومئذ يلي الكعبة وأَمْر مكة.

فأَقام قُصَي معه وولدت له حُبَّى أَولاده، فلما انتشر ولده وكثر ماله وعَظُم شرفه هلَك حُلَيْل، وأَوصى بولاية البيت لابنته حُبَّى فقالت: لا أَقدر على فتح الباب وإِغلاقه. فجعل ذلك لأَبي غُبْشان، بضم الغين المعجمة وسكون الموحدة بعدها شين معجمة - واسمه المحترش - بميم فحاء مهملة ويقال بمعجمة فتاء مثناة فوقية، فراء فشين معجمة - بن حُلَيْل وكان في عقله خَلل، فاشترى قصيّ منه ولاية البيت بزقّ خمر وقَعُود. فضربت به العرب المثل فقالت: أَخْسَر صفقة من أبي غُبْشان!.

فلما أَخذ قصي مفتاح البيت إِليه أَنكرت خزاعة ذلك وكثر كلامها، وأَجمعوا على حرب قصي وقريشٍ وطَرْدهم عن مكة ومَا والاها:

فبادَر قصيّ فاستصرخ أَخاه رزَاحَ بن ربيعة فحضر هو وإِخوته، وكانت بنو صوفة تَدْفع الناس بالحج من عرفة إِذا نفروا من مِنىً، فلم يَجْسر أَحدٌ من الناس أَن ينفر ولا يرمي حتى يرموا، فلما كان هذا العام فعلت بنو صوفة كما كانت تفعل، فأَتاهم قصي بمن معه من قريش وكنانة وقُضاعة عند العقَبة فقال لبني صوفة: نحن أَوْلى بهذا منكم. فقاتلوه فاقتتل الناس قتالاً شديداً وكثر القتلُ في الفريقين فانهزمت صوفة وغلبهم على ما كان بأَيديهم من ذلك، فانحازت خزاعة وبنو بكر عن قصيّ، وعلموا أَنه سيمنعهم كما منع من ذلك بني صوفة، وأَنه سيَحُول بينهم وبين الكعبة وأَمر مكة، فاجتمع لحربهم فخرجت خزاعة وبنو بكر فالتقوا واقتتلوا قتالاً شديداً، ثم إِنهم تداعَوْا إِلى الصلح وأَن يحكِّموا رجلاً من العرب، فحكموا يَعْمر بن عوف بن كعب المعروف بالشدَّاخ فقضى بينهم بأَن قُصَيّاً أَولى بالكعبة وأَمرِ مكة من خزاعة، وأَن كل دمٍ أَصابته قريش من خزاعة موضوع يَشْدَخه تحت قدميه، وأَن ما أَصابته خزاعة وبنو بكر من قريش وبني كنانة فيه الدِّية. فودَوا خمسمائة وعشرين دية وثلاثين جريحا. وأَن يخلَّى بين قُصَيّ وبين البيت. فسمي يَعْمر بن عوف الشدَّاخ لِمَا شدخ من الدماء ووضع.

فولِيَ قصيٌّ أَمر الكعبة ومكة وجمعَ قومه من منازلهم إِلى مكة فملَّكوه عليهم، ولم تكن مكة بها بيت في الحرم وإِنما كانوا يكونون بها حتى إِذا أَمسَوْا خرجوا لا يستحلون أَن يصيبوا فيها جناية، ولم يكن بها بيت قديم.

فلما جمع قصيٌّ قريشاً - وكان أَدْهَى من رئي من العرب - قال لهم: هل لكم أَن تصبحوا بأَجمعكم في الحرم حولَ البيت؟ فوالله لا يستحل العرب قتالكم ولا يستطيعون

إخراجكم منه وتسكنونه فتسودوا العربَ أبداً. فقالوا: أنت سيدنا ورأْيُنا تبعٌ لرأيك. فجمعهم ثم أَصبح بهم في الحرم حول الكعبة.

وكان قُصَيّ أَول بني كَعْب بن لُؤَيّ أَصاب مُلْكاً أَطاع له به قومه، فكانت إِليه الحِجَابة والسِّقَاية والرِّفادة والنَّدْوة واللواء، وحاز شرف مكة كله جميعاً. فسمى مجمّعاً لجمعه قومَه. وفي ذلك قال الشاعر:

أَبُوكُمْ قُصَيٌّ كَانَ يُدْعى مُجَمِّعاً ... بِهِ جَمَعَ اللهُ القَبَائِلَ مِنْ فِهْرِ

وأَنْتُمْ بَنُو زَيْدٍ وَزَيْدٌ أَبُوكُمُ ... بِهِ زِيدَتِ البَطْحَاءُ فَخْراً على فَخْرِ

وبنى دار الندوة. والندوة في اللغة: الاجتماع. لأَنهم كانوا يجتمعون فيها للمشورة وغير ذلك، فلا تنكح امرأَة ولا يتزوج رجل من قريش، ولا يتشاورون في أَمر إِلا في داره، ولا يعقدون لواء حرب إِلا فيها يعقدها لهم قصي أَو بعض بنيه.

قال أَبو عبيدة: ولما وَلِي قصي أَمرَ مكة قال: يا معشر قريش، إِنكم جيران الله وجيران بيته، وأَهل حرَمه، وإِن الحاج زوّار بيت الله فهم أَضياف الله وأَحق الأَضياف بالكرامة أَضياف الله فترافدوا، فاجعلوا لهم طعاماً وشراباً أَيامَ الحج حتى يَصْدروا، ولو كان مالي يسَع ذلك قمت به، ففرض عليهم خَرْجا تُخْرجه قريش من أَموالها فتدفعه إِليه فيصنع به طعاماً وشراباً ولبناً وغير ذلك للحاج بمكة وعرفة فجرى ذلك من أَمره حتى قام الإِسلام.

قال السهيلي رحمه الله تعالى: وكان قُصَيّ يسقي الحجيج في حياض من أَدمٍ يُنقل إِليها الماء من بئر ميمون وغيرها خارج مكة، وذلك قبل أَن يحفر العَجُول.

وروى البلاَذُريّ عن معروف بن خَرّبُوذ وغيره قالوا: كانت قريش قبل قصي تشرب من بئر حفرها لُؤَيٌّ بن غالب خارج مكة ومن حياض ومن مصانع على رؤوس الجبال ومن بئر حفرها مرّة بن كعب مما يلي عرفة. فحفر قصي بئراً سماها العَجُول، وهي أَول بئر حفرتها قريش بمكة وفيها يقول رَجّاز الحاجّ:

نَرْوِي [من] العَجُولِ ثُمَّ نَنْطَلِقْ ... إِنَّ قُصَيًّا قَدْ وفَى وَقَدْ صَدَقْ

بِالشِّبْعِ لِلنَّاسِ وريٍّ مُغْتَبِقْ

وقال آخر:

آبَ الحَجِيجُ طاعمين دسَما ... أَشْبَعُهمْ زيدُ قُصيٌّ لَحْمَا

ولَبناً مَحْضاً وخبزاً هَشْماً

خرَّبوذ بفتح المعجمة وتشديد الراء وبسكونها ثم بموحدة مضمومة وواو ساكنة. وآب. بالمد: رجع.

ويروى أَن قصياً قال للأَكابر من ولده: من عظَّم لئيماً شرَكه في لؤمه، ومن استحسن مستقبحاً شرَكه فيه، ومن لم تُصْلحه كرامتكم فداووه بهوانه، فذاك دواء يحسم الداء والعِيُّ عِيَّان: عيّ إفحام، وعي المنطق بغير سَدَاد، والحسُود: العدوُّ الخَفِيّ، ومن سأَل فوق قَدْره استحقَّ الحِرْمان.

وقُصَيّ أَحدثَ وقود النار بالمُزدلفة ليراها من دَفع من عرفة. وقسم قصيٌّ مكارمه بين ولده، فأَعطى عبدَ مناف السِّقاية والندوة، فكانت فيه النبوّة والثروة. وأَعطى عبدَ الدار الحجابَة واللواء. وأَعطى عبدَ العُزَّى الرِّفادة والضيافة أَيامَ منى، فكانوا لا يُجيزون إِلا بأَمره.

وأَعطى عبدَ قصي جَلْهَمَتَي الوادي. فسادت بنو قصي الثلاثة.

ومات قصي بمكة فأَقام بنوه أَمرَ مكة بعده في قومهم[1] ودفن بالحَجُون. فتدافن الناسُ بعده بالحَجُون.

ابن كلاب

كِلاَب: بكسر الكاف وتخفيف اللام منقول. وفي وجه نقله عن الجمع وجهان: **أَحدهما**: ما ذكره السُّهيلي: إما من المصدر الذي في معنى المكالبة نحو كالَبْتُ العدوَّ مُكَالبةً وكِلابا، وإما من الكلاب جمع كَلْب لأَنهم يريدون الكثرة كما سمَّوا بسبَاع وأَنمار.

والثاني: ما نقله في «المورِد» و «الفتح» عن بعضهم أَنه كان محبّاً للصيد مولَعاً به بالكلاب وجمع منها شيئاً كثيراً، فكان إذا مرَّ بكِلاَب على قوم قيل: هذه كلاب ابن مُرّة. فبقي لقباً له.

فائدة: قيل لأَبي الدُّقَيْش الأَعرابي: لم تسمون أَبناءكم بأَشرّ الأَسماء نحو كلاب وذئب وعبيدَكم بأَحسن الأَسماء نحو مَرْزوق وربَاح. فقال: إنا لَنسمي أَبناءنا لأَعدائنا وعبيدَنا لأَنفسنا يريد أَن الأَبناء عدة للأَعداء وسهام في نحورهم فاختاروا لهم هذه الأَسماء.

قال ابن دِحْية رحمه الله تعالى: فكان الرجل إذا تشاجرَ مع كُفْوه قال: اخرج يا كلب أَو يا سباع أَو يا نمر أَو يا عَلْقمة إلى غير ذلك. وقيل لدفع السُّوء عن أَبنائهم.

واسمه حكيم. ويقال: الحكيم. وقيل: المهذَّب. وقيل عُرْوة. نقله الجوّاني في المقدمة.

---

(١) في أ: يومهم.

قال المحب بن الشهاب بن الهائم[1]: والصحيح الأَول. قال بعض العرب:

حَـكِـيـم بْـنِ مُـرةٍ سَـادَ الـوَرَى   بـبَـذْلِ الـنَّـوالِ وَكَـفِّ الأَذَى

وكنيته أَبو زهرة. وهو أَول من جعل السيوف المحلاَّة بالبيت، وذلك أَن سعد بن سيَل جد ابنه قصي لأُمّه هو أَول من حلَّى السيوفَ بالذهب والفضة وأَهدى إِلى كلاب بن مرة مع ابنته فاطمة أُمّ قُصَيّ سيفين مُحلَّيين فجعلهما كلاب في خزانة الكعبة. ذكره أَبو الربيع.

وأُمّه هند، ويقال نعم بنت سُرَيْر ـ بمهملات مصغراً ـ ابن ثعلبة.

قال البلاذريّ: والأَول أَثبت. وكان له من الذكور ابنان قُصَيّ وزُهْرة، بضم الزاي بلا خلاف. وبه كان يكنى كما تقدم. وهو جد النبي ﷺ كما تقدم من قِبَل أُمه.

قال الحافظ: والمشهور عند أَهل النسب أَن زُهْرة اسم رجل. وشذَّ ابن قتيبة فزعم أَنه اسم امرأَة. وهو مردود بقول إِمام أَهل النسب هشام بن الكلبي: أَن اسم زُهْرة: المغيرة.

قال السهيلي: وما قاله ابن قتيبة منكَر غير معروف.

ابـن مـرة

مُرّة. بضم الميم. وفيما نقل منه وجوه: **أَحدها:** أَنه منقول من وصف الحنظلة والعلقمة، وكثيراً ما يسمون بحنظلة وعلقمة. والتاء على هذا للتأْنيث.

الثانـي: أَنه منقول من وصف الرجل بالمرارة. قاله أَبو عبيد. يقال: مرَّ الشيء وأَمرَّ إِذا اشتدت مرارته.

قال السهيلي: ويقوّي هذا قولهم: تميم بن مُرّ. فالتاء على هذا للمبالغة.

الثالث: قال السهيلي: وأَحسب أَنه من المسمَّيْن بالنبات لأَن أَبا حنيفة ذكر أَن المرّة بقْلة تُقْطع فتؤكل بالخل يشبه ورقها ورق الهندباء.

الرابع: أَنه مأْخوذ من القوة كما في قوله تعالى: **﴿ذو مِرَّة﴾** أَي قوة. ويقال مَرَّ الرجلُ إِذا أَحْكم صنعته.

الـخامس: أَنه منقول من قولهم: مرَّ الشيء إِذا اشتدت مرارته. قال تعالى: **﴿والساعةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ﴾** نقله ابن دِحْية عن أَبي عبيدة.

وكنيته أَبو يَقَظة ـ بمثناة تحتية فقاف فظاء معجمة مفتوحات ثم هاء ـ وأُمّه مَخْشِيّة ـ

---

(١) محمد بن أحمد بن محمد بن عماد، أبو الفتح، محب الدين بن الهائم: فاضل مصري الأصل، مقدسي الإقامة والوفاة. اشتغل بالفقه والحديث، وخرّج لنفسه ولغيره. ومات في حياة والده له «الغرر المضية في شرح نظم الدرر السنية» وهو شرح لألفية العراقي في نظم السيرة النبوية. توفي سنة ٧٩٨هـ. الأعلام ٣٢٩/٥.

بميم مفتوحة فخاء ساكنة فشين مكسورة معجمتين فمثناة تحتية مشددة ـ ويقال: وَحْشية، بنتَ شَيْبان بن محارب بن فِهْر.

وله من الولد ثلاثة: كِلاَب وتميم، رهط أَبي بكر الصديق، وطلحة بن عُبَيد الله أَحد العشرة رضي الله تعالى عنهم. ويقظَة المكنى به، ومنه بنو مخزوم. وأُمهما البارقة.

ابـن كعـب

كعب: اختلف مما ذا نُقل على أَقوال: **الأَول:** أَنه منقول من الكعب الذي هو قطعة من السمن الجامد في الزِّق أَو في غيره من الظروف، كما أَن الكعب القطعة من الأَقط حكاه الزَّجاجي والسهيلي في آخرين.

الثانـي: أَنه منقول من كعب الإِنسان وهو ما شرف فوق رُسْغه عند قدمه. وعلى هذا فقيل: نقل منه لارتفاعه وشرفه على قومه. واختاره الزجاجي وغيره لثبوته، من قولهم ثبت ثبوتَ الكعب. واختاره السهيلي، واستدل له بما جاء في خبر ابن الزبير رضي الله تعالى عنهما: أَنه كان يصلي عند الكعبة يوم قُتل وحجارة المنجنيق تمرّ بأُذنه، وهو لا يلتفت كأَنه كعبٌ راتِب.

الثالث: أَنه من كعب القناة. ذكره ابن دُرَيد. قال في الزُّهْر: ولعله أَشْبه ويترشح بقول بعضهم: سمّي بذلك لارتفاعه على قومِه وعلوّه عليهم وشرفه فيهم.

وكنيته أَبو هُصَيْص ـ بمهملتين مصغر ـ والهَصُّ: شدة القبض والغمز: وقيل: شدة الوطء للشيءِ حتى يَشْدخه.

وأُمّه ماوِيّة ـ بواو ـ مكسورة فمثناة تحتية مشددة ـ بنت كعب بن القَيْن القضاعية.

وكان عظيم القَدْر عند العرب، ولهذا أَرَّخوا بموته إِلى أَن كان عام الفيل فأَرخوا به، ثم أَرّخوا بموت عبد المطلب.

قال السُهيلي: وكعب بن لؤيّ هذا من جَمَّع يومَ العَرُوبة، ولم تسم العَرُوبة الجمعة إِلاَّ منذ جاء الإِسلام في قول بعضهم. وقيل هو أَول من سماها الجمعة. انتهى. وصحح هذا الثاني المحب ابن الهائم. وقال ابن حزم: يوم الجمعة اسم إِسلامي ولم يكن في الجاهلية لأَنه يجتمع فيه للصلاة أَحد من الجَمْع. قال في الزهر: وفي تفسير عبد بن حُمَيْد بسند صحيح عن ابن سيرين رحمه الله تعالى قال: جَمَّع أَهلُ المدينة قبل أَن تنزل الجُمْعة وقَبْل قدوم النبي ﷺ، وهم الذين سمَّوها الجمعة. وهو يؤيد ما ذكره ابن حزم ولهذا مزيد بيان يأْتي إِن شاء الله تعالى في الباب الثاني من أَبواب الحوادث.

وكان يجمع قومه في هذا اليوم ويخطبهم. قال أَبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف[١] رحمه الله تعالى: فيقول أَمّا بعْد فاسمعوا وَعُوا، وافهموا وتعلموا، ليلٌ ساجٍ، ونهار ضاحٍ والأَرض مِهَاد، والسماء بِنَاء، والجبال أَوتاد، والنجوم أَعلام، لم تُخْلق عبثاً فتضْربوا عنا صَفْحاً، الآخِرون كالأَوّلين، والذكَرُ كالأُنثى، والزّوج والفَرْد إلى بِلى. فصِلُوا أَرحامَكم، وأَوفوا بعهودكم، واحفظُوا أَصهاركم، وثَمِّروا أَموالكم، فإِنّها قِوَام مروءتكم فهل رأَيتم من هالك رجع، أَو ميت نُشر، الدار أَمامكم واليقين غير ما تظنون، حَرَمكم زيّنوه وعظموه، وتمسكوا به، فسيأتي له نبأ عظيم، وسيخرج منه نبي كريم، بذلك جاء موسى وعيسى ﷺ، ثم يقول:

نهارٌ وليل كُلَّ أَوْب بِحَاثَ[٢] سَوَاءٌ عَلَيْنا ليلُها ونهارُها

عَلَى غَفْلَةٍ يَأْتي النبيُّ مُحَمَّدٌ يخبِّر أَخباراً صَدُوقاً خبيرُها

والله لو كنت ذا سمع وذا بصر، ويدٍ ورجل، لَتَنَصَّبْتُ فيها تنصُّب الجمل، ولأَرْقلتُ فيها إرقال الفحل. ثم يقول:

يَا لَيْتَني شَاهِدٌ فَحْواءَ دَعْوَتِهِ حِينَ العشيرةُ تَبْغي الحقَّ خُذْلاَنا

وكان بين موته ومبعث النبي ﷺ خمسمائة سنة وستون سنة. رواه أَبو نَعَيْم وغيره.

وهو أَول من قال: «أَما بَعْد» في أَحد الأَقوال. وله من الذكور ثلاثة: مُرّة، وهُصَيْص المكنّى به، وعَدِي.

ابن لؤي

لُؤَيّ: بضم اللام ويهمز ويسهَّل: واختلف في المنقول منه على أَقوال: **أَحدها**: أَنه تصغير لأْي واختلف في اللأي ما هو؟ فقال: ابن الأَنباري في جماعة منهم أَبو ذَرّ الخُشَني: اللَّأْي الثور الوحشي. وقال أَبو حنيفة: اللأْي: البقرة قال: وسمعت أَعرابياً يقول: بكَم لأْيُك هذه؟ وقال السُّهيلي: اللأْي: البُطْء بضم الباء مهموزاً ضد الأَناة وتَرْك العجلة.

الثاني: أَنه منقول من لواء الجيش.

الثالث: أَنه منقول من لِوَي الرمل المقصور: قالهما ابن دريد.

---

(١) أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف الزهري، المدني، قيل اسمه عبد الله، وقيل إسماعيل، ثقة مكثر، من الثالثة، مات سنة أربع وتسعين، وكان مولده سنة بضع وعشرين. التقريب ٢/٤٣٠.

(٢) لعل معنى البيت كل رجوع لليل ونهار متفرقين سواء علينا. على أن معنى «بحاث» متفرقين. يقال: تركهم حاث باث، متفرقين مبددين، انظر الوسيط ١/٢٠٤.

وكنيته أَبو كعب.

وكان له من الذكور سبعة: كعب المكنَّى به وعامر رَهْط سُهَيْل بن عمرو وهما صريحَا لُؤَيّ. وسامَة بسين مهملة بلا أَلف قبلها وأُمهم ماوِيّة. وهم بنو ناجِيَة في عُمَان وخُزَيْمة بن لؤيّ بطن هم عائِذَة قريش، وسعد بن لُؤَيّ بطن وهم بُنَانَة بموحدة مضمومة ونونين، والحارث وهم جُشَم، كان جُشَم عبداً للؤيّ حضَنه فغلب عليه. وعوف وهم من غَطَفان.

وأُمه عاتكة بنت يَخْلدُ ـ بمثناة تحتية فخاء معجمة ساكنة فلام مضمومة فدال مهملة ـ ابن النضر بن كنانة. ويقال: بل سَلْمى بنت الحارث بن تميم بن هُذَيْل بن مُدْرِكة.

وكان لؤي حليماً حكيماً نطق بالحكمة صغيراً. قال البَلاَذُرِيّ: روي أَن لؤياً قال: من رَبَّ معروفَه لم يَخْلَق ولم يَخْمل، فإِذا خمل الشيء لم يُذكر، وعلى من أُولي معروفاً نَشْره، وعلى المولي تصغيره وطَيّه.

ابـن غالـب

غالب: منقول من اسم فاعل مشتق من الغَلَب، يقال: غلَبْته غلَباً بفتحات فأَنا غالب.

وكنيته أَبو تميم. وله ولدان لا غير: لؤي وتَيْم المكنى به. وهو المعروف بتيم الأَدْرَم لأَن أَحد لحْييْه كان أَنْقص من الآخر. وفي قريش تَيْمان: تَيْم بن مُرّة. وتيم الأَدْرم، وكان كاهناً وأُمه ليلى بنت الحارث بن تميم بن هُذَيْل بن مُدْرِكه.

ابـن فهـر

فِهْر بكسر الفاء وسكون الهاء فراء منقول من الفِهْر، وهو من الحجارة الطويل. قاله السُّهيلي. قال الخُشَني: الفِهْر حَجَر ملء الكف يذكر ويؤنث وفي «تقويم المفْسَد» عن الأَصمعي: من أَنث الفِهْر أَخطأ.

وكنيته أَبو غالب. وأُمه جَنْدلة، بجيم فنون ساكنة فدال مُهْملَة، بنت عامر بن الحارث ابن مُضَاض الجُرْهميّ، وكان رئيس أَهل مكة وكان له من الولد: غالب، وأَسد، وعوف. وجَوْن، ورَيْص والحارث، بطن، ومحارب، بطن، وهما من قريش الظواهر. وقيس. وهو قريش في قول أَبي بكر محمد بن شهاب الزُّهري ونسبَه البيهقيّ والحافظ لأَكثر أَهل العلم.

قال ابن شِهاب: وهو الذي أَدركتُ عليه من أَدركتُ من نُسَّاب العرب: أَن من جاوز فِهْراً فليس من قريش. وبه قال الشَّعْبي وهشام بن محمد الكلبي، ومُصْعَب بن عبد الله الزبيريّ وخَلْق، وصحّحه الحافظ شرف الدين الدمياطي والحافظ أَبو الفضل العراقي وغيرهما.

قال الحافظ صلاح الدين بن العَلائيّ[1]: وعليه جمهور أَهل النسب.

وقيل: إن قريشاً هم بنو النَّضْر بن كنانة. وإليه ذهب محمد بن إسحاق، وأَبو عبيدة مَعْمَر بن المثنى، وأَبو عبيد القاسم بن سلام. وبه قال الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه وعنهم وغيره.

قال الحافظ صلاح الدين العلائي: وهو الصحيح الذي عليه المحققون والحجة له حديث الأَشعث بن قيس رضي الله تعالى عنه قال: قدِمْت على رسول الله ﷺ في وفد كِنْدة فقلت: أَلستم منا يا رسول الله؟ قال: **«لا نحن بنو النضر بن كنانة لا نَقْفُوا أُمَّنا ولا نَنْتفي من أَبينا»**.

رواه ابن ماجة. قال العلائي رجاله ثقات[2].

ووجه الدلالة منه ظاهر. أَي لا نترك النسب إلى الآباء وننتسب إلى الأُمهات.

وقيل: إن قريشاً بنو إلياس بن مضر. نقله الأُستاذ أَبو منصور عبد القاهر بن طاهر[3] عن التميمية وصححه قال: وهو اختيار أَبي عمرو بن العَلاء وأَبي الحسن الأَخفش[4] وحمَّاد ابن سلمة وعبيد الله بن الحسن بن سوار. وروى مثله عن أَبي الأَسود الدؤلي[5].

---

(١) خليل بن كَيْكَلْديّ بن عبد الله العلائي الدمشقي، أبو سعيد، صلاح الدين: محدث، فاضل، بحاث. ولد وتعلم في دمشق، ورحل رحلة طويلة. ثم أقام في القدس مدرساً في الصلاحية سنة ٧٣١هـ، فتوفي فيها. من كتبه «المجموع المذهب في قواعد المذهب» في فقه الشافعية، وكتاب «الأربعين في أعمال المتقين» كبير، و «الوشي المعلم» في الحديث، و «المجالس المبتكرة» و «المسلسلات» و «النفحات القدسية» و «منحة الرائض» في الفرائض، و «كتاب المدلسين» و «مقدمة نهاية الأحكام» و «برهان التيسير في عنوان التفسير» وغير ذلك، توفي سنة ٧٦١هـ. انظر الأعلام ٢/٣٢١.

(٢) أخرجه ابن ماجة (٢٦١٢).

(٣) عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله البغدادي التميمي الأسفراييني، أبو منصور: عالم متفنن، من أئمة الأصول. كان صدر الإسلام في عصره. ولد ونشأ في بغداد، ورحل إلى خراسان فاستقر في نيسابور. وفارقها على أثر فتنة التركمان ومات في أسفرائين. كان يدرّس في سبعة عشر فنّاً. وكان ذا ثروة. من تصانيفه «أصول الدين» و «الناسخ والمنسوخ» و «تفسير أسماء الله الحسنى» و «فضائح القدرية» و «التكملة، في الحساب ـ خ» و «تأويل المتشابهات في الأخبار والآيات ـ خ» و «تفسير القرآن». توفي سنة ٤٢٩هـ. الأعلام ٤/٤٨.

(٤) سعيد بن مسعدة المجاشعي بالولاء، البلخي ثم البصري، أبو الحسن، المعروف بالأخفش الأوسط: نحويّ، عالم باللغة والأدب، من أهل بلخ. سكن البصرة، وأخذ العربية عن سيبويه. وصنف كتباً، منها «تفسير معاني القرآن» و «شرح أبيات المعاني» و «الاشتقاق» و «معاني الشعر» و «كتاب الملوك» و «القوافي» توفي سنة ٥١٢هـ. الأعلام ٣/١٠١، ١٠٢.

(٥) ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل الدؤلي الكناني: واضع علم النحو. كان معدوداً من الفقهاء والأعيان والأمراء والشعراء والفرسان والحاضري الجواب، من التابعين. رسم له عليّ بن أبي طالب شيئاً من أصول النحو، فكتب فيه أبو الأسود. وأخذه عنه جماعة. وفي صبح الأعشى أن أبا الأسود وضع الحركات والتنوين لا غير. سكن البصرة في خلافة عمر، وولي إمارتها في أيام علي، استخلفه عليها عبد الله بن عباس لما شخص إلى الحجاز. ولم يزل في الإمارة إلى أن قتل عليّ. وكان قد شهد معه «صفين». ولما تم الأمر لمعاوية قصده فبالغ معاوية في إكرامه. وهو ـ في أكثر الأقوال ـ أول من نقط المصحف. وله شعر جيد، في «ديوان» صغير، أشهره أبيات يقول فيها: =

وقيل إنهم جميع بني مُضَر بن نِزَار. ونقله الأُستاذ عن القَيْسية وبه قال مِسْعَر بن كِدَام[١]. وروى مثله عن حُذَيْفة بن اليَمَاني رضي الله تعالى عنهما.

وقيل إنهم بنو قصَيّ بن كلاب. حكاه الماوردي وأَبو عمرو بن الأَثير في الجامع وغيرهما وهو قول المبرّد. قال في النّور: وهو قول باطل. وكأَنه قول رافضيّ، لأَنه يقتضي أَن يكون أَبو بكر وعمر ليسا من قريش، وإِذا لم يكونا من قريش فإِمامتهما باطلة، وهذا خلاف إِجماع المسلمين. انتهى.

واختلفوا لم سمي بقريش على أَقوال: أَحدها بدابّة عظيمة في البحر من أَقوى دوابه سميت به قريش لقوتها لأَنها تأْكل ولا تؤكل وتعلو ولا تُعْلَى. قاله ابن عباس حين سأَله معاوية، واستشهد له بقول الشاعر الجُمَحيّ[٢]:

وَقُرَيْشٌ هِيَ الَّتي تَسكُنُ الْبَحْرَ ... بِهَا سُمِّيَتْ قُرَيْشٌ قُرَيْشَا
سَلِّطَتْ بالعلوّ في لُجَّةِ البَحْرِ ... عَلَى سَاكِنِي البُحُورِ جُيُوشَا
تَأْكُلُ الغَثَّ والسَّمينَ ولا تَتْـ ... ـرُكُ يَوماً لذي الجَنَاحَيْنِ رِيشَا
هَكَذَا في العِبَادِ حَيُّ قُرَيْشٍ ... يأْكُلُونَ البِلادَ أَكْلا كَشِيشا
وَلَهُمُ في آخر الزَّمَانِ نَبِيٌّ ... يُكْثِرُ القَتْلَ فِيهِمْ والخُمُوشَا
تملأ الأَرض خَيْلُه وَرِجَالٌ ... يَحْشرُونَ الْمَطِيَّ حَشْراً كَمِيشَا

رواه ابن عساكر:

وروى ابن أَبي شيبة أَن ابن عباس سأَله عمرو بن العاص: لم سميت قريشٌ قريشاً؟ قال: بالقرش دابّة تأْكل الدوابّ لشدتها. وإِلى هذا القول ذهب محمد بن سَلاَم، ورجحه أَبو بكر بن الأَنباري. وقال المطرزيّ رحمه الله تعالى عن هذه الدابة: إِنها ملكة دواب البحر وأَشدها، فكذلك قريش سادات الناس.

= «لا تنه عن خلق وتأتي مثله»

مات بالبصرة. ولأبي أحمد عبد العزيز بن يحيى الجلودي. كتاب «أخبار أبي الأسود» وللدكتور فتحي عبد الفتاح الدجني «أبو الأسود الدؤلي ونشأة النحو العربي» في الكويت. توفي ٦٩هـ. الأعلام ٣/٣٦، ٣٧.

(١) مِسْعَر بن كِدام، بكسر أوله وتخفيف ثانيه، ابن ظهير، الهلالي، أبو سلمة الكوفي، ثقة ثبت فاضل، من السابعة، مات سنة ثلاث أو خمس وخمسين. التقريب ٢/٢٤٣.

(٢) وهب بن زمعة بن أسد، من أشراف بني جمح بن لؤي بن غالب، من قريش: أحد الشعراء العشاق المشهورين. من أهل مكة. قال المرتضى: هو «من شعراء قريش، وممن جمع إلى الطبع التجويد». له مدائح في معاوية وعبد الله بن الزبير. وأخبار كثيرة مع عمرة الجمحية وعاتكة بنت معاوية. في شعره رقة وجزالة. وله «ديوان شعر» من رواية الزبير بن بكار. وكان صالحاً. ولاه عبد الله الزبير بعض أعمال اليمن، وتوفي بعُلَيِّب بتهامة. توفي سنة ٦٣هـ. انظر الأعلام ٨/١٢٥.

وقيل سموا قريشاً لأَنهم كانوا يتّجرون ويأْخذون ويعطون، من قولهم قرَش الرجلُ يَقْرش إذا اتَّجرَ وأَخذ وأَعطى وقيل إِنما سميت قريشاً من الإِقراش وهو وقوع الرايات والرماح بعضها على بعض. وقيل إِنها سميت قريشاً من التَّقْرِيش وهو التحريش. حكاه ابن الأَنْبَاري.

[وقيل: من تزيين الكلام وتحسينه].

قال الزجاجي[1]: وهو بعيد لأَن المعروف في اللغة أَن التقريش هو التحريش لا أَن التقريش هو تزيين الكلام وتحسينه. وقيل إِنما سميت قريشاً، من التقريش وهو التفتيش، لأَنهم كانوا يفتشون عن ذي الخَلَّة ويسدّون خلته. ذكره بعض العلماء.

وقيل إِنما سمِّيت قريشاً بقريش ابن بدر بن يَخْلُد بن النَّضْر بن كِنَانة، فكان دليل بني النضر وصاحب مُبرتهم[2]، وكانت العرب تقول: قد جاءت عِيرُ قريش، وخرجت عِير قريش. نقله أَبو عمرو وغيره. وهو ما يعضِّد قولَ ابن إِسحاق.

وقيل إِنما سميت قريشاً لما جمعهم قُصي بن كلاب حين قدِم مكة كما تقدم، والتقرش: التجمع. نقله أَبو عمرو وغيره.

***

إذا عُلِم ذلك: فقريش فرقتان: بطَاح. وظواهر. فقريش البِطَاح: من دخل مكة مع قُصَيّ الأَبطح. والظواهر: من أَقام. بظواهر مكة ولم يدخل الأَبطح ولهذا مزيد بيان في اسمه الأَبطحي ﷺ.

والنسبة إِلى قريش: قُرَشِي وقُرَيْشي والثاني هو القياس.

واختلف القائلون أَن فهراً هو قريش. هل الأَول اسم، والثاني لقب؟ أَو بالعكس. قولان رجَّح الزبير وغيره أَن فِهْراً لقَب وأَن الاسم الذي سمَّته به أُمه: قريش. والله تعالى أَعلم.

وله من الذكور سبعة: غالب، والحارث، وأَسد، وعوف، ورَيْث، وجَوْن ومُحَارِث. ومن الإِناث واحدة وهي جَنْدلة.

ابن مالك

مالك: اسم فاعل من ملك يملك فهو مالك. وجمعه مُلاَّك ومُلَّك.

---

(١) يوسف بن عبد الله الزجاجي الجرجاني أبو القاسم أديب لغوي محدث. نسبته إلى عمل الزجاج وبيعه أخذ عن أبي أحمد الغطريفي وأبي إسحاق البصري وغيرهما وتوفي بأستراباد. من كتبه عمدة الكتاب وعدة ذوي الألباب واشتقاق الأسماء وشرح الفصيح ٢٣٩/٨. توفي ٤١٥هـ.

(٢) في أ: سيرتهم.

ويكنى أَبا الحارث وأُمه عاتِكة. ولقبها عِكْرِشَة بنت عَدْوان بن عمرو بن قيس بن عَيْلان بعين مهملة مفتوحة فمثناة تحتية ساكنة. وقيل: عرابة بنت سعد القَيْسية. وقيل غير ذلك.

ولم يكن له من الولد غير فِهْر.

ومن حِكَمه: رُبَّ صورة تخالف المخْبَرة، قد غرَّت بجمالها، واختُبر قبيح أَفعَالها فاحذر الصُّوَر، واطلب الخُبَر.

ابـن النضـر

النَّضر: بفتح النون وإِسكان الضاد المعجمة ثم راء واسمه قيس، ولقِّب النَّضْر لنضارة وجهه وجماله، منقول من النضر اسم للذهب الأَحمر، ويكنى أَبا يَخْلُد بمثناة تحتية مفتوحة فخاء معجمة فلام مضمومة فدال مهملة.

وله من الذكور: مالك ويَخْلد. وبه كان يكنى، والصَّلْت وأُمّه بَرَّة بنت مُرّ بن أُدّ بن طابخة بن إِلياس بن مضر. قال السهيلي: خلَف عليها كنانةُ بعد أَبيه فولدت له النضرَ بن كنانة وكان ذلك مباحاً في الجاهلية بشرع متقدِّم ولم يكن من المحرَّمات التي انتهكوها ولا من العظائم التي ابتدعوها، لأَنه أَمرٌ كان في عمود النسب. وقد قال ﷺ: «**أنا من نِكَاح لا من سِفَاح**». وكذلك قال تعالى: ﴿**ولا تَنْكحوا ما نكَح آباؤكم من النساء إِلاَّ ما قد سلَف**﴾ أَي ما قد سلف من تحليل ذلك قبل الإِسلام وفائدة الاستثناء أَنه لا يعاب نسب النبي ﷺ، وليُعْلمه أَنه لم يكن في أَجداده من كان لِغِيَّة ولا من سِفَاح، أَلا ترى أَنه لم يقل لشيء نهى عنه في القرآن ﴿**إِلا ما قد سلَف**﴾ نحو قوله﴿**ولا تَقْربوا الزِّنَا**﴾ ولم يقل إِلا ما قد سلف. ولا في شيء من المعاصي التي نهى عنها إِلا في هذه الآية. وفي الجمع بن الأُختين، لأَن الجمع بين الأُختين قد كان مباحاً أَيضاً في شرع مَنْ قَبْلنا، وقد جمع يعقوب ﷺ بين راجيل أَي بالجيم وأُختها ليّا. فبقوله ﴿**إِلا ما قد سلف**﴾التفات في هذه المعنى وتنبيه على هذا المَغْزَى وهذه النكتة تلقَّيتها من شيخنا الإِمام الحافظ أَبي بكر محمد بن العربي رحمه الله تعالى. انتهى. وتبعه على ذلك أَبو الرَّبيع وزاد أَن عادة أَهل الجاهلية إِذا مات الرجل خلَف على زوجته بعده أَكبرُ بنيه من غيرها إِلى آخره.

قال في المورد: ولما وقفت على هذا القول أَقمت مفكراً مدة، لكون بَرَّة المذكورة كانت زوجاً لخزيمة بن مُدْركة. فتزوجها بعده ولده كِنَانة بن خزيمة فجاء له منها النضر ابن كنانة، وأَن هذا وقع في نسب سيدنا رسول الله ﷺ.

وروينا من طريق المدَائِنيّ[١] عن أَبي الحُوَيْرث، عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«ما ولدني من سفاح أَهل الجاهلية شيء ما ولدني إِلا نكاحٌ كنكاح أَهل الإِسلام»** ويقول ابن الكلبي رحمه الله تعالى إِنه كتب لرسول الله ﷺ خمسمائة أُمّ فلم يجد فيها شيئاً مما كان من أَمر الجاهلية.

ثم رأَيت أَبا عثمان عمرو بن بحر الجاحظ[٢] رحمه الله تعالى قد ذكر في كتاب له سمَّاه كتاب «الأصنام» قال فيه: وخلَف كنانة بن خزيمة على زوجة أَبيه بعد وفاته وهي بَرَّة بنت أَدّ بن طابخة بن إِلياس بن مُضَر وهي أُم أَسد بن الهُون بن خُزَيْمة. ولم تلد لكنانة ولداً ذكراً. ولكن كانت بنت أَخيها وهي برة بنت مر بن أد بن طابخة، أُخت لجشم بن مُرّ، عند كنانة بن خزيمة، فولدت له النضر بن كنانة. وإِنما غلط كثير من الناس لـمّا سمعوا أَن كنانة خلَف على زوجة أَبيه، ولاتفاق اسمهما وتقارب نسبهما وقع هذا الذي عليه مشايخنا وأَهل العلم بالنسب. قال: ومعَاذ الله أَن يكون أَصابَ نسبَ سيدنا رسول الله ﷺ مَقْتُ نكاح. قال رسول الله ﷺ: **«ما زلْت أَخرج من نكاح كنكاح الإِسلام حتى خرجت من أَبي وأُمي»** قال: فمن اعتقد غير هذا فقد كفر وشك في هذا الخبر.

ونقل في الزَّهْر كلام الجاحظ وفيه أَن بَرَّة كانت بنت أَد بن طابخة التي خلَف عليها كنانة ماتت ولم تلد له فتزوج بعدها بابنة أَخيها بَرّة، فأَولدها أَولاداً. انتهى. قال في الزهر: وهذا هو الصواب. وقال بعد ذلك في موضع آخر: وإِن خلافه غلط ظاهر، لأَنه مصادِم لقوله ﷺ: **«لم يجمع الله أَبويَّ على سفاح قط»** وهذا سفاح بإِجماع، ولا يَعتقد هذا في نسبه الطاهر أَحدٌ من المسلمين. ثم قال: وهذا الذي يَثْلج به الصدرُ ويذهب به وحَره ويزيل الشكَّ ويطفيء شرَره.

قلت: وما ذكره الجاحظ من النفائس التي يُرحل إِليها. وقد قدمنا في طهارة نسبه ﷺ ما يؤيد ذلك. والسهيلي رحمه الله تعالى تبع في ذلك الزبير، والزبير كأَنه تبع الكلبي، والكَلْبي ذكر ذلك كما نقله عنه البلاذُرِيّ، والكَلْبي متروك، ولو نقلَ ذلك ثقةٌ لم يُقْبَل قولُه

---

(١) علي بن محمد بن عبد الله، أبو الحسن المدائني: راوية مؤرخ، كثير التصانيف، من أهل البصرة. سكن المدائن، ثم انتقل إلى بغداد فلم يزل بها إلى أن توفي. أورد ابن النديم أسماء نيف ومئتي كتاب من مصنفاته في المغازي، والسيرة النبوية، وأخبار النساء، وتاريخ الخلفاء، وتاريخ الوقائع والفتوح، والجاهليين، والشعراء، والبلدان. قال ابن تغري بردي: «وتاريخه أحسن التواريخ وعنه أخذ الناس تواريخهم». بقي من كتبه «المردفات من قريش»، و «التعازي». توفي سنة ٢٢٥هـ. الأعلام ٣٢٣/٤.

(٢) عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ: كبير أئمة الأدب، ورئيس الفرقة الجاحظية من المعتزلة. مولده ووفاته في البصرة. له تصانيف كثيرة، منها «الحيوان» «البيان والتبيين» و «سحر البيان» و «التاج» ويسمى أخلاق الملوك، و «البخلاء» و «المحاسن والأضداد» و «التبصر بالتجارة». انظر الأعلام ٧٤/٥.

في ذلك لبُعد الزمان وعدَم المشاهدة ومخالفة الأَحاديث السابقة في طهارة نسبه ﷺ.

على أَن الزمخشري جزَم بأَن الاستثناء في الآية إنما سيق للمبالغة في التحريم وسدّ الطرق إلى الإباحة لأَن المعنى إن أَمْكنكم أَن تَنْكحوا ما قد سلَف فانكحوه. فإنه لا يحل لكم غيره، من قِبَل أَنه علَّق نقيضَ المدَّعى وهو إثبات الحل بالمحال وهو نكاح ما سلف، فيكون مُحَالاً، وحينئذ فعدَم الحِلِّ متحقق إذ ذاك، لا سيّما وقد أخبر عنه بأَنه كان فاحشة ومَقْتا وساء سبيلا، بخلاف الجمْع بين الأَختين فإنه مع ذكر الاستثناء فيه أَيضاً وقع مقترناً بما يدل على أن ما وقع منه قبلُ كان مغفوراً حيث عقَّب بقوله تعالى: ﴿**إن الله كان غفوراً رحيما**﴾. وهذا كما في قوله:

ولا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ سيُوُفَهُمْ   بِهِنَّ فُلُولٌ مِنْ قِرَاعِ الكْتَائِبِ

فأَكد المدحَ بما يشبه الذم، لأَن المعنى إن كان فلول السيف عيباً فهو عيب، وليست بعيب لأَنها من كمال الشجاعة فإثبات العيب على هذا التقدير تعليق بمحال، كما في قوله تعالى: ﴿**حتى يَلج الجملُ في سَمِّ الخِيَاط**﴾ وعلى هذا جرى الإمام الطيبي[1] رحمه الله تعالى وبسط الكلام عليه، والله تعالى أعلم.

ابن كنانه

كنانة: بكسر الكاف ونونين مفتوحتين بينهما أَلف ثم هاء منقول من الكِنانة التي هي الجَعْبة بفتح الجيم وسكون العين المهملة، سمي بذلك لأَنه كان ستراً على قومه كالكنانة الساترة للسهام. قال الزجاجي من أَمثالهم: «قبل الرِّمَاء تُملأَ الكَنائن». ويكنى أَبا النضر وأَمه عَوانة بنت سعد بن قيس بن عَيْلان بن مضر. ويقال هند بنت عمرو بن قيس بن عَيْلان. وقال أَبو الحسن سلاَّم بن عبد الله بن سلاَّم الإشْبِيلي. قال أَبو عمرو رحمه الله تعالى: قال عامر العَدْواني لابنه في وصيته: يا بني أَدركتُ كنانة بن خزيمة وكان شيخاً مُسِنّاً عظيم القَدْر، وكانت العرب تحجُّ إليه لِعلْمه وفَضْله، فقال: إنه قد آن خروجُ نبيٍّ من مكة يُدْعَى أَحمد، يدعو إلى الله وإلى البِرّ والإحسان ومكارم الأَخلاق، فاتَّبعوه تَزْدادوا شرفاً وعِزّاً إلى عزكم.

قال أَبو الربيع رحمه الله تعالى: إن كنانة رأَى وهو نائم في الحجر فقيل له: تخيَّر يا أَبا

---

(١) الحسين بن محمد بن عبد الله، شرف الدين الطيبي: من علماء الحديث والتفسير والبيان. من أهل توريز، من عراق العجم. كانت له ثروة طائلة من الإرث والتجارة، فأنفقها في وجوه الخير، حتى افتقر في آخر عمره. وكان شديد الردّ على المبتدعة، ملازماً لتعليم الطلبة والإنفاق على ذوي الحاجة منهم، آية في استخراج الدقائق من الكتاب والسنة، متواضعاً، ضعيف البصر. من كتبه «التبيان في المعاني والبيان» و «الخلاصة في معرفة الحديث» و «شرح الكشاف» سماه «فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب». توفي سنة ٧٤٣هـ. انظر الأعلام ٢٥٦/٢.

النضر بين الصَّهيل والهَدْر وعمارة الجُدر وعزّ الدهر. فقال: كلٌّ يا رب. فصار هذا كله في قريش.

وله من الذكور: مِلْكان: بكسر الميم وسكون اللام والنضر. وهو المكنيّ به وعمرو وعامر.

ابن خزيمة

خُزَيْمة: بضم الخاء المعجمة وفتح الزاي منقول من مصغر خَزْمة بفتح الخاء وسكون الزاي وقيل من مصغر خِزْمة بكسر الخاء. فعلى الأول اختلف في الخزمة ما هي. فقيل هي: واحد الخَزم وهو مثل الدَّوْم غير أنه أقصر وأعرض وأَغْبَل وله أَقناء وبُسْر يَسْوَدّ إذا أينع، لأنه صغير معرفص، يتخذ من سعفه الحبال ويصنع من أسافله خلايا للنحل، وله ثمر لا يأْكله الناس ولكن تألفه الغربان وتستطيبه. قاله أبو حنيفة الدِّينوَريّ رحمه الله تعالى. وقيل: الخزمة خوصة المقل. حكاه الزجّاج رحمه الله تعالى. وقيل هي مصدر للمرّة من الخزم. وهو شدّ الشيء وإصلاحه حكاه السهيلي. وقيل إنما هي من الخَزْم وهو من الشك يقال شراك مخزوم ومَشْكوك. حكاه الزجاجي أيضاً.

وعلى الثاني فالخزامة قيل هي بُرَة في أَنف البعير يشد بها الزمام. وقيل إنما هي الحلقة التي تجعل في أَنف البعير من شعر ونحوه، قال في «الغُرَر المُضِيّة» ولم أَر من تعرض لوجه المناسبة للنقل مما ذكر، لكن قد يقال إن الانتقال لا يراعى فيه ذلك. بخلاف الألقاب.

ويكنى أَبا أَسد. وأُمه سلمى بنت أَسلم بن الحاف بن قضاعة، وقيل سلمى بنت أَسد ابن ربيعة.

وله من الذكور أَربعة: كنانة وأَسد المكنى، وأَسدة وهو رجل. وعبد الله، والهُون بضم الهاء.

قال البلاَذُرِيُّ: وأمهم بَرّة بنت مُرّ بن أَدّ بن طابخة أُخت تيم بن مرة وكانت له على الناس مكارم أَخلاق وأَفضال بعدَد الزمان حتى قيل فيه:

أَمَّا خُزَيْمَةُ فَالْمَكَارِمُ جَمَّةٌ ... سَبَقَتْ إِلَيْهِ وَلَيْسَ ثَمَّ عَتِيدُ

وروى ابن حبيب بسند جيد عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: مات خزيمة على ملة إبراهيم عليه الصلاة والسلام.

ابن مدركة

مُدْركة: بضم الميم وإسكان الدال المهملة وكسر الراء وفتح الكاف ثم هاء مبالغة،

منقول من اسم فاعل من الإدراك. واسمه عمرو على الصحيح الذي قال به الكَلْبي والبلاذريّ وأَبو عبيد القاسم بن سَلاَّم وابن دُرَيْد والـمّبرد[١]. حتى بالغ الرضيّ الشاطبي وادَّعى فيه الإجماع.

وقال ابن إسحاق: عامر. وضعِّف.

وكنيته أَبو هذيل ويقال له أَبو خزيمة.

والسبب في تلقيبه بذلك أَن أَباه إِلياس خرج هو وبنوه مُدْركة وعمرو وعامر وعُمَيْر، وأُمهم ليلى بنت حُلْوان بن الحاف في نُجْعَة فنفرت إِبلُهم من أَرنب فخرج إِليها قال ابن السائِب: عمرو. وقال الزبير: عامر فأَدركها. وخرج عامر، وقال الزبير: عمرو: فاصطاد الأَرنب فطبخها فسمى طابِخة، وانقمع عُمَير فسمِّي قَمْعة. وخرجت أُمُّهم لَيْلَى مُتَخنْدفَة، والخَنْدَفَة: مَشْيٌ فيه سُرْعة وتقارُب الخطى. والنون زائِدة. وعن الخليل أَن الخَنْدفة مِشْية كالهَرْولة للنساء خاصة دون الرجال. فقال لها الياس أَين تُخَنْدفين؟ فسميت خِنْدِف.

وقال أَبو محمد عبد الله البَطَلْيُوسيُّ[٢] رحمه الله تعالى: مرَّ عامر بالأَرنب فقتلها فقال له أَخوه عمرو: وأَنا أَطبخ صيدك. فطبخه عمرو وأَدرك عامر الإِبل فردها فحدَّثا بِهَا أَباهما فقال:

أَدركْـتَ يـا عَـامِـرُ مَـا أَرَدْنَـا وأَنْـتَ مَا أَدْرَكْـتَ قَـدْ طَـبَـخْـنَـا

وقال لعُمير: وأنت قد أسأت وانقمعنا

قيل: ومن ذرية قَمعة عمرو بن لُحَيّ بن قمعة بن إِلياس، وهو الذي غيَّر دين إِبراهيم ﷺ كما سيأتي بيان ذلك.

ابن اليأس

الياس بهمزة وصل تفتح في الابتداء وتسقط في غيره، واللام فيه للتعريف وقيل للَمْح الصفة، مشتق من اليأس الذي هو ضد الرجاء وصححه السُّهيلي وقال ابن الأَنباري: بهمزة قطع في الوصل والابتداء.

---

(١) محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي الأزدي، أبو العباس، المعروف بالمبرد: إمام العربية ببغداد في زمنه، وأحد أئمة الأدب والأخبار. مولده بالبصرة ووفاته ببغداد. من كتبه «الكامل» و «المذكر والمؤنث» و «المقتضب» و «التعازي والمراثي» و «شرح لامية العرب ـ ط» مع شرح الزمخشري، و «إعراب القرآن» و «طبقات النحاة البصريين» و «نسب عدنان وقحطان ـ ط» رسالة. و «المقرب». توفي ٢٨٦هـ. الأعلام ١٤٤/٧.

(٢) عبد الله بن محمد بن السيِّد، أبو محمد: من العلماء باللغة والأدب. ولد ونشأ في بطليوس في الأندلس. وانتقل إلى بلنسية فسكنها، وتوفي بها. من كتبه «الاقتضاب في شرح أدب الكتاب، لابن قتيبة» و «المسائل والأجوبة» و «الإنصاف في التنبيه على الأسباب التي أوجبت الاختلاف بين المسلمين في آرائهم» و «الحدائق» في أصول الدين، و «المثلث» في اللغة، كمثلثات قطرب. توفي سنة ٥٢١هـ. الأعلام ٩٥/٧.

واختلف في اشتقاقه فقيل: من قولهم: رجل أَلْيَس وهو الشجاع الذي لا يفر. وقال البَلاذُري: أخبرني الأَثْرم عن أبي عبيدة قال: يقال للسلّ والنحافة: اليأس قال الشاعر:

هُو اليَأسُ أَو دَاءُ الهُيَامِ أَصَابَنِي ... فَإِيَّاك عنِّي لاَ يَكُنْ بك مَا بِيَا

قال: وقد يكون الياس مشتقاً من قولهم: فلان أَلْيَس وهو الشديد المِقْدام الثابت القلب في الحروب. قال العَجَّاج:

أَلْيَسُ يَمْشِي قُدُماً إِذَا ادَّكَرْ ... مَا وَعَدَ الصَّابِرُ مِنْ خَيْرٍ صَبَرْ

وقال: الأَثْرم: حَكى خالد بن كلثوم: الأَسد أَلْيَس. وقال أَلْيَس: بَيِّن اللَّيس. وجمع أَلْيَس أَلياس. وقيل غير ذلك.

والمعروف أَن الياس اسمه وحكى بعضهم أَن اسمه حبيب وكنيته أَبو عمرو.

وأُمّه: قيل من ولد معدّ بن عدنان وعليه فقيل هي الرَّبَاب بنت حَيْدة بن معدّ بن عدنان. ذكره الطبري. وقيل هي الحَنْفَاء بنت إِياد: بن مَعَدّ بن عَدْنان. نقله أَبو الربيع عن الزبير وقيل جُرْهمية. ذكره ابن هشام ولم يسمّها.

قال ابن الزبير: ولما أَدرك الياس أَنكرَ على بني اسماعيل ما غيّروا من سنن آبائهم وسيرهم، وبان فضلُه عليهم وجمعهم رأَيه ورضوا به فردَّهم إِلى سنن آبائهم، ولم تزل العرب تعظمه تعظيمَ أَهل الحكمة، كتعظيمها لقمانَ وأَشباهه.

قال ابن دِحْية رحمه الله تعالى: وهو وَصِيّ أَبيه. وكان ذا جمال بارع.

قال السُّهَيْلي: ويُذْكر عن النبي ﷺ أَنه قال: **«لا تسبُّوا الياس فإِنه كان مؤمناً»** انتهى. وسيأْتي لهذا مزيد بيان في ترجمة مضر. وذكر أَنه كان يُسمع في صلبه تلبية النبي ﷺ بالحجّ. وهو أَول من أَهدى إِلى البيت البُدن. قال ابن الزبير رضي الله تعالى عنهما.

ابن مضر

مُضَر بضم الميم وفتح الضاد المعجمة. وهو غير مصروف للعلمية والعدل عن ماضر. لقب بذلك لأَنه كان يضير قلبَ من رآه لحسنه وجماله. وقال القُتَبي: مشتق من المضِيرة، أَو من اللبن الماضر. والمضِيرة شيء يصنع من اللبن. فسمي مضراً لبياضه.

واسمه عمرو. وكنيته أَبو الياس. وأُمّه سَوْدة بنت عَكّ بن عدنان. وكان يقال له مضر الحمراء، قيل: لأَن العرب تسمي الأَبيض الأَحمر. قاله السُّهَيْلي. والذي ذكره ابن جَرِير والماوردي والزبير والبَلاذُري عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أَن نِزَاراً أَباه لما حضرتْه الوفاة أَوصى بنيه وهم: مضر وربيعة وإِياد وأَنمار فقال: هذه القبة - لقبة حمراء من أَدَم - وما

أَشبهها من المال لمضر. وهذا الخِبَاءُ الأَسود وما أَشبهه لربيعة. وهذه الخادم وكانت شمطاء وما أَشبهها لإِياد. وهذه البَدْرة والمجلس لأَنمار يجلس فيه وقال البَلاذُري رحمه الله تعالى إِنه أَوصى له بحمار وفي ذلك قال الشاعر:

نِـزَارٌ كَـان أَعْـلَـم إِذ تـولـى … لأَيٍّ بَـنِـيـهِ أَوْصَـى بـالـحِـمـارِ

وقال لهم: إِذا أَشْكَل عليكم الأَمر في ذلك واختلفتم في القسمة فعليكم بالأَفْعَى الجُرْهمي، وكان بنجران.

فلما مات نِزَار اختلفوا وأَشكل عليهم أَمرُ القسمة فتوجهوا إِلى الأَفعى، فبينما هم في مسيرهم إِليه إِذ رأَى مُضَرُ كَلأً قد رُعِيَ فقال: إِنَّ البعير الذي رعَى هذا لأَعورَ. فقال ربيعة: وهو أَزْوَر. وقال إِياد: وهو أَبْتَر. وقال أَنمار وهو شرُود. فلم يسيروا إِلا قليلا حتى لقيهم رجل تُوضِع به راحلته فسأَلهم عن البعير فقال مضر: أَهو أَعور؟ قال: نعم. قال ربيعة: أَهو أَزْور؟ قال: نعم. قال إِياد: أَهو أَبتر؟ قال: نعم. قال أَنمار: أَهو شَرُود؟ قال: نعم هذه والله صفة بعيري دُلّوني عليه فحلفوا له أَنهم ما رأَوه. فلزمهم وقال كيف أَفارقكم وأَنتم تَصِفون بعيري بصفته؟ فساروا وسار معهم حتى قدِموا نجران فنزلوا بالأَفعى الجُرْهمي، فحاكمهم صاحبُ الجمل إِلى الأَفعى وقال: بعيري وصَفُوا لي صفته ثم قالوا لم نره.

فقال لهم الأَفعى: كيف وصفتموه ولم تروه؟ فقال له مضر: رأَيته يرعَى جانباً ويترك جانباً فعرفت أَنه أَعور. وقال ربيعة: رأَيت إِحدى يديه ثابتةً والأُخرى فاسدة الأَثر فعلمت أَنه أَفْسدها بشدة وطئه وطلبه لازوراره وقال إِياد: عرفتُ بَتَره باجتماع بَعْره ولو كان ذيَّالاً لمصَعَ به. وقال أَنمار: عرفت أَنه شرُود بأَنه كان يرعى في المكان الملتفّ نَبْته ثم يَجُوزه إِلى مكان أَرقّ منه وأَخْبَث. وحلفوا أَنهم ما رأَوه. فقال الأَفعى: ليسوا بأَصحاب بعيرك فاطلبه.

ثم سأَلهم من أَنتم؟ فأَخبروه فرحَّب وقال: تحتاجون إِليَّ وأَنتم في جَزالتِكم وصحة عقولكم وآرائكم على ما أَرى؟!.

ثم خرج عنهم وأَرسل إِليهم بطعام فأَكلوا وبشراب فشربوا فقال مضر: لم أَر خمراً أَجود منها لولا أَنها نبتت على قبر. وقال ربيعة: لم أَر كاليوم لحماً أَطيب لولا أَنه ربي بلبن كلب وقال إِياد: لم أَر كاليوم رجلاً أَسْرَى لولا أَنه ليس لأَبيه الذي يُدعى له. وقال أَنمار: لم أَر كاليوم كلاماً أَنفع في حاجتنا. وسمع الأَفعى كلامهم فقال: ما هؤلاء الشياطين، ثم أَتى أُمّه فسأَلها فأَخبرته أَنها كانت تحت ملك لا يولد له فكرهتُ أَن يذهب الملك فأَمكنت رجلاً نزل بنا فجئت أَنت منه. وقال للقهرماني: الخمر الذي شربنا ما أَمرها؟ قال: من حبَلة غرستُها على قبر أَبيك. وسأَل الراعي عن اللحم فقال: شاة أَرضعناها من لبن كلبة ولم يكن في الغنم غيرها.

فقيل لمضر: من أَين عرفت الخمر. فقال: لأَني أَصابني عطش شديد. وقيل لربيعة من أَين علمت اللحم؟ قال لأن لحم الكلب يعلو شَحْمه بخلاف لحم الشاة فإن شحمها يعلو لحمها. وقيل لإِياد: من أَين علمت أَن نَسَبي لغير أَبي؟ قال: لأَنه وضِع الطعام ولم تجلس معنا فيكون أَصلك دنيئاً.

فقال: قصُّوا عليّ قصتكم. فقصوا عليه ما أَوصى به أَبوهم وما كان من الاختلاف بينهم. ما أَشبه القبة الحمراء من مال فهو لمضر. فصارت إِليه الدنانير والإِبل، فسمي مُضَر الحَمْراء. قال: وما أَشبه الخِبَاء الأَسود من دابة ومال فهو لربيعة فصارت إِليه الخيل وهي دهم. فسمي ربيعة الفَرس. قال: وما أَشبه الخادم وكانت شمطاء من مال فيه بلق فهو لإِياد فصارت الماشية البُلْق له فقيل إِياد الشمطاء. وقضي لأَنمار بالدراهم والأَرض فساروا من عنده وهم على ذلك.

قال محمد بن السائب فيما رواه البَلاَذُريّ عنه: ومُضَر أَول من حدا للإِبل وكان سبب ذلك أَنه سقط من بعيره وهو شاب فانكسرت يده فقال: يا يداه يا يداه فأَتتْ إِليه الإِبل من المرعى فلما صح وركب حدَا، وكان من أَحسن الناس صوتاً. قال البلاذري: وقيل بل كسرت يد مولى له فصاح فاجتمعت عليه الإِبل فوضع الحُداء وزاد الناس فيه قال السهيلي وفي الحديث: **«لا تسبُّوا ربيعة ومضر فإنهما كانا مؤمنَيْن»**[1].

وروى ابن حبيب بسند جيد عن سعيد بن المسيَّب مرسَلا أَن رسول الله ﷺ قال: **«لا تسبُّوا مضر فإنه كان على ملة إبراهيم»**[2] ورواه الزبير والبلاَذُري بسند جيد عن الحسن مرسلا مثله. ورواه البلاذري عن عبيد الله بن خالد مرسلا نحوه.

وروى ابن حبيب بسند جيد عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: مات أَدَد والد عدنان، وعدنان، ومعدّ، وربيعة، ومضر، وقيس عَيْلان وتيم وأَسد وضبة وخزيمة على الإِسلام على ملة إبراهيم ﷺ.

ومما يؤثر من حِكَم مضر: من يزرع شراً يحصد ندامة، وخير الخير أَعجَله، فاحملوا أَنفسكم على مكروهها فيما يصلحكم، واصرفوها عن هواها فيما أَفسدها، فليس بين الصلاح والفساد إِلاَّ صَبْر فَواق.

الفَواق: قال في الصِّحاح ما بين الحَلْبَتين من الوقت، لأَنها تحلب ثم تترك سُوَيْعة يرضعها الفصيل لتَدِرّ ثم تُحلب.

---

(١) انظر فتح الباري ١٤٦/٧.

(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات بنحوه ٣٠/١/١، وذكره المتقي الهندي في الكنز (٣٣٩٨٧).

وله من الولد الياس بالمثناة التحتية، والناس بالنون. قال الوزير المغربي: بتشديد السين المهملة، وهو عيْلان بعين مهملة فمثناة تحتية. قال البلاذري: حضنه غلام لمضر يقال له عَيْلان فسمي به، فقيل لابنه قيس بن عيلان بن مُضَر وهو قيس بن الناسّ وأُمّهما الرَّبَاب.

وقال الجوّاني: قولهم قيس المراد به من ولد قيس بن عيلان بن مضر قال: ومن العلماء من يقول إن عيلان كان حاضناً لقيس وليس بإبن. فتقول قيس عَيْلان بن مُضَر فتضيفه إليه كما قيل في قضاعة سعد هُذَيْم. وهذيم حاضنه. والأول أَصح وهذه روايتنا عن شيوخنا.

ابـن نـزار

نِزَار بكسر النون وتخفيف الزاي. قال أَبو الفرج الأمويّ: مأْخوذ من التَّنزُّر لأَنه كان فريد عصره. وقال السُّهيلي: من النَّزْر وهو القليل، لأَن أَباه حين ولد له ونظر إلى النور بين عينيه وهو نور النبوة الذي كان ينقل في الأَصلاب، فرح به فرحاً شديداً ونَحَرَ وأَطعم شيئاً كثيراً وقال: هذا نَزْر قليل في حق هذا المولود. فسمي نِزَاراً لذلك.

وقال الإمام أَبو الحسن الماورديّ رحمه الله تعالى في كتاب «أَعْلام النبوة» له: إن نزاراً كان اسمه خلدان وكان مقدَّماً وانبسطت له اليَدُ عند الملوك، وكان مهزول البدن. فقال له ملك الفُرس: مالك يا نزار؟ قال وتفسيره في لغة الفرس: يا مهزول. فغلب عليه هذا الاسم. قال العلامة المحب ابن شهاب الدين بن الهائِم: وهو غريب جداً.

وكنيته أَبو إِيَاد. وقيل أَبو ربيعة. وأُمّه معانة بعين مهملة فنون بنت جَوْشم بجيم وزن جعفر. وقيل اسمها عَنَّة بفتح العين المهملة وتشديد النون بنت جَوْشَن بنون بدل الميم. وقيل في اسمها غير ذلك واتفقوا على أَنها جُرْهمية.

ابـن معـد

معَدّ: بفتح الميم والعين وتشديد الدال المهملتين، وفيما هو منقول منه أَقوال: **أَحدها** أَن يكون مَفْعلاً بفتح العين من قولك عددت الشيء أَعده عدّاً. حكاه ابن الأَنباري والزجاجي عن قطرب[١].

الثانـي: أَن يكون فَعَلاً بفتح العين من قول العرب معَد الرجلُ في الأَرض إذا ذهب. فيما حكاه الزجاجي في مختصر الزاهر وحكاه أَيضاً السهيلي، إلا أَنه فسر قولهم معَدَ في الأَرض

---

(١) محمد بن المستنير بن أحمد، أبو علي، الشهير بقطرب: نحوي، عالم بالأدب واللغة، من أهل البصرة. من الموالي. كان يرى رأي المعتزلة النظامية. وهو أول من وضع «المثلث» في اللغة. وقطرب لقب دعاه به أستاذه «سيبويه» فلزمه. وكان يؤدب أولاد أبي دلف العجلي. من كتبه «معاني القرآن» و «النوادر» و «الأزمنة» وغير ذلك توفي سنة ٢٠٦هـ. الأعلام ٩٥/٧.

بأَفسَد فيها. قال السهيلي: وإِن كان ليس من الأَسماء غير الأَعلام ما هو على وزن فعل إِلا مع التضعيف فإِن التضعيف يُدخل في الأَسماء ما ليس منها. كما قالوا: شمَّر وقشعريرة ونحو ذلك.

الثالث: أَن يكون من المعْد وهو موضع رِجْل الفارس من الفَرس وموضع رجل الراكب من المركوب. حكاه الزجاجي في مختصر الزاهر. وحكى السهيلي نحوه عن ابن الأَنباري، إِلا أَنه قال من المعدَيْن وهما موضع عقِبَي الفارس من الفرس. قال السهيلي: وأَصله على القولين الأَخيرين من المعْد بسكون العين وهي القوّة. ومنه اشتقاق المعِدة. وذكر الزجاجي نحوه فقال: ويجوز أَن يكون من قول العرب: قد تَمَعْدد الرجلُ إِذا قوي واشتد وقال أَبو الفتح بن جِنّي في شرح تصريف أَبي عثمان المازني: ويقال تَمَعْدَد الغلامُ إِذا صلب واشتد. وقد يكون تمعدد بمعنى خطب وتعبَّد وتكلم. وأَنشد قول الراجز:

رَبَّـيْـتُـهُ حَـتَّـى إِذَا تَـمَـعْـدَدَا وَصَارَ نَـهْداً كَـالْـحِـصَانِ أَجـرَدَا

وكان جَزائي بالعصَا أَن أُجْلدَا[1].

قال: وقال عمر رضي الله تعالى عنه: «اخشوشنوا وتمَعْدَدوا» أَي كونوا على خلق معد.

وكنيته أَبو قضاعة. وقيل أَبو نزار. وأُمه مَهْدد بنت اللِّهْم بكسر اللام وسكون الهاء ويقال بالحاء بدل الهاء بن جَحب بجيم مفتوحة فحاء مهملة ابن جديس. وقال بعضهم هي من طَسَم.

قال البلاذري والأَول أَثبت.

جَدِيس بالجيم والدال المهملة كأَمير طسَم بالطاء والسين المهملتين كغَلَس، قبيلة من عادٍ انقرضوا.

ولما كان زمان بُخْتُ نَصَّر كان لمعَدّ بن عدنان ثنتا عشرة سنة. قال أَبو جعفر الطبري رحمه الله تعالى: أَوحى الله تعالى في ذلك الزمان إِلى أَرميا بن خَلِيقا أَن اذهب إِلى بخت نصر فأَعلمْه أَني قد سلَّطْته على العرب واحمل مَعَدًّا على البراق كيلا تصيبه النقمة منهم، فإِني مستخرج من صُلبه نبياً كريماً أَختم به الرسل. فاحتمل معدّا على البراق إِلى أَرض الشام فنشأَ في بني إِسرائيل وتزوج هناك امرأَة يقال لها مُعانة بنت جوشن. وقيل إِنما حمل معد إِلى أَرض العراق.

وقال الماوردي في كتابه أَعلام النبوة: إِن بخت نصر أَراد قتل معدّ حين غزا بلادَ العرب

(١) في أ: وكان جزائي بالغضا أن يعتوي.

فأَنذره نبيٌّ من أَنبياء الله تعالى كان في وقته بأَن النبوة في ولده. فاستبقاه وأَكرمه.

وروى أَبو الربيع غير ذلك من حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وهو أَنه لما غزا بخت نصر العرب بعث الله تعالى ملكين فاحتملا معداً، فلما أَدبر الأَمر ردَّاه فرجع موضعه من تهامة بعد ما رفع الله تعالى بأْسَه عن العرب فكان بمكة وناحيتها مع أَخواله من جُرْهم وبها يومئذ بقية هم ولاة البيت يومئذ. فاختلط بهم يومئذ وناكحهم. وقيل إِنما المحمول عدنان قال أَبو الربيع. والصحيح الأَول.

واختلف في ولد مَعَدّ. فقال عبد الملك بن حبيب: إِنهم سبعة عشر رجلاً درَج منهم بلا عقِب تسعة وأَعقب ثمانية. فالذين أَعقبوا: قُضاعة بضم القاف وهو بِكْر والده واسمه عمرو ولقب قضاعة لـمّا تقضّع عن قومه أَي بَعُد. ونزار، وإِياد الأَكبر وحَيْدان، بفتح الحاء المهملة وسكون المثناة التحتية وعبيد وهو الرمّاح. وجُنَيْد بجيم مضمومة فتاء مثناة فوقية فتحتية ساكنة فدال مهملة. وسليم وقنص وكلهم انتقلوا إِلى اليمن إِلا نزاراً. وقيل في عددهم غير ذلك.

وروى الطبراني عن أَبي أمامة الباهلي رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«لـما بلغ ولد معدّ بن عدنان أَربعين رجلاً وقعوا في عسكر موسى فانتهبوه، فدعا عليهم موسى عليه الصلاة والسلام فأَوحى الله تعالى إِليه لا تَدعُ عليهم فإِن منهم النبيَّ الأُميَّ النذير البشير، ومنهم الأُمة المرحمة أُمة محمد يرضون من الله باليسير من الرزق ويرضى منهم بالقليل من العمل فيدخلهم الجنة بقول لا إِله إِلا الله، نبيهم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب المتواضع في هَيْبته المجتمع له اللّين في سكوته، ينطق بالحكمة ويستعمل الحلم، أَخرجتُه من خير جِيل من أُمة قريش، ثم أَخرجته من صفوة قريش فهو خيرٌ من خير إِلى خير هو وأُمته إِلى خير يصيرون»**[1].

وروى الزُّبَيْر بن بَكَّار عن مكحول رحمه الله تعالى قال: أَغار الضَّحَّاك بن مَعَدّ على بني إِسرائيل في أَربعين رجلاً من بني مَعَدّ عليهم درَارِيع الصُّوف خاطمي خيلهم بحبال الليف، فقتلوا وسبَوْا وظفروا. فقالت بنو إِسرائيل: يا موسى إِن بني مَعَدّ أَغاروا علينا وهم قليل فكيف لو كانوا كثيراً وأَغاروا علينا وأَنت بيننا فادع الله عليهم فتوضأ موسى وصلى، وكان إِذا أَراد حاجة من الله صلى ثم قال: يا رب إِن بني مَعَدّ أَغاروا على بني إِسرائيل فقتلوا وسبَوْا وظفروا وسأَلوني أَن أَدعوك عليهم فقال الله: يا موسى لا تَدْعُ عليهم فإِنهم عِبَادي وإِنهم ينتهون عند أَول أَمري، وإِن فيهم نبياً أُحبه وأُحب أُمَّته قال: يا رب ما بلغَ من محبتك له؟ قال: أَغفر له ما تقدم من ذنبه

---

(١) ذكره الهيثمي في المجمع ٢٢١/٨ وعزاه للطبراني وقال: وفيه الحسن بن فرقد وهو ضعيف.

وما تأَخر. قال: يا رب ما بلغ من محبتك لأُمته قال: يستغفرني مستغفرهم فأَغفر له ويدعوني داعيهم فأَستجيب له قال: يا رب فاجعلني منهم قال: تقدْمت واستأخروا.

فائدة: قال النحويون الأَغلب على مَعَدّ وقريش وثَقيف التذكير والصرف.

ابـن عـدنان

بفتح العين وإِسكان الدال المهملتين ثم نونين بينهما أَلف: مأَخوذ من عدَن بالمكان إِذا أَقام به. حكاه ابن الأَنْبارِيّ والزجاجي وغيرهما.

وكنيته أَبو معَدّ قال البَلاذُرِيّ ويقال إِن أَول من كسا الكعبة عدنان، كساها أَنطاع الأَدَم.

وله من الولد معَدّ والدِّيث بدال مهملة مكسورة فمثناة تحتية ساكنة فمثلثة. وأَبي وأَلعَيّ بهمزة وعين مهملة مفتوحتين وسكون المثناة التحتية وبعضهم يقول بكسر العين وتشديد الياء والثبت الأَول. وعُدَيّ بضم العين وفتح الدال المهملة مصغراً، كذا وجدته في نسخة صحيحة مقروءة مقابَلة على عدة نسخ من تاريخ البلاذُري.

وذكر السُّهيلي عدن بن عدنان وقال: وإِليه تُنسب عَدن ونازَعه في الزهر في ذلك، وقال إِنها منسوبة إِلى غيره فالله تعالى أَعلم.

والحارث والمذْهب ولذلك يقال في المثل: أَجْمل من المذهب.

وذكر ابن إِسحاق رحمه الله تعالى من ولد عدنان عَكّاً ونوزع في ذلك بأَمرين: أَحدهما أَن عدنان والد عَكّ بفتح العين وهو ابن عبد الله بن الأَزْد. وقال ابن المعلَّى في كتاب الترقيص: وعلى ذلك علماء عكّ والثاني على تقدير تسليم ما ذكره ابن إِسحاق: ليس عكّ ابناً لصُلْب عَدْنان إِنما هو على ما ذكره الكلبي والبَلاَذُرِيّ في آخرين: عك واسمه الحارث بن الدِّيث بن عَدْنان.

تنبيه: قد قدَّمنا أَن ما سبق هو النسب الصحيح المجمَع عليه في نسب سيدنا رسول الله ﷺ، وأَن ما بين عدنان إِلى إِسماعيل فيه اضطراب شديد واختلاف متفاوت حتى أَعرضَ الأَكثر عن سِيَاق النسب بين عدنان وإِسماعيل. ولكن لا خلاف أَن عدنان من ذرية إِسماعيل. وإِنما الخلاف في عدد ما بينهما. وقد اختلف النسَّابون في ذلك، فذهب جماعة إِلى أَنه لا يُعرف. ومما استدلوا به ما رواه ابن سعد أَن النبي ﷺ كان إِذا انتسب لم يجاوز في نَسَبه مَعدَّ بن عدنان بن أَدَد، ثم يُمسك ثم يقول: كذبَ النسَّابون وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: لو شاء رسول الله ﷺ أَن يَعْلمه لَعلمه.

وأَجيب بأَن هشاماً وأَباه متروكان. وقال السُّهيلي: الأَصح في هذا الحديث أَنه من قول ابن مسعود.

والقائلون: بأَنه معروف اختلفوا فقيل: بين عدنان وإِسماعيل أَربعة وقيل: سبعة وقيل: ثمانية. وقيل: تسعة. وقيل: عشرة. وقيل: خمسة عشر. وقيل: عشرون. وقيل: ثلاثون: وقيل: ثمانية وثلاثون. وقيل: تسعة وثلاثون. وقيل: أَربعون. وقيل: أَحد وأَربعون. وقيل: غير ذلك وبسَط الكلام على ذلك ابن جرير وابن حِبّان وابن مسعود في تواريخهم وغيرهم ولا حاجة بنا إِلى ذلك.

وقال الحافظ رحمه الله تعالى: الذي ترجَّح في نظري أَن الاعتماد على ما قال ابن إِسحاق أَولى.

قلت: وصححه أَبو الفضل العِرَاقي في أَلْفِيّة السيرة.

قال الحافظ: وأَوْلى منه ما رواه الطبراني والحاكم عن أُم سلمة رضي الله تعالى عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: معَدّ بن عدنان بن أَدد بن زَنْد بن اليرى بن أَعْراق الثّرَى. قالت: ثم قرأَ رسول الله ﷺ ﴿وأَنه أَهلَك عاداً [الأُولى] وثمودَ﴾ ﴿وقُروناً بَيْنَ ذلك كثيراً﴾ لا يعلمهم إِلا الله تعالى. قالت: وأَعراق الثَّرى: إِسماعيل. وزند: هَمَيْسع. ويرى: نَبْت.

قلت: وصححه الحاكم وأَقره الذهبي. وقال الحافظ نور الدين الهَيْثمي في مجمع الزوائد (انتهى) رواه الطبراني في الصغير وفيه عبد العزيز بن عمران[1] من ذرية عبد الرحمن ابن عوف[2] وقد ضعّفه البخاري وجماعة، وذكره ابن حبّان في الثقات انتهى.

وزند والد أدد بزاي معجمة فنون فدال مهملة قال الدارقطني رحمه الله تعالى: لا نعلم زنداً إِلا في هذا الحديث وزند بن الجون وهو أَبو دُلاَمة[3] الشاعر. واليَرى بمثناة تحتية فراء

---

(١) عبد العزيز بن عمران الزهري المدني، وهو عبد العزيز بن أبي ثابت. عن جعفر بن محمد، وأفلح بن سعيد. وعنه إبراهيم بن المنذر، وأبو حُذَافة السَّهْمي.
قال البخاري: لا يكتب حديثه. وقال النسائي وغيره: متروك. وقال عثمان بن سعيد: قلت ليحيى: فابنُ أبي ثابت عبد العزيز بن عمران ما حاله؟ قال: ليس بثقة، إنما كان صاحب شعر؛ وهو مِنْ وَلد عبد الرحمن بن عوف. انظر ميزان الاعتدال ٢/٦٣٢، ٦٣٣.

(٢) عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن الحارث بن زهرة بن كلاب بن مرة الزهري أبو محمد المدني شهد بدراً والمشاهد له خمس وستون حديثاً. وهو أحد العشرة وهاجر الهجرتين قال خليفة: مات سنة اثنتين وثلاثين، وقيل: سنة ثلاث ودفن بالبقيع. وزاد بعضهم وهو ابن خمس وسبعين سنة. الخلاصة ٢/١٤٧، وسيأتي في المناقب.

(٣) زند بن الجون الأسدي، بالولاء، أبو دلامة: شاعر مطبوع، من أهل الظرف والدعابة، أسود اللون، جسيم وسيم. كان أبوه عبداً لرجل من بني أسد وأعتقه. نشأ في الكوفة واتصل بالخلفاء من بني العباس، فكانوا يستلطفونه ويغدقون عليه صِلاتهم، وله في بعضهم مدائح. وكان يتهم بالزندقة لتهتكه، وأخباره كثيرة متفرقة. توفي سنة ١٦١هـ انظر الأعلام ٣/٤٩، ٥٠.

خفيفة مفتوحتين قال الحافظ في التبصير: واليرى: شجر طيّب الرائحة. انتهى. والثَّرى: بمثلثة فراء لقب إسماعيل لقب بذلك لأنه ابن إبراهيم، وإبراهيم لم تأكله النار، كما أن النار لا تأكل الثرى والله تعالى أعلم.

قال الحافظ رحمه الله تعالى: فعلى هذا يكون معَدّ بن عدنان كما قال بعضهم: كان في عهد موسى لا في عهد عيسى ﷺ، وهذا أَوْلى، لأَن عدد الآباء بين نبينا وبين عدنان نحو العشرين فيبعد كل البعد مع كون المدة التي بين نبينا وبين عيسى كانت ستمائة سنة مع ما عُرف من طول أَعمارهم أَن يكون معد في زمن عيسى. وإنما رجَّح من رجح كون بين عدنان وإسماعيل العدد الكثير استبعادهم أن يكون بين معد وهو في عصر عيسى بن مريم وبين إسماعيل أَربعة آباء أَو خمسة مع طول المدة، وما فرُّوا منه وقعوا في نظيره كما أَشرت إليه.

والأَقرب: ما حرَّرْته وهو إِن ثبت أَن معَدّ بن عدنان كان في زمن عيسى فالمعتمد أَن يكون بينه وبين إسماعيل العدد الكثير من الآباء، وإِن كان في زمن موسى فالمعتمد أَن ما بينهما العدد القليل. انتهى كلام الحافظ رحمه الله تعالى.

وقد تقدم في ترجمة معَدّ أَن أَولاده أَغاروا على عسكر موسى عليه الصلاة والسلام.

قال السهيلي: وحديث أُم سلمة أَصح شيء روي في هذا الباب. ثم قال: وليس هو عندي بمعارِض لما تقدم من قوله: «**كذَب النسَّابون**» ولا لقول عمر، لأَنه حديث متأَوّل يحتمل أَن يكون قوله ابن اليرى بن أَعراق الثرى كما قال: «**كلكم بنو آدم وآدم من تُراب**» لا يريد أَن الهمَيْسع ومن دونه ابن لإِسماعيل لصلبه، ولا بد من هذا التأْويل أَو غيره، لأَن أَصحاب الأَخبار لا يختلفون في بُعْد المدة بين عدنان وإِبراهيم، ويستحيل في العادة أَن يكون بينهما أَربعة آباء أَو سبعة كما ذكر ابن إِسحاق، أَو عشرة أَو عشرون، فإِن المدة أَطول من ذلك كله. وذلك أَن معَدّ بن عدنان كان في مدة بُخْتُ نَصَّر ابن اثنتي عشرة سنة. قال الطبري.

قلت: وإِذا تأَملت الكلام السابق للحافظ تبيَّن لك الجواب عن السُّهيلي.

قال الجوَّاني رحمه الله تعالى: وسبب الخلاف في النسب أَنه قد جاء أَن العرب لم يكونوا أَصحاب كتب يرجعون إِليها، وإِنما كانوا يرجعون إِلى حفظ بعضهم من بعض، فمن ذلك حدث الاختلاف. انتهى.

وإِذا علم ما تقررَّ فهذه فوائد تتعلق بالأَسماء الآتية: **الأُولى**: قال ابن دُرَيد: ما بَعْد عدنان أَسماء سُرْيانية لا يوضِّحها الاشتقاق.

الثانية: قال الحافظ محمد بن علي التوزري الشهير بابن المصري رحمه الله تعالى في شرحه على القصيدة الشقراطيسية وهو في ست مجلدات كِبار في وَقْف خِزانة المَحْمودِيّة: ما

كان من هذه الأَسماء العجمية على أَربعة أَحرف فصاعداً فلا خلاف أَن منعه من الصرف للعُجْمة والتعريف. وما كان منها على ثلاثة أَحرف فإمّا أَن يكون متحرك الوسَط فحكمه حكم الأَول، وإما أَن يكون ساكن الوسط كنوح ويرْد فحكمه الصرف على المشهور.

الثالثة: قال الحافظ في الفتح بعد أَن ساق نسَب سيدنا إبراهيم إلى نوح صلى الله عليهما وسلم كما سيأْتي: لا يختلف جمهور أَهل النسب ولا أَهل الكتاب في ذلك إلا في النطق ببعض هذه الأَسماء. نعم ساق ابن حبان في أَول تاريخه خلاف ذلك وهو شاذ انتهى. وقال ابن دُرَيْد: في كتاب الاشتقاق: وأَما نسب إبراهيم إلى آدم عليهما الصلاة والسلام فصحيح لا خلاف فيه لأَنه منزَّل في التوراة مذكور فيها نَسَبهم ومَبْلغ أَعمارهم.

وقال الجوَّاني في المقدمة: النَّسَب فيما بين آدم وإسماعيل عليهما الصلاة والسلام صحيح لا خلاف فيه بينهم ولا خلاف إلا في أَسماء الآباء لأَجل نقل الأَلسنة.

الرابعة: اختلف العلماء في كراهة رفع النسب إلى آدم ﷺ: فذهب ابن إسحاق وابن جرير وغيرهما إلى جوازه، وأَما الإمام مالك رضي الله تعالى عنه فسئل عن الرجل يرفع نسبه إلى آدم فكره ذلك، فقيل له: فإلى إسماعيل؟ فأَنكر ذلك أَيضاً. وقال: من يخبره به! وكره أَيضاً أَن يرفع في نسب الأَنبياء: مثل أَن يقول إبراهيم بن فلان بن فلان. قال: ومن يخبره به؟ لنقله في الروض عن كتاب عبد الله بن محمد بن حسين المنسوب إلى المعَيْطي.

ابـــن أد

أُدّ بضم الهمزة وتشديد الدال المهملة قال أَبو عُمر: كل الطرق تقول: عدنان بن أدد إلا طائفة فقالوا: عدنان بن أُدّ بن أدد. قال في «الغُرَر» والظاهر أَنه من مادة أَدد.

وأُمُّه النعجاء بنت عمرو بنت تُبّع سعد ذي قائش الحِمْيَري.

ابـــن أدد

أُدَدَ بهمزة مضمومة ثم دالين مهملتين الأُولى مفتوحة. وفي مادته وجوه: **أَحدها. فُعَل** من الودّ قلبت واوه همزة لانضمامها أَولا كما قيل في وجوه ووقت. ذكره جماعة. قال ابن السرَّاج: وليس مَعْد ولا كَعُمَر. قال السُّهيلي: وهو ظاهر قول سيبويه.

الثاني: أَن يكون من الأَدّ وهو من الأَمر العظيم والداهية من قوله تعالى: ﴿**لقد جِئْتم شيْئاً إِدّاً**﴾.

الثالث: أَن يكون من قولهم: أَدَدْت الثوب إذا مدَدْته.

الرابع: أَن يكون من قولهم أَدّت الإبلُ: إذا خرجتْ. ذكره ابن الأَنباري في الزهر والزجاجي في مختصره.

وعلى الوجه الثاني يجوز أَن يكون من الأَدّ بالفتح وقد قرئ به في الآية شاذاً وفسره أَبو عمرو بن العلاء رحمه الله تعالى بالعظيم.

وأُمه حَيّة بحاء مهملة فمثناة تحتية القحطانية قال الحافظ في التبصير: كل من جاء على هذه الصورة من النساء فهو بالياء المثناة من تحت إلا أُخت يحي بن أَكْثَم فإنها بالخاء المعجمة والنون، وإلا أُم مريم ابنة عمران وإنها بالمهملة والنون.

ابن اليسع

اليسع باسم النبي المرسَل. وقد قالوا فيه إنه بهمزة وصل تفتح في الابتداء ولام ساكنة ومثناة تحتية مفتوحة. ويقال اللَّيْسع بلام مشددة مفتوحة وياء ساكنة. وبذلك قرأَ حمزة والكسائي وخلَف في سورة الأَنعام وص. وبالأَول قرأَ الجمهور وقال في المطالع: وهو اسم عجمي ممنوع من الصرف وقيل عربي وقيل له اليسع لسعة علمه أَو لسَعْيه في الحق.

ابن الهميسع

الهمَيْسع: قال الجوهري: الهمَيْسع بالفتح: الرجل القوي. قال الجوّاني: بفتح الهاء على وزن السَّمَيْدع قال: وأَكثر الناس يروونه بضم الهاء. والصواب الفتح. قال السهيلي، وتفسيره الضِّراع. وأُمه حارثة بنت مرداس بن زُرعة ذي رُعَيْن الحِمْيري.

ابن سلامان

سلامان: لم أَقف له على ترجمة.

ابن نبت

نَبْت بفتح النون ويقال نابت. قاله الأَمير أَبو نصر بن ماكُولاً رحمه الله تعالى في باب نابت بن إسماعيل بن إبراهيم. قال: ويقال بل هو نابت بن سلامان بن حمل ابن قيذار بن إسماعيل بن إبراهيم. وهذا القول الأَخير خلاف ما ذكره الجوّاني في النسب فإنه قال: عدنان بن أُدّ بن أدد بن اليسع بن الهميسع بن سلامان بن نبت فقدم سلامان على نبت. وكذا نقله ابن الجوزي في التلقيح.

وأُمه هامة بنت زيد بن كهلان بن سبأ بن يَشْجب بن يَعْرب بن قحطان.

ابن حمل

حَمَل بفتح المهملة والميم آخره لام. وأُمه العاضرية بنت مالك الجرهمي.

ابن قيذار

قيذار بالذال المعجمة ويقال قيذر بفتح الذال وضمها قال السهيلي: وتفسيره صاحب

الإبل وذلك أنه كان صاحب إبل إسماعيل. وقال في موضع آخر: وذكر من وجه قوي عن نُسّاب العرب أَن نسب عدنان يرجع إلى قيذار بن إسماعيل وأن قيذار كان الملِك في زمانه ومعنى قيذار الملك إذا قَهر.

وقال الجوّاني: افترق ولد إسماعيل في أَقطار الأَرض فدخلوا في قبائل العرب. ودرج بعضهم فلم يُثْبت النسّابون لهم نسباً إلا ما كان من ولد قيذار، ونشر الله تعالى ذرية إسماعيل الذين تكلّموا بلسانه من ولد قيذار ابنه أَبي العرب.

وأُمه: قال الجوّاني: هالة بنت الحارث بنت مِضَاض الجُرْهمي. وقيل غير ذلك.

ابـن مقـوم

مُقَوَّم بضم الميم. واختلف في واوه، ففي نسخة صحيحة من السيرة قرئت على أَبي محمد ابن النحاس راويها: على الواو شدة وفتحة وتحتها كسرة وفوق الواو بخط الجوّاني: معاً. وقال العسكري رحمه الله تعالى بفتح الواو وهكذا قرأْته على ابن دريد بالفتح وقال التَّوْزري رحمه الله تعالى بكسر الواو.

ابـن ناحـور

ناحور: بنون وحاء مهملة من النحر إن كان عربياً.

ابـن تـيـرح

تيْرح بمثناة فوقية مفتوحة فتحتية مثناة ساكنة فراء مفتوحة مهملة وزن جعفر. قال السهيلي: وهو فَيْعَل من الترحة إن كان عربياً والتَّرح: ضد السرور. ويقال تارح بأَلف بدل الياء.

ابـن يعـرب

يَعْرب: بمثناة تحتية فعين مهملة ساكنة فراء مضمومة فباء موحدة غير مصروف. قال ابن دُرَيْد مشتق من قولهم أَعربَ في كلامه إذا أَفصح. أَو من قولهم أَعربَ عن نفسه إذا أَفصح عنها وتعقَّب بأَن يعرب لا يكون من أَعرب.

ابـن يشجـب

يشجب بمثناة تحتية مفتوحة فشين معجمة ساكنة فجيم مضمومة فباء موحدة قال الحافظ التَّوْزري: من الشَّجب وهو الهلاك وسمِّي به لأَن العرب تسمي بالأَلفاظ المكروهة تفاؤلاً بذلك للأَعداء.

ابـن نابـت

نابت بالنون اسم فاعل من نبت.

ابن اسماعيل

إِسماعيل باللام وفيه لغة أُخرى وهو إِسماعين بالنون. حكاه الإِمام النووي رحمه الله تعالى في تهذيبه.

وهو نبي الله ورسوله ﷺ أَرسله إِلى أَخواله من جُرْهم وإِلى العماليق الذين كانوا بأَرض الحجاز فآمن بعض وكفر بعض.

وهو اسم أَعجمي كسائر الأَعلام الأَعجمية. قال السهيلي رحمه الله تعالى: وتفسيره مطيع الله. قال صاحب القاموس في كتاب لُغات القرآن المسمى بمَطْلع زوَاهر النجوم: وهو أَول من سمِّي بهذا الاسم من بني آدم، واحترزنا بهذا القيد عن الملائكة فإِن فيهم إِسماعيل وهو أَمير الملائكة. قلت: أَي ملائكة سماء الدنيا. كما سيأَتي في باب سياق قصة المعراج.

وتكلَّف بعضُ الناس له اشتقاقاً من سَمِع وتركيباً منه ومن إِيل وهو اسم الله تعالى قال فإِن وزنه إِفعاليل فمعناه اسم الله تعالى أَمَره فقام به. والذي قال: إِن وزنه فعاليل لأَن أَصله سماعيل قال لأَنه سمع من الله تعالى قوله فأَطاعه.

قال في المطلع وله عشر خصائص: **الأُولى** أَن لغته كانت لغة العرب قلت: هو أَول من نطق بالعربية المبينة. روى الزُّبير بن بَكَّار وأَبو جعفر النحاس في أَدب الكاتب عن عليّ رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إِن أَول من فتَق الله لسانه بالعربية المبينة إِسماعيل وهو ابن أَربع عشرة سنة»**[1].

إِسناده حسن كما في الفتح والزَّهْر.

وفي الصحيح عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في حديث بَدْء أَمر زمزم ونزول جُرْهم بأَم إِسماعيل: وشبَّ الغلام وتعلم العربية منهم الخ.

وقد تقدم بتمامه.

قال الحافظ: فيه إِشعار بأَن لسان أُمه وأَبيه لم يكن عربياً، وفيه تضعيف لقول من روي أَنه أَول من تكلم بالعربية. وقد وقع ذلك في حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما عند الحاكم في المستدرك بلفظ: «أَول من نطق بالعربية إِسماعيل»[2] ثم أَورد الحافظ حديث عليّ السابق. ثم قال: وبهذا القيد ـ يعني أَنه أَول من تكلم بالعربية المبينة يُجمع بين الخبرين فتكون أَوليته في ذلك بحسب الزيادة في البيان لا الأَولية المطلقة. ويكون بعد تعلُّمه أَصل

---

(١) ذكره السيوطي في المزهر ٣٤/١ وعزاه للشيرازي في كتاب الألقاب.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك ٥٥٣/٢ كتاب التاريخ وانظر المزهر للسيوطي ٣٤/١.

العربية من جرهم أَلهمه الله تعالى العربية الفصيحة البيّنة فنطق بها.

ويشهد لهذا الجمع ما حكى ابن هشام رحمه الله تعالى عن الشَّرَفيّ بن قُطَامي[1] أَن عربية إِسماعيل كانت أَفصح من عربية يَعْرب بن قحطان وبقايا حِمْير وجُرْهم. ويحتمل أَن تكون الأَوّلية في الحديث مقيدة بإِسماعيل بالنسبة إِلى بقية إِخوته من ولد إِبراهيم. فإِسماعيل أَول من نطق بالعربية من ولد إِبراهيم. ولهذا تتمة تأْتي في اسم «العربي».

الثانية: أَنه مَرْكز نور النبي ﷺ.

الثالثة: أَنه ولد الخليل ﷺ.

الرابعة: أَنه شريك أَبيه إِبراهيم ﷺ في بناء البيت.

الخامسة: أَنه كان بِكْر الخليل ﷺ.

السادسة: أَن إِليه ترجع أَنساب العرب.

السابعة: أَنه استسلم للذبح عند امتحان الله تعالى اياه.

الثامنة: أَنه فاز بخِلْعة: **﴿وفدَيْناه بِذْبح عظيم﴾**.

التاسعة: أَن الله تعالى اصطفاه من ولد آدم. روى مسلم والترمذي عن واثلة بن الأَسْقع رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إِن الله اصطفى من ولد إِبراهيم إِسماعيل»** الحديث وتقدم بتمامه.

العاشرة: أَن رسول الله ﷺ افتخر به فقال: **«أَنا ابنُ الذبيحَيْن»**.

قلت هو بهذا اللفظ في الكشاف وقال الزَّيْلعي[2] والحافظ كلاهما في تخريج أَحاديثه: إِنهما لم يجداه بهذا اللفظ.

وسماه الله تعالى في القرآن باثني عشر اسما: غلام، وعَليم، وحليم، ومُسْلم، ومستسلم، وآمِر **﴿وكان يأْمر أَهْلَه بالصلاة﴾** وصابر **﴿ستَجِدُني إِن شاء اللهُ منَ الصابرين﴾** ومرْضيّ **﴿وكان عندَ ربه مَرْضِيا﴾** وصادق ورسول ونبي ومذكور **﴿واذكُرْ في الكتاب إِسماعيل﴾**.

---

(١) الوليد بن حصين (الملقب بالقطامي) بن حبيب بن جمال، الكلبي، أبو المثنى: عالم بالأدب والنسب. من أَهل الكوفة. استقدمه منها أبو جعفر المنصور، إلى بغداد ليعلِّم ولده «المهدي» الأدب. وكان صاحب سَمر. وروى نحو عشرة أَحاديث ضعيفة. توفي ١٥٥هـ. الأعلام ٨/١٢٠.

(٢) عبد الله بن يوسف بن محمد الزيلعي، أبو محمد، جمال الدين: فقيه، عالم بالحديث. أصله من الزيلع (في الصومال) ووفاته في القاهرة. من كتبه «نصب الراية في تخريج أحاديث الهداية» في مذهب الحنفية، و «تخريج أحاديث الكشاف». توفي سنة ٧٦٢هـ. الأعلام ٤/١٤٧.

وكان أكبر من إسحاق ﷺ.

واختلف في الذبيح منهما. والصحيح الذي عليه الأكثرون أنه إسماعيل ﷺ.

قلت: وقد بسط العلامةُ ابن القيِّم في كتابه «زاد المعاد» توجيه ذلك وردّ خلافِه بأكثر من عشرين وجهاً.

ولم يخرج من نَسْله نبيّ غير نبينا ﷺ وأما خالد بن سِنَان[1] فإنْ كان في زمن الفترة فقد ثبت في صحيح البخاري عن رسول الله ﷺ أنه قال: **«أنا أوْلَى الناس بعيسى بن مريم إنه ليس بيني وبينه نبي»**[2] انتهى. وإن كان قبلها فلا يمكن أن يكون نبياً لأن الله تعالى قال: ﴿**لتنذر قوماً ما أتاهم مِن نَذير من قَبلك**﴾ وقد قال غير واحد، من العلماء، لم يبعث الله نبياً بعد إسماعيل في العرب إلا محمداً ﷺ: ذكر ذلك ابن كثير رحمه الله تعالى وقال الحافظ في الفتح: إن هذا الحديث أي الذي في الصحيح يضعف ما ورد في قصة خالد بن سِنَان، فإنه صحيح بلا تردد، وفي غيره مَقال. أو المراد: أنه لم يُبعث بشريعة مستقلة، وإنما بعث بتقرير شريعة عيسى.

وأم إسماعيل: هاجَر بالهاء ويقال آجر وهي قبطية.

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن إبراهيم وسارة قدِما أرض جبار أو مِلِك فقال إبراهيم لسارّة: إنَّ هذا الجبار إنْ يعلم أنك امرأتي يغلبني عليك فإن سألك فأخبريه أنك أختي وإنك اختي في الإسلام. فلما دخل أرضَه رآها بعض أهل الجبار فقال: لقد قدِم أرضَك امرأةٌ جميلة لا ينبغي لها أن تكون إلا لك وهي من أحسن الناس فأرسلَ إلي إبراهيم فسأله عنها فقال: من هذه؟ قال: أختي ثم رجع إليها فقال: يا سارة ليس على وجه الأرض مؤمن غيري وغيرك، وإن هذا سألني فأخبرتُه أنك أختي فلا تكذِّبيني فأرسل إليها وقام إبراهيم إلى الصلاة فلما دخلتْ عليه قامت تتوضأ وتصلي فقالت؛ اللهم إن كنتُ آمنتُ بك وبرسولك وأحصنتُ فرجي إلا على زوجي فلا تسلّط عليّ هذا الكافر فلم يتمالك أن بسَط يده إليها فقُبضت يده قبضة شديدة وغطَّ حتى ركَض برجله فقالت: إن يمتْ يقال هي قتلته فأُرسِل وفي لفظ فقال: ادعى الله لي ولا أضرّك. فدعت فأُطلق. ثم تناولها الثانية فقامت تتوضأ وتصلي وتقول: اللهم إن كنت آمنت بك وبرسولك وأحصنتُ فرجي إلا على زوجي فلا تسلّط عليّ هذا الكافر فأُخذ مثلَها أو أشد وغطّ حتى ضرب برجله الأرض فقالت اللهم إن يمت يقال هي قتلته فأُرسِل وفي لفظ: فقال ادعي الله لي ولا أضرّك فدعت فأطلق فدعا بعض حجبته وفي لفظ: الذي جاء

---

(١) خالد بن سنان بن أبي عبيد بن وهب بن لوزان بن عبدود بن ثعلبة الأوسي. قال العدوي: شهد أحداً واستشهد يوم الجسر. انظر الإصابة ٢/٩٢.

(٢) أخرجه مسلم ١٨٣٧/٤ كتاب الفضائل (١٤٥. ٢٣٦٥).

بها فقال لم تأتوني بإنسان إنما أتيتموني بشيطان ارجعوها إلى إبراهيم وأخرجها من أرضي وأعطها هاجر فرجعت إلى إبراهيم وهو قائم يصلي فأومأ بيده: مَهيم. وفي لفظ مَهْيا. قالت أشعرت أن الله كبتَ الكافر؟ وفي لفظ: قالت: إن الله ردّ كيد الكافر في نحره وأخدَم هاجر.

رواه البخاري في مواضع صحيحة ومسلم والنسائي والبزّار وابن حبان رحمهم الله تعالى(١).

قال الإمام النووي: كانت هاجر للجبار الذي كان يسكن عين الجَرّ. قلت: قال الحازمي: هو بالجيم المفتوحة والراء المشددة انتهى. بقرب بعلبك. فوهبها لسارة، فوهبتها سارة لإبراهيم. قال السُّهَيْلي: وكانت قبل ذلك الملك الذي وهبها لسارة بنت ملك من ملوك القبط بمصر. ذكر الطبري من حديث سيف بن عمير أو غيره أن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنه حين حاصر مصر قال لأهلها: إن نبينا قد وعدَنا بفتحها وقد أُمرنا أن نستوصي بأهلها خيراً فإن لهم نَسباً وصِهْراً فقالوا: هذا نسب لا يَحْفظ حقه إلا نبي لأنه نسب بعيد، وصدق كانت أمكم امرأة الملك من ملوكنا فحاربنا أهل عين شمس وكانت علينا دولة فقتلوا الملك واحتملوها فمن هناك سيِّرت إلى أبيكم إبراهيم أو كما قالوا.

قال الحافظ رحمه الله تعالى: هاجر اسم سرياني ويقال إن أباها كان من ملوك القبط، وأنها من حَفْن بفتح الحاء المهملة وسكون الفاء آخره نون: قرية بمصر. قال اليعقوبي(٢) رحمه الله تعالى: كانت مدينة انتهى. وهي الآن كفر من عمل أَنْصِنا بالبرّ الشرقي من الصعيد في مقابلة الأشمونين. وفيها آثار عظيمة باقية واسم الجبار المذكور عمرو بن امرىء القيس ابن سبأ وكان على مصر. ذكره السهيلي وهو قول ابن هشام في التيجان وقيل اسمه صادوف ذكره ابن قتيبة. وإنه كان على الأردن. وذكر ابن هشام في التيجان قائل ذلك رجل كان إبراهيم ﷺ يشتري منه القمح وأنه ذكر أنه رآها تطحن وأن هذا هو السرّ في إعطاء الملك لها هاجر وقال: إن هذه لا تصلح أن تخدم نفسها.

واختلف في السبب الذي حمل إبراهيمَ ﷺ على التوصية بأنها أخته، مع أن ذلك الظالم يريد اغتصابها على نفسها أختاً كانت أو زوجة.

---

(١) أخرجه البخاري ٤٤٦/٦ كتاب أحاديث الأنبياء، ومسلم ١٨٤٠/٤ كتاب الفضائل (١٥٤- ٢٣٧١) وأحمد في المسند ٤٠٣/٢.

(٢) أحمد بن إسحاق (أبي يعقوب) بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي: مؤرخ جغرافي كثير الأسفار، من أهل بغداد. كان جده من موالي المنصور العباسي. رحل إلى المغرب وأقام مدة في أرمينية. ودخل الهند. وزار الأقطار العربية. وصنف كتباً جيدة منها «تاريخ اليعقوبي» انتهى به إلى خلافة المعتمد على الله العباسي، وكتاب «البلدان» و «أخبار الأمم السالفة» و «مشاكلة الناس لزمانهم» اختلف المؤرخون في سنة وفاته، فقال ياقوت: سنة ٢٨٤ ونقل غيره ٢٨٢ وقيل ٢٧٨ أو بعدها. انظر الأعلام ٩٥/١.

فقيل: كان من دين ذلك الملك أن لا يتعرض إلا لذوات الأزواج. كذا قيل. قال الحافظ: ويحتاج إلى تتمة: وهو أن إبراهيم ﷺ أراد دفع أعظم الضررين بارتكاب أخفهما. وذلك أن اغتصاب الملك إياها واقع لا محالة لكن إن عَلِم أن لها زوجاً في الحياة حملته الغيرة على قتله وإعدامه وحبسه وإضراره بخلاف ما إذا علم أن لها أخاً فإن الغيرة حينئذ تكون من قِبَل الأخ خاصة لا من قبل الملك فلا يبالي به وقيل أراد إن علم أنك زوجتي ألزمني بالطلاق. والتقرير الذي قررته جاء صريحاً عن وهب بن منبه. رواه عبد بن حميد في تفسيره.

وذكر الحافظ زكي الدين المنذِري[1] رحمه الله تعالى في حاشية السنن عن بعض أهل الكتاب أنه كان من رأي الجبار المذكور أن من كانت متزوجة لا يَقْربها حتى يُقْتل زوجها فلذلك قال إبراهيم هي أُختي لأنه إن كان عادلاً خطبها منه ثم يرجو مدافعته عنها، وإن كان ظالماً خلص من القتل وليس ببعيد مما قررته أولاً. وذكر ابنُ الجوزي نحو ما ذكره المنذريّ.

تفسير الغريب

قوله: فغطّ بضم الغين المعجمة على الصواب. والمراد بالشيطان هنا المتمردّ من الجن، وكانوا قبل الإسلام يعظمون أمر الجن ويرون كل ما يقع من الخوارق من فعلهم وتصرّفهم.

مَهْيم: وفي لفظ: مَهْيا. وفي لفظ: مَهْين. ويقال إن الخليل عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام أول من تكلم بهذه الكلمة.

كبَت بكاف فباء موحدة مفتوحتين فمثناة فوقية: أي ردَّه الله خاسئاً يقال أصله كبَد أي بلغ السهمُ كبده ثم أبدلت الدال مثناة فوقية. انتهى كلام الحافظ.

***

ولإسماعيل ﷺ عدة أولاد غير من ذكر في عمود النسب.

[ابن ابراهيم]

إبراهيم نبي الله ورسوله وَخليله أبو الأنبياء التي أتت بعده ﷺ وهو اسم أعجمي معناه أَب راحم.

---

(١) عبد العظيم بن عبد القويّ بن عبد الله، أبو محمد، زكيّ الدين المنذري: عالم بالحديث والعربية، من الحفاظ المؤرخين. له «الترغيب والترهيب» و «التكملة لوفيات النقلة» و «أربعون حديثاً» و «شرح التنبيه» و «مختصر صحيح مسلم» في الهند مع شرحه لصديق حسن خان، و «مختصر سنن أبي داود» أصله من الشام، تولى مشيخة دار الحديث الكاملية (بالقاهرة) وانقطع بها نحو عشرين سنة، عاكفاً على التصنيف والتخريج والإفادة والتحديث. مولده ووفاته بمصر. وصنف محقق كتابه «التكملة» بشار عواد معروف، توفي سنة ٦٥٦هـ. الأعلام ٤/٣٠.

قال في المطلع: وأكثر المحققين على أنه اسم جامد غير مشتق. وقال بعض المتكلفين: إنه اسم مركب من البراء أو البرء أو البراءة ومن الهيَمَان أو الوهم أو الهمة فقالوا: بَرِىءَ من دون الله فهام قلبه بذِكْره.

وقال بعضهم: برىء من علة الزَّلَّة فهمَّ بالحلول في محل الخُلَّة. وقيل: برأه الله في قالب القُرْبة فهمَّ بصِدْق النية إلى مَلكوت الهمة قال بعضهم:

وَكُنتُ بِلاَ وَجْدٍ أَمُوتُ مِنَ الْهَوَىَ   وهَامَ عَلَيَّ القَلْبُ بِالْخَفَقَانِ
فَلَمَّا أَرَانِي القَلْبُ أَنَّكَ حَاضِرِي   شَهِدْتُكَ مَوْجُوداً بِكُلِّ مَكَانِ

وفيه لغات: إحداها إبراهيم بالياء بعد الهاء وهي اللغة المشهورة. وقرأه السبعة غير ابن عامر في جميع القرآن. الثانية إبراهام بالألف. وهي قراءة ابن عامر في مواضع من القرآن، الثالثة: إبراهوم بالواو. الرابعة أبْرَهَم بفتح الهاء من غير ألف. نقله أبو حاتم السِّجِسْتاني قراءةً عن بعضهم، الخامسة: إبراهم بكسر الهاء من غير ياء وهي قراءة عبد الرحمن بن أبي بكر في جميع القرآن، السادسة: إبراهُم بضم الهاء في جميع القرآن من غير ياء.

وهذه اللغات الستة حكاها الفرَّاء.

السابعة: بإمالتها. الثامنة إبراهام. بإمالة الألف الثانية لا غير. وقرئ به شاذا. التاسعة إبرهم بحذف الألفين وفتح الهاء نقلها أبو عمرو الداني، عن قراءة عبد الرحمن ابن أبي بكر، والثعلبي عن عبد الله بن الزبير رضي الله تعالى عنهم أجمعين.

قال في «المطلع» وجمع إبراهيم أباره وأباريه وأَبَارِمه وأَبارِهَة وبَرَاهم وبَراهِيم وبَراهمة وبراة وتصغيره: بُريْه. وقيل: أُبَيْره وقيل بُرَيْهيم.

وكُنْيته أبو الضِّيفان.

قال عكرمة وغيره: وهو أفضل الأنبياء بعد نبينا محمد ﷺ كما جزم به الحافظ عماد الدين بن كثير في تاريخه وبرهن عليه وكذا غيره من الأئمة.

وروى البزار واللفظ له والإمام أحمد والحاكم بسند على شرط مسلم عن أبي هريَرة رضي الله تعالى عنه قال: خيار بني آدم: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد، وخيرهم محمد ﷺ ثم إبراهيم.

ومثل هذا لا يقال إلا عن توقيف فهو في حكم المرفوع وبه جزم الذهبي في عقيدته وشيخنا في النقاية.

واختلف في مولده فقيل ببَرْزة من غوطة دمشق. قال الحافظ أَبو القاسم بن عساكر رحمه الله تعالى: والصحيح أَنه ولد بكوثا من إِقليم بابل من أَرض العراق.

واسم أَمه نوبا ويقال ليوثا وقيل غير ذلك.

ولد على رأس أَلفي سنة من خَلْق آدم وكان بين إِبراهيم ونوح عشرة قرون.

رواه الحاكم في المستدرك عن الواقدي.

وكان يتكلم بالسريانية أَولاً وإِنما نطق بالعَبْرانية حين عبرَ النهر فارّاً من نُمروذ. وهو بضم النون وآخره ذال معجمة، لا ينصرف للعُجمة والعلمية. ولا تدخله الأَلف واللام.

وروى الطبراني بسند رجال ثقاة عن أَبي أَمامه رضي الله تعالى عنه أَن رسول الله ﷺ قال: «بين إِبراهيم ونوح عشرة قرون».

وكان نمروذ قال للذين أَرسلهم في طلبه: إِذا وجدتم فتى يتكلم بالسريانة فرُدُّوه. فلما أَدركوه استنطقوه فحول الله لسانه عبْرانياً وذلك من حين عبر النهر فسميت العبرانية بذلك. وأَما السريانية فذكر ابن سلام أَنها سميت بذلك لأَن الله تعالى حين علَّم آدم الأَسماء علمه سراً من الملائكة وأَنطقه بها حينئذ.

وله عدة أَولاد غير إِسماعيل ﷺ.

قال في المطلع: وكان لإِبراهيم ﷺ في طريق الحق عشر مقامات نال بها غاية الكرامات.

الأَول: مقام الطلب: ﴿هذا ربي﴾.

والثاني: مقام الدعوة ﴿وأَذن في الناسِ بالحج﴾.

الثالث: مقام الفضيلة ﴿واتَّخِذُوا مِن مَقَام إِبراهيم مُصَلًّى﴾.

الرابع: مقام الفقر والفاقة ﴿ربِّ اجعلني مُقِيمَ الصلاةِ﴾.

الخامس: مقام النعمة ﴿والذي هو يُطْعمني ويَسْقين﴾.

السادس: مقام المغفرة ﴿والذي أَطمع أَن يغفر لي خطيئتي يومَ الدين﴾.

السابع: مقام المحبة ﴿أَرني كيف تُحْيي الموتى﴾.

الثامن: مقام المعرفة ﴿واجعل لي لسانَ صدق في الآخرين﴾.

التاسع: مقام الهَيْبة ﴿إِن إِبراهيم لأَوَّاه حليم﴾.

العاشر: مقام الوارثة، وفي هذا المقام حصل له الاستغناء عن الواسطة فقال: «حَسْبي من سؤالي عِلْمه بحالي».

قال المؤرخون: هاجَر إِبراهيمُ من العراق إِلى الشام وبلغ عمره مائة وخمساً وسبعين سنة وقيل مائتي سنة. ودفن في الأَرض المقدسة وقبره مقطوع بأَنه في تلك المَرْبَعة. ولا يقطع بقبر

نبيّ ومكانه غير قبر سيدنا رسول الله ﷺ ومكان قبر إبراهيم أبيه صلى الله عليهما وسلم.

وكان أَول من اختتن. روى ابن أَبي شيبة وابن سعد وابن حبان والحاكم بسند صحيح من طريق سعيد بن المسيَّب عن أَبي هريرة ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: اختتن إبراهيم وهو ابن عشرين ومائة سنة بالقَدُوم وعاش بعد ذلك ثمانين سنة.

قال سعيد ـ رحمه الله تعالى ـ: وكان إبراهيم أَول من اختتن وأَول من رأَى الشَّيْب فقال: يا رب ما هذا؟ فقال: وقار يا إبراهيم. قال: رب زِدْني وقاراً. وأَول من أَضاف الضيفَ، وأَول من جَزَّ شاربه، وأَول من قص أَظافيره، وأَوَّل من استحَدَّ.

ورواه ابن عدِيّ والبيهقي مرفوعاً.

وروى أَبو يَعْلَى وأَبو الشيخ في العقيقة من طريق موسى بن عُلَيّ بن رباح عن أَبيه أَن إبراهيم ﷺ أُمر أَن يختتن وهو حينئذ ابن ثمانين سنة فعجِل واختتن بالقَدُوم فاشتد عليه الوجع فدعا ربَّه فأَوصى الله إليه: إنك عجلت قبل أَن نأْمرك بآلته فقال يا ربي كرهت أَن أُؤخر أَمرك.

عُلَيٌّ بالتصغير. ورَبَاح بالموحدة.

وروى الشيخان عن أَبي هريرة ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**اختتن إبراهيم وهو ابن ثمانين سنة بالقدوم**»(1).

قال الحافظ: القدوم رويناه بالتشديد عن الأَصيلي والفاسي ـ رحمهما الله تعالى ـ ووقع في رواية غيرهما بالتخفيف. قال النووي: لم يختلف الرواة عند مسلم في التخفيف. واختلف في المراد به فقيل: اسم مكان. وقيل: اسم آلة النجّار، فعلى الثاني هو بالتخفيف لا غير، وعلى الأَول ففيه لغتان. هذا قول الأَكثر. وعكَسه الداودي. ثم اختلف فقيل: هي قرية بالشام. وقيل بلدة بالسّراة. والراجح أَن المراد في الحديث الآلة. ثم ذكر أَثر عُلَيّ بن رباح.

والذي في الصحيح عن أَبي هريرة ـ رضي الله تعالى عنه ـ: أَنه اختتن وهو ابن ثمانين سنة قال الحافظ: وعند ابن حِبّان عنه مرفوعاً أَن إبراهيم اختتن وهو ابن مائة وعشرين سنة والظاهر أَنه سقط من هذه الرواية شيء فإن هذا القَدْر مقدارُ عمره. قلت: ورواه الحاكم وصححه على شرطهما وأَقرّه عنه الذهبي مرفوعاً بلفظ: بعد مائةٍ وعشرين سنة. ووقع في كتاب العَقِيقة لأَبي الشيخ من طريق الأَوْزاعِيّ عن يحيى بن سعيد، عن سعيد بن المسيَّب عن أَبي هريرَة موصولاً مرفوعاً مثله. وزاد: وعاش بعد ذلك ثمانين سنة. فعلى هذا يكون عاش مائتي سنة. وجمع بعضهم بأَن الأَول حُسب من مبدأ نبوّته والثاني من مبدأ مَوْلده.

---

(1) أخرجه البخاري ٤/٢٧٩ كتاب الأنبياء (٣٣٥٥) ومسلم ٤/١٨٢٩ كتاب الفضائل (١٥١- ٢٣٧٠).

وروى وَكِيع عن إبراهيم النَّخَعي(١) ـ رحمه الله تعالى ـ قال: كان إبراهيم أَول من تسَرْوَل وأَول من فرَّقَ وأَول من استحدَّ، وأَول من اختتن، وأَول من أَقْرَى الضيف، وأَول من شابَ.

وروى وكيع عن واصل مولى أبي عُيَيْنَة ـ رحمه الله تعالى ـ قال: أَوحى الله تعالى إِلى إبراهيم: إِنك أَكرم أَهل الأَرض عليَّ فإِذا سجدتَ فلا تُرِ الأَرض عورتك. قال: فاتخذ سراويلَ.

وروى الدَّيْلمي عن أَنس مرفوعاً: أَول من خضَب بالحناء والكتم إِبراهيم.

وروى ابن أَبي شيبة في المصنَّف والبزَّار عن سعد بن إِبراهيم ـ رحمه الله تعالى ـ قال: أَول من خطب على المنبر إبراهيم(٢).

وروى ابن عساكر عن حسَّان بن عطية(٣) ـ رحمه الله تعالى ـ قال: أَول من رتب العسكر في الحرب ميمنةً وميسرةً وقلباً إِبراهيم عليه الصلاة والسلام لمّا سار لقتال الذين أَسَرُوا لوطاً ـ عليه الصلاة والسلام ـ(٤).

وروى البزار والطبراني عن معاذ بن جبل(٥) مرفوعاً: **«وأن أَتَّخِذ المِنبرَ فقد اتَّخذه أَبي إِبراهيمُ، وأن أَتخِذ العصا فقد اتخذَها أَبي إِبْرَاهِيمُ»**.

وروى ابن أَبي الدنيا في كتاب الرمي عن ابن عباس ـ رضي الله تعالى عنهما ـ قال: أَول من عَمل القِسِيّ إِبراهيمُ.

وروى ابن أَبي الدنيا والبيهقي في شعب الإِيمان عن أَبي هريرة ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: **«كان أَول من أَضاف الضَّيف إِبراهيم»**(٦).

---

(١) إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود النخعي، أبو عمران الكوفي الفقيه، ثقة، إلا أنه يرسل كثيراً، من الخامسة، مات سنة ست وتسعين، وهو ابن خمسين أو نحوها. التقريب ٤٦/١.

(٢) ذكره السيوطي في الدر ١١٥/١ وعزاه للديلمي.

(٣) حسَّان بن عَطِيَّة المُحَارِبي مولاهم أبو بكر الدِّمَشْقِي الفقيه. عن أبي أُمامَةَ ولم يسمع منه وابن المسيَّب. وعنه الأَوْزَاعي وأبو غَسَّان محمد بن عمر. وثقه أحمد وابن معين. قال الذهبي: بقي إلى قريب الثلاثين ومائة. انظر الخلاصة ٢٠٧/١.

(٤) ذكره السيوطي في الدر ١١٥/١ وعزاه لابن عساكر.

(٥) معاذ بن جبل بن عمرو بن أَوْس بن عائذ بمعجمة آخره ابن عَدِي بن كعب بن عمرو بن آدي بن سعد بن علي بن أسد بن سارِدَة بن تُزِيد بمثناة ابن جُشَم بن الخزرج الأنصاري الخزرجي أبو عبد الرحمن المدني، أسلم وهو ابن ثماني عشرة سنة، وشهد بدراً والمشاهد له مائة وسبعة وخمسون حديثاً. وعنه ابن عباس وابن عمر ومن التابعين عمرو بن ميمون وأبو مسلم الخَوْلاَني ومسروق وخلق، وكان ممن جمع القرآن. قال النبي ﷺ: **«يأتي معاذ يوم القيامة أمامَ العلماء»**. وقال ابن مسعود: كنا نشبهه بإبراهيم عليه السلام وكان أمة قانتاً لله حنيفاً ولم يك من المشركين. توفي في طاعون عمواس سنة ثماني عشرة وقبر ببيسان في شرقيه. قال ابن المسيب: عن ثلاث وثلاثين سنة، وبها رفع عيسى عليه السلام. الخلاصة ٣٦١٣٥/٣.

(٦) ذكره السيوطي في الدر ١١٥/١ وعزاه لابن عدي والبيهقي.

وروى ابن سعد وابن أَبي الدنيا وأَبو نعيم في الحِلْية والبيهقي في الشعب عن عكرمة ـ رحمه الله ـ قال: «كان إِبراهيم خليل الرحمن يكنى أَبا الضيفان، وكان لقصره أَربعة أَبواب لكي لا يفوته أَحد».

وروى البيهقي عن عطاء ـ رحمه الله ـ قال: كان إِبراهيم خليل الله ﷺ إِذا أَراد أَن يتغذى طلب من يتغذى معه ميلاً في ميل.

وروى ابن أَبي الدنيا في كتاب الإِخوان والخطيب في التاريخ عن تميم الداري[١] مرفوعاً: إِن أَول من عانق إِبراهيم ـ عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام ـ.

وروى ابن سعد عن محمد بن السائب ـ رحمه الله تعالى ـ قال: إِبراهيمُ أَول من أَضاف الضيف وأَول من ثرَد الثريد، وأَول من رأَى الشيبَ.

وكان قد وسّع عليه في المال والخدَم.

وروى الإِمام أَحمد في الزهد عن مطرف ـ رحمه الله تعالى ـ قال: أَول من راغمَ إِبراهيمُ ﷺ حين راغمَ قومَه إِلى الله تعالى بالدعاء.

وروى ابن أَبي شيبة في المصنَّف والشيخان والترمذي والنسائي[٢] عن ابن عباس مرفوعاً وابن أَبي شيبة عن سعيد بن جبير وأَبو نُعَيْم عن عُبَيْد بن عُمَيْر وابن أَبي شيبة وأَحمد في الزهد عن عبد الله بن الحارث ـ رضي الله تعالى عنهم ـ أَن الناس يُحشرون حفاةً عراة فيقول الله: لا أَرى خليلي عُرْياناً. فيكسى إِبراهيم ثوباً أَبيض.

ولفظ عبد الله بن الحارث: «قُبْطيتين فهو أَول من يُكْسى، ثم يكسى النبي ﷺ حلته الحِبَرة وهو على يمين العرش»[٣].

وروى ابن أَبي شَيْبة وأَحمد في الزهد وأَبو نُعَيْم عن سَلْمان ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال:

---

(١) تَميم بن أَوْس بن خَارِجَةَ الدَّارِي أبو رُقَيَّة بتحتانية. أسلم سنة تسع وسكن بيت المَقْدِس. روى عنه سيد البشر ﷺ خبر الجَسَّاسة وذلك في (خ م) وناهيك بهذه المنقبة الشريفة. روى عنه أنس وعطاء بن يزيد. قال ابن سيرين: جمع القرآن. وكان يختم في ركعة. قال مسروق: صلى ليلة حتى أصبح يقرأ آية يرددها أم حسب الذين اجترحوا السيئات. وقال أبو نعيم: أول من سرج في المساجد تميم. توفي سنة أربعين. الخلاصة ١٤٥/١.

(٢) أحمد بن علي بن شعيب بن علي بن سنان بن بحر بن دينار، أبو عبد الرحمن النسائي: صاحب السنن، القاضي الحافظ، شيخ الإسلام. وجال في البلاد واستوطن مصر، فحسده مشايخها، فخرج إلى الرملة (بفلسطين) فسئل عن فضائل معاوية، فأمسك عنه، فضربوه في الجامع، وأخرج عليلاً، فمات. ودفن ببيت المقدس، وقيل: خرج حاجاً فمات بمكة. له «السنن الكبرى» في الحديث، و «المجتبى» وهو السنن الصغرى، من الكتب الستة في الحديث. وله «الضعفاء والمتروكون» صغير، في رجال الحديث، و «خصائص عليّ» و «مسند عليّ» و «مسند مالك» وغير ذلك. توفي سنة ٣٠٣هـ. الأعلام ١٧١/١.

(٣) أخرجه البخاري ٢٩٢/٨ (٤٧٤٠).

أُرسل على إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - أَسدان مُجَوَّعان فلحسَاه وسجدا له.

وكان سبب موته أَن ملك الموت قيل له: تلطف بإبراهيم. فأَتاه وهو في عنب له وهو في صورة شيخ كبير لم يبق منه شيء فلما رآه إبراهيم رَحِمه. فأَخذ مِكْتَلا ثم دخل عنبه فقطف من العنب في مِكْتله، ثم جاء فوضعه بين يديه فقال: كل. فجعل يضع يده ويريه أنه يأكل ويمجُّه على لحيته وعلى صدره، فعجب إبراهيم فقال: ما أَبقت السنُّ منك شيئاً! كم أَتى لك؟ فحسب مدة إبراهيم. فقال: أَتى لي كذا وكذا. فقال إبراهيم: قد أَتى لي هذا وإنما أَنتظر أَن أكون مثلك! اللهم اقبضني إليك. فطابت نفسُ إبراهيم عن نفسه للموت. وقبض ملك الموت نفسه في تلك الحال.

رواه الإمام أَحمد وأَبو نعيم في الحِلْية عن كعب.

وله عدة أَولاد غير إسماعيل عليهما الصلاة والسلام.

ابن تارح

تارَح - بمثناة فوقية فأَلف فراء مفتوحة فحاء مهملة كما في الفتح والنُّور، ورأَيته بخط جماعة بإعجامها - ومعناه [يا أَعوج] وهو آزَر. قال الجَوْهري اسم أَعجمي. وقيل عربي مشتق من آزَر فلانٌ فلاناً إذا عاونه. فتارح وآزر اسمان له كما جزم به غير واحد. وصححه السهيلي. قال: وقيل معناه يا أَعوج. وقيل هو اسم صنم وانتصب على إضمار فعل في التلاوة في قوله تعالى: ﴿وإذ قالَ إبراهيمُ لأَبيه آزَرَ﴾ أَي دع آزرَ. وقيل إن آزر كلمة معناها الزجر والتعنيف وقال التَّوْزَرِي: كان لأَبي إبراهيم اسمان: تارح وآزر هذا قول الحسن والسُّدّي رحمهما الله تعالى.

قال: وقيل إن آزر اسم صنم منصوب بإضمار فعل تقديره: أَتتخذ آزرَ إلٰهاً أَتتخذ أَصناماً. هذا على قراءة من فتح الراء وأَما على قراءة من ضمها، قلت: وهو يعقوب. فقيل: إنه في لغتهم عبارة عن المخطئ، أَي يا مخطئ.

قال: وقيل إنها مشتقة من المؤازرة أَي المعاونة، كان يعاون قومه على عبادة الأَصنام.

قال: ويجوز أَن يكون اسماً لأَبي إبراهيم مع الرفع ويكون منادى بإسقاط حرف النداء وقال الزمخشري: آزر عطف بيان لأَبيه وقرئ آزرُ بالضم على النداء وقيل: آزر اسم صنم، فيجوز أَن يكون سمِّي به للزومه عبادته أَو أُريد: عابد آزر، فحذف المضاف وأُقيم المضاف إليه مقامه.

وقرئ: «أَأَزْراً أَتتخذ أَصناماً آلهة»، بفتح الهمزة وكسرها بعد همزة الاستفهام وزاي

ساكنة وراء منصوبة منونة وهو اسم صنم ومعناه: لم تعبد آزر على الإنكار ثم قال: ﴿أَتتخذ أَصناماً آلهة﴾ تبييناً لذلك وتقريراً وهو داخل في حكم الإنكار كالبيان له وقال الإمام الثعلبي[١] في العرائس: اسم أَبي إِبراهيم الذي سماه به أبوه تارح فلما صار مع نمروذ قيِّماً على خزانة آلهته سماه آزر.

ابن ناحور

ناحور بنون فأَلف فحاء مهملة مضمومة وهو غير الذي سبق قبل إِسماعيل.

قال ابن هشام في التيجان: عاش مائة وستة عشر عاماً وقال ابن حبيب: عاش مائة وثمانياً وأَربعين سنة.

ابن شاروخ

شاروخ بشين معجمة فأَلف فراء مضمومة فواو فخاء معجمة. كذا ضبطه الحافظ وضبطه النووي في الأَمالي والتَّوْزَرِي بالمهملات وقال الجوَّاني: ساروغ بالغين المعجمة. وقال الملك المؤيّد صاحب حماة: وربما قيل بالعين المهملة. قال ابن هشام: عاش مائتين وسبعة أَعوام.

ابن راغو

راغو: بغين معجمة مضمومة. وحكى التَّوزري إِهمالها. وأَرغو بفتح الهمزة وسكون الراء وضم الغين المعجمة أَو المهملة ويقال: رَغْو. بفتح الراء وسكون الغين المعجمة. ومعناه بالعربية قاسم. قال ابن حبيب: عاش مائتي سنة واثنتين وثلاثين سنة. وقال ابن الكلبي مائتين وستين سنة.

ابن فالـخ

قال النووي: بفاء فأَلف فلام مفتوحة فخاء معجمة ويقال فالغ بغين معجمة. وقال ابن هشام في التيجان: إِنه اسم سُرْياني وتفسيره بالعربي: وكيل، وإِنه أَخو هود، وإِنه حين تكلم أَبوه بالعربية بجبل الجوديّ لم يتكلم بها، وإِنه عاش مائة وسبعاً وستين سنة وقال ابن الكلبي: مائتي سنة وتسعين سنة. قال ابن حبيب: مائتي سنة وتسعاً وثلاثين سنة. وقال الجَوّاني: وأمه بيشاحا.

---

(١) أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي أبو إسحاق مفسر، من أهل نيسابور له اشتغال بالتاريخ، من كتبه عرائس المجالس، والكشف والبيان في تفسير القرآن ويعرف بتفسير الثعلبي. توفي سنة ٤٢٧هـ. الأعلام ٢١٢/١، وأنباه الرواة ١/ ١١٩، والبداية والنهاية ٤٠/١٢.

ابن عيبر

عَيْبَر بعين مهملة مفتوحة فمثناة تحتية فباء موحدة وزن جَعْفر. قاله الحافظ والنووي والتَّوْزَرِيّ. قال: ويقال عابر بالألف. قال ابن حبيب: عاش مائة وأَربعاً وثلاثين سنة. وقال ابن الكَلْبي: أربعمائة وثلاثاً وستين سنة. قال الجوَّاني: وهو هود النبي ﷺ. وقال السُهيلي والحافظ: الراجح في نسب هُود أنه هود بن عبد الله بن رباح بن حادر بن عاد بن عوص بن آدم بن سام بن نوح. قال الجواني: وأُمه مرجانة وكانت من الطاهرات.

تنبيه: نقل السهيلي والتوزري عن الطبري ورأيته في تاريخه أَن بين عابر وفالخ أباً اسمه قينان. ولفظ التوزري: قَيْنن بقاف مفتوحة بعدها ياء مثناة تحتية فنونين. ترك ذكره في التوراة لأَنه كان ساحراً. ونقل بعضهم عن ابن حزم أَنه تعقب الطبري بأَنه ثابت في التوراة بإِجماعهم.

ابن شالخ

شالخ قال النووي بشين معجمة فأَلف فلام مفتوحة، فخاء معجمة. قال السهيلي: ومعناه الرسول أَو الوكيل. قال ابن هشام: عاش ثلاثمائة سنة وثلاثاً وستين. وقال ابن حبيب أَربعمائة وثلاثاً وثلاثين سنة. وقال ابن الكلبي: أَربعمائة وثلاثاً وتسعين سنة. وهو وصِيّ أَبيه.

ابن أرفخشذ

أَرْفخشذ. قال النووي والتوزري بفتح الهمزة فراء مهملة ساكنة ففاء مفتوحة فخاء ساكنة فشين زاد الثاني مفتوحة. فذال معجمات. قال الحافظ: ويقال فيه أرنخشذ بنون بدل الفاء والفخشذ باللام زاد صاحب «النور» الفشخذ باللام وتقديم الشين على الخاء قال السهيلي: تفسيره مصباح مضيء. وشاذ مخفف بالسريانية: الضياء.

وأُمه من بنات الملوك ابن خنوخ بن يرد بن قينان بن أَنوش.

قال ابن هشام: عاش أَربعمائة عام وثلاثة أَعوام وهو وصِيُّ أَبيه.

وقال ابن حبيب: أَربعمائة سنة وستين سنة. وقال ابن الكلبي: أَربعمائة وثمانية وستين سنة.

وله من الذكور عابر وهو وصيّ ومالك وقينان.

وهو أَول من نظر في علم النجوم واستنبط ذلك من تنور صُفْر كان كُتب فيها عِلْمها قبل الطوفان ودفن في الأَرض فاستخرجه وعلم ما فيه.

ابن سام

سام: بسين مهملة مخفف الميم. روى الإِمام أَحمد والترمذي وحسَّنه وصححه

الحاكم من حديث سَمُرة بن جُنْدَب رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«سام أبو العرب، وحام أبو الحبش، ويافث أبو الروم»**(١).

وروى البزّار وابن أبي حاتم عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«ولد نوح ثلاثة سام وحام ويافث، فولد سام العرب وفارس والروم والخيرُ فيهم، وولد يافث يأجوج ومأجوج والترك والصقَالبة ولا خير فيهم، وولد حام القبط والبربر، والسودان»**(٢).

وسنده ضعيف.

قال النووي رحمه الله: لما حضرت نوحاً الوفاة أوصى إلى ولده سام، وكان ولد قبل الطوفان بثمانية وتسعين سنة، ويقال كان سام بكره. قال ابن هشام: إنه كان وصيَّ أبيه وإنه وَلِي أهلَ الأرض. قال: وقال وهب رحمه الله تعالى: أتى الحواريون عيسى بن مريم ﷺ فسار بهم إلى قبر سام بن نوح فقال: أَجِبْني يا سام بإِذن الله تعالى. فقام بقدرة الله كالنخلة فقال له عيسى: كم عشتَ؟ قال: عشتُ أربعة آلاف سنة فقال عيسى: كيف كانت الدنيا؟ قال: كبيتٍ له بابان دخلتُ من هذا وخرجت من هذا. وإنه كان جَزُوعاً من الموت فسأَل نوح ربَّه أَن لا يميت سام حتى يَسْأَل الموت. قال: وإنّ ساماً اعتلت نفسُه ومرض مرضاً شديداً على كبر فسأَل ربَّه الموتَ فمات.

وقال ياقوت في معجم البلدان: نَوى ـ بفتح النون والواو ـ بُلَيْدَة من أعمال حوران من نواحي دمشق، وهي مدينة أيوب وبها قبر سام عليهما الصلاة والسلام.

تنبيه: قال الشيخ برهان الدين الناجي الدمشقي في مَوْلده المسمى بكنز الراغبين العُفَاة: ليس سام بنبيٍّ خلافاً لما وقع لأَبي الليث السمرقندي في بُسْتانه فاحذره واحذر من قَلَّده. انتهى.

وقد روى ابن سعد في الطبقات والزبير بن بكّار في الموفقيات عن الكلبي رحمه الله تعالى أَن ساماً كان نبِيّاً. لكن الكلبي متروك.

ابن نوح

نبي الله ورسوله ﷺ. قال النووي: هو اسم أَعجمي والمشهور صرفه وقيل يجوز صرفه وترك صرفه. انتهى.

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٢٣١) وأحمد في المسند ٩/٥ والطبراني في الكبير ٢٥٤/٧، وابن كثير في البداية والنهاية ١/ ١١٥، وانظر الدر المنثور ٣٢٧/٣ كنز العمال (٣٢٣٩٥).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك ٥٤٦/٢ وابن عدي في الكامل ٩١٩/٣.

وقيل إنه عربي واشتقاقه من ناح يَنُوح نَوْحاً ونيَاحة لأَنه أَقبل على نفسه باللوم والنَّوْح.

واختلف في سبب ذلك فقيل: سببه أَنه كان ينوح على قومه ويتأَسف لكونهم غرِقوا بلا توبة ورجوع إِلى الله تعالى. وقيل في اسمه غير ذلك مما لا أَصل له. قال جماعة: واسمه عبد الغفار. وهو آدم الثاني لأَنه لا عقِب لآدم إِلاّ من نوح ﷺ.

وأَثنى الله تعالى عليه في عدة آيات. قال ابن قتيبة: وكان نوح نجاراً.

وروى الطبراني بسند رجاله ثقات عن أَبي أُمامة رضي الله تعالى عنه، أَن رسول الله ﷺ قال: **«بين نوح وآدم عشرة قرون»**[١].

قال الشَّعْبي[٢] رحمه الله تعالى في العرائس: أَرسل الله تعالى نوحاً إِلى ولد قابيل ومن تابَعهم من ولد شيث.

قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: وكان بَطْنان من ولد آدم أَحدهما يسكن السهل والآخر يسكن الجبل، وكان رجال الجَبَلِ صِبَاحاً وفي النساءِ دَمَامة، وكان نِساءُ السَّهْل صِبَاحاً وفي الرجال دَمَامة، فكثرت الفاحشة من أَولاد قابيل وكانوا قد أَكثروا الفساد، فأَرسل الله تعالى نوحاً عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام وهو ابن خمسين سنة، فلبث فيهم أَلف سنة إِلا خمسين عاماً يدعوهم إِلى الله تعالى ويحذِّرهم ويخوّفهم فلم ينزجروا، فكان كما حكاه الله تعالى عنه: **﴿قال ربِّ إِني دعوتُ قومي ليلاً ونهاراً فلم يزدهم دعائي إِلا فراراً﴾**.

ولما طال دعاؤه لهم وإِيذاؤهم له وتماديهم في غَيّهم سأَل الله تعالى فأَوحى الله تعالى إِليه **﴿أنه لن يُؤمن مِن قَوْمك إِلا من قد آمَن﴾** فلما أَخبره الله تعالى بأَنه لم يبق في الأَصلاب ولا في الأَرحام مؤمن دعا عليهم فقال: **﴿ربِّ لا تذَرْ على الأَرضِ من الكافرين دَيَّاراً﴾** إِلى آخرها. فأَمره الله تعالى باتخاذ السفينة قال: يا رب وأَين الخشب قال: اغرس الشجر. فغرس الساجَ وأَتى على ذلك أَربعون سنة فكفَّ عن الدعاء عليهم، وأَعقم الله تعالى أَرحام نسائِهم فلم يولد لهم ولد، فلما أَدرك الشجرُ أَمره الله تعالى بقَطْعه وتجفيفه وصَنْعه الفُلْك وعلَّمه كيف يصنعه، وجعل بابه في جنبه وكان طول السفينة ثمانين ذراعاً وعرضها خمسين وسُمْكها إِلى السماء ثلاثين والذراع إِلى المنكب.

---

(١) ذكره الهيثمي في المجمع ٣٢١/٦ عن ابن عباس موقوفاً بلفظ «كان بين آدم ونوح عشرة قرون...» الخ وعزاه للبزار وقال: فيه عبد الصمد بن النعمان وثقه ابن معين.

(٢) عامر بن شَراحيل الشَّعْبي: بفتح المعجمة، أبو عمرو، ثقة مشهور، فقيه فاضل، من الثالثة، قال مكحول: ما رأيت أفقه منه، مات بعد المائة، وله نحو من ثمانين. التقريب ٣٨٧/١.

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: كان طولها ستمائة ذراع فأمره الله تعالى أن يحمل فيها من كل جنس من الحيوان زوجين اثنين وحشرها الله تعالى إليه من البر والبحر. وأول ما حمل في السفينة الدُّرّة وآخره الحمار.

قيل كان المؤمنون في السفينة سبعة: نوح وبنوه سام وحام ويافث وأزواج بنيه. وقيل ثمانية. وقيل عشرة. وقيل اثنان وسبعون. وقيل ثمانون من الرجال والنساء.

وكان نوح عليه الصلاة والسلام أطول الأنبياء عمراً حتى قيل إنه عاش ألف سنة وثلاثمائة سنة. ولما نزل عليه الوحي كان عمره ثلاثمائة سنة وخمسين سنة. فلبث ألف سنة إلا خمسين عاماً يدعوهم.

قال في «المطلع»: ما أسلم من الشياطين إلا شيطانان: شيطان نبينا محمد ﷺ وشيطان نوح عليه الصلاة والسلام. وقال إبليس لنوح عليه الصلاة والسلام: خذ مني خَمْساً. فقال: لا أُصدّقك فأوحى الله تعالى إليه: أن صدِّقْه في الخَمس. قال: قل. قال إياك والكِبْر، فإني إنما وقعت فيه بالكبر. وإياك والحسَد فإن قابيل قتل هابيل أخاه حسداً. وإياك والطمع فإن آدم أورثه ما أورثه الطمع. وإياك والحرص فإن حواء وقعت فيما وقعت بالحرص. وإياك وطول الأمل فإنهما وقعا فيما وقعا فيه بطول الأمل.

وسماه الله تعالى عَبْداً شكوراً. روى الفِرْيابي وابن جرير والحاكم وصححه عن سلمان رضي الله تعالى عنه قال: كان نوح إذا لبس ثوباً أو طَعِم طعاماً حمد الله تعالى فسمّي عبداً شكوراً.

ومن وصاياه ﷺ ما رواه النسائي والحاكم والبزّار عن رجل من الأنصار من الصحابة أن رسول الله ﷺ قال: **«قال نوح لابنه: إني أُوصيك بوصية وقاصرها لكي لا تنساها: أُوصيك باثنتين وأنهاك عن اثنتين. أما اللتان أُوصيك بهما فيستبشر الله بهما وصالحُ خلقه وهما يكثران الولوجَ على الله تعالى: أوصيك بلا إله إلا الله فإن السموات والأرض لو كانت في حَلْقة قصمتْهما ولو كانت في كفة وزنَتْهما وأُوصيك بسبحان الله وبحمده فإنها صلاة الخَلْق وبها يُرزَق الخلق ﴿وإنْ من شَيْءٍ إلا يُسبّح بحَمْده ولكنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إنَّه كان حليماً غَفُوراً﴾ وأما اللتان أنهاك عنهما فيحتجب الله منهما وصالح خَلْقه: أنهاك عن الشّرك والكبر»**.

تنبيه حديث ابن مسعود مرفوعاً: «إن نوحاً اغتسل فرأى ابنه ينظر إليه فقال: تنظر إلي وأنا أغتسل جار الله لونك. فاسوَدّ فهو أبو السُّودان» رواه الحاكم وصححه وتعقّبه الذهبي بأن

في سنده محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلة وقد ضعفوه. انتهى[١].

والوارد في ذلك ما رواه الإمام أَحمد وابن سعد وأَبو داود والترمذي والحاكم وصححاه عن أَبي موسى الأشعري رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ **«إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأَرض فجاء بنو آدم على قدر الأَرض، جاء منهم الأَحمر والأَبيض والأَسود وبَيْن ذلك، والسَّهْل والحَزْن والخبيث والطيِّب»**[٢].

ابن لامك

لامَكِ بميم مفتوحة وبكسر الكاف ويقال لمك بفتح اللام وسكون الميم. ويقال بخاء معجمة بدل الكاف. قال في التيجان: لامك بالعبراني. وبالعربي: لمك. وبالسرياني لمخ. وتفسيره: متواضع.

قال السهيلي رحمه الله تعالى: وهو أَول من اتخذ العودَ والغناء ومصانع الماء.

قال ابن هشام: عاش سبعمائة وسبعين سنة.

ابن متوشلخ

متوشلخ بميم فمثناة فوقية مشددة مضمومتان وتفتحان فواو ساكنة وتفتح فشين معجمة مفتوحة وتسكن فلام ساكنة وقد تفتح وتكسر، فخاء معجمة. قال ابن حبيب: عاش تسعمائة وستين سنة. قال الجوَّاني وأُمه بروخا. وكان له إِخوة انقرضوا وهو وصيّ أَبيه.

ابن خنوخ

خَنُوخ بمعجمتين بعد الأُولى نون بوزن ثَمُود. وقيل بزيادة أَلف في أَوله وسكون المعجمة الأُولى. وقيل كذلك لكن بحذف الواو الأُولى وقيل كذلك لكن بدل الخاء الأُولى هاء وقيل كالثاني لكن بدل المعجمة مهملة. وهو إِدريس النبي ﷺ فيما يزعمون.

روى الحاكم في المستدرك بسند واهٍ عن وهب رحمه الله تعالى أَنه سئل عن إِدريس

---

(١) ذكره العجلوني في كشف الخفا ٢٩٩/١ وعزاه الحاكم عن ابن مسعود موقوفاً وصحح إسناده وقال في الدرر المنتثرة: رواه الحاكم عن ابن مسعود وصححه انتهى. ولابن أبي حاتم والحاكم أيضاً لكن بسند ضعيف عن أبي هريرة.

(٢) أخرجه الترمذي (٢٩٥٥) وأبو داود (٤٦٩٣) وأحمد في المسند ٤٠٠/٤، والحاكم في المستدرك ٦١/٢، والطبري في التفسير ١٧٠/١، وابن سعد في الطبقات ٦/١/١، وأبو نعيم في الحلية ١٠٤/٢.

فقال: هو جد أَبي نوح. وقيل: جد نوح. قال الحافظ: والأَول أَوْلى، ولعل الثاني أَطلق ذلك مجازاً لأَن جد الأَب جد.

وقد نقل بعضهم الإِجماعَ على أَنه جد لنوح. قال الحافظ: وفيه نظر، فقد روى عَبْد بن حُمَيْد وابن أَبي حاتم بإِسناد حسن عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: إِلياس هو إِدريس ويعقوب هو إِسرائيل. وروى نحوه عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وسنده ضعيف.

ووجه الدلالة أَنه إِن ثبت أَن إِلياس إِدريس لزم أَن يكون من ذرية نوح لا أَن نوحاً من ذريته، لقوله تعالى في سورة الأَنعام: ﴿ونُوحاً هَدْينا من قبلُ ومن ذريته داود وسليمان﴾ إِلى أَن قال: ﴿وعيسى وإِلياس﴾ فدل على أَن إِلياس من ذرية نوح سواء أَقلنا إِن الضمير في قوله ﴿ومن ذرّيته﴾ لنوح أَو لإِبراهيم لأَن إِبراهيم كان من ذرية نوح فمن كان من ذرية إِبراهيم فهو من ذرية نوح لا محالة.

وذكر ابن إِسحاق رحمه الله تعالى في المبتدأ أَن إِلياس بن فنحاص بن العيزان بن هارون بن عمران عليهما الصلاة والسلام. وقال الحاكم في المستدرك: اختلفوا في نوح وإِدريس فقيل: إِن إِدريس قبله. قال: وأَكثر الصحابة على أَن نوحاً قبل إِدريس. كذا قال وقد جرى القاضي أَبو بكر بن العربي على أَن إِدريس لم يكن جد نوح وإِنما هو من بني إِسرائيل؛ لأَن إِلياس قد ورد/ أَنه من بني إِسرائيل واستدل على ذلك بقوله ﷺ ليلة الإِسراء للنبي ﷺ «مرحباً بالنبي الصالح والأَخ الصالح» ولو كان من أَجداده لقال كما قال آدم وإِبراهيم: والابن الصالح. وهو استدلال جيد. إِلا أَنه قد يجاب عنه بأَنه قال ذلك على سبيل التواضع والتلطف، وليس نصًّا فيما زعم. أَشار إِلى ذلك النووي.

وقول ابن إِسحاق إِن خنوخ هو إِدريس فيما يزعمون أَشار به إِلى أَن هذا القول مأْخوذ عن أَهلِ الكتاب. وقال المازريّ: ذكر المؤرخون أَن إِدريس جد نوح، فإِن قام الدليل على أَن إِدريس أُرسل لم يصح قول النسّابين إِنه قبل نوح لإِخبار النبي ﷺ في حديث الشفاعة: ائتوا نوحاً فإِنه أَول رسول بعثه الله إِلى أَهل الأَرض. وإِن لم يقم دليل جاء ما قالوا به وصح أَن إِدريس كان نبياً ولم يرسل.

قال السُّهيلي: وحديث أَبي ذر الطويل ينص على أَن آدم وإِدريس رسولان. انتهى. والحديث رواه الطبراني والحاكم وابن حِبّان وصححاه. وفيه أَن إِدريس كان نبياً رسولاً، وأَنه أَول من خطَّ بالقلم.

وروى الحاكم بسند ضعيف عن سمرة رضي الله تعالى عنه قال: كان إِدريس رجلاً أَبيض طويلاً ضخم البطن عريض الصدر قليل شعر الجسد كثير شعر الرأْس، وكانت

إحدى عينيه أَعظم من الأُخرى وكان في جسده نقطة بيضاء من غير مرض. قال ابن قتيبة وكان رقيق الصوت.

وسمي إدريس لكثرة ما كان يدرس من كتب الله وسنن الإسلام. وهو أَول من خاط الثياب ولبسها وكان مَنْ قَبْل يلبسون الجلود. واستجاب له أَلف إنسان ممن كان يدعوه. فلما رفعه الله تعالى اختلفوا بعده وأَحدثوا الأَحداث.

قال ابن قتيبة: وهو ابن ثلاثمائة وخمس وستين سنة.

وقال في المطلع: إدريس بالسريانية خنوخ. ومعناه كثير العبادة وأَما إدريس فاسم أَعجمي غير منصرف وقيل مشتق من الدرس والدراسة بمعنى الكتابة. وسمي به لكثرة ما درس من كتب الله عز وجل، فإنه كان يحفظ صحف آدم وصحف شيث على ظهر قلبه، وكانت صحف آدم إحدى وخمسين صحيفة وصحف شيث عشرين صحيفة، وصحفه خاصة ثلاثون، وكان يحفظ الجميع ويدرسه. وكان إدريس أَول من خاط وأَول من أخبر عن علم الهيئة والحساب وأَحكام النجوم بالتأييد السماوي. رفع الله تعالى عنه بدعائه إحساس حرارة الشمس، وعبدَ الله تعالى حتى تمنت الملائكة صُحبته.

ابن يرد

يَرْد بمثناة تحتية مفتوحة فراء ساكنة فدال مهملة ونقطَها الجوّاني. وعليه جرى الملك المؤيّد في تاريخه. قال ابن هشام في التيجان: اسمه في التوراة يارد عبراني وتفسيره ضابط. واسمه في الإنجيل بالسريانية يَرْد تفسيره بالعربي: ضبط أَي ضبط في الإِباء فعمل بأمر الله تعالى، فلما بلغ غاية الدعوة قبضه الله تعالى وعاش تسعمائة سنة واثنتين وستين سنة وهو وصيّ أَبيه. قال ابن حبيب ثمانمائة سنة وخمساً وتسعين سنة.

ابن مهلاييل

مَهْلاييل: بميم مفتوحة فهاء ساكنة فلام فأَلف. وقد يقال بالباء بعد اللام الأَولى. قال السهيلي معناه الممدّح قال في التيجان: وولي الأَرضَ بوصية من أَبيه. واسمه بالسريانية في الإنجيل مهلاييل وتفسيره بالعربي يسبح الله. فسار بأَمر الله، فلما بلغ الغاية من العمر قبضه الله، وعاش مائتي سنة وعشرين سنة قال السهيلي: وفي زمنه كان بَدْءُ عبادة الأَصنام.

ابن قينن

قَيْنن: بقاف مفتوحة فمثناة تحتية ساكنة فنونين الأُولى منهما مفتوحة وزن جَعْفر ويقال قينان بالأَلف قال في التيجان: قينان عبراني وتفسيره باللسان العربي مستوى واسمه في الإنجيل

قانيان وتفسيره بالعربي عيسى. وهو وصي أَبيه. وخليفته. وقام بحق الله تعالى، وبلغ من العمر مائة سنة وعشرين سنة قال في النُّور: قال بعض مشايخي إِن قينان هو الذي بنى أَنطاكية.

ابن يانش

يانَش: بمثناة تحتية فنون مفتوحة فشين معجمة. ويقال أَنوش بفتح الهمزة وضم النون. قال في التيجان: هو باللسان السرياني: إِنوش بكسر الأَلف وتفسيره باللسان العربي صادق. وهو ولِيَ أَمرَ الله تعالى في الأَرض فعمل بطاعة الله حتى بلغ من العمر تسعمائة وخمسين سنة. قال السهيلي: وهو أَول من غرس النخلة وبوَّب الكعبة وبذر الحبة. وقال أَبو الحسن بن الأَشرف أَبي العباس أَحمد بن القاضي الفاضل رحمه الله تعالى أَول من زرع الحبة آدم، فإِنه كان يحرث ويزرع قال الجواني: وأُمه لبود بنت آدم وله إِخوة بنون وبنات انقرضوا.

ابن صيث

شيث: بشين معجمة مكسورة فمثناة تحتية ساكنة فثاء مثلثة ويقال فيه شياث بإِمالة الشين وبالصرف فيهما ويقال بلا صرف. ويقال فيه شَيّث بفتح الشين وتشديد الياء بلا صرف وتفسيره هِبَة الله ويقال عطية الله. وقال ابن هشام: نُصب لأَن عليه وعلى ذريته نُصبت الدنيا، وكان أَجمل ولد آدم وأَفضلهم وأَشْبَههم به وأَحبَّهم إِليه، وكان وصيَّ أَبيه ووليَّ عهده، وهو أَبو البشر كلهم، وإِليه انتهت أَنساب الناس، وعاش تسعمائة سنة وإِثنتي عشرة سنة.

ابن آدم

آدم ﷺ: يكنى أَبا البشر وآدم والخليفة. فأَما آدم فقيل إِنه سريانيّ وهو عند أَهل الكتاب آدام بإِشباع فتحة الدال بوزن خاتام، ووزنه فاعال وامتُنع من الصرف للعُجْمة والعلمية. وقال الثعلبي: التراب بالعبرانية آدام فسمي به آدم، وحذفت منه الأَلف الثانية وقيل هو عربي، وجزم به الجوهري والجواليقي. ولم يحك في المَطْلع غَيْرَه.

واختلف في اشتقاقه فقيل هو بوزن أَفْعَل من الأُدْمة وقيل من الأَدِيم لأَنه خُلق من أَديم الأَرض. رواه الفِرْيابي وابن سعد وابن جرير وابن أَبي حاتم والحاكم وصححه.

وروى ابن سعد وعبد بن حُميد وابن جرير عن سعيد بن جبير رحمه الله تعالى قال: تدرون لم سمِّي آدم؟ لأَنه خُلق من أَدِيم الأَرض ووجُهوه بأَن يكون كأَعْيَن ومنع من الصرف للوزن والعلمية، وقيل هو من أَدَمْتُ بين الشيئين إِذا خلطتُ بينها، لأَنه كان ماء وطيناً فخلطا جميعاً. وقال قاسم بن ثابت في الدلائل عن محمد بن المستنير قطْرب: إِنه لو كان من أَدِيم الأَرض لكان على وزن فاعل وكانت الهمزة فيه أَصلية فلم يكن يمنعه من الصرف مانع، وإِنما

هو على وزن أَفعل من الأدْمة. قال السهيلي: وهذا القول ليس بشيء لأَنه لا يمتنع أَن يكون من الأَديـم ويكون على وزن أَفعل تدخل الهمزة الزائدة على الهمزة الأَصلية كما تدخل على همزة الأدمة.

وأَما الخليفة فلقوله تعالى: ﴿إِنِّي جاعلٌ في الأَرضِ خَلِيفةً﴾ والخَلِيف والخليفة: من يَخْلُف مَنْ تقدَّمه، وكان آدم خلف قوماً من الخلق يسمون الجان، ولأَنه ناب مناب ملائكة السماء.

وأَما البشر فلقوله تعالى: ﴿إِنِّي خالقٌ بشراً من طين﴾ وقيل: وسمي بشراً لمباشرته أَعظمَ الأُمور. وقيل لِمَا كان في وجهه من البِشْر والبَشَاشة.

وأَما الإِنسان فلقوله تعالى: ﴿هل أَتى على الإِنسان حينٌ من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً﴾ وسمي بذلك لأُنسه بجنسه فإِن الإِنسان من اجتمع فيه اثنتان: أُنْسه بالغير وأُنس الغير به. وقيل: اشتقاقه من النَّوس وهو الحركة لكثرة حركته فيما يتحراه. وقيل: من الإِيناس وهو الإِبصار لأَنه يدرك ببصره الظاهر وببصره الباطن.

واختلفت الآيات فيما بدئ من خلق آدم، ففي موضع: ﴿خلَقه من تراب﴾ وفي موضع ﴿من طينٍ لازبٍ﴾ وفي موضع ﴿من حَمَأٍ مَسْنون﴾ وفي موضع ﴿من صَلْصَالٍ كالفخَّار﴾ قال العلماء: وهذه الآيات راجعة إِلى أَصل واحد وهو التراب الذي هو أَصل الطين، فأَعلمنا الله تعالى أَنه لمَّا خلقه من تراب جعله طيناً، ثم انتقل فصار حمأً مسنوناً، ثم انتقل. فصار صَلْصالاً كالفخَّار. قال الثعلبي في قوله تعالى حكاية عن إِبليس أَنه قال: ﴿خلقْتني من نار وخَلَقْته من طِين﴾ قال العلماء أَخطأَ عدو الله تعالى في تفضيله النار على الطين، لأَن الطين أَفضل من النار، لوجوه **أَحدها:** أَن من جَوْهر الطين الرزانةَ والسُّكون والوقار والحِلْم والأَناة والحياء والصبر، وذلك سبَّب توبة آدم وتواضعه فأَورثه المغفرة والاجتباء والهداية. ومن جوهر النار الخِفَّةُ والطيش والحِدّة والارتفاع والاضطراب، وذلك سبَّب استكبار إِبليس فأَورثه اللعنة والهلاك.

الثاني: أَن الجنة موصوفة بأَن ترابها المسك ولم يُنْقل أَن فيها ناراً.

الثالث: أَنها سبب العذاب بخلاف الطين.

الرابع: أَن الطين سَبب جَمْع الأَشياء والنار سبب تفرقها وفي صحيح مسلم عن النبي ﷺ أَنه قال: «إِنّ الله خَلق آدم يوم الجمعة»[1].

(١) أخرجه مسلم ٢/٥٨٥ كتاب الجمعة (١٧- ٨٥٤).

وفضَّل الله تعالى آدم بأُمور: خلَقه بيده وأَسْجد له ملائكته، وأَسكنه جنته واصطفاه، وكرَّم ذريته وعلَّمهم جميع الأَسماء، وجعله أَول الأَنبياء وعلَّمه ما لم تعلم الملائكة المقربون، وجعل من نَسْله الأَنبياء والمرسلين والأولياء والصِّديقين. واشتهر في كتب التواريخ أَنه عاش أَلف سنة ﷺ. وقد بسطت الكلام على الأَنبياء المذكورين في النسب الشريف مع تراجم بقية الأَنبياء في كتاب الجواهر النفائِس في تحبير كتاب العرائِس أَعان الله على إِكماله وتحريره.

الباب الخامس

في معنى قوله صلى الله عليه وسلم: «أنا ابن العواتك والفواطم»

روى سعيد بن منصور والطَّبَراني وابن عساكر بسند رجاله ثقات وصححه الحافظ الناقد ضياء الدين المقْدِسيّ في المختارة عن سِيَابة بن عاصم[1] رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أنا ابنُ العَوَاتك من سُلَيْم**» سِيَابة بمهملة مكسورة ثم مثناة تحتية مخففة فموحدة[1].

وروى ابن عساكر عن قتادة مرسلاً أَن رسول الله ﷺ قال في بعض غزواته «**أنا النبي لا كذِب، أنا ابن عبد المطلب أنا ابن العواتك**»[2].

وروي عن علي رضي الله تعالى عنه أَن رسول الله ﷺ أَجْرَى فرسَه مع أَبي أَيوب الأَنصاري فسبقه فقال: «**أَنا ابن العواتك إِنه لهُو الجواد البَحْر**» يعني فرسه.

وروى ابن عساكر عن أَبي بكر بن البَرْقي قال حدثني بعض الطالبيين قال: يُرْوى أَن رسول الله ﷺ قال يوم أُحد: «**أَنا ابن الفَوَاطم**»[3].

قال في القاموس: عتَك يَعْتِك: كرَّ في القتال. ثم قال: وعتكت المرأةُ: شَرُفت ورَأَسَتْ. ثم قال: والعاتك: الكريم والخالص من الأَلوان. ثم قال: والعاتكة[4] من النخل التي تتأَبَّر والمرأَة المُحْمرَّة[5] من الطيب.

وقال ابن سعد: العاتكة في اللغة: الطاهرة. قال في الصحاح والقاموس: العواتك من جدات النبي ﷺ تسع: ثلاث من بني سليم: عاتكة بنت هلال بن فالج أَي بالجيم بن هلال أُم جدّ هاشم. وعاتكة بنت مُرّة بن هلال بن فالج أُم هاشم. وعاتكة. بنت الأَوْقَص بن مُرّة بن هلال أُم وهب أُم عبد مناف بن زهرة جد رسول الله ﷺ من قِبَل أُمّه آمنة بنت وهب.

وسائر العواتك أُمهات رسول الله ﷺ من غير بني سُلَيْم.

وجرى في النهاية على أَن العواتك من بني سليم ثلاثة، لكنه قال عاتكة بنت هلال بن فالج هي أُم عبد مناف أَبو قُصَي وعلى ما ذكره في الصحاح والقاموس تكون أُم قصي والد

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير ٢٠١/٧، والبيهقي في دلائل النبوة ١٣٥/٥، وابن كثير في البداية والنهاية وذكره الهيثمي في المجمع ٢٢٢/٨ وعزاه للطبراني وقال: رجاله رجال الصحيح.

(٢) أخرجه البخاري ٨١/٦ عن البراء دون قوله «أنا ابن العواتك» (٢٨٦٤).

(٣) أخرجه في تهذيب تاريخ دمشق ٢٨٩/١.

(٤) في أ: والعاتك.

(٥) في أ: المخمرة.

عبد مناف وعلى كل حال فقد قيل في اسم أُم قصي وأُم ولده عبد مناف غير ذلك كما تقدم. فإما أَن يكون لكل واحدة منهما إسمان، أَو أَحدهما الاسم والآخر اللقب.

قال في النهاية: فالأُولى من العواتك عمة الثانية، والثانية عمة الثالثة.

وروى ابن عساكر عن أَبي عبد الله العدَوي رحمه الله تعالى أَن العواتك من جداته ﷺ أَربع عشرة: ثلاث قرشيات وأَربع سلميات وعدوانيتان وهُذَلية وقَحطانية وثَقَفية وأسدية أسد خزيمة وقُضاعية.

وذكر ابن سعد رحمه الله تعالى أَن الفواطم من الجدات عَشر وسَردهن ولكثرة الخلاف في أَسماء آباء العواتك والفواطم أَضربتُ عن ذكرهن.

والحاصل أَنهن من جملة الجدات الطاهرات، وخُصصن بالذكر إما لمزيد شرفهن على غيرهن، وإما لشهرتهن، وإما لغير ذلك.

قال الإمام الحليمي[1] رحمه الله تعالى: لم يُردْ ﷺ بذلك الفخر إنما أَراد تعريف منازل المذكورات ومراتبهن. كرجل يقول: كان أَبي فقيهاً. لا يريد به الفخر وإنما يريد به تعريف حاله دون ما عداه. قال: وقد يكون أَراد به الإشارة لنعمة الله تعالى على نفسه وآبائه وأُمهاته على وجه الشكر، وليس ذلك من الاستطالة والفخر في شيء والله تعالى أَعلم.

(١) الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم القاضي، أبو عبد الله الحليمي البخاري. قال الحاكم: أوحد الشافعيين بما وراء النهر، وأنظرهم وآدبهم بعد أستاذيه أبوي بكر القفال والأودني. وكان مقدماً فاضلاً كبيراً، له مصنفات مفيدة ينقل منها الحافظ أبو بكر البيهقي كثيراً. وقال في النهاية: كان الحليمي رجلاً عظيم القدر، لا يحيط بكنه علمه إلا غواص. ولد سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة، ومات في جمادى ـ وقيل: في ربيع ـ الأول سنة ثلاث وأربعمائة. ومن تصانيفه «شعب الإيمان». انظر الطبقات لابن قاضي شهبة ١/١٧٨، ١٧٩، والأعلام ٢/٢٥٣ ووفيات الأعيان ١/ ٤٠٣، وتذكرة الحفاظ ٣/١٠٣٠.

جماع أبواب مولده الشريف صلى الله عليه وسلم

البـــاب الأول

في سبب تزويج عبد المطلب ابنه عبد الله امرأة من بني زهرة

روى ابن سعد وابن البرْقي والطبراني والحاكم وأَبو نُعَيْم عن العباس بن عبد المطلب عن أَبيه قال: قدمنا اليمنَ في رحلة الشتاء فنزلت على حَبْر من اليهود فقال لي رجل من أَهل الزَّبور، يعني الكتاب: ممن الرجل؟ قلت من قريش. قال من أَيهم؟ قلت: من بني هاشم. قال: أَتأْذن لي أَن أَنظر إِلى بعضك؟ قلت: نعم، ما لم يكن عورة. قال ففتح إِحدى مِنْخَرِيَّ فنظر فيه ثم نظر في الآخر فقال: أَشهد أَن في إِحدى يديك مُلْكاً وفي الأُخرى نبوة وإِنا نجد ذلك في بني زُهْرة فكيف ذلك. قلت: لا أَدري قال هل لك من شاعة قلت: وما الشاعة؟ قال الزوجة. قلت؛ أَمّا اليوم فلا. فقال: إِذا رجعت فتزوج منهم فلما رجع عبد المطلب إِلى مكة تزوج هالَة بنت أُهَيْب بن عبد مناف وزوَّج ابنَه عبدَ الله آمنة بنت وهب فولدت له رسولَ الله ﷺ. فقالت قريش: فلَج عبدُ الله على أَبيه.

الشاعة: بشين معجمة وعين مهملة: الزوجة سميت بذلك لمتابعتها الزوجَ وشِيعة الرجل أَتباعه وأَنصاره. فَلَج بفتح أَوله وثانيه: ظفر بما طلب.

وروى البيهقي وأَبو نعيم عن ابن شهاب رحمه الله تعالى قال: كان عبد الله أَحسنَ رجل رُئِي قط، خرج يوماً على نساء قريش فقالت امرأَة منهن: أَيتكنَّ تتزوج بهذا الفتى فتَصْطَبُ النورَ الذي بين عينيه فإِني أَرى بين عينيه نوراً؟ فتزوجته آمنة بنت وهب.

تصطب: تَسْكُب وتُدْخل.

وروى الزُّبَيْر بن بكَّار عن أَن سَوْدة بنت زُهْرة بن كلاب الكاهنة قالت يوماً لبني زهرة: إِن فيكم نذيرة أَو تلد نذيراً فاعرضوا عليّ بناتكم. فعرضْنَ عليها فقالت في كل واحدة منهن قولاً ظهر بعد حين، حتى عُرضت عليها آمنة بنت وهب فقالت هذه: النذيرة أَو تلد نذيراً له شأْن وبرهان منير. ولما سئلت عن جهنم قالت: سيُخْبركم عنها النذير.

الباب الثاني

في حمل أمنة برسولِ الله صلى الله عليه وسلم وما وقع في ذلك من الآيات

روى البيهقي من طريق يونس بن بُكَيْر عن ابن إسحاق رحمه الله تعالى قال: إن عبد المطلب أَخذ بيد إِبنه عبد الله فمرَّ به فيما يزعمون على امرأَة من بني أَسد بن عبد العُزَّى بن قُصَيّ فقالت له حين نظرت إلى وجهه أَين تذهب يا عبد الله؟ فقال مع أَبي. فقالت لك عندي من الإبلِ مثلِ الذي نُحرتْ عنك وقَعْ عليَّ الآن فقال لها: إني مع أَبي لا أَستطيع خِلافَه ولا فراقه ولا أُريد أَن أَعصيه شيئاً. فخرج به عبد المطلب حتى أَتى به وهبَ بن عبد مناف بن زُهْرة ووهبٌ يومئذ سيِّد بني زهرة نسَباً وشرفاً فزوَّجه آمنةَ بنت وهب بن عبد مناف، وهي يومئذ أَفضل امرأَة من قريش نسباً وموضعاً. فذكروا أَنه دخل عليها حين أُمْلِكها مكَانه، فوقع عليها عبدُ الله فحملتْ برسول الله ﷺ، ثم خرج فمرَّ على تلك المرأَة التي قالت له ما قالت فلم تقل شيئاً، فقال لها: ما لك لا تعرضين عليّ اليوم مثلَ الذي عرضتِ بالأَمس؟ فقالت: فارقك النورُ الذي معك بالأَمس فليس لي بك اليوم حاجة.

وكانت تسمع من أَخيها ورقة بن نوفل، وكان قد تنصَّر في الجاهلية واتبع الكتب يقول: إنه لَكائِن في هذه الأُمة نبيّ من بني إسماعيل. فقالت في ذلك شعراً واسمها أم قتَّال:

الآنَ وَقَدْ ضَيَّعْتَ مَا كُنْتَ قَادِراً ... عَلَيْهِ وَفَارَقَكَ النُّور الذي جاءني بِكَا

غدَوْتَ عَلَيْنا حَافِلاً فَلاَ قَدْ بَذَلْتَه ... هُنَاكَ لغَيْرِي فالْحَقَنَّ بشأْنِكَا

وَلاَ تَحْسَبَنِّي الْيومَ خِلْواً ولَيتَنِي ... أَصَبْتُ جَنِيناً مِنْكَ يَا عَبْدَ دَارِكَا

وَلَكِنَّ ذَا كَمْ صَارَ فِي آلِ زُهْرَةٍ ... بِهِ يَدْعَمُ اللَّهُ البَرِيَّةَ نَاسِكَا

وقالت أَيضاً:

عَلَيْكَ بِآل زُهرةَ حَيْثُ كَانُوا ... وَآمِنَةَ الَّتِي حَمَلتْ غُلاَمَا

تَرَى المَهْدِيَّ حينَ تَرَى عَلَيْهَا ... ونُوراً قَدْ تَقَدَّمَهُ أَمَامَا

فَكُلُّ الخَلْقِ يَرْجُوهُ جَمِيعاً ... يَسُودُ النَّاسَ مُهْتَدِياً إمَامَا

بَرَاهُ اللَّهُ مِنْ نُورٍ صَفَاءً ... فَأَذْهَبَ نُورُه عنا الظَّلاَمَا

وذَلِكَ صُنْعُ رَبِّي إذْ حَمَاهُ ... إذَا مَا سَارَ يَوْماً أَوْ أَقَامَا

فيَهْدِي[1] أَهلَ مكةَ بَعْد كُفرٍ ... وَيَفْرِضُ بَعْدَ ذَلِكُمُ الصِّيَامَا

---

(١) في أ: فهدى.

قصة أَخرى.

روى أَبو نُعَيْم والخرائطيّ[1] وابن عساكر من طريق عطاء عن ابن عباس والبيهقي، وأَبو نعيم، وابن عساكر عن عِكْرمة عنه، وابن سعد، عن أَبي الفَيَّاض الخَثْعمي وابن سعد، عن أَبي يزيد المدِينيّ، أَن عبد المطلب لمّا خرج بابنه ليزوجه مرّ به على امرأة كاهنة من أَهل تبَالة متهوّدة قد قرأَت الكتب يقال لها فاطمة بنت مُر الخَثْعمية فرأَت نورَ النبوة في وجه عبد الله فقالت: يا فتى هل لك أَن تقع عليّ الآن وأُعطيك مائة من الإبل؟ فقال عبد الله:

أَمّا الحَرَامُ فَالْمَمَاتُ دُونَه　　والحِلُّ لا حِلَّ فأَسْتبينَهُ[2]
فَكَيْفَ بِالأَمْرِ الَّذِي تَبْغِينَهُ　　يَحْمِي الْكَرِيمُ عِرْضَه ودِينَهُ

ثم مضى مع أَبيه فزوّجه آمنة بنت وهب فأَقام عندها ثلاثاً، ثم مرَّ على تلك المرأَة فلم تقل له شيئاً، فقال لها: مالِك لا تعرضين عليّ ما عرضت علي بالأَمس؟ فقالت: من أَنت؟ قال: أَنا فلان. قالت: ما أَنت هو، ولئِن كنت ذاك لقد رأَيتُ بين عينيك نوراً ما أَراه الآن، ما صنعتَ بعدي؟ فأَخبرها. فقالت: والله ما أَنا بصاحبة ريبةٍ ولكن رأَيت في وجهك نوراً فأَردت أَن يكون فيَّ وأَبى الله إلا أَن يجعله حيث أَراده اذهب فأَخبِرْها أَنها حملت خيرَ أَهلِ الأَرض ثم أَنشأَت تقول:

إِنِّي رأَيتُ مَخِيلةً لمَعَت　　فتَلألأَتْ بحَنَاتِم القَطْرِ
فَلِمَائِهَا نُورٌ يُضِيءُ لَهُ　　مَا حَوْلَهُ كَإِضَاءَةِ البَدْرِ
وَرَجَوتُها فَخْراً أَبُوءُ بِه　　مَا كُلُّ قَادِحِ زِنْدَه يُورِي
لِلّهِ مَا زُهْرِيّةٌ سَلَبَتْ　　ثوبيك ما استلبتْ وما تدرِي

وقالت أَيضاً:

بَني هَاشِمٍ قَدْ غَادَرَتْ من أَخِيكُم　　أُمَيْنةُ إذ لِلْبَاه يَعْتَلِجَان
كَمَا غَادَرَ المِصْباحُ بَعْدَ خُبوِّه　　فَتَائِلُ قَد مِيثَتْ لَهُ بِدِهَانِ
ومَا كلُّ ما يَحْوِي الفَتَى مِنْ تِلاَدِه　　بِحَزْمٍ وَلاَ مَا فَاتَهُ بِتَوَانِي
فأَجْمِلْ إِذَا طَالَبْتَ أَمْراً فإِنَّهُ　　سَيَكْفِيكَهُ جَدَّانِ يَصْطَرِعَانِ

---

(١) محمد بن جعفر بن محمد بن سهل، أبو بكر الخرائطي السامري: فاضل، من حفاظ الحديث. من أهل السامرة بفلسطين، ووفاته في مدينة يافا. من كتبه «مكارم الأخلاق ـ ط» و «مساوئ الأخلاق ـ خ» و «اعتلال القلوب ـ خ» في أخبار العشاق، و «هواتف الجان وعجائب ما يحكى عن الكهان ـ خ» و «فضيلة الشكر ـ خ. توفي سنة ٣٢٧هـ. انظر الأعلام ٧٠/٦، وشذرات الذهب ٣٠٩/٢.

(٢) البيتان في الروض الأنف ١٨٠/١، والبداية والنهاية ٢٥٠/٢.

سَيَكْفِيكَهُ إمَّا يَدٌ مُقْفعِلَّةٌ وإمَّا يَدٌ مَبْسوطَةٌ ببَنَانِ
وَلَمَّا قَضَتْ مِنْهُ أُمَيْنَةُ مَا قَضَتْ نَبا بَصِري عَنْهُ وكَلَّ لِسَانِي[1]

وروى ابن سعد، عن يزيد بن عبد الله بن وهب بن زَمْعة عن عمه، والبيهقي عن ابن إسحاق رحمهما الله تعالى قال: كنا نسمع أَن رسول الله ﷺ لما حملت به آمنة كانت تقول: ما شعرت أَني حملتُ به ولا وجدت ثِقَله كما تجد النساء إلا أَنني أَنكرت رفع حَيْضتي وربما ترفعني وتَعُود وأَتاني آتٍ وأَنا بين النائم واليقظان فقال لي هل شعرتِ أَنك حملت؟ فأَقول: ما أَدري فقال: إنك حملتِ بسيد هذه الأمة ونبيها وذلك يوم الإثنين وآية ذلك أَنه يخرج معه نور يملأ قصور بُصْرى من أَرض الشام، فإذا وضع فسمِّيه محمداً. قالت: فكان ذلك مما يَقَّن عندي الحملَ، ثم أَمهلني حتى إذا دنتْ ولادتي أَتاني ذلك فقال قولي:

أُعيذُه بالْواحِدِ مِنْ شرِّ كُلِّ حَاسِدِ

قالت: فكنت أَقول ذلك فذكرته لنسائي فقلن: تعَلَّقِي عليكِ حديداً وفي عضديك وفي عنقك. ففعلتُ فلم يكن يُتْرك عليّ إلا أَياماً فأَجده قد قُطع، فكنت لا أَتعلَّقه.

[ولبعضهم شعر:]

حَمَلَتْهُ آمنةٌ وَقَدْ شَرُفَت بِهِ وَتَبَاشَرَتْ كُلُّ الأَنَامِ بقُرْبِهِ
حَمْلاً خفيفاً لَمْ تَجِدْ أَلماً بِهِ وَتَبَاشَرَتْ وَحْشُ الفَلاَ فَرَحاً بِهِ
واسْتَبْشَرَتْ من نُورِهِنَّ وَكَيْفَ لاَ وَهُوَ الغِيَاثُ وَرَحْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ

قولها: ولا وجدتُ له ثقلاً: قال في الزُّهْر في حديث شدَّاد عكسه، وجُمع بأَن الثقل في ابتداء الحمل والخفة عند استمراره ليكون ذلك خارجاً عن المعتاد. قلت: وبذلك صرَّح الحافظ أَبو نُعَيْم رحمه الله تعالى.

وعن بُرَيْدة وابن عباس رضي الله تعالى عنهما قالا: رأَت آمنة وهي حامل برسول الله ﷺ فقيل لها: إنك حبلى بخير البرية وسيد العالمين، فإذا ولدتيه فسميه أَحمد أَو محمداً أَو علقي عليه هذه. فانتبهت وعند رأْسها صحيفة من ذهب مكتوب عليها:

أُعيذُه بالْواحِدِ مِنْ شرِّ كُلِّ حَاسِدِ
وَكُلِّ خَلْقٍ زَائِدِ مِنْ قَائِمٍ وَقَاصِدِ
عَنِ السَّبِيلِ حَائِدِ عَلَى الْفَسَادِ جَاهِدِ
مِنْ نَافِثٍ أَوْ عَاقِدِ وَكُلِّ خَلْقٍ مَارِدِ

---

(١) الأبيات في الروض الأنف ١/١٨٠، والبداية والنهاية ٢/٢٥٠.

يَـأْخُـذُ بِـالْـمَـرَاصِـدِ فِـي طُـرُقِ الْـمَـوَارِدِ

أَنهاهم عنه بالله الأَعلى، وأَحُوطه منهم باليد العليا والكنف الذي لا يُرَى، يدُ الله فوق أَيديهم وحجاب الله دون عادِيهم، لا يَطْردونه ولا يَضُرّونه في مَقْعد ولا منَام ولا سَيْر ولا مُقَام، أَول الليل وآخر الأَيام.

رواه أَبو نُعَيْم وسنده واهٍ جداً، وإِنما ذكرته لأَنبّه عليه لشهرته في كتب المواليد.

قال الحافظ أَبو الفضل العراقي في مولده إِن من قوله «وعلقي عليه هذه» إِلى آخره أَدرجه بعضُ القُصَّاص.

وروى البيهقي عن أَبي جعفر محمد بن علي رضي الله تعالى عنهما قال: أُمرت آمنة وهي حُبْلى برسول الله ﷺ أَن تسميه أَحمد.

وروى الحاكم وصححه البيهقي عن خالد بن مَعْدَان عن أَصحاب رسول الله ﷺ أَنهم قالوا؟ يا رسول الله أَخْبرنا عن نفسك. قال: **«أَنَا دَعوةُ أَبي إِبراهيم وبُشْرى عيسى، ورأَت أُمي حين حملتْ بي كأَنه خرج منها نورٌ أَضاءت له قصورُ بُصْرَى من أَرض الشام»**.

وروى ابن سعد وابن عساكر عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أَن آمنة قالت: لقد عَلِقْتُ به فما وجدت له مشقةً حتى وضعته.

واختلفوا في يوم ابتداء الحمل فقيل: في أَيام التشريق. وعليه فيكون مولده في رمضان وقيل في عاشوراء وقيل غير ذلك.

قال أَبو زكريا يحيى بن عائذ رحمه الله تعالى في مولده: بقي ﷺ في بطن أمه تسعة أَشهر كُمَّلاً لا تشكو وجعاً ولا مغصاً ولا ريحاً ولا ما يَعْرض لذوات الحمل من النساء.

قال في الغُرَر: وهو الصحيح. وقيل: كانت مدة الحمل عشرة أَشهر. وقيل ثمانية. وقيل سبعة.

تنبيـهـان

الأَول قال الحافظ أَبو الفضل العراقي رحمه الله تعالى: وسيأْتي أَنها رأَت النور أَيضاً خرج منها عند الولادة. وهذا أَولى لتكون طُرُقُه متصلة. ويجوز أَن يكون خرج منها النور مرتين مرة حين حملت به ومرة حين وضعته ولا مانع من ذلك. ولا يكون بين الحديثين تعارُض انتهى.

وقال الشيخ رحمه الله تعالى: قوله حين «حملت به» هي رؤيا منام وقعت في الحمل،

وأَما ليلة المولد فرأَت ذلك رؤية عين كما سيأْتي.

الثاني: في شرح غريب ما تقدم:

الآن: اسم للوقت الذي أَنت فيه: جاء فعل ماضي قصَره للنظم. بِكَا: بمعنى مع. أَي فارقك النور الذي كان معك. حافلاً: بالحاء المهملة أَي ممتلئاً من النور أَو المنّى. الشأْن: الأَمر والحال والخطب. خلْواً: أَي خالية من الزوج. أَصبت: أَدركت. جنيناً بالجيم كما في خط مغلطاي في الزهر. وفي نسخة صحيحة من دلائل النبوة بالحاء المهملة وموحّدتين. قد أَعم. بعين مهملة. وفي نسخة: به يَدْعم الله البرية بمثناة تحتية فدال فعين مهملتين أَي يقوّمها. البَرِيّة: الخلق تَرا عليها: أَي واقعها، براه: خلعه. الصفاء: ممدود خلاف الكدَر. حبّاه بالمهملة والموحدة أَي أَعطاه. تَبَالة. بتاء مثناة فوقية فباء موحدة مفتوحتين: بلد صغير من اليمن. مَخِيلة بميم مفتوحة فخاء معجمة مكسورة. موضع الخيل، وهو الظن، كالمظِنّة، وهي السحابة الخليقة بالمطر ويجوز أَن تكون مسماة بالمخيلة التي هي المصدر كالمحبسة من الحبس.

الحنَاتم: بحاء مهملة فنون فأَلف فمثناة فوقية: سحائب سُود، لأَن السواد عندهم خضرة. أَبُوء به: أَرجع. الزَّنْد وزان فَلْس: الذي يُقدح به النار وهو الأَعلى، وهو مذكر والسفلى زِنْدة بالهاء ويجمع على زِنَاد. يُورِي: يوقد.

غادرت: تركت أُمَيْنة تصغير آمن. خبّوه. طَفْئة مِيثٌ: بمثناة تحتية فثاء مثلثة يقال: ماث فلان الدواء يَميثه مَيْثاً. ويَمُوثه مَوْثاً مَرَسه التّلاَد والتالد والتليد: المال القديم. وخِلاَفه: الطارفُ والطَّرِيف.

جَدَّان: الجد بفتح الجيم الحظ. والجد: الغنى. مُقْفَعِلّة: بقاف ففاء فعين مهملة: أَي منقبضة يقال اقفعلت يده إِذا انقبضت وتشنجت. البنَان: الأَصابع وقيل أَطرافها الواحدة بنانة. نبا: ارتفع. كَلّ يقال كَلّ من الإِعياء كلالاً وكَلاَلَةً. والبصرُ واللسان كلّةً وكلولاً. ما شعَرَتْ. بفتح أَوله وثانيه: أَي ما علمت. ثَقَلَه بثاء مثلثة فقاف فلام مفتوحات أَي ثقلاً وفتوراً حِيضتي. بكسر الحاء المهملة: الاسم من الحيض والحال التي تلزمها الحائض من التجنب. فأَما الحَيْضة بالفتح فالمرة الواحدة من رفع الحيض ونوبه. وقولها: وأَبا بين النائم واليقظان على إِرادة الشخص. والله تعالى أَعلم.

الباب الثالث

في وفاة عبد الله بن عبد المطلب

قال ابن إسحاق رحمه الله تعالى. ثم لم يلبث عبد الله بن عبد المطلب أن توفي وأُم رسول الله ﷺ حامل به.

هذا ما جزم به ابن إسحاق ورجحه الواقدي وابن سعد والبلاذري، وصححه الذهبي وقال ابن كثير إنه المشهور. وقال ابن الجوزي: إنه الذي عليه مُعْظم أَهل السِّيَر، ورواه الحاكم وصححه، وأقره الذهبي عن قيس بن مخرمة رضي الله تعالى عنه.

قال غير ابن إسحاق: وذلك حين تمّ لها شهران. وقيل إن رسول الله ﷺ كان في المهْد حين توفي أَبوه. وعليه فقيل وله شهران. وقيل ثمانية وعشرون شهراً. وقيل تسعة أَشهر، ونقل السُّهيْليّ عن الدُّولابيّ أنه قول الأكثرين قلت: والحق أَنه قول كثيرين لا أَكثرين.

وروى ابن سعد عن محمد بن كعب، وعن أَيوب بن عبد الرحمن بن أَبي صعصعة رحمهما الله تعالى قالا: خرج عبد الله إلى الشام إلى غزة في عير من عيرات قريش يحملون تجارات، ففرغوا من تجاراتهم، ثم انصرفوا فمروا بالمدينة وعبد الله يومئذ مريض، فقال: أتخلف عند أَخوالي بني عَدِي بن النجار. فأَقام عندهم مريضاً شهراً ومضى أَصحابُه فقدِموا مكة فسأَلهم عبد المطلب عن ابنه فقالوا: خلَّفناه عند أَخواله بني عدي بن النجار مريضاً، فبعث عبد المطلب أَكبرَ ولده الحارث فوجده قد توفي ودفن في دار النابغة فرجع فأَخبره فوَجِد عليه عبدُ المطلب وعماته. وإخوته وأَخواته وجْداً شديداً. ورسولُ الله ﷺ حَمْل، ولعبد الله بن عبد المطلب يومَ توفي خمس وعشرون سنة.

قال الواقديّ: وهذا أَثبت الأَقاويل في وفاة عبد الله وسنّه. وقال الحافظ العَلائيّ وابن حَجَر إن عمره كان يوم توفي ثماني عشرة سنة قال الواقدي: ولم يتزوج عبدُ الله قط غير آمنة. وآمنة لم تتزوج قط غير عبد الله.

أَخَذَ الإِلَهُ أَبَا الرَّسُولِ وَلَمْ يَزَلْ ... بِرَسُولِهِ الفَرْدِ اليَتِيمِ رَحِيمَا

نَفْسِي الفِداءُ لِمُفْرَدٍ في يُتْمِهِ ... والدُّرُّ أَحْسَنُ ما يَكُونُ يَتِيمَا

لطيفة: نقل أَبو حَيَّان في بحره وغيره عن جعفر الصادق رضي الله تعالى عنه قال: إنما يتم رسولُ الله ﷺ لئلا يكون عليه حقٌّ لمخلوق.

وقال ابن العِمَاد في كشف الأَسرار: إنما ربَّاه يتيماً لأَن أَساس كل كبير صغير وعقبى كل حقير خطير. وأَيضاً لينظر ﷺ إذا وصل إلى مَدَارج عِزِّه إلى أَوائل أَمْره ليعلم أَن العزيز من

أَعزَّه الله تعالى وأَن قُوَّته ليست من الآباء والأُمهات ولا من المال بل قُوّته من الله تعالى. وأَيضاً ليرحم الفقير والأَيتام.

وقالت آمنة أُم رسول الله ﷺ تَرْثي زوجَها. كما ذكر ذلك ابن إسحاق في المبتَدأ وابن سعد في الطبقات. رحمهما الله تعالى.

عَفَا جَانِبُ البَطْحَاءِ مِن ابْنِ هَاشِمِ وَجَاوَرَ لَحْداً خَارِجاً في الغَمَاغِمِ
دَعَتْهُ المَنَايَا بَغْتَةً فَأَجَابَها وَمَا تَرَكَتْ فِي النَّاسِ مثلَ ابنِ هَاشِمِ
عَشِيَّةَ رَاحُوا يَحْمِلُونَ سَرِيرَه يُعَاوِرُهُ أَصْحَابُهُ في التَّزَاحُمِ
فَإِنْ يَكُ غَالَتْهُ المَنَايَا وَرَيْبُهَا فَقَدْ كَانَ مِعْطَاءً كَثِيرَ التراحمِ

وقالت أَيضاً، أَورده القاسم الوزيري المغربي رحمه الله تعالى ورضي عنه ترثي عبدَ الله زوجها والد رسول الله ﷺ:

أَضْحَى ابنُ هَاشم في مَهْمَاءَ مُظْلِمةٍ في حُفْرَةٍ بَيْنَ أَحْجَارٍ لَدَى الحَصَرِ
سَقَى جَوَانِبَ قَبْرٍ أَنْتَ سَاكِنُه غيثٌ أَحَمُّ الذَّرَى مَلآن ذُو دُرَرِ

تفسير الغريب

التابعة: قال في الزهر بتاء مثناة فوقية فباء موحدة فعين مهملة. الغَمَاغِم بغينين معجمتين بعد كل ميم بعد الأُولى أَلف: الأَغطية. يُعَاوره: يتداولونه بينهم. مَهْمَاء أَي مفازة. والجمع مَهَامِه. أَحَمَّ الشيء، قَرُب ودنا. الذَّرَى. بفتح الذال المعجمة اسم لما ذرته الريح واسم الدمع المصبوب. العِيَرات بكسر العين وفتح الياء جمع عير. كذا جمعوه والقياس التسكين.

قال محمد بن عمر الأَسْلمي رحمه الله تعالى: ترك عبدُ الله أُمَّ أَيمن وخمسة أَجمال وقطعة من غنم فورث ذلك رسول الله ﷺ من أَبيه.

الباب الرابع

في تاريخ مولده صلى الله عليه وسلم ومكانه

وفيه فصلان: الأَول: في بيان يومه، وشهره، وعامه.

الصواب: أَنه ﷺ ولد يوم الاثنين. روى الإِمام أَحمد ومسلم وأَبو داود عن أَبي قتَادة رضي الله عنه أَن رسول الله ﷺ سئل عن يوم الاثنين فقال: **«ذاك يومٌ وِلدت فيه. أَو قال أُنزل عليَّ فيه»**(١).

وروى يعقوب بن سفيان عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: ولد رسول الله ﷺ يوم الاثنين واستنبئ يوم الاثنين، وتوفي يوم الاثنين، ورفَع الحجرَ الأَسود يوم الاثنين.

وفي بعض الطرق عند ابن عساكر: وأُنزلت سورة المائِدة يوم الاثنين: **﴿اليوم أَكملتُ لكم دِينكم﴾** وكانت وقعة بدر يوم الاثنين.

قال ابن عساكر: المحفوظ أَن وقعة بدر ونزول: **﴿اليوم أَكملت لكم دينكم﴾** يوم الجمعة.

وروى الزبير بن بكّار وابن عساكر عن معروف بن خَرَّبُوذ رحمه الله تعالى قال: وِلِد رسولُ الله ﷺ يوم الاثنين حين طلع الفجر.

وقال الحافظ أَبو الفضل العراقي في المورِد: الصواب أَنه ﷺ ولد في النهار، وهو الذي ذكره أَهل السير. وحديث أَبي قتادة مصرح به.

وروى الأَربعة عن سعيد بن المسيَّب رحمه الله تعالى قال: ولد رسول الله ﷺ عند إِبهار النهار، وجزم به ابن دِحْية، وصححه الزركشي رحمه الله تعالى في شرح البردة ولبعضهم في ذلك.

يَا سَاعَةً فَتَحَ الـهُدَى أَرْفَادَها ... لُطْفاً وَقَدْ مَنَحَ الـجَزا إِسْعَادَهَا

لاَحَتْ بِشَهْرِ ربيعِ الزاكي الذي ... فَاقَ الـشُّـهُورَ جَلاَلَةً إِذْ سادَها

حيـثُ الـنبـوة أَشـرقـتْ بـمـآثـرٍ ... كالشُّهب لا يُحْصي الورَى تَعْدادَها

حَيْثُ الأَمانَةُ والرِّسَالَةُ قَدْ بَدتْ ... يُـعْـلـي لِـمَـكَّـةَ غَوْرَها ونِجَادَها

قال ابن دِحْية رحمه الله تعالى: وأَما ما روِيَ من تدلِّي النجوم فضعيف، لاقتضائه أَن الولادة كانت ليلاً.

---

(١) أخرجه مسلم ٨١٩/٢، كتاب الصيام (١٩٧- ١٦٢) وأحمد في المسند ٢٠٠/٢.

قال الزركشي: وهذا لا يَصْلح أَن يكون تعليلاً فإن زمان النبوة صالح للخوارق، ويجوز أَن تسقط النجوم نهاراً.

شعر:

يَا سَاعَةً نِلْنَا السَّعَادَةَ وَالْهَنَا ... فِيهَا بِخَيْرِ العَالَمِينَ مُحَمَّدِ

تَمَّتْ لَنَا أَفْرَاحُهَا بِظُهُورِهِ ... وتكمّلت في شَهْرِ مَوْلِد أَحْمدِ

غيره لبعضهم رحمه الله تعالى.

تَوَالَتْ أُمُورُ السَّعْدِ في خَيْرِ سَاعَةٍ ... بِمَوْلِدِ خَيْرِ الرُّسْلِ في سَاعَةِ السَّعْدِ

فَيَا طِيبَ أَوْقَاتٍ وَيَا طِيبَ مَوْلِدٍ ... وَيَا طيبَ مَوْلُودٍ حَوَى سَائِرَ المجدِ

قال ابن كثير والحافظ وغيرهما: ثم إِن الجمهور على أَن ذلك كان في شهر ربيع الأَول.

قال السهيلي: وهو المعروف. ونقل بعضهم فيه الإِجماع.

يَقُولُ لَنَا لِسَانُ الحَالِ مِنْهُ ... وَقَوْلُ الحَقِّ يَعْذُب لِلسَّمِيعِ

فَوَجْهِي والزَّمَانُ وشَهْر وَضْعي ... رَبِيعٌ في ربيعٍ في رَبِيعِ

قال بعض أَهل المعاني: كان مولده ﷺ في فصل الربيع وهو أَعْدَل الفصول ليله ونهاره معتدلان بين الحر والبرد، ونسيمه معتدل بين اليبوسة والرطوبة وشمسه معتدلة في العلوّ والهبوط، وقمره معتدل في أَول درجة من الليالي البيض، وينعقد في سِلْك هذا النظام، ما هيّأَ الله تعالى له ﷺ من أَسماء مُرَبِّيه ففي الوالدة والقابلة الأَمْن والشِّفَاء وفي اسم الحاضنة البرَكة والنماء، وفي مرضعيه ﷺ الآتي ذكرهما الثواب والحِلْم والسَّعد.

قال ابن إِسحاق رحمه الله تعالى: لاثنتي عشرة ليلة [خلَتْ] منه ورواه ابن أَبي شَيْبة في المصنَّف عن جابر وابن عباس. قال في الغُرَر: وهو الذي عمل العمل. وقيل لليلتين خلتا منه وقدمه في الإِشارة، وقيل لثمان. ونقل أَبو عمر عن أَصحاب الزِّيج أَنهم صححوه ورجحه ابن دِحية. وقال الحافظ: إِنه مقتضى أَكثر الأَخبار. وقيل: لعَشْر. حكاه الدمياطي عن جعفر الباقر وصححه. وقيل: لسبع عشرة. وقيل لثماني عشرة، وقيل: في أَوله حين طلع الفجر.

قال ابن إِسحاق رحمه الله تعالى: عام الفيل. قال ابن كثير: وهو المشهور عند الجمهور. وقال إِبراهيم بن المنذر الحزَاميّ(١) شيخ البخاري: وهو الذي لا يشك فيه أَحد من

---

(١) إِبراهيم بن المُنْذِر بن عبد الله بن المنذر بن المُغِيرة بن عبد الله بن خالد بن حِزَام بالزاي الأَسَدِي الحِزَامِي أبو إِسحاق المدني أحد كبار العلماء المحدثين. وثقه ابن معين والنسائي وأبو حاتم والدارقطني، وذمه أحمد لكونه خلط في القرآن. قال يعقوب الفَسَوِي: مات سنة ست وثلاثين ومائتين. الخلاصة ٥٧/١.

العلماء. وبالغ خليفة بن خياط وابن الجزَّار وابن دِحْية وابن الجَوْزي وابن القيِّم فنقلوا فيه الإجماع.

وروى البيهقي والحاكمُ في المُستدرك وصححه وأقرّه الذهبي في مختصره، وصَحّحه في تاريخه الكبير عن يحيى بن مَعِين، عن حَجَّاج بن محمد، عن يُونُس بن أَبي إسحاق عن أبيه، عن سَعِيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: ولد رسول الله ﷺ يوم الفيل.

قال الحافظ في شرح الدُّرَر: والمحفوظ لفظ العام. وقيل: يطلق اليوم ويراد به مُطْلق الوقت، كما يقال يوم الفتح، ويوم بدر، فإن كان المراد حقيقة اليوم فيكون أَخصّ من الأَول وبذلك صرح ابن حِبّان في تاريخه فإنه قال: ولد عامَ الفيل في اليوم الذي بعث الله فيه الطيرَ الأَبابيلَ على أَصحابِ الفيل. قال: ثم وَجدتُ الحديثَ عن ابن مسعود عن يحيى بن مَعِين بسنده المذكور قال: ولد رسول الله ﷺ يومَ الفيل يعني عام الفيل.

وروى ابن إسحاق وأَبو نُعَيْم والبيهقي عن المطَّلب بن عبد الله بن قيس بن مَخْرَمة عن أَبيه عن جده قال: وِلِدْت أَنا ورسول الله ﷺ عامَ الفيل كنا لِدَيْن.

وسأَل عثمانُ بن عفان[1] قُباثَ بن أَشْيَمَ الكِنَاني ثم اللَّيْثي: يا قُبَاث أَنت أَكبر أَمْ رسولُ الله ﷺ؟ فقال: رسول الله ﷺ أَكبر مني وأَنا أَسنُّ منه ولد رسول الله ﷺ عام الفيل ووقفتْ بي أُمي على خَذْق الفيل أَخضرَ مُحِيلا.

مَخْرمة بفتح الميم وإسكان الخاء المعجمة. ومات على دينه. لِدَيْن: قال أَبو ذرّ المشهور فيه: لِدَتَيْن بالتاء يقال فلان لِدَة فلان إذا ولد معه في وقت واحد. قال الجوهري: لدة الرجل تِرْبه والهاء عِوَض عن الواو الذاهبة منه، لأَنه من الولادة. وهما لِدَان والجمع لِدَات ولِدُون. التِّرْب بكسْر التاء المثناة الفوقية وإسكان الراء وبالموحدة: مَن وِلِد معك. قُبَاث بضم القاف ويقال بفتحها، قال الحافظ: وهو المشهور، ثم موحدة خفيفة ثم مثلثة. ابن أَشْيَم بمعجمة وتحتانية وزان أَحْمد.

وعلى هذا فقيل بعد الفيل بخمسين يوماً. قال ابن كثير: وهو أَشهر. وصححه

---

(١) عثمان بن عفَّان بن أَبي العاص بن أُمية بن عبد شمس الأُموي، أبو عمرو المدني، ذو النورين، وأَمير المؤمنين، وَمُجَهِّز جيش العسرة، وأَحد العشرة، وأَحد الستة، هاجر الهجرتين. وعنه أبناؤه أبان وسعيد وعمرو وأنس ومروان بن الحكم وخلق. غاب عن بدر لتمريض ابنة النبي ﷺ، فضرب له النبي ﷺ بسَهم. قال ابن عمر: كنا نقول على عهد النبي ﷺ أبو بكر ثم عمر ثم عثمان. وقال ابن سيرين: كان يحيي الليل كله بركعة. قتل في سابع ذي الحجة يوم الجمعة سنة خمس وثلاثين. قال عبد الله بن سَلاَم: لقد فتح الناس على أنفسهم بقتل عثمان باب فتنة لا يغلق إلى يوم القيامة. رضي الله عنه. الخلاصة ٢١٩/٢، وسيأتي في المناقب مفصلاً.

المسعودي والسهيلي. وزاد أنه الأَشهر والأَكثر وقيل بزيادة خمس.

وذكر أَبو بكر محمد بن موسى الخوارِزميّ رحمه الله تعالى أَن قدوم أَصحاب الفيل مكة لثلاث عشرة ليلة بقيت من المحرم. وقد قال ذلك غيره. وزاد يوم الأَحد. وكان أَول المحرم تلك السنة يوم الجمعة.

وروى ابنُ سعد وابنُ عساكر عن أَبي جَعْفَر الباقر[١] رحمه الله تعالى قال: كان قُدومُ أَصحاب الفيل في النصف من المحرم ومولد رسول الله ﷺ بعده بخمس وخمسين ليلة. وصحح الحافظ الدمياطي هذا القول. وقيل بأَربعين يوماً. وقيل بشهر وستة أَيام. وقيل بعشر سنين. وقيل بثلاثين عاماً. وقيل بأَربعين عاماً. وقيل بسبعين عاماً.

وقيل لثنتي عشرة ليلة خلت من شهر رمضان سنة ثلاث وعشرين من غزوة أَصحاب الفيل.

وقيل في صفر. وقيل في ربيع الآخر. وقيل في المحرّم لخمس بقين منه. وقيل في عاشوراء.

قال السهيلي رحمه الله تعالى: أَهل الحساب يقولون وافق مولده من الشهور الشمسية نيسان، وكان لعشرين مضت منه.

وقال الذهبي في تاريخ الإسلام: نظرت في أن يكون ﷺ ولد في ربيع وأن يكون ذلك في العشرين من نيسان فرأيته بعيداً من الحساب يستحيل أن يكون مولده في نيسان إلا أن يكون مولده في رمضان.

وقال الإمام أبو الحسن الماوردي رحمه الله تعالى: وافق شهر ربيع من شهور الروم العشرين من شباط. انتهى. ويقال: شباط بالإِعجام والإِهمال.

قال الدمياطي رحمه الله تعالى: في بُرْج الحمَل. قال في النُّور: وهذا يحتمل أَن يكون في أَوائل نيسان وأَن يكون في آذار. ثم قال السُّهيلي. وولد بالغفر من المنازل وهو مولد النبيين، ولذا قيل:

خَيْرُ مَنْزِلَتَيْنِ كَانَتْ في الأَبَدِ   هُوَ مـا بَـيْنَ الـزُّبَـانِـي وَالأَسَـدْ

لأَن الغفر يليه من العقرب زبانيها، ولا ضرر في الزبانين إِنما تضر العقرب بذنبها، ويليه من الأَسد أَليته وهو السماك والأَسد لا يضرّ بأَليته وإِنما يضر بمخْلبه ونابه.

---

(١) محمد بن علي زين العابدين بن الحسين الطالبي الهاشمي القرشي، أبو جعفر الباقر: خامس الأئمة الاثني عشر عند الإمامية. كان ناسكاً عابداً، له في العلم وتفسير القرآن آراء وأقوال ولد بالمدينة وتوفي بالحميمة سنة ١١٤هـ ودفن بالمدينة الأعلام ٦/٢٧٠، ٢٧١، والتهذيب ٩/٣٥٠.

وقال ابن دِحْية: أَظن السهيلي نسي السنبلة وظن أَن السماك من الأَسد.

قال أَبو عبد الله بن الحاجّ رحمه الله تعالى في المدْخَل: فإن قال قائل: ما الحكمة في كرنه ﷺ خُصَّ مولده بشهر ربيع وبيوم الاثنين على الصحيح المشهور عند أَكثر العلماء، ولم يكن في شهر رمضان الذي أُنزل فيه القرآن وفيه ليلة القدر، واختص بفضائل عدة، ولا في الأشهر الحُرم التي جعل الله لها الحرمة يوم خلق السموات والأَرض، ولا في ليلة النصف من شعبان، ولا في يوم الجمعة ولا في ليلتها؟

فالجواب من أَربعة أَوجه:

الأول: ما ورد في الحديث من أَن الله تعالى خلق الشجر يوم الاثنين[1]. وفي ذلك تنبيه عظيم وهو أَن خلق الأَقوات والأَرزاق والفواكه والخيرات التي يمتدّ بها بنو آدم ويَحْيَوْن ويتداوون وتنشرح صدورهم لرؤيتها وتطيب بها نفوسهم وتسكن خواطرهم عند رؤيتها لاطمئنان نفوسهم لتحصيل ما يُبقي حياتهم، على ما جرت به حكمة الحكيم سبحانه وتعالى. فوجوده ﷺ في هذا الشهر في هذا اليوم قُرّة عينَ بسبب ما وجد من الخير العظيم والبركة الشاملة لأمة محمد ﷺ.

الوجه الثاني: أَن ظهوره ﷺ في شهر ربيع فيه إشارة ظاهرة لمن تفطَّن لها بالنسبة إلى اشتقاق لفظة ربيع إذ أَن فيه تفاؤلاً حسناً وبشارة[2] لأمته ﷺ.

وقد قال الشيخ الإمام أَبو عبد الرحمن الصِّقلّي رحمه الله تعالى: لكل إنسان من اسمه نصيب. هذا في الأَشخاص وكذلك في غيرها، وإذا كان كذلك ففصْل الربيع فيه تنشقُّ الأَرض عمّا في باطنها من نعم المولى سبحانه وتعالى وأَرزاقه التي بها قوام العِبَاد وحياتهم ومعايشهم وصلاح أَحوالهم، فتنفلق الحبة والنوى وأَنواع النبات والأَقوات المقدرة فيها، فتُبْهج الناظرَ عند رؤيتها وتبشِّره بلسان حالها بقدوم يَنْعها. وفي ذلك إشارة عظيمة إلى الاستبشار بابتداء نعم المولى سبحانه وتعالى، أَلا ترى أَنك إذا دخلت إلى البستان في مثل هذه الأَيام تنظر إليه كأَنه يضحك لك، وتجد زَهْره كأَن لسان حاله يخبرك بما لك من الأَرزاق المدَّخرة والفواكه. وكذلك الأَرض إذا أبهج نوّارها كأَنه يحدثك بلسان حاله كذلك أَيضاً.

فمولده ﷺ في شهر ربيع فيه من الإشارات ما تقدَّم ذكر بعضه. وذلك إشارة ظاهرة من المولى تبارك وتعالى إلى التنويه بعظيم قَدْر هذا النبي الكريم ﷺ، وأَنه رحمة للعالمين. وبُشرى للمؤمنين. وحماية لهم من المهَالك والمخاوف في الدارَيْن وحماية للكافرين بتأْخير

---

(١) أخرجه أحمد ٣٢٧/٢.

(٢) في أ: بيشارته.

العذاب عنهم لأَجْله ﷺ. قال الله تعالى: ﴿**وما كان الله ليُعَذِّبهم وأنت فيهم**﴾ فوقعت البركات وإدرار الأرزاق والأقوات. ومن أعظمها مِنَّته على عباده لهدايته عليه الصلاة والسلام لهم إلى صراط الله المستقيم.

الوجه الثالث: ما في شريعته ﷺ من شبه الحال، أَلا ترى أَن فصل الربيع أَعدَل الفصول وأَحسنها إِذ ليس فيه بَرْد مُزْعِج ولا حَرّ مُقْلِق، وليس في ليله ولا نهاره طول خارق، بل كله معتدل وفصله سالم من العلل والأَمراض والعوارض التي يتوقعها الناس في أَبدانهم في زمان الخريف، بل الناس فيه تنتعش قُوَاهم وتنصلح أَمزجتهم وتنشرح صدورهم لأَن الأَبدان يُدْركها فيه من أمداد القوة ما يدرك النباتَ حين خروجه، إِذ منها خلقوا، فيطيب ليلهم للقيام ونهارهم للصيام، لما تقدم من اعتداله في الطول والقصر والحر والبرد، فكان في ذلك شبه الحال بالشريعة السَّمْحة التي جاء بها صلوات الله وسلامه عليه من رفع الإِصر والأَغلال التي كانت على من قبلنا.

الوجه الرابع: أَنه قد شاء الحكيم سبحانه وتعالى أَنه ﷺ تتشرف به الأَزمنة والأَمكنة لا هو يتشرف بها، بل يحصل للزمان أَو المكان الذي يباشره عليه الصلاة والسلام الفضيلة العظمى والمزيّة على ما سِوَاه من جنسه إِلا ما استثنى من ذلك لأَجل زيادة الأَعمال فيها وغير ذلك، فلو ولد ﷺ في الأَوقات المتقدم ذكرها لكان قد يتوهم أَنه يتشرف بها فجعل الحكيم جل جلاله مولده ﷺ في غيرها ليظهر عظيم عنايته سبحانه وتعالى وكرامته عليه.

الفصل الثاني: في مكانه: اختلف: هل ولد بمكة أَو غيرها؟ والصحيح الذي عليه الجمهور هو الأَول.

وعليه فاختلف في مكانه من مكة على أَقوال:

أَحدها: في الدار التي في الزقاق المعروف بزقاق المولد في شعب مشهور بشعب بني هاشم. وكانت بيد عقيل. قال ابن الأَثير رحمه الله تعالى: قيل إِن رسول الله ﷺ وهَبها عقيلَ بن أَبي طالب فلم تزل بيده حتى توفي عنها فباعها ولده من محمد بن يوسف أَخي الحجاج، وقيل إِن عقيلاً باعها بعد الهجرة تبعاً لقريش حين باعوا دور المهاجرين.

الثاني: أَنه ﷺ ولد في شِعْب بني هاشم. حكاه الزبير.

الثالث: أَنه ولد ﷺ بالرَّدْم.

الرابع: بعُسْفان.

الباب الخامس

في إخبار الأحبار وغيرهم بليلة ولادته صلى الله عليه وسلم

روى أَبو نُعَيْم والبيْهقي عن حسان بن ثابت رضي الله تعالى عنه قال: إِني لغلام يَفعة ابن سبع سنين أَو ثمان أعقل ما رأيت وسمعت إِذا يهودي يصرخ ذات غَداة على أُطمه: يا معشر يهود. فاجتمعوا إِليه وأَنا أَسمع. قالوا: ويلك ما بك؟ قال: طلع نجمُ أَحمد الذي ولد به في هذه الليلة.

يَفعة بفتح الفاء والعين المهملة أَي شاب. أُطمه: بالإِضافة للضمير والأُطُم بضم الهمزة والطاء المهملة: الحِصْن ويروى على أُطمة بتاء تأْنيث على معنى البُقعة.

وروى ابن سعد والحاكم وأَبو نُعَيْم بسند حسن في الفتح عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان يهودي قد سكن مكة يتجر بها، فلما كانت تلك الليلة التي ولد فيها رسول الله ﷺ قال في مجلس من قريش: يا معشر قريش، هل ولد فيكم الليلة مولود؟ فقال القوم: والله ما نعلمه. قال: احفظوا ما أَقول لكم: ولد هذه الليلة نبيّ هذه الأُمة الأَخيرة، بين كتفيه علامة فيها شعرات متواترات كأَنهن عرف فرس، لا يرضع ليلتين. فتصدَّع القومُ من مجلسهم وهم يتعجبون من قوله: فلما صاروا إِلى منازلهم أَخبر كلُّ إِنسان منهم أَهلَه فقالوا: لقد ولد الليلة لعبد الله بن عبد المطلب غلام سموه محمداً. فالتقى القوم حتى جاؤوا اليهوديَّ فأَخبروه الخبر. قال: اذهبوا معي حتى أَنظر إليه فخرجوا حتى أَدخلوه علىٰ آمنة فقالوا: أَخرجي إِلينا ابنك. فأَخرجتْه وكشفوا له عن ظهره فرأَى تلك الشامة، فوقع مغشيًّا عليه فلما أَفاق قالوا: ويلك ما لك؟ قال: والله ذهبت النبوة من بني إِسرائيل، أَفرِحتم به يا معشر قريش والله لَيَسطونَّ بكم سطوةً يخرج خَبرُها من المشْرق إِلى المغرب.

متواترات أَي متتابعات أَو متفرقات.

وروى ابن سعد عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: كانت يهود قريظة والنَّضِير وفدَك وخيبر يجدون صفة رسول الله ﷺ قبل أَن يُبعث وأَن دار هجرته المدينة، فلما ولد قالت أَحبار يهود ولد الليلة أَحمد، هذا الكوكب قد طَلع. فلما تنبَّأَ قالوا تنبَّأَ أَحمد. كانوا يعرفون ذلك ويقرُّون به ويَصِفونه إِلا الحسد والبغي.

وروى أَبو نعيم وابن عساكر من طريق المسيّب بن شريك عن محمد بن شريك عن شعيب بن شعيب[1]، عن أَبيه عن جده، قال: كان بمرّ الظُّهران راهب من أَهل الشام يدعى

---

(١) شُعَيْب بن شُعَيْب بن إسحاق الأُمَوِي أبو محمد الدِّمَشْقِي. مات أبوه وهو حَمْل عن الحُمَيْدِي وأحمد بن خالد الوَهْبِي. وعنه (س) ووثقه. مات سنة أربع وستين ومائتين. الخلاصة ٤٥١/١.

عيص، وكان قد آتاه الله علماً كثيراً، وكان يلزم صومعة له ويدخل مكة فيلقى الناس ويقول: يوشك أَن يولد فيكم مولود يا أَهل مكة تدين له العرب ويملك العجمَ هذا زمانه، فمن أَدركه واتبعه أَصاب حاجته، ومن أَدركه وخالفه أَخطأَ حاجته، وبالله ما تركت أَرضَ الخمرِ والخميرِ والأَمن وحَللْتُ أَرضَ البؤس والخوف إِلا في طَلبه. فكان لا يولد بمكة مولود إِلا يسأَل عنه فيقول: ما جاء بعد. فلما كان صبيحة اليوم الذي ولد فيه رسول الله ﷺ خرج عبدُ المطلب حتى أَتى عيصَ فوقف على أَصل صومعته فناداه فقال: من هذا؟ فقال: أَنا عبد المطلب. فأَشرف عليه فقال: كن أَباه فقد ولد ذلك المولود الذي كنت أُحدثكم عنه يوم الاثنين ويبعث يوم الاثنين وإِنَّ نجْمه طلع البارحة، وآية ذلك أَنه الآن وجع فيشتكي ثلاثاً ثم يعافى، فاحفظ لسانك فإِنه لم يُحسد حسده أَحد، ولم يُبْغ على أَحد كما يُبْغَى عليه. قال: فما عمره؟ قال: إِن طال عمره لم يبلغ السبعين يموت في وترٍ دونها في الستين في إِحدى وستين أَو ثلاث وستين.

الباب السادس

في وضعه صلى الله عليه وسلم والنور الذي خرج معه وتدلّي النجوم له ونزوله ساجدًا على الأرض بيديه وما رأته قابلته الشفاء أم عبد الرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنه مِن الآيات

عن أَبي العَجْفاء رحمه الله تعالى مرسَلاً قال: قال رسول الله ﷺ: **«رأَت أُمي حين وضعتْني سطَع منها نورٌ فضاءت له قصور بُصْرى»**[1].

رواه ابن سعد ورجاله ثقات.

بُصْرى - بباء موحدةٍ مضمومةٍ فصاد مهملة ساكنة فألَف مقصورة - والمراد بها هنا بلد بالشام من أَعمال دمشق. قال في المِسْكة الفائحة: وفي تخصيص بصرى لطيفة، وهي أَنها أَول موضع من بلاد الشام دخلها ذلك النور المحمدي، وكذلك هي أَول ما افتُتح من بلاد الشام.

وبُصْرى أَيضاً من قرى بغداد.

وعن عثمان بن أَبي العاص رضي الله تعالى عنه قال: حدثتني أُمي أَنها شهدت ولادةَ آمنة رسول الله ﷺ ليلة ولدتْه قالت: فما شيء أَنظر إِليه من البيت إِلا نوراً وإِني لأَنظر إِلى النجوم تدنو حتى إِني لأَقول: ليقعن عليّ، فلما وضعته خرج منها نور أَضاء له الدار والبيت حتى جعلت لا أَرى إِلا نوراً.

وعن العِرْباض بن سارية رضي الله تعالى عنه أَن رسول الله ﷺ قال: **«إِني عند الله لخَاتم النبيين»**[2] الحديث وفيه رؤيا أمي التي رأَت وكذلك أمهات النبيين يرَيْن، وإِن أم رسول الله ﷺ رأَت حين وضعته نوراً أَضاءت له قصور الشام.

رواه الإِمام أَحمد والبزار والحاكم وابن حبان وصححاه.

وروى ابن حبان عن حليمة[3] رضي الله تعالى عنها عن آمنة أُم رسول الله ﷺ أَنها قالت: إِن لابني هذا لَشَأْناً إِني حملت به فلم أَجد حَمْلاً قط كان أَخفَّ عليّ ولا أَعظم بركة

---

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات ٩٦/١/١.

(٢) أخرجه أبو نعيم في الدلائل ٩/١، والطبري في التفسير ٥٧/٢٨، والبغوي في التفسير ١١١/١.

(٣) حليمة بنت أبي ذؤيب عبد الله بن الحارث بن شِجْنة بن جابر السعدي البكري الهوازني: من أمهات النبي ﷺ في الرضاع. كانت زوجة الحارث بن عبد العزى السعدي من بادية الحديبية وكان المرضعات يقدمن إلى مكة من البادية لإرضاع الأطفال ويفضلن من يكون أبوه حياً لبرّه إلا أن محمداً كان يتيماً، مات أبوه عبد الله، فتسلمته حليمة من أمه «آمنة» ونشأ في بادية بني سعد في الحديبية وأطرافها، ثم في المدينة، وعادت به إلى أمه. وماتت آمنة وعمره ست سنين فكفله جده عبد المطلب. وقدمت حليمة على مكة بعد أن تزوج رسول الله بخديجة، وشكت إليه الجدب، فكلم خديجة بشأنها فأعطتها أربعين شاة. وقدمت مع زوجها بعد النبوة فأسلما. وجاءت إلى النبي ﷺ يوم حنين، وهو على الجعرانة، فقام إليها وبسط لها رداءه فجلست عليه. ولها رواية عن النبي ﷺ روى عنها عبد الله بن جعفر. توفيت بعد سنة ٨هـ. الأعلام ٢٧١/٢.

منه، ثم رأَيت نوراً كأَنه شهاب خرج مني حين وضعته أَضاءت لي أَعناقُ الإِبل ببُصْرى، ثم وضعتُه فما وقع كما تقع الصبيان، وقع واضعاً يديه بالأَرض رافعاً رأْسه إِلى السماء.

وروى ابن سعد وابن عساكر عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أَن آمنة قالت: لما فصَل منّي ابني محمد ﷺ خرج منه نورٌ أَضاء له ما بين المشْرق والمغْرب.

وروى ابن أَبي حاتم عن عِكْرمة. رحمه الله تعالى قال: لما ولد رسول الله ﷺ أَشرقت الأَرض نوراً.

وروى الإِمام أَحمد وابن سعد بسند حسن عن أَبي أُمامة رضي الله تعالى عنه قلت: يا رسول الله ما كان بَدْء أَمرك؟ قال: **«دعوة أَبي إِبراهيم وبُشْرى عيسى بن مريم، ورأَت أُمي أَنه خرج منها نور أَضاءت له قصور الشام»**.

وروى ابن سعد عن محمد بن عمر الأَسلمي بأَسانيد له متعددة عن آمنة أَنها قالت: لما وضعته خرج معه نور أَضاء له ما بين المشرق والمغرب، ثم وقع جاثياً على ركبتيه معتمداً على الأَرض بيديه، ثم أَخذ قبضة من تراب وقبضها ورفع رأْسه إِلى السماء، وأَضاءت له قصور الشام وأَسواقها، حتى رأَيت أَعناقَ الإِبل ببُصْرَى.

وإِنما أَضاءت قصور بصرى بالنور الذي خرج منه إِشارة إِلى ما خصَّ الشامَ من نبوته ﷺ، فإِنها دار مجده وملكه كما ذكره كعب أَن في الكتب السابقة: محمد رسول الله مولده بمكة ومهاجَره بِيَثْرِبَ ومُلكه بالشام.

وقد وردت أَحاديث في فضل الشام، ذكر بعضها الحافظ المُنْذِريّ في كتاب «الترغيب والترهيب».

وقال بعضهم: أَضاءت قصورُ بصرى إِشارةً إِلى أَنه صلى الله عليه وسلم. ينوّر البصائر ويُحْيِي القلوبَ الميتة.

وفي خروج هذا النور معه ﷺ حين وضعته إِشارة إِلى ما يجيء به من النور الذي اهتدى به أَهلُ الأَرض وزال به ظُلْمة الشرك منها. كما قال الله تعالى: **﴿قد جاءكم مِنَ اللّهِ نُورٌ وكتابٌ مبين يَهْدِي به اللّهُ من اتَّبع رِضوانه سُبُلَ السَّلام ويُخْرجهم من الظُّلمات إِلى النور بإِذنِهِ ويَهْديهم إِلى صراط مستقيم﴾**. قال الإِمام أَبو شامة رحمه الله تعالى: وقد كان هذا النور الذي ظهر وقت ولادته ﷺ قد اشتهر في قريش وكثر ذكره فيهم، وإِلى ذلك أَشار عمه العباس رضي الله تعالى عنه في أَبياته السابقة حيث قال في حقه ﷺ وزاده شرفاً وفضلاً:

وأَنت لما وُلِدْتَ أَشْرَقَتِ الأَرْ ضُ وَضَاءَتْ بنورك الأُفُقُ

فَنَحْنُ في ذَلِك الضِّياءِ وفي النُّو ر وسُبلِ الرشادِ نَخْتَرِقُ

ويرحم الله تعالى القائل:

لَمَّا اسْتَهَلَّ الْمُصْطَفَى طَالِعاً ... أَضَاءَ الْفَضَا مِنْ نُورِهِ السَّاطِعِ
وَعَطَّر الكَوْنَ شذَى عِطْره الطَّـ ... ـيِّبِ مِن دانٍ وَمِنْ شَاسِعِ
وَنَادَتِ الأَكْوَانُ مِن فَرْحَةٍ ... يا مَرْحباً بالقَمرِ الطالِعِ

وروى ابن سعد عن موسى بن عبيدة[1] رحمه الله تعالى عن أخيه قال: لما ولد رسول الله ﷺ فوقع على الأرض وقع على يديه رافعاً رأسه إلى السماء وقبض قبضة من تراب، فبلغ ذلك رجلاً من لِهْب فقال لصاحبه: انجه لئن صدَق الفأل ليَغْلبنَّ هذا المولودُ أَهلَ الأرض.

وروى ابن سعد وأَبو نُعَيْم بسند قوي عن حسّان بن عطية - رحمه الله تعالى: - ورضي عنه - أَن رسول الله ﷺ لـمّا ولد وقع على كفيه وركبتيه شاخصاً ببصره إلى السماء. زاد السُّهَيْلي: مقبوضة أَصابع يده مشيراً بالسبَّابة كالمسبِّح بها.

قال الشيخ الإمام العلامة شمس الدين الجَوْجَرِيّ[2] رحمه الله تعالى: وفي رَفْع بصره ﷺ في تلك الحال إشارة وإيماء إلى ارتفاع شأْنه وعلوّ قدره وأَنه يَسُود الخلقَ أَجمعين، وكان هذا من آياته ﷺ، وهو أَنه أَوّل فعل وُجد منه في أَوّل ولادته، وفيه إشارة وإيماء لمن له تأَمّل إلى أَن جميع ما يقع له من حين يولَد إلى حين يُقبض ﷺ ما يدل عليه العقل فإنه ﷺ لا يزال متزايد الرفعة في كل وقت وحين، عَلِيَّ الشأْن على المخلوقات. وفي رَفْعه ﷺ رأْسه إشارة وإيماء إلى كل سؤدد وأَنه لا يتوجه قصده إلاَّ إلى جهات العلوّ دون غيرها مما لا يناسب قَصْده.

وروى ابن الجَوْزي في «الوفا» عن أَبي الحسين بن البَرَاء - مرسلاً - رحمه الله تعالى قال: قالت آمنة وجدته جاثياً على ركبتيه ينظر إلى السماء، ثم قَبض قبضةً من الأَرض وأَهْوَى ساجداً.

قال بعض أَهلِ الإشارات: لما ولد عيسى ﷺ قال: ﴿**إِنِّي عبدُ الله آتانِيَ الكتابَ وجَعَلني نَبيًّا**﴾ فأَخبر عن نفسه بالعبودية والرسالة، ونبينا ﷺ وضع ساجداً وخرج معه نور أَضاء له ما بين المشرق والمغرب، وقبض قبضة من تراب ورفع رأْسه إلى السماء فكانت عبودية عيسى المقال، وعبودية محمد ﷺ الفِعَال، ورسالة عيسى بالإخبار، ورسالة محمد ﷺ بظهور الأَنوار.

---

(١) موسى بن عُبيدة بن نَشِيط العدوي مولاهم أبو محمد الرَّبَذِي بفتح المهملة والموحدة المدني. عن محمد بن كعب ونافع وجماعة. وعنه شعبة وابن المبارك وطائفة. ضعفه ابن المديني والنسائي وابن عدي وجماعة. قال ابن سعد: ثقة كثير الحديث وليس بحجة. مات سنة ثلاث وخمسين ومائة بالربذة. الخلاصة ٦٨/٣.

(٢) محمد بن عبد المنعم بن محمد الجوجري: فاضل مصري، من فقهاء الشافعية. ولد بجوجر (قرب دمياط) وتحوّل إلى القاهرة صغيراً، فتعلم، وناب في القضاء، ثم تعفف عن ذلك. ومات بمصر. من كتبه «شرح الإرشاد» لابن المقري، و «شرح شذور الذهب» و «شرح همزية البوصيري». وتوفي سنة ٨٨٩هـ. الأعلام ٢٥١/٦، والضوء اللامع ١٢٣/٨.

وفي سجوده ﷺ عند وضعه إشارة إلى أن مبدأ أمره على القُرْب؛ قال الله تعالى: ﴿واسجُدْ واقتربْ﴾ وقال ﷺ: «أقربُ ما يكون العبدُ من ربه وهو ساجد» فحال عيسى عليه الصلاة والسلام يشير إلى مقام العبودية، وحال محمد ﷺ يشير إلى مقام القُرْب من الحضرة الإلهية. ولبعضهم:

لَكَ القُرْبُ مِنْ مَوْلاكَ يَا أَشْرَفَ الوَرَى ... وَأَنْتَ لِكُلِّ المُرْسَلِين خِتَامُ

وَأَنْتَ لَنَا يَوْمَ القِيَامَةِ شَافِعٌ ... وَأَنْتَ لِكُلِّ الأَنْبِيَاءِ إِمَامُ

عَلَيْك مِنَ اللّهِ الْكَرِيمِ تَحِيَّةٌ ... مُبَارَكَةٌ مَقْبُولَةٌ وَسَلامُ

وروى أبو نُعَيْم عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنه عن أمه الشَفَّاء بنت عمرو بن عوف رضي الله تعالى عنها قالت: لما ولدت آمنة رسول الله ﷺ وقع على يدي فاستهلَّ، فسمعت قائلاً يقول: رحمك الله أو رحمك ربك فأضاء ما بين المشرق والمغرب حتى إني نظرت إلى بعض قصور الروم. قالت: ثم ألبسته وأضجعتُه فلم أنشب أن غشيتني ظلمة ورعب وقشعريرة عن يميني فسمعت قائلاً يقول: أين ذهبتَ به. قال: إلى المغرب وأسفر عني ذلك. ثم عاودني ذلك الرعب والقشعريرة عن يساري فسمعت قائلاً يقول: أين ذهبتَ به؟ قال: إلى المشرق. قالت: فلم يزل الحديث مني على بال حتى بعثه الله تعالى.

تَنْبيهاتٌ

الأَول: قال الشيخ رحمه الله تعالى في فتاويه: لم أَقف في شيء من الأَحاديث مصرَّحاً على أَنه ﷺ لمّا ولد عطس، بعد مراجعة أَحاديث المولد من مظانّها كالطبقات لابن سعد، والدلائل للبيهقي، ولأَبي نعيم، وتاريخ ابن عساكر على بسطه واستيعابه، وكالمستدرك للحاكم. وإنما الحديث الذي روته الشفَّاء أم عبد الرحمن بن عوف يعني السابق آخر الباب فيه لفظ يشبه التشميت. لكن لم يصرح فيه بالعطاس، والمعروف في اللغة أَن الاستهلال صياح المولود أَول ما يولد فإن أريد به هنا العطاس فيحتمل. وحَمْل القائل على المَلَك ظاهر.

وقال العلامة شمس الدين الجَوْجَرِيّ رحمه الله تعالى في شرح الهمزية: الاستهلال وإن كان هو صياح المولود أَول ما يولد إلا أَن حمله على العطاس هنا قريب، كحمل القائل على المَلك.

الثاني: جرت عادة كثير من المحبين إذا سمعوا بذكر وضعه ﷺ أَن يقوموا تعظيماً له ﷺ، وهذا القيام بِدْعة لا أَصل لها، وقال ذو المحبة الصادقة حسَّان زمانه أَبو زكريا يحيى بن يوسف الصَّرْصَري رحمه الله تعالى ورضي عنه في قصيدة له من ديوانه:

قَلِيلٌ لِمَدْحِ المُصْطَفى الخَطُّ بالذهبْ ... عَلَى فِضَّةٍ مِنْ خَطِّ أَحْسَنِ من كتَبْ

وإنْ يَنْهَضِ الأَشرافُ عِنْدَ سَمَاعِهِ قِيَاماً صُفُوفاً أَوْ جِثِيًّا عَلَى الرُّكَبْ
أَمَا اللّهُ تعظيماً له كتبَ اسمَه عَلَى عَرْشِهِ يَا رُتْبَةً سَمتِ الرُّتَبْ

واتفق أن منشداً أنشد هذه القصيدة في ختم درس شيخ الإسلام الحافظ تقي الدين السبكي. والقضاةُ والأعيان بين يديه فلما وصل المنشد إلى قوله: «وإن ينهض الأشراف عند سماعه» إلى آخر البيت قام الشيخ للحال قائماً على قدميه امتثالاً لما ذكره الصَّرْصَري، وحصل للناس ساعَة طيِّبة. ذكَر ذلك ولده شيخ الإسلام أبو النصر عبد الوهاب في ترجمته من الطبقات الكبرى.

الثالث: اشتهر على بعض الأَلسنة عنه ﷺ أَنه قال: ولدت في زمن الملِك العادل. قال الحافظ إنه كذِب باطل لا أَصل له. وقال الشيخ الإمام بدر الدين الزركشي رحمه الله تعالى في اللآلئ: روى الحافظ السَّمْعاني عن أَبي بكر الحِيريّ رحمه الله تعالى قال حكى لي شيخ من الصالحين أَنه رأَى النبيَّ ﷺ في المنام قال: فقلت له: يا رسول الله بلغني أَنك قلت: ولدت في زمن الملك العادل وإني سأَلت الحاكم أَبا عبد الله الحافظ عن هذا فقال: كذِب لم يقله رسول الله ﷺ فقال النبي ﷺ: صدَق أَبو عبد الله.

وقال الحليميّ رحمه الله تعالى في «الشُّعَب»: هذا الحديث لا يصح وإن صحّ فإطلاق العادل عليه لتعريفه بالاسم الذي كان يُدْعَى به لا لِوَصْفه بالعدل والشهامة له بذلك، أو وصفه بذلك بناء على اعتقاد الفُرْس فيه أَنه كان عادلاً كما قال الله تعالى ﴿فما أَغْنَتْ عنهم آلهتُهم﴾ أَي ما كان عندهم آلهةً ولا يجوز أَن يسمِّي رسولُ الله ﷺ من يحكم بغير حُكْم الله عادلاً.

وقال الشيخ رحمه الله تعالى في الدُّرَر: قال البيهقي في الشُّعب: تكلم شيخنا أَبو عبد الله يعني الحاكم، في بطلان ما يرويه بعض الجهلة عن نبينا ﷺ: **«ولدت في زمن الملك العادل»** يعني كسرى أَنوشروان. ثم رأَى بعْض الصالحين في المنام رسولَ الله ﷺ فحكى له ما قال أَبو عبد الله فصدَّقه وقال ما قلته قط.

وقال صاحب المقاصد: وأَما ما يحكى عن الشيخ أَبي عمر بن قُدَامة المقْدِسيّ رحمه الله تعالى مما أَورده ابن رجب في ترجمته من طبقاته أَنه قال: جاء في الحديث أَن النبي ﷺ قال: **«ولِدْت في زمن الملِك العادل كسرى»** فلا يصحّ لانقطاع سنده، وإن صح فلعل الناقل للحكاية لم يضبط لفظَ الشيخ وإن ضبط الحكاية. والله أعلم[1].

(١) أخرجه البيهقي في الشعب ٣٠٥/٤ (٥١٩٥) وقال الحليمي: وتكلم في بطلان ما يرويه بعض الجهال عن نبينا ﷺ ولدت في زمن الملك العادل يعني أنوشروان وكان شيخنا أبو عبد الله الحافظ قد تكلم أيضاً في بطلان هذا الحديث ثم رأى بعض الصالحين رسول الله ﷺ في المنام فحكى له ما قال أبو عبد الله فصدقه في تكذيب هذا الحديث وإبطاله وقال: ما قلته قط.

الباب السابع

في انفلاق البرمة حين وضع صلى الله عليه وسلم تحتها

روى أَبو نُعَيْم عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: كان في عهد الجاهلية إِذا ولد لهم مولود من تحت الليل وضعوه تحت الإناء لا ينظرون إليه حتى يصبحوا فلما ولد رسول الله ﷺ طرَحوه تحت بُرْمة فلما أَصبحوا أَتوا البُرْمة فإِذا هي قد انفلقت اثنتين وعيناه ﷺ إلى السماء، فعجبوا من ذلك.

وروى ابن سعد بسند رجاله ثقات أَثبات عن عكرمة رحمه الله تعالى ـ مرسلاً ـ أَن رسول الله ﷺ لما وضعته أُمّه وضعتْه تحت بُرْمة فانفلقت عنه، قالت: فَنظرتُ إليه فإِذا هو قد شق بصره ينظر إِلى السماء.

وروى البيهقي عن أَبي الحسن التنوخي[١] رحمه الله تعالى قال: كان المولود إذا ولد في قريش دفعوه إِلى نسوة من قريش إِلى الصبح فكفأْن عليه بُرْمة، فلما ولد رسول الله ﷺ دُفع إِلى نسوة فكفأْنَ عليه بُرْمة، فلما أَصبحن أَتَيْنَ فوجدت البُرْمة قد انفلقت عنه باثنتين، فوجدنه مفتوح العين شاخصاً ببصره إِلى السماء فأَتاهن عبد المطلب فقلن: ما رأَينا مولوداً مثله ووجدناه قد انفلقت عنه البرمة ووجدناه مفتوحاً عينه شاخصاً ببصره إِلى السماء فقال: احفظنه فإِني أَرجو أَن يصيب خيراً.

وروى ابن الجوزي عن أَبي الحسين بن البَراء ـ مرسلاً ـ رحمه الله تعالى عن آمنة أَنها قالت: وضعت عليه إِناء فوجدته قد انفلق الإِناء عنه وهو يمصّ إِبهامه يَشْخَبُ لبناً.

قال بعض أَهل الإِشارات في انفلاق البُرْمة عنه ﷺ إِشارة إِلى ظهور أَمره وانتشاره وأَنه يفلق ظلمة الجهل ويزيلها.

يَشْخَب بشين فخاء معجمتين أَي يسيل.

---

(١) التنوخي: بالفتح وضم النون الخفيفة ومعجمة نسبة إلى تنوخ قبائل أقاموا بالبحرين. لب اللباب ١٧٧/١.

الباب الثامن

فِي ولادته صلى الله عليه وسلم مختونًا مقطوع السرة

عن أَنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«من كَرامتي على ربِّي أَنـي ولدتُ مَخْتوناً ولـم يرَ أَحد سَوْأَتـي»**.

رواه الطبراني وأَبو نُعَيْم وابن عساكر من طرق. قال في الزهر: سنده جيد. انتهى. وصححه الحافظ ضياء الدين المقْدسي وروي من حديث العباس بن عبد المطلب رواه ابن سعد وحسَّن مغلطاي سنده في كتابه دلائل النبوة ومن حديث ابنه عبد الله رواه ابن عَديّ وابن عساكر ومن حديث أَبي هريرة رواه ابن عساكر أَيضاً. ومن حديث أَنس رواه أَبو نعيم. قال مغلطاي في دلائله: بسند جيد. ومن حديث ابن عمر رواه ابن عساكر.

وقد جزم ـ بأنه ﷺ ولِد مختوناً ـ جماعةٌ من العلماءِ منهم هشام بن محمد بن السائب في كتاب الجامع. وابن حبيب في المحبَّر. وابن دُرَيْد في الوِشَاح، وابن الجَوْزي في العلل والتلقيح. وقال الحاكم في المستدرك: تواترت الأَخبار بأَنه ﷺ ولد مختوناً. وتعقبه الذهبي فقال: ما أَعلم صحة ذلك فكيف يكون متواتراً.

وأَجيب باحتمال أَن يكون أَراد بتواتر الأَخبار اشتهارها وكثرتها في السِّيَرة، لا من طريق السند المصطلح عليه عند أَئمة الحديث.

وقيل: إِن جبريل ختنه ﷺ. حين شق صدره. رواه الخطيب عن أَبي بكرة موقوفاً. ولا يصح سنده. وقال الذهبي: إِنه خبر منكَر. وقال الذهبي: إِن جده ﷺ ختنه على عادة العرب. ورواه أَبو عمر قال الحافظ أَبو الفضل العراقي: وسنده غير صحيح. قال الحافظ قطب الدين الخَيْضَرِيّ رحمه الله تعالى في الخصائص: وأَرجحها عندي الأَول. وأَدلته مع ضعفها أَمثل من أَدلة غيره.

قلت: قد قدمنا أَن له طريقاً جيدة صححها الحافظ الضياء. وقد قال الزركشي: إِن تصحيح الضياء أَعلى مزيةً من تصحيح الحاكم.

قال الخيضري: فإِن قيل إِن فيه أَي في ولادته ﷺ مختوناً بعض نقص في حق من يوجَدُ كذلك. فيقال: هذا في حقه ﷺ غاية الكمال لأَن القلفة ربما تمنع من تكميل النظافة والطهارة، وتمنع كمال لذة الجماع فأَوْجَد الله تعالى عبده ورسوله ﷺ مختوناً مسروراً مكمَّلاً سالماً من سائر النقائِص والمعايب فإِن قيل: إِذا كان كذلك فلم شقَّ صدره ﷺ واستخرج منه العلقة السوداءَ التي هي حظ الشيطان، ولو كان كما ذكرت لخلَقه سالماً منها؟

قلت: لا سواءَ لأَن الختان والإِسرار من الأمور الظاهرة التي تحتاج إِلى فعل الآدمي، فخلقه الله تعالى سليماً منها لئلا يكون لأَحد عليه منّة، كما في كمال الطهارة، وأَما إِخراج العَلَقة التي هي حظ الشيطان فمحلها القلب ولا اطلاع للآدمي عليها، ولو خلق الله تعالى نبيه ﷺ سليماً منها لم يكن للآدميين اطلاع على حقيقته، فأَظهره الله تعالى لعباده على يد جبريل ليتحققوا كمالَ باطنه كما برز لهم مُكمَّل الظاهر انتهى. وهو مأْخوذ من كلام السبكي يأْتي ذكره في باب شرح صدره ﷺ.

وروى ابن سعد بسند رجاله ثقات عن إِسحاق بن أَبي طلحة مُرْسلاً رحمه الله تعالى أَن آمنة قالت: وضعتُه نظيفاً، ما ولدته كما يولد السَّخْل، ما به قذَر، ووقع إِلى الأَرض وهو جالس على الأَرض بيديه.

فائدة: ولد من الأَنبياء مختوناً جماعة. نقل ابن دُرَيْد في الوشاح وابن الجوزي في التلقيح عن كعب الأَحبار رحمه الله تعالى أَنهم ثلاثة عشر. ونقل ابن الجوزي عن محمد بن حبيب رحمه الله تعالى أَنهم أَربعة عشر. وكل منهما ذكر ما لم يذكر الآخر. فالذي اتفقا عليه: آدم. وشيث. ونوح، ولوط ويوسف، وشعيب، وموسى، وسليمان وعيسى، ومحمد ﷺ. والذي زاده كعب: إِدريس، وسام، ويحيى والذي زاده ابن حبيب: هود، وصالح، وزكريا، وحنظلة بن صفوان نبيّ أَصحاب الرس ﷺ أَجمعين فاجتمع من كلامهما سبعة عشر نبياً أَولهم آدم وآخرهم محمد ﷺ وقد نظم الشيخ رحمه الله تعالى ورضي عنه أَسماءهم في قلائِد الفوائد فقال:

وسَبْعَةٌ مَعَ عَشْرٍ قَدْ رُوِي خُلِقُوا ... وَهُمْ خِتَانٌ فَخُذْ لاَ زِلْتَ مَأْنُوسَا

مُحَمَّدٌ آدَم إِدريسُ شيثٌ ونُو ... حٌ سَامُ هودٌ شعيبٌ يوسفُ مُوسى

لُوطٌ سُلَيْمانُ يحيَى صالحٌ زَكَرِ ... يّا وحنظلةُ الرسِّيُّ مَعْ عِيسَى

وقال العلامة القاضي عبد الباسط البُلْقِيني رحمه الله تعالى ونفعنا به:

وَفِي الرُّسْلِ مَخْتُوناً لَعَمْرُكَ خِلْقَةً ... ثَمَانٍ وتِسْعٌ طَيِّبُونَ أَكَارِمُ

وهُمْ زَكَرِيَّا شِيْثُ إِدْرِيسُ يوسفُ ... وحَنْظلةٌ عِيسى ومُوسَى وَآدَمُ

ونوحٌ شُعَيْبٌ سامُ لوطٌ وصالحٌ ... سليمانُ يحيى هودُ ياسينُ خَاتَمُ

تنبيه: قال بعضهم وفي قولهم: خلقوا مختونين تجوُّز لأَن الخِتَان هو القَطْع، وهو غير ظاهر. لأَن الله تعالى يوجِد ذلك على هذه الهيئة من غير قطع، فيحمل الكلام باعتبار أَنه على صفة المقطوع. والله أَعلم.

الباب التاسع

في مناغاته صلى الله عليه وسلم لِلقمر في مهده وكلامه فيه

روى الطبراني والبيهقي عن العباس بن عبد المطلب رضي الله تعالى عنه قال: قلت يا رسول الله دعاني إلى الدخول في دينك أَمارة لنبوتك، رأَيتُك في المهد تناغِي القمرَ وتشير إليه بإصبعك فحيث ما أَشرت إليه مال. قال: **«كنت أَحدِّثه ويحدِّثني ويُلْهيني عن البكاء وأَسمع وَجْبته حين يسجد تحت العرش»**.

قال الإمام أَبو عثمان الصابوني[1] رحمه الله تعالى في كتاب المائتين: هذا حديث غريب الإسناد والمتن في المعجزات حسن.

المناغاة: المحادثة. وناغت الأم صبيها لاطفته وشاغلته بالمحادثة والملاعبة. قال الحافظ في الفتح وفي سِيَر الواقدي أَن النبي ﷺ تكلَّم في المهد أَوائل ما ولد. وذكر ابن سبع رحمه الله تعالى في الخصائص أَن مَهْده ﷺ كان يتحرك بتحريك الملائكة له. وأَن أَول كلام تكلم به أَن قال: **«الله أكبر كبيراً والحمد لله كثيراً»**.

فائدة: تكلم في المهد جماعة نظم شيخنا رحمه الله تعالى أسماءهم في كتابه قلائد الفوائد فقال:

تَكَلَّمَ في المهْدِ النَّبِيُّ مُحَمدٌ ... وَمُوسَى وعيسى والخليلُ ومريمُ
ومُبْرِئ جُرَيْجٍ ثم شاهدُ يوسفٍ ... وطِفْلٌ لَدَى الأُخْدُودِ يَرْوِيهِ مُسْلمُ
وطفلٌ عَلَيْهِ مُرَّ بِالْأَمَةِ الَّتي ... يُقَالَ لَهَا تَزْني ولا تَتَكَلَّمُ
وَمَاشِطَةٌ في عَهْدِ فرعونَ طِفْلُها ... وفي زَمَنِ الْهَادِي المُبَارَكِ يُخْتَمُ

والله سبحانه وتعالى أَعلم بالصواب.

(١) إسماعيل بن عبد الرحمن بن أحمد بن إسماعيل، أبو عثمان الصابوني: مقدم أهل الحديث في بلاد خراسان. لقبه أهل السنة فيها بشيخ الإسلام، فلا يعنون ـ عند إطلاقهم هذه اللفظة ـ غيره. ولد ومات في نيسابور. وكان فصيح اللهجة، واسع العلم، عارفاً بالحديث والتفسير، يجيد الفارسية إجادته العربية. له كتاب «عقيدة السلف» و «الفصول في الأصول». توفي سنة ٤٤٩هـ. انظر الأعلام ٣١٧/١، وطبقات الشافعية ١١٧/٣.

الباب العاشر

في حزن إبليس وحجبه من السموات وما سمع من الهواتف لما ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم

نقل السهيلي وأَبو الربيع وغيرهما عن تفسير الحافظ بقيّ بن مَخْلَد(١) رحمه الله تعالى أَن إِبليس رنَّ أَربع رَنَّات: رنة حين لُعن، ورنة حين أُهبط، ورنة حين ولد النبي ﷺ، ورنة حين أنزلت فاتحة الكتاب.

رنَّ: صوت بحزن وكآبة.

وروى ابن أَبي حاتم عن عكرمة رحمه الله تعالى قال: قال إِبليس لما ولد رسول الله ﷺ: لقد ولِد الليلة ولد يفسد علينا أَمرَنا فقال له جنوده: لو ذهبت إِليه فخبَلْتَه. فلما دنا من رسول الله ﷺ بعث الله جبريلَ فركضه برجله رَكْضة فوقع بعدَن.

وروى الزبير بن بكّار وابن عساكر عن معروف بن حزَّبوذ رحمه الله تعالى قال: كان إِبليس يخترق السموات السبع. فلما ولد عيسى حُجب من ثلاث سموات، وكان يصل إِلى أَربع فلما ولد النبي ﷺ حُجب من السبع.

وروى الخرائطي وابن عساكر عن عروة بن الزبير رحمه الله تعالى أَن نفراً من قريش منهم ورقة بن نوفل وزيد بن عمرو بن نفيل وعبيد الله بن جحش وعثمان بن الحُوَيْرث كانوا عند صنم يجتمعون إِليه فلما دخلوا يوماً فرأَوه مكبوباً على وجهه، فأَنكروا ذلك فأَخذوه فردّوه إِلى حاله فلم يلبث أن انقلب انقلاباً عنيفاً فردوه إِلى حاله، فانقلب الثالثة فقال عثمان: إِن هذا لأَمر حدَث. وذلك في الليلة التي ولد فيها رسول الله ﷺ. فجعل عثمان بن الحُوَيْرث يقول:

أَيا صَنَمَ العِيدِ الَّذِي صُفَّ حَوْلَه ... صَنَادِيدُ وَفْدٍ من بَعِيدٍ ومِنْ قُرْبِ

يُنكَّسُ مَقْلوباً فما ذَاكَ قُلْ لَنَا ... أَذَاكَ سَفِيهٌ أَمْ تُنَكَّسُ للعَتْبِ

فإِنْ كَانَ مِنْ ذَنْبٍ أَسَأْنَا فإِنَّنَا ... نَبُوءُ بإِقْرَارٍ ونَلْوِي على الذَّنْبِ

وإِنْ كُنتَ مَغْلُوباً تَنَكَّسْتَ صَاغِراً ... فَمَا أَنْتَ فِي الأَصْنَامِ بالسَّيِّدِ الرَّبِّ

قال: فأَخذوا الصنم فردوه إِلى حاله فلما استوى هتف بهم هاتف من جوف الصنم بصوت جهير وهو يقول:

---

(١) بقي بن مخلد بن يزيد، أبو عبد الرحمن، الأندلسي القرطبي: حافظ مفسر محقق، من أهل الأندلس. له «تفسير» قال ابن بشكوال: لم يؤلف مثله في الإسلام، وكتاب في «الحديث» رتبه على أسماء الصحابة، ومصنف في «فتاوي الصحابة والتابعين ومن دونهم». توفي سنة ٢٦٧هـ. الأعلام ٢/٦٠.

تــردَّى لِــمَــوْلُــودٍ أَضَــاءَتْ لِــنُــورِهِ جَـمِـيـعُ فِـجَـاجِ الأَرْضِ بـالـشَّـرْقِ والـغَـرْبِ
وخــرَّتْ لَــه الأَوْثَــانُ طُــرًّا وأَرْعَــدَت قُــلُـوبُ مُـلُـوكِ الأَرْضِ طُـرًّا مـن الـرُّعْـبِ
وَنَـارُ جَـمِـيـعِ الـفُـرْسِ بَـاخـتْ[٣] وأَظْـلَـمَـتْ وَقَـدْ بَـاتَ شَـاهُ الـفُـرْسِ فـي أَعْـظَـمِ الـكَـرْبِ
وَصَـدَّتْ عَـنِ الـكُـهَّـانِ بِـالْـغَـيْـبِ جِـنُّـهـا فَـلاَ مُـخْـبِـرٌ مِـنْـهُـمْ بِـحَـقٍّ وَلاَ كَـذْبِ
فـيـالَـقُـصَـيٍّ إِرْجَـعُـوا عـن ضَـلاَلِـكُـم وَهُـبُّـوا إِلَـى الإِسْـلاَمِ والـمَـنْـزِلِ الـرَّحْـبِ

الفجاج: جمع فج وهو الطريق الواسع بين الجبلين. وقيل في جبل. باخت: خمدت. هَبَّ النائم هَبًّا وهُبوباً: استيقظ.

وروى الخرائطي عن أَسماءَ بنت أَبي بكر رضي الله تعالى عنهما قالت: كان زيد بن عمرو بن نُفَيْل وورقة بن نوفل يذكران أَنهما أَتيا النجاشيَّ بعد رجوع أَبرهة من مكة، قالا: فلما دخلنا عليه قال: اصدُقاني أَيّها القُرَشيّان: هل ولد فيكم مولود أَراد أَبوه ذَبْحَه فضُرب عليه بالقداح فسَلِم ونُحرت عنه جمال كثيرة؟ فقلنا نعم. قال: فهل لكما عِلم به ما فعل؟ قلنا: تزوَّج امرأَةً منا يقال لها آمنة تركها حاملاً وخرج. قال: فهل تعلمان ولدت أَم لا؟ قال ورقة: أَخبرك أَيها الملك. إِني قد قربت عند وثنٍ لنا إِذ سمعت من جوفه هاتفاً يقول:

وُلِـدَ الـنَّـبِـيُّ فَـذَلَّـتِ الأَمْـلاَكُ وَنَـأَى الـضَّـلاَلُ وأَدْبَـرَ الإِشـراكُ

ثم تنكَّس الصنم على رأْسه. فقال زيد: عندي خبره أَيها الملِك، إِني في مثل هذه الليلة خرجتُ حتى أَتيت جبلَ أَبي قُبَيْس إِذ رأَيت رجلاً ينزل له جناحان أَخضران فوقف على أَبي قُبَيْس ثم أَشْرف على مكة فقال: ذَلَّ الشيطان وبطلت الأَوثان وولد الأَمين. ثم نشر ثوباً معه وأَهْوَى به نحو المشرق والمغرب فرأَيته قد جلَّل ما تحت السماء وسطع نورٌ كاد يخطف بصري، وهالَني ما رأَيتُ وخفق الهاتف بجناحيه حتى سقط على الكعبة فسطع له نور أَشرقَتْ له تهامة وقال: زكت الأَرض وأَدَّت ربيعهَا. وأَومأَ إِلى الأَصنام التي كانت على الكعبة فسقطت كلها.

قال النجاشي: أُخبركما عما أَصابني: إِني لَنائم في الليلة التي ذكرتما في قُبّتي وقت خلْوتي إِذ خرج عليّ من الأَرض عُنق ورأْس وهو يقول: حَلَّ الوَيْل بأَصحاب الفِيل، رمتهم طيرٌ أَبابيل بحجارة من سِجّيل، هلَكَ الأَشْرمُ المعتدي المجرم، وولد النبي المكي الحرَمي، من أَجابه سعد ومن أَباه عند، ثم دخل الأَرض فغاب فذهبت أَصيح فلم أُطق الكلام ورُمْت القيام فلم أُطق القيامَ فأَتاني أَهل فقلت: احجبوا عني الحبشة فحجبوهم فأَطلق الله لساني ورِجْلي.

وروى ابن أَبي الدنيا عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنه قال: لما ولد

رسول الله ﷺ هتف هاتف على أَبي قُبَيْس وآخر على الحَجُون الذي بأَصل المقبرة فقال الذي على جبل الحجون:

فَأُقْسِمُ مَا أُنْثَى مِنَ النَّاسِ أَنْجَبَتْ ... وَلاَ وَلَدَتْ أُنْثَى مِنَ النَّاسِ وَالِدَه

كَمَا وَلَدَتْ زُهْرِيَةٌ ذاتُ مَفْخَرٍ ... مِجَنَّبَةٌ لُؤْمَ القَبَائِلِ مَاجِدَهْ

فَقَدْ وَلَدَتْ خيرَ البَرِيَّةِ أَحمدا ... فَأَكْرِمْ بِمَوْلُودٍ وأَكْرِمْ بِوَالِدَهْ

وقال الذي على جبل أَبي قبيس:

يَا سَاكِنِي الْبَطْحَاءَ لاَ تَغْلَطُوا ... وَمَيِّزُوا الأَمْرَ بِعَقْلٍ مُضِي

إِن بَنِي زُهْرَةٍ مِن سِرِّكُمْ ... فِي غَابِرِ الأَمْرِ وعِنْدَ البَدِي

واحِدَةٌ مِنْكُم فَهَاتُوا لَنَا ... فِيمَنْ مَضَى في النَّاسِ أَوْ مَنْ بَقِي

وَاحِدَةٌ مِن غَيْرِهِمْ مِثْلَهَا ... جَنِينُها مِثْلُ النَّبِيِّ التَّقِي

الباب الحادي عشَر

في انبثاق دجلة وارتجاس الإيوان وسقوط الشرفات وخمود النيرانِ وغير ذلك مما يذكر

ذكر ابن جرير وغيره أَن كسرى أَبْرَويز كان قد سكَر دجْلة العَوْرَاءَ وأَنفق عليها مالاً عظيماً، وكان طاق مُلْكه قد بناه بنياناً عظيماً لما يُر مثله، وكان عنده ثلاثمائة رجل من كاهن وساحر ومنجّم، وكان فيهم رجل من العرب اسمه السائب قد بَعث به بأذان من اليمن، وكان كسرى إِذا حزَبه أَمرٌ جمَعهم فقال: انظروا في هذا الأَمر ما هو.

فلما ولد رسول الله ﷺ أَصبح كسرى وقد انقصم طاقُ ملكه من غير ثِقَل وانخرقت دجلة العَوْراءَ فلما رأَى ذلك أَحزنه فدعا كهانه وسحّاره ومنجميه وفيهم السائب فقال لهم: قد انقصم طاقُ ملكي من غير ثقل فانظروا في أَمره بما تعلمونه من علمكم فأَخذت عليهم أَقطار السماء وأَظلمت الأَرض فلم يمض لهم ما رأَوه وبات السائب في ليلة مظلمة على ربوة من الأَرض ينظر فرأَى بَرْقاً من قِبَل الحجاز قد استطَار فبلغ المَشْرق، فلما أَصبح رأَى تحت قدميه روضةً خضراءَ فقال فيما يَعْتاف: إِن صدَق ما أَرى لَيخرجنَّ من الحجاز سلطان يَبْلغ المشرق وتُخْصب الأَرض عليه كأَفضل ما أُخصبت على ملِك.

فلما خلص الكهان والمنجمون بعضهم إِلى بعض ورأَوا ما أَصابهم ورأَى السائب ما رأَى قال بعضهم لبعض: والله ما حِيلَ بينكم وبين عِلْمكم إِلا لأَمرٍ جاءَ من السماء وإِنه لَنبيٌّ يُبعث أَو هو مبعوث يَسْلب هذا الملِكَ مُلكه ويكسر وإِن نَعيْتم إِلى كسرى كَسر ملكه لَيَقتلنكم فاتفقوا على أَن يكتموه الأَمر وقالوا له قد نظرنا فوجَدنا وضع دجلة العوراءَ وطاق الملك قد وضع على النُّحوس، فلما اختلف الليل والنهار فوقعت النحوس مواقعها زال كلٌّ ما وضع عليها، ونحن نحسب لك حساباً تضع عليه بنيانك فلا يزول. ـ فحسبوا فأَمروه بالبناء فبنى دجلة العوراءَ في ثمانية أَشهر وأَنفق عليها أَموالاً جليلة حتى فرغ منها، فلما فرغ قال لهم: أَجلس على سُورها؟ قالوا: نعم. فجلس في أَساورته ومَرازبته، فبينما هو كذلك انشقَّت دجلة وخرج ذلك البنيان من تحته، فلم يخرج إِلا بآخر رَمق، فلما أَخرجوه جمع كهانه وسحرته ومنجميه وقتل منهم نحو مائة وقال لهم: أَقرَّبتُكم وأَجريتُ عليكم الأَموال ثمّ إِنكم تَخُونونني؟ فقالوا: أَيها الملك أَخْطأْنا كما أَخطأَ من قَبْلنا. ثم حسبوا له وأَمروه بالبناء فبناه وفرغ منه وأَمروه بالجلوس عليه فخاف أَن يجلس عليه فركب وسار على البناء فبينما هو يسير إِذ انشقت أَيضاً،

فلم يُدْرَكْ إلا بآخر رَمَق. فدعاهم وقال: لأَقتلنكم أَو لَتَصْدُقُنِّي. فصَدَقوه وأَخبروه بالأَمر فقال: ويحكم هلاَّ بيَّنتم لي ذلك فأَرى فيه ما أرى قالوا: منعنا الخوفُ. فتركهم.

وروى ابن جرير في تاريخه والبَيْهقي وأَبو نُعَيْمْ كلاهما في الدَّلائل، والخرائطي عن مَخزوم بن هانئ عن أَبيه وأَتت عليه مائة وخمسون سنة قال: لما كانت الليلة التي ولد فيها رسول الله ﷺ ارتجس فيها إيوان كسرى وسقطت منه أَربع عشر شرافة وخمدت نار فارس ولم تخمد قبل ذلك بأَلف عام، وغاضت بحيرة ساوة ورأَى الموبَذَان إبلاً صِعَاباً تقود خَيْلاً عِرَاباً قد قطعت دجلة وانتشرت في بلادها، فلما أَصبح كسرى أَفزعه ذلك وتصبَّر عليه تشجُّعاً، ثم رأَى أَن لا يدَّخر ذلك عن وزرائه ومَرَازبته حين عِيل صبره فجمعهم ولبس تاج ملكه وقعد على سريره ثم بعث إليهم فلما اجتمعوا عنده قال: تدرون فيما بعثتُ؟ قالوا: لا إلا أَن تُخْبرنا بذلك، فبينما هم كذلك إذ أَتاه كتاب بخمود نار فارس فازداد غمًّا إلى غمه ثم أَخبرهم بما هالَه، فقال الموبذان: وأَنا أَصلح الله الملك قد رأَيت في هذه الليلة. فقص عليهم رؤياه في الإبل، فقال: أَي شيء يكون هذا يا موبذان؟ وكان أَعلمَهم في أَنفسهم قال: حدَثٌ يكون من ناحية العرب، فكتب كسرى عند ذلك: من ملِك الملوك كسرى إلى النعمان بن المنذر: أَما بعد فوجِّه إلي عالماً بما أريد أَن أَسأله عنه فوجَّه إليه بعبد المسيح بن عمرو بن حَسَّان بن بُقَيْلة - بضم الموحدة وفتح القاف وسكون التحتية - الغسَّاني. فلما قدِم عليه قال: أَلك علم بما أريد أَن أَسألك عنه؟ قال: يسأَلني الملك أَو يخبرني الملك، فإن كان عندي علم منه أَخبرته وإلا دلَلْته على من يعلمه. قال: فأَخبره. فقال: علم ذلك عند خال لي يسكن مشارق الشام يقال له سَطِيح. قال: فاذهب إليه فاسأَله وائتني بتأْويل ما عنده. فنهض عبدُ المسيح حتى قدِم على سَطِيح وقد أَشْفَى على الموت فسلَّم عليه وحيَّاه فلم يحِرْ جواباً فأَنشأ عبدُ المسيح يقول: أَصُمٌّ أَم يَسْمع غِطْريف اليَمنْ.. في أَبيات ذكرها.

فلما سمع سَطِيح كلامه فتح عينيه ثم قال: عبد المسيح على جمل مُشِيح، أَقبل إلى سطيح، وقد أَوفَى على الضريح، بعثك - ملِكُ بني ساسان، لارتجاس الإيوان وخمود النيران، ورؤيا الموبَذان. رأَى إبلاً صِعاباً تقود خيلاً عِرَاباً، قد قطعت دجلة وانتشرت في بلادها. يا عبد المسيح إذا أَكثرت التلاوة. وظهر صاحب الهِرَاوة، وفاض وادي سَمَاوة، وغاضت بحيرة ساوة، فليس الشام لسطيح شاماً، يملك منهم ملوك وملكات على عدد الشُّرفات، وكل ما هو آتٍ آتٍ. ثم قضى سطيح مكانه فأَتى عبدُ المسيح إلى كسرى فأَخبره فقال: إلى أَن يملك منّا أَربعة عشر ملكاً كانت أمور وأُمور. فملك منهم عشرة في أَربع سنين وملك الباقون إلى خلافة عثمان رضي الله تعالى عنه.

ويرحم الله تعالى الإمام أَبا عبد الله محمد بن أَبي زكريا يحيى بن علي الشقرَاطسي[١] حيث قال:

ضَاءَتْ لِمَوْلِدِهِ الآفَاقُ واتَّصَلَتْ ... بُشْرَى الهَوَاتِفِ فِي الإِشْرَاق والطَّفَلِ

وصَرْحُ كِسْرى تداعَى من قَوَاعِدِهِ ... وانْقَضَّ مُنْكَسِرَ الأَرْجَاءِ ذا مَيَلِ

ونارُ فَارِسَ لَمْ تُوقَدْ وما خَمَدَتْ ... مِن أَلْفِ عَامٍ ونهرُ القوم لم يَسِلِ

خرَّت لِمَوْلِدِه الأَوْثَانُ وانْبَعَثَتْ ... ثَواقِبُ الشُّهْبِ تَرْمِي الجِنَّ بالشُّعَلِ

والإِمام أَبا عبد الله محمد بن سعيد بن حماد الدلاصي الشهير بالبوصيري رحمه الله تعالى حيث قال:

أَبَانَ مَوْلِدُهُ عَنْ طِيبِ عُنْصِرِه ... يَا طِيبَ مُبْتَدإٍ مِنْهُ ومُخْتَتَمِ

يَوْمٌ تَفَرَّسَ فِيهِ الفُرْسُ أَنَّهُمُ ... قَدْ أُنْذِرُوا بِحُلولِ البُؤْسِ والنِّقَمِ

وَبَاتَ إِيوَانُ كِسْرَى وهْوَ مُنْصَدِعٌ ... كشَمْلِ أَصْحَابِ كِسْرَى غَيْرَ مُلْتَئِمِ

والنَّارُ خَامِدَةُ الأَنْفَاسِ مِنْ أَسَفٍ ... عَلَيْهِ والنَّهْرُ سَاهِي العَيْنِ مُنْسَدِمِ

وساءَ سَاوَةَ أَنْ غَاضَتْ بُحَيْرَتُهَا ... ورُدَّ وَارِدُهَا بالغَيْظِ حِينَ ظَمِي

كأَنَّ بِالنَّارِ مَا بِالْمَاءِ من بَلَلٍ ... حُزْناً وَبِالْمَاءِ مَا بِالنَّارِ مِنْ ضَرَمِ

وَالْجِنُّ تَهْتِفُ وَالأَنْوَارُ سَاطِعَةٌ ... والْحَقُّ يَظْهَرُ مِنْ مَعْنَى وَمِن كَلِمِ

عَمُوا وصَمُّوا فإِعْلانُ البَشَائِرِ لَمْ ... يُسْمَعْ وَبَارِقَةُ الإِنْذَارِ لَمْ تُشِمِ

مِنْ بَعْدِ مَا أَخْبَرَ الأَقْوَامَ كَاهِنُهُمْ ... بِأَنَّ دِينَهُمُ المُعْوَجَّ لَمْ يَقُمِ

مِنْ بَعْدِ مَا عَايَنُوا في الأُفْقِ مِنْ شُهُبٍ ... مُنْقَضَّةٍ وفْقَ مَا فِي الأَرْضِ مِنْ صَنَمِ

حَتَّى غَدَا عَنْ طَرِيقِ الْحَقِّ مُنْهَزِمٌ ... مِن الشياطين يَقْفُو إِثْرَ مُنْهَزِمِ

وقال أَيضاً في قصيدته الهَمْزية:

وَمُحَيًّا كَالشَّمْس مِنْكَ مُضِيءٌ ... أَسْفَرَتْ عَنْهُ لَيْلَةٌ غَرَّاءُ

لَيْلَةُ المَوْلِدِ الَّذي كَانَ لِلدِّيـ ... ـنِ سُرُورٌ بِيَوْمِه وازْدِهَاءُ

---

(١) عبد الله بن يحيى بن علي، أبو محمد الشقراطسي التَّوزري: فقيه مالكي، من الشعراء. ولد بتوزر. وعلمه أبوه وسافر إلى القيروان، فأخذ عن علمائها. ورحل إلى المشرق (سنة ٤٢٩هـ) وخاض معركة في قتال الفرنج، بمصر، قال فيها، من قصيدة:

وأسمر عسال الكعوب سقيته ... نجيع الطلى والخيل تدمى نحورها

وعاد إلى توزر، فأفتى ودرّس إلى أن توفي. له «تعليق على مسائل من المدونة»، و «فضائل الصحابة» و «الإعلام بمعجزات النبي عليه السلام» ختمه بقصيدة له لامية تعرف بالشقراطسية أولها:

«الحمد لله، منا باعث الرسل»

عُني أُدباء إفريقية بشرحها وتخميسها وتشطيرها. توفي سنة ٤٦٦هـ. الأعلام ١٤٤/٤، ١٤٥.

وَتَوَالَتْ بُشْرى الْهَوَاتِفِ أَنْ قَدْ ... وُلِدَ الْمُصْطَفَىٰ وَحَقَّ الْهَنَاءُ
وَتَدَاعَى إِيوَانُ كِسْرَى وَلَوْ ... لاَ آيَةٌ مِنْكَ مَا تَدَاعَى الْبِنَاءُ
وَغَدَا كُلُّ بَيْتِ نَارٍ وفِيْهِ ... كُرْبَةٌ من خُمُودِهَا وَبَلاَءُ
وعيونٌ لِلفُرْسِ غَارَتْ فَهَلْ كَا ... نَ لِنِيرَانِهِمْ بِهَا إِطْفَاءُ
فَهَنِيئاً بِهِ لآمِنَةَ الفَضْـ ... ـلُ الَّذِي شَرُفَتْ بِهِ حَوَّاءُ
مَنْ لِحَوَّاءَ أَنَّهَا حَمَلَت أَحْـ ... ـمَداً وَأَنَّهَا بِهِ نُفَسَاءُ
يَوْمَ نَالَتْ بِوَضْعِهِ ابْنَةُ وَهْـ ... ـبٍ من فَخَارٍ مَا لَمْ تَنَلْهُ النِّسَاءُ
وَأَتَتْ قَوْمَهَا بِأَفْضَلَ مِمَّا ... حَمَلَتْ قَبْلُ مَرْيَمُ العَذْرَاءُ
شَمَّتَتْهُ الأَمْلاَكُ إِذْ وَضَعَتْهُ ... وَشَفَتْنا بِقَوْلِهَا الشُّفَاءُ
رَافِعاً رأْسَهُ وفي ذَلِكَ الرَّفْـ ... ـعِ إِلَى كُلِّ سُؤْدِدٍ إِيمَاءُ
رَامِقاً طرفُهُ السَّماءَ ومَرْمَى ... عَيْنِ من شأْنه العُلُوُّ العلاءُ
وَتَدَلَّتْ زُهْرُ النُّجومِ إِلَيْهِ ... وَأَضَاءَتْ بِضَوْئِهَا الأَرْجَاءُ
وَتَرَاءَتْ قُصُورُ قيصر بالشا ... مِ يراها مَنْ دارُهُ البطحاء

تفسير الغريب

كِسْرى بفتح الكاف وكسرها: اسم ملك الفرس. والذي ولد النبي ﷺ في زمانه: أَنوشروان بن قباذ بن فيروز بن يزدجرد بن بهرام جور. والذي كتب إِليه الكتاب ومزَّقه: أَبرويز بن هرمز أَنوشروان. والذي قُتل في زمن عثمان وأَخذ منه المسلمون البلادَ: يَزْدجرد بن شهريار.

دِجْلة بكسر الدال المهملة: نهر بغداد. قال ثعلب ـ رحمه الله تعالى ـ تقول: عَبرْت دِجْلة بغير أَلف ولام.

باذان: بذال معجمة.

انقصم: انكسر وانفصل بعضه من بعضه.

اعتاف: قال في النهاية: العيافة: زَجْر الطير والتفاؤل بأَسمائها وأَصواتها وممرِّها، يقال: عاف يعيف عَيْفاً إِذا زجر وحدَسَ وظن. قلت: والمراد هنا الحدْس والظن.

ارتجس: اضطرب وانشق. والرَّجْس بفتح الراء وإِسكان الجيم وبالسين المهملة: الصوت الشديد من الرعد ومن هدير البعير.

الإِيوان: بوزن الدِّيوان ويقال فيه بوزن كتاب بناء أَزَج غير مسدود الوجه. والأَزَج: بيت

يبنى طولاً، وجمعه على الأول: أَواوين كدواوين. وإيوانات. وعلى الثاني: أُون كخِوان وخون: بناء مشهور بالمدائن من أرض العراق، كان بناء مُحْكَماً مبنياً بالآجُرّ الكبار والجصّ، سُمْكه مائة ذراع في طول مثلها، فارتجس حتى سُمع صوته وانشقّ وسقطت منه أَربعة عشر شرافة. ليس السبب في ذلك من جهة خلل في بنائه في نفسه، وإنما أَراد الله تعالى أَن يكون ذلك آيةً باقية على وجه الدهر لنبيه ﷺ.

المُوبَذان: بضم الميم ثم واو ساكنة وفتح الباء الموحدة. وحكى الحافظ شمس الدين بن ناصر الدين الدمشقي رحمه الله تعالى كسرها أَيضاً وبذال معجمة: اسم لحاكم المجوس كقاضي القضاة للمسلمين.

مُشِيح بشين معجمة وحاء مهملة وزن مُلِيح يقال ناقة مشحاة إِذا كانت سريعة. والإِبل كناية عن الناس هنا.

الهِرَاوة. بكسر الهاء: العصا.

الشرفات بضم الراء وفتحها وسكونها جمع شرفة - إما تحقيراً لها أَو أَن جمع القلة قد يقع موضع جمع الكثرة.

خمدت بفتح الميم وكسرها كنصر وسمع. غاضَتْ بغين وضاد معجمتين: غارَتْ.

خيلا عِرَاباً، بكسر العين. الخيل العِرَاب خلاف البَرَاذِين الفَرَسُ إن كان أَبواه عربيين فهو عتيق، وإن كانا أَعجميين فهو بِرْذَوْن، وإن كان الأَب عربياً والأُم عجمية فهو هَجِين. وإن كان بالعكس فهو مُقْرِف.

بحيرة ساوة بحيرة متسعة الأَكناف جداً. وقد قال فيها الصَّرْصري - رحمه الله تعالى - في بعض قصائده:

* غَارَتْ وَقَدْ كَانَتْ جَوَانِبُهَا تَفُوتُ المِيلاَ *

وقال غيره: كانت أَكثر من ستة فراسخ تركب فيها السفن ويسافر فيها إِلى ما حولها من البلاد والمدن، فأَصبحت ليلة المولد ناشفة كأَن لم يكن بها شيء من الماء.

تنبيه: وقع في بعض الكتب: غاضت بحيرة طبرية. وهذا غير معروف. وبحيرة طبرية لم يثبت أَن ماءَها غاض وهو باق إِلى اليوم.

المرازبة بفتح الميم جمع مَرْزُبان بضم الزاي وهو الفارس الشجاع المتقدم على القوم دون المكرَه.

هالَه: أَفزعه.

رؤيا بترك التنوين.

حدَث بفتح الحاء والدال المهملتين ومثلثة أي وقع.

مشَارف بميم مفتوحة فشين معجمة مخففة فألف فراء ففاء. المشارف: القرى التي تقرب من المدن، وقيل التي بين بلاد الريف وجزيرة العرب قيل لها ذلك لأنها أشرفت على السَّواد. قاله في النهاية وقال في الصِّحَاح: مشَارف الأَرض أَعاليها.

أَشْفَى: أَشرف. أَنشأَ بهمزة مفتوحة أَوله وآخره أَي ابتدأَ.

أَصُمَّ: بهمزة الاستفهام ثم بضم الصاد المهملة فتشديد الميم مبني للمفعول.

الغِطْريف: بغين معجمة فطاء مهملة فراء مكسورة فمثناة تحتية ففاء المراد به هنا السيد.

عبدُ المسيح: بالرفع لأَنه مبتدأ والجار والمجرور في قوله «على جَمَل» الخبر.

أَوْفى: أَشرف.

ساوَة مدينة بين الرَّيّ وهَمَذان.

السَّماوة بسين مهملة مفتوحة فميم مخففة: بادية لبني كلب عند الكوفة، أَرض عالية لا حجر فيها لها طول ولا عرض لها سميت السَّماوة لسمّوها أي علوها.

الطَّفل بفتحتين: العشِيّ عند تطفيل الشمس ونقصان ضوئها. ومعنى تطفيلها دنّوها من المغيب.

أَنقاض يروى بضاد معجمة. ويروى بصاد مهملة. وعليهما فمعناه سقط.

الأَرجاء: النواحي.

الميْل بفتح الميم والمثناة التحتية قال في المحكم: الميْل أَي بسكون الياء في الحادِث. والمَيَل في الخلقة.

فارس: اسم علم كالفُرْس لطائفة من العجَم كانوا مَجُوساً يعبدون النار وكان لبيوت النار سدَنة يقومون عليها. ويتناوبون إِيقادها فلم يخمد لها لهَبٌ لا ليل ولا نهار إِلا ليلة مولده ﷺ، فإِنهم أَوقدوها فلم تقد. وإِنما انتفى إِيقادها في نفسها مع كونهم تعاطوا إِيقادها فهذا موضع الآية العجيبة، ولو كانوا لم يتعاطَوا إِيقادها لم يكن في ذلك آية لمولد النبي ﷺ وكان ذلك وقع اتفاقاً. وخمدت تلك النار مع إِيقادهم لها ولها أَلف سنة لم تخمد وتلك مدة عبادة المجوس للنار.

المُحَيَّا: الوجه.

أَسفَرتْ: انحسرت.

غرّاء: تأْنيث ـ الأَغرّ وهو السيّد والأَبيض النيّر. الازدهاء: الافتخار.

توالت: تتابعت.

الهَوَاتف: جمع هاتف وهو ما يسمع صوته ولا يُرى شخصه.

تداعى: تهادم.

غَدا بالدال المهملة: صار.

خمودُ النار: سكون لهبها ولم يُطْفَ جمرها، فإن انطفأ أَيضاً قيل: همدت.

الكُرْبة بالضم: الهمّ الذي يأخذ النفس. والاستفهام عن انطفاء نار فارس بمياه العيون التي غارت يفيد التعجب من هذه القضية وتأكيد وقوعها وأَن ذلك من آياته ﷺ.

رمق الشيء: نظر إليه نظراً خفيًّا.

المرمى في الأَصل: الغرض الذي ينتهي إِليه سهم الرامي. والمراد ما انتهى إِليه البصر.

الشأن: القصد.

العلو: الارتفاع في المكان.

العلاء بالفتح والمد: الرفعة والشرف، والعُلَى بالضم والقصر بمعناه.

تراءَت من رؤية العين. وتراءَى الجمعان: رأَى بعضُهم بعضاً.

قيصر: أَحد ملوك الروم.

البَطْحاء: الأَبطح. وهو في الأَصل مَسِيل واسع فيه دِقاق الحصى والمراد به هنا بطحاء مكة.

التشميت: بالمعجمة، ويجوز إِهمالها: أن تقول للعاطس: رحمك الله.

الشفَّاء بكسر الشين المعجمة وتخفيف الفاء وقيل بفتحها والتثقيل: أم عبد الرحمن بن عوف ـ رضي الله تعالى عنه ـ.

الباب الثاني عشر

في فرح جده عبد المطلب به صلى الله عليه وسلم وتسميته له محمداً

قال ابن إسحاق والواقدي وغيرهما: لما وضعت آمنة سيدنا رسول الله ﷺ أرسلت إلى جدّه عبد المطلب: أنه قد ولد لك غلام فائته فانظر إليه. فأتاه ونظر إليه. وحدثته بما رأت حين حملت به وما قيل لها وما أمرت به أن تسمّيه، فيزعمون أن عبد المطلب أخذه فدخل به الكعبة فقام يدعو الله ويشكره على ما أعطاه، ثم خرج به ﷺ إلى أمه وهو يقول:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَعْطَانِي ... هَذَا الغُلامَ الطَّيِّبَ الأَرْدانِ

قَدْ سَادَ فِي المَهْدِ عَلَى الغِلْمَانِ ... أُعِيذُهُ بِالبَيْتِ ذِي الأَرْكَانِ

حَتَّى يَكُونَ بُلْغَةَ الفِتْيَانِ ... حَتَّى أَرَاهُ بَالِغَ التُّبْيَانِ

أُعِيذُهُ مِنْ شَرِّ ذِي شَنَآنِ ... مِنْ حَاسِدٍ مُضْطَرِبِ العَيَانِ

ذِي هِمَّةٍ لَيس له عَيْنَانِ ... حَتَّى أَرَاهُ رَافِعاً لِلشَّانِ

أَنْتَ الَّذِي سُمِّيتَ فِي الفُرْقَانِ ... أَحمدَ مَكْتُوبٌ على اللِّسَانِ[1]

وروى البيهقي عن أبي الحسن التّنوخي - رحمه الله تعالى - أنه لما كان يوم السابع من ولادة رسول الله ﷺ ذبح عنه جدُّه ودعا قريشاً، فلما أكلوا قالوا: يا عبد المطلب ما سميته؟ قال: سميته محمداً. قالوا: لم رغبت به عن أسماء أهل بيته. قال: أردت أن يحمده الله في السماء وخَلْقه في الأرض.

وروى أبو عُمَر وأبو القاسم بن عساكر من طرق عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: لما ولد رسول الله ﷺ عَقّ عنده جده بكبش وسماه محمداً. فقيل له: يا أبا الحارث ما حملك على أن تسميه محمداً ولم تسمه باسم آبائه؟ قال: أردت أن يَحْمده الله في السماء ويحمده الناس في الأرض.

وذكر السُّهيلي وأبو الرَّبيع - رحمهما الله تعالى - أن عبد المطلب إنما سماه محمداً لرؤيا رآها. زعموا أنه رأى مناماً كأن سلسلة من فضة خرجت من ظَهْره ولها طرف في السماء وطرف في الأرض وطرف في المشرق وطرف في المغرب، ثم عادت كأنها شجرة على كل ورقة منها نور، وإذا أهلُ المشرق والمغرب يتعلّقون بها. فقصَّها فعبّرت له بمولود يكون من صُلْبه يَتْبعه أَهلُ المشرق والمغرب ويحمده أَهلُ السماء والأَرض، فلذلك سماه محمداً مع ما حدَّثته به أُمه ﷺ.

---

(١) انظر البداية والنهاية ٢/٢٦٤، ٢٦٥، الروض الأنف ١/١٨٤.

ويرحم الله تعالى الإمام العلامة العارف إبراهيم بن أَحمد الرقيّ حيث قال:

لَو آنَّ كُلَّ الخَلْقِ لَيْلَة مَوْلِدِ الْـ هَادِي عَلَى الْهَامَاتِ مِنْهُمْ قَامُوا

شُكْراً لنِعْمَةِ رَبِّهِمْ فِيمَا حُبُوا فِيهَا بِعُشْرِ عُشَيْرِهَا مَا قَامُوا

هِيَ نِعْمَةٌ مَا غَادَرَتْ مَنْ دِينُه كُفرٌ وَلاَ مَنْ دِينه الإِسلامُ

عَمَّتْهُمُ بِبِحَارِهَا فالْعَالَمُ الـ عُلْويُّ والسُّفْلِيُّ فِيهَا عَامُوا

فالْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي مِنْ فَضْلِهِ عَمَّ البَرِيَّةَ كُلَّهَا الإِنْعَامُ

نَظَر الرَّحيمُ إِلَى الوَرَى فَرَآهُمُ أغوتْهُمُ الأَنْصَابُ والأَزْلاَمُ

وَتَحَيَّرُوا في ظُلْمَةِ الْكُفْرِ الَّذِي عُبِدَتْ بِهِ الأَوْثَانُ والأَصْنَامُ

تُغْشَى الفواحشُ في الْمَحَافِلِ جَهْرةً لا يُنْكِرُونَ كَأَنَّهُمْ أَنْعَامُ

يَبْغي القَوِيُّ عَلَى الضَّعِيفِ ويَقْهَرُ الـ والِي اليَتيمَ وتُقْطعُ الأَرحامُ

فأَغاثَهُمْ ربُّ العِبَادِ بِشِرْعَةٍ فيهَا الحُدُودُ عَلَى السَّدَادِ تُقَامُ

دينُ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ خَيْرِ الْوَرَى مَنْ فُصِّلَتْ في دِينِهِ الأَحْكَامُ

مُوسَى وَعِيسَى بَشَّرا بِظُهُورِهِ ودَعَا بِهِ مِنْ قبلُ إِبْرَاهامُ

شكراً لمُهْدِيهِ إِلينا نِعمةً لَيْسَتْ تُحِيطُ بكُنْهِهَا الأَوْهَامُ

الباب الثالث عشر

في أقوال العلماء في عمل المولد الشريف واجتماع الناس له وما يحمد من ذلك وما يذم

قال الحافظ أَبو الخير السَّخَاوي ـ رحمه الله تعالى ـ في فتاويه: عمل المولد الشريف لم يُنقل عن أَحد من السَّلف الصالح في القرون الثلاثة الفاضلة، وإِنما حدَث بعدُ، ثم لا زال أَهلُ الإِسلام في سائر الأَقطار والمدن الكبار يحتفلون في شهر مولده ﷺ بعمل الولائم البديعة المشتملة على الأمور البهجة الرفيعة ويتصدقون في لياليه بأَنواع الصدقات ويُظْهرون السرور ويزيدون في المبرّات ويَعْتنون بقراءَة مولده الكريم ويظهر عليهم من بركاته كل فضل عميم. انتهى.

وقال الإِمام الحافظ أَبو الخير بن الجزَرِيّ ـ رحمه الله تعالى ـ شيخ القُرَّاء: من خواصه أَنه أَمانٌ في ذلك العام وبُشْرى عاجلة بنيل البُغْية والمرام.

قلت: وأَول من أَحدَث ذلك من الملوك صاحب إِرْبِل الملك المظفَّر أَبو سعيد كوكوبري بن زَيْن الدين علي بن بُكْتِكين أَحد الملوك الأَمجاد والكُبَراء الأَجواد.

قال الحافظ عِمَاد الدين بن كَثِير ـ رحمه الله تعالى ـ في تاريخه: كان يعمل المولد الشريف في ربيع الأَول ويحتفل به احتفالاً هائلاً، وكان شَهْماً شجاعاً بطلاً عاقلاً عادلاً ـ رحمه الله تعالى ـ وأَكرم مثواه. وقد صنَّف الشيخ أَبو الخطاب بن دِحْية ـ رحمه الله تعالى ـ كتاباً له في المولد سمَّاه: «التَّنْوير في مَوْلد البشير النذير» فأَجازه بأَلف دينار.

قال سِبْط بن الجَوْزي ـ رحمه الله تعالى ـ في مرآة الزمان: حكى من حضر سِمَاط المظفر في بعض الموالد أَنه عدَّ في ذلك السِّمَاط خمسة آلاف رأْس غنم شَوِيٍّ وعشرة آلاف دَجَاجة ومائة أَلف قُرْص ومائة أَلف زُبْدِيّة أَي من طعام، وثلاثين أَلف صَحْن حلوى، قال: وكان يحضر عنده في المولد أَعيانُ العلماء والصوفية فيخلع عليهم ويُطْلق لهم. وكان يَصْرف على المولد في كل سنة ثلاثمائة أَلف دينار، وكانت له دار ضيافة للوافدين من أَي جهة على أَي صفة. فكان يصرف على هذه الدار في كل سنة مائة أَلف دينار وكان يَفْتكّ من الفرنج في كل سنة بمائتي أَلف دينار، وكان يصرف على الحرمين والمياه بدرب الحجاز في كل سنة ثلاثين أَلف دينار، وهذا كله سوى صدقات السرّ.

وحكت زوجته ربيعة خاتُون بنت أَيوب أخت الملك الناصر صلاح الدين[1] أَن قميصه

---

(١) يوسف بن أيوب بن شاذي، أبو المظفر، صلاح الدين الأيوبي، الملقب بالملك الناصر: من أشهر ملوك الإسلام. كان=

كان من كِرْباس غليظ لا يساوي خمسة دراهم. قالت: فعاتبته في ذلك فقال: أَلبس ثوباً بخمسة دراهم وأَتصدَّق بالباقي خير من أن أَلبس ثوباً مثمناً وأَدَع الفقير والمسكين.

وقد أَثنى عليه الأئمة، منهم الحافظ أبو شامَة شيخ النَّووي في كتابه «الباعث على إنكار البِدَع والحوادث» وقال: مثل هذا الحسَن يُندب إليه ويُشكر فاعله ويُثْنى عليه.

قال ابن الجوزيّ: لو لم يكن في ذلك إلا إرغام الشيطان وإدعام أَهل الإيمان.

وقال العلامة ابن ظَفَر ـ رحمه الله تعالى ـ: بل في الدرّ المنتظم: وقد عمل المحبون للنبي ﷺ فرحاً بمولده الولائم ـ، فمن ذلك ما عمله بالقاهرة المعزّية من الولائم الكبار الشيخُ أَبو الحسن المعروف بابن قُفْل قدس الله تعالى سره، شيخ شيخنا أَبي عبد الله محمد بن النعمان، وعمل ذلك قبلُ جمال الدين العجمي الهمذاني وممن عمل ذلك على قدر وسعه يوسف الحجّار بمصر وقد رأى النبيَّ ﷺ وهو يحرِّض يوسفَ المذكور على عمل ذلك.

قال: وسمعت يوسف بن علي بن زُرَيْق الشامي الأَصل المصري المولد الحجَّار بمصر في منزله بها حيث يعمل مولد النبي ﷺ يقول: رأَيتُ النبيَّ ﷺ في المنام منذ عشرين سنة وكان لي أَخ في الله تعالى يقال له الشيخ أَبو بكر الحجَّار فرأَيت كأَنني وأَبا بكر هذا بين يدي النبي ﷺ جالسيْن، فأَمسك أَبو بكر لحية نفسه وفرَقها نصفين وذكر للنبي ﷺ كلاماً لم أَفهمه فقال النبي ﷺ مجيباً له: لولا هذا لكانت هذه في النار. ودار إليّ وقال: لأَضْربنك. وكان بيده قَضِيب فقلت: لأَي شيء يا رسول الله؟ فقال: حتى لا تُبْطل المؤلد ولا السُّنن. قال يوسف: فعملته منذ عشرين سنة إلى الآن. قال: وسمعت يوسفَ المذكور يقول: سمعت أَخي أَبا بكر الحجَّار يقول: سمعت منصوراً النشَّار يقول: رأَيت النبي ﷺ في المنام يقول لي: قل له لا يُبْطله. يعني المولد ما عليك ممن أَكل وممن لم يأْكل. قال: وسمعت شيخنا أَبا عبد الله بن أَبي محمد النُّعمان يقول: سمعت الشيخ أَبا موسى الزَّرْهُونِيّ يقول: رأَيت النبي ﷺ في النوم فذكرت له ما يقوله الفقهاءُ في عمل الولائم في المولد فقال ﷺ: «من فَرِح بنا فرِحْنا به».

وقال الشيخ الإمام العلاَّمة نصير الدين المبارك الشهير بابن الطبَّاخ في فتوى بخطه: إذا أَنفق المنفِق تلك الليلة وجمع جمعاً أَطعمهم ما يجوز إطعامه وأَسمعَهم ما يجوز سماعه ودفع للمسْمِع المشوِّق للآخرة ملبوساً، كلُّ ذلك سروراً بمولده ﷺ فجميع ذلك جائز ويُثَاب

= أبوه رأهله من قرية دُوين وهم بطن من الروادية، من قبيلة الهذانية، من الأكراد. نزلوا بتكريت، وولد بها صلاح الدين، وتوفي فيها جده شاذي. ثم ولي أبوه أيوب أعمالاً في بغداد والموصل ودمشق. ونشأ هو في دمشق، وتفقه وتأدب وروى الحديث بها وبمصر والإسكندرية، وحدّث في القدس. وتوفي سنة ٥٨٩هـ. الأعلام ٨/٢٠، ووفيات الأعيان ٢/٣٧٦.

فاعله إذ أَحسن القصد، ولا يختص ذلك بالفقراء دون الأغنياء، إلا أن يقصد مواساة الأحوج فالفقراء أكثر ثواباً، نعم إن كان الاجتماع كما يَبلغنا عن قُرّاء هذا الزمان من أَكْل الحشيش واجتماع المرْدَان وإبعاد القَوّال إن كان بلحية وإنشاد المشوِّقات للشهوات الدنيوية وغير ذلك من الخزي والعياذ بالله تعالى فهذا مجْمع آثام.

وقال الشيخ الإمام جمال الدين بن عبد الرحمن بن عبد الملك الشهير(٣) بالمخلّص الكُتَاني - رحمه الله تعالى - مولد رسول الله ﷺ مبجّل مكرَّم، قدّس يوم ولادته وشرّف وعظم، وكان وجوده ﷺ مَبْدأ سبب النجاة لمن اتبعه وتقليل حظّ جهنم لمن أُعِدّ لها لفرحه بولادته ﷺ وتَمّت بركاتُه على من اهتدى به، فشابَه هذا اليومُ يومَ الجمعة من حيث أن يوم الجمعة لا تُسَعَّر فيه جهنم، هكذا ورد عنه ﷺ فمن المناسِب إظهار السرور وإنفاق الميْسور وإجابة من دعاه ربُّ الوليمة للحضور.

وقال الإمام العلاّمة ظَهِير الدين جعفر التزْمَنْتِيّ - رحمه الله تعالى -: هذا الفعل لم يقع في الصَّدْر الأَول من السلَف الصالح مع تعظيمهم وحبهم له إعظاماً ومحبةً لا يبلغ جَمْعُنا الواحدَ منهم ولا ذرَّة منه، وهي بدعة حسنة إذا قصد فاعلها جَمْع الصالحين والصلاة على النبي ﷺ وإطعام الطعام للفقراء والمساكين، وهذا القَدْر يثاب عليه بهذا الشرط في كل وقت، وأَما جَمْع الرعاع وعمل السَّمَاع والرقص وخلع الثياب على القوَّال بمرْوديَّته وحُسْن صوته فلا يُنْدَب بل يقارِب أَن يُذَمّ، ولا خير فيما لم يعمله السلف الصالح، فقد قال ﷺ: **«لا يُصْلِح آخرَ هذه الأُمة إلا ما أَصلَح أوّلَها»**.

وقال الشيخ نَصِير الدين أَيضاً: ليس هذا من السُنَن، ولكن إذا أُنْفق في هذا اليوم وأُظهر السرور فرحاً بدخول النبي ﷺ في الوجود واتخذ السماع الخالي عن اجتماع المردان وإنشاد ما يثير نارَ الشهوة من العِشْقيات والمشوّقات للشهوات الدنيويّة كالقَدّ والخَدّ والعَيْن والحاجب، وإنشاد ما يشوّق إلى الآخرة ويزهّد في الدنيا فهذا اجتماعٌ حسَن يُثَاب قاصد ذلك وفاعله عليه، إلا أن سؤال الناس ما في أَيديهم بذلك فقط بدون ضرورة وحاجة سؤالٌ مكروه، واجتماع الصُلَحاء فقط ليأكلوا ذلك الطعام ويَذكروا الله تعالى ويصلّوا على رسول الله ﷺ يضاعف لهم القُرُبات والمثوبات.

وقال الإمام الحافظ أَبو محمد عبد الرحمن بن إسماعيل المعروف بأَبي شامة في كتابه: «الباعث على إنكار البِدَع والحوادث» قال الربيع: قال الشافعي - رحمه الله تعالى ورضي عنه -: المحدَثات من الأُمور ضربان: أَحدهما ما أُحدث مما يخالف كتاباً أَو سُنة أَو أَثراً أَو إجماعاً، فهذه البدعة الضلالة. والثانية: ما أُحدث من الخير مما لا خلاف فيه لواحد من هذا

فهي محدثة غير مذمومة، وقد قال عمر - رضي الله تعالى عنه - في قيام رمضان نعمت البدعة هذه. يعني أنها محدثة لم تكن. وإذا كانت فليس فيها ردّ لما مضى.

قلت: وإنما كان كذلك لأن النبي ﷺ حث على قيام شهر رمضان وفعله هو ﷺ واقتدى به فيه بعضُ أصحابه ليلة أخرى. ثم ترَكَ النبي ﷺ فِعْلها بالمسجد جماعة، لما فيه من إحياء هذا الشِّعار الذي أَمَر به الشارع وفعله والحثُّ عليه والترغيب فيه. والله تعالى أعلم.

فالبدعة الحسنة متفق على جواز فعلها والاستحباب لها ورجاء الثواب لمن حَسُنت نيّته فيها، وهي كل مبتدع موافق لقواعد الشريعة غير مخالِف لشيء منها ولا يَلْزم من فعله محذور شرعي. وذلك نحو بناء المنابر والرُّبُط والمدارس وخانات السبيل وغير ذلك من أنواع البِرّ التي لم تُعهد في الصَّدْر الأول، فإنه موافق لما جاءَت به الشريعة من اصطناع المعروف والمعاونة على البر والتقوى. ومن أَحسن ما ابتُدع في زماننا هذا من هذا القَبِيل ما كان يُفعل بمدينة «إرْبل» جبَرها الله تعالى، كلَّ عام في اليوم الموافق ليوم مولد النبي ﷺ من الصدقات والمعروف وإظهار الزينة والسرور، فإن ذلك مع ما فيه من الإحسان إلى الفقراء مُشْعِر بمحبة النبي ﷺ وتعظيمه وجلالته في قلب فاعله وشكر الله تعالى على من مَنَّ به من إيجاد رسول الله ﷺ الذي أَرسله رحمةً للعالمين ﷺ وعلى جميع الأنبياء والمرسلين.

وكان أَول من فعل ذلك بالموصل الشيخ عمر بن محمد المَلاّ[1] أَحد الصالحين المشهورين وبه اقتدى في ذلك صاحب إربل وغيرهم رحمهم الله تعالى.

وقال الشيخ الإمام العلامة صدر الدين مَوْهوب بن عمر الجزري[2] الشافعي رحمه الله تعالى: هذه بدعة لا بأس بها ولا تُكْره البِدَعُ إلا إذا راغمت السُّنة، وأَما إذا لم تراغمها فلا تُكره، ويُثاب الإنسان بحسَب قصده في إظهار السرور والفرح بمولد النبي ﷺ.

---

(١) عمر بن محمد بن خضر الإربلي الموصلي، أبو حفص، معين الدين، المعروف بالملاء: شيخ الموصل. كان صالحاً زاهداً عالماً. له أخبار مع الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي. أمر الملك العادل نوابه في الموصل أن لا يبرموا فيها أمراً حتى يُعلموا به الملاّء. وهو الذي أشار على العادل بعمارة الجامع الكبير في الموصل. وهو المعروف اليوم بالجامع النوري. قال سبط ابن الجوزي: وإنما سمي «الملاء» لأنه كان يملأ تنانير الآجر ويأخذ الأجرة فيتقوت بها، ولا يملك من الدنيا شيئاً. وصنف كتاب «وسيلة المتعبدين في سيرة سيد المرسلين». توفي سنة ٥٧٠هـ. انظر الأعلام ٥/٦٠، ٦١.

(٢) موهوب بن عمر بن موهوب بن إبراهيم الجزري، ثم المصري، القاضي صدر الدين، أبو منصور. ولد بالجزيرة في جمادي الآخرة سنة تسعين - بتقديم التاء - وخمسمائة. وأخذ عن السخاوي وابن عبد السلام وغيرهما، قال الذهبي: وتفقه وبرع في المذهب، والأصول، والنحو، ودرس وأفتى وتخرج به جماعة. وكان من فضلاء زمانه. وولي القضاء بمصر وأعمالها دون القاهرة مدة. وقال غيره: تخرجت به الطلبة وجمعت عنه الفتاوى المشهورة به. توفي بمصر فجأة في رجب سنة خمس وستين وستمائة. ودفن بسفح المقطم. انظر الطبقات لابن قاضي شهبة ٢/١٥٢، ١٥٣، وشذرات الذهب ٥/٣٢٠.

وقال في موضع آخر: هذا بدعة، ولكنها بدعة لا بأس بها، ولكن لا يجوز له أن يسأل الناسَ بل إنْ كان يَعْلم أو يغلب على ظنه أن نفس المسؤول تَطِيب بما يعطيه فالسؤال لذلك مباح أرجو أن لا ينتهي إلى الكراهة.

وقال الحافظ ـ رحمه الله تعالى ـ: أَصل عمل المولد بِدْعة لم تُنقل عن أَحد من السلف الصالح من القرون الثلاثة، ولكنها مع ذلك قد اشتملت على محاسن وضِدِّها، فمن تحرَّى في عمله المحاسن وتجنَّب ضدَّها كان بدعةً حسنة ومن لا فلا. قال: وقد ظهر لي تخريجها على أَصل ثابت، وهو ما ثبت في الصحيحين من أَن رسول الله ﷺ قدِم المدينة فوجد اليهودَ يصومون عاشوراءَ فسأَلهم فقالوا: هذا يومٌ أَغرق الله فيه فرعون وأَنْجَى فيه موسى فنحن نصومه شكراً لله تعالى. فقال: «أَنا أَحقُّ بموسى منكم. فصامه وأَمر بصيامه». فيستفاد من فعل ذلك شكراً لله تعالى على ما منَّ به في يوم معين من إسداء نعمة أَو دفع نقمة، ويعاد ذلك في نظير ذلك اليوم من كل سنة، والشكر لله تعالى يحْصل بأَنواع العبادات والسجود والصيام والصدقة والتلاوة، وأَيّ نعمة أَعظم من النعمة ببروز هذا النبي الكريم نبيِّ الرحمة في ذلك اليوم؟

وعلى هذا فينبغي أَن يتحرّى اليومُ بعَيْنه حتى يطابِق قصةَ موسى ﷺ في يوم عاشوراء، ومن لم يلاحظ ذلك لا يبالي بعمل المولد في أَي يوم من الشهر، بل توسَّع قوم حتى نقلوه إلى أَي يوم من السَّنة. وفيه ما فيه.

فهذا ما يتعلق بأَصل عمل المولد.

وأَما ما يُعمل فيه فينبغي أَن يقتصر فيه على ما يُفْهِم الشكرَ لله تعالى من نحو ما تقدم ذِكره من التلاوة والإطعام والصدقة وإنشاد شيء من المدائح النبوية والزُّهْدية المحرِّكة للقلوب إلى فعل الخيرات والعمل للآخرة وأَما ما يتْبع ذلك من السَماع واللهو وغير ذلك فينبغي أَن يقال ما كان من ذلك مباحاً بحيث يتعيَّن السرور بذلك اليوم لا بأس بإلحاقه به، ومهما كان حراماً أَو مكروهاً فيُمْنع وكذا ما كان خلافاً للأَوْلى. انتهى.

وقال شيخ القراء الحافظ أَبو الخير ابن الجزَري[1] رحمه الله تعالى: قد رُئي أَبو لهب بعد موته في النوم فقيل له: ما حالك؟ فقال: في النار إلا أَنه يخفَّف عَني كل ليلة اثنين وأَمصُّ

(١) محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف، أبو الخير، شمس الدين، العمري الدمشقي ثم الشيرازي الشافعي، الشهير بابن الجزري: شيخ الإقراء في زمانه. من حفاظ الحديث. ولد ونشأ في دمشق، وابتنى فيها مدرسة سماها «دار القرآن» ورحل إلى مصر مراراً، ودخل بلاد الروم، وسافر مع تيمورلنك إلى ما وراء النهر. ثم رحل إلى شيراز فولي قضاءها. ومات فيها. نسبته إلى «جزيرة ابن عمر». من كتبه «النشر في القرآت العشر»، و «غاية النهاية في طبقات القراء» اختصره من كتاب آخر له اسمه «نهاية الدرايات في أسماء رجال القرآت»؛ و «التمهيد في علم التجويد» توفي سنة ٨٨٣هـ. انظر الأعلام ٤٥/٧.

من بين إصبعيّ هاتين ماءً بقدر هذا ـ وأشار لرأسيْ إصبعيه ـ وإن ذلك بإعتاقي لثُوَيْبة عندما بشَّرتني بولادة محمد ﷺ وبإرضاعها له. فإذا كان أبو لهب الكافر الذي نزلَ القرآنُ بذمِّه جُوزي في النار لفرحه ليلة مولد محمد ﷺ فما حال المسلم الموحِّد من أُمة محمد ﷺ بِبِشْره بمولده وبَذْل ما تصل إليه قُدْرته في محبته؟ لعمْري إنما يكون جزاؤه من الله الكريم أن يُدْخله بفضله جنة النعيم.

وذكر نحوه الحافظ شمس الدين محمد بن ناصر الدين الدمشقي ـ رحمه الله تعالى ـ ثم أَنشد:

إِذَا كَانَ هَـذَا كَـافِـرٌ جَـاءَ ذمُّـهُ ... وَتَبَّت يَدَاهُ فِي الجَحِيمِ مُخَلَّدَا

أتـى أَنَّـه فـي يَـوْمِ الاثْـنَـيْنِ دَائِـماً ... يُخَفَّـفُ عَنْـهُ بـالسُّـرُورِ بأَحـمَـدَا

فما الظَّنُّ بالعَبْدِ الَّذِي كَانَ عُمْرَه ... بـأَحـمَـدَ مَسْرُوراً وَمَـاتَ مـوحِّـدَا

وقال شيخنا ـ رحمه الله تعالى ـ في فتاويه: عندي أَن أَصل المولد الذي هو اجتماع الناس وقراءَة ما تيسر من القرآن ورواية الأَخبار الواردة في مبدأ أَمر النبي ﷺ وما وقع في مولده من الآيات ثم يُمدّ لهم سِمَاط يأكلونه وينصرفون من غير زيادة على ذلك من البدع الحسنة التي يثاب عليها صاحبها، لما فيه من تعظيم قَدْر النبي ﷺ وإظهار الفرح والاستبشار بمولده الشريف.

قال: وقد ظهر لي تخريجه على أَصل صحيح غير الذي ذكره الحافظ، وهو ما رواه البيهقي عن أَنس ـ رضي الله تعالى عنه ـ أَن النبي ﷺ عَقَّ عن نفسه بعد النبوة مع أَنه ورد أَن جده عبد المطلب عَقَّ عنه في سابع ولادته، والعقيقة لا تُعاد مرة ثانية، فيُحْمَل ذلك على أَن هذا فعله ﷺ إظهاراً للشكر على إيجاد الله تعالى إياه رحمةً للعالمين وتشريعاً لأُمته ﷺ، كما كان يصلِّي على نفسه لذلك، فيستحب لنا أَيضاً إظهار الشكر بمولده ﷺ بالاجتماع وإطعام الطعام ونحو ذلك من وجوه القُربات والمسرّات.

وقال في شرح سُنَن ابن ماجه: الصواب أَنه من البدع الحسنة المندوبة إذا خلاَ عن المنكرات شرعاً. انتهى.

ويرحم الله تعالى القائل:

لِـمَوْلِـدِ خَيْـرِ العَـالَـمِينَ جَـلاَلُ ... لَقَدْ غَشِيَ الأَكْوَانَ مِنْهُ جَمَالُ

فَيَا مُخْلِصاً فِي حَقِّ أَحْمَدَ هَذِهِ ... لَـيَـالٍ بَـدَا فِـيهِـنَّ مِـنْـهُ هِـلاَلُ

فَـحُـقَّ عَـلَـيْنَا أَنْ نُـعَـظِّـمَ قَـدْرَهُ ... فـتَـحْـسُـنُ أَحْـوَالٌ لَـنَـا وفِـعَـالُ

فنُطْعِمُ مُحْتَاجاً وَنَكْسُوَ عَارِياً ... ونَـرْفِـدَ مَـن أَضْـحَـى لَـدَيْـهِ عِـيَـالُ

فَتِلْكَ فِعَالُ المُصْطَفَى وَخِلاَلُهُ ... وحَسْبُكَ أَفْعَالٌ لَهُ وخِلاَلُ
لقد كان فعلُ الخَيْرِ قُرَّةَ عَيْنِه ... فَلَيْسَ لَهُ فِيمَا سِوَاه مجَالُ

والقائل أيضاً:

يا مَوْلِدَ المُخْتَارِ أَنْتَ رَبِيعُنا ... بِكَ رَاحَةُ الأَرْوَاحِ والأَجْسَادِ
يا مَوْلِداً فَاقَ الموالِدَ كلَّها ... شَرَفاً وَسَادَ بِسَيِّدِ الأَسْيَادِ
لاَ زَالَ نُورُك في البريَّة ساطعاً ... يَعْتَادُ في ذا الشَّهْرِ كَالأَعْيادِ
في كُلِّ عَام للقُلُوب مَسرَّةٌ ... بِسَمَاعِ ما نَرْوِيهِ في المِيلاَدِ
فَلِذَاكَ يَشْتَاقُ المُحِبُّ ويَشْتِهِي ... شَوْقاً إِلَيْهِ حُضُورَ ذا الميعادِ

وزعم الإمام العلامة تاج الدين الفاكهاني المالكي ـ رحمه الله تعالى ـ أَن عمل المولد بِدْعة مذمومة وأَلَّف في ذلك كتاباً قال فيه: الحمد لله الذي هدانا لاتباع سيد المرسلين، وأَيَّدنا بالهداية إِلى دعائم الدِّين، ويسَّر لنا اتباع آثار السلف الصالحين، حتى امتلأَت قلوبنا بأَنواع عِلْم الشرع وقواطع الحق المبين، وطهَّر سرائرنا مِن حدَث الحوادث والابتداع في الدين. أَحمده على ما منَّ به من أَنوار اليقين، وأَشكره على ما أَسداه من التمسك بالحبل المتين، وأَشهد أَن لا إِلٰه إِلا الله وحده لا شريك له وان محمداً ﷺ عبده ورسوله سيد الأَولين والآخرين. صلى الله عليه وعلى آله وأَصحابه وأَزواجه أُمهات المؤمنين صلاةً دائمة إِلى يوم الدين.

أَما بعد: فقد تكرر سؤال جماعة من المبارَكين عن الاجتماع الذي يعمله بعضُ الناس في شهر ربيع الأَول ويسمونه المَوْلد: هل له أَصلٌ في الشرع أَو هو بِدْعة حدَثت في الدين؟ وقصدوا الجواب عن ذلك مُبيَّناً والإِيضاحَ عنه معيَّناً. فقلت وبالله التوفيق: ما أَعْلم لهذا المولد أَصلاً في كتاب ولا سُنة، ولا يُنْقل عملُه عن أَحد من علماء الأُمة، الذين هم القُدْوة في الدين المتمسِّكون بآثار الصالحين المتقدمين، بل هو بدعة أَحدثها البطَّالون، وشهوة نفس اعتنى بها الأَكَّالون، بدليل أَنا أَدَرْنا عليه الأَحكام الخمسة قلنا: إِما أَن يكون واجباً، أَو مندوباً، أَو مُبَاحاً، أَو مكروهاً أَو محرَّماً. وليس بواجب إِجماعاً، ولا مندوباً، لأَن حقيقة المندوب ما طلبه الشرع من غير ذمٍّ على تَرْكه، وهذا لم يَأْذن فيه الشرع ولا فعله الصحابة ولا التابعون المتديِّنون فيما علمت. وهذا جوابي عنه بين يدي الله تعالى إِن عنه سئلت. ولا جائز أَن يكون مباحاً لأَن الابتداع في الدين ليس مباحاً بإِجماع المسلمين، فلم يَبْق إِلا أَن يكون مكروهاً أَو حراماً وحينئذ يكون الكلام فيه في فصلين والتفرقة بين حالين: أَحدهما: أَن يعمله رجل من عَيْن ماله لأَهله وأَصحابه وعياله لا يجاوزون ذلك الاجتماع على أَكل الطعام ولا يقترفون شيئاً من الآثام

فهذا الذي وصفناه بأنه بدعة مكروهة وشناعة إذ لم يفعله أحد من متقدمي أهل الطاعة الذين هم فقهاء الإسلام وعلماء الأنام سُرُج الأزمنة وزَين الأمكنة.

والثاني: أن تدخله الجناية وتشتد به العناية حتى يعطي أحدهم الشيء ونفسه تتبعه وقلبه يؤلمه ويوجعه لمَا يجد من ألم الحَيْف، وقد قال العلماء رحمهم الله تعالى: أخذ المال بالحياء كأخذه بالسيف، لا سيّما إن انضاف إلى ذلك شيء من الغناء من البطون الملأى بآلات الباطل من الدفوف والشبّابات واجتماع الرجال مع الشباب المُرْد والنساء الغانيات إما مختلطات بهن أو متشرّفات والرقص بالتثنّي والانعطاف والاستغراق في اللهو ونسيان يوم المخاف، وكذلك النساء إذا اجتمعن على انفرادهن رافعات أصواتهن بالتّهنيك والتّطريب في الإنشاد والخروج في التلاوة والذكر المشروع والأمر المعتاد، غافلات عن قوله تعالى: ﴿إن ربّك لَبالمرْصاد﴾ وهذا الذي لا يختلف في تحريمه اثنان، ولا يستحسنه ذو المروءة الفتيان، وإنما يحلو ذلك بنفوس مَوْتى القلوب وغير المستقيلين من الآثام والذنوب، وأزيدك أنهم يرونه من العبادات لا من الأمور المنكَرات المحرّمات. فإنا لله وإنا إليه راجعون، بدأ الإسلام غريباً وسيعود كما بدأ! ولله درّ شيخنا القُشَيْري رحمه الله تعالى حيث يقول فيما أجازَناه:

قَدْ عُرِفَ المُنْكَرُ واسْتُنْكِرَ الـ ... ـمَعْرُوفُ في أيّامِنا الصَّعْبَةْ
وَصَارَ أَهْلُ العلم في وَهْدَةٍ ... وَصَارَ أَهلُ الجَهْلِ في رُتْبَه
حَادُوا عَنِ الحَقِّ فَمَا لِلَّذِي ... سَادُوا بِهِ فِيمَا مَضَى نِسْبَه
فَقُلْتُ للأَبرارِ أَهلِ التُّقَى ... والدِّين لما اشتدّت الكُرْبَةْ
لا تُنْكِرُوا أَحْوَالَكُمْ قَدْ أَتَتْ ... نَوْبَتُكُمْ في زَمَنِ الغُرْبَة!

ولقد أحسن الإمام أبو عمرو بن العلاء رحمه الله تعالى حيث يقول: لا يزال الناس بخير ما تعجّب من العجب!.

هذا مع أن الشهر الذي ولد فيه ﷺ وهو ربيع الأول هو بعينه الشهر الذي توفي فيه، فليس الفرح بأولَى من الحزن فيه. وهذا ما علينا أن نقول ومن الله تعالى نرجو حسن القبول.

هذا جميع ما أورده الفاكهاني ـ رحمه الله تعالى ـ في كتابه المذكور.

وتعقّبه الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ في فتاويه فقال: أمّا قوله: لا أعلم لهذا المولد أصلاً في كتاب ولا سُنّة فيقال عليه: نَفي العلم لا يَلْزم منه نَفي الوجود، وقد استخرج له إمام الحفاظ أبو الفضل بن حجَر أصلاً من السنة واستخرجتُ أنا له أصلاً ثانياً. قلت: وتقدم ذكرهما.

وقوله بل هو بدعة أحدثها البطّالون إلى قوله: «ولا العلماء المتدينون» يقال عليه: إنما

أَحْدَثه ملك عادل عالِم وقصدَ به التقرّبَ إلى الله تعالى، وحضر عنده فيه العلماء والصُّلَحاء من غير نَكِير منهم. وارتضاه ابن دِحْية - رحمه الله تعالى - وصنف له من أَجله كتاباً، فهؤلاء علماء متديّنون رَضُوه وأَقرّوه ولم ينكروه.

وقوله: «ولا مندوباً لأَن حقيقة المندوب ما طلَبه الشرع» يقال عليه: إن الطلب في المندوب تارةً يكون بالنصّ وتارة يكون بالقياس، وهذا وإن لم يردْ فيه نص ففيه القياس على الأَصلين الآتي ذِكرهما.

وقوله: «ولا جائز أَن يكون مباحاً لأَن الابتداع في الدين ليس مباحاً بإجماع المسلمين» كلام غير مستقيم لأَن البدعة لم تنحصر في الحرام والمكروه، بل قد تكون أَيضاً مباحة ومندوبة وواجبة. قال النووي - رحمه الله تعالى - في «تهذيب الأَسماء واللُّغات: البِدْعة في الشرع: هي ما لم يكن في عهد رسول الله ﷺ وهي منقسمة إلى حسَنة وقبيحة». وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام - رحمه الله تعالى - في القواعد: البدعة منقسمة إلى واجبة وإلى محرمة ومندوبة ومكروهة ومباحة. قال: والطريق في ذلك أَن نَعْرض البدْعة على قواعد الشَّرْع، فإذا دخلت في قواعد الإيجاب فهي واجبة، أَو في قواعد التحريم فهي محرَّمة، أَو الندب فمندوبة، أَو المكروه فمكروهة أَو المباح فمباحة. وذكر لكل قسم من هذه الخمسة أَمثلة منها: إحداث الرُّبُط والمدارس وكل إحسان لم يُعْهَد في العصر الأَول. ومنها التراويح والكلام في دقائق التصوّف وفي الجدَل ومنها جَمْع المحافل للاستدلال في المسائل إن قُصد بذلك وجه الله تعالى.

وروى البيهقي بإسناده في «مَنَاقب الشافعي» عن الشافعي - رحمه الله تعالى - ورضي عنه قال: المحدَثات من الأمور ضربان: أَحدهما ما أُحدث مما يخالف كتاباً أَو سُنةً أَو أَثراً أَو إجماعاً فهذه البدعة الضلالة والثاني: ما أُحدث من الخير لا خِلاَف فيه لواحد من هذا. وهذه مُحْدَثة غير مذمومة. وقد قال عمر - رضي الله تعالى عنه - في قيام شهر رمضان: نِعمتْ البدْعة هذه. يعني أَنها محدَثة لم تكن وإذا كانت ليس فيها ردٌّ لما مضى. هذا آخر كلام الشافعي. فعُرف بذلك منع قول الشيخ تاج الدين: «ولا جائز أَن يكون مُبَاحاً» إلى قوله: «وهذا الذي وصفناه بأَنه بدعة مكروهة» الخ لأَن هذا القسم مما أُحدث وليس فيه مخالفة لكتاب ولا سُنة ولا أَثر ولا إجماع، فهي غير مذمومة كما في عبارة الشافعي وهو من الإحسان الذي، لم يُعهد في العصر الأَول، فإن إطعام الطعام الخالي من اقتراف الآثام إحسان، فهو من البدع المندوبة كما في عبارة ابن عبد السلام.

وقوله: والثاني الخ هو كلام صحيح في نفسه غير أَن التحريم فيه إنما جاءَ من قِبَل هذه

الأَشياء المحرَّمة التي ضُمت إليه، لا من حيث الاجتماع لإِظهار شعار المولد، بل لو وقع مثل هذه الأمور في الاجتماع لصلاة الجمعة مثلاً لكانت قبيحة شنيعة، ولا يلزم من ذلك تحريم أَصل الاجتماع لصلاة الجمعة وهو واضح. وقد رأَينا بعض هذه الأمور يقع في ليال من رمضان عند اجتماع الناس لصلاة التراويح فلا تَحْرُم التراويح لأَجل هذه الأمور التي قُرنت بها، كلا بل نقول: أَصْل الاجتماع لصلاة التراويح سُنّة وقُرْبة وما ضُمّ إليها من هذه الأمور قبيحٌ شنيع. وكذلك نقول:أَصل الاجتماع لإِظهار شعائر المَوْلد مندوبٌ وقُرْبة. وما ضُمَّ إليه من هذه الأمور مذموم وممنوع. وقوله مع «أَن الشهر الذي وقع فيه» الخ. جوابه أَن يقال: إِن ولادته ﷺ أَعظم النعم علينا ووفاته أَعظم المصائب لنا، والشريعة حثَّتْ على أَظهار شكر النِّعَم والصبر والسُّكون والكتم عند المصائب. وقد أَمر الشرع بالعقيقة عند الولادة وهي إِظهار شكر وفرح بالمولود ولم يأمر عند الموت بذبح ولا غيره، بل نهى عن النِّياحة وإِظهار الجزع، فدلَّت قواعد الشريعة على أَنه يحسن في هذا الشهر إِظهار الفرح بولادته ﷺ دون إِظهار الحزن فيه بوفاته ﷺ وقد قال ابن رجب ـ رحمه الله تعالى ـ في كتاب «اللطائف» في ذمّ الرافضة حيث اتخذوا يوم عاشوراء مأتماً لأَجل قتل الحسين ـ رضي الله تعالى عنه ـ لم يأمر الله تعالى ولا رسوله ﷺ باتخاذ أَيام مصائب الأَنبياء وموتهم مأتماً فكيف بمن هو دونهم؟

وقد تكلم الإِمام أَبو عبد الله بن الحاجّ ـ رحمه الله تعالى ـ في كتابه «المَدْخَل» على عمل المولد فأَتقن الكلام فيه جداً وحاصله: مَدْح ما كان فيه من إِظهار شعار وشكر، وذمُّ ما احتوى عليه من محرَّمات ومنكرَات. وأَنا أَسوق كلامه فصلاً فصلاً. قال: فصل في المولد: ومن جملة ما أَحْدثوه من البدَع مع اعتقادهم أَن ذلك من أَكبر العبادات وإِظهار الشعائر ما يفعلونه في شهر ربيع الأَول من المولد وقد احتوى ذلك على بدَع ومحرَّمات جملة.

فمن ذلك: استعمال المغَاني ومعهن آلات الطرب من الطَّار المُصَرْصِر[1] والشَّبَّابة وغير ذلك مما جعلوه آلةً للسماع ومضوا في ذلك على العوائد الذَّميمة في كونهم يَشْغلون أَكثر الأَزمنة التي فضَّلها الله تعالى وعظَّمها ببدع ومُحْدثات، ولا شك أَن السماع في غير هذه الليلة فيه ما فيه، فكيف به إِذا انضمَّ إِلى فضيلة هذا الشهر العظيم الذي فضله الله تعالى وفضلنا فيه بهذا النبي الكريم الذي مَنَّ الله علينا فيه بسيّد الأَوَّلين والآخرين، وكان يجب أَن يُزداد فيه من العبادة والخير شكراً للمولى على ما أَوْلاَنا به من هذه النِّعم العظيمة وإِن كان النبي ﷺ لم يزدْ فيه على غيره من الشهور شيئاً من العبادات. وما ذاك إِلا برحمته ﷺ لأمته ورفقه بهم لأَنه ﷺ كان يَترك العمل خشية أَن يُفرض على أُمته رحمةً منه بهم، لكن أَشار ﷺ إِلى

(١) المصرصر: الشديد الصوت. المعجم الوسيط ٥١٥/١.

فضيلة هذا الشهر العظيم بقوله للسائل الذي سأَله عن صوم يوم الاثنين: «**ذاك يومٌ ولدتُ فيه**» فتشريف هذا اليوم متضمن تشريف هذا الشهر الذي ولد فيه فينبغي أَن نحترمه حق الاحترام ونفضِّله بما فضَّل الله تعالى به الأَشهر الفاضلة وهذا منها، لقوله ﷺ «**أَنا سيِّد ولد آدم ولا فخر، آدمُ فمَنْ دُونَه تحت لوائي**» وفضيلة الأَزمنة والأَمكنة بما خصها الله تعالى به من العبادات التي تفعل فيها، لما قد علم أَن الأَمكنة والأَزمنة لا تَشْرُف لذاتها. وإِنما يجعل التشريف بما خُصَّت به من المعاني.

فانظر إِلى ما خصَّ الله به هذا الشهر الشريف ويوم الاثنين، أَلا ترى أَن صوم هذا اليوم فيه فضلٌ عظيم لأَنه ﷺ ولد فيه؟

فعلى هذا ينبغي إِذا دخل هذا الشهر الكريم أَن يكرَّم ويعظَّم ويُحْترم الاحترام اللائق به، اتباعاً له ﷺ في كونه كان يخصُّ الأَوقات الفاضلة بزيادة فعل البرّ فيها وكثرة الخيرات. أَلا ترى إِلى قول ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما -: «كان رسول الله ﷺ أَجودَ الناس بالخير وكان أَجودَ ما يكون في رمضان» فنَمْتثل تعظيم الأَوقات الفاضلة بما امتثله على قدر استطاعتنا.

فإِن قال قائل: قد التزَم ﷺ في الأَوقات الفاضلة ما التزمه في غيره.

فالجواب: أَن ذلك لِمَا عُلِم من عادته الكريمة أَنه يريد التخفيف عن أُمته سيما فيما كان يخصه، أَلا ترى إِلى أَنه ﷺ حرَّم المدينة مثلَ ما حرَّم إبراهيمُ مكة، ومع ذلك لم يَشْرع في قتل صيده ولا شجَره الجزاءَ تخفيفاً على أُمته ورحمة بهم، وكان ينظر إِلى ما هو من جهته وإِن كان فاضلاً في نفسه فيتركه للتخفيف عنهم.

فعلى هذا: تعظيمُ هذا الشهر الشريف إِنما يكون بزيادة الأَعمال الزاكيات فيه والصدقات إِلى غير ذلك من القُربات، فمن عجَز عن ذلك فأَقلُّ أَحواله أَن يجتنب ما يحرَّم عليه ويُكْره له تعظيماً لهذا الشهر الشريف، وإِن كان ذلك مطلوباً في غيره إِلا أَنه في هذا الشهر أَكثر احتراماً، كما يتأَكَّد في شهر رمضان وفي الأَشهر الحُرم فيترك الحدَث في الدِّين ويجتنب مواضع البدع وما لا ينبغي.

وقد ارتكب بعضهم في هذا الزمان ضدَّ هذا المعنى، و [هو] أَنه إِذا دخل هذا الشهر الشريف تسارعوا فيه إِلى اللهو واللعب بالدُّفّ والشبابة وغيرهما.

ويا ليتهم عملوا المغاني ليس إِلا، بل يزعم بعضهم أَنه يتأَدّب فيبدأ المولد بقراءَة الكتاب العزيز وينظرون إِلى من هو أَكثر معرفة بالتهوُّك والطُّرق المهيِّجة لطرب النفوس، وهذا فيه وجوهٌ من الفساد.

ثم إِنهم لم يقتصروا على ما ذُكر، بل ضمَّ بعضهم إِلى ذلك الأَمرَ الخطِر، وهو أَن يكون

المغنّي شابًّا نظيف الصورة حسَن الصوت والكُسْوة والهيئة، فينشد التغزُّل ويتكسَّر في صوته وحركاته، فيفتن بعضَ من معه من الرجال والنساء، فتقع الفتنة في الفريقين ويثُور من الفساد ما لا يُحصَى.

وقد يَؤول ذلك في الغالب إلى إفساد حال الزوج وحال الزوجة ويحصل الفراق والنكَد العاجل ويتشتَّت أَمرهم بعد جمعهم وهذه المفاسد مركَّبة على فعل المولد إذا عُمل بالسماع. فإن خَلاَ منه وعمل طعاماً فقط ونَوى به المَوْلدَ ودعا إليه الإخوان وسَلِم من كل ما تقدَّم ذكره فهو بدعة بنفس نيته فقط لأَن ذلك زيادة في الدين، وليس من عمل السلف الماضين، واتباع السلف أَوْلَى ولم يُنقل عن أَحد منهم أَنه نوَى المولد ونحن تَبع فيسَعنا ما يسعهم. انتهى.

وحاصل ما ذكره: أَنه لم يذمّ المؤلِدَ بل ذمَّ ما يحتوي عليه من المحرَّمات والمنكرات، وأَول كلامه صريح في أَنه ينبغي أَن يُخصَّ هذا الشهر بزيادة فعل البرّ وكثرة الخيرات والصدَقات وغير ذلك من وجوه القربات، وهذا هو عمل المولد الذي استحسنَّاه، فإنه ليس فيه شيء سوى قراءَة القرآن وإطعام الطعام وذلك خيرٌ وبرّ وقُرْبة.

وأَما قوله آخراً: إنه بدعة: فإما أَن يكون مناقضاً لما تقدَّم، أَو أَنه يُحمل على أَنه بدعة حسنة، كما تقدم تقريره في صدر الباب، أَو يُحمل على أَن فعل ذلك خيرٌ والبدعة منه نيّة المولد كما أَشار إليه بقوله: «فهو بدْعة بنفس نيته فقط، ولم ينقل عن أَحد منهم أَنه نوَى المولْد» فظاهر هذا الكلام أَنه كَره أَن يُنوَى به المولد فقط ولم يكره عمل الطعام ودعاء الإخوان إليه. وهذا إذا حقِّق النظر يجتمع مع أَول كلامه لأَنه حثَّ فيه على زيادة فعل البر وما ذكر معه على وجه الشكر لله تعالى إذ أَوْجَد في هذا الشهر الشريف سيدَ المرسَلين ﷺ وهذا هو معنى نية المولد. فكيف يذم هذا القَدْر مع الحث عليه أَولاً؟!.

وأَما مجرد فعل البرّ وما ذكر معه من غير نية أَصلاً فإنه لا يكاد يُتصوّر، ولو تصوِّر لم يكن عبادة ولا ثواب فيه، إذ لا يعمل إلا بنية، ولا نية هنا إلا الشكر لله تعالى على ولادة هذا النبي الكريم ﷺ في هذا الشهر الشريف، وهذا معنى نية المولد فهي نية مُستحسَنة بلا شك. فتأَمَّلْ.

ثم قال ابن الحاج: ومنهم من يفعل المولد لا لمجرد التعظيم، ولكن له فضة عند الناس متفرقة كان قد أَعطاها في بعض الأَفراح أَو المواسم ويريد أَن يستردّها ويستحي أَن يطلبها بذلك، فيعمل المولد حتى يكون سبباً لأَخذ ما اجتمع له عند الناس وهذا فيه وجوه من المفاسد: أَنه يتصف بصفة النفاق، وهو أَن يُظْهر خلافَ ما يُبْطن، وظاهر حاله أَنه عمِل المؤلدَ يبتغي به الدار الآخرة، وباطنهُ أَنه يجمع فيه فضةً. ومنهم من يعمل المولد لأَجل جمع الدراهم

أَو طلب ثناء الناس عليه ومساعدتهم له، وهذا أَيضاً فيه من المفاسد ما لا يخفى. انتهى.

وهذا أَيضاً من نَمط ما تقدم ذِكره، وهو أَن الذم فيه إِنما حصل من عدم النيّة الصالحة، لا من أَصل عمل المولد. انتهى ما أَوردته من كلام الشيخ رحمه الله تعالى.

ورضي عنه، والله هو الهادي للصواب.

جماع أبواب رضاعه صلى الله عليه وسلم وزاده شرفًا وفضلًا

البـــاب الأول

في مراضعـه صلى الله عليه وسلم

جملة من قيل إنهن أرضعنه ﷺ عشر نسوة.

الأولى: أُمّه ﷺ أرضعته سبعة أيام. ذكر ذلك جماعة منهم صاحب المَوْرِد والغُرر.

الثانية: ثُوَيْبة[1] بضم الثاء المثلثة وفتح الواو وسكون المثناة التحتية بعدها باء موحدة أَرضعته بلبن ابنها مَسْروح بفتح الميم وسكون السين المهملة ثم راء مضمومة وآخره حاء مهملة. قال ابن مندة: اختلف في إسلامها وقال أبو نعيم لا أعلم أحداً ذكر إسلامَها إلا ابن منْدَة. قال الحافظ: وفي باب من أرضع النبيَّ ﷺ من طبقات ابن سعد ما يدل على أنها لم تُسْلم، ولكنه لا يدفع نقل ابن مَنْدَة به. انتهى.

وقال ابن الجوزي رحمه الله تعالى: لا نعلم أنها أَسلمت. وقال الحافظ: لم أَقف في شيء من الطرق على إسلام ابنها مسروح وهو محتمل. انتهى.

فأَرضعته ﷺ أياماً حتى قدِمتْ حَلِيمة، وكانت ثُوَيْبة[1] أَرضعت قبلَه حمزة وبعده أبا سلمة بن عبد الأَسد، وكانت مَوْلاة أَبي لهب.

روى عبد الرزاق والإسماعيلي[2] والبخاري في كتاب النكاح في باب «وأُمهاتكم اللاتي أَرضعنكم» عن عروة: ثويبة مولاة أَبي لهب، كان أَبو لهب أَعتقها فأَرضعت النبيَّ ﷺ،

---

(١) ثويبة التي أرضعت النبي ﷺ وهي مولاة أبي لهب.. ذكرها ابن منده وقال اختلف في إسلامها وقال أبو نعيم: لا أعلم أحداً أثبت إسلامها انتهى. وأخرج ابن سعد من طريق برة بنت أبي تجرأة أن أول من أرضع رسول الله ﷺ ثويبة بلبن ابن لها يقال له مسروح أياماً قبل أن تقدم حليمة وأرضعت قبله حمزة وبعده أبا سلمة بن عبد الأسد. ماتت سنة سبع مرجعه من خيبر. الإصابة ٣٦/٨.

(٢) أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن العباس، أبو بكر الإسماعيلي الفقيه الحافظ. أحد كبراء الشافعية فقهاً وحديثاً وتصنيفاً، رحل وسمع الكثير وصنف الصحيح والمعجم ومسند عمر بن الخطاب رضي الله عنه في مجلدات، أجاد فيه وأفاد. أخذ عنه الفقه ابنه أبو سعد وفقهاء جرجان. قال الشيخ أبو إسحاق: جمع بين الفقه والحديث ورئاسة الدين والدنيا. قال الذهبي: رأيت له مجلداً من مسند كبير إلى الغاية من حساب مائة مجلد أو أكثر. توفي في رجب سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة وله أربع وسبعون سنة. الطبقات لابن قاضي شهبة ١٣٦/١، ١٣٧، والأعلام ٨٣/١، والأنساب ٢٣٩/١.

فلما مات أَبو لهب أُرِيه بعض أَهله بشرّ حِيبَة فقال له: ماذا لقيتَ؟ قال أَبو لهب: لم أَلْق بعدكم. زاد عبد الرزاق: راحة. ولفظ الإِسماعيلي: لم أَلق بعد رخاءً.

وحذف المفعول في جميع روايات البخاري. «غير أَني سُقيتُ في هذه» زاد عبد الرزاق ـ وأَشار إِلى النقْرة التي تحت إِبهامه بعَتَاقتي ثُويْبَة.

وذكر السهيلي وغيره أَن الرائي له أَخوه العباس، وكان ذلك بعد سنةٍ من وفاة أَبي لهب بعد وقعة بدر: أَن أَبا لهب قال للعباس؛ إِنه ليُخفَّف عليَّ في يوم الاثنين. قالوا: لأَنه لما بشرتْه ثُوَيْبَة بميلاد ابن أَخيه محمد بن عبد الله ﷺ أَعتقها من ساعته، فجوزي بذلك لذلك.

قال في الغُرر: واختلفوا متى أَعتقها. فقيل: أَعتقها حين بشَّرته بولادة رسول الله ﷺ. وهو الصحيح. وقيل إِن خديجة سأَلت أَبا لهب في أَن تبتاعها منه ليعتقها فلم يفعل. فلما هاجر رسول الله ﷺ إِلى المدينة أَعتقها أَبو لهب. وهو ضعيف. انتهى.

وقال الحافظ: واستدل بهذا على أَن الكافر قد ينفعه العمل الصالح في الآخرة، وهو مردود بظاهر قوله تعالى: **﴿وقدِمْنا إِلى ما عَمِلوا من عَمل فجعَلْناهُ هَبَاءً منثورا﴾** لا سيما والخبر مرسل أَرسله عروة ولم يذكر من حدَّثه به. وعلى تقدير أَن يكون موصولاً فلا يحتجّ به. إِذ هو رؤيا منام لا يثبت به حكم شرعي، لكن يحتمل أَن يكون ما يتعلق بالنبي ﷺ مخصوصاً من ذلك، بدليل التخفيف عن أَبي طالب المروي في الصحيح.

قلت: وعلى هذا الاحتمال جرى جَمْع كما سَبق، نُقل ذلك عنهم. قال البيهقي: ما ورد من بُطْلان الخَيْر للكفار فمعناه أَنهم لا يكون لهم التخلُّص من النار ولا دخول الجنة، ويجوز أَن يُخَفّف عنهم من العذاب الذي يَسْتوجبونه على ما ارتكبوه من الجرائم سِوى الكفر، بما عملوه من الخيرات.

وأَما عِيَاض رحمه الله تعالى فقال: انعقد الإِجماع على أَن الكفار لا تنفعهم أَعمالهم ولا يُثَابون عليها بنعيم ولا تخفيف عذاب، وإِن كان بعضهم أَشدَّ عذاباً من بعض، قال الحافظ: وهذا لا يردّ الاحتمال الذي ذكره البيهقي، فإِن جميع ما ورد من ذلك فيما يتعلق بذَنْب الكُفْر، وأَما ذنب غير الكفر فما المانع من تخفيفه.

وقال القُرْطبي رحمه الله تعالى: هذا التخفيف خاص بهذا أَو بمن ورَد النصُّ فيه.

وقال ابن المُنَيِّر[1] رحمه الله تعالى في الخامسة: هما قضيتان إِحداهما محال، وهي

---

(١) أحمد بن محمد بن منصور: من علماء الإسكندرية وأدبائها. ولي قضاءها وخطابتها مرّتين. له تصانيف، منها «تفسير» و «ديوان خطب» و «تفسير حديث الإسراء» على طريقة المتكلمين. و «الانتصاف من الكشاف» وله نظم. توفي سنة ٦٨٣هـ. انظر الأعلام ٢٢٠/١، وفوات الوفيات ٧٢/١.

اعتبار طاعة الكافر مع كفره، لأن شرط الطاعة أن تقع بقصد صحيح، وهذا مفقود من الكافر.
الثانية: إثبات ثواب على بعض الأعمال تفضلاً من الله تعالى وهذا لا يُحيله العقل، فإذا تقرر ذلك لم يكن عِتْق أَبي لهب لثُوَيْبَة قُرْبة معتبرة، ويجوز أَن يتفضل الله تعالى عليه بما شاءَ كما تفضل علي بن أَبي طالب، والمتبع في ذلك التوقيف نفياً وإثباتاً.

وقال الحافظ: وتتمة هذا أَن يقع التفضّل المذكور إكراماً لمن وقع من الكافر البرّ له ونحو ذلك.

حِيبة: بحاء مهملة مكسورة فمثناة تحتية ساكنة وفي لفظ عند السُّهيلي بالخاء المعجمة المفتوحة.

عَتَاقتي: بفتح العين المهملة: أَحد مَصادر عتق العبد الذي هو فعل لازم وإنما عبَّر في هذا الحديث بالعتاقة دون الإعتاق وإن كان المناسب الإعتاق لأَنها أَثره: فلذلك أَضافها إلى نفسه بقوله: عتاقتي. قاله الترمذي في شرح العمدة.

النُّقْرة: قال ابن بطال رحمه الله تعالى: يعني أَن الله سقاه ما في مقدار نقرة إبهامه لأَجل عتق ثُوَيْبَة. كما ذكر في حديث أَبي طالب أنه في ضَحْضَاح من نار لا في النار، بسبب حفظه لرسول الله ﷺ، بخلاف أَبي لهب فإنه كان يؤذيه فكان نصيبه من الرفق والرحمة دون أَبي طالب. قال غيره: أَراد بالنقرة التي بين إبهامه وسبابته إذا مد إبهامه فصار بينهما نقرة يُسقى من الماء بقدر ما يسع تلك النقرة نقل ذلك في غَرِيبَي الهَرَوِيّ.

وكان رسول الله ﷺ وخديجة يُكْرِمان ثُوَيْبة وكان رسول الله ﷺ يبعث إليها من المدينة بكسْوة وصِلَة حتى ماتت بعد فتح خيبر، فسأَل عن ابنها مَسْروح فقيل قد مات فسأَل عن قرابتها فقيل لم يبق منهم أَحد.

الثالثة: امرأَة من بني سعد غير حليمة. روى ابن سعد عن ابن أَبي مليكة[1] رحمه الله تعالى أَن حمزة كان مسترضَعاً له عند قوم من بني سعد بن بكر، وكانت أُم حمزة قد أَرضعت رسولَ الله ﷺ وهو عند أُمه حليمة.

الرابعة: خَوْلة بنت المنذر بن زيد بن لَبِيد بن خِدَاش بن عامر بن عدي بن النجار، أُم بُرْدة الأَنصارية؛ ذكر الإمام أَبو الحسن إبراهيم بن يحيى بن إبراهيم المعروف بابن الأَمين أَنها أَرضعت النبي ﷺ وقال: ذكَرها العدَوي وتابعه في العُيون والمورد، وهو وَهْم إنما أَرضعت

---

(١) عبد الله بن عبيد الله بن عبد الله بن أَبي مُلَيْكَةَ، بالتصغير، ابن عبد الله بن جدعان، يقال اسم أَبي مُلَيْكَة، زهير التيمي، المدني، أدرك ثلاثين من أَصحاب النبي ﷺ، ثقة فقيه، من الثالثة، مات سنة سبع عشرة. التقريب ١/٤٣١.

ولده ﷺ إبراهيم. كما ذكر ابن سعد وأبو عمر وغيرهما وعليه جرى الحافظ في الإصابة كما رأيته بخطه. ونصه بعد أن ساق نسبها: مرضعة ابن النبي ﷺ. وهذا هو الصواب. خلافاً لما في بعض النسخ السقيمة من إسقاط ابن ولم أر من نبّه على ذلك ثم بعد مُدة رأيت القاضي عز الدين بن القاضي بدر الدين بن جماعة رحمهما الله تعالى ذكر في سيرته المختصرة أن ابن الأمين وَهِم في ذكرها في الرضاع وأن بعض العصريين حكوا ذلك عنه من غير تعقب. انتهى فسررت بذلك وحمدت الله تعالى.

الخامسة[٦]: أُم أَيمن بركة ذكرها القرطبي. والمشهور أنها من الحَواضِن لا من المراضع.

السادسة والسابعة والثامنة: قال أَبو عمر رحمه الله تعالى: أَنه ﷺ مُرّ به على نسوة ثلاثة من بني سُلَيْم فأخرجن ثُديّهن فوضعنها في فيه فدَرّت عليه. ورضع منهن.

التاسعة: أُم فَرْوة ذكرها المُسْتَغْفِري. ثم روى عن ابن إِسحاق عن أُم فروة ظِئْر النبي ﷺ قالت: قال رسول الله ﷺ: «**إذا أَوَيْتَ إلى فراشك فاقرأ: ﴿قل يا أيها الكافرون﴾ فإنها براءة من الشِّرْك**» قال أَبو موسى المدِينيّ رحمه الله تعالى: اختلف في راوي هذا الحديث. فقيل فروة. وقيل أَبو فروة وقيل أُم فروة وهذا أَغرب الأَقوال.

قال الحافظ في الإِصابة: بل هو غلط محض وإنما هو أَبو فروة وكأن بعض رواته لمّا رأَى عن أَبي فروة ظِئْر النبي ﷺ ظنه خطأً والصواب أُم فروة فرواه على ما ظن فأَخطأ هو واسم الظِّئر لا يختص بالمرأَة المرضعة بل يُطلق على زوجها أَيضاً. وقد أَخرجه أَصحاب السنن الثلاثة من طرق عن ابن إِسحاق عن فروة بن نوفل عن أَبيه. وهكذا أَخرجه أَبو داود والنسائي من رواية إِسرائيل كلاهما عن أَبي إِسحاق مجرداً وفيه على أَبي إِسحاق اختلاف. وهذا هو المعتمد. انتهى.

العاشرة: حليمة بنت أَبي ذُؤَيْب بذال معجمة، ابن عبد الله بن سِجْنَة بسين مهملة مكسورة فجيم ساكنة فنون مفتوحة. ابن رِزَام براء مكسورة ثم زاي، ابن ناصرة بن فُصَيّة بالفاء تصغير فصاة وهي النواة من التمر، ابن سعد بن بكر بن هوازن. كذا قاله ابن إِسحاق. وقال ابن الكلبي: اسم أَبي ذؤيب الحارث بن عبد الله بن سِجْنة. قال البلاذري: وهو الثبت. قال النووي رحمه الله تعالى: كنية حليمة أُم كَبْشة اسم أَبيه الذي أَرضعه الحارث بن عبد العُزّى.

الباب الثاني
في إخوته صلى الله عليه وسلم من الرضاعة

عمه حَمْزة أسد الله وسيد الشهداء رضي الله تعالى عنه، روى سعيد بن منصور وابن سعد والشيخان عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، قال: قال عليّ بن أَبي طالب للنبي ﷺ: أَلا تتزوج ابنةَ حمزة فإِنها من أَحْسن فتاة في قريش؟ قال: «**إِنها ابنة أَخي من الرضاعة**» انتهى(١).

وحمزة رضي الله تعالى عنه رضيع رسول الله ﷺ من جهة حليمة. ومن جهة السعدية السابقة.

أَبو سَلَمة عبد الله بن عبد الأَسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم من السابقين الأَولين إِلى الإِسلام.

روى الشيخان عن زينب بنت أُم سلمة عن أُم حبيبة، بنت أَبي سفيان رضي الله تعالى عنهما قالت: قلت يا رسول الله: أَلا تنكح أُختي بنت أَبي سفيان. ولمسلم عَزَّة بنت أَبي سُفْيان؟ فقال النبي ﷺ: «**أَتحبين ذلك؟**» قالت: نعم لست لك. بمخلِّية وأَحبُّ من شارَكني في خيرٍ أُختي. فقال النبي ﷺ: «**فإِن ذلك لا يحل لي**». قالت: فإِنا نحدَّث أَنك تريد أَن تنكح بنت أَبي سلَمة. وفي رواية: دُرّة بنت أَبي سلمة. قال: «**بنت أَبي سلمة؟**» قلت: نعم. قال: «**إِنها لو لم تكن رَبيبَتي في حِجْري ما حَلَّت لي إِنها لاَبنة أَخي من الرضاعة أَرضعتني وأَبا سلمة ثُوَيْبة**». وذكر الحديث(٢).

مخلية بضم الميم وسكون الخاء المعجمة وكسر اللام وبالتحتية المثناة أَي لم أَجدك خالياً من الزوجات غيري وقال ابن الجَوْزي: المعنى بمنفردة للخلوة بك.

نُحدَّث بضم النون وفتح الحاء والدال المهملتين.

حجْري بفتح الحاء المهملة وكسرها.

عَزَّة بفتح المهملة بعدها زاي.

دُرة: بضم المهملة.

مَشروح: تقدم الكلام عليه.

---

(١) أخرجه النسائي ٦/١٠٠، وابن ماجة (١٩٣٨)، والطبراني في الكبير ١٢/١٨١، وأحمد في المسند ١/٣٢٩.

(٢) أخرجه البخاري ٩/٤٣ كتاب النكاح (٥١٠١) (٥١٠٦- ٥١٠٧- ٥١٢٣- ٥٣٧٢).

عبد الله بن جحش رضي الله تعالى عنه. قال السهيلي رحمه الله تعالى. وتعقبه في الزهر بأن الذي ذكره أهل التاريخ وأهل الصحيح لا أعلم بينهم اختلافاً أن الراضع مع حمزة أبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد لا ذِكْر لابن جحش عندهم. قلت: هذا هو الصواب. وما ذكره السهيلي سَبْق قلم؟ فإن أبا سلمة ذكر النبيُّ ﷺ أنه رضع هو وإياه من ثُوَيْبة كما في صحيح البخاري ولم يذكر ذلك السهيلي، وذكر ابن جحش.

عبد الله بن الحارث بن عبد العُزّى ابن حليمة وهو الذي شرب مع النبيِّ ﷺ، ووقع للبيهقي من طريق العلائي أن اسمه ضَمْرة. فالله تعالى أعلم.

حفص بن الحارث: ذكره الحافظ في الإصابة.

أُمية بنت الحارث ذكرها أبو سعيد النيسابوري في الشَّرف وأقره الحافظ.

خِذامة بخاء مكسورة وذال معجمتين. ويقال بجيم مضمومة ودال مهملة، ويقال حذافة بحاء مهملة مضمومة وذال معجمة وفاء، قال الخُشَني: وهو الصوَاب وهي: الشَّيْماء بفتح المعجمة وسكون المثناة التحتية. وكانت تحضن رسولَ الله ﷺ مع أُمها إذ كان عندهم. قال ابن إسحاق رحمه الله تعالى في رواية يونس بن بُكَير وغيره: إن حذافة وهي الشَّيْماء غلَب عليها ذلك، وذكر أن الشيماءَ كانت تحضن رسولَ الله ﷺ مع أمها. وروى ابن إسحاق عن أَبي وَجْزَة السَّعْدي أن الشَّيماءَ لما انتهت إلى رسول الله ﷺ قالت: يا رسول الله إني لأختك من الرضاعة. قال: **«وما علامة ذلك؟»** قالت: عضة عضَضْتنِيها في ظهري وأنا متوركتك. فعرف رسولُ الله ﷺ العلامة فبسط لها رداءَه ثم قال: ها هنا فأَجلسها عليه وخيَّرها فقال: **«إن أحببتِ فأَقيمي عندي مُحَبَّبة مكرَّمة وإن أحببت أَن أُمتعك فترجعي إلى قومك فعَلْتُ»**. فقالت: بل تمتّعني وترجعني إلى قومي. فمتَّعها وردَّها إلى قومها. فزعم بنو سعد بن بكر أَنه ﷺ أعطاها غلاماً يقال له مكحول وجاريةً فزوَّجوا الغلامَ الجارية فلم يزل من نَسلهما بقية.

أَبو وَجْزة بفتح الواو وسكون الجيم بعدها زاي اسمه يزيد بن عبيد.

وذكر أَبو عمر رحمه الله تعالى نحوه. وزاد أَن رسول الله ﷺ أَعطاها وشياً أي ثوباً موشَّى وثلاثة أَعبد وجارية. ونقل في الزُّهر والإصابة أَن محمد بن المعلَّى قال في كتاب الترقيص: إن الشَّيماء كانت ترقِّص رسول الله ﷺ وتقول في ترقيصه هذا الكلام:

يا رَبَّنَا أَبْقِ أَخِي مُحَمَّداً ... حَتَّى أَرَاهُ يَافِعاً وأَمْرَدَا
واكْبِتْ أَعَادِيهِ معاً وَالحُسَّدَا ... وأَعْطِهِ عِزًّا يَدُومُ أَبَداً

زاد في الزهر في النقل عنه:

هَـذَا أَخٌ لـي لَـمْ تَـلِـدْهُ أُمِّـي ... وَلَـيْـسَ مِـنْ نَـسْـلِ أَبِـي وعـمِّـي
فَـدَيْـتُـه مِـنْ مُـخْـوِلٍ مُـعِـمٍّ ... فـأَنْـمِـه الـلَّـهُـمَّ فِـيـمَـا تُـنْـمِـي

وتقول أيضاً رضي الله تعالى عنها:

مـحـمـدٌ خـيـرُ الـبَـشَـرْ ... مِمَّـنْ مَـضَـى وَمَـنْ غَـبَـرْ
مَـنْ حَـجَّ مِـنْـهُـمْ أَو اعْـتَـمَـرْ ... أَحْـسَـنُ مِـنْ وجْـهِ الـقَـمَـرْ
مِـنْ كُـلِّ أُنْـثَـى وَذَكَـرْ ... مِـنْ كُـلِّ مَـشْـبُـوبٍ أَغَـرْ
جَـنِّـبْنِي الله الـغِـيَـرْ ... فِـيـهِ وأَوْضِـحْ لِـي الأَثَـرْ

الباب الثالث

في إسلام السيدة حليمة وزوجها رضي الله تعالى عنهما

قال الحافظ عماد الدين بن كَثِير رحمه الله تعالى: الظاهر أَن حليمة لم تُدْرك البعْثة.

قال الحافظ في شرح الدُّرَر: وهو غير مسَلَّم، فقد روى أَبو يَعْلى والطبراني وابن حِبّان، عن عبد الله بن جعفر رضي الله تعالى عنهما قال: حدثتني حليمة. وعبد الله إِنما وِلد بعد البعثة بمدة، بل لم يتهيأ له السَّماع من حليمة إِلا بعد الهجرة بسبع سنين أَو أَكثر، لأَنه قدِم من الحبشة مع أَبيه وهو صغير ليلة الغزوة في خيبر سنة سبع، وحليمة إِنما قدِمت في هذه المدّة أَو بعدها بسنة في الجِعْرانة.

ومُسْتَنَد ابن كثير كثير الاختلاف على ابن إِسحاق في حديث حدَّثه عبدُ الله، فمنهم من قال: عبد الله بن جعفر، عن حليمة. ومنهم من قال: عن عبد الله بن جعفر حدثتني حليمة.

قلت: ليس هذا مستنده إِنما مستنده قول من قال: عن عبد الله بن جعفر حُدِّثت عن حليمة. والله تعالى أَعلم.

قال الحافظ: فرأَى ابن كثير أَن هذه عِلَّة تمنع من الجزم بإِدراك عبد الله بن جعفر لها، وليست هذه في التحقيق علة، فإِن الشواهد التي تدل على إِدراك عبد الله بن جعفر لها كثيرة وأَسانيدها جيدة.

وروى ابن سعد بسند رجاله رجالُ الصحيح، عن محمد بن المنكَدِر ـ مرسلاً ـ قال: استأذنتْ امرأَةٌ على النبي ﷺ. قد كانت تُرْضعه فلما دخلت عليه قال: أَمّي أمي! وعمد إِلى ردائه فبسطه لها فقعدت عليه انتهى.

قلت: ويجاب عن رواية: «حُدِّثت عن حليمة» أَنه سمع منها بعض القصة وبعضَهَا عمن سمع منها أَو أَنه سمع ممن روى عنها. ثم سمع منها. والله تعالى أَعلم.

وقد أَلف الحافظ مغلطاي رحمه الله تعالى جزءًا في إِيمانها وهذه خلاصته مع زيادة:

روى البخاري في الأَدب وأَبو داود والطبراني وابن حِبّان في صحيحه عن أَبي الطفيل رضي الله تعالى عنه قال: رأَيت رسولَ الله ﷺ يقسم لحماً بالجِعْرانة ـ وأَنا يومئذ غلام أَحمل عَظم الجَزُور ـ إِذ أَقبلت امرأَة حتى دنت إِلى رسول الله ﷺ فبسط لها رداءه فجلست عليه فقلت: من هذه؟ قالوا هذه أمه ﷺ التي أَرضعته.

وقول الذهبي: يجوز أَن تكون هذه ثُوَيْبة مردود بما ثبت أَنها توفيت سنة سبع من الهجرة.

ثم ذكر الحافظ مغلطاي حديث الرضاع ثم قال: فإن قيل: ما وجه الاستدلال من هذين الحديثين؟ قلنا: من وجوه: الأول: دَفع شبهة من زعم أَن القادِمة في حُنَيْن أخته ﷺ لأَنه يُسْتبعد أَن تكون عمِّرت إِلى ذلك الحين تخرّصاً من غير يقين، لأَن رواية هذين الصحابيين عنها مشافهةً مع صِغَرهما يقرّب ذلك الاستبعاد.

قلت: قال الحافظ بعد أَن أَورد عدة آثار في مجيء أمه ﷺ من الرضاعة إِليه ثم قال: ففي تعدد الطرق ما يقتضي أَن لها أَصلاً أَصيلاً، وفي اتفاق الطرق على أَنها أمّه ردٌّ على من زعَم أَن التي قدِمت عليه أخته، وزاعم ذلك هو الحافظ الدمياطي رحمه الله تعالى والله تعالى أَعلم.

وقد ذكرها في الصحابة جماعة. قال أَبو بكر أَحمد بن أَبي خيثمة في تاريخه: ذكر ما انتهى إِلينا من سند النساء اللاتي روين عن النبي ﷺ ثم قال: باب الحاء: حليمة بنت أَبي ذُؤيْب وقال الحافظ أَبو محمد المنذِريّ في مختصر سُنَن أَبي داود: حليمة أُمّه ﷺ أَسلمت وجاءت إِليه وروت عنه عليه الصلاة والسلام.

قال الحافظ أَبو الفرَج بن الجَوْزِيّ رحمه الله تعالى في الحدائق: قدِمت حليمة ابنة الحارث على النبي ﷺ بعد ما تزوّج خديجة فشكَت إِليه جَدْب البلاد فكلَّم خديجة فأَعطتها أَربعين شاة وبعيراً، ثم قدِمت عليه بعد النبوّة فأَسلمت وبايعَت وأَسلم زوجُها الحارث.

وقال القاضي أَبو الفضل عِيَاض رحمه الله تعالى: لما وردت حليمة السعدية على رسول الله ﷺ فبسط لها رداءه وقضى حاجتها فلما توفي قدمتْ على أَبي بكر فصنع لها مثل ذلك.

قلت: هذا كلام القاضي في الشِّفاء وروى ابن سعد عن عمر بنِ سعد مرسَلاً قال: جاءت ظِئر النبي ﷺ فبسط لها رداءه وقضى حاجتها ثم جاءت أَبا بكر ففعل ذلك، ثم جاءت عمر ففعل ذلك والله تعالى أَعلم.

الوجه الثاني: أَن لفظ الأمّ لا ينطلق عُرْفاً ولغة إِلاَّ على الأم الحقيقية، ولم نرَ من يسمي الأختَ أُمًّا، على أَنه قد جاء ما يدفع هذا لو قيل به.

وروى أَبو داود بسند صحيح عن عمرو بن السائب رحمه الله تعالى أَنه بلَغه أَن رسول الله ﷺ كان جالساً يوماً فأَقبل أَبوه من الرضاعة فوضع له بعضَ ثوبه فقعد عليه، ثم أَقبلت أمّه فوضع لها شِقّ ثوبه من جانبه الآخر فجلست إِليه، ثم أَقبل أَخوه من الرضاعة فقام رسول الله ﷺ وأَجلسه بين يديه.

وذكر أَبو عُمَر عن زيد بن أَسْلَم رحمه الله تعالى عن عَطاء بن يسَار قال: جاءت حليمةُ

ابنة عبد الله أُمّ النبي ﷺ، فقام لها النبيُّ ﷺ، وبسط لها رداءه فجلست عليه. وهو مرسَل جيّد الإسناد.

الوجه الثالث: ليس لقائل أن يقول: سلَّمنا أَن القادمة أُمّه ﷺ، فما الدليل على إسلامها حينئذ؟ ولعل الدليل من قول من قال أَسلمت وبايعت. وقول من قال: روت عن النبي ﷺ. وروي عنها.

قال الحافظ مُغلطَاي[1] رحمه الله تعالى: ورأيت ليلة الأَحد ثاني وعشرين شهر ربيع الآخر سنة ثمان وثلاثين وثمانمائة في المنام عيسى ابن مريم عليهما الصلاة والسلام وسأَلته عنها فقال مجيباً: رَضِي اللّهُ تعالى عنها. ثم قال الحافظ مغلطاي: أَنشدنا الإمام العالم العلامة أَبو الحسن علي بن جابر الهاشميّ رحمه الله تعالى لنفسه:

أَمّا حَلِيمَةُ مُرضِعُ المختارِ ... فَبِهِ غَدَتْ تَزْهَى على الأَخيَارِ

في جَنَّةِ الفِرْدَوْسِ دَارُ مُقَامِهَا ... أَكرِمْ بها يَا صَاحِبِي مِنْ دَارِ

قال الحافظ مُغلطَاي رحمه الله تعالى ورضي عنه: ومما قلته فيها من الأَبيات رضي الله تعالى ونفعنا بها:

أَضْحَتْ حَلِيمَةُ تَزدَهِي بِمَفَاخِرِ ... مَا نَالَها في عَصْرِهَا إثنانِ[2]

مِنْهَا الكَفَالَةُ وَالرَّضَاعُ وصُحْبةٌ ... وَالْغَايَةُ القُصْوَى رِضَا الرحمنِ

وأَما زوج حليمة أَبو عبد الله الحارث فلم يذكره كثير ممن أَلَّف في الصحابة. وذكره ابن إسحاق في رواية يونس بن بُكَيْر فقال: حدثني والدي إسحاق بن يسَار عن رجال من بني سعد بن بكر قالوا: قدِم الحارثُ بن عبد العُزَّى أَبو رسول الله ﷺ من الرضاعة على رسول الله ﷺ بمكة فقالت له قريش، حين نزل عليه: أَلا تسمع يا حارث ما يقول ابنك هذا؟ قال ما يقول: قالوا يزعم أَن الناس يُبعثون بعد الموت وأَن لله داراً من نار يعذِّب فيها من عصاه وداراً يكرم فيها من أَطاعه، شتَّت أَمْرنا وفرَّق جماعتنا. فأَتاه فقال: أَي بُنَيّ مالك ولقومك يُشَانئونك ويزعمون أَنك تقول إن الناس يُبعثون بعد الموت ثم يصيرون إلى جنةٍ ونار. فقال رسول الله ﷺ: **«أنا أَزعم ذلك، ولو قد كان ذلك اليوم يا أَبت لقد أَخذتُ بيدك حتى**

---

(١) مغلطاي بن قليج بن عبد الله البكجري المصري الحكري الحنفي، أبو عبد الله، علاء الدين: مؤرخ، من حفاظ الحديث، عارف بالأنساب. تركي الأصل، مستعرب. من أهل مصر. ولي تدريس الحديث في المدرسة المظفرية بمصر. وكان نقادة، له مآخذ على المحدثين وأهل اللغة. وتصانيفه أكثر من مئة، منها «شرح البخاري» و «شرح سنن ابن ماجة» سماه «الإعلام بسنته عليه السلام» و «إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال». توفي سنة ٧٦٢هـ. الأعلام ٧/٢٧٥.

(٢) في أ: اثنان.

أعرفك حديثك اليوم». فأَسلم الحارثُ بعدَ ذلك فحَسُن إسلامه وكان يقول حين أَسلم: لو قد أَخذ ابني بيدي فعرّفني ما قال لم يرسلني إن شاء الله تعالى حتى يُدْخلني الجنة.

قال ابن إسحاق رحمه الله تعالى: وبلَغني أَن الحارث إنما أَسلم بعد وفاة النبي ﷺ.

الباب الرابع

في سياق قصة الرضاع وما وقع فيها من الآياتِ

روى ابن إسحاق وابن راهَوْيه وأَبو يَعْلى والطَّبراني وابن حِبّان رضي الله عنهم عن عبد الله بن جعفر رضي الله تعالى عنهما قال: حدثتني حليمة، والبَيْهقي وابن عسَاكر عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، وفي سنَده من تُكلِّم فيه لكن لأكثره شاهد قويّ والبيهقي عن الزُّهْري وأَبو يَعْلى وأَبو نُعَيْم عن شدَّاد بن أَوْس مرفوعاً مختصراً، والإمام أَحمد والدارميّ عن عتبة بن عبد الله مرفوعاً مختصراً، وأَبو نُعَيْم عن بُرَيْدة، وابن سعد وأَبو نعيم وابن عساكر عن يحيى بن يزيد السعدي وابن سعد عن زيد بن أَسْلم - رضي الله عنهم - أَن حليمة قالت: قدِمْتُ على أَتان لي قَمْراء قد أَزمَّت بالرَّكب حتي شقَّ ذلك عليهم ضَعْفاً وعَجفاً ومعي صبيّ لنا وشارِف لنا والله ما تَبِضُّ بقَطرة، وما ننام ليلَنا أَجمَعْ، [من][1] صبيّنا ذاك لا يجد في شارِفنا ما يكفيه ولا في ثديي ما يُغنيه فقدِمْنا مكة.

وذكر العَوْفي رحمه الله تعالى أَن عبد المطلب سمع وقت دخول حليمة مكة هاتفاً يقول:

إنَّ ابْـنَ آمِـنَـةَ الأَمِـينَ مُـحَـمَّـداً ... خـيـرُ الأَنَـام وخِـيـرةُ الأَخْـيَـارِ

مـا إنْ لَـهُ غَـيـرُ الـحَـلِـيـمَـةِ مُرْضِعٌ ... نِـعْـمَ الأَمـينةُ هِـيَ عَـلَـى الأَبْـرارِ

مَـأْمُـونَـةٌ مـن كُـلِّ عَـيْـبٍ فَـاحِـش ... وَنَــقِــيَّـــةُ الأَثْـــوَابِ والأَزْرَارِ

لا تُـسـلِـمْـنَـهُ إِلَـى سِـوَاهَـا إِنَّـهُ ... أَمْـرٌ وحُـكْـمٌ جـا مِـنَ الـجَـبَّـارِ

قالت: فوالله ما علمتُ امرأَةً منا إلا وقد عُرِض عليها رسولُ الله ﷺ فتأباه إذا قيل لها بانه يتيم، وذلك أَنَّا إِنما كنا نرجو المعروف من أَبي الصبيّ، فكنا نقول يتيم ما عسى تصنع أُمه وجده. فكنا نَكرهه لذلك. فوالله ما بقي من صوَاحِبي امرأَة إلا أخذَت رضيعاً غَيْري، فلما لم أَجد غيره قلت لزوجي: والله إِني لأَكره أَن أَرجع من بين صَوَاحبي ليس معي رَضيع، لأَنطلقن إلى ذلك اليتيم فلآخذنّه. فذهبتُ فأَخذته فجئت به رَحْلي. فقالت آمنة: يا حليمة قيل لي ثلاثَ ليال: استرضِعي ابنَك في بني سعد بن بكر ثم في آل أَبي ذُؤَيْب. قالت حليمة: فإِنَّ زوجي أَبو ذؤيب. وإِنها أَخبرتها بما رأَت في حَمْله ﷺ وحين وضعته.

قالت حليمة: فلما وضعتُه في حِجْري أَقبل عليه ثَدْياي. بما شاء الله من لبن، فشرب حتى رَوِيَ ثم شرب أَخوه حتى رَوِي ثم ناما. وقام زوجي إلى شارفنا فإِذا إِنها لحَافل، فحلَب

---

[1] سقط في أ.

فشرب وشربتُ حتى انتهينا، وبتنا بخير ليلة. فقال صاحبي: تعلَّمي يا حليمة والله إني لأَراك قد أَخذت نَسَمَةً مباركة أَلم تريْ إلى ما بِتنا فيه الليلة من الخير والبركة حين أَخذناه؟ قلت: والله إني لأَرجو ذلك.

وفي حديث إِسحاق بن يحيى عند ابن سعد أَن اليهود مرُّوا على حليمة فقالت: أَلا تحدِّثوني عن ابني هذا فإني حملتُه كذا ووضعته كذا ورأَيت كذا كما وصفت أُمّه. فقال بعضهم لبعض: اقتلوه فقالوا أَيتيم هو؟ قالت: لا هذا أَبوه وأَنا أُمه فقالوا: لو كان يتيماً قتلناه.

قالت: ثم رجعنا وركبت أَتاني وحملتُه عليها معي، فوالله لقد قطعت أَتاني بالرَّكب حتى ما يتعلَّق بها حمار، حتى إِن صواحبي ليقُلن لي يا بنت أَبي ذُؤَيْب ويحك! ارْبَعي علينا، أَهذه أَتانُك التي خرجت عليها معنا؟ فأَقول نعم والله إِنها لَهي فيقلن: والله إِنَّ لها لَشأْناً.

وفي حديث الزُّهري أَن حليمة نزلت به ﷺ سوقَ عُكَاظ فرآه كاهنٌ من الكهان فقال: يا أَهل سوقِ عكاظ: اقتلوا هذا الغلام فإِن له مُلكاً. فزاغت به حليمة فأَنجاه الله تعالى منهم.

ثم قدِمْنا أَرضَ بني سعد، وما أَعلم أَرضاً من أَرض الله تعالى أَجدبَ منها، فكانت غنمي تَسْرح ثم تَرُوح شِبَاعاً لُبَّناً فنحلب ونشرب وما يَحْلب إِنسانٌ قطرةَ لبن ولا يجدها في ضَرْع، إِن كان الحاضر من قومنا ليقولون لرعاتهم: ويحكم انظروا حيث تَسْرح غنمُ حليمة فاسرحوا معهم. فيسرحون مع غنمي حيث تسرح فتروح أَغنامهم جياعاً ما فيها قطرة لبن وتروح غنمي شبَاعاً لُبَّناً.

قالت: ولما دخلتُ به إِلى منزلي لم يبق منزل من منازل بني سعد إِلا شمَمْنا منه ريح المسك وأُلْقيت محبتُه ﷺ في قلوب الناس حتى إِنَّ أَحدهم كان إِذا نزل به أَذى في جسده أَخذ كفَّه ﷺ فيضعها على موضع الأَذى فيبرأ سريعاً بإِذن الله تعالى. وكانوا إِذا اعتلَّ لهم بعيرٌ أَو شاة فعلوا ذلك.

وروى أَبو نُعَيْم عن بعض من كان يرعى غنم حليمة أَنهم كانوا يرون غنمها ما ترفع برؤوسها وتُرَى الخُضَر في أَفواهها وأَبعارها، وما تزيد غنمنا على أَن تربض ما تجد عوداً تأْكله.

قالت حليمة: فلم يزل الله تعالى يرينا البركة ونتعرّفها، حتى بلغ ﷺ سنتين، فكان يشبّ شباباً لا يشبّه الغلمان.

وفي حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: كان أَول كلامٍ تكلم به ﷺ به حين فطمته: الله أَكبر كبيراً والحمد لله كثيراً وسبحان الله بُكرةً وأَصيلا.

وروى أَبو نُعَيْم عن بعض رُعَاة حليمة قالوا: مكث رسولُ الله ﷺ سنتين حين فطم

وكأنه ابن أَربع سنين فقدِموا به على أُمه زائرين لها، وهم أَحرص شيء على رَدِّه مكانَه لما رأَوا من عِظَم بركته، فلما كانوا بوادي السُّرر لقيتْ نفراً من الحبشة فرافقتْهم فسأَلوها فنظروا إِلى رسول الله ﷺ نظراً شديداً ثم نظروا إِلى خاتم النبوة بين كتفيه وإِلى حُمْرة في عينيه فقالوا: هل يشتكي عينه؟ قالت: لا ولكن هذه الحمرة لا تفارقه. قالوا: والله نبي. انتهى.

قالت: فقدِمْنا به إِلى أُمه فلما رأَته قلنا لها: اتركي ابننا عندنا هذه السَّنَة فإِننا نخاف عليه وباء مكة. فوالله ما زلنا بها حتى قالت نعم فسرحته معنا.

وعند أَبي نعيم عن بعض رعاة حليمة أَنها مرت بذي المجَاز وهي راجعة برسول الله ﷺ وبه عرّاف يُؤتَى إِليه بالصبيان ينظر إِليهم فلما نظر إِلى رسول الله ﷺ وإِلى الحمرة بين عينيه وإِلى خاتم النبوة صاح: يا معشر العرب اقتلوا هذا الصبي فليقتلنَّ أَهلَ دينكم وليَكسرن أَصنامَكم وليَظهرن أَمرُه عليكم. فانسلَّت به حليمة.

زاد ابن سعد: فجعل الهُذَلي يصيح: يا لَهُذيل يا لهذيل وآلهته إِنَّ هذا لينتظر أَمراً من السماء. وجعل يُغرِي بالنبي ﷺ، فلم ينشب أَن دَلِه فذهب عَقلُه حتى مات كافراً.

فأَقمنا شهرين أَو ثلاثة، وكان ﷺ يخرج فينظر إِلى الصبيان يلعبون فيجتنبهم.

وفي حديث الزهري عند ابن سعد قال: كانت حليمة لا تدع رسولَ الله ﷺ يذهب مكاناً بعيداً، فغفلت عنه يوماً فخرج مع أُخته الشَّيْماء في الظهيرة فخرجت حليمة تطلبه حتى وجدته مع أُخته فقالت: في هذا الحر؟ فقالت أُخته: يا أُمّه ما وجد أَخي حراراً رأَيت غمامة تُظِلّ عليه إِذا وقف وقفت وإِذا سار سارت حتى انتهى إِلى هذا الموضع. قالت: حقًّا يا بنية؟ قالت: إِي والله. انتهى.

فقال لي يوماً: يا أُماه مالي لا أَرى إِخوتي بالنهار. قالت: يرعون بُهماً غنماً لنا فيروحون من الليل إِلى الليل. فقال: ابعثيني معهم. فكان ﷺ يخرج مسروراً ويعود مسروراً. فلما كان يوماً من ذلك خرج. فلما انتصف النهار إِذ جاءنا أَخوه يشتدّ فقال: يا أَبةِ ويا أُمّة إِلحقا أَخي محمداً فما تلحقانه إِلا ميّتاً. قلت: وما قصته قال: بَيْنا نحن قيام إِذ أَتانا رجل فاختطفه من أَوساطنا وعلا به ذروة جبل ونحن ننظر إِليه حتى شق من صدره إِلى عانته. وعند ابن إِسحاق: ورَجُلان عليهما ثياب بيض فشقًّا بطنه فهما يَسُوطانه انتهى. وما أَدري ما فعلَ.

فأَقبلت أَنا وأَبوه نسعى سعياً فإِذا به قاعداً على ذِرْوة الجبل شاخصاً ببصره إِلى السماءِ فنجده مُنْتقعاً لونُه فأَكببْتُ عليه وقبّلت بين عينيه وقلت: فدَتك نفسي ما دَهاك؟ قال: خيراً يا أُماه بَيْنَا أَنا الساعة قائم إِذ أَتاني رَهْطٌ ثلاث بيد أَحدهم إِبريق فضة وفي يد الثاني طَسْت من زمّردة خضراء ملآن ثلجاً فأَخذوني وانطلقوا بي إِلى ذروة الجبل فأَضجعوني إِضجاعاً لطيفاً،

ثم شقَّ أَحدهم من صدري إِلى عانَتي وأَنا أَنظر إِليه فلم أَجد لذلك حسًّا ولا أَلماً ثم أَدخل يده في جوفي فأَخرج إِحشاء بطني فغسلها بذلك الثلج فأَنعم غسلها ثم أَعادها. كذا في حديث ابن عباس عند البيهقي، وشدَّاد بن أَوْس عند أَبي يعلى، وأَبي نعيم.

وفي صحيح مسلم: فأَتاه جبريل فأَخذه فصرَعه فشقَّ عن قلبه واستخرج القلبَ، ثم شق القلب فاستخرج منه علقة سوداء فقال: هذا حظ الشيطان منك يا حبيب الله. ثم حشاه بشيء كان معه وردَّه مكانه ثم ختمه بخاتم النبوة من نور. فأَنا الساعة أَجد بَرْد الخاتم في عروقي ومفاصلي. وقام الثالث فقال تنحَّيَا فقد أَنْجزتما ما أَمركما الله تعالى به. ثم دنا مني فأَمرَّ يده من مَفْرق صدري إِلى منتهى عانتي فالتأَم الشق بإِذن الله تعالى.

وفي حديث عبد الله بن عُتْبة: فأَقبل إِليّ طائران أَبيضان كأَنهما نَسْران فقال أَحدهما لصاحبه أَهو هو؟ قال: نعم فأَقبلا يبتدراني فأَخذاني فبطَحاني لِلْقَفا فشقًّا بطني ثم استخرجا قلبي فشقَّاه فأَخرجا منه علقتين سوداوين فقال أَحدهما لصاحبه: ايتني بماء ثلج فغسلاَ به جوفي. ثم قال: ايتني بماء بَرَد فغسلا به قلبي. ثم قال ايتني بالسَّكِينة فذَرَّاها في قلبي. ثم أَخذ بيدي فأَنهضني إِنهاضاً لطيفاً ثم قال الأَول: زِنْه بعشرة من أُمته فوزنوني بهم فرجَحْتهم. ثم قال: زِنْه بمائة فوزنوني بهم فرجحتهم ثم قال: زِنْه بأَلف من أُمته. فوزنوني بهم فجعلت أَنظر إِلى الأَلف فوقي أَشْفِق أَن يخرّ عليّ بعضُهم فرجحْتهم، فقال: دَعُوه فلو وزنتموه بأُمته كلها لرجحهم. ثم ضمُّوني إِلى صدورهم وقبَّلوا رأْسي وما بَيْن عينيّ ثم قالوا: يا حبيب الله لَمْ تُرَعْ إِنك لو تدري ما يراد بك من الخير لقرَّت عيناك.

قالت حليمة: فأَتيت به منازل بني سعد فقال الناس: اذهبوا به إِلى الكاهن حتى ينظر إِليه ويداويه. فقال: ما بي شيء مما تذكرون إِني أَرى نفسي سليمة، وفؤادي صحيح. فقال الناس أَصابه لَمَم أَو طائف من الجن. فغلَبوني على أَمري فانطلقتُ به إِلى الكاهن فقصَصْت عليه القصة فقال: دعيني أَنا أَسمع منه فإِن الغلام أَبْصَر بأَمره منكم، تكلَّمْ يا غلام. فقصَّ قصته عليه. فوثب الكاهن قائماً على قدميه ونادى بأَعلى صوته: يا للعرب من شرٍّ قد اقترب اقتلوا هذا الغلام واقتلوني معه فإِنكم إِن تركتموه وأَدرك مدَارك الرجال لَيُسفِّهنَّ أَحلامَكم وليكذِّبن أَرْبابكم وليَدعونّكم إِلى ربٍّ لا تعرفونه ودين تُنكرونه قالت: فلما سمعت مقالته انتزعته من يده وقلت لأَنت أَعْتَه منه وأَجَنّ، ولو علمتُ هذا من قولك ما أَتيتك به، اطلب لنفسك من يقتلك فإِنا لا نقتل محمداً.

فأَتيت به منزلي فما أَتيت منزلاً من منازل بني سعد إِلا وقد شمَمْنا منه ريحَ المسك، فقال الناس: يا حليمة ردِّيه إِلى جَدّه واخرجي من أَمانتك. وقال زوجي: أَرى أَن نردّه على أُمه

لتعالجه، فوالله إنْ أَصابه ما أَصاب إلا حسداً من آل فلان لما يرون من عظيم بركته يا حليمة أَخذناه ولنا أَعْنُزٌ عِجَاف فهن اليوم ثلاثمائة.

قالت: فعزمت على ذلك. فسمعت منادياً ينادي: هنيئاً لك يا بطحاء مكة اليوم يُرَدّ إليك النُّور والدِّين والبهاء والكمال فقد أَمِنْتِ أَن تُخْذَلي أَو تُخْزَيْ أَبد الآبدين.

قال ابن إسحاق رحمه الله تعالى: وزعم الناس فيما يتحدثون - والله تعالى أَعلم - أَن أُمه السعدية لمّا قدِمت به مكة أَضلَّها في الناس وهي مُقْبلة نحو أهله، فالتمسَتْه فلم تجده فأتت عبدَ المطلب فقالت: إني قدِمت بمحمد هذه الليلة فلما كنت بأَعلى مكة أَضلَّني، فوالله ما أَدري أَين هو. فقام عبد المطلب عند الكعبة يدعو الله تعالى أَن يردّه ﷺ عليه. زاد البيهقي رحمه الله تعالى: فقال عبد المطلب:

يَـا رَبِّ إنْ مُـحَـمَّـداً لَـمْ يُـوجَـدْ ... فَـجَـمْـعُ قَـوْمـي كـلُّـهـم مُـبَـدَّدْ

زاد ابن سعد وابن الجَوْزي فقال عبد المطلب:

لا هُـمَّ رُدَّ رَاكِـبِـي مُـحَـمَّـداً ... ارْدُدْهُ لـي ثُـمَّ اتَّـخِـذْ عـنـدِي يـدَا

أَنْـتَ الَّـذِي جَـعَـلْـتَـهُ لِـيَ عَـضُـدا ... لا يَـبْـعـدِ الـدَّهْـرُ بـه فَـيَـبْـعَـدَا

أَنـتَ الـذي سـمَّـيْـتَـه مـحـمـداً

فسمع هاتفاً من السماء: أَيها الناس لا تضجّوا إن لمحمد ﷺ ربًّا لن يخذله ولن يضيعه. فقال عبد المطلب: من لنا به؟ فقال: إنه بوادي تهامة عند الشجرة اليُمْنى. فركب عبد المطلب نحوه وتبعه ورقة بن نوفل وسار فإذا النبي ﷺ قائم تحت شجرة يَجْذب غصناً من أَغصانها فقال له جده: من أَنت يا غلام؟ قال: أَنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب. قال: وأَنا جَدّك فدتك نفسي. واحتمله وعانقه وهو يبكي ثم رجع إلى مكة وهو قُدّامه على قَرَبُوس فرسه فاطمأَنت قريش، ونحر عبدُ المطلب عشرين جَزُوراً وذبح الشِّيَاه والبقر وأَطعم أَهل مكة من ذلك. انتهى.

قالت حليمة: فقالت أُمه: ما ردَّكما به يا ظِئْر فقد كنتما عليه حريصين؟ قلنا: نخشَى الأَتلاف والأَحداث فقالت: ما ذاك بكما اصدُقَاني شأنكما. فلم تدَعْنا حتى أَخبرناها خبره. فقالت: أَخشيتما عليه الشيطان؟ كلا والله ما للشيطان عليه سبيل، والله إنه لَكائن لابني هذا شأن، أَلا أُخْبركما خبره؟ قلنا: بلى. قالت: حملتُ به فما حملتُ حملاً قط أَخفَّ منه، فأُريت في النوم حين حملت به خرج منّي نور أَضاءت له قصور بُصْرى من أَرض الشام، ثم وقع حين ولدتُه وقعاً ما يقعه المولود، معتمداً على يديه رافعاً رأْسه إلى السماء.

قالت حليمة: وحدثت عبد المطلب حديثه كله فقال: يا حليمة إن لابني هذا شأناً

وددْت أني أُدرك ذلك الزمان، ثم جهَّزني عبدُ المطلب أَحسن جهاز وصرفني إِلى منزلي بكل خير.

وذكر ابن المعلّى الأَزْدي رحمه الله تعالى في كتاب «التَّرْقيص» أَن من شعر حليمة مما كانت ترقِّص به النبيَّ ﷺ:

يَـا رَبِّ إِذْ أَعْـطَـيْـتَـهُ فَـأَبْـقِـهِ　　وأَعْـلِـهِ إِلَـى الـعُـلاَ ورَقِّـهِ

وادْحَـضْ أَبَـاطِـيـلَ الـعِـدَا بِـحَـقِّـهِ

وذكر ابن سَبع رحمه الله تعالى أَن حليمة قالت: كنت أُعطيه ﷺ الثدي فيشرب منه ثم أَحوّله إِلى الثدي الأَيسر فيأبى أَن يشرب منه. قال بعضهم: وذلك من عَدْله ﷺ لأَنه علم أَن له شريكاً في الرضاعة. وكان ﷺ مفطوراً على العَدْلِ مجبولاً على جميل المشاركة والفضل صلى الله عليه وزاده فضلاً وشرفاً لديه.

قال العَزَفِيّ: رحمه الله تعالى: كان النساء يرين إِرضاع أَولادهن عاراً عليهن. وقال غيره: لينشأَ غريباً فيكون أَنجب للغلام وأَفصح له. وقال آخر: كان عادة العرب أَن تفعل ذلك لتَفرُغ النساءُ للأَزواج وهو منتفٍ هنا لأَن أَباه توفي وهو حَمْل على الصحيح.

قال الواقديّ رحمه الله تعالى: وكان ابن عباس رضي الله تعالى عنهما يقول: رجع ﷺ إِلى أُمه وهو ابن خمس سنين. وكان غيره يقول: رجع إِليها وهو ابن أَربع سنين.

وذكر الأموي ـ رحمه الله تعالى ـ أَنه ﷺ رجع وهو ابن ست سنين تُزيره جدَّه في كل عام، ولم تره بعد أَن ردَّتْه إِلا مرتين إِحداهما بعد تزويج خديجة، جاءته ﷺ تشكو إِليه السَّنَة وأَن قومها قد أَسْنَتُوا فكلَّم لها خديجةَ فأَعطتها عشرين رأْساً من غنم وبَكْرات. والمرة الثانية يوم حُنَيْن.

لَقَدْ بَلَغَتْ بِالْهَاشِمِيِّ حَلِيمَةٌ　　مَقَاماً عَلاَ فِي ذِرْوَةِ العِزِّ والمَجْدِ

وَزَادَتْ مَواشِيَها وأَخْصَبَ رَبْعُها　　وَقَدْ عَمَّ هَذا السَّعْدُ كُلَّ بَنِي سَعْدِ

ويرحم الله تعالى العلامة بن جابر حيث قال:

بِخَيْرِ الخَلْقِ يُشْرَحُ كُلُّ صَدْرِ　　وَعِنْدَ اللّهِ حَازَ أَجَلَّ قَدْرِ

بِشَقِّ الصَّدْرِ خُصَّ كَشَقِّ بَدْرِ　　كَمَا خُصَّ الكَلِيمُ بِشَقِّ بَحْرِ

وسَعْيُ الدَّوْحِ جَاءَ لِدَفْعِ شَكٍّ　　كَسَعْيِ عَصَا الكَلِيمِ لِدَفْعِ سِحْرِ

لَهُ الشَّرَفَانِ مِن عَمٍّ وخَالٍ　　فَفَاقَ المُرْسَلِينَ بِكُلِّ عَصْرِ

بَدَا مِنْ خَيْرِ بَيْتٍ فِي قُرَيْشٍ　　وأُرْضِعَ فِي بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرِ

فَضَمَّ إِلَى فَصَاحَةِ آلِ سَعْدٍ　　سَمَاحَةَ هَاشِمٍ وجَلاَلَ فِهْرِ

لقد سَعِدَتْ حليمةُ حيثُ حَازَتْ رِضَاعَتَه ونَالَتْ كُلَّ فَخْرِ
فدَرَّ عَلَيْهِ مِنْهَا الثَّدْيُ حَالاً وَلَمْ يَكُ قَبْلَ ذَا يَشْفِي بِدَرٍّ
وأُعْلِمَ أَنَّهُ لأَخِيهِ حَقٌّ فَغَادَرَ ثَدْيَهَا الثَّانِي بِوَفْرِ
وشَارِفُهَا جَرَتْ لَبَناً فَأَرْوَتْ وَكَانَتْ لاَ تبِضُّ[1] لهم بقَطْرِ
وأَسْرَعَتِ الأَتَانُ[2] به نهوضاً فأُعْجِبَ كُلُّ مَنْ فِي الرَّكْبِ يَسْرِي
وَكَانَتْ مِنْ وَرَاءِ القَوْمِ ضَعْفاً فَصَارَتْ عَنْ أَمَامِ القَوْمِ تَجْرِي
فَقَالُوا إِنَّ لابْنِكِ ذَا لشأناً أَخذْتِ مُبَارَكاً فَثِقِي بِيُسْرِ
وَكَانَ يَشِبُّ فِي شَهْرٍ كَعَامٍ إِذَا اعْتَبَرُوا وفي يَوْمٍ كَشَهْرِ
ويُصْبِحُ دُونَ صِبْيَتِهِم دَهِيناً كَحِيلاً طَيِّباً من غَيْرِ عِطْرِ
وكانُوا في أَشَدِّ الأَرْضِ جَدْباً فعَمَّ القَطْرُ مِنْهَا كُلَّ قُطْرِ
وخَلْفَ بُيُوتِهِمْ جِبْرِيلُ وَافَى فَشَقَّ الصَّدْرَ مِنْهُ بِغَيْرِ ضُرٍّ
وأَلْقَى مَغْمَزَ الشَّيْطَانِ مِنْهُ فَطَهَّرَهُ فَنَالَ أَتَمَّ طُهْرِ
حشَا مِنْهُ الحَشَا عِلْماً وحِلْماً وَإِيمَاناً عَلَى وَرَعٍ وصَبْرِ
وأَكْرَمَهُ الإِلٰهُ بِشَقِّ صَدْرٍ ووَضْعَ الوِزْرَ عَنْه ورَفْعَ ذِكْرِ
فَكَانَ رِضاً بِلاَ سَخْطٍ وبَذْلاً بِلاَ بُخْلٍ وَخَيْراً دُونَ شَرِّ
لَهُ خُلُق المَلاَئِكُ وَهْوَ خَلْقٌ مِن البَشَرِ الخَصِيصِ بِكُلِّ بِشْرِ
إِلٰهُ العَرْشِ أَرْسَلَهُ بَشِيراً نَذِيراً دَاعِياً لِهُدًى ويُسْرِ
فأَبْدَلَنَا بِهَدْيٍ بَعْدَ جَهْلٍ وَعَوَّضَنَا بِيُسْرٍ بعدَ عُسْرِ
عليهِ صَلاةُ ربِّ العرشِ تَنْدَى كما تَنْدَى الرِّيَاضُ بِكُلِّ فَجْرِ
يواصِلُ عَرْفُها[3] آلاً وصَحْباً كأَنَّ ثَنَاهُمُ نَفَحَاتُ زَهْرِ

والشرفَ البوصيري حيث قال:

وَبَدَتْ فِي رِضَاعِهِ مُعْجِزَاتٌ لَيْسَ فِيهَا عَنِ الْعُيُونِ خَفَاءُ
إِذْ أَبَتْهُ لِيُتْمِهِ مُرْضِعَاتٌ قُلْنَ مَا فِي الْيَتِيمِ عَنَّا غَنَاءُ
فَأَتَتْهُ مِنْ آلِ سَعْدٍ فَتَاةٌ قَدْ أَبَتْهَا لِفَقْرِهَا الرُّضَعَاءُ
أَرْضَعَتْه لِبَانَهَا فَسَقَتْهَا وبَنِيهَا أَلْبَانَهُنَّ الشَّاءُ

---

(١) انظر الوسيط ١/ ٦٠.
(٢) الأتان: الأنثى من الحمير والجمع (آتن، أُتُن) المصباح المنير ص ٣.
(٣) العَرْفُ: الريح طيبة كانت أو خبيثة يقال: ما أطيب عرفه، وفي المثل: لا يعجز مسك السوء عن عرف السوء، اللسان ٤/ ٢٩٠٠.

أَصْبَحَت شُوَّلاً(١) عِجَافاً وأَمْسَتْ ... مـا بِـهَـا شَـائِـلٌ وَلاَ عَـجْـفَـاءُ
أَخْصَبَ العيشُ عندَها بَعْدَ مَحْلِ ... إِذْ غَـدَا لـلـنـبـيِّ مِـنْـهَـا غِـذَاءُ
يَـا لَـهـا مِـنَّـةُ لـقـد ضُـوعِـفَ الأَجْـ ... ـرُ عُلَـيْـهـا من جِنْسِـهَـا والـجـزاءُ
حـيـث أَنـبَـتَـتْ سـنـابِـلَ والـضِّـعْـ ... ـفَ لَـدَيْـهِ يَـسْـتَـشْـرِفُ الـضُّـعَـفَـاءُ
وإذا سـخَّـر الإلٰـهُ أُنـاسـاً ... لِـسَـعِـيـدِ فـإنَّـهُـمْ سُـعَـداءُ
وأتـت جـدَّه وقَـدْ فـصـلَـتْـه ... وبِـهَـا مِـنْ فِـصَـالِـهِ الـبُـرَحَـاءُ
إِذْ أَحَـاطَـتْ بِـهِ مَـلاَئِـكَـةُ الـلَّـ ... ـهِ فَـظَـنَّـت بـأَنَّـهُـمْ قُـرَنـاءُ
ورَأَى وَجْـدَهَـا بِـهِ ومِـنَ الْـوجْـ ... ـدِ لَـهِـيـبٌ تَـصْـلَـى بـه الأَحْـشَـاءُ
فـارقَـتْـهُ كُـرهـاً وَكَـانَ لَـدَيْـهَـا ... ثَـاوِيـاً لا يُـمَـلُّ مِـنْـهُ الـثَّـوَاءُ
شَـقَّ عـن صَـدْرِهِ وأَخْـرَجَ مِـنْـهُ ... مُـضْـغَـةً عِـنْـدَ غَـسْـلِـهِ سَـوْدَاءُ
خَـتـمَـتْـه يُـمْـنَـى الأَمِـينِ وَقَـدْ أُوْ ... دِعَ مَـا لَـم يُـذَعْ لـه أَنْـبَـاءُ
صَـانَ أَسْـرَارَه الـخِـتَـامُ فَـلاَ الـ ... ـفَـضُّ مُـلِـمٌّ بِـهِ وَلاَ الإِفْـضَـاءُ
أَلِـفَ الـنُّـسْـكَ وَالْـعِـبَـادَة والـ ... ـخَـلْـوَةَ طِـفْـلاً وَهَـكَـذَا الـنُّـجَـبَـاءُ
وَإِذَا حَـلَّـتِ الـهِـدَايَـةُ قَـلْـبـاً ... نَـشِـطَـتْ فـي الـعِـبَـادةِ الأَعْـضَـاءُ

* * *

تنبيهـات

الأَول: قال بعض العلماء: المراد بالوزن في قوله: «زِنْه بعشرة» إلى آخره: الوزن الاعتباري. فيكون المراد بالرُّجْحان [الرجحان] في الفضل وهو كذلك. وفائدة فِعْل المَلَكيْن ذلك ليَعلم رسولُ الله ﷺ ذلك حتى يخبِر به غيره ويعتقده، إذ هو من الأُمور الاعتقادية. وسأَلت شيخنا شيخ الإسلام برهان الدين بن يوسف ـ رحمه الله تعالى ـ عن ذلك فكتب لي بخطه: هذا الحديث يقتضي أَنّ المعاني جعلها الله تعالى ذوَاتاً، فعند ذلك قال الملك لصاحبه: اجعله في كِفَّة واجعلِ أَلفاً من أُمته في كفة. ففعل فرجَح ما له ﷺ رجحاناً طاشَ معه ما للأَلف بحيث يخيَّل للرائي أَنه يسقط عليه بعضهم. ولما عرف المَلكان منه الرجحان وأَنه معنًى لو اجتمعت المعاني كلها التي للأُمة ووضِعت في كفَّة ووضع ماله ﷺ في كفة لرَجح على الأُمة قالا: لو أَن أُمته وزنت به ﷺ مالَ بهم لأَن مآثر خير الخَلْق وما وهبه الله تعالى له من الفضائل يستحيل أَن يساويها غيرُها. انتهى.

---

(١) شوّلت الناقة: لحقت بطونها بظهورها من الجوع والهزال، الوسيط ٥٠١/١.

الثانـي:

قال السُّهيلي ـ رحمه الله تعالى ـ: التماس الأَجر على الرضاع لم يكن محموداً عند أَكثر العرب، حتى جرى المثل: «تجوع الحُرّة فلا تأكل بثديها».

وتعقَّبه في الزهر بأَن المثل غير مسُوق لذلك. قال المفضل الضبِّي ـ رحمه الله تعالى ـ في كتاب «الفاخر»: تجوع الحُرّة ولا تأكل بثديها أَي ولا تهتك نفسها وتُبْدي منها ما لا ينبغي أَن تُبْدِي. وذكر مثله محمد بن سعد العراقي ـ رحمه الله تعالى ـ في «نُزْهة الأَنفس» في الأَمثال.

قلت: قال المَيْداني[1] تبعاً لأَبي عبيد ـ رحمهما الله تعالى ـ: أَي لا تكون ظِئْراً وإِن آذاها الجوع.

ثم قال السُّهيلي: وكان عند بعضهم لا بأس به فقد كانت حليمةُ وسيطةً في بني سعد كريمةً من كرائم قومها بدليل اختيار الله تعالى إِياها لإِرضاع نبيه ﷺ كما اختار له أَشرف البطون والأَصلاب، والرّضاع كالنسب. قال: ويحتمل أَن تكون حليمة ونساء قومها طلبن الرضاع اضطراراً للأَزمة التي أَصابتهم والسَّنة الشهباء التي أَقْحَمتهم[2]. والله تعالى أَعلم.

الثالث:

قول آمنة: «فلم أَرَ حَمْلاً كان أَخفَّ عليّ منه» يفهم منه أَنها حملتْ بغيره ﷺ. وقد ورد ما هو أَصرح منه. قال ابن سعد أَخبرنا عمرو بن عاصم أَخبرنا همَّام عن إِسحاق بن عبد الله، قال: قالت أُم النبي ﷺ: قد حملتُ الأَولادَ فما حملتُ أَخفَّ منه. قال ابن سعد ـ رحمه الله تعالى: قال محمد بن عمرَ يعني الواقِديّ ـ وهذا مما لا يُعرف عندنا ولا عند أَهل العلم، لم تلد آمنة ولا عبد الله غير النبي ﷺ.

قال الواقدي: وحدثني محمد وعبد الله بن أَخي الزُّهْري، عن الزهري ـ رحمه الله تعالى ـ قال: قالت آمنة: لقد عَلِقْت به فما وجدت له مشقةً حين وضعْته.

وأَخرجه عن الواقدي من وجه آخر مطوَّلاً وفيه: ما شعرتُ به ولا وجدت ـ له ثقْلةً كما تجد النساء.

قال الحافظ: إِن كان إِسحاق بن عبد الله هو ابن أَبي طلحة فهو مرسل رجاله رجال

---

(١) أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم الميداني النيسابوري، أبو الفضل: الأديب البحاث، صاحب «مجمع الأمثال» ومن كتبه «نزهة الطرف في علم الصرف» و «السامي في الأسامي» في اللغة، و «الهادي للشادي» نحو، و «شرح المفضليات». توفي سنة ٥١٨هـ. انظر الأعلام ٢١٤/١، وبغية الوعاة ١٥٥.

(٢) في أ: التي اقتحمتهم.

الصحيح. فلا يمتنع أَن تكون آمنة أَسقطت من عبد الله سقطاً فأَشارت بذلك إِليه فتجتمع الروايات إِن قبلْنا كلام الواقديّ.

بل جازف سِبْطُ ابن الجوْزي - رحمه الله تعالى - كعادته فقال: أَجمعَ علماءُ النقل على أَن آمنة لم تحمل بغير رسول الله ﷺ ومعنى قولها: لم أَحمل حملاً أَخفَّ منه خرّج على وجه المبالغة، أَو على أَنه وقع اتفاقاً. كذا قال: ولا يخفى وَهْي كلامه. والذي جمعتُ به أَقرب.

قلت: وقد تقدم الجمع بين أَحاديث وجود النقل وأَحاديث عدمه في أَبواب المولد فليراجَع. والله تعالى أَعلم.

الرابع: في بيان غريب ما تقدم:

نلتمس: نطلب. ووقع في سيرة ابن إِسحاق: والتُمس لرسول الله ﷺ الرُّضَعاء. قال ابن هشام - رحمه الله تعالى - إِنما هو المَراضع جمع مُرْضع. والرُّضَعاء جَمْع رضيع. ولكن لرواية ابن إِسحاق مَخْرج من وجهين: أَحدهما: حذف المضاف: كذوات الرضعاء. والثاني أَن يكون أَراد بالرضعاء الأَطفال على حقيقة اللفظ لأَنهم إِذا وجدوا له مرضعة ترضعه فقد وجدوا له رضيعاً يرضع معه. فلا بُد أَن يقال: التمسوا له رضعاء علماً بأَن الرضيع لا بد له من مرضع.

سَنَة شَهْباء: يعني سنة القَحْط والجدْب، لأَن الأَرض تكون فيها بيضاء.

الأَتان: بفتح الهمزة والمثناة الفوقية: الأُنثى من الحمير. قال في القاموس؛ والأَتانة لغة سليمة.

أَذَمَّت بالرَّكْب: بذال معجمة. كما ذكره في الجمهرة والصحاح والنهاية. وفيها: قال في الجمهرة: أَذَمَّت الراحلة إِذا أَعيتْ ولم يكن بها حِراك. وقال في الصحاح: أَذَمَّتْ الرِكَابُ القوم: أَي أَعيت وتأَخرت عن جماعة الإِبل ولم تلحق بها.

عجْفاء: بفتح العين المهملة والجيم وبالفاء: العجَف: الهُزَال. والأَعْجف: المهزول والأُنثى عجْفاء والجمع عِجَاف. قمراء: في لونها بياض.

الشارِف: بالشين المعجمة والراء المكسورة والفاء: الناقة المُسِنَّة.

تَبِضّ: بفتح المثناة الفوقية وبكسر الموحدة وبضاد مشددة أَي لا تقطر ولا ترشح ويروى بالمهملة: أَي لا يبرق عليها أَثر اللبن.

ما يُغَذّيه: بمعجمتين: من الغذاء.

وفي قولها: إِنه يتيم إِلى آخره ردٌّ لقول من ذكر أَن عبد الله أَباه استأجر له حليمة، كما رواه عثمان بن عبد الرحمن الوَقَّاصي أَحد الضعفاء.

الرَّحْل: بحاء مهملة: سكن الشخص وما يستصحبه من الإناث. والرحل: المنزلِ والمأوى.

الحافل: الممتلئة الضَّرْع من اللبن، والحفَل: اجتماع اللبن في الضرع. رِيًّا: بكسر الراء وتشديد المثناة التحتية.

تعلَّمي: بمثناة فوقية فعين مهملة فلام مشددة مفتوحات: أَي اعلمي. النَّسَمة محرَّكة: الإِنسان والبدن والروح والنَّفْس. قطَعت بالرَّكْب: خلَّفتهم وراءها.

يتعلق بها حِمار: يلحقها. ويحك بالنصب بإِضمار فعل: كلمةُ ترحُّم وتوجّع تقال لمن وقع في هلكة لا يستحقها وقد تقال بمعنى المدح والتعجب.

ارْبَعِي: إذا ابتدأت به كسرتَ همزته وهي همزة وصل وبالموحدة المفتوحة: أَي أَقيمي وانتظري. يقال ربَع فلانٌ على فلان إذا أَقام به وانتظره.

عُكَاظ بالضم: سوق بمكة وراء قَرْن المَنازل يُصْرَف ويمنع. قال ابن حبيب ـ رحمه الله تعالى ـ: قريب من عرفات.

الكاهن: الذي يدَّعي عِلْم الغيب.

راغت: براء وغين معجمة: مالت عنه.

أَجْدَب بجيم فدال مهملة فموحدة: ضد الخِصْب بكسر الخاء المعجمة.

تَرُوح: ترجع بعشِيّ. لُبَّنا: بضم اللام وتشديد الباء الموحدة: أَي كثيرة اللبن، قلت: وبضم اللام وكسرها لغتان.

الحاضر: جماعة القوم المجتمعون على الماء.

يُريحون: يرجعون من المرعى.

يَشِبّ: بكسر الشين المعجمة.

جَفْراً: غليظاً شديداً ومنه الجَفْرُ والجَفْرَة من المعز، ويقال هو الصبي ابن أربعة أَعوام ونحوها.

الوباء: بالهمزة والقصر: كثرة الأَمراض والموت.

فسرحته: أَرسلته.

ذو المجاز بالجيم والزاي: سوق كانت تقام في الجاهلية على فرسخ من عرفات.

العرّاف: مشدد بمعنى المنجم والكاهن. والعراف: الذي يخبر بالماضي، والكاهن بالماضي والمستقبل.

الهُذَلي: بضم الهاء وفتح الذال المعجمة.

يُغْرِي به: يولِع.

يَنْشب: يلبث.

دِلِه: بدال مهملة وتقديم اللام على الهاء قاله في النهاية أي ذهب عقله ودهش.

بَهْم: بفتحِ الموحدة جمع بَهْمة وهي ولد الضأْن. قاله في النهاية. ذِرْوة الجبل بكسر الذال المعجمة: أعلاه.

يَسُوطانه: يقال: سُطْت اللبن والدم وغيرهما: إذا ضربت بعضه في بعض وحركته، واسمُ العود الذي يُحرَّك به: المِسْوط.

مُنْتَقَعاً لونُه: بنون ومثناة فوقية وقاف مفتوحة أي متغيراً، يقال انتُقِع وجه الرجل: إذا تغيَّر، ويقال امتُقِع بالميم وبالباء الموحدة أيضاً. يقال انتُقع لونه فهو مُنْتَقَع وامتُقع فهو مُمْتَقع. وابْتُقع فهو مُبْتَقع بفتح القاف في الكل. أَحْشاء بطني: جمع حَشا بالقصر: المِعَى.

لأَمَهُ بوزن ضربه: شدَّه. لم تُرَعْ: لا تُرَعْ ولا خوف عليك. اللَّمم: طيف من الجن أو طَرَف من الجنون.

طائف: عَرض له شيطان.

أَغْته: أنقص عقلاً.

الظِّئْر بهمزة ساكنة ويجوز تخفيفها: الناقة تعطف على ولد غيرها، ومنه قيل للمرأَة الأَجنبية تحضن ولد غيرها: ظئر. والرجل الحاضن: ظِئر أَيضاً.

الرَّبْع بفتح الراء وسكون الموحدة: محلة القوم ومنزلهم، وقد أُطلق على القوم مجازاً.

الدَّوْح: جمع دوحة، وهي الشجرة العظيمة.

القَطْر بفتح القاف: المطر.

القُطْر بضم القاف: الناحية.

مَغْمِز الشيطان بفتح الميم الأُولى وإسكان الغين المعجمة وكسر الميم الثانية وآخره زاي: وهو الذي يغمزه الشيطان من كل مولود إلا عيسى ابن مريم وأُمه، لقول أُمها حنَّة: ﴿**إني أعيذها بك وذريتها من الشيطانِ الرَّجيم**﴾.

قال السُّهَيْلي: ولا يدل هذا على أَفضلية عيسى على نبينا ﷺ لأَنه عندما نُزع ذلك منه مُلئ حكمة وإيماناً ـ بعد أَن غسله روح القدس بالثَّلج والبرَد، ولهذا مزيد بيان يأْتي في باب شق صدره الشريف.

بدَتْ: ظهرت.

أَبَى: امتنع.

الغَناء بالفتح: النَّفْع.

الفتاة: الشابة من الإناث.

الرُّضَعاء: جمع رضيع.

اللِّبَان بالكسر: كالرضاع، يقال هو أَخوه بلِبَان أُمه. قال في الصِّحَاح: قال ابن السِّكِّيت: ولا يقال بلبن أُمه إِنما اللبن: الذي يُشرب.

الشِّياه: جمع شاة في الكثرة.

الشُّوَّل بالتشديد جمع شائل من غيرها وهي في الأَصل الناقة التي تَشُول بذَنبها لِلَّقاح ولا لبن لها أَصلاً، كراكع وركَّع وساجد وسجَّد. واستعمل الناظم ذلك في الشياه.

الخِصْب بالكسر نقيض الجَدْب.

المحْل: الجدب وهو انقطاع المطر ويَبَس الأَرض من الكلأ.

العيش: الحياة.

الغِذَاء بالغين والذال المعجمتين: ما يغْتذى به من الطعام.

الأُنَاس: لغة في الناس.

يالها: كلمة تعجب.

مَنَّ عليه: أَنعم.

تضعيف الشيءِ: أَن يُزاد عليه مثله أَو أَكثر.

الأَجر: الثواب.

الجزاء: المجازاة.

السَّعْد: اليُمْن والبركة.

السعادة: خلاف الشقاوة.

العَصْف: ورق النبات اليابس. يستشرف: يتطلع. الفِصَال: انتهاء الرضاع بالفطام.

البُرَحاء بضم الباء وفتح الراء وفتح الحاء المهملة: شدة الأَذى.

أَحاطت: أَحدقت به.

القُرَناء: الشياطين.

الوَجْد: شدة الحُبّ.

الأَحشاء: جمع حَشاً، وهو ما انضمت عليه الضلوع.

ثَوَى بالمكان: أَقام به، يَثْوي ثَوَاء وثُوِيًّا.

الأَمين هنا: جبريل.

يُذَعْ: بالذال المعجمة: من ذاع الخَبَر: انتشر.

الأَنباء: جمع نبأ وهو الخبر.

صان: كتم.

الخِتَام: ما يختم به من طين ونحوه.

الفَضُّ بالفاء والضاد المعجمة: الكسر والتفرق.

الإِفضاء: إِشاعة السِّرّ.

أَلِف الشيء: اعتاده. النُّسْك والعبادة بمعنى.

الخَلْوة: المكان الذي لا أَحد فيه.

النُّجبَاء: جمع نَجيب وهو الكريم البيِّن النجابة.

النشاط: ضد الكسل.

والله سبحانه وتعالى أَعلم بالصواب.

جماع أبواب أسمائه صلى الله عليه وسلم وكناه

قد أَفردها بالتصنيف خلائق، ونظمها جماعة منهم الشيخ الإِمام العلامة أَبو عبد الله القُرْطبي المفسِّر والعلامة الزَّيْني عبد الباسط بن الإِمام العلامة بدر الدين البُلْقِيني أَحد السادة العدول بخط الجمالية ـ رحمه الله تعالى ـ في قصيدة ميمية طنَّانة بديعة لم يَنْسجْ على منوالها ناسج، وشرحها شرحاً مُبْدِعاً كثير الفوائد فرداً في بابه، فشكر الله تعالى سَعْيه وتقبَّل منه، سماها «الاصطفاء» وشرَحها بالوفاء في شرح الاصطفاء.

وحيث قلت: ذكر في الشرح أَو النظم. أَو شَرْح النظم: فهما المرادان.

غير أَنه ـ رحمه الله تعالى ـ لم يرتب الأَسماء على حروف المعجم، بل بحسب ما اتفق فعسر الكشف فيها وأَحسن ما عُمل في ذلك: «الرياض الأَنيقة في شرح أَسماء خَيْر الخَلِيقة» للشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ.

ولخَّصت مقاصد الكتابين هنا مع زوائد كثيرة من كتاب «جلاَء الأَفهام» وكتاب «زاد المعاد» ـ كلاهما للعلامة ابن القَيِّم. والقول البديع للحافظ أَبي الخير السَّخَاوي، والمواهب لشيخنا العلامة أَبي الفضل أَحمد بن الخطيب القَسْطَلاَّني ومن غير ذلك.

وانحصر لي الكلام على الأَسماء والكُنَى في أَربعة أَبواب:

الباب الأول
في فوائد كالمقدمة للأبواب الآتية

قال العلماء رضي الله تعالى عنهم: كثرة الأَسماء دالَّة على عِظَم المسمَّى ورفعته، وذلك للعناية به وبشأنه؛ ولذلك ترى المسمَّيات في كلام العرب أَكثرها محاولةً واعتناء.

قال الإِمام النووي ـ رحمه الله تعالى ـ: وغالب هذه الأَسماء التي ذكروها إِنما هي صِفَات، كالعاقب والحاشر فإِطلاق الاسم عليها مجاز.

وقال في الاصطفاء: فإِن قيل: غالب هذه الأَسماء صفات مثل الماحي والمختار ونحوهما قلت: كثيراً ما يطلق الأَسماء على الصفات لاشتراكهما في تعريف الذات وتمييزها عن غيرها، وذلك من باب التغليب. انتهى.

وقال ابن عساكر - رحمه الله تعالى -: وإذا اشتقت أسماؤه ﷺ من صفاته كثرت جدًّا.

وقال ابن القيم - رحمه الله تعالى -: أسماؤه ﷺ إذا كانت أوصاف مدح، فله من كل وصف اسم، لكن ينبغي أن يفرق بين الوصف المختص به أو الغالب عليه ويشتق له منه اسم، وبين الوصف المشترك فلا يكن له منه اسم يخصه.

وقال الشيخ: وكثير من هذه الأسماء لم يرد بلفظ الاسم، بل أتى بصيغة المصدر والفعل وقد اعتبر ذلك القاضي وابن دِحْية وغيرهما، واعتبره الجمهور خصوصاً أصحاب الحديث في أسماء الله تعالى. انتهى.

وقال ابن القيم: لما كانت الأسماء قوالب المعاني ودالة عليها اقتضت الحكمة أن يكون بينها وبينها ارتباط وتَنَاسُب، وأن لا تكون معها بمنزلة الأجنبي المحْض الذي لا تعلُّق له بها فإن حكمة الحكيم تأبى ذلك والواقع يشهد بخلافه، بل للأسماء تأثير في المسمَّيات وللمسميات تأثير في أسمائها في الحسن والقبح والثقل واللطافة والكثافة كما قيل:

وقَلّ أن أبصرتْ عيناك ذا لَقب   إلا ومعناه إن فكَّرت في لقبهْ

إذا علمت ذلك تأمل كيف اشتُقت للنبي ﷺ من صفاته أسماء مطابقة لمعناها، فضمن الله تعالى أسماء رسوله ﷺ ثناءه وطوى أثناء ذِكْره عظيمَ شكره.

وقال غيره: الأسماء جمع اسم وهو كلمة وضعتها العرب بإزاء مُسَمًّى متى أُطلقت فُهم منها ذلك المسمى. فعلى هذا لا بد من مراعاة أربعة أمور: الاسم والمسميّ بفتح الميم والمسمِّي بكسرها والتسمية. فالاسم: هو اللفظ الموضوع على الذات لتعريفها أو لتخصيصها عن غيرها كلفظ زيد. والمسمَّى هو الذات المقصود تمييزها بالاسم كشخص زيد. والمسمِّي هو الواضع لذلك اللفظ. والتسمية هي اختصاص ذلك اللفظ بتلك الذات. والوضع: تخصيص لفظ بمعنى إذا أُطلق أو أُحِسَّ فُهم ذلك المعنى.

تنبيـــه:

نقل الغزالي - رحمه الله تعالى - الاتفاقَ، وأقرّه الحافظ في الفتح على أنه لا يجوز لنا أن نسمِّي رسولَ الله ﷺ باسم لم يسمِّه به أبوه ولا سمَّى به نفسه الشريفة والله تعالى أعلم.

الباب الثاني

في الكلام على قولهِ صلى الله عليه وسلم: «لي خمسة أسماء»[1] وطرقه

اعلم أنَه ورد من حديث جُبَيْر بن مُطْعم، وجابر بن عبد الله وعوف بن مالك وأَبي موسى وحذيفة بن اليمَان وابن مسعود وابن عباس، وأَبي الطفيل ـ رضي الله تعالى عنهم ـ.

حديث جُبَيْر رواه عنه ابنه محمد، ونافع. ورواه عن محمد الزُّهْري، وعنه خَلْق منهم سُفيان بن عُيَيْنة وشعيب بن أَبي حمزة، ومَعْمَر بن راشد، ومالك بن أَنس، ومحمد بن مَيْسرة ـ رحمهم الله أجمعين ـ.

ذكر رواية سفيان

لفظ روايته فيما رواه الإمام أَحمد ومُسْلم والتِّرمِذي في الجامع والشمائل: **«إنَّ لي خمسة أَسماء: أَنا محمد، وأَنا أَحمد، وأَنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأَنا الحاشِر الذي يُحشر الناس على قَدَمي، وأَنا العاقب الذي ليس بعده نبي»**[2].

ولفظ رواية شُعَيْب فيما رواه الشيخان والدارمي كلفظ رواية سفيان. ولفظ رواية معْمَر فيما رواه الشيخان والطبراني كلفظ رواية سفيان، لم يذكروا خمسة وإِنما وقعت هذه اللفظة في رواية الإِمام مالك ومحمد بن ميسرة.

ولفظ رواية مالك فيما رواه يحيى بن بُكَيْر عنه، عن ابن شهاب، عن محمد بن جُبَيْر ـ رحمهم الله تعالى ـ أَن النبي ﷺ قال: **«إن لي خمسة أَسماء أَنا محمد، وأَنا أَحمد، وأَنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأَنا الحاشر الذي يُحشر الناس على عَقبي، وأَنا العاقب»**.

قال ابن عبد البر ـ رحمه الله تعالى ـ: وهو مرسَل في رواية يحيى ووصله عنه معن بن عيسى وغيره. وقد ذكره الدارقطني في أَوهام مالك.

قال الشيخ: وقد رواه البخاري من طريقه موصولاً.

قلت: قال الحافظ: كذا وقع موصولاً من عند مَعْن بن عيسى عن مالك. وقال الأَكثر: عن مالك، عن الزُّهْري، عن محمد بن جُبَيْر مرسَلاً. ووافق مَعْناً على وَصْله، عن مالك جُوَيْرِيةُ بن أَسماء عند الإِسماعيلي ومحمدُ بن المبارَك عن عبد الله بن نافع عن أَبي عوانة

---

(١) أخرجه البخاري من حديث جبير بن مطعم ٢٤/٥ كتاب المناقب (٣٥٣٢) ومسلم ١٧٢٨/٤ (١٢٤- ٢٣٥٤) وابن سعد في الطبقات ٦٥/١/١، وابن عبد البر في التمهيد ٩/ ١٥١- ١٥٢. والبيهقي في الدلائل ١٥٤/١.

(٢) انظر التخريج السابق.

وأَخرجه الدارقطني في الغرائب عن آخرين عن مالك، وقال إِن أَكثر أَصحابِ مالك أَرسلوه.

قال الحافظ: وهو معروف الاتصال عن غير مالك وَصَله يونس بن زيد وعقيل، ومَعْمر وحديثهم عند مسلم. وشُعبة وحديثه عند المصنِّف في التفسير، يعني البخاري، وابن عُيَيْنة عند مسلم، والترمذي، كلهم عن الزهري.

ولفظ رواية محمد بن مَيْسرة: **«إِن لي خمسة أَسماء أَنا محمد، وأَنا أَحمد، وأَنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأَنا الحاشر الذي يُحشر الناس على قدمي، وأَنا العاقب يعني الخاتم»**[1]. رواه البيهقي.

ذكر رواية نافع بن جبير عن أَبيه: **«أَنا محمد وأَنا أَحمد والحاشر والماحي والخاتم والعاقب»**.

رواه الإِمام أَحمد والبيهقي وأَبو نُعَيْم.

قال الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ: هكذا عدَّها وهي ستة وفيها دلالة على أَنه لم يقعْ له لفظُ خمْس من النبي ﷺ، وإِنما قال: لي أَسماء. فذكر منها جُبَيْر ما ذكر أَو ذكرها كلها وحُفظ منه بعضها.

وقال عبد الملك بن مروان لنافع: أَتُحْصِي أَسماء رسول الله ﷺ التي كان جبير بن مطعم يعُدّها؟. قال: نعم هي ستة: محمد وأَحمد وخاتِم وحاشر وعاقب وماحي.

فأَما حاشر: فيُبْعث مع الساعة نَذيراً لكم بين يدي عذاب شديد. وأَما عاقب فإِنه عقب الأَنبياء وأَما ماحي فإِن الله محَا به سيئات من اتبعه. رواه يعقوب بن سفيان بسند رجاله ثقات، والحاكم وصححه، والبيهقي وأَبو نعيم.

وقال ابن دِحْية: هو مُرْسل حسَن الإِسناد.

وقال الشيخ: بل هو متصل، فإِن نافعاً رواه عن أَبيه وإِنما لم يذكره لتقدم قول عبد الملك: التي كان جبير يعدها.

حديث جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما

قال: قال رسول الله ﷺ: **«أَنا أَحمد، وأَنا محمد، وأَنا الحاشر الذي يُحشر الناس على قَدَمي، وأَنا الماحِي الذي يمحو الله بي الكفر، وإِذا كان يوم القيامة كان لواء الحمد بيدي وكنت إِمام المرسلين وصاحب شفاعتهم»**.

---

(١) انظر التخريج السابق.

رواه الطبراني في الأَوسط وأَبو نعيم من طريقه.

طريق أخرى وفيه حديث عائشة وأَنس وعلي وأُسامة بن زيد وابن عباس رضي الله تعالى عنهم.

روى ابن عديّ عنهم أَن رسول الله ﷺ قال: إِنَّ لي عند ربي عشرة أَسماء: **«أَنا محمد، وأَنا أَحمد، وأَنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأَنا العاقب الذي ليس بَعْدي نبيّ، وأَنا الحاشر الذي يُحشر الخلائق معي على قدمي، وأَنا رسول الرحمة، ورسول التوبة، ورسول الملاحم، وأَنا المقفّي قفَّيْت النبيين، وأَنا قُثَم»**. قال: والقُثَم: الكامل.

في سنده: أَبو البَخْتَري وَهْب بن وهب وهو مُتَّهم(١).

حديث عوف بن مالك رضي الله تعالى عنه:

قال: انطلق النبي ﷺ ذات يوم وأَنا معه، حتى دخلنا كنيسة اليهود يوم عيدهم فكرهوا دخولنا عليهم فقال لهم رسول الله ﷺ: **«يا معشر اليهود والله لأَنا الحاشِر وأَنا العاقِب وأَنا المقفّي آمنتم أَو كذَّبتم»** ثم انصرف وأَنا معه(٢).

رواه أَبو نُعَيْم.

حديث أَبي موسى رضي الله تعالى عنه:

قال: سمّى لنا رسول الله ﷺ أَسماء فمنها ما حفظناه قال: **«أَنا محمد وأَنا أَحمد والمقفّي والحاشر، ونبيّ التوبة، ونبي الرَّحمة»** رواه أَبو نعيم والمحَامِليّ. ورواه الإِمام أَحمد ومسلم بلفظ: منها ما حفظناه ومنها ما لم نحفظ، قال: **«أَنا محمد وأَنا أَحمد وأَنا الحاشر وأَنا العاقب والمقفّي. ونبيّ الرحمة والتوبة والملحمة»** ولفظ مسلم: ونبيّ المَلْحَمة.

حديث حُذَيْفة بن اليمَان رضي الله تعالى عنهما.

قال: لقيت رسولَ الله ﷺ في بعض طرق المدينة فقال: **«أَنا محمد وأَنا أَحمد وأَنا نبي الرحمة ونبيّ التوبة وأَنا المقفّي وأَنا الحاشر ونبيّ الملاحم»**.

رواه الإِمام أَحمد والترمذي في الشمائل ورجاله ثقات(٣).

حديث ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسولَ الله ﷺ يقول في سِكَّة

(١) أخرجه ابن عدي في الكامل ٦٤/٧ وأبو نعيم في الدلائل ١٢/١.

(٢) أخرجه أحمد في المسند ٢٥/٦.

(٣) أخرجه أحمد في المسند ٤٠٥/٥، شرح شمائل الترمذي ٢٢٨/٢.

من سِكَك المدينة: «**أنا محمد وأنا أحمد والحاشر والمقفِّي ونبي الرحمة**».

رواه ابن حِبّان.

حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما:

قال: قال رسول الله ﷺ: «**أنا أحمد ومحمد والحاشر والمقفِّي والخاتم**».

رواه الطَّبَراني من طريق الضحاك عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ولم يَلْقه(١).

حديث أَبي الطُّفَيْل رضي الله تعالى عنه:

قال: قال رسول الله ﷺ: «**لي عشرة أَسماء**» قال أَبو الطُّفَيل: حفظت ثمانية وأُنسيت اثنتين: «**أنا محمد وأَحمد والفاتح والخاتم وأَبو القاسم والحاشر والعاقب والماحِي الذي يمحو الله بي الكفر**» قال سيف بن وهب: فحدثت الحديث أَبا جعفر فقال: يا سيف أَلا أخبرك بالإسمين؟ قلت: بلى. قال: طه ويس(٢).

رواه ابن مَرْدَويه وأَبو نعيم والدَّيْلَمي.

قال ابن دِحْية رحمه الله تعالى: هذا سندٌ لا يساوِي شيئاً يدور على وضّاع وهو أَبو يحيى وضعيف وهو سيف. وأَقرّه الشيخ على ذلك. وليس كذلك فإِن أَبا يحيى التميمي اثنان أَحدهما إِسماعيل بن يحيى بن عبيد الله بن طلحة بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أَبي بكر الصديق، فهذا هو الوضاع المجمَع على تركه، وليس هو الذي في سند هذا الحديث. والثاني أَبو يحيى إِسماعيل بن إِبراهيم التَّيْمي. كذا سمِّي هو وأَبوه وفي رواية ابن عساكر وهو كما قال الحافظ في التقريب ضعيف. والله تعالى أَعلم.

* * *

فصل

قال الإِمام المحدث أَبو عبد الله أَحمد بن محمد العَزَفِي ـ وهو بفتح العين المهملة والزاي وقبل ياء النسب فاء وهو من تلامذة القاضي، وأَبو العباس القرطبي شارح مسلم: إنه ﷺ قال: «**لي خمسة أَسماء قبل أَن يُطْلعه الله تعالى على بقية أَسمائه**». ولابن عساكر في ذلك احتمالان أَحدهما أَن يكون ذلك العدد فيه لَبْس من لفظ النبي ﷺ وفيه كما قال ابن دِحْية والحافظ نظَر. زاد الحافظ: لتصريحه في الحديث بقوله: «**إِن لي خمسة أَسماء**».

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ٨١/٤، وابن حبان (٢٠٩٥)، والطبراني في الكبير ١٣٨/٢، وابن سعد في الطبقات ١/١/ ٦٥، والبيهقي في الدلائل ١٢٥/١.

(٢) انظر الشفا للقاضي عياض ٤٤٨/١.

الثاني: أَن يكون ذلك من لفظ النبي ﷺ، ولا يقتضي ذلك الحصْر. وخصَّ هذه الخمسة بالذكر إمّا لعلم السامع بما سواها، فكأَنه قال لي خمسة أَسماء فاضلة معظَّمة، أَو لشُهْرتها كأَنّه قال لي: خمسة أَسماء مشهورة أَو لغير ذلك مما يحتمله اللفظ من المعاني، وهذا الاحتمال استظهره ابن دحية والحافظ وزاد: أو: «**إن لي خمسة أَسماء أَختصّ بها لم يسمّ بها أَحد قبلي**».

وقال القاضي: إنما خُصت هذه الأَسماء بالذِّكْر لأَنها موجودة في الكتب المتقدمة وعند أولي العلم من الأمم السابقة.

وتعقَّب بأَن أَسماءه الموجودة في الكتب المتقدمة أَكثر من ذلك.

وقال الشيخ: إن قوله لي خمسة أَسماء لا ينافي أَن له أَكثر من ذلك لأَن قواعد الأَصول أَن العدد لا يخصِّص، وكم ورد في الأَحاديث ذكر أَعداد لم يُقْصد الحصر منها، كحديث «**سبعة يُظِلُّهم الله في ظل عَرْشه**» وقد وردت أَحاديث بزيادة عليها ويحضرني الآن منها سبعون. وغير ذلك مما هو مشهور. قلت يأْتي بيانها في الخصائِص مع زيادة إن شاء الله تعالى.

الباب الثالث

في ذكر ما وقفت عليه من أسمائه الشريفة صلى الله عليه وسلم وشرحها وما يتعلق بها من الفوائد

قال القاضي أَبو بكر بن العَربيّ رحمه الله تعالى: قال بعض الصوفية: لله تعالى أَلف اسم، وللنبي ﷺ اسم شريف.

قلت: والذي وقفتُ عليه من ذلك خمسمائة اسم، مع أَن في كثير منها نظراً وها أنا ذاكر ما رأَيته مُعْزياً كلَّ اسم لم يرد في القرآن ولا في السنة برموز فللقاضي «يا» وللعَزَفي «ع» ولابن دِحْية «د» ولأَبي الفتح ابن سيِّد الناس «ح» ولشيخنا الأَسيوطي «ط» وللسَّخاوي «خا» وللشيخ عبد الباسط البُلْقيني «عا» ومَنْ عداهم صرَّحت به.

«مُحَمَّد» قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وما محمدٌ إلا رسولُ الله﴾ قال ابن القيِّم رحمه الله تعالى: هو علَم وصفة اجتمع فيه الأَمران في حقه ﷺ وإِن كان علَماً مَحْضاً في حق كثير ممن يسمَّى به غيره ﷺ. وهذا شأن أَسماء الرب تبارك وتعالى وأَسماء نبيه ﷺ، هي أَعلامٌ دالة على مَعان هي بها أَوصاف مدح فلا تُضَادُّ فيها العلميةُ الوصفيةَ بخلاف غيرها من أَسماء المخلوقين. فهو اللّهُ الخالقُ البارئ المصوِّر القَهَّار. فهذه أَسماء له تعالى دالَّة على معانٍ له هي صفات.

وكذلك أَسماء النبي ﷺ وإِلا لو كانت أَعلاماً مَحضة لا معنى لها لم تدلَّ على مدح.

وهي في الأَصل اسم مفعول منقول من صفة الحَمْد وهو بمعنى محمود، وهو يتضمن الثناء على المحمود ومحبته وإِجلاله وتعظيمه، وهذا هو حقيقة الحمْد وبُني على زنة مُفَعَّل بتشديد العين مثل مُعَظَّم ومُبَجَّل لأَن هذا البناء موضوعٌ للتكثير فإِن اشتق منه اسم فاعل فمعناه من كَثُر صدور الفعل منه مرةً بعد مرة كمعلِّم ومفهِّم ومَفرِّح وإِن اشتُقَّ منه اسم مفعول فمعناه من تكرُّر وقوع الفعل عليه مرة بعد أخرى، أَو الذي يستحق له الحمد إِما استحقاقاً أَو وقوعاً. فمحمد هو الذي كَثُر حمد الحامدين له. مرةً بعد مرة، كالممدوح كما قال الأَعشى:

إِلـيـك أَبـيـتَ الـلَّـعْـن كـانَ وَجـيـفُـهـا ... إِلى الـماجـدِ القَرْمِ الجَوادِ المحمَّدِ[1]

---

(١) البيت من قصيدة في مدح النعمان بن المنذر ومطلعها:

أتـرحـل مـن لـيـلـى، ولـمـا تـزوّد؟ ... وكـنـت كـمـن قـضّـى اللبانة متردد

ورواية البيت في الديوان:

إِليـك ـ أبيـت اللعن ـ كان كِلالها ... إِلى الماجد الفرع الجواد المحمد

وكلالها أي: إِرهاقها انظر ديوان الأعشى الكبير، ص ٥٨، ٥٩ والأغاني ٨١/٩، ط بولاق.

أَي الذي حُمد مرةً بعد مرة أَو الذي تكاملت فيه الخصال المحمودة. انتهى.

وهو أَشهر أَسمائه ﷺ وأَجلُّها، ولذلك اختص بأمور منها: أَنه لا يصح إِسلام الكافر حتى يتلفظ به بأَن يقول: محمد رسول الله. فلا يكفي أَحمد. وجوَّزه الإِمام الحليمي بشرط أَن يضم إِليه: أَبا القاسم.

ومنها: أَنه يتعين الإِتيان به في التشهد لا يكفي غيره من أَسمائه ولا أَحمد. كما في شرح المهذَّب والتحقيق. وكذلك الخطبة.

ومنها: أَنه على أَربعة أَحرف ليوافق اسم الله تعالى، فإِن الاسم الكريم على أَربعة أَحرف.

ومنها: أَن الله تعالى قرَنه مع اسمه كما تقدم بيان ذلك في كتابة اسمه على العرش. ويأتي له تتمة.

ومنها: أَن الله تعالى اشتقه من اسمه المحمود، كما قال حسان بن ثابت رضي الله تعالى عنه:

وضَـمَّ الإِلـهُ اسْـمَ الـنَبِـيِّ إِلَـى اسْمِـهِ ... إِذَا قَالَ فِي الـخَمْسِ الـمُؤَذِّنُ أَشْهَدُ
وشَـقَّ لـه مِـنِ اسْـمِـهِ لِـيُـجِـلَّـهُ ... فَذُو العَرْشِ مَحْمُودٌ وَهَذَا مُحَمَّدُ(٢)

وروى البخاري في تاريخه الصغير، عن علي بن زيد رحمه الله تعالى قال: كان أَبو طالب يقول:

فَـشَـقَّ لَـهُ مِـنِ اسْـمِـهِ لـيُـجِـلَّـه ... فَذُو العَرْشِ مَحْمُودٌ وَهَذَا مُحَمَّدُ

ومنها: أَنه يخرج منه بالضرب مع الكَسْر والبَسْط عددُ المرسَلين، وهم ثلاثمائة وثلاثة عشر، وذلك أَن فيه الميم الأُولى والثانية المشددة بحرفين والميم إِذا كُسرت فهي م ي م وكل ميم بتكسيرها في الحساب تسعون؛ إِذ الميم بأَربعين والياء بعشرة فالثلاثة مائتان وسبعون والدال خمسة وثلاثون لأَن الدال بأَربعة والأَلف بواحد واللام بثلاثين والحاء بثمانية ولا تكسير فيها.

ومنها: أَن آدم يُكْنَى به في الجنة دون سائر بنيه كما سيأتي.

ومنها: قال ابن العِمَاد رحمه الله تعالى في كتاب «كَشْف الأَسرار»: سُخّرت الشياطين لسليمان بذِكْره ﷺ.

---

(٢) البيتان من قصيدة من الطويل مطلعها:

أغـر عـلـيـه لـلـنـبـوة خـاتـم ... من الـلـه مـشـهـود يـلـوح ويـشـهـد

وقد ضبط شارح الديوان لسم النبي بالرفع والصواب أنه بالنصب لأنه مفعول، انظر ديوان حسان بن ثابت ص ٥٤، ٥٥ ط دار الكتب العلمية.

ومنها: جَرَت سفينةُ نوح باسمه ﷺ. قال: وقال قوم: إن معنى الميم مَحْق الكفر بالإسلام. أَو محي سيئات من اتبعه. وقيل الميم: مَنَّ الله على المؤمنين. بمحمد ﷺ. دل عليه قوله تعالى: ﴿لقد مَنَّ اللهُ علَى المؤمنين﴾. وقيل: الميم: مُلْك أمته به ﷺ. وقيل: المقام المحمود. وأَما الحَاء فقيل: حُكْمه بَيْن الخَلْق بحكم الله تعالى. وقيل إحياء الله تعالى أمته به. وأَما الميم الثانية فمغفرة الله تعالى لأمته. وأَما الدال: فهو الداعي إِلى الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿وداعياً إِلى الله بإذْنِه﴾.

وأَما وقوع الأَحرف على هذا الشكل الخاص فقيل: لأَن الله تعالى خلَق الخَلْق على صورة محمد ﷺ، فالميم بصورة رأس الإِنسان والحاء بمنزلة اليدين، وباطن الحاء كالبطن وظاهرها كالظهر ومجمع الإليتين والمخرج كالميم، وطرف الدال كالرجلين. وفي ذلك أَنشدوا رحمهم الله تعالى:

لَـهُ اسْـمٌ صَـوَّر الـرَّحْـمَـن ربِّـي ... خَـلائِـقَـهُ عَـلَـيْـهِ كَـمَـا تَـرَاهُ

لَـهُ رِجْـلٌ وَفَـوْقَ الـرِّجْـلِ ظَـهْـرٌ ... وَتَحْـتَ الـرَّأْسِ قَـدْ خُـلِـقَـت يَـدَاهُ

وفيه تكلُّف.

قال القاضي رحمه الله تعالى: وفي تسميته ﷺ محمد وأَحمد من بدائع الآيات وعجائب الخصائص: أَن الله تعالى حمَى أَن يسمَّى بمحمد وأَحمد غيره ﷺ قبلَ زمانه.

أَما أَحمد الذي في الكتب وبشَّرت به الأَنبياء فمنعَ الله بحكمته أَن يسمَّى به أَحدٌ غيره ولا يُدْعى به مدعوٌّ قبله، حتى لا يدخل لَبْس على ضعيف القَلْب أَو شكّ. وكذلك محمد أَيضاً لم يسمَّ به أَحد من العرب ولا من غيرهم، إِلى أَن شاع قبيل وجوده ﷺ أَن نبياً يُبْعَث اسمه محمد. كما روى الطبراني والبيهقي عن محمد بن عَدِيّ بن ربيعة أَنه سأَل أَباه: لم سمَّاه محمداً في الجاهلية؟ فقال: خرجتُ مع جماعة من بني تميم فنزلنا على غَدِير ماء، فأَشرفَ علينا الدَّيْرانيّ فقال لنا: إِنه يُبعث منكم وشيكاً نبيٌّ فسَارعُوا إِليه. فقلنا له: ما اسمه؟ قال: محمد. فلما انصرفنا ولد لكلٍّ منا ولد فسماه محمداً لذلك.

الغَدِير: النهر: والجمع غُدْران. وَشِيكاً: سريعاً وقريباً.

والذين سُمُّوا بهذا الاسم في الجاهلية دون العِشْرين. وحمَى الله تعالى هؤلاء أَن يدَّعى أَحد منهم النبوة أَو يدعيها أَحد له أَو يظهر عليه شيء من سِمَاتها، حتى تحققت لنبينا ﷺ.

محمد بن أُحَيْحة، بضم الهمزة وفتح الحاءين المهملتين بينهما تحتية ساكنة، ابن الجُلاَح بضم الجيم وتخفيف اللام وآخره مهملة، ابن الحَريش بفتح الحاء المهملة وكسر الراء ثم مثناة تحتية، ثم شين معجمة. وقال ابن هشام رحمه الله تعالى: إِنها مهملة.

ونقل الدارقُطْنيّ عن بُكَيْر بن أَبي بكر رحمه الله تعالى أَن كل ما في الأَنصار فهو حَريس، أَي بسين مهملة، إلا هذا فإنه بالمعجمة.

ابن جَحْجَبَى. بجيم مفتوحة فحاء ساكنة مهملة فجيم أخرى مفتوحة، فموحدة فأَلف مقصورة.

قال ابن دريد عفا الله تعالى عنه: والجَحْجَبة: المجيء والذهاب والتردّد في المشي.

ابن كلفة ووقع في نسخة من العيون ابن كلدة. والذي ذكره السهيلي والأَمير: كلفة بالفاء: ابن عوف بن عمرو، بن عوف، بن مالك بن الأَوس، الكِنَاني ثم اللَّيْثي.

قال عبدان بن عثمان الحافظ رحمه الله تعالى: بلغني أنه أَول من سمّي بذلك.

محمد بن أسامة بن مالك بن حبيب بن العَنْبَر.

محمد بن البَرّ بتشديد الراء من غير أَلف بعدها، كما نقل الحافظ عن ضبط البلاَذُرِيّ ويقال: البرّ بن طريف بن عُتْوَارة بضم المهملة وكسرها ثم مثناة فوقية ساكنة ثم واو مفتوحة وبعد الأَلف راء ثم هاء: ابن عامر بن ليث، بن بكر، بن عبد مَنَاة، بن كِنانة البَكْري. العُتْوارِي.

محمد بن الحارث بن حُدَيْج بمهملتين فمثناة تحتية فجيم مضمومة، مصغر، ابن حُوَيْص.

محمد بن حِرْماز بكسر الحاء المهملة وسكون الراء وآخره زاي. واسم الحِرْماز: الحارث بن مالك بن عمرو بن تميم.

محمد بن حمران بن أَبي حمران. واسمه ربيعة بن مالك الجعْفِيّ المعروف بالشُّوَيْعر.

محمد بن خُزَاعِيّ بضم الخاء وفتح الزاي المعجمتين وبعد الأَلف عين مهملة فتحتية فياء نسب، ابن عَلْقمة بن خَزَايَة السُّلَمي من بني ذَكْوان.

محمد بن خَوْليّ بالخاء المعجمة وسكون الواو الهَمْداني.

محمد بن سُفْيان بن مُجَاشع جَدّ جدِّ الفرَزْدق الشاعر المشهور، ووقع في نسخة من العيون: جدّ الفرزدق من غير تكرير جَدّ، والصحيح ما في غيرها ونسخة الرَّوْض: جَدّ جَدّ بالتكرير.

محمد بن عدِيّ بن ربيعة بن سَوَاد بن جُشَم بن سعد بن زيد مَنَاة بن تَميم السَّعْدِي.

محمد بن عُقْبة بن أُحَيْحة بن الجُلاَح الأَوْسِي ذكره البَلاذُرِيّ. قال الحافظ: لا أَدري أَهو الأَول نُسب مرةً إِلى جده أَمْ هما اثنان.

محمد بن عمر بن مُغْفِل بضم أَوله وسكون المعجمة وكسر الفاء ثم لام. هو والد هُبَيْب مُصَغَّر.

محمد بن اليُحْمِد بضم المثناة التحتية وسكون المهملة وكسر الميم وفتحها قال في القاموس كيُمْنَع وكيُعْلِم آتِي أَعْلَمَ، الأَزْدِي. ونُسَّابُ اليمن تزعم أَنه أَول من سمّي بذلك.

محمد بن يزيد بن عمرو بن ربيعة.

محمد الأُسَدِيّ بضم الهمزة وفتح السين المهملة. وتشديد المثناة التحتية المكسورة.

محمد الفُقَيْمِي بضم الفاء وفتح القاف وسكون المثناة التحتية. ذكرهما ابن سعد ولم يَنْسِبهما بأكثر من ذلك.

واقتصر السُّهيلي على ثلاثة والقاضي على سبعة منهم محمد بن مَسْلمة بفتح أوله وسكون ثانيه، وليس منه كما سيأتي.

وعدَّ ابنُ دِحْية فيهم محمدَ بن عتوارة وهو محمد بن البَرّ نُسب لجدّه الأعلى.

والذي أدرك الإِسلامَ منهم وأسلَم: محمدُ بن ربيعة. ذكره ابن سعد والبغَوي والبَلاذري وابن السَّكن وابن شاهين وغيرهم في الصحابة.

ولا وجه لتوقّف ابن الأثير في ذلك لما تقدم. ومحمد بن مَسْلمة هو محمد بن الحارث ذكره الحافظ في القِسْم الثالث من الإصابة.

وقد نظَم أسماءهم العلامة الشيخ عبد الباسط البُلْقيني رحمه الله تعالى في الشرح فقال:

إنَّ الَّذِينَ سُموا باسْمِ مُحَمَّدٍ ... من قَبْلِ خَيْرِ الخَلْقِ ضِعْفُ ثَمَانِ

ابنٌ لبَرٍّ مُجَاشَعٍ بنِ ربيعةٍ ... ثم ابنُ مَسْلِم مَحْمَدِي حَزْمان

لَيْثي هُوَ السُّلَمِيُّ وابن أُسامة ... سَعْديُّ وابنُ سَوادَةٍ هَمْدَان

وابن الجُلاَح مع الأُسَيْدِي يا فتى ... ثم الفُقَيْمي هكذا الحَمْرانِ

وقوله: «ثم ابن مَسْلم» بفتح الميم أي ابن مَسْلمة رخَّمه للضرورة. وتبع في ذكره القاضي، وتعقَّبه في الفتح والزهر بأنه ولِد بعد مَوْلد النبي ﷺ بأكثر من خمس عشرة سنة. وأجاب بعضهم بأن مُرَاد القاضي: من ولِد في الجاهلية وسمِّي بمحمد، وابنُ مَسْلمة منهم،

وفات الشيخَ عبد الباسط ذِكْر محمد بن الحارث بن حُدَيْج السابق.

وقوله: حزمان بزاي معجمة أراد محمد بن حزمان كما ذكره في الشرح وكأنه تبع نسخة سقيمة من حاشية الشفاء للحلبي فإنه نقلَ ذلك عنها عن الإشارة للمُغلْطاي. والذي رأيته في عدة نُسَخ من الإشارة: محمد بن حِرْماز بحاء مهملة فراء وآخره زاي. وكذا رأيته بخط مُغلْطاي في الزَّهْر والحافظ ابن حجَر والعَلاَّمة العَيْني في شرحيهما على البخاري.

والسبب في تسميته ﷺ محمداً ما رواه البيهقي وأبو عمر عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: أن عبد المطلب قيل له: لم سمَّيْته محمداً ورغبت عن أسماء آبائه؟ قال: أردتُ أن يَحْمده الله في السماء ويَحْمده الناسُ في الأرض.

وتقدم ذكر المنام الذي رآه جدُّه في باب فَرحه به ﷺ ومن بركات هذا الاسم ما رواه أَبو نُعَيْم في الحلّية عن وهب بن منبّه رحمه الله تعالى قال: كان في بني إسرائيل رجلٌ عصَى

الله تعالى مائة سنة ثم مات فأَخذوه فأَلقوه على مزبلة فأَوحى الله تعالى إِلى موسى عليه الصلاة والسلام: أَن اخرُجْ فصلِّ عليه قال: يا رب إِن بني إِسرائيل يشهدون أَنه عصاك مائة سنة فأَوحى الله تعالى إِليه: هكذا كان إِلا أَنه كان كلما نشَر التوراة ونظر إِلى اسم محمد ﷺ قبّله ووضعه على عينيه فشكرْتُ له ذلك وغفرت له وزوّجتُه سبعين حوراء.

وورد أَن آدم ﷺ تكنَّى في الجنة بهذا الاسم. روى ابن عَدِيّ وأَبو الشيخ وابن عساكر عن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما، وابن عَدِيّ والبيهقي وابن عساكر عن عليّ رضي الله تعالى عنه مرفوعاً، وابن عساكر عن كعب رحمه الله تعالى وأَبو الشيخ عن بكر بن عبد الله المُزَني، وابن عساكر عن غالب بن عبد الله العُقَيْلي رحمهما الله تعالى أَنه ليس أَحدٌ من أَهل الجنة إِلا يُدْعَى باسمه إِلا آدم ﷺ فإِنه يُدْعى أَبا محمد. تعظيماً وتوقيراً للنبي ﷺ. زاده الله تعالى فضلاً وشرفاً وجزاه عن المسلمين خيراً.

* * *

ذكر ما وجد من هذا الاسم مكتوباً في الأزل منقوشاً في خواتم الأنبياء والحجارة والنبات والحيوان.

روي عن أَبي هريرة رضي الله تعالى عنه فيما رواه أَبو يَعْلى والطَّبَراني، وعن ابن عمر فيما رواه البزَّار أَن رسول الله ﷺ قال: **«لـمّا عُرج بي إِلى السماء ما مررتُ بسماء إِلا وجدت اسمي فيها مكتوباً: لا إِله إِلا الله محمد رسول الله»**(١).

له طُرق أَسانيدها واهية.

وقال الشيخ رحمه الله تعالى: إِنه حديث حسَن لكثرة طرقه، وقد بينتُ ما في ذلك في «إِتحاف اللَّبيب ببيان ما وضع في مِعْراج الحبيب».

ويروى عن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«مكتوبٌ على باب الجنة: لا إِله إِلا الله محمدُ رسول الله»**(٢).

ويروى عن عُبادة بن الصامت فيما رواه الطبراني، وعن جابر رضي الله تعالى عنهما فيما رواه العقيلي، وابن عدي رفعاه أَن فصّ خاتم سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام كان سماويًّا أُلقي إِليه فوضعه في إِصبعه وكان نقشه أنا الله لا إِله إِلا أَنا، محمد عبدي ورسولي.

---

(١) أخرجه الخطيب في التاريخ ٤٤٤/٥ وذكره السيوطي في الدر ١٥٢/٤ وعزاه للبزار وأخرجه بنحوه عن أبي هريرة وعزاه للطبراني في الأوسط وابن عساكر.

(٢) أخرجه ابن الجوزي في العلل ٢٣٥/١، والعقيلي في الضعفاء ٣٣/١، وذكره الهيثمي في المجمع ١١٤/٩، وعزاه للطبراني في الأوسط وقال: فيه أشعث بن عم الحسن بن صالح وهو ضعيف ولم أعرفه.

ولفظ جابر: لا إله إلا الله محمد رسول الله.

ويُروى عن أَبي الزبير عن جابر فيما رواه ابن عساكر قال: بين كتفي آدم مكتوب: محمد رسول الله خاتم النبيين.

ويروى عن أَبي ذَرّ مرفوعاً فيما رواه البزّار، وعن عمر فيما رواه البيهقي، وعن ابن عباس فيما رواه الخرائطي في كتاب «قَمْع الحِرْص» وعن علي رضي الله تعالى عنهم فيما رواه البيهقي أَن الكنز الذي ذكره الله تعالى في كتابه لوح من ذهب مُصمت مكتوب فيه بسم الله الرحمن الرحيم عجبتُ لمن أيْقن بالقدَر ثم يَنْصَب، عجبت لمن ذكَر النار ثم يضحك، عجبت لمن ذكر الموت ثم غفل. لا إله إلا الله محمد رسول الله.

أَسانيد هذه الأَحاديث واهية.

وذكر ابن ظَفَر رحمه الله تعالى:أَنه وجد بالخط العِبْراني على حجَر: باسمك اللهم جاء الحق من ربك بلسان عربيٍّ مبين. لا إله إلا الله محمد رسول الله. وكتبه موسى بن عمران.

ونقل ابن طغربل رحمه الله تعالى في كتابه «النطق المفهوم» عن بعضهم أَنه رأَى في جزيرة شجرةً عظيمة لها ورق كبير طيب الرائحة مكتوب فيها بالحمرة والبياض في الخضرة كتابةً بيِّنة واضحة خِلْقة ابتدعها الله تعالى بقدرته في الورقة ثلاثة أَسطر: الأول: لا إله إلا الله. والثاني: محمد رسول الله. والثالث: إنّ الدين عند الله الإسلام.

ونقل ابن مرزوق رحمه الله تعالى في شرح البُرْدة عن عبد الله بن مرجان رحمه الله تعالى قال: عصفتْ بنا ريحٌ ونحن في لُجج بحر الهند فأرسينا في جزيرة فوجدنا فيها ورداً أَحمر ذكيّ الرائحة وفيه مكتوب بالأَبيض لا إله إلا الله محمد رسول الله. وورد أَبيض مكتوب عليه بالأَصفر: براءةٌ من الرحمن الرحيم إلى جنات النعيم لا إله إلا الله محمد رسول الله.

ونقل أَيضاً عن بعضهم أَنه أُتي بسمكة فرأَى في أَحد لحْمتَي أُذنيهَا لا إلٰه إلا الله. وفي الأُخرى محمد رسول الله.

وعن جماعة أَنهم وجدوا بطيخة صفراء فيها خطوط شتى بالأَبيض خِلْقة، ومن جملة الخطوط كتب بالعربي في أَحد جنبيها: الله. وفي الأُخرى: عَزَّ أَحمد بخط بيِّن لا يشكُّ فيه عالِمٌ بالخط.

وأَنه وجد في سنة سبع أَو تسع وثمانمائة حبة عنب فيها بخط بارع بلون أَسود: محمد.

وقد تقدم في باب كتابة اسمه ﷺ على العرش وسائر ما في الملكوت ما فيه مقنع.

ويرحم الله تعالى القائل حيث قال:

بـدَا مَـجْـدُه مِـنْ قَـبْـلِ نَـشْـأَةِ آدَمٍ وأَسْمَاؤُهُ في الْعَرْشِ مِنْ قَبْلُ تُكْتَبُ

تَنْبِيـهَـاتٌ

الأَول: لم يصح في فضل التسمية به حديث، بل قال الحافظ أَبو العباس تقي الدين بن تيمة الحرّاني رحمه الله تعالى: كلُّ ما ورد فيه فهو موضوع، ولابن بُكَيْر جُزْء معروف في ذلك كل أَحاديثه تالفة.

قال الحافظ: وأَصحّها ما رواه ابن بُكَيْر عن أَبي أمامة رضي الله تعالى عنه مرفوعاً: «من ولد له مولود فسمّاه محمداً حُبّاً لي وتبرُّكاً باسمي كان هو ومولوده في الجنة»(١).

قال: وإِسناده لا بأس به وحسَّنه في موضع آخر.

قلت: وليس كذلك فإن في سَنده أَبا الحسن حامد بن حمّاد بن المبارك بن عبد الله العسكري، شيخ ابن بُكَيْر، قال الذهبي في الميزان والحافظ في اللسان: خَبرُه هذا موضوع وهو آفته انتهى وشيخه هذا إِسحاق بن سَيَّار مجهول.

والوارد في ذلك حديث عبد الله بن أَبي رافع عن أَبيه رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسولَ الله ﷺ يقول: «**إِذا سميتـموه محمداً فلا تضربوه ولا تحْرموه**» رواه البزار من طريق أَبي غسّان بن عبد الله وفيه ضعف. وبقية رجاله ثقات(٢).

وحديث أنس مرفوعاً: «**تُسَمُّونهم محمداً ثم تسبُّونهم**»(٣).

رواه أَبو داود والطَّيَالِسيّ من طريق الحكَم بن عطية. قال البزّار: لا بأْس به وقال الحافظ في التقريب: صَدُوق له أَوهام.

وحديث جابر بن عبد الله مرفوعاً: «ما أُطعم الطعامُ على مائدة ولا جُلس عليها وفيها اسمي إِلا قُدِّسوا كلَّ يوم مرتين»(٤).

رواه ابن عَدِي من طريق أَحمد بن كنانة الشامي وقال: مُنْكَر الحديث. وقال الذهبي في الميزان وأَقره الحافظ في اللسان إِنه حديث مكذوب.

قال الشيخ رحمه الله تعالى: وقد وجدت للحديث طريقاً آخر ليس فيه أَحمد بن كنانة

---

(١) ذكره العجلوني في كشف الخفا ٢/٣٩٣ وعزاه لابن عساكر قال السيوطي في مختصر الموضوعات: هذا أمثل حديث ورد في هذا الباب وإسناده حسن وأخرجه ابن الجوزي في الموضوعات ١/١٥٧، والسيوطي في اللآلئ المصنوعة ١/٥٥، والفتني في تذكرة الموضوعات ص ٨٩.

(٢) ذكره العجلوني في كشف الخفا ١/٩٤ وعزاه للبزار عن أبي رافع والخطيب عن علي بلفظ «إذا سميتم الولد محمداً فأكرموه وأوسعوا له في المجلس ولا تقبحوا له وجهاً».

(٣) ذكره الهيثمي في المجمع ٨/٥١ وعزاه لأبي يعلى والبزار وقال: فيه الحكم بن عطية وثقه ابن معين وضعفه غيره وبقية رجاله رجال الصحيح.

(٤) أخرجه ابن عدي في الكامل ١/١٧٢ وابن حجر في لسان الميزان ١/٧٧٥ والسيوطي في اللآلئ ١/٥٢.

قال أَبو سعيد النقاش في معجم شيوخه: أَخبرنا أَبو بكر محمد بن عبد الخالق البَنْدَنِيجي، حدثنا أَبو صالح شعيب بن الخَصِيب، حدثنا العباس بن زيد البحراني، حدثنا سفيان بن عُيَيْنة، عن محمد بن المنْكَدِر، عن جابر به. قال الشيخ رحمه الله تعالى: رجاله ثقات.

وحديث ابن عباس: «من ولِد له ثلاثة أَولاد فلم يسمِّ أَحدَهم محمداً فقد جَهَل».

رواه ابن عدي والطبراني من طريق ليث بن سعيد، حدثنا موسى بن أَعين عن ليث، عن مجاهد، عن ابن عباس به. ومُصعَب ضعيف وليث كذلك. ورواه الحارث ابن أَبي أُسامة من طريق إِسماعيل بن أَبي إِسماعيل. قال الدراقطني: وهو ضعيف لا يُحتج به.

وهذان الحديثان أَمْثَل ما روي في هذا الباب وإِسناداهما واهيان.

وفي الإِصابة ما نصه جُشَيْب بعد الجيم شين معجمة ثم تحتانية ثم موحدة. روى ابن أَبي عاصم من طريق ابن أَبي فُدَيْك، عن جَهْم بن عثمان عن ابن جُشَيْب، عن أَبيه، عن النبي ﷺ قال: **«من تسمَّى باسمي يرجو بركتي غدَتْ عليه بركتي وراحت إِلى يوم القيامة»**. قال ابن مَنْده رحمه الله تعالى: إِن كان جُشَيب هذا الذي يروي عن سعيد بن سُوَيْد فهو تابعيّ قديم من أَصحاب أَبي الدَّرْداء رضي الله تعالى عنه[1].

الثاني: قال الحافظ أَبو الخير السَّخاوي في فتاويه: لم يردْ في المرفوع: «من أَراد أَن يكون حَمْل زوجته ذَكَراً فليضع يدَه على بطنها وليقل: إِنْ كان هذا الحمل ذَكراً فقد سمَّيته محمداً فإِنه يكون ذكراً». إِنما روى أَبو شعيب عبد الله بن حسن الحرّاني في جُزْأَيْه عن عطاء قال: «ما سُمِّي مولودٌ في بطن أمه محمداً إِلا كان ذَكراً». قلت: وقد رفعه بعضهم كما رواه ابن الجوزي في الموضوعات عن عائشة بنت سعد عن أَبيها. وفي سنده [عثمان] بن عبد الرحمن كذبه ابن مَعِين. وقال ابن حِبّان: يروى عن الثِّقات الموضوعات.

وروى ابن النجار في تاريخ بغداد عن محمد بن سلام بن مسكين البغدادي قال: حدثنا وَهْب بن وهب، حدثنا جعفر بن محمد بن علي، حدثنا علي بن الحسين، حدثنا الحسين بن علي بن أَبي طالب رضي الله تعالى عنهما قال: من كان له حمْل فنوى أَن يسمِّيه محمداً جعَله الله ذكراً وإِن كان أُنثى. قال وهب: فنويت سبعةً كلهم سميته محمداً. انتهى.

قلت: وهب هذا أَبو البَخْتَريّ[2] مُتَّهم. وقد أَورد أَثره هذا الشيخُ في الموضوعات وقال

---

(١) ذكره المتقي الهندي في الكنز (٤٥٢٢١).

(٢) وهب بن وهب بن كثير بن عبد الله بن زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى بن قصي القاضي، أبو البختري القرشي المدني سكن بغداد وولي قضاء عسكر المهدي، ثم قضاء المدينة، ثم ولي حربها وصلاتها، وكان جواداً، لكنه متهم في الحديث. قال يحيى بن معين: كان يكذب عدو الله. وقال عثمان بن أبي شيبة: أرى أنه يبعث يوم القيامة دجالاً. توفي سنة مائتين. وقال أحمد: كان يضع الحديث وضعاً فيما نرى. وقال البخاري: سكتوا عنه. ميزان الاعتدال ٣٥٣/٤، ٣٥٤.

عُقْبة: وهب وضّاع كذّاب.

الثالث: روى البخاري في الصحيح والتاريخ، والنسائي والبيهقي عن أَبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«أَلا تَعْجبون»**[1] ولفظ البخاري في التاريخ: **«يا عِبَاد الله انظروا**. وفي لفظ له: **أَلـم ترَوْا كيف يَصْرف الله عنِّي شَتْـم قريش ولَعْنهم، يشتمون مُذَمَّماً ويلعنون مذمَّماً. وأَنا محمد»**.

قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام في أَماليه: كيف يستقيم ذلك وهم ما كانوا يسبُّون الاسم بل المسمَّى، والمسمَّى واحد؟ والجواب المراد: كفى الله اسمي الذي هو محمد يستهزأ بالسب.

وقال الحافظ رحمه الله تعالى: كان الكفار من قريش من شدة كراهتهم في النبي ﷺ لا يسمُّونه باسمه الدال على المدح فيَعْدلون إِلى ضده فيقولون: مُذَمَّم وإِذا ذكروه بسُوء قالوا: فعل الله بمذمَّم. ومذمم، ليس هو اسمه ولا يُعرف به، فكان الذي يقع منهم في ذلك مصروفاً إِلى غيره.

«أَحمد»:

قال الله تعالى حاكياً عن السيد عيسى عليه السلام ﴿**ومبشِّراً برسول يأْتِي من بَعْدِي اسمُه أَحمد**﴾ قال العلماء: لم يسمَّ به أَحدٌ قبلَ نبينا ﷺ منذ خلَق الله تعالى الدنيا، ولا تسمَّى به أَحدٌ في حياته ﷺ وأَول من تسمَّى به بعده على الصواب والد الخليل بن أَحمد شيخ سيبويه. قال المبرِّد رحمه الله تعالى: فَتَّش المفتشون فما وجدوا بعدَ نبينا ﷺ مَن اسمه أَحمد قبل أَبي الخليل بن أَحمد. قال الحافظ أَبو الفضل العراقي: واعترض على هذه المقالة بأَبي النضر سعيد بن أَحمد فإِنه أَقْدَم وأُجيب بأَن أَكثر أَهل العلم قالوا فيه يحمد بالياء. وقال ابن مَعِين: أَحمد.

قال ابن دِحْية رحمه الله تعالى: وهو علَم منقول من صفة لا من فِعْل، وتلك الصفة أَفْعَل التي يراد بها التفضيل.

وقال ابن القيِّم في كتابيه «جلاء الأَفهام» «وزاد المعَاد» واللفظ له: اختلف الناس فيه: هل هو. بمعنى فاعل أَو مفعول. فقالت طائفة: هو بمعنى فاعل. أَي حَمِد اللّهَ أَكثرَ من حَمْد غيره له، فمعناه أَحمد الحامدين لربه.

وقالت طائفة أخرى: هو بمعنى مفعول أَي أَحق الناس وأَوْلاهم بأَن يُحمد. فيكون

---

(١) أخرجه البخاري ٦/٦٤١ في كتاب المناقب (٣٥٣٣).

كمحمد في المعنى، إلا أَن الفرق بينهم أَن محمداً هو المحمود حمداً بعد حمد، فهو دال على كثرة حَمْد الحامدين له، وذلك يستلزم كثرةَ الخصال التي يُحمد عليها وأَحمد هو الذي يُحْمد أَفضلَ ما يُحْمَده غيره. فمحمد في الكثرة والكمية وأَحمد في الصِّفة وفي الكيفية يستحق من الحمد أَكثر مما يستحقه غيره فحَمْده أَكثر حمدٍ وأَفضل حمدٍ حُمده بشَر، والاسمان واقِعَان على المفعول، وهذا أَبلَغ في مدْحه ﷺ وأَكمل معنى. قال: وهو الراجح المختار ولو أُريد به معنى الفاعل لسمِّي الحمَّاد أَي كثير الحمد، فإنه ﷺ كان أَكثر الناس حمداً لربه، فلو كان اسمه أَحمد باعتبار حمده لربه لكان الأَوْلَى به الحمَّاد كما سمِّيت أمته ﷺ بذلك. وأَيضاً فإن هذين الاسمين إنما اشتُقَّا من أَخلاقه وخصاله ﷺ التي لأَجلها استحق أَن يُسمَّى محمداً وأَحمد. وبَسْط الكلام على ذلك وتحقيق هذا المحل يطول به الكلام فليطلب من كتب النحو المطولة.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: سمِّي النبي ﷺ بمحمد وأَحمد لما اشتمل عليه من مسمَّاهما وهو الحمد، فإنه ﷺ محمود عند الله ومحمود عند الملائكة ومحمود عند الأَنبياء، ومحمود عند أَهل الأَرض كلهم وإن كفر به بعضهم فإن ما فيه من صفات الكمال محمودةٌ عند كل عاقل، وإن كابَر عقله جحوداً وعناداً [أَو جهلاً باتصافه بها] ولو عُلم اتصافه بها لحَمده، فإنه يَحْمد من اتصف بصفات الكمال ويجهل وجودها فيه، فهو في الحقيقة حامد له.

وقال القاضي والسُّهَيْلي وابن القيِّم رحمهم الله تعالى: واختُصَّ ﷺ من مُسَمَّى الحمد بما لم يُجمع لغيره، فإن اسمه ﷺ: أَحمد ومحمد، وأمته الحمَّادون يحمدون الله تعالى على السَّرَّاء والضرَّاء، وصَلاتُه وصلاتهم مُفْتَتحة بالحمد. وخُطبه مفتتحة بالحمد، وكتابه مفتتح بالحمد، وشُرع له الحمد بعد الأَكل والشرب، وبعد الدعاء. وبعد القُدوم من السفر، وبيده ﷺ لواءُ الحمد يوم القيامة، ولما يسجد بين يدي ربه عز وجل للشفاعة ويؤذن له فيها يحمد ربه بمحامد يفتحها عليه حينئذ، وهو صاحب المقام المحمود الذي يَغْبطه فيه الأَوَّلون والآخِرون، وإذا قام في ذلك المقام حمده حينئذ أَهلُ الموْقِف كلهم مسلمهم وكافرهم أَولهم وآخرهم إلى غير ذلك.

تنبيه: قال القاضي رحمه الله تعالى: كان ﷺ أَحمدَ قبل أَن يكون محمداً كما وقع في الوجود، لأَن تسميته ﷺ أحمد وقعت في الكتب السالفة، وتسميته محمداً وقعت في القرآن، وذلك أَنه ﷺ حَمِد ربه قبل أَن يحمده الناس. وقال السُّهيلي: لم يكن ﷺ محمداً حتى كان أَحمد، حمد ربه فنبَّأه وشرَّفه؛ فلذلك تقدّم اسمُ أَحمد على الاسم الذي هو محمد، فذكره عيسى صلى الله عليهما وسلم فقال: «اسمه أَحمد» وذكره موسى ﷺ حين قال له ربه:

تلك أمةُ أَحمد فقال اللهم: اجعلني من أمة أَحمد؛ فبأَحمد ذُكر قبل أَن يُذكَر بمحمد، لأَن حَمْده لربه قبل حَمْد الناس له، فلما وجِد وبُعث كان محمداً بالفعل، وكذلك في الشفاعة يحمد ربه بالمحامد التي يفتحها عليه، فيكون أَحمد الحامدين لربه، ثم يشفع فيُحمد على شفاعته ﷺ. فانظر كيف ترتَّب هذا الاسم قبل الاسم الآخر في الذِّكر وفي الوجود في الدنيا والآخرة تَلُحْ لك الحكمةُ الإلهية في تخصيصه ﷺ بهذين الاسمين. انتهى.

فصرَّح القاضي والسهيلي رحمهما الله تعالى بأَن أَحمد سابقٌ على محمد. وأَقرَّهما الحافظ في الفتح وغيره.

وردَّ ذلك ابن القيّم في كتابيه «جلاَء الأَفهام» و «زاد المعاد» ونسب قائلَ ذلك إلى الغلط، ثم نقل عن لفظ التوراة التي يقرأها مؤمنو أَهلِ الكتاب أَن فيها عند ذكر إسماعيل ﷺ بماذ ماذ. وذكر بعد هذا: وإنه سيلد اثني عشر عظيماً، منهم عظيم يكون اسمه ماذ ماذ. قال ابن القيم رحمه الله تعالى: وهذا عند علماء المؤمنين من أَهل الكتاب صريح في اسم النبي ﷺ. قال: ورأَيت بعض شروح التوراة كما حكيناه بعد هذا المتن قال في الشرح: هذان الحرفان في الموضعين يتضمنان اسم السيد الرسول محمد ﷺ وبسَط الشارحُ الكلامَ والدليلَ على ذلك.

ثم نقل ابن القيِّم عن شارح آخر أَن اسمه في التوراة أَظْهر مما ذكره الشارح السابق وذكر ابن القيم كلامه. فليراجعه من أَراده من «جلاء الأَفهام».

وقد وردت آثار كثيرة تشهد لما قاله ابن القيم.

قال: وإنما سمَّاه المسيح أَحمد كما حكاه الله تعالى في القرآن لأَن تسميته بأَحمد وقعت متأَخرة عن تسميته محمداً في التوراة ومتقدِّمة على تسميته محمداً في القرآن، فوقعت بَيْن التسميتين محفوفة بهما.

وقد تقدَّم أَن هذين الاسمين صفتان في حقه ﷺ، والوصفية فيهما لا تُنافِي العَلمية وأَن معناهما مقصود، فعرف عند كل أمة بأَعْرَف الوصفين عندها. انتهى ملخصاً.

قال الراغب رحمه الله تعالى: وإنما خصه عيسى عليه الصلاة والسلام بذلك ولم يصِفْه بغيره تنبيهاً على أَنه أَحْمَد منه وممن قبله، لما اشتمل عليه من الخصال الجميلة والأَخلاق الحميدة التي لم تَكْمل لغيره ﷺ.

تنبيــــه:

لم يصحّ في فضل التسمية به حديث. وأَما حديث أَنس بن مالك مرفوعاً: «يُوقف

عَبْدان بين يدَي الله تعالى فيؤمر بهما إلى الجنة فيقولان: ربنا بم استأهَلْنا الجنة ولم نعمل عملاً تجازينا به الجنة؟ فيقول الله تعالى: عَبْديَّ ادخلا الجنة فإني آليتُ على نفسي ألاَّ يدخل النارَ من اسمه أَحمد ولا محمد» فهو حديث باطل كما قال الذهبي رواه ابن بُكَيْر من طريق أَحمد بن عبد الله الدارع وهو كذاب، وشيخه صَدقة بن موسى وأَبوه لا يُعرفان.

فـائـــدة:

أَحمد في العربية ممنوع من الصرف لا ينوَّن ولا يكسر للعلمية ووزن الفعل. وأَلْغز فيه بعضهم رحمه الله تعالى فقال:

وراكعةٍ في ظِلِّ غُصْنٍ مَنُوطة   بِلُؤْلُؤةٍ نِيطَتْ بمنقارِ طَائِرِ

فالراكعة: الدال. والغصن التي هي في ظله: الأَلف. واللؤلؤة: الميم. ومنقار الطائر: الحاء.

«الأَبَرّ»: أَفعل تفضيل من بررْتُ فلاناً بالكسر أَبَرّه برًّا فأَنا بَرٌّ وبارٌ: أَي مُحْسن. والبِرّ: اسم جامع للخير. ويطلق أَيضاً على الصِّدْق لحديث: «لا يزال الرجل يَصْدُق حتى يُكتب عند الله بارًّا، ولا يزال يَكْذب حتى يُكْتَبْ عند الله كاذباً» وإنه يقال صدَق وبَرَّ وكذَب. وفجَر. وجمع البَرّ: أَبرار والبارّ: بَررَة.

وهو ﷺ حريٌّ بأَن يكون أَبَرّ الناس، لما جُمع فيه من الخصال الجميلة التي لم تُجمع في مخلوق والإِحسان والصدق.

قال أَبو علي الحاتِميّ رحمه الله: اتفق أَهلُ الأَدب على أَن أَصْدَق بيتٍ قالته العرب قول أَبي إِيَاس الدُّؤليّ:

وما حمَلَتْ مِنْ نَاقَةٍ فَوْقَ رَحْلِها   أَبَرَّ وأَوْفَى ذِمَّةً من مُحَمَّدِ

وهذا الاسم مما سمّاه الله تعالى به من أَسمائه الحسنى. والبَرّ في حقه تعالى معناه: المحسِن أَو الصادق الوعد أَو خالِق البِرّ. أَقوال.

والنبي ﷺ بَرٌّ بالمعنيين الأَولين كما سيأتي في صفاته المعنوية.

«الأَبْطَحِي»: نسبة إِلى الأَبطح وهو مَسِيل الماء، وفيه دِقَاق الحصى، والمراد هنا أَبْطح مكة، وهو مَسِيل واديها، وهو ما بين مكة ومِنًى ومبتدَأه المحصَّب. وأَصله في اللغة: ما انحدر من الجبال وارتفع عن المسِيل.

قال حسان بن ثابت رضي الله عنه يمدح النبي ﷺ:

وأَكْرَم صِيتاً في البيوتِ إذا انتمَى وأَكرَمُ جَدًّا أَبطحِيًّا يُسَوَّدُ(١)

وسمِّي ﷺ بذلك لأنه من قريش البِطَاح، وذلك أَن قُصيًا جده الخامس لمّا وَلِي البيتَ وأَمْرَ مكة أَقْطَعها أَرْباعاً بين قومه، فلما كَثُرت بنو كعب بن لُؤي وبنو عامر بن لؤي أَخرجوا بني محارب وبني الحارث بن فِهْر من البطحاء إلى الظَّوَاهر وبني خارجة الحرم حول مكة.

فقريش البِطَاح: بنو كعب بن لؤيّ وبنو عبد مناف وبنو عبد الدار وبنو مُرّة بن كلاَب، وبنو مخزوم بن يقظة، وبنو تَميم بن مُرّة وبنو جُمح وسهْم بن عمرو بن هُصَيْص بن كعب، وبنو عَدِيّ بن مالك وبنو عامر بن لُؤَيّ.

وقريش الظَّوَاهر: بنو مُحَارب، وبنو الحارث بن فِهْر، وبنو الأَدْرَم بن غالب، وعامة بني عامر بن لُؤَيّ وكان يقال لعبد المطلب: سيّد الأَبْطَح والأَباطح.

«الأَبْلَج»: بالموحدة وآخره جيم. وهو الطَّلْق الوجه أَو المُشْرقه، أَو ذو الكرم والسماحة والمعروف، أَو الواضح أَمره، ومنه صباحٌ أَبْلَج، وانبلجت الشمس انبلاجاً وانبلج الفجرُ وتبلَّج: أَنار ووضح.

«الأَبْيَض»: صفة مشبهة من البياض ضد السَّوَاد، وهو السخيّ الجوَاد ومنه قول ذي الرّمّة:

وأَبيضَ مُرْتاح النَّحِيزة للنَّدَى لَهُ نَائِلٌ بالمكْرُمَاتِ يَفِيضُ

أَو المبارك الميمون ومنه قول الجَعْدي:

كم بِتُّ أَرْقُبُ منك يَوْماً أَبيضاً في شِبْه وَجْهِكَ بالنَّدَى متهلّلُ

أَو المتصف بالبياض وهو نظافة العِرْض، يقال رجل أَبيض وامرأَة بيضاء أَي نقية العِرْض من الأَدناس، ويقال ابيَضَّ ابيضاضاً وبياضاً وهو مبيَضّ، وقال أَبو طالب:

وَأَبْيَضَ يُسْتَسْقَى الغَمامُ بِوَجْهِهِ ثِمَالُ الْيَتَامَى عِصْمَةٌ للأَرامِلِ(٢)

وسيأتي تمامه في ثمال.

---

(١) البيت في الديوان من قصيدة مطلعها:

بطيبة رسم للرسول ومعهد منير وقد تعفو الرسوم وتمهدو

ورواية البيت في الديوان:

وأكرم حياً في البيوت إذا انتمى

انظر ديوان حسان بن ثابت ٦٠ـ ٦٤.

(٢) البيت منسوب لأبي طالب في العقد الفريد ٢٣٢/٣، ٢٦٤/٤.

«الأَتْقَى»: أَفعل تفضيل من تَقَى يتْقِي كقضى يَقْضِي لا من اتقى يتَّقي الذي هو الأَصل، فخفف لأَن أَفعل التفضيل لا يبنى من غير ثلاثي على ثلاثة.

روى مسلم عن جابر رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله ﷺ: **«قد علمتم أَنّي أَتْقاكم وأَبَرُّكم وأَصْدقكم حديثاً»**.

قال الجوهري: التَّقِيّ: المُتَّقِي. والتُّقَى والتقوى واحد. وواوها مُبْدَلة عن ياء لقولك: اتقيت والتاء من واو لأَنه من وقَيت.

وأَصل التقوى في اللغة: قلة الكلام. حكاه ابن فارس. وقال غيره: هي الخوف والحذر وأَصلها: اتقاء الشِّرْك ثم المعاصي، ثم الشبهات، ثم ترْك الفضلات. وحقيقتها: التحرّز بطاعة الله تعالى من مخالفته.

وقال رجل لأَبي هريرة رضي الله تعالى عنه: ما التقوى؟ قال: أَخذتَ طريقاً ذا شوك؟ قال: نعم. قال: كيف صنعت؟ قال: إِذا رأَيتُ الشوك عدَلْتُ عنه أَو جاوزْته أَو قصَرْت عنه. قال: ذاك التقوى. رواه ابن أَبي الدنيا في كتاب التقوى.

وقد أَشار إِلى هذا المعنى ابن المعتز رحمه الله تعالى فقال:

خَلِّ الذُّنُوبَ صَغِيرَهَا ... وكَبِيرَهَا ذَاكَ التُّقَى

واصْنَعْ كماش فَوْقَ أَر ... ضِ الشَّوْك يَحْذَرُ مَا يَرَى

لا تَحْقِرنَّ صَغِيرَةً ... إِنَّ الجِبَالَ مِنَ الْحَصَا

وأَما إِضافتها إِلى الله تعالى في قوله تعالى: ﴿**هو أَهل التقوى**﴾ فمعناه أَهلٌ لأَن يُتَّقى عقابه ويُحْذر عَذابه.

وسئل عليّ رضي الله تعالى عنه عنها قال: هي الخوفُ من الجَلِيل، والعمل بالتنزيل والقناعة بالقليل، والاستعداد ليوم الرَّحيل.

قال النبي ﷺ: **«لا يبلغ العبدُ أَن يكون من المتقين حتى يَدَعَ ما لا بأَسَ به حَذراً مما به بأَس»**(١).

رواه الإِمام أَحمد، وحسَّنه الترمذي.

تنبيه: قوله تعالى: ﴿**يا أَيها النبيُّ اتَّق الله**﴾ أَمرٌ بالدوام على التقوى. كقوله تعالى: ﴿**يا أَيها الذين آمَنُوا اتقوا الله وآمنوا برسوله**﴾(٢) أَي داوموا على الإِيمان.

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٤٥١)، وابن ماجة (٤٢١٥)، والبيهقي ٣٣٥/٢، والطبراني في الكبير ١٦٩/١٧.

(٢) الحديد: ٢٨ .

«أَتْقَى الناس»: تقدَّم معناه في الذي قبله.

«الأَجوَد»: أَفعل تفضيل من الجُود وهو الكرَم. يقال جادَ يَجُود جُوداً فهو جَوَاد بتخفيف الواو، وقومٌ جُودٌ وأَجوادٌ وأَجاود وجُوَّاد. قال النَّحاس رحمه الله تعالى: الجوَاد: الذي يتفضل على من لا يستحقّ ويُعْطِي من لا يسأَل ويعطِي الكثير ولا يخاف الفقر. من قولهم: مطرٌ جَواد: إذا كان كثيراً. وفرسٌ جَوادٌ: يَعْدُو كثيراً قبل أَن يُطلَب منه. ثم قيل: هو مرادِفٌ للسَّخاءِ. والأَصحّ أَن السخاء أَدْنَى منه. والسخاء: اللِّين عند الحاجات، ومنه: أَرضٌ سَخاوية: لينة التراب.

وفي رسالة القُشَيْري رحمه الله تعالى: قال القومُ: من أَعطى البعض فهو سخيّ ومن أَعطى الأَكثر وبقَّى لنفسه شيئاً فهو جَواد ومن قاسَى الضرر وآثر غيره بالبُلْغَة فهو مُؤْثِر.

وقال بعضهم: السخاء سهولة الإِنفاق وهو الجود، وضده التقتير، والسماحة: التجافي عما يستحقه المرءُ من غيره بطيب نفسه، وضد الشَّكاسة. والكرم: الإِنفاق بطيب النَّفْس فيما يَعْظم خطره ويسمَّى حُرِّية، وضده: النذالة.

وروى الشيخان عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: «كان رسول الله ﷺ أَجْود الناسِ وكان أَجْوَدَ ما يكون في شهر رمضان» الحديث.

وروى أَبو يَعْلَى عن أَنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«أَلا أُخبركم عن الأَجْود؟ الله الأَجود، وأَنا أَجود بني آدم»**[1].

ولهذا مزيد بيان في باب كرمه وجوده ﷺ.

«أَجْوَد الناس»: تقدَّم الكلام عليه في الذي قَبْله.

«الأَجَلّ»: بالجيم وتشديد اللام: الجليل العظيم أَي الأَكثر إِجلالاً وعظمة عند الله وعند عِبَاده.

«الأَجير»: بالجيم نقله «ع» عن بعض الصحف المنزَّلة: لأَنه يجير أُمته من النار.

قال الشيخ رحمه الله تعالى: ولم أَرَ من ذَكره غيره، وأَخشى أَن يكون تصحَّف بأَحْيَد الآتي.

«أَحاد»: كذا ورد في السِّفْر الخامس من التوراة، وليس بين الحاء والدال أَلف إِنما يفخِّمون الحاء، وتفسيره عندهم: واحد.

---

(١) ذكره الهيثمي في المجمع ١٦/٩، وعزاه لأبي يعلى وقال فيه سويد بن عبد العزيز وهو متروك. وذكره ابن حجر في المطالب (٣٠٧٧)، والمتقي الهندي في الكنز (٢٨٧٧١).

ومعناه فيه صحيح من وجوه، منها: أَنه واحد بمعنى آخِر الأَنبياء وخاتمهم، ومنها: أَنه واحدٌ في السيادة على من سِوَاه، ومنها أَنه واحد في شريعته أَكْمل الشرائع، ومنها: أَنه واحد في خصائص خُصَّ بها من أَحكام دِينه وأُمورٍ رفيعةٍ غير دينه، كالشَّفَاعة العامَّة والحَوْض المورود والمقام المحمود:

وقال الشيخ رحمه الله تعالى: أُحَاد في العربية بضم الهَمْزة: اسمُ عَدَدٍ معدول عن واحدٍ واحدٍ، ولا يبعد أَن يكون اسمه ﷺ في التوراة هو هذا الاسمَ العربيَّ المعدول، ووجه العَدْل فيه عن واحد واحد المتكرر: أَنه ﷺ في أُمور متعددة، فعُدل عنها إِلى أُحَاد ليدل على ذلك باختصار كما هو فائدة العَدْل أَن لا يؤتى باللفظ مكرراً، فيكون هذا الاسم مما سمَّاه الله تعالى به من أَسمائه.

ومعنى الواحد في حق الله تعالى: الذي لا شريك له في ذاته وصفاته.

«الأَحد»: المنفرد بصفات الكمال عن الخَلْق أَو بالقُرْب من الحق، وهو من الصفات المشبَّهة وأَصله: وَحَد بفتح بالحاء وبكسرها أَيضاً، فأُبدلت الواو المفتوحة همزةً شذوذاً، لأَن قياس المفتوحة أَولَ الكلمة أَن تبقى على حالها.

وهو من أَسمائه تعالى ومعناه: المنفرد بصفات الكمال. وسيأْتي الفرق بينه وبين الواحد بأَنه يقال باعتبار الذات، والأَحد باعتبار الصِّفَات. وقيل: الواحد للوَصْل والأَحد للفَصْل. فمِن الواحد وصل إِلى عباده النِّعم. ومن الأَحد انفصلت عنهم النِّقم.

«الأَحْسَن»: ذكره أَبو حفص النَّسفِيّ رحمه الله تعالى في تفسيره، وهو أَفعل: من الحُسْن، وهو تناسُب الأَعضاء على ما ينبغي، والمراد به: المستجمع صفات الكمال. قال تعالى: ﴿**ومن أَحسَنُ قولاً مِمَّن دَعَا إِلى الله وهو محسن**﴾ قال عبد الرزاق في تفسيره عن مَعْمر عن الحسن البَصْريّ رحمه الله تعالى: أَنه تلا هذه الآية فقال: هذا حَبِيب الله تعالى، هذا صَفْوة الله، هذا أَحَبُّ أَهلِ الأَرضِ إِلى الله أَجاب اللّهَ تعالى في دعوته، ودعا النَاسَ إِلى ما أَجابَ الله تعالى فيه.

وفي حديث أَنس عند عَبْد بن حُمَيْد: كان النبي ﷺ أَحسن الناس، وكان أَجود الناس وكان أَشجع الناس.

وسيأْتي الكلام على ذلك في باب حُسْنه ﷺ. ويرحم الله تعالى الشَّرف البُوصيري حيث قال:

فَهْوَ الَّذِي تَمَّ مَعْنَاهُ وَصُورَتُهُ ... ثُمَّ آصْطَفَاهُ حَبِيباً بَارِئُ النَّسَمِ

مُنَزَّهٌ عَنْ شَرِيكٍ فِي مَحَاسِنِه ... فَجَوْهَرُ الحُسْنِ فِيهِ غَيرُ مُنْقَسِمِ

والشرفَ ابن الفارض حيث قال:

وَعَلَى تَفَنُّنِ وَاصِفِيهِ بِحُسْنِهِ ... يَفْنَى الزَّمَانُ وَفِيهِ مَا لَمْ يُوصَفِ

قال النَّسَفي رحمه الله تعالى: وهذا الاسم مما سمَّاه الله تعالى به من أَسمائه. قال تعالى: **﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾**.

«الأَحْشَم»: بالحاء المهملة والشين المعجمة: **أَفْعل** تفضيل من الحِشْمة وهي الوقار والسكينة أَي أَحْشمِ الناس، أَي أَكثرهم وقاراً.

«أَحْيَد»: عَزاه القاضي للتوراة لأَنه يُحِيد أُمّتَه عن النار. ويروى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما مرفوعاً: **«اسمي في القرآن محمد وفي الإنجيل أحمد، وفي التوراة أَحْيد لأَني أَحِيد أُمّتي عن النار»** رواه ابن عَدِيّ وابن عساكر بسندٍ واهٍ، وضبطه الشيخ تقي الدين الشُّمُنِّي بضم الهمزة والحلبي بفتحها وسكون الحاء المهملة وفتح المثناة التحتية وكسرها في آخره دال مهملة وضبطه الماوردي رحمه الله تعالى بمد الأَلف وكسر الحاء المهملة. وقال في الشرح: يحتمل أَن يكون أَفعل: من حاد عن الشيء إِذا عَدَلَ عنه ونفَر منه، وسمِّي به لأَنه حاد عن طريق الباطل وعدَل بأُمته إِلى سبيل الحق. وهو غير منصرف للعُجْمة والعلمية، أَو وزن الفعل مع العلمية.

«الآخذ الحُجزات»: بالإِضافة: اسم فاعل من الأَخذ وهو التناول. روى الشيخان عن أَبي هريرة رضي الله تعالى عنه أَن رسول الله ﷺ قال: **«إِنما مَثَلي ومثل أُمتي كمثل رجل استَوقَد ناراً فجعلت الدوابُّ والفَراشُ يَقْعن فيها، فأَنا آخذٌ بحُجَزكم وأَنتم تَقحَّمون فيها»**[1].

وروى الإِمام أَحمد عن جابر رضي الله تعالى عنه أَنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«مَثَلي ومَثلكم كمثل رجل أَوقد ناراً فجعل الفراشُ والجَنادب يقَعْن فيها وهو يَذُبُّهن عنها وأَنا آخذ بحُجَزكم وأَنتم تُفْلتون من يدي»**[2].

الحُجَزات بضم المهملة وفتح الجيم ثم زاي. والحُجَز جمع حُجْزة وهو حيث يثنى طرف الإِزار وهو النيفق من السراويل ومحلها الوسط، فكأَنه ﷺ قال: أَنا آخذ بأَوساطكم لأُنجّيكم من النار والأَخذ بالوسط أَمْكَن، فعبَّر عنها بالحُجَزات استعارة بعد استعارة.

«الآخِذ الصدقات»: قال تعالى: **﴿خُذْ من أَموالهم صَدَقَةً تُطَهِّرهم وتُزَكّيهم بها﴾** الآية

---

(١) أخرجه مسلم ١٧٨٩/٤ كتاب الفضائل (١٧- ٢٢٨٤) والترمذي ٢٨٧٤.

(٢) أخرجه مسلم في الموضع السابق (١٩- ٢٢٨٥)، وأحمد في المسند ٣٩٢/٣، والبيهقي في دلائل النبوة ٣٦٧/١.

وإن نزلت في المخلَّفين عن غزوة تبوك، وفي صدقة التطوع التي هي من تمام توبتهم، لكنها عامَّة لغيرهم وفي الزكاة المفروضة. ولهذا قال مانعو الزكاة: لا ندفعها إلا لمن صَلواته سَكنٌ لنا، وقد كان ﷺ يأخذ الزكاة من أربابها ويفرّقها على مستحقيها كما هو معلوم معروف.

«أَخرابَا»: هو اسمه ﷺ في الإِنجيل، ومعناه آخر الأَنبياء، روى ابن أبي شيبة في المصنَّف عن مصعب بن سعد، عن كعب رحمه الله تعالى قال: أَول من يأخذ حَلْقة باب الجنة فيُفتح له محمد ﷺ، ثم قرأَ علينا آية من التوراة أخراباً قدمابا الأَوّلون الآخرون.

«الأَخْشَى لله»: أَخذه الشيخ رحمه الله تعالى من حديث أَبي داود: «والله إِني لأَرْجو أَن أَكون أَخْشَاكم لله».

قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام رحمه الله تعالى: وفيه إِشكال لأَن الخوف والخشية حالةٌ تنشأ عن ملاحظة شدّة النِّقْمة الممكن وقوعها بالخائف، وقد دلَّ الدليل القاطع على أنه ﷺ غير مُعذَّب. وقال تعالى: ﴿يومَ لا يُخزِي اللَّهُ النبيَّ﴾ فكيف يتصوَّر منه الخوف، فكيف أَشد الخوف؟.

قال: والجواب أَن النسيان جائز عليه ﷺ فإذا حصل النسيان عن موجبات نَفْي العقاب حدث له الخوف، لا يقال إِن إِخباره ﷺ بشدة الخوف وعِظَم الخشية عِظَم بالنوع لا بكثرة العدد، أَي إِذا صدَر منه الخوف ولو في زمنٍ فَرْد كان أَشدَّ من خوف غيره.

والخشية: الخوف وقيل أَعظمه والهَيْبة أَعظم منها. وقال سعيد بن جُبَيْر رحمه الله تعالى: هي أَن تخشاه حتى يَحُول بينك وبين المعصية، وعلى قَدْر عِلْمه ﷺ بالله تعالى كان خوفه. كما سيأتي في باب: «خوفه ﷺ».

وقال الأُستاذ أَبو علي الدقَّاق رحمه الله تعالى: الرهبة على مراتب: أَولها: الخوف وهي من شُرط الإِيمان. قال الله تعالى: ﴿وخَافونِي إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِين﴾ ثانيها: الخشية وهي من شرط العلم، قال الله تعالى: ﴿إِنما يَخْشَى اللَّهَ مِن عِبَادِهِ العُلَماءُ﴾ ثالثها الهيبة، وهي من شرط المعرفة. وقيل هي حركة القلب من جلال الرب.

وأَما وصفه تعالى بها في قوله تعالى: ﴿إِنما يخشى اللّهُ من عباده العلماء﴾ [ ] برفع الاسم الكريم ونصب العلماء عكس القراءة المشهورة كما قرأَ به أَبو حَيْوة وعمر بن العزيز وأَبو حنيفة فهو على سبيل المجاز، والمراد غايتها التي هي التعظيم والإِجلال فقط على حد قوله:

أَهَابُكِ إِجْلالاً وَمَا بِكِ قُدْرَةٌ عَليَّ وَلَكِنْ مِلْءُ عَيْنٍ حَبِيبُهَا

«آخر ماخ»: عزاه «ع» لصحف شيث ﷺ قال: ومعناه صحيح الإِسلام.

«الأَدْعَج»: بدال وعين مهملتين أي أَدعج العينين من الدَّعَج محرَّكاً كالدُّعْجة بالضم وهو شدة سواد العين مع سعتها. كما سيأتي في باب صفاته الحسيّة ﷺ.

«الأَدْوَم»: بفتح الهمزة وسكون الدال المهملة، أَفعل تفضيل من المداومة وهي المواظبة على الشيء. وأصل الدوام السكون يقال: دام الماءُ: إذا سكَن، ومنه حديث الشيخين رضي الله عنهما عن أَبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ: **«لا يَبُولَنّ أَحدُكم في الماء الدائم ثم يغتسل فيه»**(١).

وسمِّي ﷺ بذلك لملازمته طاعةَ ربه تبارك وتعالى.

وروى الشيخان عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: «كان عمله ﷺ دِيمةً وأَيكم يستطيع ما كان يستطيع ﷺ».

ولا ينافي ذلك عدمُ مواظبته ﷺ على صلاة الضحى، كما رواه الترمذي وحسَّنه عن أَبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه: أَنه ﷺ كان يصلي الضحى حتى نقول لا يدَعها، ويدعها حتى نقول لا يصلِّيها؛ لأَن المواظبة على العمل كانت غالب أَحواله ﷺ وقد يتركها لحكمة كما ترك المواظبة على قيام رمضان لمّا عَلِم به أَناسٌ فقاموا بقيامه خشية أَن تُفْرض عليهم فيُخْرجهم.

فإن قيل: لِمَ واظب ﷺ على قضاء سُنَّة الظُّهر لمّا فاتَتْه لاشتغاله مع الوفْد بعد العصر ولم يواظب على قضاء سنة الفجر لَمَّا فاتته مع الصبح في الوادي مع أَن سُنَّة الفجر آكَد ووقت قضائها ليس وقت كراهة بخلاف سنة الظهر؟

أُجيب: بأَن سُنَّة الفجر فاتته ﷺ مع جَمْع من الصحابة فلو واظَب على قضائها لتأَسَّى به كلٌّ من فاتته إذا كان من عادتهم الحرص على اقتفاء آثاره ﷺ والمتابعة له في أَفعاله فيشق ذلك عليهم، بخلاف سُنة الظهر أَو لأَنه كان في سفَر فلم يواظب عليها لذلك بخلاف سُنة الظهر.

«أُذُن خَيْر»: سمِّي ﷺ بالجارحة التي هي آلة السمع كأَن جُمْلته إذن كما يقال للرَّبيئة: عَيْن. قال تعالى: **﴿ويقولون هو أُذُن قل أُذُن خيرٍ لكم﴾**.

قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قائل هذه اللفظة نَبْتل بن الحارث بن مروة المنافق؛ كان يأْتي النبي فيجلس إليه فيسمع منه، ثم ينقل حديثه إلى المنافقين، رواه ابن أَبي حاتم. وقيل هو الجُلاَس بن سُوَيْد.

---

(١) أخرجه البخاري ٣٤٦/١ كتاب الوضوء (٢٣٩)، ومسلم ٢٣٥/١، كتاب الطهارة (٩٦- ٢٨٢).

قال الحسن ومجاهد رحمهما الله تعالى: ومعنى هو أذن: يسمع منا مَعاذِيرنا ويُنْصت لنا، أَي نحن لا نبالي عن أَذاه والوقوع فيه؛ إِذ هو سمَّاع لكل ما يقال له من اعتذار ونحوه ويقال للسمَّاع لكل قول: أُذن؛ لكثرة سمَاعه، سُميّ بمحلّه. وقيل هو على حذف مضاف وتقديره ذو أُذن أَي ذو سماع، وقيل هو من قولهم أَذِن للشيء بمعنى استمع، ومنه الحديث: «ما أَذِن الله لشيء كَأَذَنِه لنبيٍّ متغنٍّ بالقرآن».

وصفه الله تعالى بذلك إِلا أنه تعالى فسّره بما هو مَدْح لنبيه ﷺ وثناء عليه وإِن كان قَصدوا بذلك ذمَّه. والمشهور ضم ذال أُذن. وقرأَ نافع بسكونها، قال ابن عطية رحمه الله تعالى: أُذن خَيْر: سمَّاع خير وحَقّ لا غيره، والمشهور إِضافته وقرأَ عاصم برفع «خير» وتنوين «أُذن» قال: وهو يوافق تفسير الحسن أَي من يقبل مَعاذيركم خيرٌ لكم.

قال العَزَفِيّ رحمه الله تعالى: وأَما اسمه ﷺ «أُذُن خير» فهو مما أَعطاه من فضيلة الإِدراك لبيان الأَصوات فلا يبقى من ذلك خير ولا يسمع من القول إِلا أَحسَنه.

فائدة: قال في الصِّحَاح: الأُذُن مؤنثة وتصغيرها أُذَيْنة. ورجلٌ أُذُن يستوي فيه الواحِد والجمع.

«الأَرجح»: الزائد على غيره عِلْماً وفضلاً، وفي حديث شق الصدر ثم قال أَحدهما ـ أَي الملكين ـ لصاحبه: زِنْه بعشرة من أُمته فوزنني بهم فرجَحْتهم. ثم قال: زِنْه بمائة من أُمته فوزنني بهم فوزنتهم. ثم قال زنْه بأَلف من أُمته فوزنني بهم فوزَنْتُهم. فقال: دَعْه عنك فلو وزنت بأُمته لوزَنهم. أَي لرجَح عليهم في الفضل.

وقال زهير بن صُرَد رضي الله تعالى عنه يمدحه ﷺ وزاده شرفاً وفضلاً لديه:

إِنْ لَـمْ تَـدَارَكْـهُـمُ نَـعْـمَـاءُ تَـنْـشُـرُهَـا   يَا أَرْجَحَ النَّاسِ حِلْـماً حِينَ يُخْتَبَر

«أَرجح الناس عَقْلاً»: روى أَبُو نُعَيْم عن وهب بن منبه رحمه الله تعالى قال: قرأت في أَحد وسبعين كتاباً فوجدت في جميعها أَن الله تعالى لم يُعْطِ جميعَ الناس من بدءِ الدنيا إِلى انقضائها من العقل في جنب عقل محمد ﷺ إِلا كحبّة رمل من بين جميع رمال الدنيا، وإِن محمداً ﷺ أَرجح الناس عقلاً.

وسيأتي لهذا مزيد بيان إِن شاء الله تعالى في الكلام على عقله ﷺ.

«الأَرحم»: أَفْعَل: من الرَّحمة أَي أَكثر الناس رحمة، وسيأْتي بيانها إِن شاء الله تعالى.

«أَرْحَم الناس بالعيال»: وسيأْتي الكلام عليه في باب شفقته ﷺ.

«الأَزَجّ»: بفتح الزاي وتشديد الجيم أَي أَزَجّ الحاجبين أَي المقوَّس الحاجب الوافر شعره. كما سيأْتي بيان ذلك في باب صفاته ﷺ.

«الأَزْكَى»: بالزاي: الطاهر، أَفْعَل من الزكاة وهي الطهارة أي أَزْكَى العالمين. أي أَطهرهم.

«الأَزْهَر»: من الزهارة وهي الرونق. روى مسلم عن أَنس رضي الله تعالى عنه قال: كان رسول الله ﷺ أَزْهَر اللون، قال الإمام النَّووي: معناه أَبيض مستنير فهو بمعنى ما رواه ابن حِبّان عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت كان رسول الله ﷺ أَبْيَض. ولهذا مزيد بيان في باب صفة لونه ﷺ.

«الأَسَدّ»: بفتح الهمزة والسين وتشديد الدال المهملتين: المستقيم وهو أفعل: من السَّدَد محركةً كالسداد وهو الاستقامة والتوفيق للصواب من القول والعمل، يقال: سَدَّده تسديداً: إذا قوّمه ووفقه للسداد. وسَدَّ يَسِدّ، كفَرَّ يفِر: صار سديداً أَي مستقيماً واستَدّ: استقام. وأَسَدَّ أَصاب السداد أَو طلبه. وسَدَّ الثلمَة: أَصْلَحها وأَوثقها.

وقد كان النبي ﷺ أَكثر الناس مُلْكاً وأُنساً وجَمْعاً وسَدَاداً أَي استقامة وتوفيقاً وإصلاحاً لِثَلم الرأي وإِصابةً للصواب، لأَن جميع ما يصدر منه ﷺ ولو على سبيل الاجتهاد مستند إِلى الوحي، ولهذا كان اجتهاده ﷺ لا يخطئ كما صوَّبه السُّبكي، ولهذا مزيد بيان في أَبواب عصمته ﷺ.

«أَشْجَع الناس»: من الشجاعة وهي شدة القلب عند البأس، وتقدم في أَحْسَن، وسيأتي الكلام عليه في باب شجاعته ﷺ.

«الأَشَدّ حياءً من العذراء في خِدْرِها»: أَي أَكثر حياء. والحياء يُمَدّ ويُقْصر وهي انقباض النفس عن القبيح مخافةَ الذم، وسيأتي الكلام على ذلك في باب حيائه ﷺ.

«الأَشْنَب»: بالمعجمة وفتح النون فموحدة من الشَّنَب محركاً وهو رونق الأَسنان ورقة مائها. وقيل رقتها وعذوبتها، وسيأتي بيانه إِن شاء الله تعالى في باب صفة فمه وأَسنانه ﷺ.

«الأَصْدَق»: أَفعل تفضيل. للمبالغة وأَصله الثبوت والقوة يقال رجل صدق إِذا كان قوياً على الطعن ثابتاً فيه، لا أَحَد أَقْوَى من رسول الله ﷺ ولا أَثْبَت على الحق منه، فهو ﷺ أَصْدَق الناس لهجة وأَثبت على الحق وأَقوى في الله. وفي حديث علي رضي الله تعالى عنه عند الترمذي في الشمائل: هو أَصْدَق الناس لَهْجة.

وهذا الاسم مما سمّاه الله تعالى به من أَسمائه قال الله تعالى: ﴿**وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا**﴾.

«أَصْدَق الناس لَهْجة»: وتقدَّم معناه. واللَّهجة بفتح الهاء وسكونها لغةً: اللسانُ. وقيل

طرفه أي أَصدق الناس لساناً.

«**الأَطْيَب**»: أَي الأَفضل والأَشرف، أَو الأَكثر طيباً. أَي أَفْعَل: من الطيب وهو حُسْن الرائحة.

«**الأَعَزّ**»: بمهملة فمعجمة: أَفْعَل: من العِز أَي الكثير العِزَّة وهي الغلبة والقوة.

«**الأَعْظَم**»: أَي أَحسن الناس خَلْقاً وخُلقاً لأَنه أَفعل: من العظمة وهي ترجع إِلى كمال الذات وتمام الصفات، وذلك غاية الحُسْن وكماله.

«**الأَعْلَى**»: أَفْعَل: من العُلُوّ وهو الرفعة، أَي الأَكثر علوًا أَي رفعةً على غيره. قال أَبو حفص النَّسَفي رحمه الله تعالى في تفسيره: وهو مما سمَّاه الله تعالى به من أَسمائه، وأَورد فيه قوله تعالى: ﴿**وهو بالأُفُق الأَعْلَى**﴾ وفي الأَخذ من الآية نظر.

قال الشيخ رحمه الله تعالى: ولم يظهر لي وجه الأَخذ منه لأَنَّا وإِن جعلنا الضمائر في «استوى» و «هو» و «دنَا» «فتدلَّى» «فكان» للنبي ﷺ وهو قولٌ مرجوح في التفسير لم يصحّ أَيضاً جَعْل الأَعلى صفةً له لأَن الضمير لا يوصف كما تقرر في النحو إِلا على رأيٍ ضعيف وكأَنَّه جعله حالاً من ضمير استوى. وجملة «وهو بالأُفق» مبتدأ وخبر حالاً أَيضاً. والتقدير: فاستوى الأَعلى أَي عليًا حالة كونه بالأُفق وهو بعيد جداً ولم يظهر لي فيه غير ذلك.

«**الأَعْلَم بالله**»: والمراد العلم بالله تعالى وصفاته وما يجب له كما قال في حديث ضعيف رواه الإِمام أَحمد: «أَنا أَتقاكم للّهِ وأَعْلمكم بحدود الله» يأتي بيانه في شرح اسمه العالِم.

«**الأَغَرّ**»: بالغين المعجمة والراء: الشريف الكريم الخيار. قال حسان بن ثابت ـ رضي الله تعالى عنه ـ يمدحه ﷺ زاده الله فضلاً وشرفاً:

أَغَـرُّ عَـلَـيْـهِ لِـلـنُّـبُـوَّةِ خَـاتَـمٌ مِنَ اللّهِ مَشْهُودٌ يَلُوحُ وَيَشْهَدُ[1]

«**أَفصح العرب**»: كذا ورد في حديث ذكره أَصحاب الغريب بهذا اللفظ. قال الحافظ العلامة عماد الدين بن كثير والشيخ ـ رحمهما الله تعالى ـ: ولم نقف على سنده. وروى أَيضاً: «أَنا أَفْصَح من نطق بالضاد بيد أَنِّي من قريش» أَي من أَجل أَني منهم.

ومعنى أَفْصح من نطق بالضاد: أي أَفصح العرب لأَنهم هم الذين ينطقون بها، وليست

---

(١) البيت بعده:

وضم الإله اسمَ النبي إلى اسمه إذا قال في الخمس المؤذن أشهد

انظر ديوان حسان ٥٤.

في لغة غيرهم. وأَفْصَحَ: أَفعل تفضيل من فَصُح الرجل: جادت لغته لا من أَفْصَح إذا تكلم بالعربية؛ لأَن أَفعل التفضيل لا يُبنى إلا من ثُلاثي. وفي الصِّحَاح: رجل فصيح وكلام فصيح أَي بَلِيغ. ولسانٌ فصيح أَي طَلْق.

ومَرْجع الفصاحة إما إلى الوضوح، ومنه: أَفْصَح الصبحُ إذا بدا ضَوْءه. ويقال لكل واضح: مُفْصح. أَو إلى الخُلوص. ومنه: أَفصَح اللبنُ إذا أُخذتْ منه الرغوة ولهذا مزيد بيان في باب بيان صفاته الحسّية ﷺ.

«**أَكثر الأَنبياء تبعاً**»: بفتح التاء الفوقية والموحَّدة: جمع تابع كخدَم جمع خادم.

روى مسلم عن أَنس بن مالك ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنّ من الأَنبياء من يأتي يومَ القيامة ما معه مُصَدِّق غير واحد**» وقولُه ﷺ في حديث أَبي هريرة «**وأَرجو أَن أَكون أَكثرهم تَبعاً**» لعله قبل أَن يُكْشَف له عن أُمته ويراهم. وقد حقق الله تعالى رجاءه ﷺ كما سيأتي بيان ذلك في الخصائص.

«**الأَكْرَم**»: المتصف بزيادة الكرم على غيره. وقال بعض العلماء: الكرم كالحرية إلا أَنها تقال في صغير المحاسن وكبيرها، والكرم لا يقال إِلا في كبيرها فقط ولذا قال تعالى: ﴿**إنّ أَكْرَمكم عند الله أَتْقَاكم**﴾.

روى الدارِميّ عن ابن عباس ـ رضي الله تعالى عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَنا أَكرم الأَوَّلين والآخرين على الله ولا فخر**»[1].

ومن كرامته ﷺ على ربه أَنه أَقسم بحياته وأَشفق عليه فيما كان يتكلفه من العبادة وطلب منه أَن يقلّلها، ولم يطلب ذلك من غيره بل حضّهم الله على الزيادة. وأَقْسَم له أَنه من المرسَلين وأَنه ليس بمجنون وأَنه لعَلى خُلق عظيم وأَنه ما ودَّعه وما قلاَه. وولد ﷺ مختوناً لئلا يرى أَحدٌ عورته، واستأذن عليه ملَك الموت في الدخول وفي قَبْض روحه الزكية ولم يفعل ذلك بأَحد قبله.

وهذا الاسم مما سماه الله تعالى به من أَسمائه قال تعالى: ﴿**وربُّك الأَكْرَم**﴾ ومعناه: الذي له الكمال في زيادة الكَرم على كل كريم. أَو الذي أَنعمَ على عباده بالنعم التي لا تُحصَى ويَحْلم عليهم فلا يعاجلهم بالعقوبة على كفرانها سبحانه وتعالى.

«**أَكْرَم الناس**».

«**أَكْرَم ولد آدم**»: كما سيأتي إن شاء الله تعالى في حديث الشفاعة.

---

(١) أخرجه الدارمي ١/٢٦، وابن كثير ٢/٣٧٥.

«**الإكليل**»: التاج. ويقال التاج المدوَّر. وهو ﷺ تاج الأَنبياء ورأس الأَصفياء، وسمِّي به ﷺ لشرفه وعلوه، أو لإِحاطة رسالته وشمولها كما سمي الإِكليل لإِحاطته بالرأْس.

«**الأَمْجَد**»: أَفْعَل من المجد وهو الشرف.

«**الآمِر الناهِي**»: اسما فاعل من الأمر والنهي قال تعالى: ﴿**يأمُرهم بالمعروف ويَنْهاهم عن المنكَر**﴾ وكان ذلك في حقه ﷺ فرض عَيْن كما قاله الجُرْجَاني في شافيته وفي حَقّ غيره فرض كفاية. قال الشرف البوصيري رحمه الله تعالى:

نَـبِـيُّنا الآمِـرُ الـنَّـاهِـي فَـلاَ أَحَـدٌ أَبَـرُّ فـي قَـوْلِ «لاَ» مِـنْـهُ وَلاَ «نَـعَـمِ»

قال العَزَفِيّ: وهذا الوصف على الحقيقة لله تعالى، ولكنه لـمّا كان الواسطة بين الله تعالى وعبيده أضيف إِليه ذلك هو الذي يُشاهَد آمِراً وناهياً ويُعْلم بالدليل أَن ذلك واسطة ونقل من الذي له ذلك الوصف حقيقةً. انتهى.

والأَمْر له معان، المقصود منها هنا: طلب إِيجاد الشيء. والنَّهْي: طلب تركه ويُعتبر فيهما العلوّ على الأَصح عند الشيخ أَبي إِسحاق الشيرازي ـ رحمه الله تعالى ـ وجماعة من أَهل الأصول أَي كون الطالب عالي الرُّتْبة على المطلوب منه والاستعلاء بأن يكون الطلب بعظمة على الأَصح عند الإِمام الرازي والآمِديّ وابن الحاجب.

إِذا عُلم ذلك ففي وصف الله تعالى له ﷺ بالآمر والناهي دلالة على علوّ شأنه واستعلاء منصبه ورفع قدره على جميع الأَنام، وينشأ من هذا وجوبُ امتثاله ﷺ وطاعته فيما أَمَر به ونهى عنه كما قال تعالى: ﴿**وما آتاكُم الرسولُ فخُذوه وما نَهاكم عنه فانتهوا**﴾.

الإِمام: المقتدَى به في الخير أَو غيره يطلق على الواحد نحو ﴿**إِنِّي جاعِلُك لِلنَّاسِ إِمَاماً**﴾ والجمع نحو ﴿**وَآجْعلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً**﴾ قال حسان ـ رضي الله تعالى عنه ـ يمدحه ﷺ:

إِمَامٌ لَهُمْ يَهْدِيهِمُ الحَقَّ جَاهِدًا مُعَلِّمُ صِدْقٍ إِنْ يُطِيعُوهُ يَهْتَدُوا[1]

وسمي به ﷺ لاقتداء الخَلْق به ورجوعهم إِلى قوله وفعله ـ زاده الله تعالى شرفاً وفضلاً.

«**إِمام الخير**»: روى ابن ماجه عن ابن مسعود ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: إِذا صلَّيتم

---

(١) البيت قبله:

يدل على الرحمن من يقتدي به وينقذ من هول الخزايا ويُرشد

ويروى في الديوان يعدوا بدل يهتدوا. انظر ديوان حسان ص ٦٢.

على رسول الله ﷺ فأَحسنوا الصلاة عليه فإِنكم لا تدرون لعل ذلك يُعرض عليه. قالوا له: علِّمنا. قال: قولوا: «اللهم اجعل صلواتك ورحمَتك وبركاتك على سيِّد المرسلين وإمام المتقين وخاتم النبيين محمد عبدك الأمين ورسولك إمام الخير وقائد الخير ورسول الرحمة، اللهم ابعثه المقامَ المحمود الذي يَغْبطه فيه الأَوَّلون والآخِرون».

«إِمام العالَمين»: العالَم بفتح اللام اسم جنس غير علَم يجمع على عَوالم وعلى عالَمين أَيضاً إِن قلنا باختصاصه بمن يعقل وأَنه اسم للثَّقَلَيْن خاصة كما ذهب إِليه الزمخشري - رحمه الله تعالى - لاشتقاقه من العِلْم، وإِن قلنا بعدم اختصاصه بهم وأَنه اسم لِمَا سِوَى الله تعالى - وهو الصحيح - لأنه مشتق - من العلاَمة بمعنى أَن كل موجود يدل على وجود الباري سبحانه وتعالى، فليس العالمون جمعاً له لأَنه عامّ والعالمون خاص بمن يعقل، والجمع لا يكون أَخصَّ من المفرد؛ ولذا قال سيبويه - رحمه الله تعالى -: ليس الأَعراب الذين هم من أَهل البادية جمعاً للعرب الذين يطلقون عليهم وعلى أَهل القرى.

قال الإِمام البغَوِيّ رحمه الله تعالى: «وقد اختُلف في مبلغ العوالم فعن سعيد بن المسيب. أَلف: ستمائة في البحر، وأَربعمائة في البرّ. وقال مُقَاتِل: ثمانون أَلف عالم: أَربعون في البر، وأَربعون في البحر. وقال كعب: لا يحصِي عددَ العوالم إِلا الله تعالى **﴿وما يَعْلَم جُنودَ رَبِّك إِلا هو﴾**».

إِمام العامِلين: جمع عامِل أَي العُبَّاد.

إِمام المتَّقين: أَي الذين يقتدون به ويتبعون هَدْيه: جمع مُتَّقٍ، وهو من اتقى الشرك وتجنَّب الشَّك والمخالَفات. وتقدَّم في إِمام الخير.

«إِمام النبيين».

«إِمام الناس»: روى الإِمام أَحمد والترمذي عن أبي بن كعب - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: **«إِذا كان يوم القيامة كنتُ إِمامَ النبيين وخطيبهم وصاحب شفاعتهم غير فخر»** ولفظ الإِمام أَحمد: كنت إِمام الناس(١).

ونكتة تخصيصه بيوم القيامة يأتي في اسمه ﷺ: «سيِّد الناس».

«الأَمان»: روى الإِمام أَحمد والترمذي عن أَبي موسى - رضي الله تعالى عنه - قال: أَمَانان كانَا على عَهد رسول الله ﷺ رُفع أَحدهما وبَقِي الآخر **﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيعَذِّبَهُم وَأَنْتَ فِيهِم وَمَا كَانَ الله مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرون﴾**.

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٦١٣) وابن ماجة (٤٣١٤) وأحمد في المسند ١٣٧/٥، والحاكم في المستدرك ٧١/١، وابن عدي في الكامل ١٤٤٨/٤.

ولفظ الترمذي: قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيَّ أَمَانَيْنِ لأُمَّتِي**» فذكره. وزاد: «**فَإِذَا مَضَيْتُ تَرَكْتُ فِيكُمْ الاسْتِغْفَارَ إِلى يَوْمِ القِيَامَةِ**»(١).

وكان رسول الله ﷺ أماناً لأمته وقومه من العذاب؛ إذ درأه الله تعالى عنهم بسبب كَوْنه فيهم. قال بعضهم: النبي ﷺ هو الأَمان الأَعْظم ما عاش وما دامت سُنَّته باقية فهو باق، فإذا أُميتت فانتظروا البلاء والفِتَن!.

«**الأَمَنة**»: روَى البيهقي عن أَبي موسى - رضي الله تعالى عنه - قال: رفع رسولُ الله ﷺ رأْسه إِلى السماء فقال: «**النجومُ أَمَنة السماء فإِذا ذهبت النجوم أَتى السماء ما تُوعد، وأَنا أَمَنة أَصحابي فإِذا ذهبتُ أَتى أَصحابي ما يوعدون، وأَصحابي أَمنةٌ لأمتي فإِذا ذهب أَصحابي أَتى أُمتي ما يوعدون**»(٢).

والأُمَنة بضم الهمزة وفتح الميم وبفتح الهمزة أَيضاً: الوافر الأَمانة الذي يؤتمن على كل شيء. وسمي ﷺ بذلك لأَن الله تعالى استأمنه على وحيه. أَو الحافظ أَي حافظ لأَصحابه يدفع به الله قيل من البدع وقيل من الاختلاف والفتن، ولا ينافي هذا قوله ﷺ: «**إِذا أَراد الله بأمة رحمةً قَبض نبيَّها قَبلَها**» لاحتمال أَن يكون المراد برحمتهم أَمْنهم - من المسْخ والخسف ونحو ذلك من أَنواع العذاب، وبإِتيان ما يوعَدون من الفتن بينهم بعد أَن كان بابها مُنْسدًّا عنهم بوجوده ﷺ أَو معنى الأَمن كما في قوله تعالى: ﴿**إِذ يُغَشِّيكم النعاسَ أَمَنةً مِنه**﴾ وسمي به ﷺ لأَنه أَمان المؤمنين من العَذاب والكافرين من الخَسْف والعقاب.

«**الأُمَّة**»: الجامع للخير المقتدَى به أَو المعلِّم للخير. وأَصل الأُمة: الجماعة. وسمي به ﷺ كما سمِّي به إِبراهيم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام لأَنه اجتمع فيه ﷺ من الأَوصاف الحميدة والخصال الجميلة ما لم يجتمع في أُمة كثيرة من الناس.

الٓمٓ. الٓمٓرٓ. الٓمٓصٓ ذكرها «د» والمشهور أَنها من أَسماء الله تعالى فإِن صحَّ ما قاله كانت مما سمَّاه الله تعالى به من أَسمائه وقد بسطتُ الكلام على ذلك في كتاب «القول الجامع الوجيز الخادم للقرآن العزيز».

«**الأَلْمعِيّ**»: بالهمز أَوله والياء آخره: الحديد القلْب واللسان، الذكيّ المتوقِّد، مأخوذ من لَمْع النار وهو لهبها وإِضاءتها كأَنه لفرط ذكائه إِذا لمع أَول الأَمر عَرف آخره كما قال أَوْسُ بْنُ حُجْرٍ(٣):

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٠٨٢) وانظر الشفا ١١٨/١، الدرر المنثور ١٨١/٣.

(٢) أخرجه مسلم ١٩٦١/٤ كتاب الفضائل (٢٠٧- ٢٥٣١)، وأحمد في المسند ٣٩٩/٤.

(٣) هو أوس بن حجر بن عتاب قال أبو عمرو بن العلاء: كان أوسٌ فحل مضر حتى نشأ النابغة وزهير فأخملاه. انظر الشعر والشعراء ٢٠٢/١، والأغاني ٤٧/٨، ١٥٨/٧، ٩٣/١٤، ٥/١٠: ٨.

الأَلْـمَـعِـيُّ الَّـذي يَـظُـنُّ بِـكَ الـظَّـنَّ كَـأَنْ قَـدْ رَأَى وَقَـدْ سَـمِـعَـا

ومثله الأَلْمَع بلا ياء. واليَلْمَع بالتحتية أَوله كيسمع. واليلمعي بياءين أَوله وآخره. هذا هو الصحيح المشهور، الموجود في نسخ القاموس المعتمدة وغيره من كتب اللغة. وأَما ما في بعض نسخه تبعاً لقول الليث: اليلمع: الكذَّاب مأخوذ من اليلمع وهو السَّراب فخطأ باطل. كما قال الأَزهري وغيره من أَئمة اللغة، مستدلاً بأَن العرب لم تضعه إلا في موضع المدح. قال: وما علمت أَحداً من أَئمة اللغة قال كما قاله الليث رحمه الله تعالى.

«**الآمِن**»: بالمد وكسر الميم كصاحب: الخالص التقي والشريف النقي، وهو اسم فاعل من الأَمن وهو طمأنينة النفس وزوال الخوف كالأَمان والأَمانة. يقال أَمِن كفرح أَمْناً وأَمَاناً بفتحهما وأَمَناً وأَمَنةً محركين وإِمْناً بالكسر فهو آمن وأَمِن كفَرِح، وأَمين كأمير.

وسمِّي به ﷺ لأَن الله تعالى أَمَّنه يوم القيامة فقال تعالى: ﴿**يَوْم لا يُخْزي الله النبيَّ**﴾ والحكمة في ذلك أَن يفرغ إلى شفاعة أُمته إذا قال سائر النبيين: نَفْسي نفسي، ولو لم يؤمنه كان مشغولاً كغيره من الأَنبياء. انتهى.

وقد ورد في تأمينه ﷺ حديث رواه الطبراني في الأَوسط بسند واهٍ. ولأَنه ﷺ كان آمناً من شر الخلق وكيدهم، لأَن الله تعالى عصَمه من الناس وحمَاه منهم. كان ﷺ إذا خرج بعث معه عمُّه أبو طالب من يَكْلأه حتى نزلت ﴿**والله يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاس**﴾ فذهب ليبعث معه فقال: يا عمّ قد عصمني الله فلا حاجة لي بذلك. كذا في شرح النظم، وفيه نظر لقوله بعد: إن الآية نزلت في عام تبوك وأَبو طالب ـ مات قبل الهجرة. والله تعالى أَعلم.

ولا يُستشكَل ذلك بقوله ﷺ: «**ما زالت أَكْلة خيبر تُعادّني فقطعت أَبْهَري**» لأَن الآية نزلت عام تبوك والسم قبلها بخيبر، ولا ما وقع له من الأَذى يوم أُحُد[1] لأَن المراد يعصمك من القتل وعليه أَن يحتمل ما دون النفس. وأَما أَمْره بعد ذلك بالحراسة فللتشريع.

قوله: «**تُعَادّني**» قال في الصحاح: العِدَاد: اهتِياج وَجع اللديغ وذلك إذا تمّت له سَنة مُذْ يوم لُدِغ اهتاج به الأَلم، يقال عادّته اللسعة: إذا اشتد العداد.

«**الأَمين**»: ذكره ابن فارس. ومعناه: القوي الحافظ الذي يوثق بأَمانته ويُرغب في ديانته، فَعيل بمعنى فاعل من أَمُن ككرم فهو أَمين وأُمَّان كرُمَّان. قال الله تعالى: ﴿**إنَّه لقَولُ رسولٍ كريم ذي قوةٍ عند ذي العرش مَكِين مطاعٍ ثَمَّ أَمين**﴾ في أَحد القولين، ونسبه القاضي لأَكثر المفسرين، أَن الرسول المذكور: محمد ﷺ.

---

(١) أخرجه ابن عدي في الكامل ١٢٣٩/٣ والذهبي في الميزان (٣٢٦٣) وذكره المتقي الهندي في الكنز (٣٢١٨٩).

وقد كان يُدْعى بذلك في صغره لوقاره وصِدْق لهجته وهديه واجتناب القاذورات والأَدناس. قال كعب بن مالك فيه ﷺ:

أَمِينٌ مُحَبٌّ في العِبَادِ مُسَوَّمٌ ... بِخَاتَمِ رَبٍّ قَاهِرٍ لِلْخَوَاتِمِ

وسيأتي قولُ قريش عند إرادة بناء البيت[1]: هذا الأَمين إن شاء الله.

روى مسلم عن أَبي سعيد الخدري ـ رضي الله تعالى عنه ـ مرفوعاً: **«أَلا تأمنوني وأَنا أمين من في السماء يأتيني خبرُ من في السماء صباحاً ومساء»**[2] وسمّي ﷺ بذلك لأَنه حافظ الوحي قوي على الطاعة.

أَو: المأمون. أَي المؤتمن بفتح الميم، فعيل بمعنى مفعول من الائتمان وهو الاستحفاظ والوثوق بالأَمانة، يقال: أَمِنه كسمعه وأَمَّنه وائتمنه واستأمنه أَي استحفظه ووثق بأَمانته فهو أَمين ومأمون، أَي موثق به. وسمّي ﷺ بذلك لأَن الله تعالى ائتمنه على وحيه وجعله واسطة بينه وبين خَلْقه وكساه من الأَمانة التي هي ضد الخيانة حُلَّة وافرة وتَوَّجه بتاج الصدق المرصَّع بدررها الفاخرة. والمراد في قوله تعالى: **﴿إِنا عَرضْنَا الأَمَانَةَ على السموات والأَرض﴾** الفرائض المفروضة. وقيل: النية القلبية لأَن الله تعالى ائتمن العباد عليها، ولم يُظْهرها لأَحد من خَلْقه، فمن أَضمَر التوحيد مثل ما أَظهره فقد أَدى الأَمانة، ومن لا فلا. وقيل: المراد بها العقل. وقيل: العدالة. وقيل غير ذلك.

«الأُميّ»: قال تعالى: **﴿الذين يتَّبعون الرسولَ النبيَّ الأُميَّ﴾** وهو الذي لا يُحْسن الكتابة، كما في الحديث: **«إِنَّا أُمة أُمّية لا نَحْسب ولا نكتب»** نسبة إِلى الأمّ كأَنه على الحالة التي ولدته أمُّه. وكانت الأمية في حقه ﷺ معجزةً وإِن كانت في حق غيره ليست كذلك. قال القاضي ـ رحمه الله ـ: لأَن معجزته العظمى القرآن العظيم إِنما هي متعلقة بطريق المعارف والعلوم مع ما مُنح ﷺ وفضِّل به من ذلك. ووجود مثل ذلك ممن لا يقرأ ولا يكتب ولا يُدَارِس ولا لُقِّن مُقتضى العجب ومنتهى العِبَر ومُعْجزة البشر، وليس فيه إِذ ذاك نقيصة، إِذ المطلوب من القراءة والكتابة المعروفة ليست المعارف والعلوم إِلى آخر ما تقدم، وإِنما هي آلة ووساطة موصِّلة إِليها غير مرادة في نفسها، فإِذا حصلت الثمرة والمطلوب استُغني عن الواسطة.

تنبيـــه:

قال القاضي ـ رحمه الله ـ: من وصَف النبيَّ ﷺ بالأُمّية أَو نحوها من اليُتم وما جرى

---

(١) في أ: الكعبة.

(٢) أخرجه البخاري ٣٢٦/٥ كتاب المغازي (٤٣٥١)، ومسلم ٧٤٢/٢ كتاب الزكاة (١٤٤ـ ١٠٦٤).

عليه من الأَذى، فإن قصد بذلك مقصده من التعظيم والدلالة على نبوّته ﷺ ونحو ذلك كان حسناً، ومن أَراد ذلك على غير وجهه وعُلم منه سوء قَصْده لحق بما تقدم، أَي بالسابّ فيُقتل أَو يؤدَّب بحسب حاله. ولهذا مزيد بيان يأْتي في الخصائص إن شاء الله تعالى.

الأَمّيّ: بفتح الهمزة قرئ بها. قال ابن عطية - رحمه الله -: هو منسوب به إلى الأَمّ بمعنى القصد، أَي أَن هذا النبي مَقْصد للناس وموضع أَمّ، يَؤُمّونه في أَفعالهم وشَرْعهم. فعلى هذا يكون اسماً آخر. وقال ابن جِنّي: يحتمل أَنه بمعنى الأُميّ غُيِّر تغيير النَّسَب فيكون لغة أخرى لا اسماً آخر.

«**أَنْعُم الله**»: بفتح الهمزة وضم المهملة، جمع نِعْمة في الأَصل وهي الإِحسان وسمّي بذلك لأَنه نعمة من الله تعالى على عباده وبعثه رحمة لهم، وحصل بوجوده للخَلْق نِعَم كثيرة منها الإِسلام والإِنقاذ من الكُفْر والأَمْن من الخَسْف.

«**أَنْفَس العَرَب**»: قال الله تعالى: ﴿**لقد جاءكم رسولٌ من أَنْفَسِكم**﴾ على قراءة الفتح، وقد روى الحاكم عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أَن رسول الله ﷺ قرأَ: «**أَنفَسكم**» بفتح الفاء أَي من أَعْظمكم قَدْراً.

وأَنْفس: أَفْعل من النَّفَاسة وهي الشَّرف والعلوّ والعز، ومنه: دُرٌّ نَفِيس أَي عزيز المثل.

والجمهور أَن المخاطب بهذه الآية العرب، وإذا كان ﷺ أَنفَسهم كان أَنفس الخَلْق، لأَنهم أَفضل من غيرهم ولكن إنما فضلهم برسول الله ﷺ لكونه منهم قال الشاعر:

وَكَمْ أَبٍ قَدْ عَلاَ بِابْنٍ ذُرَى شَرَفٍ ... كَمَا عَلَتْ بِرَسُولِ اللّهِ عَدْنَانُ

«**أَوْفَى الناس ذِمَاماً**»: بكسر الذال المعجمة أَي أَكثرهم حُرْمة وأَشدهم مهابة قال حسان - رضي الله تعالى عنه -:

وَمَا حَمَلَتْ مِنْ نَاقَةٍ فَوْقَ رَحْلِهَا ... أَبَرَّ وَأَوْفَى ذِمَّةً مِنْ مُحَمَّدِ

«**الأَنْورَ المتجرِّد**»: أَي المشرق. والمتجرَّد بفتح الراء: كل ما يتجرد عنه من بدنه فيُرى.

«**الأَوَّاه**»: بتشديد الواو. قال ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما -: كان رسول الله ﷺ يدعو: «**ربِّ اجعلني شَكّاراً لك ذكّاراً لك رهّاباً لك مِطْواعاً لك مُخْبتاً لك أَوّاهاً منيباً**»[1] الحديث. قد اختُلف في معنى الأَوّاه على أَقوال حاصلها: أَنه الخاشع المتضرع في الدعاء المؤمن التوّاب والموقن المنيب الحفيظ بلا ذَنْب، المسبّح المستغفر بلا خطأ، الحليم

(١) أخرجه أحمد في المسند ١/٢٢٧، وابن حبان (٢٤١٤).

الرحيم المطيع المستكنّ إلى الله تعالى، الخائف الوجِل الذاكر التالي للقرآن، وهو ﷺ متصف بجميع ذلك.

«**الأَوسط**»: العادل أو الخيار من كل شيء ويرحم الله تعالى القائل:

يَا أَوْسَطَ النَّاسِ طُرًّا في تَفَاخُرِهِمْ وَفِي تَفَاضُلِهِمْ يَا أَشْرَفَ العَرَبِ

وقد وصف الله تعالى أمته ﷺ بذلك فقال: ﴿**وكذلك جعلْناكم أُمَّةً وسَطا**﴾ أي عدولاً خياراً وأَهل دين وسط بين الغُلوّ والتقصير.

«**الأَوْلَى**»: أَي الأَولى بالمؤمنين من أَنفسهم أَي أجدر وأَحرَى في كل شيء من أمور الدنيا والدين من أَنفسهم. وسيأتي لهذا مزيد بيان في الخصائص إن شاء الله تعالى.

«**الأَوَّل**»: السابق المتقدم على غيره، أَو الذي يُقْتَدى به، وهو هنا غير مصروف لكونه جُعل علماً له ﷺ ولوزن الفعل، ثم هو عند البصريين صفة جارية في اللفظ مطلقاً مجرى أَسْبَق الذي هو أَفعل تفضيل من السَّبْق فيلزم إفراده وتذكيره وإيلاؤه من حيث جُرّد من اللام، وإن نويت إضافته بني على الضم.

«**الآخر**»: ضد الأَول: اسم فاعل من التأَخر ضد التقدم. وفي حديث أَنس عند البيهقي في قصة الإسراء: ثم لقي خَلْقاً من خَلْق الله تعالى فقالوا: السلام عليك يا أَوَّل، السلام عليك يا آخر، السلام عليه يا حاشِر، فقال له جبريل: اردد السلامَ يا محمد.

وفي حديث أَبي هريرة في الإسراء عند البزار: «وجعلتُك أَوّلَ النبيين خَلْقاً وآخرهم بَعْثاً».

روى مسلم عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ القِيَامَةِ وَأَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الأَرْضُ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ، وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ**»[1].

وهذان الاسمان من أَسمائه تعالى. ومعنى الأَول في حقه: السابقُ للأَشياء قبل وجودها بلا بداية والآخر للأَشياء بعد فنائها بلا نهاية. قال القاضي: وتحقيقه أَنه ليس له أَوّل ولا آخر.

«**أَوّل الرُّسل خَلْقاً**».

«**أَوّل شافع**»: أَي طالب للشفاعة.

«**أَول مُشَفَّع**»: بفتح الفاء: الذي يشفع فتُقْبل شفاعته وهي السؤال في التجاوز عن المذنبين ويأتي الكلام عليه في أَبواب حشره ﷺ.

---

(١) أخرجه مسلم ١٧٨٢/٤ كتاب الفضائل (٣- ٢٢٧٨).

«**أَوّل المسلمين**»: أي المقتدَى به في الإِسلام.

«**أَول من تنشق عنه الأرض**»: يأتي الكلام عنه في أَبواب حشره ﷺ.

«**أَول المؤمنين**»: أَي المقتدي به في الإِيمان.

«**آية الله**»: ذكره الشيخ رحمه الله تعالى ولم يزد فيه.

روى ابن المنذر عن مجاهد رحمه الله تعالى في قوله تعالى: ﴿**سَنُريهم آياتِنَا فِي الآفَاقِ**﴾ قال: محمد ﷺ لأَنه العلامة الظاهرة. قال الراغب رحمه الله تعالى: واشتقاقها من أَي لأَنها تبين شيئاً من شيء أَو من أَوى إِليه لأَنه يُؤْوَى إِليها ليُستدل بها على المطلوب.

وسمي بذلك لأَن الله تعالى جعله علَماً على طريق الهدى، وعلَماً يستدل به على الفوز الأَبَدي ويُقْتدى به وقرئ «**إِن الذين كفروا بآيةِ الله لهم عذابٌ شديد**» قيل المراد بها سيدنا محمد ﷺ.

حرف الباء

«**البارع**»: من بَرع الشيء مثلث الراء بَراعةً وبُروعاً: إِذا فاق أَقرانه فضلاً وعِلْماً ورجح عليهم حلماً وحُكْماً.

«**البارِقْليط**»: بباء موحَّدَة فأَلف فراء مكسورة فقاف ساكنة فلام فمثناة تحتية فطاء مهملة. قال القاضي: هو اسمه ﷺ في الإِنجيل، ومعناه روح القُدس وقال ثعلب: الذي يَفْرق بين الحق والباطل، وقيل: الحامد، وقيل الحمَّاد؛ وقال الشيخ تقي الدين الشُّمُنِّي رحمه الله تعالى: وأَكثر أَهل الإِنجيل على أَن معناه المخلِّص.

«**الباطن**»: المطَّلع على بَواطن الأُمور بالوحي، وهو من أَسمائه تعالى، ومعناه المستتر عن الأَبصار فلا نراه، والمطَّلع على بواطن الأُمور فلا يعتريه فيها اشتباه. وقيل الباطن بذاته والظاهر بآياته. وقيل: الذي لا تُدْرك كنهه العقولُ ولا تدركه الحواس.

وكان معناه في حقه ﷺ: الذي لا تُدْرك غايةُ مقامه وعِظَم شأنه الذي خصه الله تعالى به لقصر العقول عن ذلك. وقد أَشار إِلى ذلك صاحب البردة رحمه الله تعالى بقوله:

أَعْيَى الوَرَى فَهْمُ مَعْنَاهُ فَلَيْسَ يُرَى ... لِلْقُرْبِ وَالبُعْدِ فِيهِ غَيرَ مُنْفَحِمِ
كَالشَّمْسِ تَظْهَرُ لِلْعَيْنَيْنِ مِنْ بُعُدٍ ... صَغِيرَةً وَتُكِلُّ الطَّرْفَ مِنْ أَمَمِ[1]
وَكَيْفَ يُدْرِكُ في الدُّنْيَا حَقِيقَتَهُ ... قَوْمٌ نِيَامٌ تَسَلَّوْا عَنْهُ بِالحُلُمِ

---

(١) من أمم: الأَمَمُ: مقابل الشيء، المعجم الوسيط ٢٧/١.

فَمَبْلَغُ العِلْمِ فِيهِ أَنَّهُ بَشَرٌ وَأَنَّهُ خَيْرُ خَلْقِ اللَّهِ كُلِّهِمِ

ﷺ وزاده شرفاً وفضلاً لديه.

«**البالغ**».

«**البيان**»: ذكرهما شيخنا أبو الفضل القَسْطَلاَّني رحمه الله تعالى.

«**الباهر**»: بالموحدة آخره راء في قصص الأَنبياء للكسائيّ أَن الله سبحانه وتعالى قال لموسى ﷺ: إن محمداً هو البَدْر الباهر؛ أي لأَنه بهر بنوره نورَ الأَنبياء أَي غلبه في الإِضاءة لكثرة الانتفاع به والاقتباس منه، مأْخوذ من قولهم بَدْرٌ باهرٌ. أَي غالبٌ نورُه نورَ الكواكب. أَو لأَنه ﷺ غلَب بحسنه جميع الخلائق من قولهم بهرَتْ فلانة النساء أَي غلبتهن حسناً أَو لأَنه ظاهر الحجة من قوله:

لَقَدْ بَهَرْتَ فَلاَ تَخْفَى عَلَى أَحَدٍ إلاَّ عَلَى أَكْمَهٍ لاَ يَعْرِفُ القَمَرَا

«**الباهي**»: الحسن الجميل. اسم فاعل من البهاء والحسن. والرونق، يقال: بَهِي كرَضِي فهو باهٍ وبَهِيّ وإِعلاله كإِعلال قاض.

«**البحر**»: في الأَصل: خلاف البَرّ ثم غلبَ على الماء الكثير الواسع العُمْق، ويطلق على كل نهر عظيم، ويقال للفَرس الواسع الجرْي بَحْر.

وسمي به ﷺ كما في قصص الأَنبياء للكسَائِيّ لأَن الله سبحانه وتعالى قال لبعض أَنبيائه إن محمداً البحرُ الزاخر. أَي لعموم نَفْعه لأَنه طاهر في نفسه مطهِّر لغيره ممن اتبعه، ولسعة كرمه، فقد قال أَنس رضي الله تعالى عنه: ما سُئِل رسول الله ﷺ على الإِسلام شيئاً إلا أَعطاه. قال: فسأَله رجل غنماً بين جبلين فأَعطاه إِياها، فأَتى قومه فقال: يا قوم أَسلموا فوالله إِن محمداً لَيعطى عطاء من لا يخاف الفقر[1].

ولهذا مزيد بيان يأْتي في باب كرمه ﷺ.

«**البَدْءُ**»: بدال مهملة مهموز: السيد الذي يُبدأ به إِذا عُدَّت السادات لكونه أَجلَّهم.

«**البديع**»: صفة مشبَّهة من «أَبْدَعَ» المتعدي بجعله لازماً مَنْقولاً إِلى فَعُل أَي المبدَع في الحسن والجمال أَي المستقل بذلك والمنفرد به، وهو من أَسمائه تعالى. ومعناه موجِد الشيء بغير آلة ولا مادة.

«**البَدْر**»: القمر المستكمِل، سُمّي بَدْراً لتمامه ﷺ ولكماله وعلوّ شرفه. وفي قصص

(١) أخرجه مسلم ١٨٠٦/٤ كتاب الفضائل (٥٧- ٢٣١٢).

الكسَائيّ أَن الله تبارك وتعالى قال لموسى في مناجاته: إِنَّ محمداً هو البَدْر الباهر والنجم الزاهر والبحر الزاخر.

«البَرّ»: بفتح الموحدة اسم فاعل من البِرّ بالكسر وهو الإِحسان أَو الطاعة أَو الصِّدْق. ومثله المبرَّة، يقال بَرِرْتُ والدي بالكسر أَبَرّه بِرًّا فأَنا بَرّ وبارّ وجمع البَرّ: الأَبرار. وجمع البارّ البَرَرَة. وفلان يبَرّ خالقه أَي يطيعه، وبَرَّ في يمينه أَي صدَق.

وعن إِدريس النبي ﷺ: مِن أَفْضل البر ثلاثة: الصدق في الغضب، والجُود في العسرة، والعفو عند المقدرة.

وقال النبي ﷺ: **«البِرُّ حُسْن الخلق»**. وسمي ﷺ به لأَنه كان من ذلك بمكان[1].

وهو من أَسمائه تعالى ومعناه البالغ في الإِحسان والصادق فيما وعد.

البَرْقَليطِس: قال ابن إِسحاق ومتابعوه رحمهم الله تعالى: هو محمد ﷺ بالرومية. قال الشيخ رحمه الله تعالى ورأَيته مضبوطاً بفتح الباء الموحدة وكسرها وفتح القاف وكسر الطاء.

«البُرْهان»: روى ابن أَبي حاتم عن سُفيان بن عُيَيْنة رحمه الله تعالى في قوله تعالى: **﴿قد جاءكم بُرْهانٌ من ربِّكم﴾** قال: هو محمد ﷺ وجزم به ابن عطية والنسَفي ولم يَحْكيا غيره.

والبرهان في اللغة: الحجة. وقيل: الحجة النيِّرة الواضحة التي تُعطي اليقين التام. والنبي ﷺ برهان بالمعنيين لأَنه حُجّة الله تعالى على خَلْقه وحجة نَيِّرة واضحة لما معه من الآيات والمعجزات الدالة على صدقه. وهذا الاسم مما سمَّاه الله تعالى به من أَسمائه فإِنه منها، كما ورد في حديث ابن ماجة.

«البشَر»: بشين معجمة محركة في الأَصل: الإِنسان لظهور بشَرته وهي ظاهر الجلد من الشعر، بخلاف سائِر الحيوانات لأَنها مستترة الجلد بالشَّعر والصوف والوبَر.

وسمِّي به ﷺ لأَنه أَعْظم البشر وأَجلُّهم كما سمِّي بالناس من تسمية الخاص باسم العام قال تعالى: **﴿قُلْ إِنما أَنا بَشَر مِثْلكم﴾** نبّه تعالى بذلك على أَن الناس متساوون في البشَرية غير متفاضلين في الإِنسانية، وإِنما يتفاضلون بما يتخصصون به من المعارف الجليلة، ولذا قال بعده **«يوحَى إِليّ»** تنبيهاً على الجهة التي حصل بها الفضل عليهم، أَي أَني تميّزت عليكم وخُصصت من بَيْنكم بالوحي والرسالة.

---

(١) أخرجه مسلم ١٩٨٠/٤ كتاب البر والصلة (١٤. ٢٥٥٣)، والترمذي (٢٣٨٩)، وأحمد في المسند ١٨٢/٤، والبيهقي في السنن ١٤٢/١٠، والحاكم في المستدرك ١٤/٢.

«بشرى عيسى»: بضم الموحدة وسكون الشين المعجمة فُعْلى من البشارة وهي الخبر السّار أَي المبشَّر به قال الله تعالى حاكياً عن عيسى ﷺ: ﴿ومبشِّراً بِرَسُول يأتـي مِنْ بَعْدي اسْمُهُ أَحْمد﴾.

وفي المستدرَك أَن النبي ﷺ قال: «أَنا دَعْوة أَبـي إِبراهيم وبشرى عيسى»[(١)].

فـائـــدة:

الأَنبياء المبشَّر بهم خمسة: محمد، وعيسى، وإِسحاق، ويعقوب ويحيى صلى الله وسلم عليهم أَجمعين.

«بِمُأْذْبِمُأذ»: بكسر الباء وسكون الميم وضم الهمزة وسكون المعجمة. عَزَاه «د» للسِّفر الأَول من التوراة قال: فالباء باثنين، والميم بأَربعين، والأَلف بواحد، والذال في حسابهم بأَربعة كالدال المهملة، والميم الثانية بأَربعين والأَلِف بواحد، والذال بأَربعة فتبلغ اثنين وتسعين وهو موافق في العدد بالجُمَّل لاسم النبي ﷺ.

وذكر القاضي في الشِّفاء «ماذماذ» بالميم أَوله. قال الشيخ: وأَخشى أَن يكون هو هذا فتحرَّف. قلت: ونقله ابن القيّم في «جِلاء الأَفهام» عن نص التوراة وعن نص بعض شُرّاحها من مؤمني أَهل الكتاب، وذكر الكلام الذي ذكره «د» فيكون صوابه ماذماذ فصحَّ ما قاله الشيخ رحمه الله تعالى.

«البليغ»: الفصيح الذي يَبْلغ بعبارته كنه ضميره.

«البَهاء»: بالمد: العز والشرف. سمي به ﷺ لأَنه شرف هذه الأُمة وعِزها.

«البَهِيّ»: بالموحدة كالعليّ: الحسن العاقل. تقول بَهِي الرجل بكسر الهاء وبهُو بضمها فهو بهِي بالكسر.

«البَـيِّنة»: الحجة الواضحة. قال تبارك وتعالى: ﴿لَـمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الـكِتَاب والـمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ حَتَّـى تَأْتِـيَهُـمُ آلبَـيِّنَة رسولٌ من الله﴾ أَي محمد ﷺ، فرسول بدل أَو عطف بيان للبيِّنة.

قال ابن عطية رحمه الله تعالى: والهاء في البيِّنة للمبالغة كهاء عَلاَّمة ونسابة.

«البَـيَان»: الكَشْف والإِظهار أَو الفصاحة أَو اجتماعها مع البلاغة وإِظهار المقصود بأَبلغ لفظ، يقال فلان أَبْيَنَ من فلان أَي أَفصح منه قيل: والفرق بينه وبين التِّبْيان الذي هو مِفْعال

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ٢/٦٠٠.

بكسر التاء أَن البيان إِظهار بغير حجة: والتبيان الإِظهار بالحجة. أَو هو بمعنى المبيِّن أي المظهر للناس ما أُمروا به ونُهوا عنه والموضِّح لهم ما خَفِي عليهم من أَمر دينهم.

حرف التاء

«**التالِي**»: المتَّبع لمن تقدمه. قال تعالى: ﴿**ثم أَوْحَيْنا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً**﴾ أَو من التلاوة وهي القراءة، قال تعالى: ﴿**كما أَرسلنا فيكم رسولاً منكم يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنا**﴾ أَي القرآن.

«**التَّذْكِرة**»: ما يتذَّكر به الناسِي وينتبه به الغافل، مصدر ذكَّره مضاعفاً. قال الراغب وهي أَعمّ من العلاَمة والدليل، لأَنهما يختصان بالأمور الحسّية، والتذكرة لا تختص بذلك بل تكون للأمور الذهنية أَيضاً. وسمي بذلك لما تقدم. قال تعالى: ﴿**وإِنَّه لَتَذْكِرَةٌ للمتَّقين**﴾ قيل: المراد سيدنا محمد ﷺ.

«**التقي**»: قال القاضي: وجد على الحجارة القديمة مكتوب: «محمد تقي مُصْلح سيِّد أَمين» وهو فَعِيل من التقوى. وسيأتي لهذا مزيد بيان في المتقي.

«**التلقيط**»: ذكره «ع» وقال: هو اسمه في كتب الروم.

«**التنزيل**»: هو بمعنى المنزَّل أَي المرسَل أَو المنزل إِليه أَي الموحى إِليه القرآن. قال تعالى: ﴿**تنزيلٌ من ربّ العالمين**﴾ قيل هو محمد. وقيل القرآن، فعلى الأَوّل هو بمعنى قوله تعالى: ﴿**رسولٌ من الله**﴾.

«**التِّهَامي**»: بكسر التاء نسبة لتهامة «ع» وهو من أَسماء مكة وتهامة من مكة. وتهامة: ما نزل عن نجد من بلاد الحجاز، سميت بذلك لتغير هوائها يقال تَهِم الدُّهْن. إِذا تغيَّر وقال ابن فارس: هي من تَهَم بفتحتين وهي شدة الحر وركود الريح.

حرف الثاء

«**ثاني اثنَيْن**»: أخذ من الآية، أَي أَحد اثنين، وهما رسول الله ﷺ وأَبو بكر الصِّديق رضي الله تعالى عنه: وفي هذه الآية الدليل الواضح على شدة مبالغته ﷺ في الأَدب مع ربه تعالى ومحافظته عليه في حال يُسْره وعُسْره حيث قدَّم في هذا المقام اسم ربه استلذاذاً به وإِجلالاً له.

«**الثِّمال**»: ذكره «ط» ولم يتكلَّم عليه. وهو بكسر المثلثة وتخفيف الميم: العِمَاد والملجأ والمغيث والمعين والكافي؛ قال جده يمدحه:

وأَبْيَضُ يُسْتَسْقَى الغَمَامُ بِوَجْهِهِ ثِمَالُ اليَتَامَى عِصْمَةٌ لِلأَرَامِلِ

وعصمة الأَرامل أَي يمنعهم بما يضرهم. قال ذلك جده والنبي ﷺ في حال الطفولية لمَا توسَّمه فيه من الخير وتنسَّمه من البركة. وقد يستدل بالظاهر على الباطن كما قال:

وَقَلَّ مَنْ ضُمِّنَتْ خَيْراً طَوِيَّتُهُ ... إِلاَّ وَفِي وَجْهِهِ لِلْخَيْرِ عُنْوَانُ

أَو بضمها. ومعناه: المنقطع إِلى الله تعالى الواثق بكفايته.

حرف الجيم

«الجامع».

«الجبَّار»: قال: «ياد»: سماه الله تعالى به في كتاب داود فقال: تقلَّد سيفك أَيها الجبار فإِن ناموسك وشرائعك مقرونة وشرائعك مقرونة بهيبة يمينك.

ومعناه في حق الله تعالى: المصلح للشيء، أَو المصلح له بضَرْب من القهر، أَو العلي العظيم الشأن وقيل المتكبِّر.

ومعناه في حقه ﷺ: إِما لإِصلاحه الأمة بالهداية والتعليم، أَو القهر لأَعدائه أَو لعلوّ منزلته على البشَر وعظم خطره، ونفى عنه تعالى جَبْرية التكبر التي لا تليق به فقال تعالى: ﴿**وما أَنْتَ عَلَيْهِم بجَبَّار**﴾ انتهى.

وفي الصِّحَاح الجَبْر: أَن تُغْني الرجلَ من فقر أَو تصلح عَظْمه من الكسر، وأَجْبرته على الأَمر أَكرهته، وقال ابن دُرَيْد: الجبَّار العظيم الخُلق، والجبار المسلَّط على الناس، وبه فَسَّر ابن عباس: «وما أَنت عليهم بجبَّار» أَي بمسلَّط. قال: وهو منسوخ بآية القتال. قال الشيخ رحمه الله تعالى: فيكون حينئذ جباراً بمعنى المسلَّط بعد أَمره بالقتال، وهو الذي يناسب سِياق الزَّبُور. وقال في الشرح: أَو المراد ما أَنت بمُكْرِه لهم على الإِيمان إِنما أَنت داع وهاد.

«الجَدّ»: بفتح الجيم وضمها: العَظيم الحظّ الجليل القَدْر، أَو بكسرها وفتحها أَيضاً بمعنى الحظ والحظوة. أَي صاحب الحظ العظيم عند الخلْق والحظوة عند الحق. أو بكسرها فقط بمعنى الاجتهاد في الأَمر أَي ذو الاجتهاد في العبادة ودأب النفس في طلب السيادة.

«الجليل»: صفة مشبهة أَي العظيم. وقيل هو من كملت صفاته. والعظيم: من جلَّت صفاته وكبرت ذاته، وفرق بين الجلال والجمال بأَنه صفة سلبية والجمال صفة ثبوتية وهو من أَسمائه تعالى، ومعناه المنعوت بنعوت الجلال فهو راجع إِلى كمال الصِّفات، كما أَن الكبير راجع إِلى كمال الذات والعظيم راجع إِلى كمالهما قاله ابن الأَثير.

قال الكِرْماني: فإِن قيل: ما الفرق بين الجلال والعظمة والكبرياء؟ قيل: هي مرادفة. وقيل نقيض الكبير الصغير ونقيض الجليل الدقيق. ونقيض العظيم الحقير - وبضدها تتبيّن الأَشياء.

وإذا أطلقت على البارئ تعالى فالمراد لوازمها بحسب ما يليق به. وقيل: الكبرياء ترجع إلى كمال الذات، والعظمة إلى كمالها. انتهى. والمراد بكمال الصفات الثبوتية: عدم ثبوت نقيضه، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيراً - كالجهل والفَناء وغيرهما.

«الجَهْضَم»: بالجيم والمعجمة الساقطة كجعفر: العظيم الهامة المستدير الوجه الرَّحْب الجبين الواسع الصَّدْر، وهذه الأوصاف مجتمعة فيه ﷺ.

«الجوَّاد»: بالتشديد مبالغة في الجَواد بالتخفيف. قال القُشَيْري رحمه الله تعالى: حقيقة الجواد أَن لا يصعب عليه البَذْل. وأَول مراتب الكَرم: السخاء، ثم الجُود، ثم الإيثار. فمن أَعطى البعض وأَبقى البعضَ فهو السخيّ، ومن بذل الأَكثر وأَبقى شيئاً فهو الجواد، ومن قاسَى الضُّر وآثر غيرَه فهو المؤْثِر. ولهذا مزيد بيان في باب كرمه وجوده ﷺ.

«الجوَاد»: بالتخفيف: الكريم السخي الطائع المليّ صفة مشبهة من الجود وهو سعة الكرم أو الطاعة.

حرف الحاء المهملة

«الحاتم»: قال: «يا» هو من أَسمائه في الكتب السالفة. حكاه كَعْب الأَحْبار. قال ثعلب: ومعناه أَحسن الأَنبياء خُلقاً. قال في الشرح: هو بفتح المثناة الفوقية كما رأَيته مضبوطاً بالقلم في نسخة معتمدة من الشفاء ورأَيته في الصِّحَاح بالكسر. لكن قال: هو القاضي.

قلت: لم يذكر في الصحاح أَنه من أَسماء النبي ﷺ وإنما قال: الحاتِم القاضي. وكذا ذكره في الديوان في فاعِل بكسر العين. والله تعالى أَعلم.

«الحاشر»: ذكر في الأَحاديث السابقة في الباب الثاني بلفظ «أَنا الحاشر الذي يُحْشَر الناسُ على عَقِبي» وفي لفظ «على قدَمي» وبلفظ: «أَنا الحاشر الذي يُحشر الناس معي على قدمي» قال القاضي: واختلف في معنى: «على قَدمي» فقيل: على زماني وعهدي، إذ ليس بعده نبي. وقيل: يُحشر الناس بمشاهدتي كما قال تعالى: ﴿وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُم شَهِيداً﴾ وقال الخطَّابي وابن دِحية رحمهما الله: معناه على أَثَري أَي أَنه يَقْدُمهم وهم خَلْفه، لأَنه أَول من تنشقّ عنه الأَرض، ثم يحي كل نفس فيتبعونه.

قال الخطابي: ويدل على هذا المعنى رواية[1]: «على عَقِبي» وقال العزَفي: القَدم عبارة عن الأَثَر لأَنه منه، وقيل: المعنى على أَثَري، لأَن الساعة على أَثَره أَي قريبة من مبعثه. كما قال ﷺ: **«بُعثت أَنا والساعة كهاتين»**[2]. قال الحافظ: ويحتمل أَن يكون المراد بالقدَم

---

(١) في أ: قوله.

(٢) أخرجه البخاري ٣٤٧/١١ كتاب الرقاق (٦٥٠٤)، ومسلم ٢٢٦٨/٤ كتاب الفتن (١٣٣- ٢٩٥١).

الزمان أي وقت قيامي على قدمي تظهر علامات الحشر، إشارة إلى أنه ليس بعده نبيّ ولا شريعة. ويرجح هذا ما وقع في رواية نافع بن جُبير: «**وأنا الحاشِر بُعثت مع الساعة**» وقيل: على مشاهدتي قائماً لله على الأُمم. واستشكل التفسير بأَنه يقتضي أَنه محشور، فكيف يفسر به حاشر وهو اسم فاعل؟ وأُجيب بأَن إسناد الفعل إلى الفاعل إضافة والإضافة تصح بأَدنى ملابسة، فلما كان لا أُمة بعد أُمته، لأَنه لا نبيَّ بعده نسب الحشر إليه لأَنه يقع بعده.

وقوله «على عَقِبي» بكسر الموحدة على الإفراد، ولبعضهم بالتثنية والموحدة مفتوحة وكذلك قوله: «على قدمي» روي بالإفراد والتثنية.

تنبيه: قد وصف الله تعالى نفسه بالحشر في قوله: ﴿**ويوم يَحْشُرهم**﴾ ﴿**وحَشَرْناهم**﴾ فيكون هذا الاسم مما سماه الله تعالى به من أَسمائه.

«**حاط حاط**»: قال «ع»: هو اسمه في الزبور.

«**الحافظ**»: وهو من أَسمائه تعالى. ومعناه في حقه تعالى: صيانة جميع الموجودات عن العدم وصيانة المضادات بعضها من بعض. قال الغزالي رحمه الله تعالى: والحافظ من العباد: من يحفظ جوارحه وقلبه ويحفظ دينه عن سطوة الغضب وصلابة الشهوة وخداع النفس وغرور الشيطان، وهو اسم فاعل من احفظ، وسمي به لأَنه الحافظ للوحي والأُمة، ولا يقدح في وصفه بالحفظ وقوع النسيان منه ﷺ، كما روى مسلم عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يسمع قراءة رجلٍ في المسجد فقال: «**رحمه الله تعالى لقد أَذْكرني آية كذا كنت نسيتها**» لنُدْرة ذلك منه، والحكم إنما هو للأَغلب، ولهذا مزيد بيان يأتي في أَبواب عصمته ﷺ.

«**الحاكم**»: أَخذه «د» من قوله تعالى: ﴿**إِنَّا أَنْزَلنا إِليك الكتابَ بالحق لتحكمَ بين الناس**﴾.

«**الحامد**»: اسم فاعل من الحمد، وهو الثناء على الله تعالى بما هو أَهله. قال «د»: ذكره كعب. وذكر ابن إسحاق رحمه الله تعالى قال: رأَت أُمه ﷺ في منامها قائلاً يقول: إنكِ حملت بخير البرية وسيد العالمين فإذا ولدتيه فسميه محمداً فإن اسمه في التوراة حامد(١) وفي الإنجيل أَحمد.

حامل لواء الحمد: روى الترمذي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَنا حبيب الله ولا فخر، وأَنا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر**»(٢).

---

(١) في أ: أحمد.

(٢) أخرجه الترمذي (٣٦١٦).

وسئل الشيخ رحمه الله تعالى عن لواء الحمد هل هو لواء حقيقي أَو معنوي؟ فأَجاب بأَنه معنوي وهو الحمد، لأَن حقيقة اللواء الراية ولا يمسكها إِلا صاحبُ الجيش، فالمراد من الحديث أَنه سيّد الناس وإِمامهم يوم القيامة. وأَنه يُشْهر بالحمد إِذ ذاك.

وقد ذكر ابن الأَثير رحمه الله نظير هذا في الحديث: «لِكل غادِر لواء» أَي علامة يُشْهر بها في الناس لأَن موضوع اللواء شهرة مكان الرئيس. ولهذا مزيد بيان في أَبواب حشره ﷺ.

«الحامي»: بالمهملة: المانع لأُمته من العِدَى والحافظ لها من الردى. أَو حامي البيت والحرم ومبعده من أَيدي ذي الجُرْم. أَو سمي بذلك لأَنه ﷺ كان له أَن يحمي لنفسه وإِن لم يقع ذلك منه.

«الحائِد لأُمته من النار»: اسم فاعل من حاد يحيد، أَي يميل أُمته عن النار.

«حبيب الله»: هو فعيل من المحبة بمعنى مفعول أَو بمعنى فاعل. ورد ذكره في عدة أَحاديث. قال القاضي: وأَصلها الميل إِلى ما يوافق المحب، ولكن هو في الحق من يصح منه الميل والانتفاع بالرفق وهي درجة المخلوق، فأَما الخالق تعالى فمنزه عن الأَعراض فمحبته لعبده تمكّنه من سعادته وعصمته وتوفيقه وتهيئة أَسباب القُرْب له، وإِضافة رحمته عليه، وقُصْواها كَشْف الحجب عن قلبه حتى يراه بقلبه وينظر إِليه ببصيرته ولسانه فيكون كما في الحديث. **«فإِذا أَحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يُبْصر به ولسانه الذي ينطق به»**[١].

وقال في الاصطفاء: وقد يقال كما في شرح المواقف إِن محبتنا له تعالى كيفية روحانية مترتبة على تصور الكمال المطلق له تعالى على الاستمرار ومقتضية للتوجه التام إِلى حضرة قدسه بلا فتور وقرار، ومحبتنا لغيره كيفية تترتب على تخيّل كمالٍ فيه من لذة أَو شفقة أَو مشاكلة كمحبة العاشق لمعشوقه والمنعَم عليه للمنعم، والوالد للولد، ثم هي عندنا كالرضى والإِرادة مع ترك الاعتراض كما مر، وقيل الإِرادة فقط فيترتب على ذلك كما في «الإِرشاد» أَنه تعالى لا يتعلق به محبة على الحقيقة لأَنها إِرادة، والإِرادة لا تتعلق إِلا بمتجدد، وهو سبحانه لا أَول له لأَن المريد إِنما يريد ما ليس بكائن أَو إِعدام ما يجوز عدمه وما ثبت قِدَمه واستحال عدمه لا تتعلق به إِرادة. والفرق بينه وبين الخليل أَن الخليل من امتحنه ثم أَحبه والحبيب الذي أَحبه بلا محنة. انتهى.

واختلف في مقام المحبة والخُلَّة أَيهما أَرفع؟ فقيل: هما سواء، فلا يكون الخليل إِلا

---

(١) أخرجه البخاري ٣٤٠/١١ كتاب الرقاق (٦٥٠٢).

حبيباً ولا الحبيب إلا خليلاً. وقيل: درجة المحبة أرفع. ونقله القاضي عن الأكثر، لأن درجة الحبيب نبينا ﷺ أرفع من درجة الخليل صلى الله عليهما وسلم.

وقيل إن درجة الخُلَّة أرفع؛ لحديث: «**لو كنت متخذاً خليلاً غير ربي لاتخذتُ أبا بكرٍ خليلاً**» فلم يتخذه وقد أطلق المحبة لفاطمة وابنيها وأُسامة وغيرهم. وسيأتي في الخليل أن المحققين على ذلك.

وذكر أهلُ الإشارات في تفضيل المحبة كلاماً حسناً فقالوا: الخليل اتصل بواسطة ﴿**وكذلك نُري إبراهيمَ ملكوتَ السموات والأرض**﴾ والحبيب بدونها ﴿**فكان قاب قوسين أو أدنى**﴾ والخليل مغفرته في حد الطمع: ﴿**والذي أطْمَعُ أن يَغْفِر لي خَطِيئتي يومَ الدِّين**﴾ والحبيب مغفرته في حد اليقين: ﴿**ليَغْفرَ لك الله ما تقدم من ذَنْبك وما تأخَّر**﴾ والخليل قال في المحنة «حسبي الله» والحبيب قيل له: ﴿**يا أيها النبي حَسْبُكَ الله**﴾ والخليل قال: ﴿**واجعلْ لي لسانَ صِدْق**﴾ والحبيب قيل له ﴿**ورفَعْنا لك ذِكْرك**﴾ فأعطى بلا سؤال. والخليل قال ﴿**واجْنُبْني وبنيّ أن نَعْبد الأصنام**﴾ والحبيب قيل له: ﴿**إنما يُريد الله لِيُذْهب عنكم الرجسَ أهلَ البيتِ ويطهِّركم تطهيراً**﴾ وحاصل ما ذكره القاضي يقتضي تفضيل ذات سيدنا محمد ﷺ على ذات سيدنا إبراهيم ﷺ لا يقال باعتبار ثبوت وصف الخُلَّة له فيلزم ذلك، لأنا نقول: كلٌّ منهما ثابت له وصف الخلة والمحبة، إذ لا يُسلب عن إبراهيم وصف المحبة لا سيما والخُلَّة أخص من المحبة، ولا يسلب عن نبينا ﷺ وصف الخُلَّة لا سيّما وقد ثبت في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قوله تعالى له ليلة المعراج: ﴿**قد اتخذتُك خليلاً**﴾.

وقد قام الإجماع على فضل نبينا ﷺ على جميع الأنبياء، بل هو أفضل خَلْق الله مطلقاً.

وقوله إن الخليل اتصل بالواسطة لا يفيد غرضاً في هذا المقام الذي هو بصدده وليس المراد به قطعاً إلا الوصول إلى المعرفة؛ إذ الوصول الحسّي يمتنع على الله تعالى. وأما قوله: والحبيب يصل إليه. فالوصول إلى الله تعالى لا يكون إلا به حبيباً كان أو خليلاً وأما قوله: «الخليل هو الذي يكون مغفرته في حد الطمع» إلى آخره فإنه لا يصلح أن يكون على وجه التفسير للخليل ولا تعلُّق له بمعناه. وقصارى ما ذكره يعطي تفضيل نبينا ﷺ في حد ذاته من غير نظر إلى ما جعله علة معنوية في ذلك من وصف المحبة والخُلَّة.

«**حبيب الرحمن**»: ورد في حديث المعراج عن أبي هريرة رضي الله عنه. رواه البزّار وغيره.

«حبَنْطَى»: قال «ع» هو من أَسمائه في الإنجيل وتفسيره: يَفْرق بين الحق والباطل.

«الحجازي»: نسبة إلى الحجاز وهو مكة واليمامة وقُرَاهما وسمّي حجازاً لأَنه حجَز بين تهامة ونجد.

«حجة الله على الخلائق»: في الفردوس بلا إسناد: «وأَنا حجة الله» وهو بمعنى البرهان.

«الحجة البالغة»: الحجة: الدلالة المبينة للمحَجَّة أَي القصد المستقيم. والبالغة: الكاملة التي لا نقصان فيها.

«حِرْز الأميين»: أَي حافظهم ومانعهم من السوء. روى البخاري وغيره عن عطَاء بن يسَار قال: لقيت عبدَ الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما فقلت: أَخبرني عن صفة رسول الله ﷺ. قال: «**أَجل والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن ﴿يا أَيها النبيّ إنَّا أَرْسَلْناك شاهداً ومبشّراً ونَذِيراً﴾ وحِرْزاً للأميين**» الحديث.

والحِرْز: المنع والأميون: العرب أَي يمنعهم من العذاب والذل.

فإن قيل: هو ﷺ حرز للعرب ولغيرهم من الخَلْق، فلم خصَّهم بالذكر؟

أُجيب: بأَنه لما كان عليه الصلاة والسلام منهم قُصِد بتخصيصهم بالذكر التنصيص عليهم زيادة في الاعتناء بهم وبشأنهم وتنبيهاً لبني إسرائيل على عظم شأنهم ورفعتهم بهذا النبي ﷺ الذي يخرج منهم وأَن غيرهم كالتابع لهم.

«الحرَمِيّ»: نسبة إلى الحرم المكي وقد تقدم بيانه.

«الحَرِيص»: فعيل بمعنى فاعل من الحرص وهو شدة الإرادة للمطلوب. قال تعالى: **﴿حَريصٌ عليكم﴾** أَي على إيمانكم وهدايتكم.

«الحريص على الإيمان»: وقد تقدم معناه في الذي قبله.

«حِزْب الله»: الحزب: الطائفة من الناس. وقيل: جماعة فيها غلظ. وحزب الله: عبيده المتقون وأَنصار دينه.

«الحَسِيب»: فعيل: بمعنى مُفْعِل من أَحسبني الشيء: إذا كفاني. ومنه **﴿عطَاءً حِسَاباً﴾** أَو الشريف الكريم من الحسَب محركاً وهو ما يُعدّ من مفاخر الآباء أَو الدين أَو الكرم، أَو الشرف في الفعل أَو الآباء. والحسَبُ كالكرم قد يكون لمن لا آباء له شُرَفاء، والشرف كالمجد لا يكون إلا بهم، يقال حَسُب حَسابةً كخَطُب خَطَابة وحَسَباً محركاً فهو حَسِيب من حُسَباء.

وهو بمعنى المحاسِب أَو المكافي من أَسمائه تعالى. قال الغزالي رحمه الله تعالى: وليس للعبد مَدْخل في هذا الوصف إِلا بنوع من المجاز بأَن يكون كافياً لطفله بتعهده أَو لتلميذه بتعليمه حتى لا يفتقر إِلى غيره. انتهى.

وهذا المعنى صحيح في حقه ﷺ لأَنه كافٍ لأُمته جميعَ ما تحتاج إِليه من أُمور الدنيا والآخرة بحيث لا يحتاجون إِلى غيره ﷺ.

«الحَفِيظ»: فَعِيل من الحِفْظ وهو صَوْن الشيء عن الزوال فإِن كان في الذهن فضده النسيان، أَو في الخارج فضده التضييع.

وهو من أَسمائه تعالى، وكلا المعنيين يصح إِطلاقه عليه تعالى، لأَن الأَشياء محفوظة في علمه لا يطرأ عليه نسيان ويحفظ الموجودات من الزوال. وقيل: معناه الذي يحفظ سرّك من الأَغيار ويَصُون ظاهرك عن مرافقة الفُجّار.

وأَما قوله تعالى: ﴿**وما أَنَا عَلَيْكُم بحَفِيظ**﴾ فمعناه: لست أَحفظ أَعمالكم وأَجازيكم عليها. وقوله تعالى: ﴿**فما أَرْسلناك عليهم حفيظاً**﴾ أَي لتحفظهم حتى لا يقعوا في الكفر والمعاصي أَو لتحصي مساوئهم وذنوبهم فتحاسبهم عليها.

وقد ذكر أَن هذه الآية منسوخة بآية القتال فهو ﷺ بعد الأَمر به حفيظ بالمعنى الأَول بمعنى أَن يرّدهم عنه ويقاتلهم عليه. وبالمعنى الثاني لأَنه يشهد عليهم يوم القيامة وهو أَبْلَغ من الحافظ.

«الحفِي»: البَرّ اللطيف. يقال: حَفِيتُ بفلان وتحفَّيت به إِذا اعتنيت بكرامته.

«الحق»: الثابت، وأَصله المطابقة للواقع أَو المحِقّ أَو المظهر للحق. قال تعالى: ﴿**جاءكم الحق من ربِّكم**﴾ ﴿**حتى جاءهم الحقُّ ورسول مبين**﴾ ﴿**فقد كذَّبوا بالحقِّ لما جاءهم**﴾ على أَحد القولين أَن الحق هنا هو النبي ﷺ. وقيل هو القرآن. قال تعالى: ﴿**وشَهِدوا أَنَّ الرسولَ حَقّ**﴾ وفي حديث الشفاعة «ومُحمدٌ حق» وهو الثابت. وهذا الاسم من أَسمائه تعالى ومعناه الموجود المتحقق أَمره وأُلوهيته، أَو الموجِد للشيء حسب ما تقتضيه حكمته تعالى، وفي حقه ﷺ المتحقق صدقه ونبوته.

فـائـــدة:

فرّق الإِمام فخر الدين رحمه الله تعالى بين الصدق والحق، بأَن الصدق نسبة الشيء إِلى الواقع، والحق نسبة ما في الواقع إِلى الشيء.

«الحكَم»: بفتح أَوله وثانيه: الحاكم أَو المانع، وهو من أَسمائه تعالى، ومعناه الحاكم

الذي لا رادَّ لحكمه ولا معقِّب لقضائه؛ قال تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَماً﴾ أي مانعاً.

«**الحكيم**»: قال «ع» لأَنه عَلِم وعَمِل وأَذعن لربه. قال الشيخ رحمه الله تعالى: وهو فَعِيل من الحكمة. قال تعالى: ﴿يعلِّمهم الكتاب والحكمة﴾ ﴿ذلك مما أَوْحى إِليك ربُّك من الحكمة﴾ والمتصف بالحكمة علماً وتعليماً حكيم. واختلف في المراد بالحكمة في قوله تعالى: ﴿يؤتي الحِكْمةَ من يشاء﴾ الآية. فقيل: النبوة. وقيل: المعرفة بالقرآن والفهم فيه. وقيل: الإِصابة في القول وقيل: العلم المؤدي إِلى العمل. وقيل: السنة. وقيل: خشية الله. لحديث: «رأْس الحكمة مخافة الله». رواه ابن مردويه. وقال الإِمام مالك: إِنه لَيقع في قلبي أَن الحكمة هو الفقه في دين الله تعالى وأَمرٌ يُدخله الله تعالى في القلوب من رحمته وفضله. ومما يبين ذلك أَنك تجد الرجل عاقلاً في أَمر الدنيا إِذا نظر فيها، وتجد آخر ضعيفاً في أَمر دنياه عالماً بأَمر دينه بصيراً به يؤتيه الله إِياه ويحرمه هذا. انتهى إِلى هنا.

وهو ﷺ حكيم بالمعاني المذكورة كلها.

قال في الشرح: هو المتْقن للأُمور. وفَعِيل بمعنى مُفْعِل من الإِحكام وهو الإِتقان، أَو بمعنى فاعل من الحكم وهو المنع للإِصلاح، وهو أَعم من الحكمة، وكل حكمة حكم ولا عكس؛ لأَن الحكم أَن نقضي على شيء بشيء إِيجاباً أَو سلباً. أَو ذو الحكمة وهي معرفة أَفضل الأَشياء بأَفضل العلوم وإِصابة الحق بالعلم والعقل. والمراد بها في حقه تعالى معرفة الأَشياء وإِيجادها على غاية الإِحكام. وفي حق الإِنسان: معرفة الموجودات وفعل الخيرات.

«**الحليم**»: قال «د» هو موصوف به بالتوراة، وهو اسم فاعل للمبالغة من حَلُم بالضم ككريم من كَرُم، يقال حَلُم فهو حليم إِذا صار الحِلْم طبعاً له وسجيّةً من سجاياه. قال أَبو طالب يمدحه ﷺ:

حَلِيمٌ رَشِيدٌ عَادِلٌ غَيْرُ طَائِش   يُوَالِي إِلَهاً لَيْسَ عَنْهُ بِغَافِلِ

والحِلْم بكسر المهملة وسكون اللام: الأَناة في الأُمور وهي بفتح الهمزة مقصورة كقناة: اسم للتأنّي وهو التثبت وترك العَجلة، وأَما عطفها عليه في قوله ﷺ كما رواه مسلم عن ابن عباس للأَشج: أَشجّ عبد القيس، واسمه المنذر بن عائذ بن الحارث العصري - بمهملات على الأَصح: «إِنَّ فيك لَخصلتين يحبهما الله تعالى ورسوله: الحلم والأَناة»[1] فعطف تفسير. والمراد به في الخبر: العقل خاصة. وقال القاضي: هو حالة تأَنٍّ وثبات عند الأَسباب والمحرّكات. قال غيره: هو ضبط النفس والطبع عند هيجان الغضب. قال القاضي:

(١) أخرجه مسلم ٤٨/١ كتاب الإيمان (٢٥- ١٧).

والاحتمال: حبس النفس عند الآلام والمؤذيات، ومثله الصبر. قال غيره: وجمعه أَحلام. قال الله تعالى: **﴿أم تأمرهم أَحلامهم بهذا﴾** أي عقولهم. وسمِّي العقل حِلْماً لكونه سبباً عنه. قال ابن عطية: هو العقل إذا انضاف إليه أَناة واحتمال.

وقد كان ﷺ أَحْلَمَ الناس، وكل حليم قد عُرفت منه زَلَّة وحُفظت منه هفوة، وهو ﷺ لا يزيد مع كثرة الأذى إلا صبراً، وعلى إشراف الجاهلية إلا حلماً.

ولهذا مزيد بيان في بيان حلمه ﷺ.

وهذا الاسم من أَسمائه تعالى. ومعناه في حقه تعالى: الذي لا يَعْجل بالعقوبة. والفرق بينه وبين الحَقُود: أَنه الذي يؤخر الانتقام لانتهاز الفرصة. والحليم يؤخره لانتظار التوبة. وسيأتي الفرق بينه وبين العفو وبينه وبين الصبر في تفسيرهما.

«الحُلاَحِل»: بمهملتين الأُولى مضمومة والثانية مكسورة: السيد الشجاع، أَو كثير المروءة، والرئيس الرزين، كأَنه مأخوذ من الحُلول والاستقرار؛ لأَن القلق وقلة الثبات في مجلس ليس من عادات السادات. قال بعضهم يمدح النبي ﷺ:

وَعَـرْبَـةُ أَرْضٍ مـا يُـحِـلُّ حَـلاَلَـهَـا ... مِنَ النَّاسِ إِلاَّ اللَّوْذَعِيُّ[1] الحُلاَحِلُ[2]

أَراد بها مكة المشرفة، وأَشار إلى قوله ﷺ: **«إن الله حبَس عن مكة الفيلَ وسلَّط عليها رسولَه والمؤمنين، وإنها لن تحل لأَحد كان قبلي، وإنها أُحلت لي ساعةً من نهار، وإنها لن تحل لأَحد بعدي»** الحديث رواه الشيخان[3].

والعَرَبة ـ بمهملتين محركة: ناحية قرب المدينة أَقامت بها قريش فنسبت العرب إليها وسكَّن الشاعر راءها للضرورة، وهي باحة دار أَبي الفصاحة دار إسماعيل ﷺ، والباحة بالموحدة والمهملة: قال في الصحاح: الساحة.

«الحمَّاد»: بتشديد الميم صيغة مبالغة من الحمد أَي الحامد الكثير الحمد.

«حَمْطَايَا»: روى أَبو نعيم عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: كان رسول الله ﷺ يسمَّى في الكتب القديمة: أَحمد ومحمد والماحي والمقفِّي ونبيّ الملاَحم وحَمْطايا وفارقليطا وماذماذ.

قال أَبو عمر الزاهد: سأَلت بعض من أَسلم من اليهود فقال: معناه يَحْمي الحرم ويمنع الحرام.

---

(١) لذعه برأيه وذكائه: أسرع إلى الفهم والصواب كإسراع النار إلى الاحتراق فهو لوذعي انظر المصباح المنير ٥٥٢.

(٢) حلحل القوم: أزالهم عن مواضعهم والحلاحل السيد في عشيرته الشجاع الركين في نجله اللسان ٩٧٨/١، ٩٧٩.

(٣) أخرجه البخاري ٨/٩ كتاب الديات (٦٨٨٠)، ومسلم ٩٨٨/٢ كتاب الحج (٤٤٧ـ ١٣٥٥).

قال شيخ الإسلام التقي الشُّمُنّي: وهو بفتح الحاء والميم المشددة وبالطاء المهملة بعدها ألف فمثناة تحتية. وقال الهَرويّ في الغريب: هو بكسر الحاء وسكون الميم وتقديم الياء وألف بعدها طاء مهملة وألف. فعنده حِمْياطا. وفسّره بحامي الحرم. قال ابن دِحْية: ومعناه: أنه حمَى الحرم مما كان فيه من النُّصب التي تُعبد من دون الله، والزنا والفجور.

الحمد

«الحميد»: فَعِيل بمعنى حامد أو محمود: صيغة مبالغة من الحمد وهو الثناء أي الذي حُمدت أخلاقه ورُضيت أفعاله، أو الحامد لله تعالى بما لم يحمده به حامد، أو الكثير المحامد، وهو من أسمائه تعالى، ومعناه الذي حمد نفسه أزلاً وحمده عباده أبداً، أو المستحق للحمد لأنه الموصوف بكل كمال ومُولٍ لكل نوال.

«حم. عسق»: ذكرهما «د» في أسمائه ﷺ ونقله الماوردي عن جعفر بن محمد، ونقل عن ابن عباس أنهما من أسماء الله تعالى.

«الحنَان»: بالتخفيف: الرحمة.

«الحنيف»: المائل إلى دين الإسلام الثابت عليه، من الحنَف محركاً، أو المائل عما عليه العامة إلى طريق الحق والاستقامة، أو المستقيم. قال تعالى: ﴿**ثُمّ أوحَيْنا إليك أن اتبع مِلَّةَ إبراهيمَ حَنِيفاً**﴾ جوَّز بعضُهم جَعْلَ ﴿**حَنِيفاً**﴾ حالاً من الضمير العائد عليه ﷺ، وهو الطاهر. قال في النهاية: حديث «خَلقتُ عِبَادي حُنَفاء» أي طاهرين من المعاصي لا أنهم كلهم مسلمون لقوله تعالى: ﴿**فمِنْكم كافرٌ ومِنْكم مُؤْمن**﴾ ولهذا مزيد بيان في الكلام على الفطرة في شرح غريب قصة الإسراء.

«الحيي»: بمهملة وتحتيتين: الكثير الحياء وهو انقباض النفس وانكفافها عن القبائح.

روى الدارمي عن سهل بن سعد رضي الله تعالى عنه قال: «كان رسول الله ﷺ حَيِيّاً لا يُسْأَل شيئاً إلا أعطى» ولهذا مزيد بيان في باب حيائه ﷺ.

«الحيّ»: الباقي المتلذذ المتنعم في قبره. ولهذا مزيد بيان في باب حياته في قبره ﷺ.

حرف الخاء المعجمة

«الخاتِم»: بكسر التاء المثناة فوق.

«الخاتَم» بفتحها: ذكرهما «د» ونقل ذلك عن ضبط ثعلب وكذا في المهمات لابن عساكر قال: وأما الخاتَم بالفتح فمعناه أنه أحسن الأنبياء خَلْقاً وخُلُقاً، ولأنه ﷺ جمال الأنبياء ﷺ كالخاتم الذي يُتجمَّل به.

وقيل: لما انقبضت النبوة وتمت كان كالخاتم الذي يختم به الكتاب عند الفراغ. وأَما الخاتِم بالكسر فمعناه آخر الأَنبياء فهو اسم فاعل من قولك ختمت الشيء أَي أَتممته وبلغت آخره.

خاتم النبيين: قال تعالى: ﴿**ما كان محمدٌ أَبا أَحد مِنْ رجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّين**﴾ وتقدم في حديث نافع بن جبير في الباب الثاني.

وروى الشيخان عن أَبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مثلي ومثل الأَنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتاً فأَحسنه وأَكمله إِلا موضع لِبنة من زاوية، فجعل الناسُ يطوفون به ويَعْجبون ويقولون هلاَّ وضعت هذه اللبنة؟ فأَنا تلك اللِّبنة وأَنا خاتم النبيين**»(١).

وسيأتي الكلام على هذا الحديث في باب: مثله ومثل الأَنبياء من قبله في أَبواب بعثته وفي الخصائص.

وذكر العلماء في حكمة كونه ﷺ خاتم النبيين أَوجهاً:

منها: أَن يكون الخَتْم بالرحمة.

ومنها: أَن الله تعالى أَراد أَن لا يطول مُكث أُمته تحت الأَرض إِكراماً له.

ومنها: أَنَّا اطلعنا على أَحوال الأُمم الماضية، فجعلت أُمته آخر الأُمم لئلا يطلع أَحد على أَحوالهم تكريماً له.

ومنها: أَنه لو كان بعده نبيّ لكان ناسخاً لشريعته. ومن شرفه أَن تكون شريعته ناسخة لكل الشرائع غير منسوخة. ولهذا إِذا نزل عيسى ﷺ فإِنما يحكم بشريعة نبينا ﷺ لا بشريعته، لأَنها قد نُسخت كما سيأتي بيان ذلك في الخصائص.

ومن هنا يُعلم أَن معنى كونه لا نبيّ بعده أَي لا نبي يُبعث أَو ينبأ أَو يخلق وإِن كان عيسى موجوداً بعده.

«**الخازن لمال الله**»: أَخذه «د» من حديث أَبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**والله ما آتيكم من شيء ولا أَمنعكم منه إِن أَنا إِلا خازن أَضع حيث أُمرت**».

رواه الإِمام أَحمد وغيره.

---

(١) أخرجه البخاري ٢٤/٥، كتاب المناقب (٣٥٣٤). ومسلم ١٧٩١/٤، كتاب الفضائل (٢٢- ٢٢٨٦).

قال النووي: معناه: خازن ما عندي أقسم ما أُمرت بقسمته على حسب ما أُمرت به والأُمور كلها بمشيئة الله تعالى.

«**الخاشع**»: والخشوع في اللغة: السكون. قال الأَزهري: التخشع: التذلل، وفي المحكم: خشع الرجل: رَمَى ببصره إِلى الأَرض، وعرَّفه أَهلُ التصوف بأَنه الانقياد للحق. وقال بعضهم: هو قيام القلب بين يدي الرب بهَمٍّ مجموع. وقال الحَسَن: الخشوع: الخوف الدائم الملازم للقلب. وقال الجُنَيْد: هو تذلل القلوب لعَلاَّم الغيوب. وقال محمد بن علي الترمذي: الخاشع: مَن خمدت نيران شهواته وسكن دخان صدره وأَشرقَ نور التعظيم من قلبه، فماتت شهواته وحيي قلبُه فخشعت جوارحه. قال القُشَيْرِيّ: واتفقوا على أَن محل الخشوع القلب. وهو قريب من التواضع.

«**الخاضع**»: في الصحاح: الخضوع: التطامن والتواضع. وقال الأَزهري: الخضوع قريب من الخشوع، إِلا أَن الخشوع في البدن والصوت والبصر، والخضوع في الأَعناق.

«**الخافض**»: أَي خافض الجناح، اسم فاعل من الخفض وهو التواضع ولين الجانب. قال تعالى: ﴿**واخفض جَناحك لمن اتَّبعك من المؤمنين**﴾ أَي تواضع لضعفائهم وفقرائِهم وطِبْ نفساً عن أَغنيائهم.

أَو الذي يخفض الجبابرة بسَطْوته ويكسر الأَكاسرة ببأسه.

وهو من أَسمائه تعالى. ومعناه: دافع البلايا ورافع الرزايا، أَو الذي يخفض الأَشقياء بالإِبعاد ويرفع الأَتقياء بالإِسعاد.

«**الخالص**»: النقيّ من الدنس.

«**الخبير**»: أَخذه «ياد» من قوله تعالى: ﴿**فاسْأَلْ به خبيراً**﴾ قال القاضي بكر بن العلاء: المأمور بالسؤال غير النبي ﷺ. والمسؤول الخبير: هو النبي ﷺ وسلم. قال: وهو مما سماه الله تعالى به من أَسمائه، ومعناه في حقه تعالى: المطلّع بكنه الشيء، العالم بحقيقته. وقيل المخبر. والنبي ﷺ خبير بالوجهين؛ لأَنه عالم غاية من العلم بما علمه الله تعالى من مكنون علمه وعظيم معرفته، ولأَنه مُخْبر لأمته بما أذن الله له في إِعلامهم به. والفرق بينه وبين العليم والشهيد يأْتي في تعريف الشهيد.

«**خطيب النبيين**»: في حديث الشفاعة: «كنت إِمام النبيين وخطيبهم» أَي مقدَّمهم وصاحب الكلام دونهم والخطيب الحسن الخطبة، وهي الكلام المنثور المسجع الذي يلقى على المنبر واشتقاقها من الخَطْب وهو الشأْن، لأَن العرب إِذا دهمهم أَمر اجتمعوا له وخطبت أَلسنتهم فيه، أَو من المخاطبة لأَنه يخاطب فيه بالأَمر والنهي، أَو من الأَخْطَب وهو ذو الأَلوان من كل شيء لأَنها تشتمل على فنون الكلام.

«خطيب الأُمم»:

«خطيب الوافدين على الله تعالى»: ذكرهما «ط» والأمم جمع أُمة والوافدين جمع وافد.

«الخليل».

«خليل الرحمن»: ذكرهما «خا» ويأْتي الكلام على معنى الخُلَّة قريباً.

«خليل الله»: روى أَحمد وغيره عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه أَن رسول الله ﷺ قال: **«لو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أَبا بكر خليلاً وإِن صاحبكم خليل الله»**[1] والخليل: فعيل بمعنى فاعل، وهو من الخُلة وهي الصداقة والمحبة التي تخلَّلت القلب فصارت خلاله. قال بعضهم:

قد تَخَلَّلْتَ مَسْلَكَ الرُّوحِ مِنِّي   وَلِذَا سُمِّيَ الخَلِيلُ خَلِيلاً

فَإِذَا مَا نَطَقْتُ كُنْتَ حَدِيثِي   وَإِذَا مَا سَكَتُّ كُنْتَ الغَلِيلاَ

وهذا صحيح بالنسبة إِلى ما في قلب النبي ﷺ من حب الله تعالى. وأَما إِطلاقه في حق البارىء تعالى فعلى سبيل المقابلة. وقيل: الخُلَّة أَصلها الاصطفاء وسمي بذلك لأَنه يوالي ويعادي في الله تعالى. وخلة الله تعالى له نصره وجعله خَيْر خلقه وقيل هو مشتق من الخَلَّة بفتح المعجمة وهي الحاجة وسمي بذلك لانقطاعه إِلى ربه وقَصْر حاجته عليه.

قال الإِمام الواحدي: والقول الأَول هو المختار، لأَن الله تعالى خليل محمد ومحمد خليل الله، ولا يجوز أَن يقال: الله تعالى خليل محمد من الخَلَّة التي هي الحاجة.

تنبيـــه:

الخلَّة: أَعلى وأَفضل من المحبة. قال ابن القيِّم: وأَما ما يظنه بعض الغالطين من أَن المحبة أَكمل من الخلَّة، وأَن إِبراهيم خليل الله، ومحمد حبيب الله، فمن جهْلِهِ بأَن المحبة عامّة والخُلَّة خاصة، وهي نهاية المحبة. قال: وقد أَخبر النبي ﷺ أَن الله تعالى اتَّخذه خليلاً، ونفى أَن يكون له خليل غير ربّه، مع إِخباره بحبّه لعائشة ولأَبيها ولعمر بن الخطاب وغيرهم. وأَيضاً: فإِن الله تعالى يحب التوّابين ويحب المتطهرين ويحب الصابرين، وخلته خاصة بالخليلين. وبسط الكلام على ذلك. ثم قال: وإِنما هي من قِلَّة العلم والفهم عن الله تعالى ورسوله.

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ٤٦٢/١، وابن سعد في الطبقات ٢٥/٢/٢.

وقال الزركشي في شرح البُرْدة: زعم بعضهم أَن المحبة أَفضل من الخُلَّة، وقال محمد حبيب الله وإِبراهيم خليل الله. وضعف بأَن الخلة خاصة، وهي توحيد المحب والمحبة عامة، قال الله تعالى: ﴿إِن الله يحبُّ التَّوابين﴾ قال وقد صح أَن الله تعالى اتَّخذ نبينا خليلاً كما اتخذ إِبراهيم خليلاً.

«الخليفة»: أَي الذي يَخْلف غيره وينوب عنه والهاء فيه للمبالغة وسمي بذلك. وكذا آدم وغيره لأَن الله تعالى استخلفه على عمارة الأَرض وسياسة الناس وتكميل نفوسهم وتنفيذ أَوامره فيهم، لا لحاجة منه تعالى إِلى ذلك بل لقُصور المستخلَف عليهم عن قبول فيضه وتلقي أَمره بغير واسطة.

«خليفة الله»: ذكره «د» في أَحاديث الإِسراء فنعم الأَخ ونعم الخليفة ونعم المجيء جاء وحيّاه الله من أَخ ومن خليفة.

وقد ورد إِطلاق الخليفة على الله تعالى في حديث: «اللهم أَنت الصاحبُ في السفرَ والخليفة في الأَهل» فهو مما سماه الله تعالى به من أَسمائه. قال «د» ومعناه يرجع إِلى معنى الوكيل والباقي والآخر، لأَن الخلافة عمل بعد ذهاب المستخلَف، والبارئ تعالى أَخير بعد كل أَحد بدوام الوجود.

قال الشيخ رحمه الله تعالى: ومعناه في حقه ﷺ: أَنه خليفة الله في الأَرض في تنفيذ أَحكامه فيما بين خَلْقه، فهو قريب من معنى الوكيل، ويصح أَن يكون بمعنى الباقي دينُه وشرعه لأَنه خلف الأَديان كلها ولا ينسخ، بمعنى الآخِر لأَنه خاتم الأَنبياء.

«الخير»: بالمثناة التحتية الفضل والنفع، وسمي به لأَنه حصل بوجوده لأُمته خير كثير، أَو الفاضل يقال رجل خَيْر كعَدْل وخيِّر ككيِّس أَي فاضل ويجوز أَن يكون وآمرأَة خيرة وخيرة الناس بالهاء إِن أُريد الوصف، فإِن أُريد التفضيل عكس ذلك فيقال كما في القاموس: فلان خيرة الناس وفلانة خيرهم بتركها.

قال الشيخ عبد الباسط رحمه الله تعالى وقد ألغزت في ذلك فقلت:

أَيَا خَيْرَ الأَنَام بَقِيتَ مَا آسْمٌ ... يُؤَنَّثُ إِنْ أَتَى وَصْفُ المُذَكَّرْ

وَإِنْ هُو لِلمُؤَنَّثِ جَاءَ وَصْفاً ... يُذَكَّرُ مِثْلَ ما في العَدِّ يُذْكَرْ

ثم أَجبت عنه لما لم يُجَبْ عنه فقلت:

لَقَدْ أَبْدَعْتُ في تَرْصِيفِ لُغْزٍ ... رَقِيقِ النَّظْمِ مَوزُونٍ مُحَرَّرْ

وَهَاكَ جَوابَهُ إِنْ رُمْتَ وَصْفاً ... بِأَفْعَلَ مِنْ بِنَاءِ الخَيْرِ يُذْكَرْ

فَقُلْ يَا صَاحِ خَيْرُ النَّاسِ هِنْدٌ ... وأَحْمدُ خِيرَةٌ والعَكْسُ مُنْكَرْ

أَو هو ذو الخير، أَي صاحب الفضل والإِحسان، قال تعالى: ﴿أُذنُ خير لكم﴾ بتنوين أُذن ورفع خير على أَنه صفة أُذن، أَو خبر بعد خبر، كما قرأ به مجاهد وزيد بن علي وأَبو بكر عن عاصم.

وحكى الإِمام الخطَّابي عن بعض مشايخه أَنه كان يَفْرق بينه وبين الفضل بأَن باب الخَيْرية متعدٍّ وبأَن الأَفضلية قاصر كما يقال: الحرُّ الهاشمي أَفضل من العبد الحبشي مثلاً. وقد يكون العبد الحبشي خيراً منه لكثرة طاعته ومنفعته للناس.

«خير الأنبياء»: أَي أَفضلهم قال الجوهري: يقال رجل خير أَي فاضل. ولا يقال أَخْيَر لأَن فيه معنى التفضيل حذفت منه الهمزة، كما حذفت من أَشَرّ غالباً لكثرة الاستعمال ورفضوا أَخْير وأَشَرّ إِلا فيما ندر كقوله:

بلال خير الناس وابن الأخير

خِيرة الله: بكسر الخاء وسكون التحتية وبوزن عِنَبة المختار قال الجوهري: يقال محمد خِيرَة الله في خلقه وخيرة الله بالتسكين أَي مختاره ومصطفاه، أَو بفتح الخاء مع سكون التحتية ومعناه أَفضل الناس وأَكثرهم خيراً.

«خير البرية»: وهي الخَلْق.

«خير الناس».

ذكرهما «خا».

«خير العاملين».

«خَيْر خلق الله».

ذكرهما «د» وذلك معلوم من الأَحاديث والآثار المشهورة ومعناهما واحد ولهذا مزيد بيان في الخصائص.

والخَلْق مصدر في الأَصل بمعنى المخلوق وهو المبتدَع المختَرع، بفتح الدال والراء ويتناول غيرهم.

«خير هذه الأُمة»: أَخذه «د» مما رواه البخاري عن سعيد بن جُبَيْر قال: قال لي ابن عباس: هل تزوجت؟ قلت لا، قال: تزوّج فخير هذه الأُمة أَكثرها نساءً يعني النبي ﷺ ولهذا مزيد بيان في أَبواب نكاحه.

حرف الدال المهملة

«دار الحكمة»: أَخذه الشيخ رحمه الله تعالى من حديث عليٍّ أَن النبي ﷺ قال: **«أَنا دار الحكمة وعليٌّ بابها»**.

رواه الحاكم في المستدرك وصححه. وادعى ابن الجوزي رحمه الله أنه موضوع. وتعقبه الشيخ رحمه الله تعالى في النكت وفي اللآلئ. قال الحافظان العلائي وابن حجر: والصواب أَنه حسن لا صحيح ولا موضوع. وقد بسطت الكلام عليه في كتاب «الفوائد المجموعة في بيان الأَحاديث الموضوعة».

«الداعي إلى الله»: روى الشيخان عن جابر رضي الله تعالى عنه أَن الملائكة جاءت إلى رسول الله ﷺ وهو نائم فقالوا: اضربوا له مثلاً. فقالوا: مثله كمثل رجل بنى داراً فعمل فيها مأدبة وبعث داعياً فمن أَجاب الداعي دخل الدار وأَكل من المأْدبة ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم يأْكل من المأْدبة فقالوا: أَوّلوها له يَفْقهها. فقالوا: «الدارُ الجنة والداعي محمد، فمن أَطاع محمداً فقد أَطاع الله، ومن عصى محمداً فقد عصى الله».

والمأْدُبة بضم الدال المهملة وفتحها أَي مدعاة إلى الطعام. وفي الشرح: الداعي من الدعاء وهو النداء وهو أَخص منه لأَنه لا يكاد يقال إلا إذا كان معه الاسم نحو: يا فلان أَي المنادي.

وسمي به ﷺ لأَنه يدعو الناس إلى طاعة الله تعالى ويحثهم عليها قال تعالى: ﴿وداعياً إلى اللهِ﴾ أَي إلى توحيده وعبادته «بإذنه» أَي بتيسيره وتسهيله، فاستعير الإذن لذلك لترتّبها عليه، لأَن الدخول في حق الرسول متعذر متعسر فإذا وجد الإذن سَهُل وتيسر. وفي ذلك إيذان بصعوبة ما حمله من التبليغ ودعاء أَهل الشرك إلى التوحيد وهو أَمر في غاية الصعوبة وإيماء إلى تسهيل ذلك وتيسيره عليه بمعونة الله تعالى:

أَو الراغب المستغيث إلى الله تعالى فيما عنده من الخير اسم فاعل من الدعاء وهو الطلب والاستغاثة بتضرّع ورغبة.

تنبيه: وصف الله تعالى نفسه بالدعاء في قوله تعالى: ﴿والله يَدْعو إلى دارِ السَّلام﴾ فهو مما سمَّاه به من أَسمائه تعالى.

«الدامغ»: في حديث علي - رضي الله تعالى عنه - في كيفية الصلاة على النبي ﷺ وفيه: «دامغ جَيْشات الأَبَاطيل» ويأْتي بتمامه في أَبواب الصلاة عليه.

وسمي ﷺ به لأَنه دمَغ الباطل بالحق فإذا هو زاهق، وكسر جيوش الشرك بسيف حجته الماحق. والجيشات جمع جَيْشة بمعنى المرة من جاش إذا ارتفع، وهو من دمَغْتُه إذا أَصبت دِمَاغه، والدماغ مَقْتل إذا أُصيب صاحبه هلك.

«الداني»: اسم فاعل من الدنوّ وهو القُرْب، قال تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى﴾ ولهذا مزيد بيان في تفسير أَول سورة النجم من أَبواب المعراج.

«الدعوة»: كلمة التوحيد. أَي صاحب الدعوة أَي قول: «لا إِله إِلا الله» أَو الإِعلام وسمي به لأَنه أَعلَم الناسَ أَي دلَّهم على طريق الهداية، أَو بمعنى المدعوّ به على إِطلاق المصدر على اسم المفعول، وتقدم بسط ذلك في أَول الكتاب.

«دعوة إِبراهيم»: قال ﷺ: **«أَنا دعوة أَبي إِبراهيم»**. وتقدم الكلام على ذلك.

«دعوة النبيّين».

«دليل الخير»: الدليل: الهادي.

«دَهْتَم»: بمثناة فوقية وزن جعفر: السّهْل الخلق والحسن الخلق.

حرف الذال المعجمة

«الذاكر»: اسم فاعل من الذكر وهو تمجيد الرّبّ تعالى وتقديسه وتسبيحه قال تعالى: **﴿واذكر ربَّك في نفسك تَضَرُّعاً وخِيفةً ودُونَ الجَهْر من القَوْل بالغدوِّ والآصال ولا تكن من الغافلين﴾**.

قال الإِمام الرازيّ: والمعنى أَنه يجب أَن يكون الذِّكر حاصلاً في كل وقت وحين، وأَن الذكر القلبيّ تجب إِدامته لقوله تعالى: **﴿ولا تكن من الغافلين﴾** وأَنه لا ينبغي أَن يغفل عن استحضار جلال الله وكبريائه لحظة واحدة حسبما تطيقه القُوَى الإِنسانية وتتحمَّله الطاقة البشرية، ولا شك أَنه عليه الصلاة والسلام آنس الخَلْق بذلك وأَوْلاهم به وأَحقّهم بالاختصاص بدرجات الكمال والاستغراق في مشاهدة الجلاَل، فلذا سمّي بذلك.

«الذُّخْر»: بضم الذال وسكون الخاء المعجمة الذخيرة يقال ذَخَرْتُ الشيء أَذْخَره إِذا أَعدَدْته للعُقْبَى.

الذِّكْر ـ بسكون الكاف: القوي الشجاع الأَبي، والثناء والشرف قال «ع د» لأَنه شريف في نفسه مشرّف لغيره يُخْبِر عنه به فاجتمعت له وجوه الذِّكْر الثلاثة: هو شرف هذه الأُمة قال الله تعالى: **﴿قد أَنْزَلَ اللّهُ إِليكُم ذِكْراً رسولاً﴾** قال جماعة: هو محمد ﷺ. وقيل: جبريل. فرسولاً عليهما حال أَو بدَل من ذِكْر. وقيل: القرآن. فرسولاً بدَلٌ من ذِكْر بتقدير مضاف، يعني: «ذِكْراً رسولاً» أَي صاحب ذكر. أَو نعت لذا المقدّر.

وقال مجاهد في قوله تعالى: **﴿أَلاَ بذِكْر الله تطمئنُّ القُلوب﴾** إِنه محمد ﷺ وأَصحابه.

«الذكَّار»: أَخذه الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ من الحديث السابق في الأَوّاه: «واجعلني لك ذَكَّارا» وفعّالاً للمبالغة أَي كثير الذكر، وكثرة ذكره لربه ودعواته في يقظته ومنامه

وحركاته وسكناته وقيامه وقعوده وكل أَحواله معلوم مشهور. روى ابن ماجة عن عائشة ـ رضي الله تعالى عنها ـ أَن رسول الله ﷺ كان يَذْكر الله على كل أَحيانه.

«ذِكْر الله».

«**الذَّكَر**»: بفتحتين: الجليل الخطير. ومنه الحديث: «القرآن ذكَر فذكِّروه». قال في النهاية: أَي جليل خطير فأَجِلُّوه.

ذو التاج: أَي صاحبه وهو العمامة، لأَنها تاج العرب، وكان له ﷺ عمامة يلبسها كما سيأْتي بيان ذلك في أَبواب لِبَاسه.

«**ذو الجهاد**»: أَي صاحبه، وهو مأْخوذ من الجَهْد بفتح الجيم يعني التعب والمشقة، وبضمها الطاقة. فالمجاهد في سبيل الله هو البالغ غاية ما يكون من إِتعاب نفسه في ذات الله تعالى وإِعلاء كلمته التي جعلها طريقاً إِلى جنته ووراء ذلك جهاد القَلْب، وهو دَفع الشيطان ونَهْي النفس عن الهوى، وجهاد اليد واللسان، وهو الأَمر بالمعروف والنهي عن المنكَر.

وقال الأُستاذ أَبو علي الدقَّاق ـ رحمه الله تعالى ـ: من زيَّن ظاهره بالمجاهدة حسَّن الله سرائره بالمشاهَدة.

وقال القشيريّ: أَصل المجاهدة ومِلاكها: فَطْم النفس عن المأْلوفات وحَمْلها على خِلاف هواها في سائر الأَوقات.

«**ذو الحَطِيم**»: بفتح الحاء وهو الحِجْر المُخْرَج من البيت على الأَصح كما قاله البرماوي. وقيل: هو ما بين الرُّكْنين والباب. وسمي حَطِيماً لأَن البيت رُفِع وتُرِك، أَو لازدحام الناس فيه وحَطْم بعضهم بعضاً، أَو لأَن العرب كانت تَطْرح في ما طافت به من الثياب فتَبْقى حتى تنحطم أَي تَبْلَى بطول الزمان، أَو لأَنه يَحْطم الذنوب أَي يُذْهبها، سمِّي بذلك ﷺ كما في الكتب السالفة لأَنه أَنقذه من أَيدي المشركين وأَخرج ما كان فيه من الأَصنام وجعله محلاً لعبادة المِلك العلاَّم.

«**ذو الحوض المورود**»: يأْتي الكلام عليه في أَبواب حَشْره ﷺ.

«**ذو الخُلق العظيم**»: بضم الخاء واللام ويأْتي الكلام عليه في باب حُسن خُلقه ﷺ.

«**ذو السيف**»: هو من أَسمائه في الكتب السالفة، وكان له ﷺ عِدّة أَسياف. كما سيأْتي بيانها في باب آلات حروبه إِن شاء الله.

«**ذو السّكينة**»: أَي صاحبها وهي بفتح السين وتخفيف الكاف فَعِيلة من السكون وهو

الوقار والتأَني في الحركة. وقال الصغاني: بكسر السين وتشديد الكاف وهي الرحمة. قال تعالى: ﴿**فأَنْزَل اللّهُ سكِينته على رسوله وعلى المؤمنين**﴾.

«**ذو الصراط المستقيم**».

«**ذو طَيْبَة**»: أَي صاحب المدينة الشريفة، سميت بذلك لطِيبها لساكنيها لأَمْنهم ودعَتهم، أَو لخلوصها من الشِّرك.

«**ذو العزة**».

«**ذو العَطَايا**»: جمع عطية وهي الوهبة.

«**ذو الفتوح**»: جمع فتح وهو النصر على الأَعداء قال تعالى: ﴿**إِنَّا فَتَحنا لك فتحاً مُبيناً**﴾ وهو فتح مكة أَو الحُدَيْبِيَة، وعبّر بالماضي وإِن كان الفتح لم يقع بعدُ لأَنه كان مُتحقّق الوقوع نزِّل منزلة الواقع.

«**ذو الفضل**»: أَي الإِحسان.

«**ذو المدينة**»: وهي طَيْبة شرَّفها الله تعالى وعظَّمها.

«**ذو المعْجزَات**»: وسيأْتي الكلام عليها.

«**ذو القَضِيب**»: أَي السيف الدقيق. وجاء في الإِنجيل في صفته ﷺ: «**معه قَضِيب من حديد يقاتِل به**».

«**ذو القوة**»: قال الله تعالى: ﴿**إِنَّه لَقَوْلُ رسولٍ كريمٍ ذي قُوّةٍ عند ذِي العَرْش مَكِينٍ**﴾ أَحد القولين، ونقله القاضي عن الجمهور: أَنه محمد ﷺ. وقيل: جبريل قال القاضي: وهو مما سمَّاه الله تعالى به من أَسمائه. ولهذا مزيد بيان في باب شجاعته ﷺ.

«**ذو المقام المحمود**»: سيأْتي الكلام عليه في أَبواب الشفاعة.

«**ذو المِيسم**»: بكسر الميم وسكون التحتية، وهو في الأَصل المِكْواة والمراد به هنا العَلامة أَو الجمال والحسن، أَي ذو حُسْن وجمال.

«**ذو الهِرَاوة**»: بكسر الهاء: العصا. وفي حديث سَطِيح: «وخرج صاحب الهِرَاوة» قال ابن الأَثير: أَراد النبيّ ﷺ، لأَنه كان يمسك القضيب كثيراً وكان يُمْشَى بين يديه بالعصا وتُركز له فيصلِّي إِليها. وسيأْتي لهذا تتمة في صاحب الهراوة.

«**ذو الوسيلة**»: وهي أَعلى درجة في الجنة كما في صحيح مسلم، وأَصل الوسيلة القرب من الله والمنزِلة عنده. وسيأْتي الكلام على ذلك في الخصائص وفي شفاعته ﷺ.

فـائـــدة:

«ذو» لا تضاف إلا إلى مُظْهَر خلافاً للمبرّد حيث جوّز إضافتها إلى ضمير المتكلم فتقول ذِيّ أي صاحبي. كما تقول فيّ. قال السُّهَيْلي: والإضافة بها أشرف من الإضافة بصاحب لأنه يضاف بها إلى التابع مثل ذو مال وصاحب تضاف بها إلى المتبوع مثل: أبو هريرة صاحب رسول الله (ص). ولا يقال: النبي صاحب أبي هريرة. إلا على جهة مّا. ومن ثم لما كان ذكر يونس عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام في سورة الأنبياء في موضع الثناء عليه والمدح له قال تعالى: ﴿**وذا النُّونِ**﴾ فأتى بـ «ذا» الدالة على التشريف وأضيفت إلى لفظ النُّون الذي هو أشرف من لفظ الحوت، لأنه وإن كان بمعناه إلا أنه ذكِر دونه في حروف التهجّي وأوائل السور على جهة القسم زيادة في التشريف ومبالغة في التعظيم، ولما لم يكن المقصود من ذكره في سورة (ن) ذلك قال تعالى: ﴿**ولا تَكُنْ كصاحِبِ الحوت إذْ نادَى وهو مَكْظُومٌ**﴾ الآية والله أعلم.

حرف الراء المهملة

«**الراجي**»: اسم فاعل من الرجاء ضد الخوف، وهو تعلق القلب بمحبوب سيحصل. وقيل: الثقة بالجود من الكريم الموجود. وقيل: سرور الفؤاد بحسن الميعاد، وفرّق بعضهم بينه وبين التمنّي بأنه يصاحب الكسَل ولا يُسلك معه طريق الجد والاجتهاد، والرجاء بخلافه، وبأن الرجاء يختص بالممكن والتمني يستعمل فيه وفي المُحَال لأن ماهية التمني محبّة حصول الشيء سواء كان مع انتظار وترقُّب أم لا، وتختص به ليت نحو: ليت الشباب يعود. والترجي ارتقاب ما لا يوثق بحصوله مع إمكانه، وتختص به «لعَلّ» في المحبوب نحو لعل العدو يموت.

«**الراضِع**»: وفي ذكر مثله نظر.

«**الراضي**»: أخذه «د» من قوله تعالى: ﴿**ولسوف يُعْطيك ربُّك فترضى**﴾ وهو القانع بما أُعطي، اسم فاعل من الرضا ورضا العبد عن الكرب أن لا يكره ما يجري به قضاؤه، ورضا الرب عن العبد أن يراه مؤتمراً بأوامره منتهياً عن نواهيه.

روى مسلم وغيره عن عبد الله بن عمر ـ رضي الله تعالى عنهما ـ أن رسول الله ﷺ تلا قوله تعالى في إبراهيم: ﴿**ربِّ إنَّهن أَضْلَلْن كثيراً من الناس فمن تَبِعني فإنه منِّي ومن عَصاني فإنك غفورٌ رَحِيم**﴾ وقول عيسى: ﴿**إنْ تعذِّبهم فإنهم عِبادُك**﴾ الآية. فرفع يديه وقال: «اللهم أُمتي أُمتي، وبكى، فقال الله: يا جبريل اذهب إلى محمد فقل: إنا سنرضيك في أُمتك ولا نسوؤك».

قال «د» وهذا الحديث هو تفسير الآية.

«**الراغب**»: اسم فاعل من رغب إليه كسمع رغَباً محركاً ورَغبا بالفتح وقد تضم ورَغْبَاء كصحراء ورُغُوباً ورُغْبَاناً ورُغْبة بالضم ويحرَّك: إذا ابتهل وتضرع أو سأَل وقد يعدَّى بفي. ومعناه الإرادة والحرص على الشيء. وأصل الرغبة: الاتساع، حوضٌ رغيب أي واسع والرغبة كثرة العطاء قال الله تعالى: ﴿**وإلى ربِّك فارْغَبْ**﴾ قال ابن مسعود: أي فاجعل رغبتك إليه دون مَنْ سواه. وقال ابن عباس: إذا فرغت صلاتك وتشهّدك فانصب إلى ربك وسَلْه حاجتك. وقال: تضرَّع إليه راهباً من النار راغباً في الجنة. وقرأ ابن أبي عَبْلة: فَرغِّب من الترغيب والاسم منه الرَّغَب.

«**الرافع**»: الذي رفع به قَدْر أُمته وشرّفوا باتباع ملته، وهو من أَسمائه تعالى، ومعناه الذي يرفع المؤمنين بالإِسعاد ويخفض الكافرين بالإِبعاد.

«**راكب البراق**»: ذكره «د» وسيأْتي الكلام عليه في باب الإِسراء.

«**راكب البعير**»: هو من أسمائه ﷺ في الكتب السالفة.

«**راكب الجمل**»: قال «د»: ورد في كتاب نبوة شَعْيا[1] وهو دو الكفل ـ عليه الصلاة والسلام ـ أنه قال قيل لي: قم نَظَّاراً فانظر ما ترى فأَخبرْ عنه. فقلت: رأَيت راكبين مُقْبلين أَحدهما على حمار والآخر على جمل، فنزل يقول أَحدهما لصاحبه سقطت بابل وأَصنامها. قال فراكب الحمار عيسى وراكب الجمل محمد صلى الله عليهما وسلم، لأَن مُلْك بابل إنما ذهب بنبوّتِه وسيفِه على يد أَصحابه كما وعدهم به. قال الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ: ولهذا قال النجاشيّ لما جاءه كتاب رسول الله ﷺ وآمن به: أَشهد أَن بشارة موسى براكب الحمار كبشارة عيسى براكب الجمل.

قال ابن عساكر: إن قيل لِمَ خُصَّ بركوب الجمل؟ وقد كان ﷺ يركب الفرس والحمار.

فالجواب: أَن المعنى به أَنه من العرب لا من غيرهم، لأَن الجمل مَركب للعرب يختص بهم لا يُنسب إلى غيرهم من الأُمم.

«**راكب الناقة**»: وهو من أَسمائه ﷺ في الكتب السالفة.

«**راكب النَّجيب**».

---

(١) قال في القاموس: وسعيا بن أمصيا: نبي بشر بعيسى عليه السلام، والشين لغة، انظر الترتيب ٢/٥٦٨.

«**الرَّجِل**»: بفتح الراء وكسر الجيم وفتحها أَيضاً: أَي رَجْل الشَّعر أَي كأَنه مَشِيط وليس بالسَّبْط ولا الجَعْد، أَي ليس بالبيِّن السُّبوطة ولا الجعُودة، بل بَيْنهما. ولهذا مزيد بيان في صفاته ﷺ.

«**الرَّجِيح**»: الزائد على غيره في الفضل، فَعِيل بمعنى فاعل من الرُّجْحَان وهو الزيادة، يقال رجَح الميزان يَرْجح بكسر الجيم وبفتحها رُجحاناً إِذا مالت إِحدى كِفَّتيه عن الأُخرى لزيادة ما فيها.

«**الرَّحْب الكف**»: أَي واسعه أَو الكثير العطاء. قلت قد كان ﷺ موصوفاً بهما.

«**رحمة الأُمة**».

«**رحمة العالمين**»: قال تعالى: ﴿**وما أَرْسَلْناك إِلا رَحْمَةً للعالمين**﴾[1] فهو ﷺ رحمة لجميع الخَلْق، المؤمن بالهداية والمنافق بالأَمان من القتل، والكافر بتأْخير العذاب عنه.

قال أَبو بكر بن طاهر رحمه الله تعالى: زيَّن الله محمداً ﷺ بزينة الرحمة، فكان كَوْنُه رحمةً وجميع شمائله وصفاته رحمة على الخَلْق، وحياته رَحْمة ومماته رحمة، كما قال ﷺ: «**حياتي خَيْر لكم ومماتي خير لكم**»[2] وكما قال ﷺ إِذا أَراد الله رحمةً بأُمة قبض نبيها قبلها فجعله لها فَرطاً وسَلفاً.

الفَرط بفتح الفاء والراء: هو الذي يتقدم الواردين فيهيئ لهم ما يحتاجون إِليه.

«**رَحْمة مُهْدَاة**».

روى الحاكم عن أَبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنما أَنا رَحْمة مُهْداة**»[3]. ورواه الطبراني بلفظ «**بُعْثت رحمةً مُهْدَاة**»[4] قال ابن دِحْية رحمه الله: معناه أَن الله تعالى بعثني رحمةً للعِبَاد لا يريد لها عوضاً، لأَن المهدي، إِذا كانت هديته عن رحمة لا يريد لها عوضاً.

«**الرؤوف الرحيم**»: قال تعالى: ﴿**لقد جاءكم رسولٌ من أَنفسكم عزيزٌ عليه ما عَنِتُّم حريصٌ عليكم بالمؤمنين رؤوفٌ رَحِيم**﴾.

---

(١) الانبياء ١٠٧ .

(٢) ذكره العجلوني في كشف الخفا ٤٤٢/١ وعزاه للديلمي عن أنس وعزاه في الجامع الصغير للحارث عن أنس، وفيه عند ابن سعد عن بكر بن عبد الله مرسلاً بلفظ حياتي خير لكم تحدثون ويحدث لكم فإذا مت كانت وفاتي خيراً لكم تعرض على أعمالكم فإن رأيت خيراً حمدت الله وإن رأيت شراً استغفرت لكم.

(٣) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة ٢٩٩/٦، وابن كثير في البداية والنهاية ٢٩٩/٦، وابن سعد في الطبقات ١٢٨/١/١، وابن عدي في الكامل ١٥٤٦/٤.

(٤) أخرجه الطبراني في الصغير ١٩٥/١، وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله ١٥٤/١.

قال الأُستاذ أَبو بكر بن فورك رحمه الله تعالى: أَعطاه الله تعالى هذين الاسمين من أَسمائه. والرأْفة شدة الرحمة وأَبْلغها. قال ابن دحية: خاصيتها أَنها لدفع المكاره والشدائد، والرحمة طلب المحَابّ، ولهذا قدِّمت الرأفة عليها. والرحمة في كلام العرب العطف والإِشفاق والرأْفة، وهو صحيح في حقه ﷺ إذ هو أَرحم الخلق وأَعْطَفهم وأَشفقهم وأَرقُّهم قلباً، وهي لهذا المعنى مُحَال في حقه تبارك وتعالى فتؤَوَّل بلازمها وهو إِرادة الخير لأَهله، وإِعطاء ما لا يستحقه العبد من المثوبة، ودفع ما يستوجبه من العقوبة «عا» والفرق بين الرأْفة والرحمة أَن الرأْفة إِحسان مَبْدؤه شفقة المحسن والرحمة إِحسان مبدؤه فاقة المحسَن إِليه. ولهذا مزيد بيان في باب شفقته ﷺ.

«الرسول»: يأْتي الكلام عليه في أَبواب بعثته ﷺ.

«رسول الله».

رسول الرحمة. ورد في الحديث السابق في إِمام الخير ومعناه واضح لأَنه أرسل للرحمة. كما تقدم.

«رسول الملاَحم»: جمع ملحمة. بفتح الميم، وهو موضع القتال والحرب مأْخوذة من لُحْمة الثوب لاشتباك الناس في الحرب واختلاطهم كاشتباك اللحمة بالسَّدَي. وقيل من اللَّحْم لكثرة لحوم القتلى في المعركة وسُمي بذلك لأَنه أُرسل بالجهاد والسيف.

«الرّشِيد»: فعيل من الرُّشْد بضم الراء وسكون الشين وبفتحها أَو الثاني أَخص من الأَول؛ فإِنه يقال في الأُمور الدنيوية والأُخروية، والأَوّل للأُخروية فقط، وهو الاستقامة في الأُمور بمعنى راشد أَي المستقيم. أَو بمعنى المرشِد أَي الهادي، قال تعالى: **﴿وإِنك لتَهْدي إِلى صِرَاطٍ مُستقيم﴾** أَي تُرشد إِلى الدين القيم، قال عمه أَبو طالب:

حَلِيمٌ رَشِيدٌ عَادِلٌ غَيْرُ طَائِشٍ ... يُوَالِي إِلٰهاً لَيْسَ عَنْهُ بِغَافِلِ

وهو من أَسمائه تعالى، ومعناه الذي تنساق تدبيراته إِلى غاياتها على سنَن السَّدَاد[1] من غير استشارة ولا إِرشاد أَو الذي أَرْشَد الخَلْق إِلى مصالحهم.

«الرِّضا».

«الرضوان»: أَي ذو الرضا أَو هو رضوان الله سبحانه وتعالى على عباده.

«رضوان الله» بكسر الراء: الرضا. أَي رضا الله تعالى على عباده وقيل في قوله تعالى: **﴿يَهْدي به الله من اتَّبع رِضوانه﴾** أَي اتبع رسوله.

---

(١) في أ: الرشاد.

«الرفـيق»: فَعِيل بمعنى مُفْعِل من الرفق وهو اللطف وكان ﷺ منه بمكان.

«الرفـيع الذِّكْر»: قال الله تعالى: **﴿ورفَعْنا لـك ذِكْرَك﴾** روى ابن حِبّان عن أَبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ أَنه قال: أَتاني جبريل فقال: إِن ربك يقول: تدري كيف رفعتُ ذكرك، قال: الله أَعلم. قال: إذا ذُكرتُ ذُكرتَ معي[1].

«عا» ومعناه العليّ أَو رفيع الدرجات على غيره أَو رفيع الذكر بمعنى مرفوعه أَو رافع هذه الأُمة بالإِيمان بعد انخفاضهم بذل الكفر والعصيان فهو بمعنى الرافع ومن أَسمائه تعالى: الرفيع.

«رفـيع الدرجات»: أَخذه «ط» من قوله تعالى: **﴿ورفَع بَعْضَكم فوق بعضٍ دَرَجاتٍ﴾** والمراد به سيدنا محمد ﷺ كما قال مجاهد: ورَفعه بما خصه به من بدائع الفضل الذي لم يؤتَه نبيّ قبله، وسيأْتي بيان ذلك في الخصائص.

«الرقـيب»: الذي يراقب الأَشياء، ويحفظها: فَعِيل بمعنى فاعل من المراقبة وهي الحفظ، يقال رقبت الشيء أرقبه إِذا رعيْته أَو العالِم.

قال بعض السادة: المراقبة علم العبد باطلاع الرب.

وهو من أَسمائه تعالى، ومعناه المطلع على الضمائر العالم بما في السرائر.

«ركن الـمتواضعين»: وقع في كتاب شَعْيا تسميته ﷺ به كما تقدم في باب ذكره في التوراة والإِنجيل.

«الرهَّاب»: يقال للمبالغة من الرُّهْب بضم الراء وسكون الهاء وبفتحها، وهو الخوف لا من الترَهّب لأَن أَمثلة المبالغة لا تُبنى غالباً إِلا من ثلاثي مجرَّد، ولنهيه ﷺ عن الرهبانية فلا يَصِف بها نفسه، وفي الحديث: «واجعلني لك شَكّاراً لك رَهَّاباً» رواه ابن ماجة.

«الرُّوح»: في الأَصل: ما يقوم به الجسد وسمي به ﷺ والقرآن وجبريل والرحمة والوحي، لأَن كل واحد فيها حياة الخلق بالهداية بعد موتهم بالضلالة وكشف العذاب عنهم كما يحيا الجسد بالروح. وقيل في تفسير قوله تعالى: **﴿يوم يقوم الروح﴾** إِنه النبي ﷺ. وقيل جبريل. وقيل غيره.

«روح الـحق».

«روح القدس» «د»: وردا في الإِنجيل ومعنى روح القدس: الروح المقدسة أَي الطاهرة

---

(١) أخرجه ابن حبان (١٧٧٢) والطبري في التفسير ١٥١/٣٠، وذكره الهيثمي في المجمع ٢٥٧/٨ وعزاه لأبي يعلى وحسّن إسناده.

من الأَدناس فيكون من باب إضافة الموصوف إلى الصفة. والحق إما أَن يراد به الله تعالى وإضافة الروح إليه تشريف، كما سميّ عيسى روح الله. أَو يراد به النبي ﷺ وتكون الإِضافة للبيان أَي روح هو الحق.

حرف الزاي

«الزاجر»: اسم فاعل من الزَّجْر وهو المنع والكف، وسمي به ﷺ لأَنه ينهي عن معاصي الله تعالى ويزجر عنها، قال الله تعالى: **﴿ويَنْهاهم عن المُنْكَرِ﴾**.

«الزاهر»: المشْرِق اللون المستنير الوجه، وفي قصص الكسائي: أَن الله تعالى قال لموسى ﷺ: إن محمداً هو النجم الزاهر.

«الزاهد»: وهو من أَسمائه في الكتب المتقدمة، والزهد خلاف الرغبة، وقيل هو ترك الحرام لأَن الحلال مباح، وقيل الزهد في الحرام واجب، وفي الحلال فضيلة. وقيل غير ذلك.

روى الترمذي عن أَبي ذر ـ رضي الله تعالى عنه ـ أَن رسول الله ﷺ قال: **«الزهادة في الدنيا ليست بتحريم الحَلال ولا إِضاعة المال، ولكن الزهادة في الدنيا أَن لا تكون بما في يديك أَوثق مما في يد الله وأَن تكون في ثواب المصيبة إِذا أَنت أُصبت بها أَرْغب فيها لو أَنها بقيت لك»**[١].

وسيأْتي في باب زُهْده ﷺ ما فيه كفاية.

«الزاهي»: الحَسن المشرق أَو الظاهر أَمره الواضح برهانه المرتفع بسمات الهداية والفتوة، المنزَّه عما لا يليق بمنصب النبوة.

«زعيم الأَنبياء»: الزعيم: الكفيل المتحمل للأُمور أَو الضامن لأُمته بالفوز يوم النشور. روى أَبو داود بسند صحيح عن أَبي أمامة ـ رضي الله تعالى عنه ـ أَن رسول الله ﷺ قال: **«أَنا زعيمُ بَيْتٍ في رَبَض الجنة لمن ترك المِرَاء وهو مُحّق»**[٢].

الربَض بفتح الراء والباء الموحدة وآخره معجمة أَي أَرض الجنة، تشبيه بربَض المدينة وهو ما حولها.

«الزكي»: قال «عا»: الطاهر المبارك من الزكاة وهي النمو والطهارة. وقال سَطِيح في وصفه ﷺ كما تقدم في باب المنامات: «يَقْطعه ـ أَي مُلْك ذي يَزن ـ نبيٌّ زكِيّ الوحي من قِبَل العَلِيّ».

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٣٤٠) وذكره المتقي الهندي في الكنز (٦٠٥٩).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٨٠٠)، والبيهقي في السنن ٢٤١/١٠، والطبراني في الكبير ١١٧/٨.

وأخذه «د» من قوله تعالى: ﴿**كما أرْسَلْنا فيكم رسولاً منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم**﴾[1] «ط» وهو أَخذ غير صحيح فإن الوصف[2] من زكّى مُزكٍّ لا زكِيّ نعم الاسم المذكور صحيح في حقه ﷺ ومعناه الطاهر يقال زكَّاه أي طهَّره.

«**زَلِف**»: بفتح الزاي ككتف أي الزليف بإثبات المثناة التحتية بعد اللام: المتقدم القريب سمي بذلك لتقدّمه على الأنبياء فضلاً وشرفاً، أو لتقربه من مولاه زُلْفى من الزَّلف وهو القرب والتقدم.

«**الزَّمْزَمي**»: «د» هو منسوب إلى زمزم وهي سقاية الله تعالى لجده إسماعيل ﷺ فهو أَوْلى من نُسب إليها.

«**الزَّيْن**»: الحسن الكامل خَلْقاً وخُلقاً، وهو في اللغة ضد الشَّيْن.

«**زَيْن من وافى القيامة**»: ذكره القاضي وسيأتي في حديث الضب في المعجزات قوله: «**السلام عليك يا زَيْن من وافَى القيامة**».

حرف السين

«**سابق العرب**»: في حديث أَنس مرفوعاً «السُّبَّاق أَربعة أَنا سابق العرب، وصُهَيْب سابق الروم، وسَلْمان سابق الفُرْس وبلال سابق الحبشة» وهو اسم فاعل من السَّبق وهو التقدم، وقد يستعار السبق لإحراز الفضيلة، ومنه قوله تعالى: ﴿**والسَّابِقُونَ السَّابِقُون**﴾.

ومعناه المخلص الذي سارع إلى طاعة مولاه وشق الفَيَافِي في طلب رضاه. وقيل: الناس على ثلاثة أَقسام: رجل ابتكر الخير في مبدأ أَمره وداوَم عليه فهو السابق. ورجل ابتكر عُمْره بالذنب والغفلة ثم رجع بالتوبة فهو من أَصحاب اليمين ورجل ابتكر الشر من مبدأ أَمره ثم لم يزَلْ عليه حتى مات فهو من أَصحاب الشمال.

أَو السابق لفتح باب الجنة قبل الخَلْق.

«**السابق بالخيرات**».

«**الساجد**»: الخاضع المطيع أَخذه «ط» من قوله تعالى: ﴿**ومن الليل فاسجُدْ له**﴾ ﴿**وكُن من الساجِدين**﴾ أَي ـ داوم على عبادتك وخضوعك معهم.

«**سبيل الله**»: أَخذه «د» من قوله تعالى: ﴿**ويَصُدُّون عن سبيلِ الله**﴾ في أَحد القولين أنه سيدنا رسول الله ﷺ، قاله السُّدي. ورواه ابن أَبي حاتم، ومعنى كونه سبيل الله الطريق

---

(١) البقرة: ١٥١ .
(٢) في أ: الأخذ.

الموصل إليه، والسبيل الطريق الواضح. وسمّي به ﷺ لأنه الموصل إلى رضا الله تعالى. قال تعالى: ﴿**الذين كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ**﴾ أي كتموا نعت محمد ﷺ.

«**السَّبِط**»: بفتح المهملة وكسر الموحدة أي سَبْط الشعر كما سيأتي في باب صفة رأسه وشَعْره.

«**السَّخِيّ**»: الكريم صفة مشبهة من السخاء ممدوداً وهو الكرم.

«**السَّدِيد**»: بمهملات فعيل بمعنى فاعل من السَّدَاد وهو الاستقامة، أو هو بمعنى مُفَعَّل أي المسدِّد ثَلْم أُمته بإصلاح أمورهم في الدنيا، والمرقع خَلَلهم بالشفاعة في الآخرة.

«**السِّرَاج المنير**»: قال الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً ونَذِيراً وَدَاعِياً إِلى اللّهِ بإذْنِه وسِرَاجاً مُنِيراً**﴾ السراج الحجة أو الهادي أو المصباح أو الشمس وسمي سراجاً لإضاءة الدنيا بنوره، ومحو الكفر وظلامه بظهوره، وشبَّهه بالشمس لأنه الغاية في النيّرات. وقال بعضهم: سمِّي سراجاً لأن دينه يضيء بين الأديان كما يضيء السراج في الليلة المظلمة. وقال غيره: لأن الله تعالى أَمدَّ بنور نبوّته أنوارَ البصائر كما أَمدَّ بنور السراج أنوار الأبصار. وإنما شبه ﷺ بنور السراج دون غيره مما هو أَضْوَأ منه كالشمس مثلاً لأن المراد بالسراج الشمس، أو لأنه بُعث في زمان يشبه الليل من ظلمات الكفر والجهالة، فكشفه بنور اليقين والهداية.

قال القاضي أبو بكر بن العربي ـ رحمه الله تعالى ـ: قال علماؤنا سمِّي سراجاً لأن السراج الواحد تُوقَد منه السُّرُج الكثيرة فلا ينقص ذلك من ضوئه شيئاً، وكذلك سُرج الطاعات أُخذت من سراج محمد ﷺ ولم ينقص ذلك مِن أَجْره شيئاً.

قال: وفي وجه التشبيه بالشمس أوجه: منها أنها لا تطلع حتى يتقدم بين يديها الفجر الأول والثاني مُبَشِّرَيْن بطلوعها، وكذلك لم يُبعث سيدنا محمد ﷺ حتى بَشَّرت به الأنبياء والمرسلون ووصفتْه الكتب المنزلة.

ومنها: أن للشمس إحراقاً وإشراقاً، وكذلك كان ﷺ لبعثته نور يشرق في قلوب أوليائه، ولسيفه نار تحرق قلوب إعدائه.

ومنها: أن فيها هداية ودلالة، وكذلك النبي ﷺ هدَى من الضلالة ودَلَّ على الرشاد.

ومنها: أنها سيِّدة الأنوار الفلَكية، وهو ﷺ سيد الأنبياء، وقد وصَف الله رسولَه ﷺ بالمُنِير ولم يصف الشمس إذ سمَّاها بذلك لأنها خُلقت من نوره ولأن دولتها في الدنيا فقط ودولته ونوره ﷺ في الدنيا وفي الآخرة أعظم.

والمُنِير مُفْعِل من أَنارَ يُنير إنارةً وهو راجع إلى النور.

«السراط المستقيم»: يأتي في حرف الصاد.

«سر خليطس» ذكره «ع» وقال هو اسمه بالسريانية ومعناه معنى البرقليطس.

«السَّريع»: السابق المبادر إلى طاعة ربه أو الشديد. ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسريع العقاب﴾ أي لَشديده، وإلا فسرعة العقاب تنافي صفة الحِلْم، إذ الحليم كما مرَّ هو الذي لا يَعْجَل بالعقوبة على من عصاه. وقيل معنى الآية: سريع العقاب إذا جاء وقت عقابه لا يردّه عند أَحدٌ سبحانه وتعالى.

«سَعْد الله» «خا».

«سعد الخلائق».

«سعيد»: فعيل بمعنى فاعل من السعد، وسمي به ﷺ لأن الله تعالى أوجب له السعادة ـ من القِدَم وحقق لأمته السيادة على سائر الأمم.

«السَّلاَم»: أي السالم من العَيْب المنزّه عن الرَّيْب، وهو في الأَصل السلامة، وسمي به ﷺ لسلامة هذه الأمة بل وغيرها بوجوده من العذاب وأَمْنها من حلول العقاب، أو لسلامته من النقص والعيب وبراءته من الزيْغ والرَّيْب.

وهو من أَسمائه تعالى ومعناه الذي سلمت ذاته من الشَّيْن وجلَّت صفاته عن النقص والرَّيْن. وقيل: معناه مالك تسليم العباد من المهالك، ويرجع إلى القدرة. وقيل: ذو السلام على المؤمنين في الجنة. ويرجع إلى الكلام القديم الأَزلي. وحكى ذلك إمامُ الحرمين. وقيل: الذي سَلِم خلقه من ظُلْمه. وقيل سلم المؤمنين من العذاب. وقيل المسلِّم على المصطفَيْن لقوله تعالى: ﴿وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾.

وهو في حقه ﷺ صحيح بالمعنى الأَول والرابع، كما هو واضح ويصح أَيضاً بالمعنى الخامس، لأَنه مسلِّم المؤمنين من العذاب بهدايته إياهم. وليس المعنى الثالث والسادس ببعيدين في حقه أَيضاً.

«السُّلْطان»: المِلك والحجة والبرهان. وتذكيره على معنى البرهان أَشهر كما قاله ابن عطية. وهي لغة القرآن وقد يؤنث على معنى الحجة يقال قضت به عليك السلطان وفي القاموس: السلطان الحجة. وقدرة المِلك ـ وتضم لامه ـ والوالي، يؤنث لأَنه جمع سَلِيط وهو الدُّهن لأَن به يضيء المُلْك أَو لأَنه بمعنى الحجة وقد يذكَّر ذهاباً إلى معنى الرَّجُل.

وسمي به ﷺ لأَنه حجة الله تعالى على عباده في الآخرة وبرهانه في الدنيا وهو ذو السلطان وهو المِلك، والقوة مأخوذ من السَّلاطة وهي التمكن من القهر والغلبة، ومنه قيل للفصيح سَلِيط لاقتداره على فنون الكلام وللمرأَة السخَّابة سليطة لقوتها على المقال وشدة

بأسها على الرجال. فسليط كما في القاموس وغيره مدح للذكر ذم للأُنثى. وقد أَلغز الزَّيني عبد الباسط في ذلك فقال:

يَــا إِمَــامَ الأَنَــامِ أَيَّــةُ وَصْــفٍ إِنْ يَكُـنْ لِـلـذُّكُـور فَـهْـوَ مَـدِيـحُ

وإِذَا مَــا بِــهِ الإِنَــاثَ نَـعَــتْنَا فَـهْـوُ فـي نَـعْـتِـهِـنَّ ذَمٌّ قَـبِـيـحُ

«السَّميع»: فعيل بمعنى فاعل من السمع هو أَحد الحواس الظاهرة. قال تعالى: ﴿**لنريه من آياتنا إنه هو السَّميع البصير**﴾ قيل: الضمير عائد عليه ﷺ، وسمي بذلك لما شُرِّف به في مَسْراه من سماع كلام مولاه وهو من أَسمائه تعالى ومعناه: الذي يَسْمع السرَّ وأَخْفَى، وسمعه تعالى صفة تتعلق بالمسموعات.

«السَّمِيّ»: السامي أَي العالي من السموّ وهو العلوّ ومنه سميت السماء لعلوّها وارتفاعها.

«السَّنا»: مقصوراً الضوء الساطع أَو النور اللامع، أَو ممدوداً وهو الشرف والعلو، وسمي بذلك لأَنه شَرف هذه الأمة وفخرها أَو هو صاحب الشرف.

السَّنَد: بمهملتين بينهما نون محركة: الكبير الجليل الذي يعتمد عليه ويقصد ويلجأُ إليه.

«السيِّد»: الرئيس الذي يُتَّبع ويُنْتَهى إلى قوله. وقيل: الذي يُلْجَأُ إِليه ويحتاجه الناس في حوائجهم. وقيل: الذي يطيع ربه. وقيل: الفقيه العالم وقيل الذي سادَ في العِلْم والعبادة والورع. وقيل: الذي يفوق أَقرانه في كل شيء وقيل: غير ذلك. والنبي ﷺ سيِّد بالصفات المذكورة وهو من أَسمائه تعالى. قال النحاس: ولا يُطلق على غير الله تعالى إِلا غير مُعَرَّف. قال النووي رحمه الله: الأَظهر جوازه باللام وغيرها للمشهور بعلم أَو صلاح ويُكْره لغيره.

وروى الحاكم وغيره عن بُرَيْدة رضي الله تعالى عنه أَن النبي ﷺ قال: «**إِذا قال الرجل للفاسق يا سيِّد أَغضبَ ربَّه عز وجل**»[١].

تنبيه: روى الإِمام أَحمد عن مُطَرِّف بن عبد الله بن الشخِّير عن أَبيه قال: جاء رجل إِلى النبي ﷺ فقال: أَنت سيِّد قريش. قال: «**السيد الله**» وسيأتي في اسمه ﷺ «سيِّد الناس» ما يجاب به عنه[٢].

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ٣١١/٤، والخطيب في التاريخ ٤٥٤/٥ وابن المبارك في الزهد ٥١/٢.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٨٠٦) وأحمد في المسند ٢٤/٤، وابن سعد في الطبقات ٥٢/٢/١، وابن عدي في الكامل ٢/ ٥٩٢.

«**سيّد الثَّقَلَيْن**»: أي الإنس والجن سمّيا بذلك لأنهما كالثقل للأرض وعليها. وقيل إنهما إنما سمّيا بذلك لأنهما فضّلا بالتميز الذي فيهما على سائر الحيوانات وكل شيء له وزن وقَدْر يُتنافس فيه فهو ثقيل.

«**سيّد الكَونَيْن**».

«**سيّد ولد آدم**»: روي عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أنا سيد ولد آدم يوم القيامة**» ولهذا مزيد بيان يأتي في الخصائص.

«**سيّد الناس**»: في حديث الشفاعة: «**أنا سيّد الناس يوم القيامة، هل تدرون مم ذاك؟ يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد**» الحديث بطوله في مجيء الناس إليه بعد ترددهم إلى الأنبياء وكلهم يقول: نفسي نفسي.

«ع»: وإنما قَيَّده بيوم القيامة لأن فيه يظهر سؤدده لكل أحد ولا يبقى له منازِع ولا معانِد، بخلاف الدنيا فقد نازعه في ذلك ملوك الكفار وزعماؤهم.

وفي لفظ عند الحاكم: «أنا سيّد الناس» وفيه «ولا فخر» أي ولا فخر أعظم ولا أكمل من هذا الفخر الذي أُعطيته. وقيل: معناه أن هذه الفضيلة التي نِلْتها كرامة من الله تعالى لم أنلها من قِبَل نفسي ولا بلَغْتها بقوتي، فليس لي أن أفتخر بها.

قال النووي: وهذا قريب من قوله تعالى: ﴿**لمن المُلْك اليومَ**﴾ فإنه تعالى له الملك اليوم وبعد، ولكن لمّا كان ثَمّ من يدعيه أو يضاف إليه مجازاً وانقطع كل ذلك في الآخرة وبقي المُلْك له وحده قاله موبّخاً لمن زعم ذلك في الدنيا.

قال النووي: وإنما قال النبي ﷺ ذلك لوجهين: أحدهما امتثالاً لقوله تعالى: ﴿**وأمّا بنِعْمة ربِّك فحدِّث**﴾ والثاني: أنه من البيان الذي يجب أن يبلّغ لأمته ليعرفوه ويعتقدوه.

وأما قوله ﷺ: «**لا تفضلوني على موسى**» وفي رواية على يونس[1]، فقاله ﷺ قبل أن يعلم أنه سيد الناس، أو أدباً أو تواضعاً، أو أراد النهي عن التفضيل الذي يؤدّي إلى تنقيص المفضول أو يؤدي إلى الخصومة أو عن التفضيل في نفس النبوّة دون التفضيل في الخصائِص.

قال النووي: ولا بد من اعتقاد التفاضل بينهم فيها لقوله تعالى: ﴿**تلك الرسلُ فضَّلْنا بعضَهم على بَعْضٍ**﴾ الآية. ولهذا تتمة تأتي في الخصائص وفي أحاديث الشفاعة آخر الكتاب.

---

(١) أخرجه مسلم ١٨٤٤/٤ كتاب الفضائل (١٦٠- ٢٣٧٣).

«**السَّيْف**»: روى الحاكم أَن كعب بن زهير أَنشد للنبي ﷺ: بانت سعاد. حتى انتهى إلى قوله:

إِنَّ الرَّسُولَ لَسَيْفٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ مُهَنَّدٌ مِنْ سُيُوفِ الهِنْدِ مَسْلُولُ[1]

فقال رسول الله ﷺ: «**من سيوف الله**».

السيف في الأَصل معروف وأَسماؤه كما قال في القاموس تزيد على أَلف وجمعه أَسياف وسيوف وأَسْيُف.

«**السيف**»: المخدَّم «عا»: بمعجمتين كمعظَّم القاطع الماضي وفيه استعارة مرشحة لأَنه ملائم للسيف الحقيقي الذي يشبَّه به ﷺ تشبيهاً بليغاً. والجامع بينهما أَن الله تعالى محا بكل منهما أَثر كل مجالد ومجادِل وأَظهر دِينَ الحق وأَدْحَض الباطل.

«**سيف الإِسلام**»: روى الدَّيْلمي عن عرْفَجَة بن شُرَيْح رضي الله تعالى عنه رفعه: «أَنا سيفُ الإِسلام وأَبو بكر سيف الردّة».

«**سيف الله**»: تقدم الكلام عليه.

حرف الشين المعجمة

«**الشارع**»: العالِم الربَّاني العامل المعلِّم أَو المظهر المبيِّن للدين القيِّم. اسم فاعل من الشرع وهو الإِظهار والتبيين، وقد اشتهر إِطلاقه عليه على أَلسنة العلماء، لأَنه شرع الدين والأَحكام، والشرع الدين، وكذلك الشريعة، وقد وصف الله تعالى نفسه بقوله تعالى: ﴿**شرَعَ لكم مِنَ الدِّين**﴾ فهو مما سمَّاه الله تعالى من أَسمائه.

«**الشافع**»: الطالب للشفاعة.

«**المشفَّع**» بفتح الفاء الذي يَشْفع فتُقبل شفاعته وهي السؤال في التجاوز عن المذنبين.

«**الشَّفِيع**»: صيغة مبالغة ورد الأَول والثالث في حديث مسلم السابق في اسمه «الأَوَّل» والثاني في حديث سبق في اسمه أَكثر الأَنبياء تابعاً وسيأْتي الكلام على شفاعته ﷺ.

«**الشافِي**»: المبْرِئ من السقم والأَلم. والكاشف عن أمته كل خطب أَلَمّ.

«**الشاكر**»: اسم فاعل من الشكر وهو الثناء على المحسن بما أَولاه من المعروف، وقيل تصوّر النعمة وإِظهارها وقيل هو مقلوب عن الكشر وهو الكشف وقيل مأْخوذ من قولهم «**عين**

---

(١) البيت من القصيدة المشهورة التي مطلعها:

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول متيم إثرها لم يفد مكبول

انظر ديوان كعب ٦٦، الشعر والشعراء ١/١٥٥، والعقد الفريد ٢/٩١.

شَكْرى» أي ممتلئة فالشكر على هذا الامتلاء من ذكر المنعم. وقال القشيري: حقيقة الشكر: نُطْق العبد وإقراره بنعمة الرب. وقيل: الاعتراف بعجزه عنه. والشكر **على ثلاثة أقسام:**

شكر باللسان، وهو الاعتراف بالنعمة **وشكر بالأَركان** وهو الاتصاف بالوفاق والخدمة.

وشكر بالجنَان، وهو الاعتكاف على بساط الشهود مع حفظ الحدود والحُرْمة.

قال القاضي: الشكر من الخَلْق للحق معرفة إحسانه، وشكر الحق للخلق مجازاتهم على أَفعالهم، فسمي جزاء الشكر شكراً مجازاً، والعلاقة المشاكلة، كما سمي جزاء السيئة سيئة في قوله تعالى: ﴿**وجَزاءُ سَيّئَةٍ سَيّئَةٌ مِثْلُها**﴾ وهو من أَسمائه تعالى.

«الشكَّار»: أَبْلغ من الشَّكُور الذي هو أَبلغ من شاكر كما يُعلم ذلك في بحث الغَفُور. وفي حديث ابن ماجة أَنه ﷺ كان يقول في دعائه: ربِ اجعلني لك شَكَّاراً.

«الشَّكُور»: كثير الشكر صيغة مبالغة فَعُول بمعنى فاعل، أَو الذي يثيب الكثير على القليل، وكان هذا من خصوصياته ﷺ لئلا يصير لأَحد عليه مِنَّة وهو من أَسمائه تعالى ومعناه الذي يعطي الجزيل على العمل القليل من قولهم دابة شكور إِذا أَظهرت من السّمن[(١)] فوق ما تُعْطَى من العلَف، أَو المُثْنِي على عباده إِذا أَطاعوه أَو المجازِي على الشُّكْر. روى الشيخان عن المغيرة بن شعبة رضي الله تعالى عنه أَن رسول الله ﷺ صلَّى حتى انتفخت قدماه، فقيل له: أَتَتَكَلَّفُ هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأَخر؟ قال: «**أفلا أَكون عَبْداً شكوراً**»[(٢)].

قيل: وهو أَبْلَغ من الشاكر لأَنه الذي يشكر على العطاء والشكور الذي يشكر على البلاء. وقيل: الشاكر الذي يشكر على الموجود والشكور الذي يشكر على المفقود.

وحكي أَن شقيقاً البَلْخي رحمه الله تعالى أَنه سأَل جعفر بن محمد رضي الله تعالى عنه وعن آبائه عن الفتوة فقال: ما تقول أَنت؟ فقال شقيق: إِن أُعطينا شكَرْنا وإِن مُنعنا صبَرنا. فقال جعفر: هكذا تفعل كلاب المدينة! فقال شقيق: يا بن رسول الله فما الفتوة عندكم؟ قال: إِن أعطينا آثَرْنا وإِن مُنعنا شَكَرْنا.

«الشاهد»: العالم. أَو المطَّلع الحاضر اسم فاعل من الشهود وهو الحضور. قال تعالى: ﴿**إِنا أَرْسَلْناك شاهداً**﴾ أَي على من بُعثت إِليهم مقبول القول عليهم عند الله تعالى كما يُقبل الشاهد العدل. ولهذا تتمة تأتي في الشهيد.

«الشَّثْن» «عا» بفتح الشين وسكون المثلثة وآخره، نون أَي عظيم الكفين والقدمين.

---

(١) في أ المشي.

(٢) أخرجه البخاري ٥٨٤/٨ كتاب التفسير (٤٨٣٦)، ومسلم ٢١٧١/٤ كتاب صفات المنافقين (٧٩- ٢٨١٩).

والعرب تمدح بذلك. وقال القاضي رحمه الله: نحِيفها وقيل: هو الذي في أَنامله غِلَظ بلا قصر. وذلكَ محمود في الرجال لأَنه أَشدّ وأمكن للقبض.

«**الشَّدِيد**»: واحد الأَشِدَّاء من الصفات المشبهة وهو البيّن الشِّدة بكسر الشين المعجمة والاسم الاشتداد. وهو القوة قال الله تعالى: ﴿**محمدٌ رَسُول الله والذين معه أَشِدَّاء على الكُفَّار**﴾ وهو معنى قوله تعالى: ﴿**واغْلُظْ عليهم**﴾ وقال الحسن: بلغ من شدتهم عليهم أَنهم كانوا يتحرّزون من مُمَاسّة أَبدانهم وثيابهم.

«**الشَّدْقَمْ**» بفتح الشين وسكون الدال المهملة وفتح القاف البليغ المفوَّه. وأَصله كبير الشدق وهو جانب الفم، وميمه زائِدة. روى مسلم عن سمرة بن جُنْدَب رضي الله تعالى عنه قال: كان رسول الله ﷺ ضَلِيع الفَمِ. وسيأتي بيان ذلكَ في صفة فمه إِن شاء الله تعالى.

«**الشريف**»: صفة مشبهة من الشرف وهو العلوّ أَي العالي أَو المشرَّف على غيره، أَي المفضَّل فَعِيل بمعنى فاعل أَو مفعول.

«**الشِّفَاء**» بكسر الشين ممدوداً البُرْء من السُّقْم والسلامة منه. وسمي به ﷺ لأَن الله تعالى أَذهب ببركته الوصَب، وأَزال بسماحة مِلَّته النَّصَب. قال الله تعالى: ﴿**قد جاءتكم مَوْعظة من ربكم وشِفَاءٌ لما في الصُّدُور**﴾ قيل: المراد به سيدنا رسول الله ﷺ.

«**الشمس**» في الأَصل: الكوكب النهاري. وسمي به ﷺ إما لظهور شريعته أَو لعلوه ورفعته لأَن رتبتها أَرفع من غالب الكواكب، لأَنها في السماء السادسة عند المحققين من متأَخري أَهل الهيئة أَو لكثرة الانتفاع به كما أَن الانتفاع بها أَكثر من غيرها لأَنها تنضج الزرع وتشد الحبَّ وترطب البدن أَو لأَنه لجلالة قدره وعظم منزلته لا يحاط بكمال صفته ولا يسع الرائي ملء عينه منه إجلالاً له كما أَن الشمس لكبر جِرْمها حتى قيل إِنها قدر كرّة الأَرض مائة وستين مرة وقيل: وخمسين وقيل: وعشرين. لا يدركها البصر بل تكاد تُكِلّه وتخطفه وتعميه. أَو لأَن نور الأَنبياء مستمد من نوره كما قال البوصيري رحمه الله تعالى.

وَكُلُّ آيٍ أَتَى الرُّسْلُ الكِرَامُ بِهَا   فَإِنَّمَا اتَّصَلَتْ مِنْ نُورِهِ بِهِمِ

كما أَن سائر الكواكب تستمدّ من نور الشمس بمعنى أَن نورها لما كان مستمداً مستتراً من نور الشمس فكأَنه مستمد منه وإِلا فهي جوهر شفَّاف لا لون لها مضيئة بذاتها أَو بكواكب أخر مستترة عنا لا نشاهدها إِلا القمر فإِنه كَمُل في نفسه.

«**الشِّهَاب**» بكسر الشين المعجمة: السيد الماضي في الأَمر أَو النجم المضيء وسمي ﷺ بذلك كما سمي بالنجم، أَو لأَن الله حمى به الدين من كل معاند وجاحد كما حمى بالشُّهب سماء الدنيا من كل شيطان مارد. قال كعب بن مالك رضي الله تعالى عنه يمدحه ﷺ:

إِنَّ الـرَسُـولَ شِـهَـابٌ ثـم يـتـبـعُـهُ نُورٌ مَضِيءٌ لَهُ فَضْلٌ علَى الشُّهُبِ

«الشَّهِم»: بفتح أَوله وكسر ثانيه: السيد النافذ الحكم.

«الشَّهيد»: العليم أَو العدل المزكي. قال تعالى: ﴿**ويكون الرسول عليكم شهيداً**﴾ أَي معدلاً مزكِّياً. روى البخاري من حديث عقبة بن عامر رضي الله تعالى عنه أَن النبي ﷺ خرج يوماً فصلى على أَهل أُحد صلاته على الميت ثم انصرف إلى المنبر فقال: «**أَنا فَرَطكم وأَنا شهيدٌ عليكم**»[1].

وهو من أَسمائه تعالى ومعناه أَنه الذي لا يَغِيب عنه شيء.

قال ابن الأَثير: وهو فَعِيل من أَبنية المبالغة في فاعل وإِذا اعتبر العِلْم مُطْلقاً فهو العليم فإِذا أُضيف إِلى الأُمور الباطنة فهو الخبير، أَو إِلى الظاهر فهو الشهيد. انتهى فكل شهيد وخبير عليم ولا عكس.

وقيل هو الشاهد يوم القيامة بما علم. روى الشيخان عن أَبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: يُدْعى نوحٌ يوم القيامة فيقال: هل بلَّغتَ فيقول: نعم فيُدْعى قومه فيقال: هل بلَّغكم فيقولون: ما أَتانا من نذير وما أَتانا من أَحد. فيقال لنوح: من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأُمته. فذلك قوله تعالى: ﴿**وكذلك جعلناكم أُمةً[2] وسطاً**﴾ الآية. والوسط العدل. ولهذا مزيد بيان يأتي إِن شاء الله تعالى في الخصائص والله تعالى أعلم.

حرف الصاد

«الصابر»: اسم فاعل من الصبر، وهو حبس النفس عن الجَزع وإِمساكها في الضيق والفزع. وقال في الإِحياء: هو ثبات باعث الدين على مقاومة باعث الهوى. وفي رسالة الأُستاذ أَبي القاسم القشيري رحمه الله تعالى: الصبر إِما على مكتسب للعبد وإِما على غيره فالأَول الصبر على ما أَمر الله تعالى به وعما نهى عنه. والثاني: الصبر على مقاساة ما يتصل به من حكم الله لما فيه من مشقة. وقال الجنَيْد: هو تجرُّع المرارة من غير تعبيس وقال ابن عطَاء: هو الوقوف مع البلاء بحسن الأَدب.

وقال الجريدي: أَلاَّ يفرق بين حال النعمة والمحنة مع سكون الخاطر فيهما. وقيل: هو تَرْك الشكوى إِلى العباد، فلا ينافيه الشكوى إِلى الله تعالى لأَنه وصَف أَيوب بالصبر فقال: ﴿**إِنَّا وجَدْنَاهُ صابراً**﴾ مع شكواه إِليه حيث قال: ﴿**إِني مسَّني الضرُّ وأَنت أَرحم الراحمين**﴾.

---

(١) أخرجه البخاري ٢٤٨/٣ كتاب الجنائز (١٣٤٤).

(٢) أخرجه البخاري ٤٨/٦ كتاب التفسير (٤٤٨٧).

والتصبر هو السكون على البلاء، مع وجود أَثقال المحنة.

وقال بعضهم: الصبر على ثلاث مقامات: أَولها ترك الشكوى. وهي درجة التائبين. ثانيها: الرضا بالمقدور، وهي درجة الزاهدين. ثالثها: المحبة لما يصنَعْ المولى. وهي درجة الصِّديقين.

وقال الخوَّاص: هو الثبات على أَحكام الكتاب والسُّنة. وقال بعضهم: الصبر إِما بدَني أَو نفسيّ، فإِن كان عن شهوة البطن فهو العِفَّة، وإِن كان عن مصيبة فهو الصبر وضده الجزَع والهلَع. وإِن كان في احتمال الغِنَى فهو ضَبْط النفس وضده البطَر. وإِن كان في القتال فهو الشجاعة وضده الجبن. وإِن كان في كَظْم الغيظ فهو الحِلم وضده السَّفَاهة وإِن كان في إِخفاء كلام فهو كَتْم السرِّ. وإِن كان عن فُضول العيش فهو الزهد.

قال تعالى: ﴿**واصبر لـحُكْم ربِّك**﴾ ﴿**واصبِرْ وما صَبْرُك إِلا بالله**﴾ وقد كان ﷺ أَصبر الناس بالمعاني المذكورة كلها.

وروى ابن سعد عن إِسماعيل بن عَيَّاش بالشين المعجمة قال: كان رسول الله ﷺ أَصبر الناس على أَقذار الناس.

«**الصاحب**»: «ع ح د خا» اسم فاعل من الصحبة وهي المعاشرة والملازمة قال تعالى: ﴿**ما ضَلَّ صاحبكم وما غوَى**﴾ ﴿**وما صاحِبكم بمجنون**﴾ قال: «د»: وهو بمعنى العالم والحافظ واللطيف. وقال «ع»: سمّي بذلك لما كان عليه من اتبعه من حُسْن الصُّحبة وجميل المعاملة وعظم المروءة والوقار والبِرّ والكرامة. «د» وقد ورد إِطلاق الصاحب على الله تعالى في حديث: «اللهم أَنت الصاحب في السفر والخليفة في الأَهل».

«عا» الصُّحْبة على ثلاثة أَقسام: الأَول: صحبة من فوقك وهي في الحقيقة خِدْمة، وآدابها ترك الاعتزال وحمل ما يَصْدر منه على أَشد الأَحوال. الثاني: صحبة من هو دونك وهي تقضي على المتبوع بالإِشفاق وعلى التابع بالوقار وآدابها أَن تنبِّه على ما فيه من نقصان من غير تعنيف. الثالث: صحبة مع المساوي وهي صحبة الأَكْفاء والأَقران. وتَنْبني على الفتوّة والإِيثار وآدابها:

الالتفات عن عيوبهم وحَمْل ما صدر منهم على الجميل فإِن لم تجد تأْويلاً فاتهم نفسك.

«**صاحب الآيات**»: «خا».

«**صاحب المعجزات**».

«**صاحب الأَزواج الطاهرات**».

«**صاحب البرهان**».

«صاحب البيَان».

«صاحب التاج»: وقد ذكر في الإِنجيل كما تقدم في اسمه راكب الجمل «يا» المراد بالتاج العمامة، ولم تكن حينئذ إِلا للعرب والعمائم تيجان العرب.

«صاحب التوحيد»: وهو مصدر وحّدْتُه إِذا وصفته بالوحدانية قال بعضهم: التوحيد الحكم بأَن الله تعالى واحد، والعلم بذلك.

«صاحب الخير».

«صاحب الدرجة العالية الرفيعة».

«صاحب الرداء».

«صاحب السجود للرب المعبود».

«صاحب السَّرايا».

«صاحب الشَّرْع».

«صاحب العطاء».

«صاحب العلامات الباهرات».

«صاحب العلو والدرجات».

«صاحب الفضيلة».

«صاحب الفرَج».

«صاحب القَدم».

«صاحب المَغْنَم».

«صاحب الحُجّة»: قال «د» هو في أَوصافه في الكتب المتقدمة، والحجة البرهان والمراد بها المعجزات التي جاء بها وسيأتي الكلام عليها في أَبوابها.

«صاحب الحوض المورود»: وسيأتي الكلام عليه في أَواخر الكتاب.

«صاحب الكوثر»: وسيأتي الكلام عليه.

فائدة: روى الدارقطني بسند جيد عن عائشة رضي الله عنها مرفوعاً: «من أَراد أَن يسمع خَرِير الكوثر فليجعل إِصبعيه في أذنيه» قال الحافظ جمال الدين المزِّي أَي من أَراد أَن يسمع مِثْل خريره...

«صاحب الحَطِيم»: وسيأتي الكلام عليه في شرح قصة المعراج.

«صاحب الخاتم»: والمراد به خاتم النبوة وسيأتي الكلام عليه في أَبواب صفات جسده أَو الخاتم الذي كان يلبسه وسيأتي الكلام عليه في أَبواب زِينته.

«صاحب زمزم»: «د» وابن خالويه. وتقدم الكلام عليه في زمزم.

«**صاحب السلطان**»: قال «يا»: هو من أَسمائه في الكتب المتقدمة وفي كتاب نبوة شَعْيا ﷺ فيما نقله ابن ظَفَر: أثر سلطانه على كتفه. قال وفي رواية العِبْرانيين بدل هذه: على كتفه خاتم النبوة فهو المراد بالأَثر والمراد بالسلطان النبوة، وتقدم الكلام على لفظ السلطان.

«**صاحب السيف**»: هو من أَوصافه في الكتب المتقدمة والمعنى به أَنه صاحب القتال والجهاد، وفيها ذكره بأَن سيفه على عاتقه يجاهد به في سبيل الله.

روى الإِمام أَحمد عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**بُعثت بالسيف حتى يُعْبد الله لا شريك له**»[1].

لطيفة: أَنشأَ الإِمام العلامة جمال الدين بن نباتة مقامة في المفاخرة بين السيف والقلم ذكر فيها من خصائص السيف ومزاياه على القلم أَن اليد الشريفة النبوية حملَتْه دونه. وسيأتي الكلام على أَسيافه ﷺ في أَبواب سلاحه.

«**صاحب الشَّفاعة العظمى**»: وسيأتي الكلام على ذلك في الخصائص وفي أَبواب شفاعاته.

«**صاحب اللِّواء**»: والمراد به لواء الحَمْد، وقد يُحْمل على اللواء الذي كان يَعْقده للحرب فيكون كناية عن القتال.

«**صاحب المحْشَر**». وفي الصحاح: المحشِر بكسر الشين هو موضع الحشر وهو يوم القيامة. ومعنى كونه صاحبه أَنه صاحب الكلمة فيه والشفاعة واللواء والمقام المحمود والكوثر. ويظهر له من الخصائص الجمَّة ما ليس لغيره.

«**صاحب المِدْرَعة**»: ورد في الإِنجيل كما سبق في اسمه: «راكب الجمل» وفي الصحاح المِدْرعة والمِدْرع واحد وهو درع الحديد انتهى. ومعنى الاسم راجع إِلى القتال والملاحم.

«**صاحب المَشْعَر**»: ذكره ابن خالويه. والمشعر بفتح الميم وحكى الجوهري كَسْرها لغة. قال صاحب المطالع: يجوز الكسر ولكنه لم يَرِدْ. وقال النووي في تهذيبه: اختلف فيه. فالمعروف في كتب التفسير والحديث والأَخبار والسير أَنه مزدلفة كلها. وسمي مشعراً لما فيه من الشعائر وهي مَعالم الدين.

«**صاحب المِعْراج**»: يأْتي الكلام عليه إِن شاء الله تعالى.

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ٢/٥٠.

«**صاحب المقام المحمود**»: قال «د»: وقع الإجماع على أن المقام المحمود هو الشفاعة وسيأْتي الكلام على ذلك في أبواب شفاعاته وفي الخصائص إن شاء الله تعالى.

«**صاحب المِنْبر**»: بكسر الميم مأخوذ من النَّبْر وهو الارتفاع وسيأْتي الكلام على ذلك في الحوادث.

«**صاحب النَّعْلين**»: ورد في الإنجيل كما تقدم في حرف الراء ولهذا مزيد بيان في أبواب لباسه ﷺ.

«**صاحب الهِرَاوة**»: ورد في الإِنجيل كما سبق في حرف الراء. والهِرَاوة بكسر الهاء في اللغة: العصا، وأراها والله تعالى أَعلم: العصا المذكورة في حديث الحوض: «أَذُود الناس عنه بعصاي إلى اليمين» قال النووي: وهو ضعيف لأَن المراد تعريفه بعلامة يراها الناس معه يستدلون بها على صِدْقه وأَنه المبشّر به المذكور في الكتب السالفة فلا يصح تفسيره بعصا تكون في الآخرة. والصحيح أَنه ﷺ كان يمسك القضيب بيده كثيراً، وقيل لأَنه كان يمشي والعصا بين يديه وتُغْرز له فيصلِّي إليها. روى الإمام أَحمد في الزهد عن أَبي المثنَّى الأُمْلُوكي أَنه سئل عن مَشْي الأَنبياء بالعصي فقال: ذلٌّ وتواضع لربهم تبارك وتعالى.

الأُملوكي: بضم الهمزة أَوله واللام.

«**صاحب لا إِلٰه إلا الله**»: ومن صفته في التوراة: «ولن يَقْبضه الله حتى يقيم به الملة العَوْجاء بأَن يقولوا: لا إِلٰه إلا الله».

«**الصادع**»: اسم فاعل من صَدَع بالحجة إذا تكلم بها جهاراً من الصديع وهو الفَجْر أَو من الصَّدْع بمعنى الفصل والفرق. أَخذه «ط» من قوله تعالى: ﴿**فاصْدَعْ بما تُؤْمر**﴾.

أَي أَبِن الأَمرَ إبانةً لا تخفي كما لا يلتئم صَدْع الزجاجة المستعار منه ذلك التبليغ لجامع التأْثير. وقيل: أَظهره، أَو أَمْضِه أَو افْرُقْ. ومعناه: بالقرآن أَو الدعاء إلى الله تعالى وأَوْضِح الحقَّ وبيِّنه من الباطل.

«**الصادق**»: اسم فاعل من الصدق. وروى البخاري وغيره عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصَّادق المصْدوق فيما أَخبره به جبريل عليه السلام» قال ابن دِحْية: «كان الصادق المصدوق علماً واضحاً له ﷺ إذ يَجْري مجرى الأَعلام» وروى الزبير بن بكَّار أَن أَبا جهل لقي النبي ﷺ فقال: إِنَّا لا نُكَذِّبك ولكن نكذِّب ما جئتَ به فأَنزل الله عز وجل: ﴿**فإِنهم لا يكذِّبونك ولـكن الظالـمين بآياتِ الله يَجْحدون**﴾ وهو من أَسمائه تعالى. قال الله تعالى: ﴿**ومن أَصْدَق من الله حديثا**﴾ وورد ذكره في حديث الإِسراء.

«صاعد المعراج»: اسم فاعل من الصعود وهو الرقيّ. يقال صعد في الجبل أَو السلم إِذا رقَي فيه وأَصْعَد في الأَرض إِذا توجَّه مستقبلاً أَرضاً أَرفعَ منها. وعن أَبي عمرو: ذهب أَينما توجه. وسيأْتي لهذا مزيد بيان في أَبواب معراجه.

«الصالح»: في حديث الإِسراء قول الأَنبياء له ﷺ: «مَرْحباً بالأَخ الصالح والنبي الصالح». والصالح كلمة جامعة لمعاني الخير كله، قال الزجاج: الصالح الذي يؤدي إِلى الله ما افترضه عليه وإِلى الناس حقوقهم، وقال في المطَالع: الصالح القيِّم بما يلزمه من الحقوق.

«الصَّبُور»: صيغة مبالغة من الصَّبْر، فَعُول بمعنى فاعل وهو الذي لا تحمله العَجلة على المؤاخذة. وكان ﷺ شديد الصبر على أَذى قومه له مع حلمه عليهم، حتى قيل له لما رماه عُتْبة بن أَبي وقَّاص يوم أُحد فكسر رَبَاعِيَته السُّفلى وجرح شفته السفلى وشجَّ عبدُ الله بن شهاب الزُّهْري قبلَ إِسلامه وجهه وجرح عبدُ الله بن القَمِئة وَجْنته فدخلت حَلْقتان من المِغْفر فيها ذلك اليوم: ادع الله عليهم. فقال: «اللهم اهد قومي فإِنهم لا يعلمون» امتثالاً لقوله تعالى المؤْذن بالتسلية له: **﴿فاصبِرْ كما صبرَ أُولو العَزْم من الرُّسل﴾** أَي أَصحاب عَقْد القلب على إِمضاء الأَمر، وهم نوح وإِبراهيم وموسى وعيسى صلى الله عليهم وسلم(١).

وهو من أَسمائه تعالى، ومعناه الذي لا تَحْمله العَجَلة على مؤاخذة العُصاة ولا تستعجله على معاقبة العتاة. والفرق بينه وبين الحلم أَن الحِلْم: لا يشعر بالمعاقبة آخر الأَمر والصبر يُشْعر بذلك.

«الصَّبِيح»: الجميل، صفة مشبهة من الصباحة وهي الحسن والجمال. يقال صَبُح ككرم فهو صَبِيح وصُبَّاح كفَلاَّح ورُمَّان. أَي جميل، وسمي بذلك لأَنه ﷺ أَصْبح الناسِ وأحسنهم كما سيأْتي في باب حُسْنه.

«الصَّدُوق»: الذي يتكرر منه الصدق وهو الإِخلاص، وأَول مراتبه استواء السرِّ والعلانية. وقال الواسطي: الصدق صحةُ التوحيد مع القصد.

«الصِّدْق»: نقله الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ عن بعضهم أَخذاً من قوله تعالى: **﴿فمن أَظْلَم ممن كَذَب على الله وكذَّب بالصِّدْق إِذ جاءه﴾**.

«الصدِّيق»: بتشديد الدال: الموقن. صيغة مبالغة من الصدق أَو هو الذي يصدِّق قولَه بالعمل.

---

(١) ذكره السيوطي في الدر المنثور ٢٩٨/٢ وعزاه لابن أبي شيبة وأحمد في الزهر وأبي نعيم وابن عساكر من طريق مجاهد عن عبيد بن عمير.

«**الصراط المستقيم**»: قال أَبو العالية: هو رسول الله ﷺ. رواه عَبْد بن حُمَيْد وابن جَرِير وابن أَبي حاتم. ورواه الحاكم وصححه عن ابن عباس، وسمي به ﷺ لأَنه الطريق الموصِّل إِليه. والصراط: الطريق. وقيل: الواضح، وقيل السَّوِيّ، والسين لغة فيه. والمستقيم: القيِّم الواضح الذي لا عِوَج فيه.

﴿**صراط الذين أنعمت عليهم**﴾.

«**الصفوة**»: بتثليث الصاد: الخِيَار والخلاصة. وفي حديث عمر عند ابن ماجة والحاكم أَنه قال للنبي ﷺ: «أَنت نبيُّ الله وصَفْوته».

«**الصَّفُوح**»: هو من صفاته في التوارة «ولا يَجْزي بالسيئة السيئةَ ولكن يعفو ويصْفح».

وفي الشمائل عن عائشة: «لم يكن رسول الله ﷺ فاحشاً ولا متفحِّشاً ولا سَخَّابا في الأَسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح». والصَّفُوح صِيغة مبالغة من الصفح. قال في الصحاح: وصفحتُ عن فلان إِذا أَعرضت عن ذنبه. وفي الشرح: الصفح: تَحرك التَّثْريب والإِعراض والتجاوز عن المسيئين قال تعالى: ﴿**فاصفح الصَّفْحَ الجميل**﴾ قيل: وهو أَبلغ في العفو لأَن الإِنسان قد يعفو ولا يصفح. قال «عا» وعندي أَن العفو أَبلغ من الصفح لأَنه إِعراض عن المؤاخذة، والعفو محو الذنب، ومن لازم المحو الإِعراض ولا عكس.

«**الصَّفِـيّ**»: وهو الذي يختاره الكبيرُ لنفسه من الغنيمة. فعيل بمعنى مفعول وسمِّي به ﷺ لأَن الله اصطفاه من خَيْر خلقه. وتقدم لهذا مزيد بيان في أَبواب نسبَه.

«**الصِّنْديد**»: بمهملات وزن عِفْريت: السيِّد المطاع والبطل الشجاع أَو الحليم أَو الجواد أَو الشريف.

«**الصَّيِّن**»: بفتح الصاد وتشديد المثناة التحتية وتخفيف النون صفة مشبَّهة من الصِّيَانة وهي حفظ الأُمور وإِحرازها وسمِّي بذلك لأَنه صان نفسه عن الدَّنس وحفظ قلبه عن طوارق الشك والهوَس.

حرف الضاد المعجمة

«**الضابط**»: قال في الصِّحاح: ضَبَط الشيءَ: حَفِظه فهو ضابط أَي حازم. فهو راجع إِلى معنى الحفيظ والحافظ وسمي به ﷺ لأَنه يضبط ما يوحى إِليه أَي يحفظه عن التغيير والتبديل.

«**الضارب بالحُسَام**».

«**الضارع**»: الخاضع المتذلل المبتهل إِلى الله تعالى، اسم فاعل من ضَرِع كفَرِح أَو

كمنَع يَضْرع فهو ضارع أَي متذلل مبتهل. وسمي ﷺ بذلك لكثرة تضرعه وابتهاله إلى الله تعالى وخضوعه لهيبته واستكانته لعظمته. قال تعالى: ﴿**واذكر ربَّك في نفسك تَضرُّعاً وخِيفةً**﴾.

«**الضَّحَّاك**»: الذي يُسِيل دماء العدوّ في الحرب لشجاعته.

«**الضَّحُوك**»: روى ابن فارس عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: اسم النبي ﷺ في التوراة: الضحوك القَتّال يركب البعير ويلبس الشَّمْلة ويجتزئ بالكِسْرة وسيفه على عاتقه.

قال ابن فارس: سمي بالضحوك لأَنه ﷺ كان طيِّب النفس فَكِهاً على كثرة من يَنْتابه ويَفِد عليه من جُفَاة العرب وأَهل البوادي، ولا يراه أَحد ذا ضَجر ولا قلق، ولكن لطيفاً في النطق رفيقاً في المسأَلة. ولهذا مزيد بيان في باب ضحكه وتبسمه.

«**الضَّمِين**»: فعيل بمعنى فاعل، وهو في الأَصل الكفالة، والمراد به هنا الحفظ والرعاية، وسمي به ﷺ بالشفاعة لأُمته حفظاً لهم ورعاية لهم. وفي البخاري عن سهل بن سعد رضي الله تعالى عنه أَن رسول الله ﷺ قال: «**من يَضْمن لي ما بين لِحْيَيْه وما بين رِجْليه أَضمن له على الله الجنة**»[1] أَراد بما بين اللَّحْيين اللسان وبما بين الرجلين الفرج.

«**الضَّيْغَم**»: بفتح المعجمتين وسكون التحتية بينهما: البطل الشجاع والسيد المطاع.

«**الضِّياء**»: بالمد: أَشد النُّور وأَعظمه، وسمي به ﷺ والقرآن لأَنه يَهتدي بكل منهما ذوو العقول والحِجَى كما يُهتدى بالضَّوء في ظلمات الدُّجَى. قال عمرو بن معدي كرب رضي الله تعالى عنه يمدح النبي ﷺ:

حِكْمَةٌ بَعْدَ حِكْمَةٍ وَضِيَاءُ   قَدْ هُدِينَا بِنُورِهَا مِنْ عَمَانَا

حرف الطاء

«**طاب طاب**»: بالتكرير قال «ع»: من أَسمائه ﷺ في التوراة، ومعناه طيِّب. وقيل معناه: ما ذكر بين قوم إلا طاب ذكره بينهم.

«**الطاهر**»: المنزَّه عن الأَدناس المبرَّأ من الأَرجاس اسم فاعل من الطهارة، وهي كما قال بعضهم: على قسمين حسية، ومعنوية. فالأُولى: التنقِّي من الأَدناس الظاهرة، والثانية: التخلي عن الأَرجاس الباطنة، كالأَخلاق المذمومة والتحلِّي بالأَخلاق المحمودة.

قال النيسابوري: الطهارة على عشرة أَوجه:

---

(١) أخرجه من رواية سهل بن سعد رضي الله عنه، البخاري في الصحيح ٣٠٨/١١ كتاب الرقاق (٦٤٧٤).

الأَول: طهارة الفؤاد، وهي صَرْفه عما دون الله تعالى.

الثاني: طهارة السرّ، وهي رؤية المشاهدة.

الثالث: طهارة الصدر، وهي الرجاء والقناعة.

الرابع: طهارة الروح، وهي الحياء والهيبة.

الخامس: طهارة البطن، وهي الأَكل من الحلال والعفة.

السادس: طهارة البدَن، وهي ترك الشهوات.

السابع: طهارة اليدين، وهي الورع والاجتهاد.

الثامن: طهارة المعصية، وهي الحسرة والندامة.

التاسع: طهارة اللسان، وهي الذِّكر والاستغفار.

العاشر: طهارة التقصير، وهي خوف سوء الخاتمة نسأَل الله تعالى السلامة.

وسُمِّي ﷺ بذلك لأَنه المستجمع لجميع أَنواع الطهارة، لأَن الله تعالى طيَّب باطنه وظاهره وزكّى علانيته وسرائره. وسيأْتي في الخصائص القول بطهارة فضلاته ﷺ.

«**الطَّبيب**» «خا» «عا» فعيل بمعنى فاعل من الطب، وهو علاج الجسم والنفس بما يزيل السقم، أَي الذي يبرئ الأسقام ويذهب ببركته الآلام.

«**الطِّرَاز المُعْلَم**»: أَي العلم المشهور الذي يُهتدى به. والطِّراز في الأَصل - بكسر الطاء آخره زاي: علم الثوب، فارسي معرب. وسمي به ﷺ لتشريف هذه الأُمة به، كما يُشَرّف الثوب بالطراز. والمعْلَم بالبناء للمفعول: المرسوم من العلامة، وهي ما يحصل به امتياز الشيء عن غيره، صفة للطراز.

«**طس**».

«**طسم**». ذكرهما «ذ» والنسفي، من أَسمائه ﷺ، وذكرهما جماعة في أَسماء الله تعالى، وهذه الأَسماء على ضربين: **أَحَدهما**: ما لا يتأَتى فيه الإِعراب نحو كهيعص. والثاني: ما يتأَتّى فيه الإِعراب وهو نوعان: الأَول ما كان اسماً مُفْرداً كصاد وقاف. فهو محكى لا غير. **والثاني**: أَن يكون أَسماء عدة مجموعها بوزن اسم مفرد كحم وطس ويس، فإِنها بوزن قابيل وهابيل فيجوز فيه الإِعراب والحكاية، وكذلك «طسم» يتأَتى أَن تفتح نونها وتصير مضمومة إِليها فيُجْعَلا اسماً واحداً مركباً كـ «دارا بجرد» لأَنه مركب من «دارا» اسم الملك «وبجَرْد» اسم بلَد.

«**طه**»: ذكره خلائق في أَسمائه ﷺ وورد في حديث رواه ابن مردويه بسند ضعيف

عن أَبي الطُّفَيْل رضي الله تعالى عنه. وقيل أَراد يا طاهر من العيوب والذنوب أَو يا هادِي إِلى كل خير. ذكره الواسطيّ.

وقيل: إِنه من أَسماء الله تعالى وقد أشبعت الكلام على هذه الأَسماء الواقعة في أَوائل السور في كتابي «القول الجامع الوجيز الخادم للقرآن العَزِيز».

«الطَّهُور»: كصَبُور: الطاهر في نفسه المطهِّر لغيره. وسمي بذلك لأَنه ﷺ سالم من الذنوب خالص من العيوب مطهِّر لأُمته من الأَرجاس ومزكِّيها من الأَنجاس.

«الطِّيب» «ع د ح» بوزن سيِّد: الطاهر أَو الزكي. لأَنه ﷺ لا أَطيب منه إِذ سَلِم من حيث القلب حين أُزيلت منه العلقة، ومن حيث القالب فهو كله طاعة.

روى الترمذي في الشمائل عن أَنس رضي الله تعالى عنه قال: «ما شمَمْت مِسْكاً قط ولا عطراً كان أَطيب من عَرَقه ﷺ» ولهذا مزيد بيان في باب طِيب عرقه وريحه ﷺ.

وورد إِطلاق الطِّيب على الله تعالى في حديث: «إِن الله طيِّب لا يَقْبل إِلا طيِّباً» رواه مسلم والله تعالى أَعلم[1].

حرف الظاء المعجمة

«الظاهر»: «د» «عا» أَي الجليّ الواضح أَو القاهر من قولهم: ظهر فلان على فلان أَي قهره. قال الله تعالى: ﴿هو الذي أَرْسلَ رسولَه بالهُدَى ودِين الحقِّ ليُظْهره على الدِّين كله﴾ والظهور: العلوُّ والغَلبة. وهو من أَسمائه تعالى، ومعناه الجليّ الموجود بالآيات الظاهرة. والقُدْرة الباهرة.

«الظَّفُور» «خا» «عا» من ظَفَر: إِذا أَنشب ظُفْره في الشيء الغائر، فَعُول بمعنى فاعل صيغة مبالغة من الظفَر وهو الفوز. والله تعالى أَعلم.

حرف العين المهملة

«العابِد»: «د» اسم فاعل من عبَد إِذا أَطاع. قال تعالى: **﴿واعْبُدْ ربك حتى يأْتيك اليقين﴾** ومواظبته ﷺ على العبادة معروفة تواترتْ بها الأَحاديث.

«العادل»: المستقيم الذي لا جَوْر في حكمه ولا عَيْل، من العدل ضد الجَوْر. قال عمه أَبو طالب يمدحه ﷺ:

حَلِيمٌ رَشِيدٌ عَادِلٌ غَيْرُ طَائِشٍ   يُوَالِي إِلٰهاً لَيْسَ عَنْهُ بِغَافِلِ

---

(١) أخرجه مسلم ٢/٧٠٣ كتاب الزكاة (٦٥ـ ١٠١٥).

«العارف»: الصبور. قال في الصِّحَاح: يقال أُصيب فلان فوجِد عارفاً أي صابراً. أَو العالم، قال الأُستاذ أَبو القاسم القشيري، قدَّس الله تعالى سره: المعرفة على لسان العلماء هي العلم، فكل عارف بالله تعالى عالِم، وعكسه، وعند هؤلاء يعني الصوفية المعرفة صفة من عرَف الحقَّ سبحانه في معاملاته ثم تنقَّى من أَخلاقه الرَّدِيّة وانقطع عن هواجس نفسه الأَبيّة حتى صار من الخَلْق أجنبياً، ومن آفات نفسه بَرِيّاً، فحينئذ يسمى عارفاً وحالته مَعْرفة. ومن أَماراتها حصول الهَيْبة، فمن زادت معرفته ازداد من الله تعالى هيبة فالهيبة من شرط المعرفة. قال الله تعالى: ﴿**ويحذِّركم الله نفسَه**﴾ كما أَن الخوف من شَرْط الإيمان قال الله تعالى: ﴿**وخافون إن كنتم مؤمنين**﴾ والخشية من شَرْط العلم. قال الله تعالى: ﴿**إنما يخشى اللّهَ من عباده العلماءُ**﴾ والمعرفة توجب السَّكينة والعلم يوجب السُّكون.

قال الشِّبْلي رحمه الله تعالى: ليس لعارف علاقة، ولا لمحبٍّ شكوى، ولا لراجٍ قَرَار، ولا من الله تعالى فِرَار.

وقال ذو النون المصري رحمه الله تعالى: ركضتْ أَرواحُ الأَنبياء في ميدان المعرفة فسَبقت روحُ محمد ﷺ إلى روضة الوِصَال.

فإن قيل: أَيهما أَفضل: العارف بالله تعالى أَم العالم بأَحكام الله تعالى؟ فالجواب قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام قدَّس الله تعالى سِره: العارف أَفضل، لأَن العِلْم يَشْرف بشرف معلومه، والمعرفة: العلم بصفات الله تعالى؛ والعلم بها أَفضل من كل معلوم سِوَاها لتعلّقه بأَشرف المعلومات.

وأَما قوله تعالى: ﴿**إنما يَخْشى الله من عباده العلماء**﴾ فالمراد العلماء العارفون به وبصفاته. كما روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، لا يجوز الحمل على من سواهم لأَن الغالب عليهم عدم الخشية وخبر الله تعالى صِدْق فلا يُحْمل إلا على من عرفه وخشيه.

وقول بعضهم: العمل المتعدي خير من العمل القاصر يرده أَن الإيمان أَفضل الأَعمال وهو قاصر، وقد قدَّم عليه الصلاة والسلام التسبيح عُقَيْب الصلوات وفضَّله على التصدق بفضول الأَموال مع تعدي نفعه إلى الفقراء.

«العاضد»: «عا» المعِين، اسم فاعل من عضَده إذا أَعانه، وأَصْله الأَخذ بالعَضُد وهو ما بين المِرْفق إلى الكتف، ثم استعير للمعين، يقال: عضَدْتُه أَي أَخذت بِعضُده وقوَّيْته.

«العافي»: «خا» «عا» المتجاوز عن السيئات الماحي للزَّلات والخطيئات.

«العالم».

«**العليم**»: جمع بينها «د» وأشار إليهما «يا» فالأول اسم فاعل من عَلِم ومعناه: المدرِك للحقائق الدنيوية والأُخْروية. والثاني: اسم فاعل للمبالغة. وهذان الاسمان من أسمائه تعالى، فالعالم معناه في حقه تعالى: المدرك لحقائق الأمور الدنيوية والأُخروية والعليم بمعناه الذي له كمال العلم وثباته والعلم الكامل الثابت في نفسه ليس لغيره وسمَّى بهما نبيه ﷺ لما حازه من عِلْم العليم وحواه من الاطلاع على ملكوت السموات والأَرض، والكَشْف عن الأُمور المغيبات، وأُوتي علومَ الأَولين والآخرين، وأَحاط بما في التوراة والإِنجيل والكتب المنزلة وحِكَم الحكماء وسير الأُمم الماضين مع احتوائه على لغة العرب وغريب أَلفاظها والإِحاطة بضروب فصاحتها والحفظ لأَيامها وأَمثالها وأَحكامها ومعاني أَشعارها، مع كلامه ﷺ في فنون العلوم، كما سيأْتي بيان ذلك كله إِن شاء الله تعالى.

«**العامل**» «ع» «ح» قال «ط» ولعله مأْخوذ من قوله تعالى: ﴿**قل يا قوم اعملوا على مكانتكم إني عامِل**﴾ وروى الترمذي في الشمائل عن علقمة رحمه الله تعالى قال: سألت عائشة رضي الله تعالى عنها: أَكان رسول الله ﷺ يخص شيئاً من الأَيام؟ قالت: «كان عمله دِيمَةً وأَيكم يُطيق ما كان رسول الله ﷺ يطيق».

«**العائل**»: «عا»: الفقير قال الله تعالى ﴿**ووجَدَك عائِلاً فأَغْنَى**﴾ أَي فقيراً فأَغناك بما أَفاء الله عليك من الغنائم أَو أَغنى قلبك. قلت: وفي تسميته ﷺ بالعائل بعد الغِنَى نظر.

«**العَبْد**»: تقدم الكلام عليه في ترجمة عبد الله والد النبي ﷺ، ويأْتي لهذا مزيد بيان في بيان أَبواب الإِسراء.

«**عبد الله**»: قال الله تعالى: ﴿**وأَنَّه لـمّا قام عَبْدُ الله**﴾ والكلام عليه كالكلام على ما قبله وقد أَشبعت القول على لفظ الاسم الكريم في القول الجامع.

وروى أَبو داود عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال قال رسول الله ﷺ: «**أَحبّ الأَسماء إِلى الله تعالى عبد الله وعبد الرحمن**»[1].

ونقل الإِمام الحسين بن محمد الدمغاني رحمه الله تعالى في كتابه «شَوْق العروس وأُنْس النفوس» عن كعب الأَحبار رحمه الله تعالى قال: اسمُ النبي ﷺ عند أَهل العرش: عبد الحميد وعند سائر الملائكة عبد المجيد، وعند الأَنبياء عبد الوهاب، وعند الشياطين عبد القَهَّار وعند الجن عبد الرحيم، وفي الجبال عبد الخالق وفي البرّ عبد القادر وفي البحر عبد المهيمن، وعند الحِيتان عبد القدوس، وعند الهوامّ عبد الغيّاث، وعند الوحوش

(١) أخرجه أبو داود (٤٩٤٩) والخطيب في التاريخ ٣٢٣/١٠.

عبد الرزاق، وعند السِّباع عبد السلام، وعند البهائم عبد المؤمن، وعند الطيور عبد الغفار، وكذا نقله في القول البديع وهو غريب جداً! ثم رأَيت ابن الجوزي نقله في «التبصرة» عن كعب أَيضاً.

«**العُدّة**» «عا» بضم العين: الذخيرة المعَدّ لكشف الشدائد والبلايا والمرصد لإماطة المحن والرزايا.

وسمي ﷺ بذلك لأَنه ذُخْر أُمته في القيامة والمتكفِّل لها بالنجاة والسلامة.

«**العَدْل**»: الدائن الكافي في الشهادة أَو المستقيم الصدر في الأَصل، وهو من أَسمائه تعالى ومعناه البالغ في العدل ضد الجَوْر أَو الاستقامة، أَقصى غاياته. والذي يفعل ما يريد وحكمه ماض في العبيد.

«**العربي**»: في أَحاديث الإِسراء أَن موسى عليه الصلاة والسلام قال: مرحباً بالنبي العربيّ. رواه الحسن بن عرفة في جزئه، وهو منسوب إِلى العرب وهم خلاف العجم.

والعرب أَقسام: عاربة وعرب وهم الخُلَّص، وهم تسع قبائل من ولد إِرَم ومن ولد سام بن نوح عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام وهي: عاد وثمود وأُمَيْم وعبيد وطَسْم، بطاء مفتوحة فسين ساكنة مهملتين، وجَدِيس، بجيم فدال مهملة فتحتية فسين مهملة وزن أَمير، وعِمْليق، بعين مهملة مكسورة فميم ساكنة فلام فتحتية فقاف. وجُرْهم، بجيم مضمومة فراء ساكنة، ووبارِ بموحدة وراء مبنيّ على الكسر.

ومنهم تعلم إِسماعيل ﷺ العربية. قال عبد الملك بن حبيب رحمه الله تعالى: كان اللسان الأَول الذي نزل به آدم من الجنة عربياً إِلى أَن بعد وطال العَهْد حرِّف وصار سُرْيانيّاً وهو منسوب إِلى أَرض سورنة وهي أَرض الجزيرة، وبها كان نوح ﷺ وقومه قبل الغرق. قال: وكان يشاكل اللسانَ العربيَّ إِلا أَنه محرَّف وقد كان لسان جميع من في السفينة إِلا رجلاً واحداً يقال له جُرْهم فكان لسانه لسان العرب الأُوَل فلما خرجوا تزوَّج إِرمُ بن نوح بعض بناته وصار اللسان في ولده عوص بن عاد وعبيد وجاثر بجيم وثاء مثلثة وثمود وجَديس. وسميت عاد باسم جُرْهم لأَنه كان جدَّهم من الأُم: وبقي اللسان السُّرْياني في ولد أَرفخشذ بن سام إِلى أَن وصل إِلى قحطان من ذريته وكان باليمن فنزل هناك بنو إِسماعيل فتعلَّم منه بنو قحطان اللسانَ العربيّ.

قال الشيخ رحمه الله تعالى: وعلى هذا يُحْمل قول الصِّحَاح: ويعْرب بن قحطان أَوَّل من تكلَّم بالعربية أَي من أَهل اللسان السُّرْياني.

وبنو قحطان هم القسم الثاني من العرب وهم المتعرِّبة. قال في الصحاح: وهم الذين ليسوا بخُلَّص.

والثالث: المستعربة وهم الذين ليسوا بخلَّص أيضاً. كما قال في الصِّحاح.

قال ابن دِحْية: وهم بنو إِسماعيل وهم ولد معَدّ بن عدنان، وقال النحَّاس رحمه الله تعالى: عربية إِسماعيل هي التي نزل بها القرآن، وأَما عربية حِمْير وبقايا جُرْهم فغير هذه العربية، وليست فصيحة، وإِلى هذا مال الزُّبَيْر في كتاب النَّسَب واحتج له ولم يعوِّل على غيره، وكذلك أَبو بكر بن أَشتة في كتاب المصاحف.

وتقدم في ترجمة إِسماعيل عليه الصلاة والسلام، ولهذا مزيد بيان يأْتي.

«**العُرْوة الوُثْقى**»: العقد الوثيق المُحْكَم في الدِّين أَو السبب الموصِّل إِلى رضا الله تعالى.

وحكى الشيخ أَبو عبد الرحمن السُّلَمي رحمه الله تعالى في قوله تعالى: ﴿**فقد استَمْسَك بالعُرْوة الوُثْقى**﴾ أَنه سيدنا محمد ﷺ وقيل هي الإِسلام.

«**العَزِيز**»: أَي القوي، فعيل بمعنى فاعل من عَزَّ يَعزّ عِزًّا وعِزَّة وعَزَازَةً. وهي الحالة المانعة للإِنسان من أَن يُغْلَب أَو يُقْهَر، من قولهم أَرضٌ عَزَاز أَي صُلْبة ممتنعة. أَي هو الخطير الذي يقل وُجُوده ويكثر نَفْعه وجُوده. أَو الغالب من قولهم: «من عَزَّبزَّ» أَي من غلَب سلب. قال الله تعالى: ﴿**ولله العِزَّةُ ولرسوله**﴾ أَي الامتناع وجلالة القَدْر. وأَما قوله تعالى: ﴿**إِن العزة لله جميعاً**﴾ فالمراد العزة الكاملة التي يندرج فيها عزّ الإِلهية والخَلْق والإِحياء والإِماتة والبقاء الدائم، وما أَشبه ذلك مما هو مختص به تعالى.

وهو ما سمَّاه الله تعالى به من أَسمائه، ومعناه في حقه تعالى: الممتَنع الغالب. أَو الذي لا نظير له. أَو المعزّ لغيره. والمعاني صحيحة في حقه ﷺ.

«**العِصْمة**» «عا» بكسر العين وسكون الصاد: الذي يَستمسك الأَولياء بحَبْل كرامته ويَلُوذ العُصَاة بحمَى شفاعته ﷺ. فالعِصْمة بمعنى عاصم، كقولهم رجل عَدْل بمعنى عادل.

روى ابن سعد والطبراني أَن أَبا طالب عمه ﷺ استسقى به في صِغَره لـمّا تتابعت عليهم السِّنُون فأَهلكتْهم فخرج به ﷺ إِلى أَبي قُبَيْس وطلب السُّقْيا بوجهه فسُقُوا، فقال يمدحه ﷺ:

وَأَبْيَضُ يُسْتَسقَى الغَمَامُ بِوَجْهِهِ ثِمَالُ اليَتَامَى عِصْمَةٌ لِلأَرَامِلِ

ويجوز أَن يكون بمعنى معصوم اسم مفعول من العِصْمة كاللُّقْمة بمعنى الملقوم، وأَصلها شيء يُجْعل في المِعْصم مثل السِّوار وحقيقتها عندنا كما في «المواقف» في حقه ﷺ وحق سائر الأَنبياء: أَن لا يخلق الله تعالى فيهم ذَنْباً.

«عصمة الله تعالى»: في «الفردوس» بلا سند عن أَنس رضي الله تعالى عنه: «أَنا عِصْمة الله أنا حُجّة الله».

«العَطُوف»: «عا» الشَّفُوق صفة مُشَبَّهة من العَطْف وهو الانثناء يقال: عطف الغُصْن إِذا مال. وعِطْفا الإِنسان جانباه من لدن رأْسه إِلى وركه ثم استُعير لِلّين والشفقة إِذا عُدّيَ بِعَلَى وإِذا عدّي بعن كان على الضدّ من ذلك. وسمي به ﷺ لكثرة شفقته بأُمته ورأْفته كما قال شاعره حسان بن ثابت رضي الله تعالى عنه يرثيه ﷺ:

عَطُوفٌ عَلَيْهِمْ لاَ يُثَنِّي جَنَاحَهُ إِلَى كَنَفٍ يَحْنُو عَلَيْهِمْ وَيَمْهَدُ[1]

«العَظيم»: الجليل الكبير. وقيل عظمة الشيء كَوْن الشيء كاملاً في نفسه مستغنياً عن غيره. وتقدم الفَرْق بينه وبين الجليل «يا» «د»: وقع في أَول سفْر من التوراة: «وسيَلد عظيماً لأُمة عظيمة» فهو عظيم وعلى خلق عظيم وهو مما سمَّاه الله تعالى به من أَسمائه ومعناه في حقه: الجليل الشأن أَو الذي كل شيء دونه أَو البالغ أَقْصى مراتب العظمة، فلا تتصوره الأَفهام ولا تحيط بكُنْهه الأَوهام: أَو الذي ليس لعظمته بداية ولا لكبريائه نهاية.

«العَفُوّ» «يا» «د» هو مثل العافي إلا أَنه أَبْلغ منه، يقال عفا عن الذنب فهو عاف وعفُوّ. فالأَول يدل على أَصل العفو فقط. والثاني يدل على تكريره وكثرته بالإِضافة إِلى كثرة الذنوب وتكررها حتى إِن من لم يَعْف إِلا عن نوع من الذنب فقط يسمَّى بالأَول دون الثاني.

والفرق بين العَفْو والحلم والاحتمال كما قاله القاضي: أَن العفو تَرْك المؤاخذة، والحلم حالة توقّر وثبات عن الأَسباب المحرّكة للمؤاخذة. والاحتمال: حَبْس النفس عن الآلام المؤذيات. ومثله الصَّبْر، ومرَّ الفرق بينه وبين الصفح. وسيأْتي الفرق بينه وبين الغَفُور.

وسمّي ﷺ بذلك كما قال حسان بن ثابت رضي الله تعالى عنه:

عَفُوٌّ عَنِ الزَّلاَّتِ يَقْبَلُ عُذْرَهُمْ وَإِنْ أَحْسَنُوا فَاللَّهُ بِالخَيْرِ أَجْوَدُ

لأَنه ﷺ كان أَكثر الناس عَفْواً وتجاوزاً كما سيأْتي بيان ذلك في باب عَفْوه ﷺ.

«العفيف» «د»: الذي كفَّ نفسه عن المكروهات، ومنعها عن اقتحام الشبهات، اسم فاعل من العفَّة؛ وهي حالة للنفس تمتنع بها عن غلبة الشهوة، يقال عفَّ وكَفَّ فهو عَفٌّ وعفيف، قال كعب رضي الله تعالى عنه يمدحه ﷺ:

لَنَا حُرْمَةٌ لاَ تُسْتَطَاعُ يَقُودُهَا نَبِيٌّ أَتَى بِالْحَقِّ عَفٌّ مُصَدَّقُ

قال ابن دِحْية: وهو موصوف به في الكتب المتقدمة، وقد كان ﷺ أَعفَّ الناس، وقلَّ

---

(١) انظر ديوان حسان ٦٢.

ناسك إلا وكانت له في شبابه صَبْوة وفي أَول أَمره هَفْوة، طُبع على ذلك البشَر، إلا هو ﷺ كما سيأْتي ذلك في باب نشأَته ﷺ.

«العلاَمَة» «ط» «عا» بالتخفيف: الشاهد والعلَم الذي يُهتدى به ويستدلّ به على الطريق وسمّي ﷺ بذلك لأَنه دليل على طريق الهدى.

«العَلَـم»: «ع» بفتح أَوله وثانيه: العلامة التي يهتدى به أَو العلم المشهور أَو السيد المذكور.

«علَـم الإِيمان».

«علـم اليقـين».

«العَلِيّ» «ع» «د» الكبير المرتفع الرتبة على سائر الرُّتَب الذي جَلّ مقداره عن الشكوك والرِّيَب، وهو من أَسمائه تعالى، ومعناه الذي علا عن الدَّرْك ذاتُه وكَبُرت عن التصوّر صفاته، أَو الذي تاهت الأَلبابُ في جلاله وكلَّت الأَلسن عن وصف جماله.

«العِمَاد»: «ع» السيد الذي يُعتمد عليه ويُهرع في الشدائد إِليه.

«العُمْدَة»: «ع» السيد الشجاع، والبطل المطاع والركن الذي يعتمد عليه ويُهرع في الشدائد إِليه.

«العَيْن»: «ع» تطلق في الأَصل بالاشتراك على معان، منها: الباصِرة وحاسّة البصر، وسمّي به ﷺ لأَنه بصَّر أُمته بهدايته طرقَ الهدى، وجنَّبهم سُبلَ الردى، كما يستدل بحاسة البصر على ما فيه النفع والضرر. أَو لشرف هذه الأُمة به على سائر الأُمم، كما قال تعالى: ﴿**كنتم خَيْرَ أُمةٍ أُخرجتْ للناس**﴾ كما شرف الرأْس بالعين على سائر الجسد، وفي هذه الآية دليل علي أَفضلية نبينا ﷺ على سائر الأَنبياء صلى الله عليهم وسلم: آدم فمن دُونه، من قِبَل أَن خيرة أُمته بحسب كمال دينه وذلك تابع لكمال نبيهم الذي يتَّبعونه.

ومنها: الذهب والخِيَار من كل شيء وسمي ﷺ بذلك لكونه أَفضل الأَنبياء وأَشرفهم، ومنه: فلانٌ عَيْن الناس أَي خِيَارهم. والسّيّد وسمّي به لأَنه ﷺ سيد الناس. والكبير في قومه وسمي به ﷺ لأَنه أَجَلّ الخَلْق وأَعظمهم. والإِنسان. ومنه: «وما بها من عَيْن» أَي أَحد وسمّي به ﷺ من تسمية الخاصّ باسم العام. لكونه أَشرفهم كما مرّ. والماء الجاري لأَنه طاهر في نفسه مطهِّر لغيره. والجماعة من الناس وسمي أَي النبي ﷺ بذلك لأَنه لمهابته وشدة جلالته يحسبه الرائي في جماعة تُخْشى سطوتها وتُهاب شوكتها، كما قال البوصيري رحمه الله تعالى:

كَـأَنَّـهُ وَهــو فَـرْدٌ فــي جَـلاَلَـتِـهِ   فـي عَسْكَرٍ حِينَ تَلْقَاهُ وَفِي حَشَمْ

«وينبوع الماء». وسمي ﷺ بذلك لأنه منبع الحكمة ومَعْدن الرحمة. والشمس وسمي ﷺ به كما مرّ لعُلوّه وشرفه وكثرة النفع به ﷺ وشرَّف وكرَّم.

«عَيْن العِزّ».

حرف الغين المعجمة

«الغالب»: أَي القاهر، اسم فاعل من الغلبة وهي القهر، يقال غالَبْته غلَباً فأَنا غالِب. وهو من أَسمائه تعالى ومعناه في حقه البالغ مراده من خَلْقه أَحَبُّوا أَو كرهوا.

«الغطَمْطَم»: بطاءين مهملتين وزن زبَرْجَد: الواسع الأَخلاق أَي الرَّيِّض الحسن الخُلق الحليم.

«الغفور»: جاء في التوراة من صفاته ﷺ: **«ولكن يعفو ويغْفر»**. وهو من أَسمائه تعالى وهو بمعنى الغفار أَي الستَّار لذنوب من أَراد من عباده المؤمنين فلا يُظْهرها بالعتاب عليها. قال الغزالي رحمه الله تعالى: والغفور ينبئ عن نوع مبالغة ليست في الغفَّار فإن الغفار ينبئ عن تكرار المغفرة وكثرتها والغفور ينبئ عن وجودها وكمالها فمعناه أَنه تامّ الغفران كامله حتى يبلغ أَقصى درجات المغفرة. قال أَبو بكر بن طلحة من النحاة: صِيَغ المبالغة تتفاوت؛ فَفَعُول لمن كَثُر منه الفعل، وفعَّال لمن صار له كالصناعة. ومفعال لمن صار له كالآلة، وفَعِيل لمن صار له كالطبيعة، وفعِل لمن صار له كالعادة والغَفُور أَخص مطلقاً من العفُوّ لأَن الغفور يستر مع التجاوز لأنه مأخوذ من الغفر وهو الستر ومن لازمه التجاوز في الجملة، لأن عدمه يعدّ مؤاخذة والعفوّ يتجاوز وقد لا يستر لأَنه مأخوذ من العَفْو وهو المحْو، وذلك يَصْدق بتَرْك المؤاخذة بالذنب بعد أَن لا يستره. فكل عَفُوّ غفور ولا عكس. ويجوز أَن يكون بينهما عموم من وجه لاشتراك الوصفين في من يشتر الذنب ويمحوه فلا يؤاخذ به فيقال غفور عَفُوّ، وانفراد أَحدهما عن الآخر فالذي يمحو بعد أَن لا يستر هو العفوّ أَو يستر ولا يمحو بل يؤاخذ سرًّا هو الغفور.

«الغَنِـيّ»: قال تعالى: ﴿**ووجدَك عائلاً فأَغْنَى**﴾ وهو من الغِنَى مقصوراً على ثلاثة أَضرب: **أَحدها**: ارتفاع الحاجات وليس ذلك إلا لله تعالى: **الثاني** قِلَّتها المشار إليه بقوله ﷺ: **«الغِنَى غِنَى النَّفْس»**[1]. **والثالث**: كثرة المال وهو المعنيّ بقوله تعالى: ﴿**ومن كان غنِيًّا فليستَعْفِفْ**﴾.

وهو من أَسمائه تعالى ومعناه: الذي لا يحتاج إلى شيء ويحتاج إليه كل شيء. قال

(١) أخرجه البخاري ١١/٢٧١ كتاب الرقاق (٦٤٤٦)، ومسلم ٢/٧٢٦ كتاب الزكاة (١٢٠- ١٠٥١).

الغزالي: ومعناه في الخَلْق: الذي لا حاجة له إلا إلى الله تعالى. وكذلك كان ﷺ.

«الغَوْث»: النَّصير الذي يستغاث به في الشدائد والمهمات ويستعان به في النوازل والملمّات.

«الغِيَاث»: الغيث: المطر الكثير. وسمي به ﷺ لأَنه كان أَجود بالخير من الريح المرسَلة وقد استسقى ﷺ فأمطروا لِحينه بالمطر الجود العامّ. وقال فيه عمه أَبو طالب:

وَأَبْيَضُ يُسْتَسْقَى الغَمَامُ بِوَجْهِهِ ثِمَالُ اليَتَامَى عِصْمَةٌ لِلأَرَامِلِ

وسيأتي لهذا مزيد بيان في باب مَثله ﷺ ومثل ما بَعثه الله به. والله تعالى أَعلم.

حرف الفاء

«الفاتح»: تقدم ذكره في حديث أَبي الطفيل رضي الله تعالى عنه وسيأتي في حديث الإِسراء «وجعلني فاتحاً وخاتماً».

وروى عبد الرّزّاق في المصنَّف عن مَعْمَر عن أَيوب عن أَبي قلاَبة رحمه الله أَن النبي ﷺ قال: «**إِنما بُعثت فاتحاً وخاتماً وأعطيتُ جوامعَ الكَلِم وفواتحه**».

قال «يا» «د» وهو مما سمّاه الله تعالى به من أَسمائه فإِنه منها كما قال: «**ربَّنا افتح بَيْننا وبَيْن قَوْمِنا بالحقِّ وأَنت خيرُ الفاتحين**». وقال تعالى: «**ثم يَفْتح بيننا بالحقِّ، وهو الفَتَّاحُ العَلِيم**» ومعناه: الحاكم بين عِبَاده، فإِن الفتح بمعنى القضاء، أَو الفاتح أَبواب الرزق والرحمة والمنْغَلق من أمورهم عليهم، أَو فاتح قلوبهم وبصائرهم للحق، أَو ناصرهم. وسمي النبي ﷺ فاتحاً لأَنه حاكم في الخَلق بحكم الله حاملهم على المحَجَّة البيضاء مانعهم من التعدي والظلم. أَو الفاتح لبصائرهم بالهداية، والدلاَلة على الخير والناصر لهم. وقيل لأَنه يفتح خِطَاب الرب تبارك وتعالى. وقيل لأَنه المبتدئ في هداية هذه الأمة ففتح لهم بابَ العِلْم الذي كان قد انغلق عليهم، كما قال علي رضي الله تعالى عنه: «الفاتح لما استغلق». الأَثر السابق في اسمه: «الرافع».

«ط» ويصح أَن يكون ﷺ فاتحاً لأَنه فتح الرُّسلَ بمعنى أَنه أَولهم في الخَلْق. أَو فاتح الشُّفَعاء بقرينة اقترانه باسمه الخاتم، فيكون كاسمه الأَول والآخر.

قلت: وكل هذه المعاني مجتمعة فيه ﷺ.

«الفارق»: قال «ع»: هو اسمه ﷺ في الزبور ومعناه: يَفْرق بين الحق والباطل وهو صيغة مبالغة. والفارق: اسم فاعل من الفَرْق وهو الفَضْل والإِبانة.

«الفارْقَليط»: تَقدم في حرف الباء عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أَنه من

أَسمائه ﷺ في الكتب المتقدمة. وضبطه ثعلب بالفاء أَوله وقال: معناه الذي يفرق بين الحق والباطل. وقال محمد بن حمزة الكرماني رحمه الله تعالى في غريب التفسير: أَي ليس بمذموم. وضبطه أَبو عُبَيْد البَكْري بالباء الموحدة غير صافية فيه فقال: البارقليط ومعناه روح الحق.

«الفاضل»: الحسَن الكامل العالم إِذ الفضل يرِد بمعنى العلم، قال تعالى: ﴿**ولقد آتينا داودَ منا فَضْلاً**﴾ أَي علماً. أَو الكثير الفضيلة وهي الدرجة الرفيعة في الفضل ضد النقص.

«الفائق»: بالهمزة كقائد وصائن فأُعِلَّ إِعلالهما، لأَن أَصله فاوق فقلبت الواو أَلفاً كما قُلبت في ماضي فعله الذي هو اسم الفاعل محمول عليه في الإِعلال لتحركها وانفتاح ما قبلها ثم قلبت الأَلف همزة لقربها منها ولم تحذف لالتقاء الساكنين حذَراً من الالتباس بالماضي، وتكتب مثل هذه الهمزة بصورة الياء ويرقم عليها بالهمزة ونَقْطها خطأ قبيح عند علماء الرسم، ولا يُنطق بها إِلا بَيْن بين وهو الخيار من كل شيء وفي الصحاح: يقال: فاق الرجلُ أَقرانَه يفوقهم أَي علاَهم بالشرف والفضل. وسمِّي ﷺ بذلك لأَنه خِيَار الخلق وخيرة الخَلْق. أَو لأَنه أَفضل الخلق نسباً وأَكثرهم فضلاً وأَدباً.

«الفتَّاح»: بمعنى الفاتح إِلا أَنه أَبلَغ منه. أَو الناصر. ومنه قوله تعالى: ﴿**إِن تستفتحوا فقد جاءكمُ الفَتْحُ**﴾ أَي النَّصْر. وهو من أَسمائه تعالى. ومعناه. الذي لا يُغلِق وجوه النِّعم بالعصيان ولا يترك اتصال الرحمة بالنسيان، أَو الذي يفتح على النفوس بابَ توفيقه وعلى القلوب باب تحقيقه، أَو الذي يفتح بعنايته كل مُقْفَل ويكشف بهدايته ما أَشكل.

«الفَجْر»: وهو مصدر في الأَصل، وهو الصبح لأَن فجرَ الليلَ أَي شقَّه، وأَصل الفجر شقُّ الشيء شقًّا واسعاً، يقال فجرتُه فانفجر. وفجَّرته فتفجر، ونقل القاضي عن ابن عطاء في قوله تعالى (والفَجْر) وقيل: هو محمد ﷺ لأَنه منه تفجر الإِيمان.

«الفَخْر»: بالخاء المعجمة: العظيم الكبير.

«الفَخْم»: بالخاء المعجمة: العظيم الجليل.

«الفَدْغم»: بالدال المهملة والغين المعجمة بوزن جعفر: الحسنَ الجميل والعظيم الجليل.

«الفَرْد»: المنفرد بصفاته الجميلة المتوحِّد في خلقته الجليلة. وهو أَخصّ من الواحد، الأَخص من الوتر. لأَنه الذي لا يختلط به غيره وجمعه فُرَادَى.

«الفرَط»: بفتح الراء. في حديث في صحيح البخاري: «أَنا فرَطكم وأَنا شهيد

عليكم»[1] والفرَط: الذي يسبق إلى الماء يهيىء للواردة الحوض ويستقي لهم، فضرب رسولُ الله ﷺ مثلاً لمن تقدّم أصحابه يهيىء لهم ما يحتاجون إليه، كذا فسّره أبو عبيد، ويوافقه رواية مُسْلم. «أنا الفرَط على الحوض»[2] وقيل: معناه أنا أمامكم وأنتم ورائي، وهو ﷺ يتقدم أمته شافعاً لهم.

«الفصيح»: فعيل من الفصاحة وهي لغةً: البيان واصطلاحاً خلوصُ الكلام من ضعف التأليف وتنافر الكلمات والتعقيد، وهذا باعتبار المعنى وأما باعتبار اللفظ فهو كونه على ألسنة الفصحاء الموثوق بعربيتهم وسيأتي في باب فصاحته ﷺ ما يتعلق بذلك.

«الفَضْل»: الإحسان سمي به ﷺ لأَنه فَضْل الله تعالى ومِنَّته على هذه الأُمة بل وعلى غيرها. أَو الفاضل أَي الشريف الكامل.

«فضل الله»: حكى الماوردي رحمه الله في قوله تعالى: **﴿ولولا فَضْل الله عليكم ورَحْمتُه لاتَّبعتم الشيطان إلا قليلا﴾** أقوالاً: أَحدها: أنه هو النبي ﷺ.

«الفَطِن»: «عا» بكسر الطاء المهملة: الحاذق مأخوذ من الفِطْنة، وهي كما قيل الفهم بطريق الفَيْض، أَو بدون اكتساب.

«الفلاَح»: قال «ع» هو اسمه ﷺ في الزبور، وتفسيره يمحق الله به الباطل «ط»: وكأَنه غير عربي إِذ الفلاَح في اللغة: الفوز والنجاح، قال الإمام النووي رحمه الله تعالى في شرح مسلم: ليس في كلام العرب كلمة أَجمع للخير من لفظ الفلاَح ولا يبعد أَن يكون هو اللفظ العربي. وسمي ﷺ به لما جُمع فيه من خِصَال الخير التي لم تجمع في غيره. أَو لأَنه سبب الفلاح.

«الفَهِم»: «عا» ككَتِف: السريع الفهم وهو عِلْم الشيء وعرفانه بالقلب، هذا حدُّه لغةً، وأَما حده في الاصطلاح فهو كما نقل عن كتاب «البصائر» لابن سَهْلان: جَوْدة تهيء الذهن الذي هو قوة للنفس معدة لاكتساب الآراء لتصوّر ما يرد عليها من غيرها، كما أَن الكفر: حركة الذهن في المبادئ لتصير منها إلى المطالب، والحدْس جودة حركته إلى اقتناص الحد الأَوسط من تلقاء النفس، والذكاء: شدة استعداد هذه القوة لذلك، أَو الفهم المدرِك لدقائق المعاني والمزيل لقناع المشكلات عن وجه المباني فواتح الفوز.

«فاتح الكنوز».

---

(١) أخرجه البخاري ٨٣/٩ كتاب الفتن (٧٠٤٩).

(٢) أخرجه مسلم ١٨٠٢/٤ كتاب الفضائل (٤٥- ٢٣٠٥).

«فِئة المسلمين»: ذكره شيخنا وبيَّض له. وكأَنه أَخذه من حديث ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أَنه كان في سرية قال: فحاصَ الناسُ حَيْصة فكنت ممن حاص، فلما برزنا قلنا كيف نصنع وقد فررنا من الزحف وبُؤْنا بالغضب؟ فقلنا: لو عرضنا أَنفسنا على رسول الله ﷺ فإِن كانت لنا توبة أَقمنا وإِن كان غير ذلك ذهبنا. فجلسنا لرسول الله ﷺ قبل صلاة الفجر فلما خرج إِلينا قمنا إِليه فقبَّلنا يديه فقلنا: نحن الفرَّارون يا رسول الله. فقال: **«بل أَنتم العكَّارون»**. فقلنا: إِنا قد فررنا من الزحف. فقال: **«أَنا فئة المسلمين»**.

رواه أَبو داود والترمذي وحسَّنه النسائي. والعكَّارون: الكرَّارون إِلى القتال والعاطفون نحوه.

قال الخطابي رحمه الله تعالى: يمهد بذلك عذرهم، وهو تأويل قوله تعالى **﴿أَو متحيِّزاً إِلى فئة﴾** والله تعالى أَعلم.

حرف القاف

«القارِي»: «عا»؛ الكريم الجواد، اسم فاعل من القِرَى بكسر القاف مع القصر. وبالفتح مع المد، وهو البذل للأَضياف.

روى الشيخان في حديث بدء الوحي: «كلاّ والله لا يخزيك الله أَبداً إِنك لتَصِل الرَّحِم وتحمل الكلَّ وتكْسِب المعدوم وتَقْري الضيف» والمعنى كما قال العلماء: أَنه لا يصيبه مكروه لمَا جمع الله تعالى فيه من هذه الصفات الحميدة الدالة على مكارم الشِّيَم وحسن الشمائل.

«القاسم»: «ع د عا» الذي يقسم الأمور في جهاتها والمعطي. اسم فاعل من القسْم وهو العطاء. روى البخاري حديث: «إِنما أَنا قاسم والله المعطي».

«القاضي»: الحاكم، اسم فاعل من القضاء وهو فَصْل الأَمر وبتّه. وسمي ﷺ به لأَن من خصائصه ﷺ أَنه كان له أَن يقضي بغير دعوى ولا بيّنة كما قال ابن دحية واستدل بحديث رواه مسلم. وكان له ﷺ أَن يحكم لنفسه ولولده ويقبل شهادة من شَهِد له كما في قصة خُزَيْمة. ولا يُكْره في حقه القضاء ولا الإِفتاء في حال غضبه لأَنه لا يخاف عليه من الغضب كما يخاف على غيره، لعصمته من الشيطان.

«القانت»: «عا» الطائع اسم فاعل من القُنوت، وهو لزوم الطاعة مع الخضوع أَو الخاشع أَو طويل القيام في صلاته.

«القائد» «عا» بالهمز: الذي يقود الناسَ أَي يَقْدُمهم فيسلك بهم طريقَ الهُدَى ويَعْدل بهم عن سبيل الردَى.

وفي الترمذي عن أَنس رضي الله تعالى عنه مرفوعاً «وأَنا قائدهم إذا فزعوا».

«قائد الغُرِّ المحجَّلين» «يا» «عا» الغُرّ: جمع أَغر وهو من الخيل الذي له غُرّة أَي بياض في جبهته. والمحجَّل: الذي به التحجيل وهو بياض في القوائم والمراد بهم أمته وهو قائدهم إلى الجنة. روى الشيخان حديث «إِن أمتي يُدْعَون يوم القيامة غُرًّا محجَّلين من آثار الوضوء» ولهذا مزيد بسطٍ في الخصائص.

«قائد الخير»: أَخذه «ط» من حديث ابن ماجة السابق في «الإِمام» ومعناه أَنه يقود الخير ويجلبه إلى أمته أَو يقودهم إليه ويدلُّهم عليه.

«القائل»: «عا» الحاكم لأَنه ينفذ قوله. أَو المحب بالحاء المهملة والباء الموحدة، من قال بالشيء أَي أَحبه واختص به.

«القائم»: «خا» يأتي في القيِّم.

«القَتَّال»: روى ابن فارس عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: اسم النبي ﷺ في التوراة: «أَحمد الضَّحُوك القتَّال» الحديث ابن فارس: وإِنما سمي ﷺ به لحرصه على الجهاد ومسارعته إِلى القِرَاع وقلة إِحجامه.

«القَتُول» «خا».

«قُثَم»: بضم القاف وفتح المثلثة: روى الإِمام أَبو إِسحاق الحَرْبي رحمه الله تعالى أَن رسول الله ﷺ قال: **«أَتاني ملَك فقال: أَنت قُثَم وخُلقك قيِّم ونفسك مطمئنة»** قال ابن دِحْية في اشتقاقه معنيان **أَحدهما**: أَنه من القَثْم وهو الإِعطاء، يقال قثَم له من العَطاء إِذا أَعطى فسمي النبي ﷺ بذلك لجوده وعطائه.

الثاني: أَنه من القَثْم وهو الجمع يقال للرجل الجموع للخير قَثُوم وقُثَم. وقد كان ﷺ جامعاً لخصال الخير والفضائل كلها.

«قثوم» «خا» تقدم في الذي قبله.

«قدَم صِدْق»: في الصحيح عن زيد بن أَسْلَم في قوله تعالى: ﴿**أَنَّ لهم قدَم صِدْقٍ عند ربِّهم**﴾ قال: هو محمد ﷺ. وروى ابن مردويه عن عليّ رضي الله تعالى عنه في الآية قال: محمد ﷺ شفيع لهم. وروى أَيضاً عن أَبي سعيد الخُدْري رضي الله تعالى عنه مثله. ونقله «يا» عن الحسن وقتادة.

وقال القُشَيْريّ رحمه الله تعالى: سابقة رحمة لهم أودعها في محمد ﷺ.

والقدم: الجارحة. يذكَّر ويؤنث، والمراد بها هنا السابقة في الخير والفضل ورفعة

المحل وفي إضافته إلى الصدق دلالة على زيادة الفضل والشرف وأَنه من السوابق العظيمة وإنما سميت السابقة قدَماً لكونها يُسْعى ويستبق إلى الخير بها، كما سميت النعمة يداً لأَنها يُعْطَى بها.

«قدمايا»: هو اسمه ﷺ في التوراة. كما سبق في «أخرايا»، ومعناه الأَول السابق.

«القُرَشيّ»: «د» نسبة إلى قريش. وتقدم الكلام على ذلك في النسَب الشريف.

«القريب»: «د»: الداني من الله تعالى. قال الله عز وجل: ﴿**ثم دنَا فتدلَّى فكان قابَ قَوْسين أَو أَدْنى**﴾ أَي دنا من ربه تبارك وتعالى حتى إنه صار في القُرْب منه كقرب الواحد من الآخر بقدر قاب قوسين أَو أَقل من ذلك، وإلا فالله سبحانه وتعالى مُنزَّه عن المكان. وسيأتي الكلام على هذه الآية في باب المعراج.

أَو القريب من الناس لتواضعه. والقرب على قسمين: **أَحدهما** قرب العبد من ربه وهو التقرب إليه بطاعته والاتصاف في كل الأَوقات بعبادته. وقيل قُرْبه بإيمانه وتصديقه ثم بإحسانه وتحقيقه، **الثاني**: قُرْب الحق من الخلق وهو ما يخصهم به في الدنيا من العِرْفان وفي الآخرة ما يكرمهم به من الشهود والعيان، وسئل عبد الله بن حنيف رحمه الله تعالى عن القُرْب فقال: قُرْبك منه بملازمة الموافَقات، وقربه منك بدوام التوفيق، وهو من أَسمائه تعالى قال تعالى: ﴿**وإذا سأَلك عِبَادي عنّي فإنّي قريب**﴾ أَي قريب منهم بالعلم لا يخفى عليه شيء من أَحوالهم.

«القسم»: «عا».

«القُطْب»: «عا» بالضم: سيد القوم ومِلاَك أَمورهم ومدار حوائجهم وجمعه أَقطاب وقطوب وقِطَبَة كعنبة.

«القمر»: «خا» «عا» الكوكب المعروف، وإنما يسمى بذلك إذا امتلأَ ومضى عليه ثلاث ليال لأَنه يَقْمر ضَوْؤه ضوء الكواكب حينئذ ويفوز.

وقبل ذلك يسمَّى هلالاً. وسمي به ﷺ لأَنه جَلاَ ظُلْمة الكُفْر بنور الهداية. وفي قصص الكِسَائيّ: أَن الله تعالى قال لموسى عليه الصلاة والسلام إن محمداً ﷺ هو البحر الزاخر والقمر الباهر.

«القويّ»: من الصفات المشبهة الشديد التمكن. قال تعالى: ﴿**ذي قُوّة عند ذي العَرْش مَكِين**﴾ قيل: النبي ﷺ وقيل: جبريل عليه الصلاة والسلام وهو من أَسمائه تعالى. قال في أَنوار التنزيل: القوة تطلق على معان مترتبة أَدْنَاها الإمكان وأَقصاها القدرة التامة، والله تعالى قادرٌ له قُدْرة.

«القيِّم»: بالمثناة التحتية قال «يا»: روي في حديث «وأَنا قيِّم» والقيِّم: الجامع الكامل. كذا وجدته ولم أَروه وأَرى أَن صوابه قُثَم بالمثلثة، وهو أَشْبَه بالتفسير لكن في كتب الأَنبياء أَن داود عليه الصلاة والسلام قال: اللهم ابعث لنا محمداً يقيم السُّنَّة بعد الفَتْرة. وقد يكون القيِّم بمعناه «ط». وذكر الآمِديّ رحمه الله تعالى أَن جُرَيْبَة، - وهو بجيم مضمومة فراء مفتوحة فمثناة تحتية ساكنة فباء موحدة مفتوحة مصغَّر -، ابن الّلِثيم الأَسَدي قدِم على رسول الله ﷺ فأَسلم وقال:

بَـدَّلْـتُ دِيـنـاً غَـيْـرَ دِيـنٍ قَـدْ يُـذَمّ كُـنْـتُ مِـنَ الـذَّنْـبِ كَـأَنِّـي فـي ظُـلَـمْ

يَـا قَـيِّـمَ الـدِّيـنِ أَقِـمْـنَـا نَـسْـتَـقِـمْ فَـإِنْ أُصَـادِفْ مَـأْثَـمـاً فَـلَـنْ أَثِـمْ

والقيِّم من أَسمائه تعالى، كما في حديث: «أَنت قيّم السماوات والأَرض ومن فيهن» «د» وهو بمعنى القائم. «عا»: والقيّم أَبلغ من قائم. والفرق بينه وبين القيُّوم والقَيَّام: أَنهما يختصان به تعالى لما فيهما من الأَبلغية ولا يُستعملان في غير المدح بخلاف القيّم والله تعالى أَعلم.

حرف الكاف

«الكافّ»: بتشديد الفاء. قال ابن عساكر: قيل معناه الذي أُرسل إلى الناس كافَّة. وهذا ليس بصحيح لأَن كافة لا يتصرف منه فعل فيكون اسم فاعل. وإنما معناه الذي كفَّ الناسَ عن المعاصي.

«الكافَّة»: «عا»: الجامع المحيط. والهاء فيه للمبالغة وأَصله اسم فاعل من الكَفّ وهو المنع وقيل مصدر كالعاقبة قال تعالى: ﴿وما أَرسلناك إلاّ كافَّة للناس﴾ قال الزمخشري: يعني إلا إرسالةً عامة محيطة بهم، لأَنها إذا اشتملتهم فقد كفَّتهم أَن يخرج منها أَحد ولهذا مزيد بيان في الخصائص.

«الكافي»: «عا» اسم فاعل من الكِفاية وهو سدُّ الخَلَّة وبلوغ المراد في الأَمر. وسمي ﷺ بذلك لأَنه سدَّ خَلَّة أمته بالشفاعة يوم الحساب، وبلَّغهم مرادهم فيما أَمَّلوه من النصر على الأَحزاب، أَو لأَنه كُفِي شرَّ أَعدائه من المشركين، كما قال تعالى: ﴿إنا كفَيناك المستهزئين﴾ فيكون المراد بالكافي المكْفِي بفتح الميم وهو سائغ، لأَنه قد يَرِد اسم فاعل بمعنى المفعول، نحو: ماء دافق وعيشة راضية. بمعنى: مَدْفوق ومَرْضية. وإن كان مؤوّلاً عند بعضهم بالحمْل على النسَب أَي منسوبة إلى الرضا كالزارع والنابِل أَي يجعل إسناد الفعل لها مجازاً أَي راضٍ أَهلُها.

«الكامل»: التام خَلْقاً وخُلقاً.

«الكثير الصمت» «عا»: أي القليل الكلام فيما لا يُجْدي نفعاً وسيأْتي في صفاته المعنوية ﷺ.

«الكريم»: «يا»: الجواد المعطِي. أَو الجامع لأَنواع الخير والشرف. أَو الذي أَكرم نفسه أَي طهَّرها عن التدنيس بشيء من المخالَفات وتقدم أَن أَحد القولين في قوله تعالى: **﴿إنه لقولُ رسولٍ كريم﴾** أَنه النبي ﷺ. وقيل: المراد به جبريل عليه الصلاة والسلام. وعلى هذا فليس في ذلك مع قوله: **﴿وما صاحبكم بمجنون﴾** ما يقتضي تقاصُرَ رُتْبته ﷺ عن مرتبة جبريل خلافاً لما زعمه الزمخشري، لأَن المراد بسَلْب تلك عنه: الرد على من زعم ثبوتها له من المعاندين لا بيان تفاوت المرتبتين.

وهو من أَسمائه تعالى ومعناه: المتفضل. وقيل العفوّ. وقيل العَليّ. وقيل: الكثير الخير، والمعاني صحيحة في حَقِّه ﷺ.

«الكفيل»: السيد المتكفل بأُمور قومه وإِصلاح شأنهم. فَعِيل من الكفالة وهي الضمان، وسمِّي ﷺ بذلك لأَنه متكفِّل لأُمته بالفوز والنجاة بما ادخره لهم من الشفاعة أَو بمعنى مفعول كالجريح والكحيل.

وسمِّي به ﷺ لأَن الله تعالى تكفَّل له بالنصر والظَّفَر. أَو بمعنى الكفْل وزن طِفْل. وهو الرحمة والنعمة سمي به ﷺ لأَنه رحمة للخلق ونعمة من الحق.

«كنديدة»: قال «د» هو اسمه ﷺ في الزَّبُور.

«الكنز»: في الأَصل المال أَو الشيء النفيس. وسمي بذلك ﷺ لنَفَاسته، أَو لأَنه حصل لنا به السعادة الدنيوية والأُخروية.

«كهيعص»: ذكره «د». في أَسمائه ﷺ. وذكره غيره في أَسماء الله تعالى. وقد بسطتُ القول على ذلك في «القول الجامع».

«الكوكب»: «عا» سيد القوم وفارسهم، أَو النجم المعروف، وسمِّي به ﷺ لوضوح شِرْعته وسموّ ملته.

حرف اللام

«اللبيب»: «عا» صفة مشَّبهة من لبَب أَي فَطِن وهو العاقل الفَطِن والذكي الفهم.

«اللسان»: «دعا» في الأَصل المِقْول. ويطلق على الرسالة وعلى المتكلم عن القوم وهو المراد هنا، يذكَّر ويؤنث، وجمعه أَلْسِنة وأَلْسُن ولُسُن بضمتين، واللَّسَن بالفتح: الفصاحة

والبلاغة، وسمي به ﷺ لأنه لشدة بلاغته وفصاحته كان مجموعة لسان.

وحكى بعضهم أن المراد باللسان في قول السيد إبراهيم ﷺ: ﴿واجعلْ لي لِسَانَ صِدْق في الآخِرين﴾ هو محمد ﷺ. والمعنى أن إبراهيم ﷺ سأل الله تعالى أن يجعل من ذريته من يقوم بالحق ويدلّ عليه فأجيبت دعوته بمحمد ﷺ.

«اللّسِن»: «عا» بوزن كَتِف الفصيح البليغ المِصْقَع.

«اللَّوْذَعِي»: «عا» بذال معجمة فعين مهملة: الذكي الفصيح الحديد الذّهن؛ كأنه يلذع بالنار من توقد ذكائه. وتقدم في الحُلاَحل.

«الليث»: بالمثلثة: الشديد القوي أو السيد الشجاع أو اللّسن البليغ. والله تعالى أعلم.

حرف الميم

«المؤتمن»: بفتح الميم الثانية الذي يؤتمن لأمانته ويُرْغَب في ديانته اسم مفعول من الائتمان وهو الاستحفاظ. وسمي ﷺ بذلك لأنه حافظ للوحي مؤتمن عليه، أو على هذه الأمة أي شاهد عليها.

«المؤمَّل»: بفتح الميم أي المرجوّ خيره..

«المؤمَّم»: «عا» بالهمزة: المقصود الذي يؤمُّ كل راجِ حِمَاه لغة في الميمَّم بالياء.

«المؤيَّد»: بفتح التحتية: المنصور، اسم مفعول من أَيَدْته تأييداً إذا قوَّيْته وأَعَنْته قال تعالى: ﴿هو الذي أيدَّك بنصْره وبالمؤمنين﴾.

«المؤيِّد» بكسر المثناة: الناصر أو القوي أو الشديد.

«الماء المَعِين»: بفتح الميم وهو الطاهر الجاري على وجه الأرض، فعيل: بمعنى فاعل.

«المأمون»: «عا» بالهمز اسم مفعول من الائتمان وهو الاستحفاظ الذي يوثق به لأمانته في دِيَانته. وإنما سمي ﷺ بذلك لأنه لا يُخاف منه شر.

«المؤمن»: بالهمز وبإبدال همزته واواً تخفيفاً بسكونها بعد ضمة، وهي لغة أهل الحجاز، وبها قرأ وَرْش والسُّوسِيّ عن أبي عمرو. والهمز لغة تميم وهو المتَّصف بالإيمان، قال تعالى: ﴿فآمِنوا بالله ورسوله النبيِّ الأمي الذي يُؤْمِن بالله وكَلِماتِه﴾ أي يصدَق، والإيمان مأخوذ من الأَمن؛ لأن المؤمن يأمن العقاب في الدنيا والعذاب في الآخرة.

«الماجد»: المفضال الكثير الجود، أو الحسن الخُلق السمح، أو الشريف. اسم فاعل من المجد وهو سعة الشرف وكثرة الفوائد. وأصله من قولهم مَجَدت الإِبل: أي أصابت روضة

أَنِقاً خِصْبة فأَمجدَها الراعي. قال إياس بن سلمة بن الأَكوع رضي الله تعالى عنه:

سَمْحُ الخَلِيقَةِ مَاجِدٌ وَكَلاَمُهُ حَقٌّ وَفِيهِ رَحْمَةٌ وَنَكَالُ

وهو من أَسمائه تعالى قال الغزالي رحمه الله تعالى: الماجد والمجيد: هو الشريف لذاته الحميد فعَاله الجزيل عطاؤه، فهو جَمْع بين الجليل والوهاب والكريم.

الماحِي: تقدم في حديث جُبَيْر في الباب الثاني «وأَنا الماحي الذي يمحو الله به الكفر» قال القاضي: أَي من مكة وبلاد العرب وما زُوِي له من الأَرض ووعِد أَنه يَبْلغه مُلْك أُمته، ويكون المحو: بمعنى الظهور والغلبة كما قال تعالى: ﴿**ليُظْهره على الدِّين كلِّه**﴾ وفي طريق أُخرى عن جُبَيْر رواها الحاكم والبيهقي وإسنادها حسن متصل خلافاً لابن دِحْية، «وأَنا ماحي» فإنه ﷺ محا سيئات من اتبعه.

«ماذ ماذ»: هو اسمه ﷺ في الكتب السالفة، ومعناه طيّب طيب، وضبطه الإمام الشُّمُنيّ رحمه الله تعالى بفتح الميم وأَلف غير مهموزة وذال معجمة.

«المانح»: المعطي اسم فاعل من منح، إذا أعطى الجزيل وأولى الجميل.

«المانع»: الذي يمنع أَهل الطاعة من الأَعداء ويحوطهم وينصرهم، وهو من أَسمائه تعالى، ومعناه الذي يمنع أَسباب الهلاك والنقصان في الأَديان والأَبدان بما يلحقه من الأَسباب المعدة للحفظ. أَو يحرم من لا يستحق العطاء لقوله ﷺ: **«اللهم لا مانع كمَا أَعْطيتَ ولا مُعْطي لما مَنعت»** فمَنعه سبحانه وتعالى حِكْمة، وإعطاؤه جُود ورحمة.

«المبارَك»: العظيم البرَكة وهي الزيادة والنمو. وقيل: البركة لفظ جامع لأَنواع الخير، ومنه قوله تعالى: ﴿**إِنَّا أَنزَلْناه في ليلةٍ مُبارَكة**﴾ أَي جامعة لأَصناف الخير. وقال حسان بن ثابت رضي الله تعالى عنه:

صَلَّى الإِلَهُ وَمَنْ يَحُفُّ بِعَرْشِهِ وَالطَيِّبُونَ عَلَى المُبَارَكِ أَحْمدِ(١)

وقال عباس بن مِرْداس رضي الله تعالى عنه:

فَآمَنْتُ بِاللهِ الَّذِي أَنَا عَبْدُهُ وَخَالَفْتُ مَنْ أَمْسَى يُرِيدُ المَهَالِكَا

وَوَجَّهْتُ وَجْهِي نَحْوَ مَكَّةَ قَاصِداً وَبَايَعْتُ بَيْنَ الأَخْشَبَيْنِ المُبَارَكَا

نَبِيٌّ أَتَانَا بَعْدَ عيسَى بِنَاطِقٍ مِنَ الحقِّ فِيهِ الفَضْلُ مِنْهُ كَذَلِكَا

---

(١) البيت من قصيدة من الكامل مطلعها:

ما بال عينك لا تنام كأنما كحلت مآقيها بكحل الأرمد

انظر ديوان حسان ص ٦٥، ٦٦.

«ع» وإنما سمي ﷺ بذلك لـمَا جعل الله تعالى في حاله من البركة والثواب وفي أَصحابه من فضائل الأَعمال. وفي أُمته من زيادة القَدْر على الأُمم. وفي تفسير قوله تعالى عن سيدنا عيسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام: ﴿**وجعلني مبارَكاً أَينما كنتُ**﴾ أَي نفَّاعاً للناس.

«**المبرَّأ**»: المنزَّه المبعَد عن كل وصف ذميم. ولهذا مزيد بيان في باب طِيب عَرَقه ﷺ.

«**المُبْتَهِل**»: المتضرع المتذلِّل: اسم فاعل من الابتهال وهو التضرّع قال الله تعالى: ﴿**فقل تعالَوْا نَدْعُ أَبناءنا وأَبناءكم ونساءنا ونساءكم وأَنفسَنا وأَنفسَكم ثم نبتهل**﴾ أَي نتَباهل بأَن نقول: بَهْلة الله على الكاذبين منكم، والبَهْلة بالفتح والضم: اللعنة، وبهَله الله: لعنه، من أَبْهله إِذا أَهمله، هذا هو الأَصل في كل دعاء بما يُجتَهد فيه وإِن لم يكن التعاناً.

«**المبشِّر**»: اسم فاعل من البشَارة وهي الخبر السارّ. وأَما قوله تعالى: ﴿**فبشِّرهم بعذابٍ أَليم**﴾ فهو. بمعنى أَنْذرهم، استعيرت البشارة التي هي الإِخبار بما يُظهر سروراً في المخبَر به للإِنذار الذي هو ضدها بإِدخال الإِنذار في جنس البشارة على سبيل التهكّم والاستهزاء. وتقدم الكلام على ذلك في البشير.

«**المبعوث بالحق**»: أَي المرسَل به اسم مفعول من البعث وهو الإِرسال. وأَصله إِثارة الشيء وتوجيهه، وبُعث ﷺ للخلق كافة، كما سيأتي في الخصائص إِن شاء الله تعالى.

«**المبلِّغ**»: الذي يؤدي الرسالة كما أُمر، اسم فاعل من بلَّغ الرسالة إِذا أَدّاها، قال الله تعالى: ﴿**يا أَيها الرسولُ بلِّغْ ما أُنزِل إِليك من ربِّك**﴾.

«**المبيح**»: الذي أَباح لأُمته ما حرِّم على الأُمم السابقة. كما سيأتي بيان ذلك في الخصائص.

المبيِّن: بتشديد التحتية: اسم فاعل من التبيين وهو الإِظهار قال تعالى: ﴿**لتبيِّن للناسِ ما نزِّل إِليهم**﴾.

«**المتبتِّل**»: «ط» «عا» المخلص المنقطع إِلى الله تعالى بعبادته. اسم فاعل من التبتل وهو الإِخلاص والانقطاع إِلى الله تعالى، قال تعالى: ﴿**وتبتَّل إِليه تَبْتيلاً**﴾ أَي أَخلص له العبادة. وأَما قوله ﷺ: «**لا رَهْبانية ولا تبتُّل في الإِسلام**» فالمراد به الانقطاع والرغبة عن النكاح. ومنه قيل لمريم: البَتُول.

«**المتبسِّم**»: «د» «عا» اسم فاعل من التبسم وهو البشاشة. وسمِّي ﷺ به لأَنه كان يَلْقى الناسَ بالبِشْر، وطلاقةُ الوجه من حُسْن العشرة ولهذا مزيد بيان في باب ضحكه وتبسّمه ﷺ.

«المتَّبع» «ط» «عا» اسم مفعول من الاتباع وهو الذي يتبعه غيره أي يقتدي به في أَقواله وأَفعاله، قال الله تعالى: ﴿فآمنوا بالله ورسوله النبيِّ الأُمِّي الذي يُؤْمن بالله وكلماته واتبعوه﴾ أَمرنا الله تبارك وتعالى باتباعه ﷺ والاقتداءِ به في أَقواله وأَفعاله فوجب علينا اتباعه في ذلك في أَقواله فإِنه لا ينطق عن الهوى وأَفعالِه فإِنه لا يَصْدر منه محرَّم لعصمته. ولا مكروه لنُدْرته من غيره من أَهل الكمال فكيف به منه. بل قيل: لا يتصور وقوع المكروه منه أَيضاً لأَنه فعل ما هو مكروه في حقنا أَو خلاف الأَوْلَى كوضوئه ﷺ مرةً مرة فذلك لبيان الجواز.

وقد حكى الإِمام النوويّ عن العلماءِ أَن وضوءه ﷺ على تلك الصِّفة أَفضل في حقه من التثليث.

«المتربِّص»: ذكره الإِمام شمس الدين البرماوي ـ رحمه الله تعالى ـ في رجال العمدة أَخذاً من قوله تعالى، آمراً له أَن يقول للكفار: ﴿تربَّصوا فإِنِّي معكم من المتربِّصين﴾ أي انتظروا حصولَ ما تتمنونه لي فإِني منتظر ما وعدني ربي من النصر عليكم والظَّفر بكم.

«المترحِّم»: اسم فاعل من ترحم.

«المتضرِّع في الدعاءِ»: الخاضع لله وتقدم في الضارع.

«المُتْقِن»: اسم فاعل من الإِتقان وهو إِحكام الأُمور أَو الحاذق اللبيب والفطِن الأَريب، يقال أَتقن الشيءَ فهو مُتْقِن وتَقِن بكسر القاف أَي حاذق.

«المتَّقِي»: اسم فاعل من اتقى. وقد تقدم الكلام على التقوى في اسمه الأَتْقَى.

«المتْلُوّ» «عا» اسم مفعول من التلوّ وهو المتابعة لأَنه يُتْبَع ويُقتدى به.

«المَتْلو عليه»: من التلاوة، لأَن جبريل كان يتلو عليه القرآن ويدارسه به.

«المتمكِّن»: وجِد مكتوباً على حجَر في البيت في الهَدْمة الأُولى فيه: «عَبْدي المنتخَب المتمكِّن المنيب المختار»، ومعنى المتمكِّن: المستمكن في الأَرض الذي أَطاعه الناس واتبعوه وظَهر دِينه واشتهَر. والتمكن صفة أَهل الحقائق، والتكوين صفة أَرباب الأَحوال، فما دام العبد في الطريق فهو صاحبُ تكوين لأَنه يرتقي من حال إِلى حال، فإِذا وصَل تمكَّن.

قال الأُستاذ أَبو علي الدقَّاق ـ رحمه الله تعالى ـ: كان موسى عليه الصلاة والسلام صاحب تكوين فرجع من سماع الكلام وأَثَّر فيه الحال قال تعالى: ﴿وخرّ موسى صَعِقاً﴾ ومحمد ﷺ صاحب تمكين فرجع بعد أَن وصل ولم يؤثر فيه ما شاهَد، قال تعالى: ﴿ما زاغَ البصَرُ وما طَغَى﴾.

«المتمِّم لمكارم الأَخلاق»: روى الإِمام أَحمد عن أَبي هريرة ـ رضي الله تعالى عنه ـ

أَن رسول الله ﷺ قال: **«بُعِثْتُ لأُتَـمِّم مَكَارِمَ الأَخلاق»**[١] وهي من جملة الدين، والمكارم: جمع مَكْرُمة بضم الراء، والأَخلاق جمع خُلُق بضمتين وهي السجيّة.

«المتمَّم»: مبنياً للمفعول: المكمَّل خُلقاً وخَلْقاً.

«المتهجِّد»: قال تعالى: ﴿**ومن الليل فتهجَّدْ به**﴾ وسيأْتي الكلام عليه في أَبواب عبادته.

«المتوسط»: «خا» المتردِّد في الشفاعة بين الله تعالى وبين الأُمة.

«المتوكِّل»: قال تعالى: ﴿**وتوكَّلْ على الحيِّ الذي لا يموت**﴾؛ وهو من أسمائه في التوراة كما في صحيح البخاري عن عبد الله بن عمرو ـ رضي الله تعالى عنهما ـ. قال الإمام الشافعي ـ رضي الله تعالى عنه ـ: نزَّه الله تعالى نبيَّه ورفَع قَدْره بهذه الآية لأَن الناس في التوكل على أَحوال: متوكِّل على نفسه أَو على أَهله أَو على جاهه أَو على سلطانه أَو على صناعته أَو على غلَّته أَو على الناس. وكل منهم متوكل مستند إِلى حيّ يموت وإِلى ذاهب ينقطع، فنزَّه الله تعالى نبيَّه عن ذلك كله وأَمَره بالتوكل عليه، وقال النَّخْشَبي ـ وهو بنون مفتوحة فخاء ساكنة فشين مفتوحة معجمتين فباء موحَّدة فياء نسب: التوكل: طَرْح البدن في العبودية، وتعلُّق القلب بالربوبية، والطمأْنينة بالله؛ فإِن أَعطاه شكرَ، وإِن منعَه صبر. وقيل: الثقة بالله تعالى والإِيقان بقضائه لكن يجوز السَّعْي فيما لا بد منه تأَسِّياً بالسُّنة.

وقال الأُستاذ أَبو القاسم القشيري: التوكل محلُّه القلب، والحركة بالظاهر لا تنافيه بعد أَن تحقَّق أَن الكل من الله تعالى، فإِن تعسَّر شيء فبتدبيره وإِن تيّسر شيء فبتيسيره.

وحكي أَن إِبراهيم بن أَدهم سأل شقيقاً البَلْخي عن مبدأ أَمره فقال: رأَيت في بعض الخلوات طائراً مكسور الجناحين فأَتاه طائر صحيح الجناحين بجرادة في منقاره فأَطعمه إِياها، فتركتُ التكسّب واشتغلت بالعبادة، فقال إِبراهيم: ولم لا تكون أَنت الطائر الصحيح الذي أَطعم الطائرَ العليل حتى تكون أَفضل منه؟! قال ﷺ: **«اليدُ العُلْيا خيرٌ من اليد السُّفْلى»**[٢].

«المتين»: «حا» «عا» القويّ الشديد ومنه حبل متين. وهو من أَسمائه تعالى ومعناه القويّ السلطان البالغ أَقصى مراتب القدرة والإِمكان.

---

(١) أخرجه مالك في الموطأ (٩٠٤)، والبيهقي في السنن ١٠/١٩٢ بلفظ «صالح الأخلاق» والحاكم في المستدرك ٢/ ٦١٣ وذكره المتقي الهندي في الكنز (٣١٩٦٩).

(٢) أخرجه البخاري ٣/٢٩٤ كتاب الزكاة (١٤٢٩)، ومسلم ٢/٧١٧ كتاب الزكاة (٩٤/١٠٣٣).

«المثَبَّت»: «عا» بفتح الموحدة مبنيًا للمفعول من الثبات وهو التمكن والاستقرار. قال الله تعالى: **﴿ولولا أن ثبّتناك﴾** وسمّي بذلك لأن الله تعالى ثبَّت قلبه على دينه.

«المثبِّت»: «عا» بكسر الباء مبنيًا للفاعل المثبت لمن اتبعه على دينه المجاب «خا» المعطَى سُؤله.

«المجادِل»: «عا»: المحكِم المتقن للأُمور أَو المحاجج اسم فاعل من الجدال وهو المعارضة في القول على سبيل المنازعة والمغالبة لإظهار الحجة. وأَصل الجدال الإِحكام، ومنه جَدَلْتُ الحَبْل والبناء إِذا أحكمت صنعهما قال تعالى: **﴿وجادِلْهم بالتي هي أَحسن﴾** أَي بأَحسن أطرق المجادَلة من الرفق واللين من غير فظَاظة ولا تعنيف.

«المجاهد»: اسم فاعل من الجهاد. قال تعالى: **﴿يا أَيها النبيُّ جاهِد الكفَّارَ والمنافِقين﴾** أَي جاهد الكفار بالسيف والمنافقين بالاحتجاج أَو بإِقامة الحدود أَو بإِفشاءِ أَسرارهم.

«المجتبَى»: اسم مفعول من الاجتباءِ وهو الاصطفاء. قال في الصِّحاح: اجتباه: اصطفاه.

«المجتهد»: المجدّ في الطاعة أَو من قام به الاجتهاد. وهو بَذْل الوسع في طلب أَمْرٍ يُقْصد، افتعالٌ من الجهد والطاقة.

«المجيب»: اسم فاعل من أَجاب.

«المجير»: اسم فاعل من أَجار، أَي أَنقذ من استجار به وأَغاث من استغاث به.

«المجيد»: بفتح الميم وكسر الجيم: الرفيع القَدْر العالي البركة، أَو الكريم الشريف الفِعَال. فعيل بمعنى فاعل من المجْد ونَيْل الشَّرف، يقال مَجَد كنَصَر وكَرُم مَجْداً ومجادَةً فهو ماجدٌ ومَجيد. وهو من أَسمائه تعالى، ومعناه: الكريم الجميل الفِعَال الكثير الأَفضال، أَو الذي لا يشارَك في أَوصاف جَماله ولا يضاهَى في عُلوّ شأنه.

«المحَجَّة»: جادة الطريق، مَفْعَلة من الحَجّ وهو القَصْد، والميم زائدة، وجَمْعه المَحَاجّ. وسمّي بذلك ﷺ لأَن الناس تَقْصده.

«المحرِّض»: بكسر الراء المشددة فضاد معجمة: المُحِض على القتال والجهاد أَو العبادة، أَي المحِثّ على ذلك، قال الله تعالى: **﴿يا أَيها النبيُّ حَرِّض المؤمنين على القتال﴾**.

«المحرّم للظُّلْم»: وهو مجاوزة الحق ولهذا مزيد بيان يأْتي.

«المحفوظ»: اسم مفعول من الحفظ. وسمِّي به لأَنه محفوظ من الشيطان. روى البخاريّ عن أَبي هريرة ـ رضي الله تعالى عنه ـ أَن النبي ﷺ صلَّى صلاةً فقال: «**إِن الشيطان عَرَض لي فشدَّ عليّ ليقطع الصلاة عليَّ فأَمْكنَني الله منه**». وفيه دليل على حِفْظه منه[١].

فإن قيل: لمَ سُلِّط عليه الشيطان أَولاً، وهلاَّ كان إِذا سلَك عليه الصلاة والسلام طريقاً هرَب الشيطانُ منه كما وقع لعمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ، فقد روى الشيخان عن سعد بن أَبي وقَّاص ـ رضي الله تعالى عنه ـ أَن النبي ﷺ قال لعمر: «**ما لَقِيك الشيطان قط سالكاً فجًّا إِلا سَلك فجًّا غيره**»[٢].

الجواب: أَنه لمّا كان رسول الله ﷺ مَعْصوماً من الشيطان ومَكْرِه ومحفوظاً من كيده وغَدْره آمناً من وسواسه وشره كان اجتماعه به وهربه منه سِيّان في حقه ﷺ. ولما لم يَبْلغ عُمَر ـ رضي الله تعالى عنه ـ هذه الرتبة العليّة والمنزلة السنيّة كان هربُ الشيطان منه أَوْلَى في حقه وأَيْقن لزيادة حفظه وأَمْكن لدفع شَره، على أَن يجوز أَن يُحْمل الشيطان الذي كان يهرب من عمر غير قَرِينه أَما قرينه فكان لا يهرب منه بل لا يفارقه لأَنه وكِّل به كغيره.

«المحكَّم»: «عا» بفتح الكاف المشددة: الحاكم وهو القاضي. قال تعالى: ﴿**فلا وربِّك لا يُؤْمنون حتى يحكِّموك فيما شَجَر بَيْنهم**﴾ أي يرضوا بحكمك لهم وعليهم.

«المحرِّم»: مبيّن الحرام وهو ما نهى الله عنه ولم يرخص فيه.

«المحلِّل»: شارع الحلال وهو ما أُذن في تناوله شَرْعاً.

«المحمود»: «يا» «د» «ع» هو المستحق لأن يُحْمَد لكثرة خصاله الحميدة. قال حسان بن ثابت ـ رضي الله تعالى عنه ـ يرثيه:

فَأَصْبَحَ مَحْمُوداً إِلَى اللّه رَاجِعاً ... يُبَكِّيهِ حَقُّ المُرْسَلاَتِ وَيُحْمَدُ[٣]

وهو من أَسمائه تعالى قال حسان أَيضاً:

وَشَقَّ لَهُ مِنْ إِسْمِهِ لِيُجِلَّهُ ... فَذُو العَرْشِ مَحْمُودٌ وَهَذَا مُحَمَّدُ[٤]

---

(١) أخرجه البخاري ١٤٣/٢ كتاب العمل في الصلاة (١٢١٠).

(٢) أخرجه البخاري ٢٥٦/٤ كتاب بدء الخلق (٣٢٩٤)، ومسلم ١٨٦٤/٤ كتاب الفضائل (٢٢- ٢٣٩٦).

(٣) البيت في الديوان:

فأصبح محموداً إلى الله راجعاً ... يبكيه جفن المرسلات ويحمدُ

الديوان ص ٦٣.

(٤) بعد البيت في الديوان:

نبي أتانا بعد يأس وفترة ... من الرسل والأوثانُ في الأرض تعبد

الديوان ص ٥٤.

«**المحيد**»: من حاد عن الشيءِ إِذا عدَل عنه، وسمِّي بذلك لأَنه حاد عن الباطل واتبع الحق. أَو من أَحاد لأَنه عدَل بأُمته إِلى جادّة الطريق المستقيم وسلك سبيل الدين القويم.

«**المخْبِت**»: «خا» تقدم في الأَوّاه. وفي الصحاح: الإِخبات الخشوع والتواضع.

«**المُخْبِر**»: «د» المبلِّغ عن الله ما أَوحى إِليه.

«**المختار**»: اسم مفعول منِ الاختيار وهو الاصطفاء كما في الصِّحَاح. روى الدارمي عن كعب الأَحبار قال في السِّفْر الأَول: محمد رسول الله عبدي المختار لا فَظّ ولا غليظ ولا سخَّاب بالأَسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة.

«**المختص**»: اسم مفعول من الاختصاص بالشيءِ وهو الإِيثار به، وسمِّي بذلك لأَن الله تعالى اختصه لنفسه واستأْثر به على خَلْقه، ويجوز أَن يراد به اسم الفاعل، وسمي به لأَنه اختص بملازمته عبادة ربه واستأْثر بزيادة حبه وقُربه.

«**المختصّ بالقرآن**»: «عا» المستأْثر به على غيره، يقال اختصه الله بكذا واختص نفسه بكذا فهو مختص فيهما. والقرآن في الأَصل مصدر نحو كُفْران ورجحان سمي بذلك من بين كتب الله لكونه جامعاً لثمرة كتبه، بل لجمعه ثمرة جميع العلوم كما أَشار إِليه بقوله: ﴿**وتفصيلاً لكلِّ شيءٍ**﴾ وقوله: ﴿**تِبياناً لكل شيءٍ**﴾ وقد خُصَّ بالكتاب المنزل على محمد ﷺ، وصار له كالعَلَم، كما أَن التوراة لـمَا أُنزل على موسى والإِنجيل لـمَا أُنزل على عيسى عليهما الصلاة والسلام. والقرآن: ضم بعض الحروف والكلمات إِلى بعض في الترتيل. وليس يقال ذلك لكل جَمْع، لا يقال قرأت القوم إِذا جَمعْتهم.

«**المختص بآيٍ لا تنقطع**»: الآي: جمع آية وهي العلامة والمراد بها المعجزة لأَن منها القرآن، والمعنى أَن آياته لا تَبِيد ولا تنقطع بل هي باقية إِلى يوم القيامة تتجدَّد ولا تضمحلّ لأَن منها القرآن وهو باق إِلى آخر الدهر بخلاف معجزات سائر الأَنبياءِ صلى الله عليهم وسلم فإِنها انقرضت بانقراضهم، ولهذا مزيد بَسْط في المعجزات.

«**المخَتَّم**»: اسم مفعول من تختَّم إِذا اتخذ خاتماً، وسيأْتي لهذا مزيد بيان في أَبواب زينته. أَو الذي خُتم عليه بخاتم النبوة كما سيأْتي بيانه في صفات جسده الشريف.

«**المخصوص بالعِزّ**».

«**المخصوص بالمجْد**».

«**المِخْضَم**» «عا» بضاد معجمة بوزن مِنْبر: السيد الشريف العظيم المنيف.

«**المخْلِص**»: «عا» الصادق في عبادته الذي ترك الرياء في طاعة الله تعالى، اسم فاعل

من الإِخلاص وهو الصدق وترك الرياء. قال الله تعالى: ﴿**بل الله أَعْبدُ مُخْلصاً له دِيني**﴾ قال الأُستاذ أَبو القاسم القشيري ـ رحمه الله تعالى ـ: الإِخلاص إِفراد الحق في الطاعة بالقصد، أَو تصفية الفعل عن ملاحظة المخلوقين. والفرق بينه وبين الصدق أَو تصفية الفعل عن ملاحظة المخلوقين. والفرق بينه وبين الصدق أَنه التنقِّي عن مطالعة النفس. والإِخلاص: التوقِّي عن ملاحظة الخَلْق. والمخلص لا رياء له والصادق لا إِعجاب له.

«**المدثِّر**»: قال تعالى: ﴿**يا أيها المدَّثِّر**﴾ روى الشيخان عن جابر بن عبد الله ـ رضي الله تعالى عنهما ـ أَن رسول الله ﷺ قال وهو يحدِّث عن فترة الوحي: «**بَيْنا أَنا أَمشي إِذ سمعتُ صوتاً من السماءِ فرفعت بصري فإِذا الملَك الذي جاءني بحِرَاء جالس على كرسّي بين السماءِ والأَرض فرعبتُ منه فرجعت فقلت دثِّروني دثروني**»[١]. وفي لفظ: زمِّلوني زمِّلوني فأَنزل الله تعالى: ﴿**يا أَيها المدَّثِّر قم فأَنذر**﴾ وهو اسم مشتق من الحالة التي كان عليها حين النزول. والمدثر: المتلفِّف في الدثار وهو الثياب وأَصله المتدثر لأَنه من تدثَّر فقلبت التاء دالاً وأُدغمت. قال أَبو القاسم بن الورد: وإِنما نزل: ﴿**يا أَيها المدثِّر**﴾ عقب قوله «**زمِّلوني**» لأَجل أَن هذا التزمل أُريد به الدثار من البرد الذي يعتري الروع لأَنه كالمحموم مخاطبة بالمعنى المطلوب من تزمل أَي يا أَيها المزمل المدثر دَعْ هذا الدِّثار وخُذْ في الإِنذار تأْنيباً له من ذلك الرَّوْع وتنشيطاً على فعل ما أُمر به. كما تقول لمن أَرسلته في حاجة فتخوَّف وجلس في بيته: يا أَيها المتخوِّف امض فيما وجِّهْتُك. ولو قلت: يا أَيها الجالس في بيته لاستقام لكن بَدْأَه بالمعنى الذي من أَجله جلس في بيته آنَسُ له وآمن من تخوّفه وأَبْلغ في التنشيط له.

«**المدَنيّ**»: نسبة إِلى المدينة الشريفة وسيأْتي الكلام عليها في أَبواب فضلها.

«**مدينة العِلْم**»: روى الترمذي وغيره مرفوعاً: «**أَنا مدينة العِلْم وعليّ بابها**»[٢] والصواب الحديث حسن. كما قال الحافظان العلائي وابن حَجر، وقد بسط الشيخ الكلام عليه في كتاب «تهذيب الموضوعات». وفي «النكت».

«**المذكِّر**»: المبلغ الواعظ، اسم فاعل من التذكرة وهي الموعظة والتبليغ. قال تعالى: ﴿**فذكِّر إِنما أَنت مذكِّر**﴾ أَي ذكِّر عبادي وعِظْهم بحُجّتي وبلِّغهم رسالاتي.

---

(١) أخرجه البخاري ٢٨٤/٦ كتاب التفسير (٤٩٢٥)، ومسلم ١٩٣/١ كتاب الإيمان (٢٥٥ـ ١٦١).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك ١٢٦/٣، والفتن في التذكرة (٩٥)، والذهبي في الميزان (٤٢٩)، والعقيلي في الضعفاء ١٥٠/٣، والطبراني في الكبير ٦٦/١١، وابن كثير في البداية والنهاية ٣٥٩/٧، وذكره الهيثمي في المجمع ١١٧/٩، وعزاه للطبراني وقال: فيه عبد السلام بن صالح الهروي وهو ضعيف.

«المذكور»: «خا»: في الكتب السالفة.

«المرء»: بتثليث الميم: الرجل الكامل المروءة، وهي بالهمز وتَرْكه: الإنسانية. قال الجوهري. وسأل رجل الأحنف عن المروءة فقال: عليك بالخلق الفسيح والكفّ عن القبيح. وقيل: أن تصون نَفْسك عن الأدناس ولا تشينها عند الناس. وقال الإمام جعفر الصادق: وهي أن لا تطمع فتذِلّ ولا تسأل فتثقل ولا تبخل فتشتم، ولا تَجْهل فتُخْصَم. وقيل: أن لا تعمل في السرّ ما تستحي منه في العلانية. وقيل: هي اسمٌ جامع لكل المحاسن. وعن عمر بن الخطاب - رضي الله تعالى عنه -: المروءة مروءتان: مروءة ظاهرة وهي الرئاسة ومروءة باطنة وهي العفاف.

وروى الإمام أحمد وأبو داود عن عائشة مرفوعاً: «أقيلوا ذوي الهيئات عثراتهم إلا في الحدود» ورواه الإمام الشافعي وابن حِبّان في صحيحه بلفظ: أقيلوا ذوي الهيئات زلاّتهم. وقال الشافعي: وذوو الهيئات الذين يُقالون عَثراتهم: الذين لا يُعرفون بالشر فيزِلُّ أحدهم الزّلة. وقال الماوردي: في عثراتهم وجهان: **أحدهما**: الصغائر. **والثاني** أول معصية زلَّ فيها مُطيع.

وسمِّي ﷺ بذلك لأنه منها بمكان قال له زهير بن صُرَد:

آمْنُنْ عَلَـيَّ رَسُولَ اللّـهِ فـي كَـرَمٍ ... فَـإِنَّـكَ الـمَـرْءُ نَـرْجُـوْهُ وَنَـدَّخِـرُ

«المرتجَى»: «ط»[1] بفتح الجيم: اسم مفعول من الرجاء بمعنى الأمل لأنه الذي يرجوه الناس لكشف كروبهم وجلاءِ مصائبهم وأعظمها يوم القيامة في فصل القضاءِ.

«عا»: أو بكسرها: اسم فاعل، أي المؤمِّل من الله تعالى قبولَ شفاعته في أُمته. روى الشيخان عن أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - أن رسول الله ﷺ قال: **«لكلِّ نبيٍّ دعوةٌ مستجابة فتعجّل كلّ نبي دعوته وإني أختار دعوتي شفاعة لأُمتي فهي نائلة إن شاء الله تعالى من مات لا يُشْرك بالله شيئاً»**.

«المرتضَى»: الذي رَضِيه مولاه أي أحبه واصطفاه.

«المرتِّل»: بكسر المثناة الفوقية اسم فاعل من رتَّل مضاعفاً وهو الذي يقرأ القرآن على ترسّل وتُؤَدة مع تبيين الحروف والحركات قال تعالى: **﴿ورتِّل القرآن ترتيلا﴾**.

روى الترمذي عن حفصة - رضي الله تعالى عنها - قالت: كان رسول الله ﷺ يقرأ بالسورة ويرتلها حتى تكون أطول من أطول منها. ولهذا مزيد بيان في أبواب قراءته ﷺ.

«المرحوم»: اسم مفعول من رحم. وتقدم بيان معنى الرحمة.

---

(١) في أ (خا).

«مَرْحمة»: روى أبو نُعَيْم في «الحِلْية» عن ابن عباس ـ رضي الله تعالى عنهما ـ مرفوعاً: «بُعثت مَرْحمة ومَلْحمة ولم أُبعث تاجراً ولا زارعاً»[1] أي بعثت رحمةً للمؤمنين وشدة على الكافرين. كما قال الله تعالى في حقه وحق أصحابه: ﴿**أَشدّاء على الكُفَّار رُحماءُ بَيْنهم**﴾.

«المرْسَل»: «ع» «د». قال الله تعالى: ﴿**ويقولُ الذين كفروا لَسْتَ مُرْسَلاً. قل كفى بالله شَهيداً بَيْني وبينكم ومن عِنْده عِلْمُ الكِتَاب**﴾ وهو مُفْعَل من الرسالة والفرق بينه وبين الرسول أَن الأَوّل لا يقتضي التتابع في الإِرسال، بل قد يكون مرة واحدة والرسول يقتضيه.

«المرشِد»: الهادي: اسم فاعل من أَرشد أَي دلّ على طريق الهدى.

«مَرْغمة» «د» وقع في الصحاح: «بُعِثتُ مَرْغمةً» أَي مُذِلاً للكفر حتى يلتصق بالرَّغام وهو بالفتح التراب، ثم استعمل في الذل والعجز.

«المُرَغِّب»: «عا» اسم فاعل من رغَّب مضاعَفاً، لأَنه يحث الخلق على طاعة الحق ويرغبهم فيما عنده من الخير، وقرأَ زيد بن علي: ﴿**وإِلى ربِّك فارْغب**﴾ أَي رغِّب الناسَ إِلى طلب مغفرته ومحبة مَثُوبته.

«المزكّي»: «ط» قال تعالى: ﴿**ويُزَكّيهم**﴾ أَي يطهرهم من الشرك ووضَر الآثام.

«المزَّمّل»: أَصله المتزمِّل قُلبت التاء زاياً وأُدغمت لأَنه من تزمَّل. قال الله تعالى: ﴿**يا أَيها المزمِّل قُمِ الليل**﴾ ولهذا مزيد بيان في أَبواب بعثته.

«المُزَمْزَم»: «عا» بضم الميم الأُولى وفتح الزاي الثانية أَي المغسول قلبُه بماء زمزم كما سيأْتي الكلام على ذلك في أَبواب صفة جسده الشريف في باب شق صدره ﷺ.

«مُزيل الغُمّة»: اسم فاعل من الإِزالة وهي الكشف والإِماطة. والغمة من الغم: الكرب والشدة. وأَصله الستر ومنه الغمام لأَنه يستر ضوء الشمس، وسمي بذلك لأَنه جلى ظُلْمة الشك بنور اليقين، وأَماط غمة الشِّرْك عن الدين المتين، ورفع حُجُب الغفلة عن قلوب المتقين.

«المسبِّح»: «ط» «عا» بسين مهملة فباء موحدة مهملة: المهلل الممجِّد، اسم فاعل من التسبيح وهو تنزيه الحق عن أَوصاف الخَلْق، وأَصله المرُّ بسرعة في الماء. قال «عا»: وفرّق بينه وبين التقديس والتنزيه بأَن التقديس تبعيد الرب عما لا تليق به الربوبية، والتنزيه تبعيده عن أَوصاف البشرية، والتسبيح تبعيده عن أَوصاف جميع البَرِيّة.

«المستجيب»: «عا» المطيع اسم فاعل من استجاب بمعنى أَجاب، وليست سينه

---

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية ٧٢/٤، وذكره المتقي الهندي في كنز العمال (١٠٥٠٠).

للطلب بل هو استفعل بمعنى أَفعل قال كعب الغَنويّ:

وَدَاعٍ دَعَـا يَـا مَـنْ يُـجِـيـبُ إِلَـى الـنِّـدَا فَـلَـمْ يَـسْـتَـجِـبْهُ عِـنْـدَ ذَاكَ مُـجِـيـبُ

ومنه: ﴿يوم يَدْعوكم فتَسْتجيبون بحَمْده﴾ أَي فتجيبون ويجوز أَن يكون المستجيب بمعنى مُسْتجَاب، فِعيل بمعنى مفعول، وسمِّي بذلك لأَنه تجب علينا طاعته ويلزمنا إِجابته إِذا دعانا ولو في صَلاَتنا، ولا تبطل بإِجابته كما سيأْتي بيان ذلك في الخصائص.

«المستعِيذ»: «ط» اسم فاعل من العَوْذ وهو الالتجاء إِلى الله تعالى والاستجارة به والانحياز إِليه والاستعانة به، قال تعالى: ﴿فإِذا قرأت القرآن فاستعذْ بالله﴾ ﴿وإِمّا ينْزغنك من الشيطان نَزْغ فاستعِذْ بالله﴾ واستعاذته ﷺ عند القراءة وفي كل وقت من الشيطان وهَمْزه ونَفْثه ومن شرِّ ما خلق وعند نزوله المنازل في السفَر معلوم جاءت به الأَحاديث الصحيحة وذكر بعضهم أَن الاستعاذة كانت واجبة عليه ﷺ وحده ثم تأَسَّيْنا به.

«المستغفر من غير مَأْثم»: قال تعالى: ﴿فسبِّح بحَمْد ربك واستغفره﴾ روى ابن السُّنيّ عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: كنا نَعُدُّ لرسول الله ﷺ في المجلس الواحد مائةَ مرة يقولها قبل أَن يقول شيئاً **«ربِّ اغفر لي وتُبْ عليّ إِنك أَنت التوابُ الرحيم»** ولهذا مزيد بيان في باب استغفاره.

«المُسْتَغْني»: «خا» تقدم في الغَنِيّ.

«المستقيم»: اسم فاعل من الاستقامة وستأْتي وأَصله مُسْتَقْوِم نقلت حركة الواو إِلى ما قبلها ثم قلبت ياء، وهو الذي لا عِوَج فيه ينقصه، أَو السالك الطريق المستقيم وهي طريق الحق فلا يَحُول عنها، وقد مرَّ عن الحسن وأَبي العالِيَة أَن الصراط المستقيم في قوله تعالى: ﴿اهدِنا الصراطَ المستقيم﴾ سيدُنا محمد ﷺ قال تعالى: ﴿فاستقمْ كمَا أُمِرْتَ﴾ أَي استقم استقامةً مثلَ الاستقامة التي أُمرتَ بها على جادّة الحق غير عادِل عنها، أَي دوامْ على ذلك. قال الأُستاذ أَبو القاسم القشيري رحمه الله تعالى: الاستقامة درجة بها كمال الأُمور وتمامها. وبلوغها حصولُ الخيرات ونظامها، وأَول مَدارجها: التقويم وهو تأْديب النفس، ثم الاستقامة وهي تقرّب الأَسرار.

وقيل: الاستقامة الخروج من المعهودات ومفارقة الرسوم والعادات والقيام بين يدي الحق على قدم الصِّدق.

«المسدَّد»: أَخذه «ط» من قوله تعالى لشَعْيا ﷺ فيما رواه ابن أَبي حاتم عن وهب: أُسدِّده لكل جميل.

«المُسْرَى به»: بضم الميم وسكون السين المهملة اسم مفعول من الإِسراء كما سيأْتي بيان ذلك في بابه.

«المسعود»: «د» «عا» اسم مفعول من أَسعده الله تعالى أَي أَغناه وأَذهب شقاوته فهو مسعود ولا تقل مُسْعَد.

«د»: ويجوز أَن يكون بمعنى فاعل، كالمحبوب. بمعنى محبَّب من سَعِد كعَلِم وغُني سعادة فهو سعيد ومسعود أَي حصل له اليُمْن والبرَكة.

«المسلِّم»: «عا» بتشديد اللام المكسورة المفوِّض من غير اعتراض، المتوكِّل على الله تعالى في جميع الأَعراض.

«المسِيح»: المبارَك باليونانية، أَو الذي يمسح العاهات فيبرئها فعيل بمعنى فاعل، أَو الذي لا إِخْمِص له. وسيأْتي في باب صفة قدمه الشريف أَنه ﷺ كان مَسِيح القدمين ومعناه أَنه كان أَمْسَح الرِّجْل ليس لرجله إخمص فالإِخمص: ما لا يمسّ الأَرض من باطنِ الرجل ولذلك سمي السيد عيسى ﷺ، وذكر فيه أَقوالٌ يُناسب النبيَّ ﷺ منها عشرة: **الأَول**: أَنه كان لا يمسح ذا عاهة إِلا برئ، وقد كان ﷺ كذلك. كما سيأْتي في المعجزات.

الثاني: سمي بذلك لحسْن وجهه، والمسيح في اللغة الجميل، وقد كان ﷺ من الحسْن بمكان لا يُدَانيه فيه أَحد، كما سيأْتي بيان ذلك في حُسْنه.

الثالث: الكثير الجِمَاع يقال مسَحها إِذا جامعها. قال ابن فارس. **الرابع**: الصِّديق قاله الأَصمعي. **الخامس**: المسيح قطعة الفضة وسمي به لأَنه كان أَبيض مُشْرباً بحُمْرة وكذلك كان النبي ﷺ كما سيأْتي في باب صفة لونه. **السادس**: المسيح: السيف قاله المطرّز. ومعنى السيف في حقه ﷺ واضح لأَنه سيف الله كما تقدم. **السابع**: الذي يمسح الأَرض أَي يَقْطعها لأَنه كان تارةً بالشام وتارة بمصر وتارة بغيرهما. والنبي ﷺ قطَع السماوات السبع. **الثامن**: لأَن الله تعالى كان يمسح عنه الذنوب: **التاسع**: أَن جبريل مسحه بالبركة ذكرهما أَبو نُعَيْم.

العاشر: أَنه ولد كأَنه ممسوح بالدُّهْن. وقد ولد ﷺ مسروراً مختوناً. وقالت حاضنته أُم أَيمن: كان يصبح دَهِيناً رَجِلاً وغيره من الأَولاد شُعْثاً.

قال أَبو عبيد: وأَظن المسيح أَصله مشِيح بالشين المعجمة فعرِّب.

«المشاوِر»: «عا» اسم فاعل من المشاورة وهي استخراج الآراء ليُعْلم ما عند أَهلها. قال تعالى: ﴿**وشاوِرْهم في الأَمْر**﴾ وروى ابن أَبي حاتِم عن أَبي هريرة قال: «ما رأَيت أَحداً أَكثر مَشُورةً لأَصحابه من رسول الله ﷺ» ولهذا مزيد بيان في باب مشاورته أَصحابَه.

«المُشَذَّب»: «عا» بمعجمتين آخره باء موحَّدة: الطويل المعتدل القامة.

«المشرِّد»: «عا» اسم فاعل من التشريد بالعدوّ وهو التنكيل والتسميع بعيوبه ويجوز إعجام ذاله وبه قرأ ابن مسعود في قوله تعالى: ﴿**فشرِّذْ بهم مَنْ خَلْفَهم**﴾ أي فرِّقهُم عن محاربتك بقَتْلهم شَرّ قِتْلة واجعلهم نَكَالا لمن يتعرض لك بعد ذلك بسوء حتى لا يَجْسُر أَحدٌ عليك اعتباراً بهم واتعاظاً بحالهم.

المشفَّع»: بفتح الفاء: الذي يَشْفع فتقبل شفاعته، وهو السؤال في طلب التجاوز عن المذنبين. ويأْتي الكلام على شفاعته ﷺ في بابها.

«المشفوع»: ذكره «د» قال الشيخ رحمه الله تعالى: ولم يظهر لي معناه لأَنه لا يصح أَن يكون من الشفاعة لأَن اسم المفعول منها مشفَّع من شفع.

«مُشَقَّح»: «يا» قال الشُّمُنِّي: هو بضم الميم وفتح الشين المعجمة والقاف المشددة وفي آخره حاء مهملة. وقال ابن دِحْية هو بالفاء وزن محمَّد ومعناه، فإِن الشَّقْحَ في اللغة: الحمد. وقال ابن ظَفر: وقع هذا الاسم في كتاب شَعْيا ونصه: عبدي الذي سُرَّت به نفسي أُنْزِل عليه وحَيْي فيُظهر في الأُمم عَدْلي ويوصيهم بالوصايا ولا يضحك ولا يُسمع صوته في الأَسواق، يفتح العيون العُور والآذان الصُّمَّ والقلوب الغُلْف وما أُعطيه لا أعطي أَحداً، مُشَقَّح بحمد الله تعالى حمداً جديداً، يأْتي من أَقصى الأَرض يُفرح البَرِّيّة وسكانها يهللون الله ويكبّرونه على كل رابية، لا يَضْعف ولا يُغْلب ولا يميل إِلى الهوى ولا يُذل الصالحين الذين هم كالعَصَبَة الضعيفة بل يقوّي الصِّديقين، وهو ركن المتواضعين، وهو نور الله الذي لا يطفأ أَثر سلطانه على كتفه.

قلت: قد راجعت عدة نسخ من «خير البشَر» لابن ظفر فلم أَره قد ضبط مشقّح بالفاء «إِنما فيها نقطتان فوق الحرف». وذلك مما يؤيد ضبط الشُّمنِّي رحمه الله تعالى.

«المشهود»: «د» اسم مفعول وهو الذي تُشْهد أَوامره ونواهيه وتُحضَر.

قال تعالى: «وشاهِدٍ ومَشهودٍ» حكى القرطبي أَن الشاهِد: الأَنبياء، والمشهود: النبي ﷺ قال: وبيانه: «**وإِذْ أَخذَ الله مِيثاقَ النَّبِيّين**» إِلى قوله: «**وأَنا معكم من الشاهدين**».

«المُشِيح»: بضم الميم وكسر الشين المعجمة وسكون المثناة التحتية آخره مهملة. أَي مشيح الصدر أَي باديه من غير تقعّس ولا تطامن، بل بطنه وصدره سواء. قال القاضي: ولعله بفتح الميم بمعنى عريض الصدر، كما وقع في الرواية الأُخرى.

«المشِير»: اسم فاعل من أَشار عليه إِذا نصحه وبيَّن له الصواب. وسمي ﷺ بذلك لأَنه الناصح المخْلص في نصحه.

«المصافِح»: «عا» اسم فاعل من المصافحة وهي الأَخذ باليد. قال الإمام النووي رحمه الله تعالى: وهي عند التلاقي سُنَّة مُجمع عليها ويستحب معها البشاشة بالوجه والدعاء بالمغفرة ولهذا مزيد بيان في باب مصافحته ﷺ.

«المصارِع»: «خا» «عا» الذي يَصْرع الناسَ لقوَّته من الصَّرْع وهو الطَّرْح. روى البيهقي أَن رسول الله ﷺ صارَع أَبا الأَشَدّ الجُمَحيّ واسمه كلْدة فصرعه. وبلغ من شدة أَبي الأَشدّ أَنه كان يقف على جلد البقرة ويجاذبه عشرة من تحت قدميه فيتمزَّق الجلد من تحته ولا يتزَحْزح. ولهذا مزيد بيان في باب شجاعته ﷺ وقوّته.

«المصباح»: السِّراج، وأَحد أَعلام الكواكب، وسمي به ﷺ لأَنه أَضاءت به الآفاق.

«مصحِّح الحسنات»: لأَن شرط صحتها الإيمان به ﷺ.

«المصدِّق»: «عا» بكسر الدال. اسم فاعل من صدَّق مضاعفاً إِذا أَذْعن وانقاد لما أُمر به، وسمي ﷺ بذلك لأَنه صدَّق جبريلَ فيما أَخبر به عن الله تعالى من الوحي. قال تعالى: ﴿**والذي جاء بالصِّدْقِ وصَدَّق به**﴾ قيل هو سيدنا محمد ﷺ لأَنه جاء بالصدق وآمنَ به، ولما كان المراد هو وأُمته ساغ الإتيان بضمير الجمع وإشارته في الآية فقال تعالى: ﴿**أولئك هم المتَّقون**﴾ وقيل: الذي صفة لمحذوف بمعنى الجمع تقديره والفريق أَو الفَوْج ﴿**الذي جاء بالصِّدْق وصدَّق به أُولئك هم المتقون**﴾ أَو لأَنه صدَّق ما بين يديه من الكتاب كما قال تعالى: ﴿**ثم جاءكمْ رَسُولٌ مُصَدِّق لِمَا مَعَكم**﴾.

«المصدَّق»: بفتح الدال مبنياً للمفعول لأَن أُمته صدَّقته فيما أَخبرهم به فهو بمعنى ما قرئ به في الآية وصُدِّق بضم الصاد.

«المصدوق»: تقدم في الصادق.

«المصطَفى»: هو من أَشهر أَسمائه ﷺ وأَصله «مُصْتَفَوْ» لأَنه مأْخوذ من الصفوة وهو الخلوص، تحركت الواو وانفتح ما قبلها فقلبت أَلفاً وأُبدلت تاءُ الافتعال منه طاءً لوقوعها بعد الصاد التي هي أَحد حروف الإطباق، وتقدم في باب «فَضْل العرب» وفي باب طهارة أَصله ﷺ أَحاديث كثيرة فيها أَن الله اصطفاه على خلقه.

«المُصْلِح»: اسم فاعل من أَصلح إِذا أَزال الإفساد وأَوضح سَبيل الرشاد، وتقدَّم وروده في حرف التاء.

وهو ﷺ مُصْلِح للدِّين بإزالة الشِّرْك والطغيان، مُصْلح للخَلْق بالهداية.

«المصَلَّى»: بفتحها مبني للمفعول أَي المصلَّى عليه.

«المصُون»: الصيِّن. وتقدَّم.

«المِضْخَم»: بمعجمتين بوزن مِنْبَر: السيد الشريف العظيم المنيف.

«المُضَري»: «عا» بضاد معجمة نسبة إلى مُضَر أَحد أجداده، وتقدم الكلام عليه في أَبواب نسَبه ﷺ.

فــائـــدة:

العرب لا تقول إلا ربيعة ومضر ولا تنطق بالعكس أَصلاً مع أَن مُضَر أَشرف من ربيعة طَلباً للخِفَّة إذ لو قدّمت مُضَر لَتوالت حركاتٌ كثيرة فأُخِّر ليوقف عليه بالسكون.

«المضيء»: «عا» بالمعجمة مهموز: اسم فاعل من أَضاء إذا أَنار، وسمي ﷺ بذلك كما سمِّي بالضِّيَاء، وقد مرَّ الفرق بينه وبين النور مع مزيد كلام.

قال كعب يمدحه ﷺ:

نُـورٌ يُـضِـيءُ لَـهُ فَـضْـلٌ عَـلَـى الـشُّـهُـبِ

«المطاع»: المتَّبع الذي يُذْعَن ويُنْقاد له، اسم مفعول من الطاعة. قال تعالى: ﴿**وأَطِيعوا الله وأَطيعُوا الرسولَ**﴾ وأَحدُ القولين في قوله تعالى: ﴿**مُطاعٍ ثَمَّ أَمين**﴾ أَنه سيدنا محمد ﷺ.

«المطهَّر»: ونقله «د» عن كعب «ط»: ويحتمل ضبطه بكسر الهاء اسم فاعل لأَنه ﷺ طهر من دنَس الشِّرْكِ. وبفتحها اسم مفعول لأَنه ﷺ طهر ذاتاً ومعنى ظاهراً وباطناً.

«المطِيع»: ورد في حديث ابن ماجة السابق في الأَوَّاه أَي المنقاد لربِّه، اسم فاعل من الطَّوْع وهو الانقياد ومثله الطاعة. يقال طاع يَطُوع وأَطاع يُطيع فهو طائع ومُطيع وأَطَعْته فهو مُطَاع.

«المظفَّر»: «خا» المنصور على من عاداه.

«المعروف»: «عا» بالبر والخير والإِحسان أَي معروف لله تعالى أَي برّه وإِحسانه لعباده أَو صاحب المعروف.

«المعزَّر»: الموقَّر. ذكرهما «د» قال تعالى: ﴿**وتُعَزِّرُوه وتُوَقِّرُوه**﴾ وقال تبارك وتعالى: ﴿**فالذين آمَنُوا به وعَزَّرُوه ونَصَروه**﴾ فأَوجب الله تعالى تعزيره وتوقيره وإِكرامَه، ومعنى يُعَزِّروه يُجِلّوه، وقيل: يبالغوا في تعظيمه، وقيل يُعينوه، وقرئ بزاءين من العزّ، ومعنى يوقِّروه: يعظموه. ومن ذلك ما أَوجبه الله تعالى من خَفْض الصوت عنده بقوله: ﴿**لا تَرْفَعُوا أَصواتكم فوق صَوْت النبي**﴾ الآية. ولهذا مَزيد بيان في باب وجوب تعظيمه وتوقيره ﷺ.

«المعْصُوم»: قال تعالى: ﴿**والله يَعْصِمك من الناس**﴾ ولهذا مزيد بيان في باب عِصْمته ﷺ.

«**المُعْطِي**»: «د» الواهب المتفضِّل، اسم فاعل من العَطاء وهو الإِنالة وهو من أَسمائه تعالى.

«**المعظَّم**»: بالبناء للمفعول أَي العظيم ومعناه الجليل الشأْن الكبير السلطان، أَو الذي كل شيء دونه أَو البالغ أَقصى مراتب العظمة فلا تتصوّره الأَفهام ولا تحيط بكنهه الأَوهام.

«**المعقِّب**»: «د» قال «ط»: وكأَنه بفتح العين وكسر القاف المشددة بمعنى العاقب لأَنه عقَّب الأَنبياء أَي جاء بعدهم «عا» هو الذي يَخْلُف غيره فهو بمعنى العاقب يقال: «نجمٌ معقِّب» إِذا طلع بعد آخر، أَو من أَعْقَب إِذا أَخْلَف عقِباً لأَن له ﷺ عَقِباً باقياً إِلى يوم القيامة وهم أَولاد السيدة فاطمة رضي الله تعالى عنهم.

ومن خصائصه ﷺ: أَن أَولاد بناته يُنْسَبون إِليه كما سيأْتي بسط ذلك هنالك.

«**المعلِّم**»: بكسر اللام المشددة: أَي المرشِد للخير والدالّ عليه، روى الدارميّ في حديث «إِنما بُعثت معلِّماً» وقال حسان رضي الله تعالى عنه:

مُـعَـلِّـمُ صِـدْقٍ إِنْ يُـطِـيـعُـوهُ يَـهْـتَـدُوا[1]

«**المعلَّم**»: كمعَظَّم اسم مفعول من التعليم وهو تنبيه النَّفس لتصوّر المعاني وتوقيفها لتدبّر المباني، والتعلُّم تنبُّهها لذلك يقال: علَّمْته تعليماً وأَعلَمْته إِعلاماً بمعنى واحد في الأَصل، ثم اختص الإِعلام كما قال الراغب بما كان بإِخبار سريع، والتعليم بما كان بتكرير وتكثير حتى يحصل منه في النفس أَثر، قال تعالى: ﴿**وعلَّمَك ما لم تكن تعْلم**﴾ أَي أَرشدك وهداك ودلَّك على ما لم يكن لك به عِلْم ولا سبق لك فيه معرفة من حوادث الأُمور وضمائر القلوب وأَسرار الغُيوب وأَمْر الدِّين والأَحكام وشرائع الإِسلام.

«**مُعَلِّم أمته**» ﷺ.

«**المعْلِن**»: «د» المظهر بدعوته من العلانية ضد السر بالمهملة في حديث عليّ رضي الله تعالى عنه في صفة الصلاة على النبي ﷺ: المعْلِن الحقَّ بالحق.

«**المعلَّى**»: الذي رفِع على غيره، اسم مفعول من التعلية وهي الرفعة.

«**المعمَّم**»: «عا» بالبناء للمفعول أَي صاحب العمامة وهو من أَسمائه ﷺ في الكتب السالفة.

---

(١) وأوله:

إمام لهم يهديهم الحق جاهدا ....

انظر ديوان حسان بن ثابت ص ٦٢.

«الـمُعِين»: «عا» الناصر، أَو الكثير العونة وهي المعاضدة والمساعدة. قالت خديجة رضي الله تعالى عنها: «إنك تُعِين على نوائب الحق» أي تُعِين على خصال الخير وتساعِد عليها.

«الـمُغْرَم»: بضم الميم وسكون الغين المعجمة ـ أَي المحب لله تعالى من الغرام وهو الولوع بالشيء والاهتمام به.

«الـمَغْنَم»: بغين مُعْجمة ونون كجعفر، مثل الغنيمة وهي الخِيَار من كل شيء.

«الـمغنِي»: المحسن المتفضل، اسم فاعل من الإِغناء وهو الإِحسان والتفضل بما يدفع الحاجة قال تعالى: ﴿وما نَقَموا إلا أَن أَغْناهم الله ورسوله من فَضْلِهِ﴾ وفي هذه الآية ما فيها من تشريف النبي ﷺ وتعظيمه والتنبيه على علوّ مقامه وعِظَم شأْنه حيث ذكَره معه في إيصال الصُّنْع إلى عباده وجعله مُغْنياً لهم بما فتح على يديه وأَفاءه من المغَانم.

«الـمِفتاح»: الذي يُفتح به المغلاق.

«مفتاح الـجنة»: لأَنه أَول من يُفتح له ﷺ.

«الـمفخَّم»: «عا» بالخاء المعجمة كمعظَّم: الموقَّر المعظَّم في الصدور المهاب في العيون، وليس المراد فخامة الجسم وهو عظم الجثَّة.

«الـمفضال»: «د» صِيغة مبالغة من الإِفضال وهو الجود والكرم.

«الـمفضَّل»: «د» قال «ط»: يحتمل أَن يكون بوزن المكرَّم من أَفضل يَفْضُل فيكون بمعنى الذي قبله بوزن المقدَّس، أَي المفضَّل على جميع العالمين «عا»: أَي المشرَّف على غيره، اسم مفعول من التفضيل وهو التشريف والتكريم. وسمِّي ﷺ بذلك لأَن الله تعالَى فضَّله على سائر البريّة وخصه بالرُّتب السنيّة.

«الـمفلَّج»: بالجيم كمعظَّم أَي مفلَّج الثنايا وهو المتباعِد ما بين الأَسنان. وإِن بنيت هذا الوصف من أَفعل فلا بد من ذكر الأَسنان فتقول كما في القاموس أَفلج الثنايا.

«الـمفلـح»: «عا» اسم فاعل من الفلاَح وهو الفوز والبقاء.

«الـمقتصِد»: بكسر الصاد المهملة اسم فاعل من الاقتصاد افتعال من القصد وهو استقامة الطريق أَو هو العدل.

«الـمستقيم»:

«الـمقتفي»: بقاف ففاء بمعنى قَفى النبيين ذكره شيخنا أَبو الفضل بن الخطيب.

«الـمُقَدَّس»: «يا» «ع» «د» بفتح الدال ـ سماه الله تعالى بذلك في كتب أَنبيائه. ومعناه

المطهَّر من الذنوب المبرَّأ من العيوب أَو المطهَّر من الأَخلاق السيئة والأَوصاف الذميمة. وأَصل التقديس التطهير أَو البعد. يقال قدَّس في الأَرض إِذا ذهب فيها. ومن أَسمائه تعالى: القُدُّوس وهو المطهَّر ممّا لا يليق به من النقائص وسمات الحدوث.

«المقدِّس»: بكسر الدال أَي المطهِّر من اتبعه من أَرجاس الشرك.

«المقدَّم»: بفتح الدال ضد المؤخَّر، اسم مفعول من قدَّم المتعدي. وسمِّي به ﷺ بذلك لأَن الله تعالى قدَّمه على غيره من الأَنبياءِ خِلْقةً ورُتْبة وشَرفاً. وما أَحسن قول الأَبُوصيريّ في سياق قصة الإِسراء:

وَقَدَّمَتْكَ جَمِيعُ الأَنْبِيَاءِ بِهَا وَالرُّسْلِ تَقْدِيمَ مَخْدُومٍ عَلَى خَدَمِ

«المقدِّم»: بكسر الدال اسم فاعل من المتعدي لأَن أُمته قُدِّمت بسببه أَي فُضِّلت على غيرها من الأُمم وشرِّفت من القِدَم.

«المقرئ»: «عا» بالهمز الذي يُقْرئ غيره القرآن. روى مسلم أَن رسول الله ﷺ قال لأُبيّ بن كعب رضي الله تعالى عنه: «**إِن الله تعالى أَمرني أَن أَقرأَ عليك القرآن**»[1] أَي أُعلِّمك كما يقرأ الشيخُ على الطالب ليفيده لا ليستفيد منه وفيه مَنْقبة لأُبيّ رضي الله تعالى عنه.

«المُقْسِط»: اسم فاعل من أَقْسط إِذا عدَل وهو من أَسمائه تعالى. ومعناه العادل في حُكْمه المنصف المظلوم من الظالم.

«المقسِّم»:

«المقصوص»: عليه: قال تعالى: ﴿**نحن نقصُّ عليك أَحسنَ القصص**﴾.

«المقفِّي»: بضم الميم وفتح القاف وكسر الفاء المشددة. سبق في حديث حذيفة في الباب الثاني. ومعناه الذي ليس بعده نبيّ كالعاقب، وقيل المتَّبع آثار من قبله من الأَنبياء.

«المقوَّم»: «عا» بالفتح ـ المستقيم اسم مفعول من التقويم وهو الاستقامة أَو بمعنى المقيم.

«مُقِيل العثَرات»:

«مُقِيم السُّنَّة»: هو اسمه ﷺ في التوراة والزَّبُور. ففي حديث عبد الله بن عمرو رضي الله تعالى عنهما: ولن يَقْبضه الله تعالى حتى يقيم به الملة العَوْجاء بأَن يقولوا: لا إِله إِلا الله،

---

(١) أخرجه مسلم ١٩١٥/٤، كتاب فضائل الصحابة (١٢١- ٧٩٩).

وفي رواية: «ولا يذهب حتى يقيم السُّنة العَوْجاء» وفي الزبور قال داود ﷺ: «اللهم ابعث لنا محمداً ﷺ يقيم لنا السُّنّة بعد الفترة». والسُّنة: الطريقة، والملَّة: الدين، ومعناهما واحد. ومعنى إقامتها إظهار الإسلام. وسبق الكلام على ذلك في الباب الثالث من أَبواب فضائله السابقة على مولده ﷺ.

«المكتفِي بالله»: «عا» أَي الذي سلَّم أُموره إِليه وتوكَّل في كل الأَحوال عليه.

«المكرَّم»: «عا» أَي الذي سلَّم أُموره إِليه وتوكَّل في كل الأَحوال عليه.

«المكرِّم»: «عا» بتشديد الراء مخففاً. قال «د»: لأَنه ﷺ كان أَكْرَم الناس لجليسه.

«المُكْفِيّ»:

«المكلَّم»: بفتح اللام مشددة ـ اسم مفعول. بمعنى المخاطَب. فإِن في حديث المعراج أَنه ﷺ سمع خطاب الحق تبارك وتعالى كما سيأْتي بيان ذلك.

فإِن قيل: فإِذا ثبت أَنه ﷺ مكلَّم وقام به هذا الوصف فلمَ لا يشتق له من الكلام اسم الكليم كما اشتُق لموسى ﷺ؟

أُجيب بأَن اعتبار المعنى قد يكون لتصحيح الاشتقاق كاسم الفاعل، فيطرّد بمعنى أَن كل من قام به ذلك الوصف اشتق له منه اسمٌ وجوباً، وقد يكون للترجيح فقط كالكليم والقارورة فلا يطرّد، وحينئذ فلا يلزم في كل من قام به ذلك الوصف أَن يُشْتق له منه كما حققه القاضي عَضُد الدين رحمه الله تعالى.

«المكّي»: نسبة إِلى مكة أَشرف بلاد الله تعالى. وتقدم الكلام على ذلك في باب أَسمائها.

«المكِين»: أَخذه جماعة من قوله تعالى: **﴿ذي قُوّة عند ذي العَرْش مَكِين﴾** وهو فعيل من المكانة أَي ذو مكانة عظيمة عند خالقه.

«الملاَحميّ»: نسبة إِلى الملاَحم وستأْتي.

«الملاَذ»: «عا» بالذال المعجمة: المجير. قال أَبو طالب يمدحه ﷺ:

يَلُوذ به الهُلاَّكُ مِنْ آلِ هاشم فَهُمْ عِنْدَهُ في نِعْمَةٍ وفَواضِلِ

«الملَبِّي»: بضم الميم وفتح اللام آخره موحَّدة وهو المطيع أَو المخْلص أَو المجيب أَو المحِب، اسم فاعل من لبَّى يلبِّي تلبيةً أَي أَقام على طاعة ربه إِلْباباً بعد إِلباب، أَو أَخلص فيها من قولهم: حَسَبٌ لُبَابٌ كغراب أَي خالِص، أَو إِجابة بعد إِجابة. أَو أَحبّ، من قولهم: امرأَة مُلبة أَي محِبة لزوجها. أَو جعل تجاهَه وقَصْده إِليه، من قولهم: داري تُلِبُّ دارَه أَي تواجهها.

«الملجأ»: بالجيم مهموز: الملاذ.

«الملْحمة»: بفتح الميم المعركة واحدة الملاحم، مأْخوذة من لُحْمة الثوب لاشتباك الناس في الحرب واختلاطهم كاشتباك اللحمة بالسَّدي. وقيل: من اللحم لكثرة لحوم القتلى في المعركة. وسمي به ﷺ بذلك لأَنه بُعث بالسيف والجهاد.

«مُلَقِّي القرآن»: أَي الملَّقي لما تلقَّاه على لسان جبريل عليه الصلاة والسلام من القرآن وغيره من الوحي على أُمته، أَي المبلِّغ ذلك إِليهم، أَو بمعنى المتلقِّي أَي المتصدِّي لسماعه حين ينزل.

قال تعالى: **﴿وإِنك لَتُلَقَّى القرآنَ من لَدُنْ حكيمٍ عليم﴾** أَي يلقى إِليك وحياً.

«المَلِيك»: «د» فعيل من المُلْك بضم الميم أَو بكسرها كما سيأْتي من أَن زيادة البناء تدل على زيادة المعنى، وهو من أَسمائه تعالى، ومعناه في حقه تعالى: القادر على الإِيجاد والاختراع، أَو هو ضابط الأُمور المتصرِّف في الجمهور.

«الملِك»: بكسر اللام وهو الذي يَسُوس الناسَ ويدبِّر أَمرهم. أَو هو ذو العز والسلطان وهو من أَسمائه تعالى، ومعناه في حقه تعالى: المستغنِي في ذاته وصفاته عن الكَوْن وموجوداته وليس يستغنى عن جوده أَحدٌ من مخلوقاته، وقيل: هو القادر على الاختراع والإِبداع من العدم إِلى الوجود.

«المليء» «عا» باللام مهموزاً: الغني بالله عما سواه أَو الحسَن حُكْمه وقضاؤه.

«الممْنوح»: «عا»: الذي مُنح من ربه كلَّ خير دنيوي وأُخروي، أَو الذي منح أمته ذلك وساقه إِليها من المنحة أَي العطية، لأَنه، أَي الله، منَحه ذلك، أَو أَنه ﷺ منَح أُمته ذلك.

«الممنوع»: «عا»: الذي له مَنعة وقوة تمنعه من الشيطان وتحميه من الأَعداء. أَو الذي منعه الله تعالى من العِدَا وحمَاه من السوء والرَّدَى.

«المنادِي»: بكسر الدال المهملة: الداعِي إِلى الله تعالى أَو إِلى توحيده. قال الله تعالى: **﴿ربَّنا إِنَّنا سَمِعْنا منادِياً يُنَادِي للإِيمانِ﴾** قال ابن جُرَيْج رحمه الله: هو سيدنا رسول الله ﷺ. رواه ابن أَبي حاتم.

«المنادَى»: «عا» بفتح الدال المهملة أَي المدعوّ إِلى الله تعالى ليلة الإِسراء على لسان جبريل صلى الله عليهما وسلم.

«المنتجَب بالجيم».

«المنتخَب»: بالخاء المعجمة، كلاهما بمعنى المختار.

«الـمنتصِر».

«الـمنْجِد»: المعين الناصر، أَو المرتفع القَدْر، اسم فاعل من أَنْجَد إِذا ارتفع وأَعان.

«الـمُنْحَمِنَّا»: قال ابن إِسحاق: هو اسمه في الإِنجيل ومعناه بالسريانية: محمد. وضبطه الإِمام الشُّمنِّي بضمّ الميم وسكون النون وفتح الحاء المهملة وكسر الميم بعدها نون مشددة مفتوحة وأَلف. وقال ابن دحية: إِنه بفتح الميمين.

«الـمنذِر»: قال تعالى: ﴿إِنـما أَنت مُنْذِر﴾ وهو من الحَصْر الخاص، أَي لست بقادر على هداية الكفار، وليس من الحصر العام، لأَنه عليه الصلاة والسلام له أَوصاف أُخرى كالبشارة، وهو وصفٌ من الإِنذار وهو الإِبلاغ، ولا يكون إِلا مع تخويف.

«الـمنزَّل عليه».

«الـمنصِف»: بضم الميم وسكون النون وكسر الصاد المهملة: العادل. وكان ﷺ أَشد الناس إِنصافاً.

«الـمنصور»: المؤيَّد. اسم مفعول من النصر وهو التأْييد.

«الـمنقِذ»: بنون فقاف فذال معجمة: اسم فاعل من الإِنقاذ وهو التخليص من ورطة الشدائد، وسمي بذلك لأَنه ينقذنا بالشفاعة يوم القيامة، قال حسان رضي الله تعالى عنه يرثيه:

يَدُلُّ عَلَى الرَّحْمَنِ مَنْ يَقْتَدِي بِهِ وَيُنْقِذُ مِنْ هَوْلِ الـخَزَايَا وَيُرْشِدُ[1]

وأَما قوله تعالى: ﴿أَفأَنت تنقِذ مَنْ فـي النارِ﴾ فالمراد: أَنك لا تقدر على إِنقاذ من يستحق العذابَ وإِن اجتهدت في دعائه إِلى الإِيمان.

«مِنّة الله»: قال الله تعالى: ﴿لقد منَّ اللّهُ على الـمؤمنـين إِذ بعث فـيهم رسولاً من أَنْفسهم﴾ وإِنما خصَّهم بالذكر لأَنهم المنتفعون بمبعثه، ووجْه المنة به عليهم. أَنه لمّا بعث سَهُل أَخذ ما يجب عليهم أَخذه عنه.

«الـمنـيب»: تقدم في الأَوَّاه، وهو اسم فاعل من الإِنابة وهي الإِقبال على الطاعة، والفرق بينه وبين التائب والأَوَّاب: أَن التائب من رجَع عن المخالَفات خوفاً من عذاب الله. والمنيب: من رجع عنها حياءً من الله. والأَوَّاب: من رجع تعظيماً للأَوصاف المحمودة. ويقال الإِنابة صفة الأَولياء والمقرَّبين. قال تعالى: ﴿وجاء بقَلْب مُنِيبٍ﴾ والتوبة صفة المؤمنين قال تعالى: ﴿وتوبوا إِلـى الله جميعاً أَيُّها الـمؤمنون﴾ والأَوْبة: صفة الأَنبياء والمرسَلين. قال تعالى: ﴿نِعْم العَبْدُ إِنه أَوَّاب﴾.

---

(١) البيت في الديوان ص ٦٢ وقبله:

يـدل عـلـى الرحـمـن من يـقـتـدى بـه ويـنـقـذ مـن هـول الـخـزايـا ويُـرشِـدُ

«**المُنِير**»: اسم فاعل من أَنار إذا أَضاء. أَي المنوِّر قلوبَ المؤمنين بما جاء به.

«**المُهاب**»: بالضم: الذي يهابه الناس أَي تخافه لعِظم بأْسه وسلطانه، اسم مفعول من الهَيْبة وهي الخوف والرَّهْبة.

قال في الإِحياء: الهَيْبة: خوف مصدره الإِجلال والتعظيم، فهي أَخص من الخوف لوجوده بدون التعظيم، كالخوف من العقرب ونحوها من الأَشياء الخسيسة، وعدم صدقها بدونه كالخوف من سلطانٍ معظم.

وسمي بذلك لأَنه كان من مهابته أَنه كان أَعداؤه إِذا كان بينه وبينهم مسيرة شهر هابوه وفزعوا منه، ولهذا مزيد بيان في الخصائص.

«**المهاجر**»: «ع» «ح»: لأَنه ﷺ هاجر من مكة إِلى المدينة، ولهذا مزيد بيان في أَبواب الهجرة.

«**المُهْداة**»: بضم الميم وفتح الدال: اسم مفعول من أَهْدَى الشيء يُهْديه فهو مُهْدًى. قال ﷺ: «**إِنما أَنا رَحْمة مُهْداة**».

«**المُهْدي**»: بضم الميم وكسر الدال اسم فاعل من أَهْدَى بمعنى هدَى، وهو المرشد والدالُّ على طريق الخير، قال تعالى: ﴿**ويَهْديك صراطاً مستقيماً**﴾. قال حسان رضي الله تعالى عنه يرثيه:

جَـزَعـاً عَـلَـى الـمَـهْـدِيِّ أَصْـبَـحَ ثَـاوِيـاً يَـا خَـيْـرَ مَـنْ وَطِـئَ الـحَـصَـا لا تَـبْـعَـدِ[1]

«**المهذَّب**»: بالمعجمة: المطهَّر الأَخلاق الخالص من الأَكدار اسم مفعول من التهذيب وهو الخلوص أَيضاً.

«**المُهَيْمِن**»: قال «يا» سمَّاه به عمُّه العباس في الأَبيات التي امتدحه بها ومنها:

حَتَّى ٱحْتَوَى بَيْتَكَ المُهَيْمِنُ مِنْ خِـنْـدِفٍ عَـلْـيَـاءَ تَحْـتَـهـا الـنُّـطُـقُ

قال ابن قتيبة: قوله: «حتى احتوى بيتك المهيمن» أَي يا أَيها المهيمن «ط»: وقد ورد تسميته به في قوله تعالى: ﴿**وأَنزلنا إِليك الكتابَ بالحقِّ مُصَدّقاً لما بين يَدَيْه من الكِتاب ومُهَيْمِناً عليه**﴾.

روى ابنُ جرير عن مجاهد رحمه الله تعالى قال: «ومُهَيْمِناً عليه» محمد ﷺ مؤتمن على القرآن.

---

(١) البيت في الديوان ص ٩٥ وبعده:

وجهي يقيك الترب لهفي ليتني غيبت قبلك في بقيع الغرقد

قال ابن جرير: وتأويل الكلام على هذا وأَنزلنا الكتابَ مصدِّقاً الكتب قَبْله إِليك «مُهَيْمناً عليه» فيكون «مصدِّقاً» حال من الكتاب ومهيمناً حال من الكاف التي في «إِليك» وهي كناية عن النبيّ ﷺ عائدة على الكاف «ط».

وعلى هذا في الآية لفٌّ ونَشْر غير مرتَّب، فمصدِّقا الحال الأَول راجع إِلى الكاف في إِليك ومُهيمناً الحال الثاني راجع إِلى الكتاب المفعول الثاني «عا».

ونوقش ابنُ جرير في ذلك بأَنه معطوف على مصدِّقاً الذي هو حال من الكتاب لا من الكاف، وإِلا لقيل مصدِّقاً لما بين يديك، وحَمْل ذلك على أَنه من قبيل الالتفات من الخطاب إِلى الغَيْبة بعيدٌ من نَظْم القرآن كما قاله أَبو حَيَّان، لكن جوّز ابنُ عطية أَن يكون مصدِّقاً ومُهَيْمناً حالين من الكاف ولا يختص هذا بقراءة مجاهد لما مر عن ابن جرير بل يأْتي على قراءة الجمهور.

ولفظ مهيمن عربي عند الأَكثر وهو بكسر الميم الثانية اسم مفعول من هَيْمن يُهَيْمن فهو مُهَيْمن أَي مراقب كما قرأَ به الجمهور في الآية. فهاؤه على هذا أَصلية وقيل إِنها مُبْدَلة من همزة وأَصله مُؤَأْمِن بهمزتين، اسم فاعل من أمن فأُبدلت الثانية ياء لكراهة اجتماع همزتين في كلمة، وقلبت الأُولى هاء لاتحاد مَخْرجهما، وضعّف بأَنه تكلُّف لا حاجة إِليه مع سماع أَبْنية تلحق بها.

قال ثعلب: وقول من قال: أَصله مُؤَيْمِن تصغير مُؤْمن اسم فاعِل من آمَن بمعنى صدَّق قُلبت همزته هاءً، رأْي باطل لأَن أَسماء الله تعالى وما في معناها من الأَسماء العظيمة لا يناسبها التصغير لأَنه ينافي التعظيم.

أَو بفتحها مبنيًّا للمفعول كما قرأَ به مجاهد وابن مُحَيْصِن في الآية.

وهذا الاسم من أَسمائه تعالى، ومعناه: الشاهد والحافظ، وقيل الرَّقِيب، وقيل القائم على خَلْقه، وقيل المؤمن، وقيل الأَمين.

والنبي ﷺ مهيمن بالمعنى الأَول والرابع والخامس.

«المؤْرُود حَوْضه»: اسم مفعول من الورود أَي الذي يَرِدُ الناسُ حوضَه يومَ القيامة وسيأْتي الكلام عليه في الخصائِص، وفي أَبواب بَعْثه وحشره ﷺ.

«الموصل»: قال «عا» هو اسمه ﷺ في التوراة ومعناه: مرحوم.

«المؤْتى جوامع الكَلِم»: يأْتي الكلام على ذلك في الخصائص إِن شاء الله تعالى.

«الموحَى إِليه»: «خا» سيأْتي الكلام عليه في أَبواب بعثته ﷺ.

«المَوْلَى»: «يا»: قال الله تعالى: **﴿النبيُّ أَوْلَى بالمؤمنين من أَنفُسهم﴾** روى البخاري أَن رسول الله ﷺ قال: **«ما من مُؤْمن إلا وأنا أَوْلَى به في الدنيا والآخرة فمن تَرك مالاً فلِعصَبته من كانوا، فإن ترك دَيْناً أَو ضيَاعاً فليأْتني فأَنا مَوْلاه»**[1].

قال ابن الأَثير: المولَى يقع على ستة عشر معنى: الأَقْرب، والمالك، والسيِّد، والمعْتِق والمنْعِم والناصر والمحبّ، والتابع، والخال، وابن العم، والحلِيف، والعَقِيل، والصّهْر والعبد، والمنعم عليه والمعتِق وكل من وَلِيَ أَمراً أَو قام به فهو مَوْلاه ووليه. قال: وأَكثر هذه المعاني جاءت في الأَحاديث فيضاف كل معنى إِلى ما يليق به. واللائِق بهذا «**المحلّ**»: السيِّد والمنعِم والناصر والمحِب.

وهذا الاسم من أَسمائه تعالى ويزيد على هذه المعاني: المالك.

«موذ موذ»: قال «ع»: هو اسمه ﷺ في صُحف إِبراهيم ﷺ.

«الموْعِظة»: ما يُتَّعظ ويتذكَّر به من الوعظ وهو كما مر عن الخليل التذكير بالخير بما[2] ترقُّ له القلوب. وسمي ﷺ بذلك لأَن الله تعالى وعَظ بَمبْعثه العِبَاد حيث جعله دليلاً على اقتراب يوم التَّناد.

«الموقَّر»: ذو الحِلْم والرزانة. وقد كان ﷺ أَوْقر الناس في مجلسه لا يكاد يخرج شيء من أَطرافه وتقدم في «المعزَّر».

«الموقِن»: اسم فاعل من أَيقن الأَمرَ وتيقَّنه واستيقنه إِذا فهمه وثبت في ذهنه وارتفع عنه الشكُّ. قال الراغب: وهو أَعْلَى من المعرفة والدراية ولأَنه من صفات العلم قال تعالى **﴿عِلْم اليقين﴾** بخلافهما، فلا يقال معرفة اليقين ولا دراية اليقين.

وسمي ﷺ بذلك لأَنه عقَد قلبه بتوحيد الله تعالى والعلم به وبصفاته والإِيمان بذلك وبما أَوحى إِليه على غاية المعرفة ووضوح المعرفة واليقين وانتفاءِ الشك والريب في كل شيء من ذلك والعصمة من كل ما يضادّ المعرفة أَو ينافيها. وهذا كما قال القاضي: ما وقع عليه إِجماعُ المسلمين.

«ميذ ميذ»: قال «ع» هو اسمه ﷺ في التوراة.

«الميزان» «ط»: قيل في قوله تعالى: **﴿اللهُ الذي أَنزَل الكتابَ بالحقِّ والميزان﴾** إِنه سيدنا محمد ﷺ حكاه الإِمام محمود بن حمزة الكرماني - رحمه الله تعالى - في غريبه.

---

(١) أخرجه ٧٥/٥ كتاب الاستقراض (٢٣٩٩).

(٢) في أ مما.

فإن قيل: كيف يصح عطفه على الكتاب المنصوب بأَنزل؟ فالجواب: هو كقوله تعالى: ﴿قد أَنزَل الله إليكم ذِكْراً رسولاً﴾.

«الميسِّر»: «ع» «ط»: المسهِّل للدين اسم فاعل من اليُسْر ضد العُسْر وهو السهولة. روى مسلم عن جابر - رضي الله تعالى عنه - في حديث تخييره نساءه ﷺ أنه قال: «إنَّ الله بَعَثني ميسِّراً» وقالت عائشة - رضي الله عنها -: «ما خيِّر رسول الله ﷺ بين أَمرين إلا اختار أَيْسَرهما».

«الميَمَّم»: بفتح التحتية كمعظَّم: المقصود اسم مفعول من التيمم وهو القصد، وأَصله التعمّد والتوخّي من قولهم: يَمَّمْتُك وأَمَّمْتُك. وسمِّي بذلك سيدنا رسول الله ﷺ لأن الخَلْق تؤُمُّ حِمَاه يوم القيامة وتقصد جاهه لنَيْل السلامة. والله تعالى أَعلم.

حرف النون

«النابِذ»: اسم فاعل من النَّبْذ بسكون الباء وفتحها وهو إلقاء الشيء وطَرْحه لقلة الاعتداد به. قال الله تبارك وتعالى: ﴿فانبِذْ إليهم على سَوَاءٍ﴾ أي اطرح عَهْدهم على طريق مُسْتوٍ بأَن تُظْهر لهم نَبْذ العهد بحيث يعلمون أَنه قطْع ما بينك وبينهم، ولا تناجزْهم بالحرب وهم يتوهّمون بقاء العهد، لأَن مثل ذلك خيانة.

«الناجِز»: «خا»: المنْجز لما وعد، اسم فاعل من نجز الوعدَ كأَنجزه إذا وفى به ولم يُخْلفه. وكان ﷺ من ذلك بمكان.

«الناس»: قال الله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدون الناس على ما آتاهم الله مِن فَضْلِه﴾ روى عبْد بن حُمَيْد وابن جرير وابن أَبي حاتم، عن عِكْرمة - رضي الله تعالى عنه - في الآية قال: الناس في هذا الموضع النبيّ ﷺ. وروى ابن جرير عن مجاهد - رحمه الله تعالى - نحوه ويسمى ﷺ بذلك من تسمية الخاصّ باسم العامّ لأنه ﷺ أَعْظمهم وأَجَلُّهم أَو لجَمْعه ﷺ ما في الناس من الخِصَال الحميدة.

«الناسخ»: اسم فاعل من النَّسْخ وهو لغةً: إزالةُ شيء بشيء يَعْقبه. ومنه: نسخَ الظلُّ الشمسَ وعكسه. واصطلاحاً: رَفْع الحكم الشرعي بخطاب.

سمِّي به ﷺ لأَنه نسخ بشريعته كلَّ الشرائع «ط». ومن ثم كان المختار في الأَصول: أَن شَرْع من قَبْلنا ليس شرعاً لنا مطلقاً ولو لم يَرِدْ ناسخ له. وقيل: إذا لم يردْ ناسخ في شَرْعنا له فهو شَرْع لنا. قال: وسمعت شيخنا شيخ الإسلام أَبا زكريا المنَاوِيّ - رحمه الله تعالى - يقول في تقرير هذا القول: القول الذي يجب اعتقاده أَن شريعة نبينا ﷺ نسخَتْ كلَّ الشرائع مطلقاً

ولا يُمْتَرَى في ذلك. ومن قال شَرْعِ من قبلنا شرعٌ لنا إِذا لم يرِد ناسخ فمعناه أَنه شرع لنا بتقرير شرعنا له، لا أَنَّا مُتعبِّدون بالشريعة الأُولى.

تنبيـــه:

وصف الله تعالى نفسه بالنَّسْخ في قوله تعالى: ﴿**ما نَنْسَخْ من آيةٍ أَو نُنْسها نَأْتِ بخير منها أَو مِثْلها**﴾.

«**الناسِك**»: العابد، اسم فاعل من النُّسُك وهو العبادة.

«**الناشر**»: المظْهر للشيء بعد طَيِّه اسم فاعل من النشْر وهو البسط ومنه نشر الصحيفة والحديث والسحاب، وسمِّي به ﷺ لأَنه نشَر الإِسلام وأَظهر شعائر الأَحكام، أَو بمعنى الحاشِر، وقد تقدم.

«**الناصب**»: ذكره «د». قال «ط» ويحتمل أَن يكون معناه المبيِّن لأَحكام الدِّين من النُّصَب بضم النون وفتح الصاد المهملة وهي العلامات التي في الطريق يُهْتَدى بها، أَو المقيم لدين الإِسلام من نصْبتُ الشيء: إِذا أَقمته. ويحتمل أَن يكون مأْخوذاً من قوله تعالى: ﴿**فإِذا فرَغْتَ فانصَبْ**﴾ أَي اتعب في الدعاءِ والتضرّع. «عا»: الناصب المرتفع يقال: رجلٌ ناصب أي مرتفع الصَّدْر أَو الناصب للحرب أَي المقيم لها. والمجتهد المجدّ في الطاعة قال تعالى: ﴿**فإِذا فرغْت فانصب**﴾ أَي إِذا قضيت صلاتك فاجتهد في الدعاءِ كما قاله ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما - وعن الحسن - رحمه الله تعالى -: فإِذا فرغت من جهادك فاجتهد في العبادة. ولمّا عدَّد الله تعالى على نبيه ﷺ نعمه السالفة ووعده رَفْع الآلام والمشقة من انشراح الصَّدْر ووضع الوِزْر وإِعقاب العُسْر باليسر إِلى غير ذلك، حثَّه على الشكر وحضَّه على الاجتهاد في العبادة والنَّصَب أَي كُدَّ النفس فيها وأَعْقِبْها بأُخرى وهلم جرا.

«**الناصح**»: «د» مأْخوذ من قول الأَنبياء ليلة الإِسراء مَرْحباً بالنبيّ الأُمِّي الذي بلَّغ رسالة ربه ونصح لأُمته.

قال الإِمام الخطَّابي - رحمه الله تعالى -: النصيحة كلمة يعبَّر بها عن جملة إِرادة الخير للمنصوح له، وليس يمكن أَن يعبَّر عنه بكلمة واحدة بخصوصها. ومعناه في اللغة: الإِخلاص.

وقال غيره: النصح فِعْل الشيء الذي به الصلاح والسلامة، مأْخوذ من النِّصَاح وهو الخيط الذي يخاط به الثوب. وقال آخر: النُّصْح سَدُّ ثَلم الرأْي للمنصوح مأْخوذ من نصح الثوب إِذا خاطه.

قال في النهاية: أَصل النصح الخلوص: يقال نصحت العسلَ إِذا خلَّصْتُه من شَمْعه،

فكأنهم شبَّهوا فعل الناصح فيما يتحرَّاه من صلاح المنصوح له وخَلاصه من الغش بتخليص العسل من الخَلْط.

«ناصر الدِّين»: «عا» بالإِضافة أَي مانعه ومُنْقذه من طَعْن الكفَرة الجاحدين والفَجرة المعاندين وجمعه نُصَراء كعالم وعُلَماء. والدِّين مضاف إِليه في الأَصل: الطاعة والجزاء والمِلَّة والعَهْد والشريعة والمراد به هنا: دين الإِسلام وهو أَشْرف الأَديان. قال تعالى: ﴿**إِنَّ الدِّين عند الله الإِسلام**﴾. وقال بعضهم هو تخصيص إِلهي سائق لذِوي العقول باختيارهم المحمود إِلى الخيرات بالذات.

«الناضر» «عا» بالضاد المعجمة الساقطة: الحسن، من النضارة وهي الحسْن والرَّوْنق.

«الناطق بالحق» «خا».

«الناظر مَنْ خَلْفه»: بفتح الميم على أَنَّ مَن موصولة بمعنى الذي ونصْب خلفَه على الظرف أَي ينظر الذي يكون وراءه. أَو بكسرها فتكون مِنْ حرف جرّ للابتداءِ وخلفِه بالكسر متعلّقها، أَي يُبْصر من ورائه كما يُبْصر من أَمامه. ولهذا مزيد بيان في باب صفة عينيه ﷺ وفي الخصائص.

«الناهي»: اسم فاعل من النهي وهو الزجْر عن الشيء والأَمر به وتقدم في الآمر.

«النبيّ» ﷺ. يأْتي الكلام عليه في أَبواب البعثة.

«نبيّ الراحة»: بمهملتين رجوع النفس بعد الإِعياءِ والتعب وسكونها أَو السهولة. سمّي ﷺ بذلك لأَنه أَراح أُمته من نَصَب الشِّرْك أَو لأَنه خفَّف بشريعته ما كان مشدَّداً في شريعة غيره من التكاليف الشاقة كقتل النفس في التوبة وقَرْض مَوْضع النجاسة لطهارة المحل إِلى غير ذلك.

«نبيّ الرحمة»: تقدم تفسير الرحمة.

«النبيّ الصالح»: في حديث المعراج أَن الأَنبياء والملائكة قالوا له ليلتئذ: «مرحباً بالنبيّ الصالح» وتقدم الكلام على الصالح في الصاد.

«نبي الأَحمر».

«نبي الأَسود»: أَي الإِنس والجن أَو العجَم والعرَب.

«نبيّ التوبة»: وهي الرجوع والإِنابة. وقال سَهْل ـ رحمه الله تعالى ـ: هي ترك التسويف وقال إِمام الحرَمين ـ رحمه الله تعالى ـ: «إِذا أُضيفت إِلى العبد أُريد بها الرجوع من الزلاَّت إِلى الندم عليها، وإِذا أُضيفت إِلى الرب تبارك وتعالى أُريد بها رجوعُ نِعَمه. وآلائه عليهم».

«نبيّ الحرَمَيْن»: أي مكة والمدينة.

«نبيّ زَمْزم»: تقدم الكلام على زمزم في أبواب فضائل البيت الشريف.

«نبي المَرْحَمة»: تقدم في الرحمة.

«نبيُّ المَلْحمة»: الحرب وموضع القتال مأْخوذ من اشتباك الناس واختلاطهم فيها كاشتباك لُحْمة الثوب بالسَّدَى. وقيل: هو كثرة لحوم القتلى فيها، ومعنى نبيّ الملحمة نبي القتال، وهو كقوله الآخر: **«بُعثت بالسيف»**.

«نبيّ الملاحم»: جمع ملحمة وسبق بيانها.

«النبأ»: «عا» بنون فموحَّدة مهموز: الشأْن العظيم والخطب الجسيم قال تعالى: ﴿**عم يتساءلون، عن النبإ العَظِيم**﴾ قيل المراد القرآن وقيل النبي ﷺ.

«النَّجْم»: «خا» معروف، وسمي به ﷺ لأَنه يهتدي به السالك في طريق الإِيمان كما يهتدي بالنجم، قال الإِمام جعفر بن محمد ـ رضي الله تعالى عنهما وعن آبائهما ـ في قولهِ تعالى: ﴿**والنَّجم إِذا هَوى**﴾ محمدٌ ﷺ وهُوِيُّه: نزوله ليلة الإِسراء.

«النجم الثاقب»: المضيء الذي يَثْقب بنوره وإِضاءته ما يقع عليه. قال السُّلَمي ـ رحمه الله تعالى ـ في تفسير قوله تعالى ﴿**النجْم الثاقِب**﴾: هو محمد ﷺ.

«النَّجِيب»: الكريم الحسيب أَو المنتخَب المختار.

«النَّجِيد»: بالجيم: الدليل الماهر، أَو الشجاع الماضي فيما يَعْجز غيره عنه، فعيل بمعنى فاعل من نَجُد ككَرُم نَجادة ونَجْدة فهو نَجِيد ومُنْجد ونَجَد محركاً ونَجِد ككَتِف.

«نَجِيّ الله تعالى»: قال الراغب ـ رحمه الله تعالى ـ: النجيّ. المناجِي: ويقال للواحد والجمع. قال تعالى: ﴿**وقَرَّبْناه نَجِيّاً**﴾ و ﴿**خَلَصُوا نَجِيًّا**﴾ وانتجيتُ فلاناً: استخلصته لسِرِّي. وناجَيْته: سارَرْته، وأَصله أَن تخلو في نَجْوة من الأَرض، وقيل أَصله من النجاة وهو أَن يعاونه على ما فيه خلاصه وأَن تنجو بسرّك ممن يطَّلع عليه.

«النَّدْب»: «عا» بنون مفتوحة فدال مهملة ساكنة فموحدة. النَّجيب الظريف وجمعه نُدُوب ونُدَباء.

«النَّذِير»: فعيل بمعنى فاعل وهو التخويف من عواقب الأُمور، وبَيْنه وبين الرسول من عموم من وجه لاجتماعهما في مخبر عن غيره بما يُخاف منه وانفراد الرسول في مُخْبر عن غيره بغير تخويف: وانفراد النذير في المنذِر عن نفسه بما يُخَاف منه، وسمّي ﷺ بذلك لأَنه يخوّف الناس العذابَ ويحذّرهم من سوءِ الحساب. وقد سمّي بذلك كلُّ مبلِّغ لأَحكام شِرْعته

كما قال تعالى: ﴿فلما قُضِيَ وَلَّوا إلى قَوْمِهم مُنْذِرين﴾ وقد يسمَّى ذلك رسولاً أيضاً. قال تعالى: ﴿ومبشِّراً ونَذِيراً﴾ أي مبشِّراً للطائعين ونذيراً للعاصين.

«النَّسِيب»: ذو النَّسَب العريف، من النِّسبة. وهي الاشتراك من جهة أَحد الأَبوين. ونسَبه ﷺ أَشرف الأَنساب، وتقدم بيان ذلك.

النَّصِيح فعيل بمعنى فاعل من النُّصْح.

«النعمة»: بكسر النون، الحالة الحسَنة، وبنَاءُ النِّعْمة بالكسر بناءُ الحالة التي يكون عليها الإِنسان كالجِلْسة، والنَّعْمة بالفتح التنعّم، وبناؤها بِنَاءُ المرّة من الفعل كالضَّرْبة، والنِّعْمة للجنس يقال للقليل والكثير، والإِنعام إيصال الإِحسان إلى الغير ولا يقال إلاَّ إذا كان الموصَّل إليه من الناطقين فإنه لا يقال: أَنعمَ فلان على فرسه.

«نعمة الله».

روى البخاري عن ابن عباس ـ رضي الله تعالى عنهما ـ في قوله تعالى: ﴿الذين بَدَّلوا نعمة الله كُفْراً﴾ قال: هم والله كفار قريش. قال عمر: هم قريش، ومحمد ﷺ نعمة الله. وروى ابن جَرير وابن أَبي حاتم عن السُّدِّيّ في قوله تعالى: ﴿يَعْرِفون نعمةَ الله ثم يُنْكرونها﴾ النعمة هنا: محمدٌ ﷺ يعرفون أَنه نبيّ مُرسَل.

«النَّقِيّ» الخالِص من الأَدناس المنزَّه عن الأَرجاس، من نَقِي بالكسر فهو نقيّ أَي نظيف.

«النَّقِيب»: ذكره جماعة أَخذاً من قوله ﷺ لبني النجّار لما مات نقيبهم أَبو أُمَامة أَسعد بن زُرَارة وقالوا له: يا رسول الله اجعل لنا رجلاً مكانه. فقال لهم: «أَنتم أَخوالي وأَنا نقيبكم» «د»: وفيه أَقوال: أَحدها: الشهيد على قومه. والثاني: الأَمين والثالث: الضمين وأَصله في اللغة النقب الواسع، فنقيب القوم هو الذي يُنَقِّب عن أَحوالهم فيعلم ما خَفِي منها.

«النُّور»: قال الله تعالى: ﴿قد جاءكم من اللّهِ نُورٌ وكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ قال جماعة: النور هنا محمد ﷺ. قال تعالى: ﴿الله نورُ السمواتِ والأَرضِ مَثَل نُوره كِمشْكاة﴾ قال ابن عباس ـ رضي الله تعالى عنهما ـ فيما رواه ابن مَرْدَويه: المراد بالنور هنا سيدنا محمد ﷺ وروى ابن جرير وابن المنذر أَن ابن عباس ـ رضي الله تعالى عنهما ـ سأَل كعباً عن تفسير هذه الآية فقال: ﴿مَثل نوره كِمشْكاة﴾ هي الكُوّة ضربها الله تعالى مثلاً لقلب محمد ﷺ «فيها مصباح» المصباح قلبه «في زجاجة» الزجاجة صَدْره «كأَنها كوكبٌ دُرّي» يشبّه صدر النبي ﷺ بالكوكب الدري وهو المضيء ﴿يكاد زَيْتها يُضِيء﴾ يكاد محمد ﷺ يتبين للناس ولو لم يتكلم كما يكاد الزيت يضيء بلا نار.

وروى الطبراني وابن عساكر عن ابن عمر - رضي الله تعالى عنهما -: قال: المشكاة: جوف النبي ﷺ. والزجاجة: قلبه. والمصباح: النور الذي في قلبه **﴿توقد من شجرة مبَاركة﴾** الشجرة: إبراهيم «زَيْتونة لا شرقية ولا غَرْبية» لا يهودية ولا نصرانية. ثم قرأ: **﴿ما كان إبراهيمُ يهوديًا ولا نَصْرانيًا ولكنْ كان حَنِيفاً مُسْلماً وما كان من المشركين﴾**.

رواه ابن أَبي حاتم عن مقاتِل بن حيّان. وقال عبد الله بن رَوَاحة - رضي الله تعالى عنه -:

لَوْ لَمْ تَكُنْ فِيهِ آيَاتٌ مُبَيِّنَةٌ لَكَانَ مَنْظَرُهُ يُنْبِيكَ بِالْخَبَرِ

قال القاضي: وسمِّي بالنور لوضوح أَمره وبيان نبوّته وتنوير قلوب المؤمنين والعارفين بما جاء به.

وهو من أَسمائه تعالى ومعناه ذو النور أَي خالقه، ومنوِّر السموات والأَرض بالأَنوار ومنوِّر قلوب المؤمنين بالهداية. والنور في الأَصل: كيفية قائمة بالنفس لمقابلة المضيء لذاته. وفسَّره الجوهري بالضياءِ وهو أَشدّ منه. وقال: هو الضوء المنتشر الذي يُعين على الإبصار. وهو ضربان: مُدْرَك بعين البصيرة وهو ما انتشر من النور الإلهي كنور العقل والقرآن والنبي ﷺ. ومُدْرَك بعين البصَر وهو ما كان منتشراً من الأَجسام كالقمر والشمس ونحوهما. وقد ذكر الفرق بينه وبين الضوء فيما مرّ. وأَما الفرق بينهما وبين الشعاع والبريق فهو كما في شرح المواقف أَنهما شيء يتلأْلأ على الأَجسام المستنيرة حتى كأَنه يفيض منها ويكاد يستر لونها بخلاف الضوءِ والنور فإِن الأَول كيفية قائمة بالجسم لذاته والثاني كيفية قائمة به لغيره كما مر. ثم هذا التلأْلؤ واللَّمَعان إِن كان ذاتيًا للجسم كالحاصل للشمس فهو الشعاع أَو غير ذاتي للجسم بل مستفاداً من غيره كالحاصل للمرآة عند محاذاتها للشمس بالبريق؛ فعلم من ذلك أَن الشعاع كالضوءِ ذاتي للجسم، وأَن البريق كالنور ليس ذاتاً بل مستفاد من غيره.

فإِن قيل: فإِن كان الضياء أَشدَّ من النور فلمَ شبه الله تعالى به في قوله تبارك وتعالى: **﴿الله نور السموات والأَرض﴾** ولم يشبهه بالضياءِ؟.

فالجواب: أَنه لو شبهه به لم يضل أَحد من العقلاءِ، وقد سبق في علمه تعالى أَن منهم: شقيّ وسعيد أَلَا ترى أَن النهار لا يضل فيه أَحد لضوءِ الشمس الحاصل به، وربما ضل الطريقَ السائر ليلاً مع وجود القمر ومن هنا تؤخذ حكمة تسميته ﷺ بالنور دون الضَّوْءِ، وإِنما مثَّله بنور المصباح ولم يمثّله بنور الشمس مع أَن نورها أَتَمّ وأَكْمل وغير محتاج إِلى مَدَد بخلاف نور المصباح لأَن المقصود كما قال الإِمام الرازي: تمثيل النور في القلب. والقلب في الصدر والصدر في البدن كالمصباح وهو الضوء في الفتيلة وهي في الزجاجة، والزجاجة في الكوّة

التي لا مَنْفَذ لها. ولا يتمّ ذلك إلا بما ذكر، أو لأن نور المعرفة له آلات يتوقف على اجتماعها كالفهم والعقل واليقظة، كما أن نور المصباح يتوقف على اجتماع الزيت والزجاجة والفتيلة، ولأن نور الشمس يُشْرق متوجهاً إلى العالم السفليّ ونور المعرفة يُشْرق متوجهاً إلى العالم العُلْوي كنور المصباح، ولأن نور الشمس يشرق نهاراً فقط، ونور المعرفة يشرق ليلاً كنور المصباح في وقت الحاجة إليه ولأن نور الشمس يعم جميع الخَلْق ونور المعرفة لا يصل إليه إلا بعضهم كنور المصباح.

«نور الأمم»: «خا»: أي هاديها.

«نور الله الذي لا يُطْفأ»: «خا».

«نون»: ذكر ابن عساكر في مهماته أن بعضهم قال في قوله تعالى: ﴿**نون والقلم وما يسطرون**﴾ أنه اسم من أسماءِ النبي ﷺ. وقيل: من أسماءِ الله، والله تعالى أعلم.

حرف الهاء

«الهادي»: «يا» اسم فاعل من هدَى هداية وهي الدلاية إن تعدَّتْ بحرف الجر. والوصول إن تعدَّتْ بنفسها قال تعالى: ﴿**وإنك لتهدِي إلى صراطٍ مُستقيم**﴾ وهو من أسمائه تعالى، ومعناه الذي بصَّر عباده طريقَ معرفته حتى أقرُّوا بربوبيته، أو هادي كل أحد من خليقته إلى ما لا بد له من معيشته. والهداية تطلق على خَلْق الاهتداءِ وذلك من وصفه تعالى خاصة وهو المنفيّ في قوله تعالى: ﴿**إنك لا تَهْدِي من أحْبَبْت**﴾ وعلى البيان والدلالة بلُطْف وهذه يتصف بها الله تعالى والنبي ﷺ وتُطلَق أيضاً على الدعاءِ. ومنه: ﴿**ولكلِّ قَوْم هادٍ**﴾ أي داعٍ.

«الهاشمي»: نسبة إلى جد أبيه هاشم بن عبد مناف، وتقدم الكلام عليه في النَّسب.

«الهَجُود»: كصَبُور: الكثير التهجّد وهو مَجَانَبة الهُجود بضم الهاء وقيام الليل في طاعة المِلك المعبود؛ قال تعالى: ﴿**ومن الليل فتهجَّدْ به نافلةً لك**﴾ أي زيادة على ما فرض الله تعالى عليك، قاله البَغويّ ـ رحمه الله تعالى ـ ولهذا مزيد بيان في الخصائص.

«الهُدَى»: الرشاد والدلالة، قال تعالى: ﴿**ولقد جاءهم من ربهم الهُدَى**﴾ وهو مصدر سمِّي به ﷺ مُبالَغة. وروى الإمام أحمد عن أبي أُمامة ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله بَعثني رحمةً للعالمين وهُدًى للمؤمنين**»[1].

«هَدِيّة الله».

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ٢٦٨/٣، والطبراني في الكبير ٢٣٢/٨، وأبو نعيم في الدلائل ٥/١، وذكره الهيثمي في المجمع ٧٢/٥ وعزاه لأحمد والطبراني وقال: فيه علي بن يزيد وهو ضعيف.

«الهُمَام»: «عا» بضم الهاء: الملِك العظيم.

«الهِمّة»: بالكسر وتفتح واحدة الهَمّ وهي ما هَمّ به الشخْص من أَمر يُفْعَل، يقال: همَمْتُ بالشيءِ أَهُمُّ هَمًّا إِذا أَردت فعله، ولا هَمَّة لي بالفتح، وهَمَام كقَطام أَي أَفضله أَو السيد الشجاع أَو السخيّ.

«الهيِّن»: «عا»: بفتح الهاء وسكون التحتية مخفَّف هيِّن بوزن سيِّد: الساكن المتَّئِد، فَيْعِل من الهَوْن وهو بالفتح: السَّكِينة والوقار، أَو بالضم وهو السهولة فعَيْنه واو.

قال ابن الأَعرابي: العرب تَمْدح بالهَيْن اللَّيْن مخفَّفَيْن، وتذم بهما مُثَقَّلين «عا»: ولعل ذلك لكون المثقَّلين يدلان على كثرة اللِّين والسهولة المُفْضِي ذلك إِلى ارتكابهما فيما يطلب فيه الغِلْظة والشدة كما قال الله تعالى: ﴿واغْلُظْ عليهم﴾ ﴿أَشِدَّاءُ على الكُفَّارِ رُحَماءُ بَيْنَهم﴾ بخلاف المخفَّفين فإِنهما لا يقتضيان ذلك وإِنما يدلان على حصول أَصل الوصف وذلك يحصل بأَن يأْتي بهما في محلهما، كما قال تعالى: ﴿واخْفِضْ جَناحَك للمؤمنين﴾ ﴿رُحَماءُ بَيْنَهم﴾ أَو لأَن المخفَّف من الهَوْن بمعنى السهولة والمثقل من الهون وهو الذلة والمهانة والله تعالى أَعلم.

حرف الواو

«الواجِد»: «عا» بالجيم: العالم أَو الغني، اسم فاعل من الجِدَة وهو الاستغناء وهو من أَسمائه تعالى، ومعناه العالِم أَو الغنيّ الذي لا يفتقر [إِلى أَحد] وكل أَحد إِلى معروفه ينتظر.

«الواسِط»: «د» قال في الصِّحاح: فلان وسيط في قومه إِذا كان أَوسطهم نسَباً وأَرفعهم محلاً. والواسط: الجوهر الذي وسَط القِلاَدة. وتقدم بيان شرف نسبه ﷺ.

«الواعد»: «د» اسم فاعل من الوعْد وهو إِذا أُطلق كان في الخير. والوعيد في الشر إِلاَّ بقرينة على حد البِشَارةَ والنِّذَارة.

«الواسِع»: الجواد الكثير العَطاء، من الوُسْع، مثلثة الواو، كالسَّعة وهي الجِدة والطاقة.

وهو من أَسمائه تعالى، ومعناه: المحيط بكل شيء. أَو الذي وسِع رِزْقه جميعَ خَلْقه. أَو الذي وسعت رحمتُه كلَّ شيء أَو المعطِي عن غِنًى أَو العالم أَو الغَنِي.

«الواضِع»: «عا» المزيل والقاطع، اسم فاعل من الوضْع وهو أَعمُّ من الحَطّ، قال تعالى: ﴿ويضَعُ عَنْهم إِصْرَهم﴾ أَي يزيله ويقطعه عنهم. والإِصْر: الثِّقل الذي يَأْصِر صاحبَه أَي يحسبه عن الحركة وهو مثل ثقل تكليف بني إِسرائيل وصعوبته، نحو اشتراط قَتْل النفس في صحة التوبة وقطع الأَعضاءِ الخاطئة كما سيأْتي في الخصائص.

«الواعظ»: «د» قال تعالى: ﴿**إنما أعظكم بواحدة**﴾ قال ابن فارس: والوعظ التخويف. وقال الخليل هو التذكير بالخير وما ترق له القلوب. وقال الجوهري: هو النُّصْح والتذكير بالعواقب.

«الوافي»: بمعنى الوَفِيّ من قولهم: درهم وافٍ وكَيْل وافٍ أي تامّ. وسمي ﷺ بذلك لكماله خَلْقاً وخُلقاً ورجحانه على غيره عقلاً. قال حسان ـ رضي الله تعالى عنه ـ يمدحه ﷺ:

وَافٍ وَمَاضٍ شِهَابٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ   بَدْرٌ أَنَارَ عَلَى كُلِّ الأَنَاجِيلِ

«الوالي»: المالك أو الملِك أو الحاكم، اسم فاعل من الولاية وهي بالكسر فقط: الإمارة. أو الشريف القريب من معالي الأمور، من الولاء بمعنى القُرْب كالولاية بالكسر والفتح. وهو من أسمائه تعالى والمعنى ما مَرَّ.

«الوجيه»: ذو الوجاهة والجاه عند الله تعالى.

«الوَرِع»: بكسر الراء: التقِيّ، اسم فاعل من الورَع وهو اتّقاء الشبهات، يقال: وَرِع الرجل يَرِعُ بالكسر فيهما ورَعاً ووَرَاعة فهو ورِع أي مُتَّقٍ وقال ابن يونس ـ رحمه الله تعالى ـ: الورَع: الخروج من كل شبهة ومحاسبة النفس مع كل طَرْفة ولهذا مزيد بيان في باب ورَعه ﷺ.

«الوَسِيم»: بالمهملة والتحتية كأمير: الحسَن الوجه الجميل.

«الوَسِيلة»: ما يتقرب به ويتوسَّل إلى ذي قَدْر. وهو ﷺ وسيلة الخَلْق إلى ربهم.

«الوَصِيّ»: «عا» بالمهملة: الخليفة القائم بالأمر من بعد غيره. سمّي ﷺ بذلك لأنه قام بأمر التبليغ والرسالة من بعد عيسى صلى الله عليهما وسلم الذي بشّر به وأَخبرَ برسالته وحضَّ على اتباعه.

«الوَفِيّ»: «د»: الكامل الخُلق التام الخَلْق. وهو فَعِيل صيغة مبالغة من الوفاءِ. وكان ﷺ أَوْفَى الناس بالعهد وأَوفاهم ذمةً. وتقدَّم قولُ القاضي في «الأَبَرّ». وفي حديث هرقل قوله لأَبي سفيان: فهل يَغْدر؟ قال: لا.

وهذا الاسم من أَسمائه تعالى.

«وليّ الفضل»: «عا» أي مُوليه وهو الإِحسان والبِرّ.

«الوَلِيّ»: الناصر أَو الوالي أَو المتولّي مصالح الأُمة القائم بها؛ قال تعالى: ﴿**إنما وليّكم اللّهُ ورسولُه**﴾ أَو المحِب لله أَو المتصف بالوِلاية وهي عبارة عن كَشْف الحقائق وقَطْع العلائق وتصرّف في باطن الخلائق. قال القُشَيْري: الوليّ له معنيان **أحدهما**: فَعِيل

بمعنى مفعول وهو من يتولى اللّهُ تعالى أُمورَه ولا يَكِله إِلى نفسه لحظة.

الثاني: فَعِيل بمعنى فاعِل، وهو الذي يتولى عبادة الله تعالى وطاعته فيجري بها على التوالي ولا يتخلل بينها عصيان.

وهو من أَسمائه تعالى، قال الله عز وجل: **﴿وهو الوليّ الحميد﴾** وقال تعالى: **﴿اللّهُ وليُّ الذين آمنوا﴾** أَي يتولى نَصْرهم ومعونتهم وكفايتهم ومصالحهم.

«الوهَّاب»: صيغة مبالغة من الهِبة وهي بَذْل المال بغير عِوَض يقال: وهَب يَهب هِبَةً ومَوْهِباً. ولهذا مزيد بيان في باب كرَمه وجُودِه ﷺ.

وهو من أَسمائه تعالى، ومعناه: الذي يُعْطِي على قَدْر الاستحقاق ولا يَغِيض ما في يمينه من كثرة الإِنفاق. والله تعالى أَعلم.

حرف الياء

«اليتيم»: اسم مفعول من اليتم وهو انقطاع الولَد قبل بلوغه عن أَبيه بموته وفي سائر الحيوانات الانقطاع من قِبَل الأُمّ. وكل منفرِد يتيمٌ، يقال دُرَّة يتيمة تنبيهاً على أَنْ قد انقطعت مادتها التي خرجت منها. وقد قيل بذلك في الآية. والمعنى عليه: أَلم يجدْك واحداً في قريش عَدِيم النظير فيهم.

«يس»: ذكره جماعة في أَسمائه ﷺ، وورد في حديث أَبي الطُّفَيْل عن ابن مردويه، ورواه البيهقي عن محمد بن الحنَفِيّة ـ رحمه الله تعالى ـ. قال السُّهَيْلي: لو كان اسماً له ﷺ لقال: يا يسُ بالضم كما قال: **﴿يوسُفُ أيها الصِّديق﴾** قال تلميذه ابن دِحْية: وهذا غير لازم فإِن الكَلْبي قرأَه بالضم، أَي على حذف حرف النداءِ.

«اليثْربيّ»: نسبة إِلى يثرب، اسم المدينة الشريفة في الجاهلية. وقد ورد النهي عن تسميتها بذلك كما سيأْتي في باب أَسمائها في أَبواب فضلها.

تنبيه: قد عُلم مما تقدم أَن الله سبحانه وتعالى سمَّى النبيَّ ﷺ بعدة أَسماء من أَسمائه عز وجل. وسيأْتي سَرْدها في الخصائص إِن شاء الله تعالى. والله تعالى أَعلم.

البــاب الـرابــع

في كناه صلى الله عليه وسلم وزاده شرفًا وفضلًا لديه

قال الإمام العلامة أبو السعادات مجد الدين المبارك بن الأثير ـ رحمه الله تعالى ـ في كتابه «المرصَّع»: أما الكُنْية فأصلها من الكناية، وهي أن يتكلم بالشيء ويريد غيره، تقول كنَيْت وكنَوْت بكذا وعن كذا كِنْية وكُنْية والجمع الكُنَى؛ واكْتَنَى فلانٌ بأبي فلان وفلان يُكْنَى بأبي الحسن، وكنيْتُه أبا زيد وبأبي زيد، يخفَّف ويثقل والتخفيف أكْثَر. وفلان كَنِيّ فلان، كما تقول: سَمِيُّه: إذا اشتركا في الاسم والكُنْية. وإنما جيء بالكُنْية لاحترام المكْنِيّ بها وإكرامه وتعظيمه كيلا يصرّح في الخطاب باسمه. ومنه قوله:

أَكْنِيهِ حِينَ أُنَادِيهِ لأُكْرِمَهُ وَلاَ أُلَقِّبُهُ وَالسَّوْأَةُ اللَّقَبُ

هذا مختص بالإنسان دون غير وهو الأَصل.

ولقد بلغني أَن أَصل سبب الكُنَى في العرب أَنه كان مِلِكٌ من ملوكهم الأُول ولد له ولد توسَّم فيه أَمارة النَّجابة فشُغف به فلما نشأ وترعرع وصَلُح لأَن يؤدَّب أَدبَ الملوك أَحب أَن يُفْرد له موضعاً بعيداً من العمارة يكون فيه مُقِيماً يتخلَّق بأَخلاق مؤدِّبيه ولا يعاشِر من يضيع عليه بعضَ زمانه، فبنى له في البرِّيَّة منزلاً ونقله إليه ورتب له من يؤدبه بأَنواع من الآداب العلمية والملَكية وأَقام له ما يحتاج إِليه من أَمر دنياه، ثم أَضاف إِليه من هو من أَقرانه وأَضرابه من أَولاد بني عمه وأمرائه ليُؤْنسوه ويتأَدبوا بآدابه ويحبِّبوا إليه الأَدب بموافقتهم له عليه. وكان المِلِك في رأْس كل سنة يَمْضي إِلى ولَده ويستصحب معه من أَصحابه من له عند ولده ولَد ليبصروا أَولادهم، فكانوا إِذا وصلوا إِليهم سأَل ابنُ المِلِك عن أُولئك الذين جاؤوا مع أَبيه ليَعْرفهم فيقال له: هذا أَبو فلان وهذا أَبو فلان، يَعْنون آباءَ الصبيان الذين عنده فكان يعرفهم بإِضافتهم إِلى أَبنائهم، فمن هنالك ظهرت الكُنَى في العرب.

ثم ذكر ابنُ الأَثير ـ رحمه الله تعالى ـ فوائد تتعلق بالكُنَى ليس هذا الكتاب محلاً لها وقد ذكرتها مع زيادات أُخرى في كتابي «سفينة السلامة».

إذا علمت ذلك: فللنبي ﷺ عِدّة كُنًى وهي:

«أبو القاسم» ﷺ. وهو أَشهرها.

روى الشيخان عن أَنس بن مالك ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: كان رسول الله ﷺ يمشي بالبَقِيع فسَمِع قائلاً يقول: يا أَبا القاسم فردَّ رأْسه إِليه فقال الرجل: يا رسول الله إِني لم أَعْنِكَ إِنما دعَوْتُ فلاناً. فقال رسول الله ﷺ: **«تسمَّوْا باسمي ولا تكنَّوا بكنيتي فإني**

جُعلتُ قاسِماً أَقْسِم بينكم»[١].

وظاهر هذا الحديث أَنه إِنما كُني ﷺ أَبا القاسم لذلك.

وقال العَزَفيّ والوزير أَبو الحسن سلام بن عبد الله الباهِليّ رحمهما الله تعالى في كتابه «الذخائر والأَعْلاق في آداب النفوس ومَكارم الأَخلاق»: لأَنه ﷺ يَقْسم الجنة بَيْن أَهلها يوم القيامة. قال الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ: والذي جزم به الجماهير من أَهل السِّيَر أَنه إِنما كُني بابنه القاسم. وهو أَول أَولاده ﷺ ولادةً ووفاةً وسيأْتي الكلام على تكَنّي غير النبي ﷺ بأبي القاسم في الخصائص.

«أَبو إِبراهيم»: روى البيهقي في الدلائل عن أَنس ـ رضي الله عنه ـ أَنه لما وِلد إِبراهيم ابن النبي ﷺ من مارية كاد يقع في نفْس النبي ﷺ منه حتى أَتاه جبريل فقال: السلام عليك يا أَبا إِبراهيم.

«أَبو الأَرامل»: ذكره ابن دِحْيَةَ وقال: ذكره صاحب الذخائر والأعلاق.

«أَبو المؤمنين»: قال الله تعالى: ﴿النبيُّ أَوْلَى بالمؤمنين من أَنفُسهم وأَزواجه أُمّهاتهم﴾ وقرأَ أُبَيّ بن كعب ـ رضي الله تعالى عنه ـ: «وهو أَبٌ لهم» أَي كأَبيهم في الشفقة والرأْفة والحنوّ والله تعالى أَعلم.

(١) أخرجه البخاري ٦٤/١، من حديث أبي هريرة، كتاب العلم (١١٠)، ومسلم ١٦٨٢/٣، كتاب الآداب (١ـ ٢١٣١).



فهرس الجزء الأول
مـــن
سبل الهدى والرشاد
في سيرة خير العباد

جماع أبواب بعض الفضائل والآيات
الواقعة قبل مولده صلى الله عليه وسلم

جماع أبواب بعض فضائل بلده المنيف
ومسقط رأسه الشريف زاده الله تعالى فضلاً وشرفاً

جماع أبواب نسبة الشريف صلى الله عليه وسلم

جماع أبواب مولده الشريف صلى الله عليه وسلم

جماع أبواب رضاعه صلى الله عليه وسلم وزاده شرفاً وفضلاً

جماع أبواب أسمائه صلى الله عليه وسلم وكناه